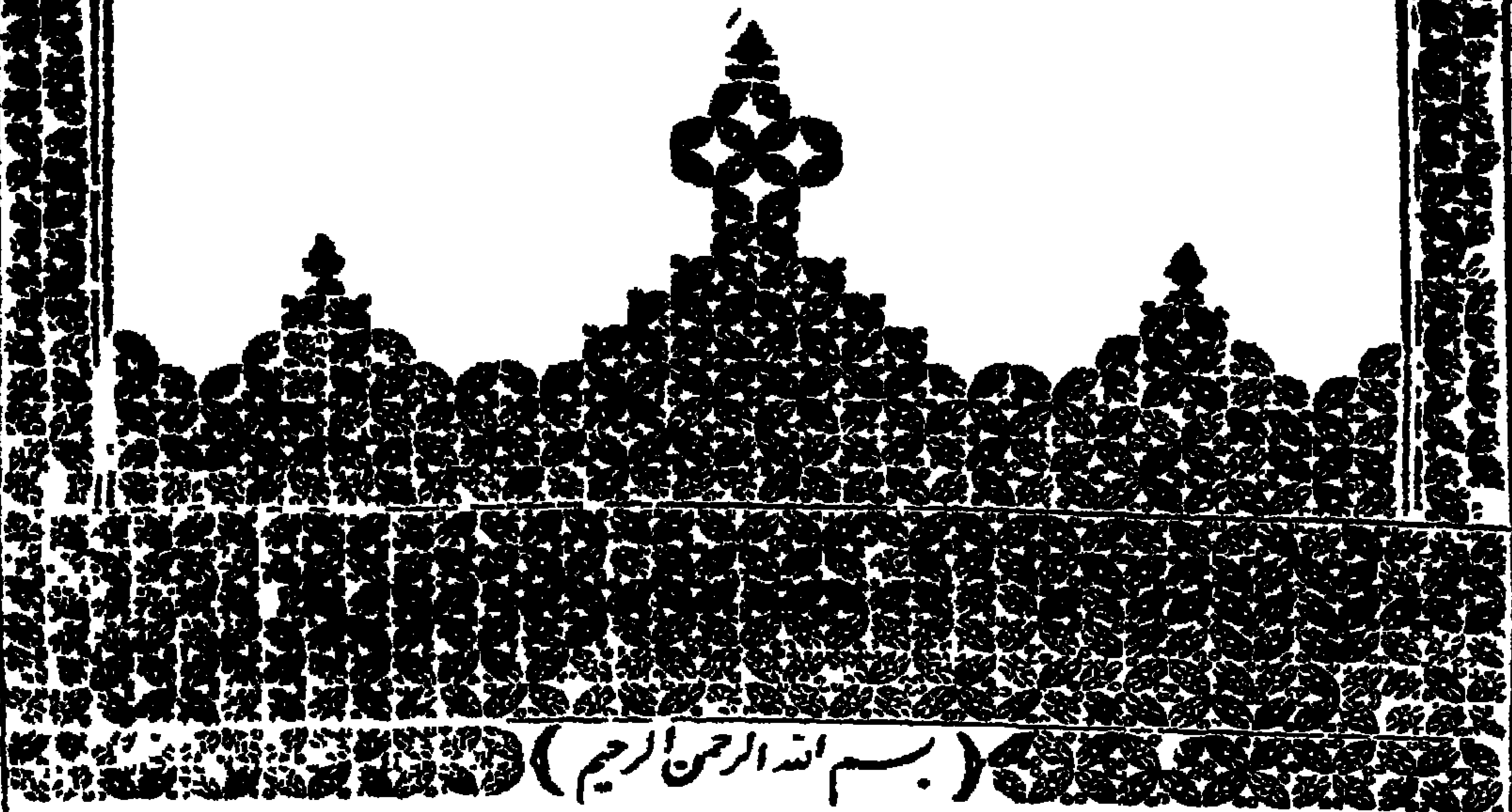
42/63

5 IA

الجزء السادس من شرح العلامة الشيخ
محمد بن عبد الباقي الزرقاني المالكي
على المواهب اللدنية للامام
القسطلاني الشافعي
نفع الله المسلمين
بعلومهما
آمين

وهو من اجزاء ثمانية



(بسم الله الرحمن الرحيم)

(المقصد الخامس في) بيان (تخصيصه عليه الصلاة والسلام بخصائص المعراج والاسراء) أي جعلها مخصوصة به لا تتجاوزه الى غيره والمراد بها الامور الخارقة التي اختص بها ليلته كرؤية الله والجنة وقطعه في زمن قليل واتساع الزمن حتى صلى بالانبياء الى غير ذلك فلما كانت تلك الامور كلها لم تتعده الى غيره جعل المصنف همته في الترجمة بيانها لانه صار بها مقدما على من عداه ومقربا في حضرة التقديس عن كل ما سواه وقدم المعراج في الذكر لتعلقه بالحضرة الالهية وأخره في الترتيب مطابقة للواقع (وتعميمه) أي تغطيته وستره (بعموم) أي كثرة (لطائف التكريم) أي النعم التي أكرمه الله بها التي لا تحصى بجعلها شاملة له كالملاءة التي تشتمل على جميع جسد من جعلت عليه (في حضرة التقريب) أي المكان الذي خاطبه فيه (بالمكالمة والمشاهدة) له سبحانه وتعالى (والآيات الكبرى) العظمى (اعلم منحنى) اعطاني (الله واياك الترقي في معارج السعادات) أي المراتب المحصلة لها لمن أراد الله به الخير والمعراج عند أهل الطريق منتهى سير المقربين الذي هو عروجهم أي سلوكهم لان كل سالك الى طريق كان غايته الحق بشرط فوزه منه بسعادة تامة فذلك السالك صاحب معراج وسلوكه عروج (وأوصلنا) الله (به) أي النبي صلى الله عليه وسلم (اليه) أي الى قرب المكانة الى الله (في حظائر الكرامات) أي المحلات التي تنزل بها الكرامات وتليق بها أو المراد بها الجنة وأصل الحظيرة ما يعمل

للابل من الشجر ليقيها البرد ونحوه (أن قصة الاسراء والمعراج) بزنة مفتاح السلم وجمعه معارج ومعاريج ويقال معرج للواحد بكسر الميم وفتحها (من أشهر المعجزات وأظهر البراهين البينات) الواضحات (وأقوى الحجج) بالضم جمع حجة (المحكمات وأصدق الانباء) جمع نبأ بالهمز وهو الخبر (وأعظم الآيات وأتم الدلالات الدالة على تخصيصه عليه الصلاة والسلام بعموم الكرامات) لما اشتملت عليه من الامور الخارقة للعادة التى تقصر العقول عن ادراك مثلها (وقد اختلف العلماء) بحسب اختلاف الاخبار (فى الاسراء) أى فى جواب قول السائل (هل هو اسراء واحد فى ليلة واحدة) فقيل كان كذلك ثم اختلف بناء على ذا القول هل كان (يقظة أو مناما) وعلى انه يقظة هل الى المسجد الاقصى فقط أو الى العرش مناما (أو هما) (اسراآن) واحد يقظة وآخر مناما (كل واحد منهما فى ليلة مرة بروحه وبدنه يقظة ومرة مناما) وليلة اليقظة غير ليلة المنام وبهذا فارق القول الذى قبله (أو يقظة بروحه وجسده من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى ثم مناما من المسجد الاقصى الى العرش) فالاسراء كان يقظة والمعراج مناما عند هذا القائل وقد علم تفريع هذا القول على اتحاد الليلة فيهما (أو هى أربع اسراآت) يقظة كلها كما يأتى (احتج القائلون بأنه رؤيا منام مع اتفاقهم على ان رؤيا الانبياء وحى بقوله وما جعلنا الرؤيا التى أريناك) ليلة الاسراء (الا فتنة للناس) أهل مكة اذ كذبوا بها وارتد بعضهم لما أخبرهم بها (لأن الرؤيا) بالالف (مصدر الحلمية) وهى المنامية منسوبة الى الحلم بضمتين وقد تسكن اللام تخفيفا (وأما البصرية فالرؤية بالتاء) لا بالالف (وقد أنكر ابن مالك والحريرى وغيرهما كما قاله الشيخ بدر الدين الزركشى ورود الرؤيا) بالالف (للبصرية ولحنوا) أبا الطيب أحمد ابن الحسين (المتنبى) الشاعر المشهور (فى قوله ورؤياك أحلى فى العيون من الغمض) لانه استعمل الرؤيا بالالف فى البصرية التى بالتاء (وأجيب بأنه) لا حجة فى الآية على انه منام لانه (انما أتى بالرؤيا لوقوع ذلك المرئى فى الليل وسرعة تقضيه) حتى (كأنه منام) فهو مجاز علاقته المشابهة (وبأن الرؤيا) بالالف (والرؤية) بالتاء (واحدة) بمعنى ان كلا منهما يستعمل موضع الآخر (كقربى وقربة) وهذا نقله ابن دحية ولفظه قال أهل اللغة رأيت رؤية ورؤيا مثل قربة وقربى (ويشهد له قول ابن عباس) وهو من أئمة اللسان (فى) تفسير (الآية كما عند البخارى هى رؤية عين أريها صلى الله عليه وسلم ليلة أسرى به) فاستعمل ابن عباس الرؤيا بالالف فى البصرية (وزاد سعيد بن منصور عن سفيان) بن عيينة راويه عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس (فى آخر الحديث وليس رؤيا منام) فهو دليل قوى على استعمال كل منهما موضع الآخر قال الحافظ وقد تمسك بكلام ابن عباس هذا من قال الاسراء منام ومن قال يقظة فالاول اخذه من لفظ الرؤيا لاختصاصها برؤيا المنام والثانى من قوله اريها ليلة الاسراء اذ لو كان مناما ما كذبه الكفار ولا فيما هو أبعد منه واذا كان يقظة والمعراج تلك الليلة تعين كونه يقظة أيضا اذ لم ينقل انه نام لما وصل بيت المقدس ثم عرج به وهو نائم (ولم يصرح فى رواية البخارى بالمرئى) بل لفظه ما قدمه المصنف قال الحافظ عقب ما نقلته عنه واذا كان يقظة فاضافة الرؤيا الى العين للاحتراز عن رؤيا

القلب وقد أثبت الله في القرآن رؤيا القلب فقال ما كذب الفؤاد ما رأى ورؤيا العين فقال ما زاغ البصر وما طغى لقد رأى وروى الطبراني في الاوسط باسناد قوي عن ابن عباس قال رأى محمد ربه مرتين ومن وجه آخر قال نظر محمد الى ربه جعل الكلام لموسى والخلة لابراهيم والنظر لمحمد فاذا تقرر ذلك ظهر أن مراد ابن عباس هنا برؤيا العين جميع ما ذكره صلى الله عليه وسلم من الاشياء في تلك الليلة (وعند سعيد بن منصور من طريق أبي مالك هو ما أرى في طريقه الى بيت المقدس) مما يأتي بعضه) وهذا مما يستدل به على اطلاق لفظ الرؤيا على ما يرى بالعين في اليقظة) كما تطلق على رؤيا المنام (وهو رد على من خطأ المتنبي) ولا عبرة بانكار ذلك اذ من حفظ حجة خصوصا وابن عباس من فصحاء بني هاشم وأئمة اللسان وفي كلام الاشموني افادة أن مصدر رأى حلمية أو بصرية أو علمية بالدليل أو السمع يجيء بالالف في لغة وأن المشهور كونها مصدر الحلمية (على انه اختلف المفسرون في هذه الآية) على هذه الاستدلال وقيل تتعلق بما قبلها من الكلام وقيل لا تتعلق بشيء (فقيل ان الرؤيا التي أريناك ليلة المعراج) كما مر عن ابن عباس (قال البيضاوي) وتعلق به من قال كان في المنام ومن قال كان في اليقظة (فسر الرؤيا) بالالف (بالرؤية) بالتاء (وقيل رؤيا عام الحديبية حين رأى انه دخل) المسجد الحرام فسافر قاصدا (مكة فصده المشركون وافتتن بذلك ناس) أي تحيروا من ذلك لان رؤياه وحي حتى قال صلى الله عليه وسلم أقال لكم في هذا العام وفي الفتح قال هذا القائل والمراد بقوله فتنة للناس ما وقع من صد المشركين له في الحديبية عن دخول المسجد الحرام وهذا وان امكن انه مراد الآية لكن الاعتماد في تفسيرها على ترجمان القرآن أولى (وقيل رؤياه وقعة بدر وسأل ابن النقيب) الامام المفسر العلامة المفتي جمال الدين أبو عبد الله محمد بن سليمان بن حسن البلخي ثم المقدسي الحنفي مدرس العاشورية بالقاهرة ولد سنة احدى عشرة وستمائة قدم مصر فسمع بها من يوسف المخيلي وأقام مدة بالجامع الازهر وصنف بها تفسيرا كبيرا الى الغاية وكان اماما عابدا زاهدا أمارا بالمعروف كبير القدر يتبرك بدعائه وزيارته مات بالقدس في المحرم سنة ثمان وتسعين وستمائة ذكره الذهبي في العبر (شيخه أبا العباس أحمد بن عمر بن ابراهيم (القرطبي) الانصاري المالكي الفقيه المحدث نزيل الاسكندرية ولد سنة ثمان وسبعين وخمسمائة وسمع الكثير وقدم الاسكندرية فأقام بها يدرس وصنف المفهم في شرح صحيح مسلم واختصر الصحيحين مات في ذي القعدة سنة ست وخمسين وستمائة وليس المراد بابن النقيب هنا شهاب الدين بن النقيب أحمد أبو العباس أحد علماء الشافعية لانه ولد بالقاهرة سنة اثنين وسبعمائة ومات بها في رمضان سنة تسع وستين كما ذكر السيوطي فلم يدرك القرطبي (فقال الصحيح انها رؤية عين أراه جبريل مصارع القوم ببدر فأرى النبي صلى الله عليه وسلم الناس) أصحابه الحاضرين (مصارعهم) أي القوم الهالكين ببدر من المشركين (التي أراه جبريل) نصا ريقول قبل الوقعة واضعا يده على الارض هذا مصرع فلان وهذا مصرع فلان (فتسامعت به قريش فاستسخروا) مثل سخروا أي هزءوا (منه) فلما التقى الجمعان كان كما قال

(انتهى) لكن ما صححه خلاف ما صححه الشامي انها رؤيا عين ليلة الاسراء وهو الصافظ في الفتح قائلا ومارواه ابن مردويه عن ابن عباس ان المراد رؤيا الحديبية وعن الحسن ابن علي مرفوعا اني اريت كأن بني امية يتعاورون منبري هذا فقيل دنيا تنالهم ونزلت الآية فكلاهما اسناده ضعيف (واستدل القائلون بأنها رؤيا منام أيضا بقول عائشة) المروي عند ابن اسحاق حدثني بعض آل أبي بكر أن عائشة كانت تقول (ما فقد جسده الشريف) ولكن اسرى بروحه قال الشامي كذا فيما وقفت عليه من نسخ السير فقد بالبناء للمفعول والذي وقفت عليه من نسخ الشفاء ما فقدت بالبناء للفاعل واسناد الفعل لتاء المتكلم كذا قال وقد حكاهما في الشفاء روايتين فقال اولا وأما قول عائشة ما فقد جسده فهي لم تحدث به عن مشاهدة الخ ثم قال بعد أسطر وأيضا فقد روى حديث عائشة ما فقدت يعني بالبناء للفاعل قال ولم يدخل بها النبي صلى الله عليه وسلم الا بالمدينة وكل هذا يوهنه بل الذي يدل عليه صحيح قولها انه بجسده الشريف لانكارها رؤيته لربه رؤية عين ولو كانت عندها مناما لم تنكره وحديثها هذا ليس بالثابت عنها انتهى يعني لما في متنه من العلة القادحة وفي سنده من انقطاع وراو مجهول وقال ابن دحية في التنوير انه حديث موضوع عليها وقال في معراجه الصغير قال امام الشافعية أبو العباس بن سريج هذا حديث لا يصح وانما وضع رد الحديث الصحيح (وأجيب) على تقدير صحته (بأن عائشة لم تحدث به عن مشاهدة لانها لم تكن اذ ذاك زوجا ولا في سن من يضبط) لانها سنة الهجرة كانت بنت ثمان سنين (أولم تكن ولدت بعد) بالبناء على الضم أي بعد هذه القصة وهي ضد قبل ويستعملان في التقدم والتأخر المتصل والمنفصل والمراد هنا الاول أو المراد زمن وقوعه للمجاورة والتضاد وهو استعمال شائع (على الخلاف في الاسراء متى كان) يعني على انه كان بعد المبعث بعام لم تكن ولدت وعلى انه قبل الهجرة بعام تكون ابنة سبع وعلى انه قبلها بأكثر تكون اصغر من سبع قال عياض واذا لم تشاهد ذلك عائشة دل على انها حدثت بذلك عن غيرها فلم يرجح خبرها على خبر غيرها وكان الظاهر أن يقول فرجح خبر غيرها على خبرها اى لعدم ثبوته عنها كما أفصح به بعد وقد قدمت كلامه لا لروايتها عن مجهول اذ لو ثبت لكان مرسل صحابي وهو حجة (وقال التفتازاني) في الجواب على تقدير الصحة (أي ما فقد جسده عن الروح بل كان مع روحه وكان المعراج للجسد والروح جميعا انتهى) وهو جواب حسن على ما فيه من كونه خلاف المتبادر من اللفظ (واحتج القائلون بأنه بالجسد يقظة الى بيت المقدس والى السماء بالروح) فالاسراء يقظة والمعراج منام (بقوله تعالى سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى فجعل المسجد الاقصى غاية الاسراء الذي وقع التعجب به) من الكفار تعجب استحالة ومن المؤمنين تعجب تعظيم (بعظيم القدرة) بالباء الجارة وفي نسخة بالفوقية منصوب على انه مفعول له أي لتعظيم قدرة الله الباهرة (والتمدح بتشريف النبي صلى الله عليه وسلم واظهار الكرامة له بالاسراء ولو كان الاسراء بجسده الى) مكان (زائد عن المسجد الاقصى لذكره فيكون أبلغ في المدح) فلما لم يقع ذكر المعراج في هذا الموضع مع كون

شأنه أعجب وأمره أغرب بكثير من الاسراء دل على انه كان مناما وأما الاسراء فلو كان مناما لما كذبوه ولا استنكروه لجواز وقوع مثل ذلك وأبعد منه لآحاد الناس (وأجيب) كما ذكر ابن المنير (بأن حكمة التخصيص بالمسجد الاقصى سؤال قريش له على سبيل الامتحان على ما شاهدوه وعرفوه من صفة بيت المقدس وقد علموا انه لم يسافر اليه فيجيبهم عما عاين) كما يأتي بيانه (ويوافق ما يعلمونه فتقوم الحجة عليهم وكذلك وقع ولهذا لم يسألوه عما رأى في السماء ولا عهد لهم بذلك) عطف علة على معلول أي لانه لا عهد أي لا علم لهم به وفي الشامي وأجاب الائمة عن ذلك بأنه استدرجهم الى الايمان بذكر الاسراء فلما ظهرت امارات صدقه ووضحت لهم براهين رسالته واستأنسوا بتلك الآية أخبرهم بما هو أعظم منها وهو المعراج فحدثهم به وأنزله الله في سورة النجم قال الحافظ ويؤيد وقوع الاسراء عقب المعراج في ليلة واحدة رواية ثابت عن أنس عند مسلم أتيت بالبراق فركبت حتى اتيت بيت المقدس فذكر القصة الى ان قال ثم عرج بنا الى السماء الدنيا وحديث أبي سعيد عند ابن اسحاق فلما فرغ مما كان في بيت المقدس أتي بالمعراج (وقال النووي في فتاويه وكان الاسراء به عليه الصلاة والسلام مرتين مرة في المنام ومرة في اليقظة) والى هذا ذهب المهلب شارح البخاري وحكاه عن طائفة وأبو نصر بن القشيري ومن قبلهم أبو سعد في شرف المصطفى قال كان للنبي صلى الله عليه وسلم معاريج منها ما كان في اليقظة ومنها ما كان في المنام (وذكر السهيلي تصحيح هذا المذهب عن شيخه القاضي أبي بكر ابن العربي) واختاره و(ان مرة النوم توطئة له) وتمهيد (وتيسير عليه كما كان بدء نبوته الرؤيا الصادقة) كما قالت عائشة اول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم الرؤيا الصادقة وفي رواية الصالحة في النوم فكان لا يرى رؤيا الاجاءت مثل فلق الصبح (ليسهل عليه) بالرؤيا (أمر النبوة فانه أمر عظيم تضعف عنه القوى البشرية) فقد ذكر أبو ميسرة التابعي الكبير وغيره ان ذلك وقع في المنام وجمعوا بينه وبين حديث عائشة بأن ذلك وقع مرتين كما في الفتح (وكذلك الاسراء سهلت) قصته (عليه بالرؤيا) في النوم قبل اليقظة (لان هوله عظيم فجاءت اليقظة على توطئة وتقدمة رفقا من الله بعبده وتسهيلا عليه وقد جوز بعض قائلي ذلك ان تكون قصة المنام قبل المبعث لاجل قول شريك) بن أبي نمر (في روايته) عن أنس (وذلك قبل ان يوحى اليه وسيأتي البحث في ذلك ان شاء الله تعالى) قريبا مع الجواب عن اشكاله بالاجماع على ان فرض الصلاة كان ليلة الاسراء فكيف يكون قبل الوحي (واحتج القائلون بأنه أربع اسراآت يقظة) كما ذهب اليه جماعة (بتعدد الروايات في الاسراء واختلاف ما يذكر فيها فبعضهم يذكر شيئا لم يذكره الآخر وبعضهم يسقط شيئا ذكره الآخر واجيب بأنه لا يدل على التعدد لان بعض الرواة قد يحذف بعض الخبر للعلم به أو نسيانه) أو يذكر ما هو الاهم عنده أو ينشط تارة فيسوقه كله وتارة يحدث المخاطب بما هو أنفع له (وقال الحافظ ابن كثير من جعل كل رواية خالفت الاخرى مرة على حدة فأثبت اسراآت متعددة فقد أبعد وأغرب) جاء بشيء غريب لا يعرف (وهرب الى غير مهرب) يعني ان ذلك لا يجديه نفعا في دفع التعارض (ولم يحصل على مطلب) حذف من كلام ابن كثير في تاريخه

تعليله بقوله لان كل السياقات فيها تعريفه بالانبياء وفى كلها تفرض عليه الصلاة فكيف يدعى تعدد ذلك هذا فى غاية البعد وصله بقوله (ولم ينقل ذلك عن أحد من السلف ولو تعدد هذا التعدد لاخبر النبى صلى الله عليه وسلم امته بذلك ولنقله الناس على التعدد والتكرار) ولم يقع ذلك (انتهى) ونحوه فى الفتح وزاد ويلزم أيضا وقوع التعدد فى سؤاله صلى الله عليه وسلم عن كل نبى وسؤال أهل كل باب هل بعث اليه وفرض الصلوات الخمس وغير ذلك فان تعدد مثل ذلك فى القصة لا يتجه فتعين رد بعض الروايات المختلفة الى بعض أو الترجيح وقال ابن القيم هذه طريقة ضعفاء الظاهرية الذين اذا رأوا فى القصة لفظة تخالف سياق بعض الرواة جعلوه مرة اخرى فكلما اختلفت عليهم الرواة عددوا الوقائع والصواب الذى عليه ائمة النقل ان الاسراء كان مرة واحدة بمكة بعد البعثة ويا عجبا لهؤلاء الذين زعموا أنه وقع مرارا كيف ساغ لهم انهم يظنوا انه فى كل مرة تفرض عليه الصلاة خمسين ثم يتردد بين ربه تعالى وبين موسى حتى تصير خمسا فيقول امضيت فريضتى وخففت عن عبادى ثم يعيدها فى المرة الثانية خمسين ثم يحطها عشرا عشرا (وقد وقع فى رواية عبثر بن القاسم الزبيدى) بضم الزاى أبو زبيد كذلك الكوفى الثقة من رجال الجميع مات سنة تسع وسبعين ومائة وعبثر بفتح العين المهملة و(بموحدة) ساكنة (ثم مثلثة) مفتوحة ونسخة فمثناة تحريف فالذى فى التقريب وفتح المثلثة (بوزن جعفر فى روايته عن حصين بن عبد الرحمن) السلمى الكوفى ثقة روى له الجماعة وتغير حفظه فى الآخر مات سنة ست وثلاثين ومائة وله ثلاث وتسعون سنة (عند الترمذى والنسائى لما أسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم جعل يمر بالنبى ومعه الواحد الحديث فان كان ذلك محفوظا كان فيه قوة لمن ذهب الى تعدد الاسراء وأنه وقع بالمدينة أيضا) اسراء (غير الذى وقع بمكة) فغير صفة محذوف (قال فى فتح البارى والذى يتحرر من هذه المسألة ان الاسراء الذى وقع بالمدينة ليس فيه ما وقع بمكة من استفتاح أبواب السماء بابا بابا) بالتكرير (ولا من التقاء الانبياء كل واحد فى سماء ولا المراجعة مع موسى فيما يتعلق بفرض الصلوات ولا طلب تخفيفها وسائر ما يتعلق بذلك وانما تكررت قضايا كثيرة سوى ذلك رآها النبى صلى الله عليه وسلم فنها بمكة البعض ومنها بالمدينة بعد الهجرة البعض ومعظمها فى المنام) ضد اليقظة (والله أعلم انتهى) وفى فتح البارى أيضا وجنح الامام أبو شامة الى وقوع المعراج مرارا واستند الى ما أخرجه البزار وسعيد بن منصور عن أنس رفعه بينا أنا جالس اذ جاء جبريل فوكز بين كتفى فقمنا الى شجرة فيها مثل وكرى الطائر فقعدت فى أحدهما وقعد جبريل فى الآخر فارتفعت حتى سدت الخافقين الحديث وفيه ففتح لى باب من السماء فرأيت النور الاعظم واذا دونه حجاب رفرف الدر والياقوت ورجاله لا بأس بهم الا ان الدارقطنى ذكر له علة تقتضى ارساله وعلى كل حال فهى قصة اخرى الظاهر انها وقعت بالمدينة ولا بعد فى وقوع امثالها وانما المستبعد وقوع التعدد فى قصة المعراج الذى وقع فيها سؤاله عن كل نبى وسؤال أهل كل باب هل بعث اليه وفرض الصلوات الخمس وغير ذلك فان تعدد ذلك فى اليقظة

لا يجب فتعين رد بعض الروايات المختلفة الى بعض أو الترجيح الا انه لا بعد في وقوع جميع ذلك في المنام توطئة ثم وقوعه في اليقظة على وفقه كما قدمته ومن المستغرب قول ابن عبد السلام في تفسيره وكان الاسراء في النوم واليقظة ووقع بمكة والمدينة فان أراد تخصيص المدينة بالنوم ويكون كلامه على طريق اللف والنشر غير المرتب فيحتمل ويكون الاسراء الذى اتصل به المعراج وفرضت فيه الصلاة بمكة والآخر في المنام بالمدينة وينبغي ان يزاد فيه ان الاسراء بالمنام تكرر بالمدينة النبوية (وقال بعض العارفين ان له صلى الله عليه وسلم أربعة وثلاثين مرة) من الاسراآت (الذى اسرى به منها واحد بجسمه والباقى بروحه) دون جسده (رؤيا رآها انتهى فالحق) وهو الصحيح (انه اسراء واحد بروحه وجسده يقظة في القصة كلها والى هذا ذهب الجمهور من علماء المحدثين والفقهاء والمتكلمين وتواردت عليه ظواهر الاخبار الصحيحة ولا ينبغي العدول) الرجوع والميل (عن ذلك) الظاهر (اذ ليس في العقل ما يحيله) حتى يعدل عنه وانما عده محالا اصحاب من كفار قريش وبعض ضعفاء المسلمين لتوهمهم ان قطع مثل هذه المسافة ذهابا وايابا في بعض ليلة محال لبعدها فتقطع في ايام كثيرة ومن بعض ارباب علم الهيئة الزاعمين ان الافلاك لا فرجة فيها ولا تقبل الخرق والالتئام وكلاهما خطأ عقلا ونقلا ألا ترى نقل عرش بلقيس في طرفة عين مع بعد مسافته وقد نطقت النصوص بأن للسماء أبوابا تفتح وتغلق فلا عبرة بأوهام الفلاسفة قال التفتازاني ادعا استحالة المعراج باطل لانه انما ينبني على اصول الفلاسفة من امتناع الخرق والالتئام على السموات والا فالخرق والالتئام على السموات واقع عند أهل الحق والاجسام العلوية والسفلية متماثلة مركبة من الجواهر الفردة المتماثلة يصح على كل من الاجسام ما يصح على الآخر ضرورة التماثل المذكور فان امكن خرق الاجسام السفلية امكن خرق الاجسام العلوية والله قادر على الممكنات كلها فهو قادر على خرق السموات وقد ورد به السمع فيجب تصديقه وقال البيضاوي تبعا للرازي الاستحالة مدفوعة بما ثبت في الهندسة ان ما بين طرفي قرص الشمس ضعف ما بين طرفي كرة الارض مائة ونيفا وستين مرة ثم ان طرفها الاسفل يصل لموضع طرفها الاعلى في أقل من درجة والاجسام كلها متساوية في قبول الاعراض والله قادر على كل الممكنات فيقدر أن يخلق مثل هذه الحركة السريعة في بدن النبي صلى الله عليه وسلم أو فيما حمله والتعجب من لوازم المعجزات (قال الرازي) الامام فخر الدين (قال أهل التحقيق الذى يدل على انه تعالى أسرى بروح سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وجسده) معا يقظة (من مكة الى المسجد الاقصى القرآن والخبر) أي الحديث (اما القرآن فهو قوله تعالى سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى) الا بعد (وتقرير الدليل ان العبد اسم للجسد والروح فواجب ان يكون الاسراء حاصلا بجميع الجسد والروح) اذ لو كان مناما لقال بروح عبده (ويدل عليه قوله أرأيت الذى ينهى عبدا اذا صلى ولا شك ان المراد هنا مجموع الجسد والروح) لان العبد هنا محمد صلى الله عليه وسلم والناهي له عن الصلاة

ابو جهل

أبو جهل وهو لا ينهاه عن الصلاة بروحه (وأيضا قال سبحانه وتعالى فى سورة الجن وانه) بالفتح عطفا وبالكسر استئنافا والضمير للشأن (لما قام عبد الله) محمد صلى الله عليه وسلم (يدعوه) يعبده يعنى يقظة (والمراد) فى تينك الآيتين (جميع الروح والجسد وكذلك ههنا) فى قوله أسرى بعبده ليلا اذ الآيات تحمل على نظيرها انتهى وأما الخبر فاشار اليه بقوله (واحتجوا أيضا بظاهر قوله عليه الصلاة والسلام أسرى بى لان الاصل فى الافعال ان تحمل على اليقظة حتى يدل دليل على خلافه) عقلى أو شرعى قال عياض وتبعه غيره الحق والصحيح انه اسراء بالجسد والروح فى القصة كلها وتدل عليه الآية نصا وصحيح الاخبار الى السموات استفاضة ولا يعدل عن الظاهر والحقيقة الى التأويل الا عند الاستحالة وليس فى الاسراء بجسده حال يقظته استحالة تؤذن بتأويل اذ لو كان مناما لقال بروح عبده ولم يقل بعبده وقوله ما زاغ البصر وما طغى أى ما عدل عن رؤية ما أمر به من عجائب الملكوت وما جاوزها لصراحة ظاهر فى انه بجسده يقظة لانه أضاف الامر الى البصر وهو لا يكون الا يقظة بجسده بشهادة لقد رأى من آيات ربه الكبرى ولو كان مناما لما كانت فيه آية ولا معجزة خارقة للعادة دالة على صدقه وان كانت رؤيا الانبياء وحيا اذ ليس فيها من الابلغية وخرق العادة ما فيه يقظة على ان ذلك انما يعرفه من صدقه وصدق خبره (وان ذلك لو كان مناما لما كان فيه فتنة للضعفاء) الذين كانوا اسلموا فارتدوا فوقعوا فى فتنة أى بلية عظيمة توقعهم فى العذاب لردتهم وتكذيبهم وانكارهم لخبر الصادق بما هو خارق للعادة (ولا استبعده الاغبياء) جمع غبى بجهة أى الكفار ولا كذبوه فيه لان مثل هذا من المنامات لا ينكر بل لم يكن منهم ذلك الا وقد علموا ان خبره انما كان عن اسرائه بجسده وحال يقظته ولان الدواب لا تحمل الارواح وانما تحمل الاجسام وقد تواترت الاخبار بأنه أسرى به على البراق وهو دابة فوجب كونه بالجسد والروح معا (فان قلت ما الحكمة فى كونه تعالى جعل الاسراء ليلا) مع ان غالب الفرائض كالصوم والجهاد والصبح والظهر والعصر والابتغاء من فضل الله انما هو بالنهار وان وقع جهاد ليلا فنادر لنحو غارة وفيه الصلاة الوسطى والصوم الذى قال الله فيه كل عمل ابن آدم له الا الصوم فانه لى وأنا اجزى به ومن ثم صحح الشرف المناوى انه أفضل من الليل وصحح غيره تفضيل الليل (اجيب بأنه انما جعل ليلا تمكينا للتخصيص بمقام المحبة لانه تعالى اتخذه عليه السلام حبيبا وخليلا) لجمع له بين المقامين وهذا دليل لما أفهمه قوله بمقام المحبة (والليل أخص زمان للمحبين) بفتح الباء المشددة تثنية محب أى أولى زمان يخلو فيه المحب بحبيبه (لجمعهما فيه) فليس المراد باخص هنا مقابل الاعم ثم المحب لغة من وقعت منه المحبة والحبيب والمحبوب من وقعت عليه فغلب المحب على المحبوب فقال المحبين أو اشارة الى أن المتحابين اذا صدقت محبة كل منهما لصاحبه كان محبا ومحبوبا باعتبارين (والخلوة بالحبيب متحققة) بضم الميم وكسر القاف المشددة أى ثابتة (بالليل) من تحقق الامر اذا ثبت ويجوز فتح القاف اسم مفعول أى مثبتة والاول أولى (وقال ابن المنير ولعل تخصيص الاسراء بالليل ليزداد الذين آمنوا ايمانا بالغيب وليفتتن الذين كفروا وزيادة على فتنتهم اذ الليل

أشق ما الامن النهار) فما وقع فيه لا يطلع عليه غالبا فيكان من الغيب وما وقع نهارا يطلع عليه غالبا الشاهد ته فاذا اخبر صلى الله عليه وسلم بما وقع له ليلا صدقه المؤمنون فزادوا به ايمانا وكذبه الكافرون فزادت فتنتهم (قال) ابن المنير (ولعله لو عرج به نهارا لفات المؤمن فضيلة الايمان بالغيب) وقد أثنى الله على الذين يؤمنون بالغيب ففيه فضل عظيم (ولم يحصل ما وقع من الفتنه على من شق وجحد) عطف علة على معلول أى شق بجحوده (انتهى وفى ذلك حكمة أخرى) ثالثة (على طريق أهل الاشارات) وهم المحققون من الصوفية والاشارات الحقائق التى يأخذونها من نص القرآن وغيره ولا يقصدون ان ما أخذوه تفسير صريح النص كما قاله العز ابن عبد السلام وغيره (ذكرها العلامة) محمد (بن مرزوق وهى انه قيل لان الله تعالى لما محا آية الليل) طمس نورها بالظلام لتسكن فيه والاضافة للبيان (وجعل آية النهار مبصرة) أى مبصرا فيها بالضوء وفائدة اضافة البيان تحقيق مضمون الجملة السابقة (انكسر الليل فجبر بان أسرى فيه بمحمد صلى الله عليه وسلم) وذلك أعظم الجبر (وقيل افتخر النهار على الليل بالشمس فقيل له لا تفتخر فان كانت شمس الدنيا تشرق فيك فسيعرج شمس الوجود فى الليل الى السماء) وهذا أيضا من كلام أهل الاشارات (وقيل لانه صلى الله عليه وسلم سراج) كما قال تعالى وسراجا منيرا (والسراج انما يوقد بالليل) أى انما يحصل الانتفاع بايقاده ليلا ويذم بايقاده نهارا كما قال الفرزدق

كم والدلك يا جرير كأنه ٭ قمر المجرة أو سراج نهار

(وأنشد) فى ذلك المعنى يقول

(قلت يا سيدى فلم تؤثر الليـل على بهجة النهار المنير
قال لا أستطيع تغيير رسمى ٭ هكذا الرسم فى طلوع البدور
انما زرت فى الظلام لكيما ٭ يشرق الليل من أشعة نورى)

وحاصل معنى الابيات انه سأل محبوبه عن حكمة زيارته ليلا دون النهار فقال أنا بدر وهو انما يظهر أثره ليلا ولا يستطيع تغيير ذلك الاثر وان فى زيارته ليلا فائدة لا تظهر لو زاره نهارا وهى اشراق الليل بنوره فصار الليل فى حقه كالنهار فى الاضاءة والاشراق (فان قلت أيما أفضل ليلة الاسراء أم ليلة القدر) التى هى خير من ألف شهر (فالجواب كما قاله الشيخ أبو أمامة بن النقاش أن ليلة الاسراء أفضل فى حق النبى صلى الله عليه وسلم من ليلة القدر) لما أكرم به فيها من خوارق العادات التى أجلها رؤيته لله تعالى على الصحيح (وليلة القدر أفضل فى حق الامة لانها) أى العمل فيها (خير لهم من عمل فى ثمانين سنة لمن قبلهم) بالفاء الكسر وهو ثلاث سنين وثلث سنة بناء على ان المراد حقيقة العدد وهو ألف شهر وصدر البيضاوى بأن المراد التكثير (وأما ليلة الاسراء فلم يأت فى أرجحية العمل فيها حديث صحيح) أراد به ما يشمل الحسن بدليل قوله (ولا ضعيف ولذلك لم يعينها النبى صلى الله عليه وسلم لاصحابه ولا عينها أحد من الصحابة باسناد صحيح ولا صح الى الآن ولا) يصح (الى أن تقوم الساعة فيها شئ) لانه اذا لم يصح من أول الزمان لزم أن لا يصح فى بقيته لعدم امكان تجدد واحد عادة يطلع على شئ

بعد الزمن الطويل وهذا لا يشكل عليه ما قيل انه كان ليلة سبع عشرة أو سبع وعشرين خلت من شهر ربيع الاول أو سبع وعشرين من رمضان أو من ربيع الآخر أو من رجب واختير وعليه العمل لان ابن النقاش لم ينف الخلاف فيها من أصله وانما نفى تعيين ليلة بخصوصها للاسراء وأنها أصح (ومن قال فيها شيئا فانما قال من كيسه) أي من عند نفسه دون استناد لنص يعتمد عليه (لم يرجح ظهر له استانس به) لما جزم به (ولهذا) أي عدم اثبات شئ فيها (تصادمت الاقوال فيها وتباينت ولم يثبت الامر فيها على شئ ولو تعلق بها نفع للامة ولو ذرة) أي شيئا قليلا جدا (لبينه لهم نبيهم صلى الله عليه وسلم) لانه حريص على نفعهم (انتهى) كلام أبي امامة زاد الشامي عقبه ويؤخذ من قول الامام البلقيني في قصيدته التي مدح فيها المصطفى

أولالة رؤيته في ليلة فضلت ٭ ليالي القدر فيها الرب رضا كا

ان ليلة الاسراء أفضل من ليلة القدر قال في الاصطفاء ولعل الحكمة في ذلك اشتمالها على رؤيته تعالى التي هي أفضل كل شئ ولهذا لم يجعلها ثوابا عن عمل من الاعمال مطلقا بل من بها على عباده يوم القيامة تفضلا منه تعالى انتهى لكن هذا لا يصادم كلام ابن النقاش اذ ليس في النظم انها افضل في حق الامة وان كان فضل الزمان والمكان لا يختص بالعمل فيهما على ما رجحه الشهاب القرافي وغيره فهو خاص بتلك الليلة لا يتعداها لمماثلها كل سنة لعدم ورود شئ فيه وفي الهدى لابن القيم ان ابن تيمية سئل هل ليلة الاسراء أفضل أم ليلة القدر فأجاب بأن القائل ليلة الاسراء أفضل ان أراد أنها ونظائرها كل عام أفضل فهذا باطل لم يقله أحد من المسلمين وهو معلوم الفساد بالاضطرار وان أراد أنها بخصوصها أفضل لانه حصل له صلى الله عليه وسلم فيها ما لم يحصل له في غيرها وما لم يحصل لغيره فهو صحيح ان سلم ان انعام الله على نبيه ليلة الاسراء أعظم من انعامه عليه بانزال القرآن ليلة القدر وهذا لا يعلم الا بوحي ولا يجوز التكلم فيه بلا علم ولا يعرف عن أحد من الصحابة انه خص ليلة الاسراء بأمر من الامور (فان قلت هل وقع الاسراء لغيره صلى الله عليه وسلم من الانبياء) أم هو من خصائصه عليهم (أجاب العارف عبد العزيز المهدوي بأن مرتبة الاسراء بالجسم الى تلك الحضرات) بفتح الضاد جمع حضرة أي المراتب (العلية لم تكن لاحد من الانبياء الا لنبينا صلى الله عليه وسلم انتهى) وعبارة الانموذج في الخصائص التي اختص بها على الانبياء ولم يؤتها نبي قبله لفظها وبالاسراء وما تضمنه من اختراق السموات السبع والعلو الى قاب قوسين ووطئه مكانا ما وطئه نبي مرسل ولا ملك مقرب واحياء الانبياء له وصلاته اماما بهم وبالملائكة واطلاعه على الجنة والنار عده البيهقي ورؤيته آيات ربه الكبرى وحفظه حتى ما زاغ البصر وما طغى ورؤيته للباري تعالى مرتين وبركوب البراق في أحد القولين (وانما قال تعالى أسرى) مأخوذ من السرى وهو سير الليل تقول أسرى وسرى اذا سار ليلا هذا قول الاكثر وقال الحوفي أسرى سار ليلا وسرى سار نهارا وقيل أسرى سار من أول الليل وسرى سار من آخره وهذا أقرب (بعبده) محمد صلى الله عليه وسلم اتفاقا والضمير لله تعالى والاضافة للتشريف والمراد جعل البراق يسري به

كما يقال أمضيت كذا أى جعلته يمضى وحذف المفعول لدلالة السياق عليه ولان المراد ذكر المسرى به لاذكر الدابة قاله فى الفتح (اشارة الى انه تعالى هو المسافر به ليعلم ان الأسراء من عبده هبة الهية وعناية ربانية سبقت له عليه السلام مما لم يخطر بسره ولااختلج فى ضميره) ولعل وجه الاعلام بذلك انه اذا كان تعالى هو المسافر به أفاد أنه لم يكن منه فعل فى الاسراء بل هو من ونعمة منه عليه (وأدخل باء المصاحبة) على قول المبرد والسهيلى لان الفعل اللازم اذا تعدى بالباء غيرت الباء معناه بخلاف بقية الحروف اذا تعدى بها الفعل فلا يغير شئ منها معناه فلذا جعلت للمصاحبة (فى قوله بعبده ليفيد أنه تعالى صحبه فى مسراه بالالطاف والعناية والاسعاف والرعاية) بيان لمعنى صحبة الله لعبده لاستحالة المصاحبة الحقيقية عليه هكذا بجزم المبرد والسهيلى ان الباء تقتضى مصاحبة الفاعل للمفعول فى الفعل بخلاف الهمزة حتى قال السهيلى اذا قلت قعدت به فلا بد من مشاركة ولو باليد وبه يجزم ابن دحية وابن المنير زاد ابن دحية (ويشهد له) أى لوصفه تعالى بالصحبة (قوله عليه الصلاة والسلام اللهم أنت الصاحب فى السفر) والجمهور ان الباء للتعدية وترادف الهمزة ولا تقتضى المصاحبة ورد على المبرد وأتباعه بقوله تعالى ذهب الله بنورهم لان الله تعالى لا يوصف بالذهاب مع النور وبقول الشاعر

ديار التى كانت ونحن على منى * تحل بنا لولا نجاء الركائب

أى تحلنا فالباء هنا للتعدية ولم تقتض المشاركة لان الديار لم تكن حراما فتصير حلالا ولكون الباء بمعنى الهمزة لا يجمع بينهما فلا يقال أذهبت بزيد (وتأمل قوله تعالى هو الذى يسيركم فى البر والبحر وقوله أسرى بعبده تلك الخصوصية مصاحبة الرسول عليه الصلاة والسلام الحق سبحانه وتعالى دون عموم الخلق) لانه أتى بباء المصاحبة فى بعبده ونفى فى العموم اشارة الى الفرق بين لطفه بعبده وبين غيره من الخلق (وقرن سبحانه وتعالى التسبيح بهذا الاسراء) فقال سبحان الذى أسرى واصلها التنزيه ويطلق فى موضع التعجب فعلى الاول المعنى تنزه الله عن أن يكون رسوله كذابا وعلى الثانى عجب الله عباده بما أنعم به على رسوله ويحتمل انه بمعنى الامر أى سبحوا الذى أسرى قاله فى الفتح (لينفى عن قلب صاحب الوهم ومن يحكم عليه خباله من أهل التشبيه والتجسيم ما يتخيله فى حق الحق سبحانه من الجهة والحد والمكان) حملا لقوله أسرى بعبده من المسجد على ظاهره فيكون معناه صاحبه فى سيره من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى وذلك محال فى حقه وفى البيضاوى تصديره بالتسبيح للتنزيه عن العجز عما ذكر بعد (ولذا قال لنريه من آياتنا يعنى ما رأى فى تلك الليلة من عجائب الآيات كأنه سبحانه وتعالى يقول ما أسريت به الا لرؤيته الآيات لا الى فانى لا يحدنى مكان) لانه الخالق له وموجده فكيف يحده (ونسبة الامكنة الى نسبة واحدة فكيف أسرى به) بضم الهمزة مضارع من أسرى أى كيف أنقله من المكان الذى هو به لاحضره الى (وأنا عنده وأنا معه أينما كان) أى فى أى مكان حل به (ولله در القائل)

لا لمعنى ماذكر) (سبحان من أسرى اليه بعبده * ليرى الذى أخفاه من آياته)
أى ستره عن عامة خلقه ويرى مبنى للفاعل بفتح أوله أو بضمه وحذف المفعول أى ليريه
ومثل ذلك على طريق أهل الاشارات بقوله (بحضوره فى غيبة) يعنون بها غيبة القلب
عن علم ما يجرى من أحكام الخلق لشغل الحس بما ورد عليه من الحق حتى انه قد يغيب
عن احساسه بنفسه فضلا عن غيره والغيبة بازاء الحضور والغيب بازاء الشهادة فيقال
الغيب عن عالم الشهادة حضور فى عالم الغيب والحضور فى عالم القدس غيبة عن عالم الحس
(وسكره) وهو غيبة بوارد قوى (فى صحوه) وهو الرجوع الى الاحساس بعد الغيبة
بوارد قوى وذلك ان العبد اذا كوشف بنعت الجمال سكر وطرب وهام قلبه فاذا عاد من
سكره سمى صاحيا (والمحو) رفع أوصاف العادة (فى اثباته) وهو اقامة أحكام العادة
مقابل للمحو (ويرى الذى عنه تكون سره) السر يعنى به عن حصة كل موجود من الحق
بالتوجه الايجادى المنبه عليه بقوله تعالى انما أمرنا لشئ اذا أردناه أن نقول له كن فيكون
(فى منعه ان شاء) أى المنع (وهباته) جمع هبة ذكره كله فى لطائف الاعلام (ويريه) من
الاراءة (ما أبدى) أظهر (له من جوده) تعالى عليه صلى الله عليه وسلم (بوجوده والفقد
من هيئاته * سبحانه من سيد) من أسمائه تعالى كما فى حديث (ومهيمن) كما فى التنزيل
المهيمن أى الشاهد الحافظ أو المؤمن أو الامين او الرقيب أو القائم على خلقه (فى ذاته
وسماته) بتثليث السين لغة فى الاسماء وهو ما دل على الذات باعتبار صفة (وصفاته) جمع
صفة وهى المعنى القائم بالذات (وأكد الله تعالى بقوله ليلا مع ان الاسراء لا يكون فى اللسان
العربى الا ليلا لا نهارا) وكذا سرى عند الاكثر كما مر قال الحافظ ولم تختلف القراء فى أسرى
بخلاف قوله تعالى فى قصة لوط فأسر فقرئت بالوصل والقطع ففيه تعقب على من قال سرى
وأسرى بمعنى واحد قال السهيلى السرى من سريت اذا سرت ليلا يعنى فهو لازم والاسراء
يتعدى فى المعنى لكن حذف مفعوله حتى ظن من ظن انهما بمعنى واحد وانما معنى اسرى
بعبده جعل البراق يسرى به كما تقول أمضيت كذا أى جعلته يمضى لكن حذف المفعول
لقوة الدلالة عليه والاستغناء عن ذكره اذ المقصود بالذكر المصطفى لا الدابة التى سارت به
وأما قصة لوط فالمعنى سر بهم على ما يتحملون عليه من دابة ونحوها هذا معنى قراءة القطع
ومعنى الوصل سر بهم ليلا ولم يأت مثل ذلك فى الاسراء لانه لا يجوز أن يقال سرى بعبده
بوجه من الوجوه قال الحافظ والنفى الذى جزم به انما هو من هذه الحيثية التى قصد فيها
الاشارة الى انه سار ليلا على البراق والا فلو قال قائل سرت بزيد بمعنى صاحبته لكان المعنى
صحيحا (ليدفع الاشكال) حتى لا يتخيل أنه أسرى بروحه فقط دون جسده (ويزيل من
خاطر من يعتقد من الناس ان الاسراء ربما يكون نهارا فان القرآن وان كان نزوله بلغة العرب
فانه خاطب به الناس أجمعين أصحاب اللسان العربى وغيرهم) وهذا على قول الاكثر
من اختصاصه بالليل والا فعلى الفتح ليلا ظرف للاسراء للتأكيد وفائدته دفع توهم المجاز
لانه قد يطلق على سير النهار أيضا (وقال البيضاوى تبعا لصاحب الكشاف) الزمخشرى
(وفائدته الدلالة بتنكيره على تقليل مدة الاسراء) أى انه وقع فى بعض الليل لا فى جميعه

والعرب تقول سرى فلان ليلا اذا سار بعضه وسرى ليلة اذا سار جميعها كما في الفتح (ولذلك قرئ) في الشواذ (من الليل أى بعضه كقوله تعالى ومن الليل فتهجد به نافلة لك) وقيل يقال أسرى ليلا اذا سار أثناء الليل واذا سار في أوله يقال ادلج ومنه قوله تعالى في قصة موسى فأسر بعبادى ليلا أى من وسط الليل (وتعقبه القطب في حاشيته على الكشاف كما نبهت عليه في حاشية الشفا) أى نقل القطب التعقب عن غيره وأقره فلذا نسبه اليه وعبارته قال بعضهم وفيه نظر لان التنكير للتقليل لا يكون الا فيما يقبل القلة والكثرة والليل لا يقبلهما ولا يسلم له أيضا على تقدير أنه بالاعتبار لان هذا المعنى وهو البعض حاصل ولو لم ينكر فان قولك دخل زيد البلد الليل أو ليلا يفيد هذا المعنى اذ ليس الدخول في كل الليل انتهى قال النعماني وفيه نظر اذ لا نسلم ان هذا وزانه وانما وزانه طاف الامير البلد ليلا فان طوافه قد يكون مستغرقا لكل الليلة ولما استشعر صاحب الكشاف هذا استشهد بقراءة عبد الله وحذيفة من الليل ولا يسلم له أيضا كونها تبعيضية بل يجوز أنها ابتدائية فالسؤال باق انتهى (والمعاريج ليلة الاسراء عشرة سبع الى السموات) السبع (والثامن لى سدرة المنتهى والتاسع الى المستوى الذى سمع فيه صريف الاقلام) تصويتها (في تصاريف الاقدار والعاشر الى العرش والرفرف والرؤية) لله عز وجل (وسماع الخطاب) منه (بالمكافحة) المخاطبة (والكشف الحقيق وقد وقع له عليه الصلاة والسلام في سنى الهجرة) بكسر السين جمع سلامة لسنة وبسكون الياء فحذفت النون للاضافة فالتقى ساكنان الياء واللام فحذفت الياء لفظا لالتقاء الساكنين فرق هكذا سنى خطا فتكتب الياء ولا تقرأ (العشرة ما كان فيه مناسبات لطيفة بهذه المعاريج العشرة) ويأتى ذكرها للمصنف (وبهذا ختمت سنى الهجرة) كذا في جميع النسخ بالياء والصواب سنو بالواو لانه جمع مذكر سالم نائب فاعل ختمت (بالوفاة وهى لقاء الحق جل جلاله والانتقال من دار الفناء الى دار البقاء والعروج بالروح الكريمة الى المقعد الصدق) مجلس حق لا لغو فيه ولا تأثيم وأريد به الجنس وقرئ مقاعد صدق والمعنى ان مجالس الجنات سالمة من اللغو والتأثيم بخلاف مجالس الدنيا فقل أن تسلم من ذلك (والى الموعد الحق والى الوسيلة وهى المنزلة الرفيعة كما ختمت معاريج الاسراء باللقاء والحضور بحظيرة القدس وقد أفاد الامام الذهبى) محمد الحافظ العلم الشهير نسبة الى الذهب (ان الحافظ عبد الغنى) المقدسى (جمع أحاديث الاسراء في جزأين ولم يتيسر لى الوقوف عليهما بعد الفحص) الطلب (الشديد وقد صنف الشيخ أبو اسحاق) ابراهيم (النعمانى) تلميذ الحافظ ابن حجر رحمه الله (في الاسراء والمعراج كتابا جامعا للاطناب بزيادة الرقائق والاشحان بفواضل الحقائق) أى بزيادة بيانها (ولم أقف عليه حال كتابتى هذا المقصد الشريف) وقد وقفت عليه (والله تعالى يرحم شيخ الاسلام والحفاظ الشهاب ابن حجر العسقلانى فانه جمع في كتابه الفتح كثيرا مما تشتت من طرق حديث الاسراء وغيره من الاحاديث مع تدقيق مباحث فقهية والكشف عن أسرار معانى كلمه وبدائع الفاظه وحكمه) وأكثر ما ذكره المصنف هنا منه (وكل من صنف في شئ (من المنح) العطايا (النبوية والمناقب المحمدية لا يستغنى عن استجناء معارف اللطائف من

رياض عياض) أي فوائده المذكورة في الشفا سماها رياضا لكثرة نفعها كنفع الاشجار المثمرة للعامة (والاستشفاء من أدواء المشكلات بدواء شفائه المبرئ لمعضل) بكسر الضاد أي شديد (الامراض والله تعالى يفيض عليه وعلى سائر علماء الامة سجال رحمته ورضوانه ويسكننا معهم في بحبوحة) بضم الباءين (جنانه) أي وسطها (وقد وردت أحاديث الاسراء من حديث أنس) بن مالك في روايته عن النبي صلى الله عليه وسلم بلا واسطة ورواه أحمد ومسلم عن ثابت والشيخان عن شريك وابن مردويه عن كثير بن خنيس والنسائي وابن مردويه عن يزيد بن أبي مالك وابن أبي حاتم وابن جرير وابن مردويه والبيهقي عن عبد الرحمن بن هاشم وعبد العزيز بن صهيب والطبراني عن ميمون بن سيار وابن جرير عن كثير ابن سليم وابن مردويه عن أبي هاشم وعلي بن زيد وثمامة وابن سعد وسعيد بن منصور والبزار عن أبي عمران الجوني الاحد عشر عن أنس عن المصطفى بلا واسطة (وأبي بن كعب) رواه عنه ابن مردويه من طريق عبيد بن عمير ومن طريق مجاهد عن ابن عباس وعبد الله بن أحمد في زوائد المسند بلفظ حديث أنس عن أبي ذر سرفا قال الحافظ في أطراف المسند انه وقع فيه تحريف وكان في الاصل عن أبي ذر فسقط من النسخة لفظة ذر فظن انه ابن كعب فأدرج في مسند أبي بن كعب غلطا قال الشامي نبه الدارقطني في العلل على ان الوهم فيه من أبي حمزة أنس بن عياض (وجابر بن عبد الله) عند الشيخين ورواه الطبراني وابن مردويه بلفظ آخر بسند صحيح (وبريدة) بضم الموحدة وفتح الراء وسكون التحتية ابن الحصيب بمهملتين مصغر رواه الترمذي والحاكم وصححه (وسمرة ابن جندب) عند ابن مردويه (وابن عباس) عبد الله رواه أحمد والشيخان وأبو يعلى وأبو نعيم وابن مردويه والنسائي والبزار بطرق كلها مختصرة (وابن عمر) رواه أبو داود والبيهقي (وابن مسعود) رواه مسلم وابن عرفة وأحمد وابن ماجه والبزار وأبو يعلى والطبراني والبيهقي بطرق عندهم عنه (وابن عمرو) بفتح العين ابن العاصي عند ابن سعد وابن عساكر (وحذيفة بن اليمان) عند ابن أبي شيبة وأحمد والترمذي وصححه (وشداد بن أوس) عند البزار والطبراني والبيهقي وصححه (وصهيب) بن سنان عند الطبراني وابن مردويه (وعلي بن ابي طالب) عند أحمد وابن مردويه (وعمر بن الخطاب) رواه أحمد وابن مردويه (ومالك بن صعصعة) رواه أحمد والشيخان وابن جرير والبيهقي وغيرهم (وأبي امامة) عند ابن مردويه في تفسيره (وأبي أيوب) الانصاري رواه الشيخان في أثناء حديث أبي ذر (وأبي حبة) بموحدة على الصحيح الانصاري الاوسي البدري رواه ابن مردويه قال في الاصابة وقع ذكره في الصحيح من رواية الزهري عن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن أبي حبة البدري عقب حديث الزهري عن أنس عن أبي ذر في الاسراء وروى عنه أيضا عمار بن عمار وحديثه عنه في مسند ابن أبي شيبة وأحمد وصححه الحاكم وصرح بسماعه منه وعلى هذا فهو غير الذي ذكر ابن اسحاق انه استشهد بأحد قال أبو حاتم اسمه عامر بن عبد عمرو بن عمير بن ثابت وقال أبو عمر يقال بالموحدة وبالنون وبالياء والصواب بالموحدة وقيل اسمه عامر وقيل مالك وبالنون ذكره

ابن عتبة وابن أبي خيثمة وأنكر الواقدي أن يكون في البدريين من يكنى أبا حبة بالموحدة وقد خالفه غير واحد بأبي حبة بن غزية بن عمرو الخزرجي النجاري وفرق بينهما غير واحد ومنهم ابن عبد البر فقال هذا خزرجي وذا اوسي وهذا لم يشهد بدرا وذا شهدها (وأبي ذر) رواه الشيخان (وأبي سعيد الخدري) رواه ابن جرير وابن أبي حاتم والبيهقي من طريق هارون العبدي وهو متكلم فيه وقد روى البيهقي عن أبي الازهر قال حدثنا زيد بن أبي حكيم قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم فقلت يا رسول الله رجل من أمتك يقال له سفيان لا بأس به فقال صلى الله عليه وسلم لا بأس به حدثنا عن أبي هارون عن أبي سعيد عنك انك ليلة اسرى بك قلت رأيت في السماء فحدثته بالحديث فقال نعم فقلت ان اناسا من امتك يحدثون عنك في الاسراء بعجائب فقال ذاك حديث القصاص (وأبي سفيان بن حرب) عند أبي نعيم في الدلائل (وأبي هريرة) رواه مطولا ابن جرير وابن أبي حاتم والبيهقي والحاكم وصححه ومختصرا الشيخان وأحمد وابن ماجه وابن مردويه وابن سعد والطبراني وسعيد بن منصور وبطرق عنه (وعائشة) عند الحاكم وصححه والبيهقي وابن مردويه (وأسماء بنت أبي بكر) رواه ابن مردويه (وأم هانئ) عند الطبراني (وأم سلمة) عند الطبراني وأبي يعلى وابن عساكر وابن اسحاق (وغيرهم) فأخرجه ابن عساكر عن سهل ابن سعد والبزار والبغوي وابن قانع عن عبد الله بن أسعد بن زرارة والطبراني عن أبي الحمراء وابن مردويه والطبراني عن أبي ليلى الانصاري وسعيد بن منصور عن عبد الرحمن بن قرط وذكره ابن دحية عن أبي بكر الصديق وعبد الرحمن بن عابس وأبي سلمة وعياض (بياض بالاصل) وذكره أبو حفص النسفي عن العباس بن عبد المطلب وعثمان بن عفان وأبي الدرداء وأبي سلمى راعي النبي صلى الله عليه وسلم وأم كلثوم بنت المصطلق وبلال بن حمامة وبلال بن سعد وابن الزبير وابن أبي أوفى واسامة بن زيد قال الشامي ولم أقف على حديثه فهؤلاء خمسة وأربعون صحابة رووا القصة (رضي الله تعالى عنهم أجمعين وفي تفسير الحافظ ابن كثير من ذلك ما يكفي ويشفي وبالجملة حديث الاسراء أجمع عليه المسلمون وأعرض عنه الزنادقة الملحدون) لاستحالته في زعمهم الكاذب (يريدون ليطفئوا) منصوب بأن مقدرة واللام مزيدة (نور الله) شرعه وبراهينه (بأفواههم) بأقوالهم فيه (والله متم) مظهر (نوره ولو كره الكافرون) ذلك وقد ساق البرهان النعماني غالب ألفاظ الصحابة الذين رووا القصة والمصنف اقتصر على حديث البخاري في باب المعراج وتكلم بعده بما غالبه من فتح الباري فقال (وقد روى البخاري) بسنده وهو حدثنا هدبة بن خالد حدثنا همام (عن قتادة) بن دعامة وليس هذا من التعليق في شيء (عن أنس ابن مالك) وكذا رواه مسلم والنسائي وأخرجه البخاري في بدء الخلق من وجه آخر عن قتادة حدثنا أنس فزال ما يخشى من تدليس قتادة بتصريحه بالتحديث (عن مالك ابن صعصعة) بن وهب بن عدي بن مالك الانصاري من بني النجار ماله في البخاري ولا في غيره سوى هذا الحديث ولا يعرف من روى عنه الا أنس بن مالك قاله في الفتح وذكر في الاصابة الخلاف في انه من بني عدي بن النجار وبه جزم ابن سعد أو من بني مازن بن

النجار

النجار وبه يجزم البغوى وقال سكن المدينة وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم حديثين وذكر الخطيب فى المبهمات انه الذى قال له النبى صلى الله عليه وسلم أكل تمر خيبر هكذا (ان نبى الله صلى الله عليه وسلم حدثه عن ليلة أسرى به) فيها صفة الليلة هكذا رواه الكشميهنى والنسفى ورواه الاكثر عن ليلة الاسراء وبين ما حدثه به بقوله (بينما) أى فقال المصطفى بينما وثبت فى بعض نسخ البخارى قال بينما بالميم (أنا نائم فى الحطيم وربما قال فى الحجر) بكسر فسكون والشك من قتادة كما يأتى والمراد بالحطيم الحجر (مضطجعا) نصب على الحال (اذ أتانى آت) هو جبريل (فقد) بالقاف والدال الثقيلة (قال) قتادة (وسمعته) أى انسا يقول فالقائل قتادة والمقول عنه أنس ولاحمد قال قتادة وربما سمعت انسا يقول قاله الحافظ فلم يصب من قال الظاهر أن ضمير قال لمالك بن صعصعة (فشق ما بين هذه الى هذه قال) قتادة (فقلت للجارود) بفتح الجيم فألف فراء مضمومة فواو فدال مهملة قال الحافظ لم أر من نسبه من الرواة ولعله ابن أبى سبرة البصرى صاحب أنس فقد أخرج له أبو داود من روايته عن أنس حديثا غير هذا انتهى وبجزم المصنف بما ترجاه (وهو الى جنبى ما يعنى) أنس (به) أى بقوله فشق ما بين هذه الى هذه (قال) يعنى (من ثغرة نحره) بضم المثلثة وسكون المعجمة الموضع المنخفض بين الترقوتين (الى شعرته) بكسر المعجمة أى شعر العانة ووقع السؤال هل كان شق صدره الشريف بآلة أم لا ولم يجب عنه أحد ولم أر من تعرض له بعد التتبع وظاهر قوله فشق انه كان بآلة ويدل له قول الملك فى حديث أبى ذر خط بطنه فخاطه وفى لفظ عتبة بن عبد حصه فخاصه وفى حديث أنس كانوا يرون أثر المخيط فى صدره صلى الله عليه وسلم ذكره الشامى وزعم بعض ان الشق فى المرات كلها لم يكن بآلة ولم يسل منه دم ولم يجد لذلك ألما كما صرح به فى بعض الروايات لانه من خرق العادات وظهور المعجزات (فاستخرج قلبى ثم أتيت) بضم الهمزة (بطست) بفتح الطاء وبكسرها وسكون السين المهملة وبمثناة وقد تحذف وهو الاكثر واثباتها لغة طىء وأخطأ من أنكرها قاله الحافظ (من ذهب) قبل تحريم استعماله (مملوءة) بالجر على الصفة والتأنيث على لفظ الطست لانها مؤنثة (ايمانا) نصب على التمييز ملئها حقيقة وتجسد المعانى جائز كتمثيل الموت كبشا ووزن الاعمال وغير ذلك من أحوال الغيب أو مجازا من باب التمثيل اذ تمثيل المعانى قد وقع كثيرا كما مثلت له الجنة والنار فى عرض الحائط وفائدته كشف المعنوى بالحسى ثم هذا لفظ البخارى فى المعراج وله فى بدء الخلق بطست ملئ حكمة وايمانا بالتذكير باعتبار الاناء وللمستملى والحموى ملآن بفتح الميم وسكون اللام وهمزة ونون وللكشميهنى ملأى بفتح الميم وسكون اللام وفتح الهمزة مؤنث على لفظ الطست فزاد فى هذه الرواية حكمة قال ابن أبى جمرة فيه ان الحكمة ليس بعد الايمان أجل منها واذا قرنت معه ويؤيده قوله تعالى ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا وأوضح ما قيل فيها انها وضع الشئ فى محله أو الفهم فى كتاب الله وعلى الثانى قد توجد الحكمة دون الايمان وقد لا توجد وعلى الاول قد يتلازمان لان الايمان يدل على الحكمة (فغسل) بضم الغين أى غسل جبريل قلبى وفى مسلم والبخارى فى الصلاة بماء زمزم لانه أفضل المياه

ويقوى القلب (ثم حشى) بضم المهملة وكسر المعجمة ايمانا وحكمة (ثم أعيد) موضعه من الصدر المقدس وللبخارى فى الصلاة ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وايمانا فأفرغه فى صدرى ثم أطبقه (ثم أتيت) بضم الهمزة (بدابة دون البغل وفوق الحمار أبيض) ذكر باعتبار كونه مركوبا أو نظرا للفظ البراق وحكمة كونه بهذه الصفة الاشارة الى أن الركوب كان فى سلم وأمن لا فى حرب وخوف أو لاظهار المعجزة بوقوع الاسراع الشديد بدابة لا توصف بذلك عادة (فقال له الجارود هو البراق) استفهام حذفت أداته (يا أبا حمزة) بمهملة وزاى كنية أنس (قال) أنس (نعم) هو البراق بضم الموحدة وتخفيف الراء ضبطه الحافظ وغيره وكثيرا ما يخطئ القصاص فيقرؤنه بكسر الباء (يضع خطوه) بفتح المعجمة المرة الواحدة وبضمها الفعلة (عند أقصى طرفه) بسكون الراء وبالفاء أى نظره أى يضع رجله عند منتهى ما يرى بصره قاله الحافظ والتعبير بالطرف مجاز لانه مصدر وهو لا يتصف بالوضع (فحملت عليه) بضم الحاء مبنيا للمفعول (فانطلق بى جبريل حتى أتى السماء الدنيا) ظاهره انه استمر على البراق حتى عرج الى السماء وليس بمراد بل هذا اختصار من الراوى ويأتى بسطه للمصنف وقال النعمانى ما المانع من انه صلى الله عليه وسلم رقى المعراج فوق ظهر البراق بظاهر هذا الحديث انتهى والمانع من ذلك ربطه ببيت المقدس كما يأتى بيانه (فاستفتح) أى طلب فتح باب السماء بقرع أو صوت والاشبه الاول لان صوته معروف قاله الحافظ وصرح به فى رواية مسلم عن ثابت عن أنس بلفظ فقرع الباب وفى حديث أبى ذر قال جبريل لخازن السماء افتح فيجمع بينهما بأنه فعل القرع والصوت معا والتعليل بمعرفة صوته لا ينهض مع كون السماء شفافة وفى حديث أبى سعيد عند البيهقى فى ذكر الانبياء الى باب من أبواب السماء الدنيا يقال له باب الحفظة وعليه ملك يقال له اسماعيل تحت يده اثنا عشر ألف ملك وفى حديث جعفر بن محمد عند البيهقى أيضا يسكن الهواء لم يصعد الى السماء قط ولم يهبط الى الارض قط الا يوم مات النبى صلى الله عليه وسلم وفى حديث أبى سعيد عند البيهقى فى الدلائل وبين يديه سبعون ألف ملك مع كل ملك جنده مائة ألف (قيل من هذا) الذى يقرع الباب (قال جبريل قال ومن معك قال محمد) وهذا يشعر بأنهم أحسوا معه برفيق اما بمشاهدة لان السماء شفافة واما بأمر معنوى كزيادة أنوار ونحوها تشعر بتجدد أمر يحسن معه السؤال بهذه الصيغة والا كان السؤال بلفظ أمعك أحد (قيل وقد أرسل اليه) للعروج الى السماء على الاظهر لقوله اليه لان أصل بعثه قد اشتهر فى الملكوت الاعلى كما يأتى فى المتن (قال نعم قيل مرحبا به) أى لقى رحبا بضم الراء وفتحها وسكون الحاء وبفتحها وسعة وكنى بذلك عن الانشراح (فنعم) لفظ البخارى فى المعراج وله فى بدء الخلق ولنعم (المجىء جاء) قال ابن مالك فيه شاهد على الاستغناء بالصلة عن الموصول أو الصفة عن الموصوف فى باب نعم لانها تحتاج الى فاعل هو المجىء والى مخصوص بمعناها وهو مبتدأ مخبر عنه بنعم وفاعلها فهو فى هذا وشبهه موصول أو موصوف بجاء والتقدير نعم المجىء الذى جاء أو نعم المجىء مجىء جاء وكونه موصولا

أجود لانه مخبر عنه والمخبر عنه اذا كان معرفة أولى من كونه نكرة انتهى فلا حذف فيه ولا تقديم خلافا لقول المظهرى المخصوص بالمدح محذوف وفيه تقديم وتأخير تقديره جاء فنعم المجيء مجيئه (ففتح) الباب (فلما خلصت) بفتح اللام أى وصلت (فاذا فيها آدم) وفى حديث أنس عن أبي ذر عند البخارى فى الصلاة فاذا رجل قاعد عن يمينه أسودة وعن يساره أسودة اذا نظر قبل يمينه ضحك واذا نظر قبل شماله بكى فقلت لجبريل من هذا (قال هذا أبوك) ووقع ذكر النسم هنا فى بعض النسخ والصواب اسقاطه اذ ليس فى حديث أنس عن مالك بن صعصعة الذى هو فى سياق لفظه وانما هو فى حديث أنس عن أبي ذر كما فى البخارى (فسلم عليه) لان المار يسلم على القاعد وان كان المار أفضل (فسلمت عليه فرد على السلام ثم قال مرحبا بالابن الصالح) فيه اشارة الى افتخاره بابوة النبى صلى الله عليه وسلم والصالح القائم بما يلزمه من حقوق الله وحقوق العباد فلذا كانت كلمة جامعة لمعانى الخير وتوارد الانبياء على وصفه بها وكررها كل منهم عند كل صفة (ثم صعد بى الى السماء الثانية فاستفتح) جبريل بابها (قيل من هذا قال جبريل قال ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجيء) مجيء جاء أو الذى (جاء ففتح) الخازن الباب (فلما خلصت اذا يحيى) بن زكريا (وعيسى) بن مريم زاد فى حديث أبي سعيد عند ابن جرير وابن أبي حاتم والبيهقى شبيه أحدهما بصاحبه ثيابهما وشعرهما ومعهما نفر من قومهما واذا عيسى جعد مربوع الخلق الى الحمرة والبياض سبط الرأس كأنما خرج من ديماس أى حمام شبهه بعروة بن مسعود الثقفى (وهما ابنا الخالة) لان أم يحيى ايشاع بنت فاقود أخت حنة بمهملة ونون شديدة بنت فاقود أم مريم وذلك ان عمران بن ماثان تزوج حنة وتزوج زكريا ايشاع فولدت ايشاع يحيى وولدت حنة مريم فتكون ايشاع خالة مريم وحنة خالة يحيى فهما ابنا خالة بهذا الاعتبار وليس عمران هذا أبا موسى اذ بينهما فيما قيل ألف وثمانمائة سنة قال ابن السكيت يقال ابنا خالة ولا يقال ابنا عمة ولا يقال ابنا عم ولا ابنا خال قال الحافظ والسبب فيه ان ابنى الخالة أم كل منهما خالة الآخر لزوما بخلاف ابنى العمة (قال هذا يحيى وعيسى فسلم عليهما فسلمت عليهما فردا) على السلام (ثم قالا مرحبا بالاخ الصالح والنبى الصالح ثم صعد بى الى السماء الثالثة فاستفتح) جبريل الباب (قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء ففتح فلما خلصت اذا يوسف قال) لى جبريل (هذا يوسف فسلم عليه) ولعل حكمة أمره بالسلام على كل من ورد عليه ولم يكتف بالامر الاول مع حصول العلم بطلب السلام على كل من مر عليه منهم الاشارة الى استحقاق كل منهم للتعظيم وان من مر على جماعة مترتبين يطلب منه السلام على كل منهم بخصوصه (فسلمت عليه فرد ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبى الصالح) زاد فى مسلم فى رواية ثابت عن أنس فاذا هو قد أعطى شطر الحسن اى الذى أوتيه نبينا صلى الله عليه وسلم كما قال ابن المنير أو المراد غير المصطفى بالمرة ويأتى بسطه للمصنف (ثم صعد بى حتى أتى السماء الرابعة فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك

تال محمد قيل وقد أرسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجيء) الذى (جاء فلما خلصت فاذا ادريس) زاد فى حديث أبى سعيد عند ابن جرير وابن أبى حاتم والبيهقي قد رفعه الله مكانا عليا واستشكل بأنه رأى هارون وموسى وابراهيم فى مكان أرفع منه وأجيب بأن وجهه ما ذكر كعب الاحبار أن ادريس خص من بين جميع الانبياء برفعه حيا رفعه الملك الموكل بالشمس وكان صديقا له وكان ادريس يسأله ان يريه الجنة فأذن له الله فى ذلك فلما كان فى السماء الرابعة رآه ملك الموت فعجب وقال امرت ان أقبض روح ادريس فى السماء الرابعة فقبضه هناك فرفعه حيا الى ذلك المقام خاص به دون الانبياء قاله السهيلي وتعقبه الحافظ فى كتاب الانبياء فقال فيه نظر لان عيسى أيضا رفع وهو حي على الصحيح وكون ادريس رفع وهو حي لم يثبت من طريق مرفوعة قوية وروى الطبري ان كعبا قال لابن عباس ان ادريس سأل صديقا له من الملائكة فحمله بين جناحيه ثم صعد به فلما كان فى السماء الرابعة تلقاه ملك الموت فقال له اريد أن تعلمني كم بقي من أجل ادريس قال واين ادريس قال هو معي قال ان هذا الشئ عجيب امرت ان أقبض روحه فى السماء الرابعة فقلت كيف ذلك وهو فى الارض فقبض روحه فذلك قوله تعالى ورفعناه مكانا عليا وهذا من الاسرائيليات والله أعلم بصحته انتهى وابطل ما اجاب عن السهيلي انه قيد خصوصية ادريس برفعه حيا الى السماء الرابعة فلا يرد عيسى لانه رفع حيا الى السماء الثانية وذكر ابن قتيبة ان ادريس رفع وهو ابن ثلثمائة وخمسين سنة (قال هذا ادريس فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح) قيل فيه رد على النسابة فى قولهم ادريس جد نوح والا لقال والابن الصالح كما قال آدم ولا رد فيه لانه خاطبه بالاخوة تأدبا وتلطفا وان كان أبا والمؤمنون اخوة وكان وجه الخطاب بذلك لرفعه مكانا عليا (ثم صعد بي حتى أتى السماء الخامسة فاستفتح فقيل من هذا قال جبريل قال ومن معك قال محمد قيل وقد ارسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء فلما خلصت فاذا هارون) زاد فى حديث أبى سعيد عند ابن جرير وابن أبى حاتم وابن مردويه والبيهقي ونصف لحيته بيضاء ونصف لحيته سوداء تكاد تضرب الى سرته من طولها وفى حديث أبى هريرة عند ابن جرير والبيهقي وغيرهما وحوله قوم من بني اسرائيل وهو يقص عليهم (قال هذا هارون فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح ثم صعد بي حتى أتى السماء السادسة فاستفتح فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد ارسل اليه قال نعم) هكذا ثبت فى البخاري فى باب المعراج هنا وفى السابعة قال نعم أيضا وسقط فى الموضعين فى بدء الخلق وهو الذى وقف عليه الشارح فتجرأ وقال لم يذكر البخاري قال نعم لا فى السادسة ولا فى السابعة (قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء فلما خلصت فاذا موسى) بن عمران رجل آدم طوال كأنه من رجال شنوءة كما فى البخاري عن أبى هريرة ومسلم عن ابن عباس وفى حديث أبى سعيد كثير الشعر لو كان عليه قميصان لنفذ شعره دونهما (قال هذا موسى فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح فلما تجاوزت) بجيم وزاى وحذف الضمير المنصوب (بكى) موسى

(فقيل

(فقيل له ما يبكيك قال أبكى لان غلاما) صغير السن بالنسبة اليه وقد أنعم الله عليه بما لم ينعم به عليه مع طول عمره (بعث من بعدى يدخل الجنة من أمته أكثر ممن يدخلها من أمتى) وليس بكاؤه حسدا معاذ الله فانه منزوع عن آحاد المؤمنين فى ذلك العالم فكيف بمن اصطفاه الله بل لاوجه تأتى فى المتن (ثم صعد بى الى السماء السابعة فاستفتح جبريل قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد ارسل اليه قال نعم قال مرحبا به فنعم المجىء جاء فلما خلصت فاذا ابراهيم قال) جبريل (هذا أبوك ابراهيم فسلم عليه قال فسلمت عليه فرد السلام فقال) بالفاء وحذفها روايتان فى البخارى (مرحبا بالابن الصالح والنبى الصالح) زاد فى حديث أبى أيوب عند ابن أبى حاتم وابن حبان وابن مردويه وأحمد وقال مر أمتك فليكثروا من غراس الجنة فان تربتها طيبة وأرضها واسعة فقال له وما غراس الجنة قال لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وأخرج الترمذى وقال حسن والطبرانى عن ابن مسعود رفعه ان ابراهيم قال اقرأ أمتك منى السلام وأخبرهم ان الجنة طيبة التربة عذبة الماء وان غراسها سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر قال النووى وقد من الله الكريم بجعل لنا سندا متصلا بخليله ابراهيم وفى الصحيحين من حديث أبى هريرة وهو رأى المصطفى اشبه ولد ابراهيم به ويأتى فى المتن توجيه رؤيته لهؤلاء الانبياء فى السموات ولهم ولغيرهم فى بيت المقدس مع ان أجسادهم فى قبورهم (ثم رفعت) كذا للاكثر بضم الراء وسكون العين وضم التاء من رفعت بضمير المتكلم وبعده حرف الجر وهو (الى سدرة المنتهى) وللكشميهنى رفعت بفتح العين وسكون التاء أى من أجلى وسدرة المنتهى بالرفع نائب فاعل رفعت وكذا فى بدء الخلق ويجمع بين الروايتين بأن المراد انه رفع اليها أى ارتقى به وظهرت له والرفع الى الشئ يطلق على التقريب منه وقد قيل فى قوله وفرش مرفوعة أى تقرب لهم (فاذا نبقها) بفتح النون وكسر الموحدة وبسكونها أيضا قال ابن دحية والاول هو الذى ثبت فى الرواية أى التحريك المعروف وهو ثمر السدر (مثل قلال) قال الخطابى بالكسر جمع قلة بالضم هى الجرار يريد أن ثمرها فى الكبر مثل القلال وكانت معروفة عند المخاطبين فلذا وقع التمثيل بها قال وهى التى وقع تحديد الماء الكثير بها فى قوله اذا بلغ الماء قلتين (هجر) بفتح الهاء والجيم بلدة لا تنصرف للتأنيث والعلمية ويجوز الصرف (واذا ورقها مثل آذان الفيلة) بكسر الفاء وفتح التحتية بعدها لام جمع فيل وفى بدء الخلق مثل آذان الفيول وهو جمع فيل أيضا قاله كله فى فتح البارى وقول الزركشى الفيلة بفتح الفاء والياء سهو قاله فى المصابيح (قال) جبريل (هذه سدرة المنتهى) ووجه تسميتها بذلك بينه صلى الله عليه وسلم بقوله واليها انتهى ما يعرج من الارض فيقبض منها واليها ينتهى ما يهبط من فوقها فيقبض منها رواه مسلم من حديث ابن مسعود قال الحافظ وأورده النووى بصيغة التمريض فقال وحكى عن ابن مسعود انها سميت بذلك الخ فأشعر بضعفه عنده ولا سيما ولم يصرح برفعه وهو صحيح مرفوع انتهى ويأتى بعض هذا فى المتن (واذا أربعة أنهار) تخرج من أصلها (نهران باطنان ونهران ظاهران فقلت ما هذا يا جبريل قال أما الباطنان فنهران فى الجنة) ويجريان فى أصل سدرة المنتهى ثم يسيران

حيث شاء الله ثم ينزلان الى الارض ثم يسيران فيها وقال مقاتل الباطنان السلسبيل والكوثر كذا فى شرح المصنف ويأتى فى المتن أبسط منه (وأما الظاهران فالنيل) نهر مصر (والفرات) بالفوقية خطا ووصلا ووقفا لا بالهاء نهر بغداد قال الحافظ هذا فى القرا آت المشهورة وبتاء فى قراءة شاذة انها هاء تأنيث وشبهها أبو المظفر بن الليث بالتابوت والتابوه (ثم رفع الى البيت المعمور) زاد الكشميهنى (يدخله كل يوم سبعون ألف ملك) وتقدمت هذه الزيادة فى بدء الخلق بزيادة اذا خرجوا لم يعودوا آخر ما عليهم كذا وقع مضموما الى رواية قتادة عن أنس عن مالك بن صعصعة وهو مدرج من رواية قتادة عن الحسن عن أبى هريرة لان البخارى عقب الحديث فى بدء الخلق بقوله وقال همام عن قتادة عن الحسن عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم فى البيت المعمور وقال الحافظ فهو يريد ان هماما فصل فى سياقه قصة البيت المعمور من قصة الاسراء فروى أصل الحديث عن قتادة عن أنس وقصة البيت عن الحسن البصرى وأما سعيد وهو ابن أبى عروبة وهشام وهو الدستوائى فأدرجا قصة البيت المعمور فى حديث أنس والصواب رواية همام وهى موصولة هنا عن هدبة عنه ووهم من زعم أنها معلقة فقد روى الحسن بن سفيان الحديث بطوله عن هدبة الى قوله فرفع لى البيت المعمور فقال قال قتادة فحدثنا الحسن عن أبى هريرة انه صلى الله عليه وسلم رأى البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ولا يعودون فيه وعرف بذلك مراد البخارى بقوله فى البيت المعمور وأخرج الطبرى من طريق سعيد بن أبى عروبة عن قتادة قال ذكر لنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال البيت المعمور مسجد فى السماء بحذاء الكعبة لو خرّ لخرّ عليها يدخله كل يوم سبعون ألف ملك اذا خرجوا منه لم يعودوا وهذا وما قبله يشعر بأن قتادة كان يدرج قصة البيت المعمور فى حديث أنس وتارة يفصلها وحين يفصلها تارة يذكر سندها وتارة يبهمه انتهى (ثم أتيت باناء من خمر واناء من لبن واناء من عسل فأخذت اللبن) فشربت منه (فقال جبريل هى الفطرة التى أنت عليها وأمتك) وفى حديث أبى هريرة عند البخارى فى الاشربة ولو أخذت الخمر غوت أمتك وفى حديث أنس عند البيهقى ولو شربت الماء غرقت وغرقت أمتك وفى مسلم من حديث ثابت عن أنس ان اتيانه بالآنية كان ببيت المقدس قبل المعراج ولفظه ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ثم خرجت فجاءنى جبريل باناء من خمر واناء من لبن فأخذت اللبن فقال جبريل أخذت الفطرة ثم عرج بى الى السماء وجمع الحافظ بحمل ثم على غير بابها من الترتيب وانما هى بمعنى الواو وهنا أو بوقوع عرض الآنية مرتين مرة عند فراغه من الصلاة ببيت المقدس وسببه ما وقع له من العطش ففى حديث شداد فصليت من المسجد حيث شاء الله وأخذنى من العطش أشد ما أخذنى فأتيت باناءين أحدهما اللبن والآخر عسل فعدلت بينهما ثم هدانى الله فأخذت اللبن فقال شيخ بين يدى يعنى لجبريل اخذ صاحبك الفطرة ومرة عند وصوله الى سدرة المنتهى ورؤية الانهار الاربعة وأما الاختلاف فى عدد الآنية وما فيها فيحمل على أن بعض رواة ذكر ما لم يذكر الآخر ومجموعها أربعة أشياء من الانهار الاربعة التى رآها

تخرج من أصل سدرة المنتهى وهى الماء واللبن والعسل والخمر كما فى حديث أبى هريرة عند الطبرى فلعله عرض عليه من كل نهر اناء وجاء عن كعب ان نهر العسل نهر النيل ونهر اللبن نهر جيحان ونهر الخمر نهر الفرات ونهر الماء نهر سيحان وفى حديث أبى هريرة عند ابن عائذ بعد ذكر ابراهيم ثم انطلقنا فاذا نحن بثلاثة آنية مغطاة فقال لى جبريل يا محمد ألا تشرب مما سقاك ربك فتناولت أحدها فاذا هو عسل فشربت منه قليلا ثم تناولت الآخر فاذا هو لبن فشربت منه حتى رويت فقال ألا تشرب من الثالث قلت قد رويت قال وفقك الله وفى رواية البزار ان الثالث كان خمرا لكن وقع عنده ان ذلك كان ببيت المقدس وان الاول كان ماء ولم يذكر العسل ويأتى مزيد لذلك فى كلام المصنف (ثم فرضت) بالبناء للمفعول (على الصلاة) بالافراد وفى رواية الصلوات بالجمع (خمسين صلاة كل يوم) أى وليلة وللنسائى عن أنس واتيت سدرة المنتهى فغشيتنى ضبابة فخررت ساجدا فقيل لى انى يوم خلقت السموات والارض فرضت عليك وعلى أمتك خمسين صلاة فقم بها أنت وامتك قال صلى الله عليه وسلم (فرجعت) وفى حديث أنس عند ابن أبى حاتم فمر على ابراهيم فلم يقل شيأ (فمررت على موسى) زاد فى حديث أبى سعيد ونعم الصاحب كان لكم (فقال بما) ولابى ذربم (أمرت) بضم الهمزة مبنى للمفعول وفى حديث أنس عند النسائى وغيره مافرض ربك عليك وعلى أمتك (قال امرت بخمسين صلاة كل يوم) ولمسلم عن ثابت عن أنس قال فرض على وعلى امتى خمسين صلاة كل يوم وليلة (قال) موسى (ان امتك لا تستطيع) ان تصلى (خمسين صلاة كل يوم) وليلة (وانى والله قد جربت) وفى رواية خبرت (الناس قبلك وعالجت بنى اسرائيل أشد المعالجة) مثل المزاولة يعنى مارستهم ولقيت الشدة فيما اردت منهم وفى رواية النسائى فانه فرض على بنى اسرائيل صلاتان فما قاموا بهما وفى الصحيحين من رواية شريك عن أنس وبلوت بنى اسرائيل وعالجتهم أشد المعالجة على أدنى من هذا فضعفوا وتركوه وامتك أضعف أجسادا وأبدانا وأبصارا واسماعا فالتفت النبى صلى الله عليه وسلم الى جبريل يستشيره فأشار اليه جبريل أن نعم ان شئت (فارجع الى ربك فاسأله التخفيف لامتك فرجعت فوضع عنى عشرا فرجعت الى موسى فقال مثله) ان امتك لا تستطيع الى آخره (فرجعت فوضع عنى عشرا) من الاربعين (فرجعت الى موسى) فأخبرته (فقال مثله فرجعت فوضع عنى عشرا) من الثلاثين (فرجعت الى موسى فقال مثله فرجعت فامرت بعشر صلوات) بالاضافة وفى رواية بتنوين عشر (كل يوم) وليلة (فرجعت الى موسى فقال مثله فرجعت فأمرت بخمس صلوات) كل يوم كما فى لفظ الحديث أى وليلة (فرجعت الى موسى فقال بم) بلا ألف رواية أبى ذر ولغيره بما بألف بعد الميم (أمرت قلت أمرت بخمس صلوات كل يوم قال ان امتك لا تستطيع خمس صلوات كل يوم وانى قد جربت الناس قبلك وعالجت بنى اسرائيل أشد المعالجة فارجع الى ربك فاسأله التخفيف لامتك) وفى رواية فسله والاصل فاسأله لانه أمر من السؤال فنقلت حركة الهمزة الى السين فحذفت تخفيفا واستغنى عن همزة الوصل

فحذفت (قال) صلى الله عليه وسلم لموسى (سألت ربى حتى استحييت ولكنى) رواية أبى ذر عن الكشميهنى وغيره ولكن (أرضى وأسلم) قال الحافظ فيه حذف وتقدير الكلام سألت ربى حتى استحييت فلا أرجع فانى ان رجعت صرت غير راض ولا مسلم ولكنى أرضى وأسلم (فلما جاوزت نادانى مناد أمضيت فريضتى وخففت عن عبادى) قال الحافظ هذا من أقوى ما استدل به على انه تعالى كلم نبيه محمدا ليلة الاسراء بلا واسطة وفى رواية النسائى عن أنس بخمس بخمسين فقم بها أنت وأمتك فعرفت انها عزمة من الله فرجعت الى موسى فقال ارجع فلم أرجع وفى الصحيح من طريق شريك عن أنس فقال اهبط باسم الله قال المصنف أى قال جبريل لا موسى وان كان ظاهر السياق (وفى رواية له) أى للبخارى وكذا مسلم كلاهما من حديث أنس عن أبى ذر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فرج سقف بيتى وأنا بمكة فنزل جبريل (ففرج) بفتحات أى شق (صدرى) وفى رواية عن صدرى بزيادة عن لمجرد التأكيد أو فرج مضمن معنى كشف والمراد بالصدر القلب أى كشف عن قلبى ما منع الوصول اليه وذلك بشق الصدر (ثم غسله بماء زمزم) قال ابن أبى جمرة انما لم يغسل بماء الجنة لما اجتمع فى زمزم من كون أصل مائها من الجنة ثم استقر فى الارض فأريد بذلك بقاء بركة النبى صلى الله عليه وسلم فى الارض وقال السهيلى لما كانت زمزم حفرة جبريل روح القدس لام اسماعيل جده ناسب ان يغسل بها عند دخوله حضرة القدس لمناجاته (ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وايمانا فأفرغه فى صدرى ثم أطبقه) أى الصدر الشريف وفى رواية مسلم فاستخرج قلبى فغسل بماء زمزم ثم أعيد مكانه ثم حشى ايمانا وحكمة (وفى رواية شريك) بن أبى نمر عن أنس عند الشيخين (فحشى به صدره ولغاديده (وهى) أى هذه اللفظة (بلام مفتوحة وغين معجمة أى عروق حلقه وفى النهاية) لابن الاثير (جمع لغدودة وهى لحمة مشرفة عند اللهاة والشك فى قوله وربما قال فى الحجر) كائن (من قتادة كما بينه) الامام (أحمد) فى روايته هذا الحديث (عن عفان) بتشديد الفاء ابن مسلم بن عبد الله الباهلى البصرى ثقة ثبت روى له الجميع مات فى سنة تسع عشرة ومائتين (ولفظه بينما أنا نائم فى الحطيم وربما قال قتادة فى الحجر) أى انه كان يحدث به تارة فيقول فى الحطيم وتارة يقول فى الحجر لشكه فى خصوص اللفظ الذى سمعه من أنس وان كان المعنى واحدا كما قال (والمراد بالحطيم هنا الحجر) زاد الحافظ وأبعد من قال المراد به ما بين الركن والمقام أو بين زمزم والحجر وهو وان كان مختلفا فى الحطيم هل هو الحجر أم لا لكن المراد هنا البقعة التى وقع ذلك فيها ومعلوم انها لم تتعدد لان القصة متحدة لاتحاد مخرجها (ووقع عند البخارى فى أول بدء الخلق) اولية نسبية انه وقع فى باب ذكر الملائكة بعد خمسة أبواب من كتاب بدء الخلق من طريق قتادة عن أنس عن مالك بن صعصعة أيضا (بلفظ بينا) باسقاط ما المذكورة فى باب المعراج (أنا عند البيت وهو أعم) من قوله فى الحطيم وربما قال فى الحجر أى انه محتمل لهما ولمحل آخر من المسجد بقرب البيت (وفى رواية الزهرى عن أنس عن أبى ذر) عند البخارى ومسلم (فرج) بضم الفاء وكسر الراء أى فتح (سقف بيتى وأنا بمكة) جملة حالية اسمية (وفى رواية الواقدى

با سانيده

بأسانيده أنه أسرى به من شعب أبي طالب) بكسر الشين المعجمة (وفي حديث أم هانئ) فاختة أو هند أو عاتكة شقيقة على أنها أحاديث في الكتب الستة وغيرها (عند الطبراني أنه بات في بيتها قالت ففقدته من الليل) فسألته لما رجع ذهب الى أى محل في الوقت الذى فقدته فيه (فقال ان جبريل أتاني) فذكر الحديث (والجمع بين هذه الاقوال) أى الروايات (كما في فتح الباري أنه بات في بيت أم هانئ وبيتها عند شعب أبي طالب) أبيها (ففرج سقف بيته وأضاف البيت اليه) في رواية أبي ذر (لانه كان يسكنه فنزل منه الملك) والاضافة تكون بأدنى ملابسة ولان البيت بحسب لساكنه (فنزل منه الملك) جبريل (فأخرجه من البيت الى المسجد) الحرام (فكان به مضطجعا وبه أثر النعاس) فلذا قال بينما انا نائم في الحطيم مضطجعا (ثم أخرجه الملك) فأخرجه من المسجد (الى باب المسجد فأركبه البراق قال) في الفتح (وقد وقع في مرسل الحسن البصرى (عند ابن اسحاق ان جبريل أتاه فأخرجه الى المسجد فأركبه البراق وهو يؤيد هذا الجمع) تأييدا قويا (فان قيل لم فرج سقف بيته عليه الصلاة والسلام ونزل منه الملك ولم لم يدخل من الباب مع قوله تعالى وأتوا البيوت من أبوابها أجيب) كما قال ابن دحية (بأن الحكمة في ذلك ان الملك انصب) أى نزل من السماء (انصبابة واحدة على جهة الاستقامة ولم يعرج على شئ سواه) أى من غير تعريج عن الجهة التى نزل منها الى غيرها (فكان نزوله على السقف مبالغة في المفاجأة وتنبيها على ان الطلب وقع على غير ميعاد كرامة له عليه الصلاة والسلام) كما أفهمه قوله بينما انا نائم اذ مجيئه له بغتة يشعر بأنه لا موعد بينهما وكذا قوله فرج سقف بيتى اذ لو كان بينهما موعد لانتظر مجيئه فيه ولاتاه من الباب على عادة الجائى لمن ينتظره وفيه اشارة الى طلب الاستقامة في الامور والى المبادرة اليها وأخذها من أقرب الطرق (وهذا بخلاف موسى عليه الصلاة والسلام فكانت كرامته بالمناجاة) لله سبحانه وتعالى (عن ميعاد واستعداد) بالصوم قال تعالى وواعدنا موسى ثلاثين ليلة قال الجلال أى نكلمه عند انتهائها بأن يصومها وهى ذو القعدة فلما تمت أنكر خلوف فمه فاستاك فأمره الله تعالى بعشرة أخرى ليكلمه بخلوف فمه كما قال تعالى وأتممناها بعشر أى من ذى الحجة (بخلاف نبينا عليه الصلاة والسلام فانه حل عنه ألم الانتظار) الواقع لموسى مدة الصوم حتى كلمه ربه (كما حل عنه ألم الاعتذار) الذى اعتذر به موسى انه انما استاك لانكار رائحة فمه (ويؤخذ من هذا ان مقام نبينا صلى الله عليه وسلم بالنسبة الى مقام موسى عليه الصلاة والسلام مقام المراد) حيث طلب للمناجاة بلا سؤال (بالنسبة الى مقام المريد) بقوله رب أرني أنظر اليك (ويحتمل أن يكون توطئة وتمهيدا لكونه فرج عن صدره فأراه الملك بافراجه عن السقف ثم التئام السقف على الفور كيفية) أى صفة (ما يصنع به وقرب له الامر في نفسه بالمثال المشاهد في بيته لطفا في حقه عليه السلام وتثبيتا لبصره) وفي الفتح قيل الحكمة في نزوله عليه من السقف الاشارة الى المبالغة في مفاجاته بذلك والتنبيه على ان المراد منه ان يعرج به الى جهة العلو (والله أعلم بحقيقة السر) في ذلك (وقوله مضطجعا زاد) البخارى (في بدء الخلق بين

النائم واليقظان) أى ان نومه قريب من اليقظة (وهو محمول على ابتداء الحال ثم لما خرج به الى باب المسجد فأركبه البراق استمر فى يقظته) التى لا يخالطها نوم وفى نسخة لما أخرج به بزيادة الباء فى المفعول والاصل أخرجه فهو مبنى للفاعل (وأما ما وقع فى رواية شريك عنده) أى البخارى (أيضا) فى كتاب التوحيد فى آخر الحديث (فلما استيقظت) انظ الحديث فى الصحيح واستيقظ وهو بالمسجد الحرام (فان قلنا بالتعديد) للمعاريج (فلا اشكال) لانه معراج آخر فى النوم (والا حمل على ان المراد استيقظت أفقت يعنى انه أفاق مما كان فيه من شغل البال بمشاهدة الملكوت) باطن الملك (ورجع الى العالم الدنيوى فالمراد الافاقة البشرية التى يكون البشر عليها عادة من الغمرة الملكية التى كان عليها وقال ابن أبى جمرة لو قال صلى الله عليه وسلم انه كان يقظانا لاخبر بالحق لان نومه و يقظته سواء وعينه أيضا لم يكن النوم تمكن منها لكن تحرى الصدق فى الاخبار بالواقع فيؤخذ منه انه لا يعدل عن حقيقة اللفظ الا لضرورة (وقوله اذ أتانى آت هو جبريل عليه السلام) ووقع فى بدء الخلق وذكر بين الرجلين وهو مختصر أوضحته رواية مسلم بلفظ اذ سمعت قائلا يقول أحد الثلاثة بين الرجلين فأتيت فانطلق بى والمراد بالرجلين حمزة وجعفر كان صلى الله عليه وسلم نائما بينهما قال ابن أبى جمرة وفيه تواضعه وحسن خلقه اذ أنه فى الفضل حيث هو ومع ذلك كان يضطجع مع الناس و يقعد معهم ولم يجعل لنفسه مزية عليهم وفيه جواز نوم جماعة فى موضع واحد لكن بشرط أن يكون لكل واحد منهم ما يستر به جسده (وفى رواية شريك) عن أنس فى الصحيحين (انه جاءه) بكسر الهمزة وللكشميهنى اذ بدل انه والاول أولى وللحموى والمستملى انه بفتح الهمزة وجاء بلا ضمير (ثلاثة نفر) قال الحافظ لم أقف على أسمائهم صريحا لكن فى رواية الطبرى فأتاه جبريل وميكائيل انتهى وكذا رواه ابن جرير وأبو يعلى و يقال ان الثالث اسرافيل (قبل أن يوحى اليه وهو نائم فى المسجد الحرام فقال أولهم) جبريل (أيهم هو) لانه كان نائما بين حمزة وجعفر كما علم (فقال أوسطهم) أى الثلاثة الذين جاؤه وهو ميكائيل (هو خيرهم فقال آخرهم) الثالث ولابى ذر عن الكشميهنى أحدهم بالدال أى أحد الثلاثة (خذوا خيرهم وكانت تلك الليلة) أى كانت تلك القصة الواقعة تلك الليلة ما ذكر هنا) بالضمير المستتر فى كانت المحذوف وكذا خبر كان وهذا شرح من المصنف لقوله وكانت تلك الليلة (فلم يرهم حتى أتوه ليلة أخرى) هى ثالثة على ما يفيده رواية ابن مردويه عن أنس بلفظ حتى أتوه ليلة أخرى فقال الاول هو هو فقال الاوسط نعم وقال الآخر خذوا سيد القوم فرجعوا عنه حتى اذا كانت الليلة الثالثة رآهم فقال الاول هو فقال الاوسط نعم وقال الآخر خذوا سيد القوم الاوسط بين الرجلين فاحتملوه حتى جاؤا به زمزم فاستلقوه على ظهره وكان مجىء الملائكة له (فيما يرى قلبه وتنام عينه ولا ينام قلبه وكذلك الانبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم) الثابت فى الروايات انه كان يقظة فان قلنا بالتعدد فلا اشكال والا حمل على انه كان فى طرفى البقية نائما وليس فى ذلك ما يدل على كونه نائما فى كله (فلم يكلموه) صلى الله عليه وسلم (حتى احتملوه) فوضعوه عند بئر زمزم فتولاه منهم

جبريل كما فى نفس حديث شريك (وقد أنكر الخطابى قوله قبل أن يوحى اليه ولذلك قال القاضى عياض والنووى) وابن حزم وعبد الحق (وعبارة النووى وقع فى رواية شريك يعنى هذه أوهام) أزيد من عشرة فصلها الحافظ وأجاب عن بعضها (أنكرها العلماء أحدها) مبتدأ خبره (قوله قبل أن يوحى اليه وهو غلط) من شريك (لم يوافق عليه وأجمع العلماء على ان فرض الصلاة كان ليلة الاسراء فكيف يكون) الاسراء (قبل الوحى انتهى) كلام النووى (فقد صرح هؤلاء) الخطابى ومن بعده (بأن شريكا تفرد بذلك لكن قال الحافظ ابن حجر فى دعوى التفرد نظر فقد وافقه كثير بن خنيس بالمعجمة ونون مصغرا عن أنس كما أخرجه سعيد بن يحيى بن سعيد) بن أبان بن سعيد بن العاصى (الاموى) أبو عثمان البغدادى ثقة روى له الشيخان وغيرهما وربما أخطأ مات سنة تسع وأربعين ومائتين (فى كتاب المغازى له من طريقه قال) الحافظ مجيبا عن اشكال قوله قبل أن يوحى اليه (ولم يقع التعيين بين المجيئين) اى زمن (فيحمل على أن المجىء الثانى كان بعد الوحى وحينئذ وقع الاسراء والمعراج) فقوله قبل أن يوحى اليه ظرف للمجىء الاول لا لهما الذى هو منشأ التغليط (واذا كان بين المجيئين مدة فلا فرق بين أن تكون تلك المدة ليلة واحدة أو ليالى) كثيرة (أو عدد سنين وبهذا) التقرير (يرتفع الاشكال عن رواية شريك ويحصل به الوفاق) على (ان الاسراء كان فى اليقظة بعد البعثة وقبل الهجرة) وفى ليلته فرضت الصلاة (وسقط تشنيع الخطابى وغيره بأن شريكا خالف الاجماع فى دعواه ان المعراج كان قبل البعثة) وقال الحافظ أبو الفضل بن طاهر تعليل الحديث بتفرد شريك ودعوى ابن حزم ان الآفة منه شئ لم يسبق اليه فان شريكا قبله أئمة الجرح والتعديل ووثقوه ورووا عنه وأدخلوا حديثه فى تصانيفهم واحتجوا به قال وحديثه هذا رواه عنه سليمان بن بلال وهو ثقة وعلى تقدير تفرده بقوله قبل أن يوحى اليه فلا يقتضى طرح حديثه فوهم الثقة فى موضع من الحديث لا يسقط جميع الحديث ولا سيما اذا كان الوهم لا يستلزم ارتكاب محذور ولو ترك حديث من وهم فى تاريخ لترك حديث جماعة من أئمة المسلمين انتهى (وأقوى ما يستدل به على ان المعراج كان بعد البعثة قوله فى هذا الحديث نفسه ان جبريل قال لبواب السماء اذ قال أبعث) اليه لم يقع فى لفظ الحديث اليه لكن حملها عليه المصنف كغيره فقال اليه للاستواء وصعود السموات وليس الاستفهام عن أصل البعثة والرسالة لانه لا يخفى عليه الى هذه المدة ولاشتهار أمر النبوة فى الملكوت الاعلى (قال نعم فانه ظاهر فى أن المعراج كان بعد البعثة) ولفظه ثم عرج به الى السماء الدنيا فضرب بابا من أبوابها فناداه أهل السماء من هذا فقال جبريل قالوا ومن معك قال محمد قال وقد بعث قال نعم (ووقع فى رواية ميمون ابن سياه) بكسر السين المهملة وخفة التحتية البصرى أبى بحر التابعى صدوق عابد يخطئ روى له البخارى والنسائى (عند الطبرانى فأتاه جبريل وميكائيل فقالا) المطلوب (أيهم) أى الثلاثة حمزة وجعفر والمصطفى (وكانت قريش تنام حول الكعبة فقال) الملك الآخر الذى لم يسم (أمرنا بسيدهم ثم ذهبا ثم جاؤه وهم ثلاثة نفر) كما جاؤه أولا

وكون هذا يقتضي ان الجائين جاؤه أولا اثنان فقط ليس بمراد لان الثالث لم يسم كامر (وفي رواية مسلم) من طريق سعيد عن قتادة عن أنس (سمعت قائلا يقول أحد الثلاثة بين الرجلين فأتيت فانطلق بي والمراد بالرجلين حمزة بن عبد المطلب وجعفر بن أبي طالب وكان النبي صلى الله عليه وسلم نائما بينهما) من مزيد تواضعه وأجيب أيضا بأن المراد قبل أن يوحى اليه في شأن الصلاة ومنهم من اجراه على ظاهره ملتزما ان الاسراء كان مرتين قبل النبوة وبعدها كما في المصابيح (وقوله فقد بالقاف والدال الثقيلة وفي رواية فشق) وأخرى فرج والمعنى واحد (من ثغرة) نحره (بضم المثلثة وسكون الغين المعجمة بعدها راء الموضع المنخفض الذي بين الترقوتين) تثنية ترقوة بزنة فعلوة بفتح الفاء وضم اللام وهي العظم الذي بين ثغرة النحر والعاتق من الجانبين والجمع التراقي قال بعضهم ولا تكون الترقوة لشيء من الحيوان الا للانسان خاصة (الى شعرته بكسر الشين المعجمة أي شعر العانة الشريفة) أي الشعر النابت عليها من اضافة اسم الحال للمحل قال الازهري وجماعة العانة منبت الشعر فوق قبل المرأة وذكر الرجل والشعر النابت عليهما يقال له الاسب بكسر الهمزة وسكون المهملة وموحدة وقال الجوهري هي شعر الركب بالتحريك أي فتح الراء والكاف منبت العانة للمرأة خاصة عند الخليل وللرجل ايضا عند الفراء وقال ابن السكيت وابن الاعرابي استعان واستحد حلق عانته وعلى هذا فالعانة الشعر النابت وذكر الكرماني انه وقع في رواية الى ثنته بضم المثلثة وتشديد النون أي ما بين السرة والعانة (وفي رواية مسلم الى أسفل البطن وفي رواية البخاري) في بدء الخلق (الى مراق) بفتح الميم وخفة الراء فألف فقاف ثقيلة وأصله مراقق بقافين فأدغمت الاولى في الثانية أي ما سفل من بطنه ورق من جلده (وفي رواية شريك) عن أنس (فشق جبريل ما بين نحره الى لبته حتى فرغ من صدره وجوفه (بفتح اللام وتشديد الموحدة وهو موضع القلادة من الصدر وفيه تنحر الابل (وقد أنكر القاضي عياض في الشفاء) وسبقه الى الانكار ابن حزم (وقوع شق صدره الشريف ليلة الاسراء وقال انما كان وهو صبي وقبل الوحي) يعني في بني سعد بن بكر وهو عند مرضعته حليمة وادعى ابن حزم وعياض ان ذلك من تخليط شريك قال الحافظ العراقي وليس كذلك فقد ثبت في الصحيحين من غير طريق شريك وقال في المفهم لا يلتفت لانكاره لان رواته ثقات مشاهير (ولا انكار في ذلك كما قاله الحافظ أبو الفضل) احمد بن حجر (العسقلاني رحمه الله) في الفتح (فقد تواترت الروايات به) فقد ثبت في الصحيحين من حديث مالك بن صعصعة وفي مسلم وغيره عن أنس في روايته عن النبي صلى الله عليه وسلم بلا واسطة وفي الصحيحين من رواية أنس عن أبي ذر وله طرق أخرى (وثبت شق الصدر أيضا عند البعثة كما أخرجه أبو نعيم في الدلائل) والطيالسي والحارث بن أبي اسامة والبيهقي في الدلائل من حديث عائشة وقدمته في المقصد الاول في المبعث النبوي (ولكل منها) أي المرات الثلاث المذكورة في بني سعد ثم عند المبعث ثم ليلة الاسراء (حكمة فالاول) الذي وقع وهو عند حليمة (وقع فيه من الزيادة كما عند مسلم من حديث أنس) ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه جبريل وهو يلعب مع الغلمان

فأخذه

فأخذه وصرعه فشق عن قلبه واستخرج القلب ثم شقه (فاستخرج منه علقة فقال هذا حظ الشيطان) أى الموضع الذى يتوصل منه الى وسوسة الناس ولا ينافيه قوله منك لجواز تقدير مضاف أى من مثلك من بنى آدم وبقية خبر مسلم ثم غسله فى طست من ذهب بماء زمزم ثم لأمه فأعاده مكانه وجعل الغلمان يسعون الى أمه يعنى ظئره فقالوا ان محمدا قد قتل فجاؤا وهو منتقع اللون قال أنس فلقد كنت أرى أثر المخيط فى صدره (وكان هذا فى زمن الطفولية فنشأ على أكمل الاحوال من العصمة من الشيطان) وغيره وخلقت هذه العلقة لانها من جملة الاجزاء الانسانية فخلقت تكملة للخلق الانسانى ونزعها كرامة ربانية أبلغ من خلقه بدونها قاله التقى السبكى وقال غيره لو خلق سليما منها لم يطلع الآدميون على حقيقته فأظهره الله على يد جبريل ليتحققوا كمال باطنه كما برز لهم مكمل الظاهر (ولعل هذا الشق كان سببا فى اسلام قرينه) أى صاحبه الموكل به من الجن (المروى عند البزار من حديث ابن عباس) رفعه فضلت على الانبياء بخصلتين كان شيطانى كافرا فأعاننى الله عليه فأسلم قال ونسيت الاخرى (ويحتمل أن يكون) قوله هذا حظ الشيطان منك (الاشارة الى حظ الشيطان المباين) أى خلاف القرين (كالعفريت الذى أراد أن يقطع عليه صلاته وأمكنه الله منه) وقدمت لفظ الحديث قريبا فى الخصائص وان لفظ عفريت ظاهر فى ان المراد غير ابليس كما قال الحافظ (وأما شق الصدر عند البعث فلزيادة الكرامة وليتلقى ما يوحى اليه بقلب قوى على أكمل الاحوال من التطهير) وكذلك كان (وأما شقه عند ارادة العروج الى السماء فللتهيؤ للترقى الى الملا الاعلى والثبوت فى المقام الاسنى والتقوى لاستجلاء) بالجيم (الاسماء الحسنى) يعنى رؤية الله سبحانه بدليل قوله (ولهذا لما لم يتفق لموسى عليه السلام مثل هذا التهيؤ لم تتفق له الرؤية) مع كونه سألها (وكيف يثبت الرجل لما لا يثبت له الجبل) المذكور فى قوله لن ترانى ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف ترانى فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا والحافظ قال حكمة ذلك ليتأهب للمناجاة (ويحتمل أن تكون الحكمة فى هذا الغسل لتقع المبالغة فى الاسباغ بحصول المرة الثالثة كما تقرر فى شرعه عليه السلام) كذا أبدى هذا الاحتمال تبعا للحافظ مع انه قال فى المقصد الاول روى أبو نعيم الشق أيضا وهو ابن عشر قال وروى خامسة ولا تثبت وحكمته ان العشر قريب من سن التكليف فشق قلبه وقدس حتى لا يتلبس بشىء مما يعاب على الرجال الا أن يكون جعل مرتى الصبا بمنزلة المرة الواحدة قال النعمانى وقد سن لداخل الحرم الغسل فما ظنك بداخل الحضرة المقدسة فلما كان الحرم من عالم الملك وهو ظاهر الكائنات أنيط الغسل له بظاهر البدن فى عالم المعاملات ولما كانت الحضرة الشريفة من عالم الملكوت وهو باطن الكائنات أنيط لها الغسل بباطن البدن فى الحقيقيات وقد عرج به لتعرض عليه الصلوات وليصلى بملائكة السموات ومن شأن الصلاة الطهور فقدس ظاهرا وباطنا قال وقد رأيت فى بعض المعاريج ان جبريل وضأه بعد غسل قلبه قلت ليصير مطهرا متطهرا انتهى (ثم ان جميع ما ورد) وبينه بقوله (من شق الصدر واستخراج القلب وغير ذلك من الامور الخارقة للعادة) كاختراق السموات (مما يجب التسليم له) أى تسليمه

فاللام زائدة للتقوية (دون التعرض لصرفه عن حقيقته لصلاحية القدرة فلا يستحيل شيء من ذلك) لان القدرة انما تتعلق بالممكن دون المستحيل هكذا قاله القرطبي في المفهم والطيبي والتوربشتي والحافظ في الفتح والسيوطي وغيرهم ويؤيده الحديث الصحيح انهم كانوا يرون أثر المخيط في صدره قال السيوطي وماوقع من بعض جهلة العصر من انكار ذلك وحمله على الامر المعنوي والزام قائله القول بقلب الحقائق فهو جهل صراح وخطأ قبيح نشأ من خذلان الله تعالى لهم وعكوفهم على العلوم الفلسفية وبعدهم عن دقائق السنة عافانا الله من ذلك انتهى (قال العارف ابن أبي جمرة) بجيم وراء (فيه دليل على أن قدرة الله تعالى لا يعجزها ممكن) أى لا يمنعها من التعلق به بل يجوز تعلقها بسائر الممكنات لا بالمستحيلات فلا تتعلق بها أصلا ولذا قيد بممكن فلا يفهم منه انها تعجز عن التعلق بالمستحيل لانها لا تتعلق به أصلا فلا يلتفت الى مثل هذا الايهام (ولا تتوقف) أى لا تتخلف عن ايجادها ارادة (لعدم) وجود (شيء) يؤثر فيما تعلقت به (ولا لوجوده) أى شيء يمنع تأثيرها فيما تعلقت به (وليست مربوطة بالعادة) أى ليس تأثيرها قاصرا على ماجرت به العادة بل عام في جميع الممكنات (الا حيث شاءته) أى ربط التأثير بالعادة (القدرة) ونسبة المشيئة الى القدرة تسمح اذ المشيئة انما تنسب للقادر لا لشيء من صفاته فهو اما على حذف مضاف أى ذو القدرة أو مصدر بمعنى القادر (لانه على مايعهد ويعرف ان البشر) يختص بن ذكرا أو أنثى واحدا أو جمعا وقد يثنى ويجمع ابشارا كما في القاموس وفي المصباح ان العرب ثنوه ولم يجمعوه ومن التثنية أنؤمن لبشرين (مهما شق بطنه كله واخرج القلب مات ولم يعش) وكذا سائر الحيوان واقتصر على البشر لكون المصطفى منهم لا لاخراج غيره (وهذا النبي صلى الله عليه وسلم قد شق بطنه المكرمة) انثه باعتبار الجارحة والا فالبطن خلاف الظهر مذكر (حتى أخرج القلب وغسل) وهو حي (وقد شق بطنه كذلك) كهذا الشق الواقع في المعراج (أيضا وهو صغير وشق قلبه وأخرج منه نزغة الشيطان) أى محل نزغته أى وسوسته الحاملة على خلاف ما أمر به كاعتراء غضب وفكر (ومعلوم ان القلب مهما وصل له الجرح مات صاحبه وهذا النبي صلى الله عليه وسلم شق بطنه في هاتين المرتين) وأخرج قلبه وشق (ولم يتألم بذلك ولم يمت لما أراد الله تعالى أن لا يؤثر ما) أى شيأ والذى (أجرى به العادة أن يؤثر بها موت صاحبها فأبطل تلك العادة) جواب لما ودخول الفاء فيه قليل قاله شيخنا والاظهر ان اللام في لما تعليلية لعدم موته فالفاء للتفريع على التعليل (وقد رمى ابراهيم عليه الصلاة والسلام في النار فلم تحرقه وكانت عليه بردا وسلاما) أى ان شق الصدر لشريف وان كان خارقا للعادة لا بعد فيه لانه ممكن وقد وقع مثله للخليل حيث فعل به ما هو مهلك عادة ولم يؤثر فيه شيء فذكره للتقريب انتهى كلام ابن أبي جمرة (وقد حصل من شق صدره الكريم اكرامه عليه السلام بتحقيق ما أوتى من الصبر) بجعله صفة قائمة به وكان ذلك تحقيقا له لبروزه الى الوجود الخارجي (فهو من جنس ما أكرم به اسماعيل الذبيح) على أحد القولين الشهيرين والثاني اسحاق وليت شعري أى اقتضاء فيمن حكى

هذين القولين فى الذبيح ان ابراهيم ليس له غيرهما من الاولاد مع ان أولاده ثلاثة عشر كلهم ذكور كما فى تاريخ ابن كثير أو خمس منهم اناث على ما فى الروض (بتحقيق صبره على مقدمات الذبح شدا وكتفا وتلا) القاء (للجبين واهواء بالمدية) السكين (الى المنحر) يعنى انه لما تله للجبين بأن القاه على جنبه انقلب على جبهته أو انه فعل ذلك باشارته لئلا يرى فيه تغيرا فيرق له فلا يذبحه (فقال ستجدنى ان شاء الله من الصابرين) على الذبح أو على قضاء الله وترتيب ماذكر على ماقبله يقتضى ان قوله ذلك بعده وسوق الآية صريح انه قال ذلك جوابا لقول أبيه يابنى انى أرى فى المنام انى أذبحك فانظر ماذا ترى الا أن تجعل الفاء فى المصنف بمعنى الواو ولفظ ابن المنير متبوع المؤلف وقد قال ستجدنى بالواو (ووفى بما وعد الله تعالى) بقوله ستجدنى الآية (فأكرمه الله بالثناء على صبره الى الابد ولامرية) بكسر الميم أى لاشك (ان الذى حصل من صبر نبينا صلى الله عليه وسلم أشد وأجل لان تلك) الاحوال الواقعة لاسماعيل من الشد والكتف والتل (مقدمات) للذبح (وهذه) الواقعة للمصطفى (نتيجة) مايفعل بمن أريد ذبحه أو نحوه من الاثر الذى قصد ترتبه على الفعل (وتلك معاريض) أى مقدمات لاحقائق وتسميتها معاريض تجوز اذ هى لغة التورية فشبه المقدمات بالمعاريض واستعار له اسمه لماسبق فى علم الله ان حقيقة ما أمر به أبوه من الذبح لايقع (وهذه حقيقة والمنحر مقتل) أى يصدق عليه وليس مفهومهما واحدا اذ المنحر موضع النحر من الحلق ويكون مصدرا أيضا (وما أصابه) أى المنحر (من اسماعيل) ظاهره انه أمر السكين على منحره مع ان الفداء وقع قبل مرور السكين اليه فقوله (الا صورة القتل لافعله) أى الصورة التى تحصل عند ارادة القتل (وشق صدر نبينا صلى الله عليه وسلم واستخراج قلبه ثم شقه ثم كذا) أى نزع العلقة منه وغسله ونحو ذلك (مقاتل عديدة) جمع مقتل (وقعت كلها ولكن انخرقت العادة ببقاء الحياة فهذا الابتلاء أعظم من ابتلاء الذبيح عما ذكر) وفى المصباح المقتل الموضع الذى اذا أصيب لايكاد صاحبه يسلم والواقع للمصطفى أسباب تدنى الى القتل فلعل المقاتل فى المصنف جمع مقتل بمعنى القتل وأطلقه على سببه مجازا (فان قلت انما يتحقق الصبر أن لو كانت هناك مشقة فلعل العادة لما انخرقت فى ابقاء الحياة) أى لم تؤثر ازالتها بل استمرت بعد مايوجب ازالتها عادة وفى نسخ فى بقاء وهى أظهر لان البقاء استمرار الحياة وهو أثر الابقاء (انخرقت) أيضا (فى دفع المشاق وحمل الآلام) فلا تتم المفاضلة المذكورة بينه وبين الذبيح (أجيب) أى أجاب ابن المنير (بأنه ورد فى حديث شق صدره) فى بنى سعد وهو صغير (فاقبل وهو منتقع اللون) بنون ففوقية فقاف مفتوحة أى متغير (أو ممتقع) بالميم بدل النون روايتان قاله ابن المنير قال الكسائى انتقع مبنيا اذا تغير من حزن أو فزع قال وكذا ابتقع بالموحدة وامتقع بالميم أجود قاله الجوهرى أى مبنيا للمفعول صرح به المجد وغيره وفى المصباح مايفيد بناءه للفاعل (وهو يدل على ان الصبر على مشقة المعالجة المذكورة محقق) فتتم المفاضلة (انتهى) ما أجيب به (قال القاضى عياض وأصل انتقع صار كلون النقع والنقع الغبار وهو شبيه بلون الاموات وهذا يدل على غاية المشقة) اذ لايصير كلون

الاصوات الا بعد مشقة شديدة (واما قول ابن الجوزى فشقه وما شق عليه) أى ما آلمه ذلك الشق (فيحمل على أنه صبر صبر من لم يشق عليه) ويحمل أيضا على أنه ما شق عليه المشقة التى تحصل مثلها عادة من ذلك الفعل فلا ينافى حصول مشقة دون المعتاد فنزلها منزلة العدم (انتهى) كلام ابن المنير وفى الشامى اختلف هل وقع له مع ذلك مشقة أم لا فقال الحافظ من غير مشقة وبه جزم ابن الجوزى فقال فشقه وما شق عليه وقال ابن دحية بمشقة عظيمة ولهذا انتقع لونه أى صار كلون النقع قلت رواية انتقع لونه حكاية لما وقع فى المرة الاولى وهو صغير فى بنى سعد واما ما وقع بعدها فلم ينقل انه تأثر لذلك انتهى (وكذلك الابتلاء أيضا من حيث الشق فان ذلك وقع لنبينا صلى الله عليه وسلم بعيد) بلفظ التصغير (ما فطم) بشهرين أو ثلاثة وكان فطامه بعد عامين (وأيضا كان منفردا عن أمه) فى بنى سعد وأمه بمكة (ويتيما من أبيه) لموته وهو حمل على الصحيح (واختطف من بين الاطفال) الذين كان معهم فى البرية (وفعل به ما فعل من الاهوال تسهيلا لما يلقاه فى المآل وتعظيما لما يناله على الصبر من الثواب والثناء) من الكبير المتعال (ولهذا المعنى شج وجهه الشريف) فى أحد (وجرح وكسرت رباعيته) بفتح الراء والموحدة وخفة التحتية (قال اللهم اغفر لقومى) مغفرة تصرف عنهم عذاب الاستئصال (فانهم لا يعلمون) رفيع قدرى عندك فاعتذر عنهم بالجهل الحكمى وان كان بعد الآيات البينات ليس بعذر ولم يقل يجهلون تحسينا للعبارة ليجذبهم بزمام لطفه الى الايمان ويدخلهم بعظيم عفوه حرم الامان (زاده الله شرفا وفضلا) صلى الله عليه وسلم (وقوله ثم أتيت بطست من ذهب انما أتى بالطست لانه أشهر) أى أظهر (آلات الغسل عرفا) من حيث ان استعماله للغسل أكثر من استعمال غيره (فان قلت ان استعمال الذهب حرام فى شرعه عليه السلام) بنصه على حرمته (فكيف استعمل الطست الذهب هنا) قلت (أجاب العارف ابن أبى جمرة بان تحريم الذهب) أى عليه (انما هو لاجل الاستمتاع به فى هذه الدار) الدنيا (واما الآخرة فهو للمؤمنين خالصا لقوله عليه السلام هو لهم فى الدنيا) الفانية (وهو لنا فى الآخرة) الباقية وما هنا كان الغالب انه من أحوال الآخرة (قال) ابن أبى جمرة (ثم ان الاستمتاع بهذه الطست لم يحصل منه عليه الصلاة والسلام) حتى يجيء السؤال (وانما كان غيره هو السائق) أى الحامل (له) حتى أحضره له يقال ساق الصداق الى امرأته حمله اليها (والمتناول لما كان فيه حتى وضعه فى القلب المبارك سوقان) مصدر على فعلان هذا ظاهره ولم يذكره الجوهرى ولا المجد ولا غيرهما وانما قالوا فى مصدر ساق سوقا وسياقة ومساقا فينظر سند المصنف (الطست من هنالك وكونه كان من ذهب دال على ترفيع المقام) أى اعلائه (فانتفى التعارض بدليل ما قررنا انتهى) جواب ابن أبى جمرة وهو مشتمل على جوابين أحدهما مسلم وهو الاول (و) الثانى (تعقبه الحافظ ابن حجر بأنه لا يكفى أن يقال ان المستعمل له ممن لم يحرم عليه ذلك من الملائكة لانه اذا كان قد حرم عليه استعماله لتنزه أن يستعمله غيره فى أمر يتعلق ببدنه المكرم) لانه صين عما يخالف شرعه حتى قبل النبوة (ويمكن أن يقال) فى الجواب (ان تحريم استعماله مخصوص بأحوال الدنيا

وما وقع تلك الليلة كان الغالب انه من أحوال الغيب) ما غاب عن مشاهدة الناس (فيلحق بأحوال الآخرة) وهذا استفاد من الجواب الاول لابن أبى جمرة فأشار الى توافقهما عليه والحافظ لم ينقل كلامه اتما قال (ولعل ذلك كان قبل ان يحرم الذهب فى هذه الشريعة) ولا يكفى ان يقال الخ ماذكرا المصنف فقوله ولعل جواب مستقل فهى ثلاثة وقال أعنى الحافظ فى اول كلامه خص الذهب لكونه أعلى الاوانى الحسنة واصفاها ولان فيه خواص ليست لغيره ووصل هذا بقوله (ويظهر) لها (ههنا مناسبات) للناظر فى المقام لا من خصوص ما قدمه (منها انه من أوانى الجنة) كما قال تعالى يطاف عليهم بصحاف من ذهب (ومنها انه لا تأكله النار) وكذلك القرآن لا تأكله النار ولا قلبا وعاه ولا بدنا عمل به يوم القيامة ففيه مناسبة له (ولا التراب) لا يأكله ولا يغيره وكذلك القرآن لا يستطاع تغييره كذا فى الروض (ومنها انه لا يلحقه الصدأ) بفتح المهملتين مهموز (ومنها انه اثقل الجواهر فناسب قلبه عليه الصلاة والسلام لانه من أوانى أحوال الجنة) أى من الاوانى التى تستعمل فى الاحوال التى تقع فى الجنة ويحتاج الى اناء وعبارة الحافظ ومنها انه اثقل الجواهر فناسب ثقل الوحى ولا تأكله النار ولا التراب كما قال صلى الله عليه وسلم ان الله حرم على الارض ان تأكل أجساد الانبياء ولا يلحقه الصدأ بخلاف غيره كما قال ان القلوب لتصدأ (وانه اثقل من كل قلب عدل به وفيه مناسبة اخرى وهو ثقل الوحى فيه انتهى) كلام الحافظ (قال قوله ولعل ذلك قبل ان يحرم استعمال الذهب فى هذه الشريعة) يشعر انه لم يطلع فيه على شئ واتما ترجاه من نفسه وينافيه انه (قد جزم هو فى اول الصلاة من كتابه فتح البارى بأن تحريم الذهب اتما وقع بالمدينة) حيث قال أبعد من استدل به أى حديث المعراج على جواز تحلية المصحف وغيره بالذهب لان المستعمل له الملك فيحتاج الى ثبوت كونهم مكلفين بما كلفنا به ووراء ذلك ان ذلك كان على أصل الاباحة لان تحريم الذهب اتما وقع بالمدينة كما سيأتى واضحا فى اللباس انتهى (وقال السهيلى) تلميذه (ابن دحية ان نظر الى لفظ الذهب ناسب من جهة اذهابه الرجس) الاثم والسوء عنه (ولكونه وقع عند الذهاب الى ربه وان نظر الى معناه فلوضاءته ونقائه وصفائه) ولثقله ورزوبته والوحى ثقيل قال الله تعالى انا سنلقى عليك قولا ثقيلا ومن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ولانه أعز الاشياء فى الدنيا والقرآن هو الكتاب العزيز انتهى كلام السهيلى بهذا الذى زدته زاد ابن دحية ولانه رأس الايمان وقيمة المتلفات فهو اذا أصل الدنيا والايمان أصل الدين فوقع التنبيه على أن أصل الدنيا آلة لاصل الدين وخادم له ووسيلة اليه وانه اذا قضيت الحاجة منه عدل عنه قال بعض ومن المناسبات خلق سرور القلب عند رؤيته كما قال تعالى فى البقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين ويكون جعل الذهب آنية الايمان من جنس قوله الدنيا مطية الآخرة (والمراد بقوله ملئ حكمة وايمانا ان الطست جعل فيها شئ يحصل به كمال الايمان والحكمة فسمى حكمة وايمانا مجازا) وأورد السهيلى كيف يكون الايمان والحكمة فى طست من ذهب والايمان عرض من الاعراض لا يوصف بها الا محلها والذى تقوم به

ولا يجوز فيها الانتقال لانه صفة الاجسام لا الاعراض وأجاب بأنه انما عبر عما فى الطست بهما كما عبر عن اللبن الذى شربه وأعطى فضله عمر بالعلم فكان تأويل ما افرغ فى قلبه ايمانا وحكمة ولعل الذى كان فى الطست ثلجا وبردا كما فى الحديث الاول فعبر فى المرة الثانية عما يؤول اليه وعبر عنه فى الاولى بصورته التى رآها لانه كان طفلا فلما رأى الثلج فى طست الذهب اعتقده ثلجا حتى عرف تأويله بعد وفى المرة الاخرى كان نبيا فلما رأى طست الذهب مملوءة ثلجا علم التأويل لحينه أى لوقته واعتقده فى ذلك المقام حكمة وايمانا فكان لفظه فى الحديثين على حسب اعتقاده فى المقامين انتهى (و) هذا (المال) يحتمل أن يكون حقيقة وتجسيد المعانى جائز كما جاء أن سورة البقرة تجيء يوم القيامة كأنها ظلة) كما قال صلى الله عليه وسلم اقرؤا الزهراوين البقرة وآل عمران فانهما يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيايتان أو كأنهما فرقان من طير صواف الحديث رواه مسلم وأو للتنويع وتقسيم القارئين فالاول لمن قرأهما بلا فهم معناهما والثانى لمن قرأهما مع فهمه والثالث لمن ضم اليهما تعليم المستفيد وارشاد الطالب وبيان حقائقهما وكشف ما فيهما فالاول عام فى كل أحد والثانى يختص بمثل الملوك والثالث أرفع كما كان لسليمان وغمامتان بالميم وغيايتان بتحتية كل شئ أظل الانسان فوق رأسه كالسحابة وغيرها كما فى النهاية قال البيضاوى ولعله أراد ما يكون له صفاء وضوء اذ الغياية ضوء شعاع الشمس (والموت) وهو عرض يتمثل (فى صورة كبش) كما قال صلى الله عليه وسلم يؤتى بالموت كأنه كبش أملح حتى يوقف على السور بين الجنة والنار فيقال يا أهل الجنة ويا أهل النار هل تعرفون هذا فيقولون نعم هذا الموت فيضجع ويذبح فلولا ان الله قضى لاهل الجنة الحياة والبقاء لماتوا فرحا ولولا ان الله قضى لاهل النار الحياة فيها لماتوا ترحا وفى رواية فيذبح وهم ينظرون فلو أن أحدا مات فرحا لمات أهل الجنة ولو أن أحدا مات حزنا لمات أهل النار رواهما الترمذى عن أبى سعيد والقول ان الموت جسم لا يصح قال الحافظ من الاخبار الواهية فى صفة البراق ما ذكره الماوردى عن مقاتل وأورده القرطبى فى التذكرة ومن قبله الثعلبى من طريق الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس قال الموت والحياة جسمان فالموت ليس يجد ريحه شئ الا مات والحياة فرس بلقاء انثى وهى التى كان جبريل والانبياء يركبونها لا تمر بشئ ولا يجد ريحها شئ الا حيي (وكذلك وزن الاعمال وغير ذلك) من احوال الغيب (وقال البيضاوى) فى شرح المصابيح (لعل ذلك من باب التمثيل اذ تمثيل المعانى قد وقع كثيرا كما مثلت له الجنة والنار فى عرض الحائط) بضم العين أى جانبه وهذا تنظير لان الجنة والنار ليستا من المعانى التى تتنقل فى الذهن ولا صورها خارجية فلا يصح جعلهما مثالين للمعانى لكنه قصد تقريب تعقل تصور المعانى بتصوير الجنة والنار فانهما مع عظمهما صورا له فى عرض الحائط فكما وقع خرق العادة بذلك كذلك لا بعد فى تصوير المعانى بصور محسوسة خرقا للعادة (وفائدته كشف المعنوى) اظهاره وتصويره (بالمحسوس) أى تصويره بصورته للتقريب (وقال العارف ابن أبى جمرة فيه دليل على ان الايمان والحكمة جواهر محسوسات لا معانى لانه عليه السلام قال عن الطست انه أتى به

علوم الحكمة وايمانا ولا يقع الخطاب الاعلى ما يفهم ويعرف) للمخاطبين فالمتبادر منه انها جواهر (والمعانى ليس لها أجسام حتى تملأ) الطست (وانما يملأ الاناء بالاجسام والجواهر) لا بالاعراض (وهذا نص من الشارع عليه الصلاة والسلام بضد ما ذهب اليه المتكلمون في قولهم ان الايمان والحكمة اعراض والجمع بين الحديث) المذكور الدال على انها جواهر قائمة بأنفسها (وما ذهبوا اليه) من انها اعراض تقوم بغيرها لا بأنفسها (هو أن حقيقة اعيان المخلوقات التى ليس للحواس فيها ادراك ولا) ثبت (من) جهة (النبوة اخبار عن حقيقتها) فلم يخبر بها أحد من الانبياء (غير محققة وانما هو غلبة ظن لان للعقل بالاجماع من أهل العقل المؤيدين بالتوفيق حدا يقف عنده ولا يتسلط فيما عدا ذلك ولا يقدر أن يصل اليه فهذا وما اشبهه منها لانهم تكلموا على ماظهر لهم من الاعراض الصادرة عن هذه الجواهر التى ذكرها الشارع عليه السلام في الحديث ولم يكن للعقل قدرة ان يصل الى هذه الحقيقة التى اخبر بها عليه السلام فيكون الجمع بينهما ان يقال ما قاله المتكلمون حق لانه الصادر عن الجواهر وهو الذى يدرك بالعقل والحقيقة ما ذكره عليه الصلاة والسلام في الحديث) المفيد أنها جواهر محسوسات لانه شاهدها والمتكلمون لم يشاهدوها فوقفوا على ما أدركته عقولهم (ولهذا نظائر كثيرة) واقعة (بين المتكلمين و) ناشئة عن (آثار النبوة) بأن تكلم بها الانبياء أو أخذت عما جاء عنهم (و يقع الجمع بينهما على الاسلوب الذى قررناه وما اشبهه) فيحمل كل من الكلامين المختلفين على وجه لا يخرج عن قواعد الشرع (ثم مثل) ابن أبي جمرة للنظائر (بمجيء الموت في هيئة) أى صورة (كبش أملح ثم) مثل (بالاذكار والتلاوة ثم قال لان ماظهر منها هنا) في دار الدنيا (معان وتوجد يوم القيامة جواهر محسوسات لانها توزن ولا يوزن في الميزان الا جواهر) لاستحالة وزن المعانى (قال وفي ذلك دليل لاهل الصوفة) واحدة الصوف أى القطعة منه وهم السادة الصوفية سموا بذلك للبسهم الصوف أو لصفاء قلوبهم أو لغير ذلك مما هو معلوم (وأصحاب المعاملات) وهي عند الطائفة توجه النفس الانسانى الى باطنها الذى هو الروح الروحانى والسر الربانى واستمدادها منهما ما يزيل به الحجب عنها فيحصل لها قبول المدد في ازالة كل حجاب ومنازل هذه المعاملات عشر الرعاية والمراقبة والحرمة والاخلاص والتهذيب والاستقامة والتوكل والتفويض والثقة والتسليم سميت هذه المنازل بالمعاملات لان العبد لا تصلح له المعاملة للحق حتى يتحقق بهذه المقامات كما في اللطائف وقول شيخنا هم الذين يعاملون الله تعالى بالتمادى في الطاعات واجتناب المنهيات سمى ذلك معاملة أخذا من قوله تعالى من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا قال البيضاوى اقراضه مثل لتقديم العمل الذى يطلب ثوابه أى اقراضا حسنا مقرونا بالاخلاص وطيب النفس أو مقرضا حلالا طيبا وقيل القرض الحسن المجاهدة والانفاق في سبيل الله صحيح في نفسه لكنه غير ما يعنيه الصوفية وان رجع الى بعض ما قالوا (والتحقيق القائلين بأنهم يرون قلوبهم وقلوب اخوانهم وايمانهم وايمان اخوانهم بأعين بصائرهم) جمع بصيرة وهى قوة للقلب المنور بنور القدس يرى بها حقائق الاشياء

وبواطنها بغشاوة البصر للعين يرى به صور الاشياء وظاهرها قاله ابن الكمال (جواهر محسوسات فمنهم من يعاين ايمانه مثل المصباح) أى السراج أى الفتيلة الموقودة (ومنهم من يعاينه مثل الشمعة) واحدة الشمع بفتح الميم وتسكن تخفيفا وقيل الفتح لغة العرب والسكون لغة المولدين (ومنهم من يعاينه مثل المشعل) كمقعد القنديل كما فى القاموس والمراد هنا معناه العرفى وهو الشعلة العظيمة والا ساوى المصباح ونافى قوله (وهو أقواها) أى أكثر من ضوء المصباح والشمعة (ويقولون بأنه لا يكون المحقق محققا حتى يعاين قلبه بعين بصيرته) قلبه فله عين كما ان للجسد عينا (كما يعاين كفه بعين بصره فيعرف الزيادة من النقصان) وحينئذ يكون محققا (فان قلت ما الحكمة فى شق صدره الشريف ثم ملئه) بكسر الميم وسكون اللام من عطف الاسم على الاسم هكذا فى نسخة صحيحة وهى ظاهرة وفى نسخة ثم ملئ وينبغى تأويله بالمصدر ليحصل التناسب بين المتعاطفين (ايمانا وحكمة ولم يوجد الله تعالى ذلك) المذكور من الايمان والحكمة (فيه) أى القلب (من غير أن يفعل به مافعل) من الشق قلت (أجاب العارف ابن أبى جمرة بأنه عليه السلام لما اعطى كثرة الايمان) أى خصاله وشعبه أو الاسباب المحصلة لكماله فلا يرد أن الايمان هو التصديق وهو شئ واحد لا تعدد فيه ولا تكثر وانما التكثير فى متعلقاته من صلاة وصوم ونحوهما (وقوى) بضم القاف أولى من فتحها لاحتياجه لتقدير قوى (التصديق) منه بذلك لكل ما ورد عليه من قبل الله (اذذاك) ليس هذا من الاضافة الى المفرد بل الى الجملة الاسمية أو الفعلية والتقدير اذذاك كذلك او اذ كان كذلك (اعطى برؤية شق البطن والقلب عدم الخوف فى جميع العادات الجارية بالهلاك فحصلت له عليه السلام قوة الايمان من ثلاثة أوجه بقوة التصديق) أى الحاصلة بزيادة الايمان والحكمة (وبالمشاهدة) لشق الصدر وغسل القلب (وعدم الخوف) المترتب على عدم حصول اذى له بعد فعل ما يهلك به عادة (من العادات) أى مما تجرى به العادات (المهلكات) جمع عادة وتجمع أيضا على عاد وعوائد وجعل المشاهدة وعدم الخوف من قوة الايمان بناء على انه يزيد وينقص فلا يرد أنهما خارجان عن التصديق الذى هو مسمى الايمان (فكمل له عليه الصلاة والسلام بذلك ما اريد منه من قوة الايمان بالله عز وجل وعدم الخوف مما سواه ولاجل ما اعطيه مما اشرنا اليه كان عليه السلام فى العالمين أشجعهم وأثبتهم وأعلاهم حالا ومقالا) أى قولا مصدر قال كقولا ومقالة (فى) أى فرفعة حاله وشأنه فى العالم (العلوى) بضم العين وكسرها مع سكون اللام المكان المرتفع من نسبة الكلى وهو المكان العالى من حيث هو الى جزئيه وهو ما وصل اليه تلك الليلة فانه جزئى من جزئيات مطلق المكان (كما كان كما اخبر عليه السلام ان جبريل لما وصل الى مقامه) أى جبريل المشار اليه بقوله وما منا الا له مقام معلوم وهو سدرة المنتهى التى لم يجاوزها أحد الانبياء صلى الله عليه وسلم قاله النووى (قال ها أنت وربك هذا مقامى) بفتح الميم أى موضعى (لا أتعداه فزج به فى النور زجة ولم يتوان ولم يلتفت) أى القى

نفسه بلا توقف لما عنده من الثبات وقوة القلب (فكان هنالك فى الحضرة كما أخبر عنه ربه عز وجل بقوله ما زاغ البصر) ما مال بصره صلى الله عليه وسلم عما رآه (وما طغى) ما تجاوزه بل أثبته اثباتا صحيحا متيقنا أو ما عدل من رؤية العجائب التى أمر برؤيتها وما جاوزها وما أحسن اختصار الحافظ لهذا كله بقوله فى الفتح قال ابن أبى جمرة الحكمة فى شق بطنه مع القدرة على ان يمتلئ قلبه ايمانا وحكمة بغير شق الزيادة فى قوة اليقين لانه اعطى بشق بطنه وعدم تأثره بذلك ما امن معه من جميع المخاوف العادية فلذا كان أشجع الناس وأعلاهم حالا ومقالا ولذلك وصف بقوله تعالى ما زاغ البصر وما طغى (وأما حاله عليه السلام فى هذا العالم فكان اذا حمى الوطيس) التنور أى اشتد الحرب كما فسر به حديث الآن حمى الوطيس فالاولى اسقاط قوله (فى الحرب اللهم الا ان يجرد عن معناه بأن يقال المعنى اذا اشتد الامر (ركض بغلته) أى ضربها لتعدو (فى نحر العدو) أى صدورهم فلا يهاب أحدا منهم ولا يمنعه من ذلك كثرتهم ولا شدتهم فى الحرب (وهم شاكون) أى داخلون (فى سلاحهم) دروعا وغيرها فهى محيطة بكل بدنهم وفيه مسامحة اذ لا يتأتى أن تكون الاسلحة لهم غير الدروع ظروفا فالظرفية اعتبارية فيه كما فى جذوع النخل بالغ فى جعل السلاح ظرفا لهم كأنهم لشدة تمكنهم منها واستيلائهم عليها ظروفون فيها (ويقول أنا النبى لا كذب) لان صفة النبوة يستحيل معها الكذب فكأنه قال أنا النبى والنبى لا يكذب فلست بكاذب (أنا ابن عبد المطلب) فركوبه البغلة مزيد ثبات لانها ليست من مراكب الحرب بل الامن فالحرب عنده كالسلم وكذا اشهار نفسه مبالغة فى الشجاعة وعدم المبالاة بالعدو ومر بسط هذا فى حنين (ثم ان فى العناية) أى الاهتمام (بتطهير قلبه المقدس وافراغ الايمان والحكمة فيه اشارة الى مذهب أهل السنة فى ان محل العقل ونحوه من أسباب الادراكات كالنظر والفكر انما هو القلب لا الدماغ خلافا للمعتزلة والفلاسفة) وبعض أهل السنة كالحنفية وعبد الملك بن الماجشون من المالكية لكن مذهب الاكثرين ظاهر على اثبات القوى الباطنية ولم يقولوا بها فوصفها بأن لها محلا تسمح والمراد أنه جعل للقلب حالة يدرك بها الامور المعقولة وفى قوله من أسباب الادراك اشعار بأن المدرك هو العقل وما عداه طريق لادراكه وفى العقل تعاريف نقل المجد منها جملة وقد نقل كلامه المصنف فى الفصل الثانى من المقصد الثالث (وأما الحكمة فى غسل قلبه المقدس عليه الصلاة والسلام) كما مر فى رواية البخارى ففرج صدرى ثم غسله بماء زمزم (فقيل لان ماء زمزم يقوى القلب ويسكن الروع) بالفتح الفزع (قال الحافظ الزين العراقى ولذلك غسل قلبه عليه السلام ليلة الاسراء ليقوى على رؤية الملكوت) باطن الملك وقال ابن أبى جمرة انما لم يغسل بماء الجنة لما اجتمع فى زمزم من كون أصل مائها من الجنة ثم استقر فى الارض فأريد بذلك بقاء بركة النبى صلى الله عليه وسلم فى الارض وقال السهيلى لما كانت زمزم حفرة جبريل روح القدس لام اسماعيل جد النبى صلى الله عليه وسلم ناسب ان يغسل عند دخوله حضرة القدس لمناجاته وقال غيره لما كان ماء زمزم

أصل حياة أبيه اسماعيل وقد وبى عليها وغسل قلبه عليه وجسده وصار هو صاحبه وصاحب البلدة المباركة ناسب أن يكون ولده الصادق المصدوق كذلك ولما فيه من الاشارة الى اختصاصه بذلك بعد وفاته فانه قد صارت الولاية اليه فى الفتح بجعل السقاية للعباس وولده وحجابة البيت لعثمان بن شيبة وعقبة الى يوم القيامة (واستدل شيخ الاسلام السراج البلقينى بغسل قلبه الشريف به) بماء زمزم (على انه أفضل من ماء الكوثر قال لانه لم يغسل قلبه المكرم الا بأفضل المياه) وتوقف السيوطى فيه بأن كونه لا يغسل الا بأفضل المياه مسلم ولكن بأفضل مياه الدنيا اذ الكوثر من متعلقات دار البقاء فلا يستعمل فى دار الفناء ولا يشكل بكون الطست الذى غسل منه صدره صلى الله عليه وسلم من الجنة لان استعمال هذا ليس فيه ذهاب عين بخلاف ذاك وأجاب فى الايعاب بأنه اذا سلم انه لا يغسل الا بأفضل المياه لزمه تسليم قول البلقينى وتخصيصه بأفضل مياه الدنيا لما ذكره لا دليل عليه وكون ماء الكوثر من الجنة لا يقتضى عدم الغسل به لان المناسب لحاله صلى الله عليه وسلم ان يستعمل له الافضل مطلقا لا بالنسبة لدار الدنيا اذ الاصل فى الافضل على الاطلاق ان لا يستعمل له الا الافضل كذلك والفرق بينه وبين الطست بما ذكره لا تأثير له لان ذلك الوقت وقت اظهار كرامته وخرق العادة له والاسلوم استعمال الذهب فلما جاز علمنا ان القصد به خرق العادة لمزيد اظهار الكرامة وهذا مقتض لاستعمال ماء الكوثر لو كان أفضل فلما نزل الى ماء زمزم اقتضى ذلك بقرينة المقام انه أفضل منه قال وبهذا يرد على من نازع البلقينى أيضا يعنى السيوطى بخبر لقاب قوس أحدكم فى الجنة خير من الدنيا وما فيها وأجاب عن الغسل به دون مائها بأنه قد ألفه ونشأ عليه بجده اسماعيل اذ هو أول ما نبع بمكة لاجله ووجه رده ان الخبر مخصوص والالفة لا تقتضى ماذكر سيما فى مقام اظهار شرفه ونازعه أيضا بأن حكمة الغسل به قول الزين العراقى انه يقوى به على رؤية الملكوت لان من خواصه انه يقوى القلب ويسكن الروع فاذا ثبت هذا لم يكن فى الغسل به دلالة على أفضليته لان سلب هذا المعنى عن ماء الكوثر لا يقتضى ان ماء زمزم أفضل منه لان سبب انتفائه عنه انه من مياه الجنة وهى لا روع فيها حتى يحتاج لسلبه فسلبه عنه لعدم المحل القابل لا لعجز الفاعل وبأن الكوثر مما من الله به على نبيه وأنزل فيه القرآن وزمزم من عطاء اسماعيل ولم ينزل فيها ما نزل من القرآن فيه ومن خصوصياته ان من شرب منه شربة لا يظمأ بعدها أبدا وغير ذلك انتهى ووجه رده ان ما ذكر من الحكمة لم يثبت على انه يكفى فى تقوية قلبه وتسكين روعه ما وقع له من تكرر شق الصدر والمنبئ عن بلوغه فى قوة القلب وسكون الروع الى الغاية القصوى فلا يحتاج لشئ آخر وعلى التنزل فكونه غسل به لاجل ذلك لا يقتضى انه غسل به لذلك بل يحتمل انه لذلك ولاظهار شرفه فالامر ان يحتمل انهما مقصودان فما الدليل على قصره على احدهما وكون الكوثر مما من الله به على نبينا بخلاف زمزم لا يكون صريحا فى الافضلية وماذكر فيه من الخصوصية ورد فى زمزم اعظم منه وهو أن من شرب منها للامن من العطش يوم القيامة اعطيه كما يصرح به الحديث الصحيح خلافا لمن نازع فيه ماء زمزم لما شرب له وقول ابن الرفعة والماء النابع من بين أصابعه

صلى الله عليه وسلم اشرف المياه لا يرد على البلقينى لان قوله الا بأفضل المياه أى الموجودة اذ ذاك والنابع لم يكن موجودا اذ ذاك ولا يرد على ابن الرفعة الحديث الصحيح خيرما على وجه الارض ماء زمزم لان ماتبع من أصابعه لم يكن موجودا عند قوله ذلك انتهى (واليه يومئ قول العارف ابن أبى جمرة فى كتابه بهجة النفوس) اسم شرحه على الاحاديث التى انتقاها من البخارى (وأما قوله عليه السلام فغسل صدرى فالظاهر أن المراد به القلب كما فى الرواية الاخرى) فى البخارى عن مالك بن صعصعة فغسل قلبى وفى رواية مسلم فاستخرج قلبى فغسل بماء زمزم (وقد يحتمل ان تحمل كل رواية على ظاهرها ويقع) أى يحصل (الجمع) بينهما (بأن يقال اخبر عليه السلام مرة بغسل صدره الشريف ولم يتعرض لذكر قلبه وأخبر مرة اخرى بغسل قلبه ولم يتعرض لذكر صدره فيكون الغسل قد حصل فيهما) مرة للقلب بعد اخراجه ومرة لصدره بعد شقه (معا مبالغة فى تنظيف المحل المقدس ولا شك ان المحل الشريف كان طاهرا مطهرا وقابلا لجميع ما يلقى اليه من الخير) ومنه الايمان والحكمة (وقد غسل اولا وهو عليه السلام طفل وأخرج من قلبه نزغة الشيطان وانما كان ذلك اعظاما وتأهبا لما يلقى هنالك) لا لازالة أمر مستقذر فيه لكمال خلقه والعلقة التى اخرجت منه لم يكن للشيطان عليها ولم تخرج سبيل وانما قصد باخراجها المبالغة فى اظهار تعظيمه وتكميله من بين افراد أنواعه (وقد جرت الحكمة بذلك فى غير موضع) وفى نسخة بزيادة ما للتأكيد (مثل الوضوء للصلاة لمن كان متنظفا) ولو نظافة حسية بان غسل بدنه وبالغ فى تنظيفه ولم يأت بأفعال الوضوء على الوجه المعتبر فيه شرعا (لان الوضوء) الشرعى (فى حقه انما هو اعظام وتأهب للوقوف بين يدى الله تعالى ومناجاته) لان المصلى يناجى ربه والقصد بالوضوء اعظامه اذ ليس ثم دنس محسوس يزيله الوضوء ولا ينافى هذا قول الفقهاء ان الحدث أمر اعتبارى يقوم بالاعضاء يمنع صحة الصلاة حيث لا مرخص لجواز أنهم أرادوا بالاعتبارى معنى اراده الشارع منافيا لكمال التعظيم مع خلو الاعضاء من الدنس الحسى (فكذلك غسل جوفه الشريف هنا) ليس لعدم القابل بل للاعظام والتأهب للمناجاة (وقد قال الله تعالى ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب) أى فان تعظيمها منشأ من افعال ذوى تقوى القلوب فحذفت هذه المضافات والعائد الى من وذكر القلوب لانها منشأ التقوى والفجور والآمرة بهما قاله البيضاوى (فكان الغسل له عليه السلام من تعظيم شعائر الله واشارة لامته بالفعل) من الملك معه بتعظيم شعائر الله (كما نص عليه بالقول) فى الآية المذكورة (واما قوله ثم اتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار أبيض) ذكر باعتبار أنه مركوب أو نظرا للفظ البراق (يضع خطوه عند أقصى طرفه) براء ساكنة وفاء أى نظره (فحملت عليه فانطلق بى جبريل حتى أتى السماء الدنيا وفى رواية عنده) أى البخارى فى الصلاة (ثم اخذ بيدى فعرج بى السماء فظاهره انه استمر على البراق حتى عرج الى السماء) وهذا الظاهر ليس بمراد لما ثبت انه ربط البراق ببيت المقدس ورقى السماء على المعراج كما يأتى بيانه ومشى على ظاهره ابن أبى جمرة فى قوله والقدرة كانت صالحة لان يصعد بنفسه من غير براق لكن ركوب البراق كان

زيادة فى تشريفه لانه لوصعد بنفسه كان فى صورة ماش والراكب أعز من الماشى (قال العارف ابن أبى جمرة) عقب هذا (أفاد ذلك انهم كانوا يمشون فى الهواء وقد جرت العادة بأن البشر لا يمشى فى الهواء سيما وكان راكبا على دابة من ذوات الاربع) يعنى البراق (لكن لما ان شاءت القدرة ذلك كان) أى شاء ذو القدرة ففيه مضاف أو مصدر بمعنى اسم الفاعل أى القادر وأنث الفعل نظرا للفظ فلا يرد أن القدرة صفة لا تنسب اليها المشيئة وانما تنسب لله تعالى (فكما بسط تعالى لهم الارض يمشون عليها كذلك يمشيهم فى الهواء كل ذلك بيد قدرته لا ترتبط قدرته تعالى بعادة جارية) أى لا يتوقف تأثيرها على موافقة عادة بل تؤثر فى كل ممكن أراد تأثيرها فيه وان خالف العادة (وقد سئل عليه السلام حين اخبر عن الاشقياء) الكفار (الذين يمشون على وجوههم يوم القيامة كيف يمشون فقال عليه السلام) ان (الذى أمشاهم فى الدنيا على أقدامهم) فى رواية على أرجلهم (قادر على ان يمشيهم يوم القيامة على وجوههم) والحديث فى الصحيحين عن أنس (انتهى) كلام ابن أبى جمرة (وقد استدل بعضهم بهذا الحديث على ان المعراج كان فى ليلة غير ليلة الاسراء الى بيت المقدس لكون الاسراء اليه لم يذكر هنا) اذ ظاهر قوله فانطلق بى جبريل حتى أتى السماء الدنيا انه استقر سائرا به اليها ثم الى حيث شاء الله ولم ينزل بيت المقدس (وأما المعراج فى غير هذه الرواية من الاخبار) ما يدل على (انه لم يكن على البراق بل رقى فى المعراج وهو السلم كما وقع التصريح به فى حديث عند ابن اسحاق والبيهقى فى الدلائل) النبوية من حديث أبى سعيد (كما سيأتى ان شاء الله تعالى) قريبا (ويمكن ان يقال) فى الجمع (ما) الذى (وقع هنا اختصار من الراوى) فيرد ما هنا الى تلك الرواية كان يقال قوله حتى أتى السماء الدنيا ذكر غاية ما وصل به جبريل ولم ينظر لتفاصيل ما دون ذلك (والاتيان بثم المقتضية للتراخى لا ينافى وقوع الاسراء بين الامرين المذكورين وهما الانطلاق) المذكور فى قوله فانطلق بى جبريل (والعروج) المذكور بقوله حتى أتى السماء وفى نسخة الاطباق بكسر الهمزة فطاء ساكنة فموحدة ثم قاف أى اطباق صدره كما كان وفيه تعسف (وحاصله) أى هذا الجمع (ان بعض الرواة ذكر ما لم يذكره الآخر) وقال النعمانى ما المانع من انه صلى الله عليه وسلم رقى المعراج فوق ظهر البراق لظاهر الحديث انتهى والمانع موجود وهو أحاديث ربطه البراق بالحلقة كما يأتى (وثابت البنانى) بضم الموحدة وبالنون (قد حفظ الحديث ففى روايته عند مسلم) عن أنس (انه أتى الى بيت المقدس فصلى به ثم عرج الى السماء كما سيأتى ان شاء الله تعالى) ومن قواعد المحدثين تقديم رواية من حفظ القصة وفصلها فيرد اليه رواية من أجمل أو نقص فيها (وقد قيل الحكمة فى الاسراء به راكبا مع القدرة على طى الارض له اشارة الى ان ذلك وقع تأنيسا له بالعادة) حيث اسرى به راكبا مع امكان ايصاله بلا ركوب بل لو أراد حضوره بغير شئ كان (فى مقام خرق العادة) حيث قطع تلك المسافات الكثيرة ذهابا وايابا فى أقل زمن (لان العادة جرت ان الملك اذا استدعى) أى طلب (من يختص به بعث اليه بمركوب سنى) أى شريف (يحمله عليه فى وفادته اليه) فعامله بذلك تأنيسا وتعظيما (وفى كلام بعض أهل الاشارات) أى محققى الصوفية (لما كان صلى

الله عليه وسلم ثمرة شجرة الكون) يعنون بالشجرة فى اصطلاحهم الانسان الكامل المشار اليه فى آية النور وهو الشجرة المباركة الزيتونة التى لا شرقية ولا غربية لاعتدالها بين طرفى الافراط والتفريط فى الاقوال والاحوال (ودرة صدفة الوجود وسر معنى كلمة كن) السر يعنى به حصة كل موجود من الحق بالتوجه الايجادى المنبه عليه بقوله تعالى انما أمرنا الشيء اذا أردناه أن نقول له كن فيكون فقولهم لا يحب الحق الا الحق ولا يطلب الحق الا الحق ولا يعلم الحق الا الحق انما أشاروا بذلك الى السر المصاحب من الحق الخلق على الوجه الذى عرفت فانه هو الطالب للحق والمحب له والعالم به كذا فى الاعلام باشارات أهل الالهام (ولم يكن بد) فراق ومحالة (من عرض هذه الثمرة بين يدى مثمرها ورفعها الى حضرة قدسه والطواف) الدوران (بها على ندمان حضرته أرسل اليه) جبريل (اعز خدام الملك) بكسر اللام سبحانه (عليه فلما ورد عليه قادما وافاه على فراشه نائما فقال) بلسان الحال (قم يا نائم فقد هيئت لك الغنائم) جمع غنيمة (فقال) بلسان حاله (يا جبريل الى أين فقال يا محمد ارفع الاين من البين انما أنا رسول القدم) أى الذى القدم وهو الحق تعالى (ارسلت اليك لا كون من جملة الخدم يا محمد أنت مراد الارادة) المراد عبارة عن المجذوب عن ارادته مع تهيؤ الامور له فجاوز الرسوم كلها والمقامات من غير مكابدة وهز اهزو هذا مراد شيخ الاسلام أبى اسماعيل الانصارى بقوله المراد هو المختطف من وادى التفرق الى ربوة الجمع وهذا هو الانسان الذى اجتباه الحق واستخلصه (الكل) أى كل المخلوقات (مراد لاجلك) كما قال تعالى لآدم لولا محمد ما خلقتك رواه الحاكم مرفوعا وروى أبو الشيخ والحاكم وصححه عن ابن عباس أوحى الله الى عيسى آمن بمحمد ومر أمتك أن يؤمنوا به فلولا محمد ما خلقت آدم ولا الجنة ولا النار وذكر ابن سبع وغيره عن على ان الله قال لنبيه من أجلك اسطح البطحاء وأموج الموج وارفع السماء واجعل الثواب والعقاب (وأنت مراد لاجله أنت صفوة كاس المحبة أنت درة هذه الصدفة أنت شمس المعارف) هى فى اصطلاح القوم عبارة عن احاطة العبد بعينه وادراك ماله وعليه كما قال الامام الجنيد ان تعرف مالك وماله (أنت بدر اللطائف) جمع لطيفة وهى كل اشارة دقيقة المعنى تلوح فى الفهم لا تسعها العبارة (ما مهدت الدار الا لاجلك ما حى ذلك الحمى الا لوصلك ما روق كاس المحبة الا لشربك) فسر شيخ الاسلام الهروى فى منازل السائرين المحبة بانها تعلق القلب بين الهمة والانس فى البذل والمنع أى بذل النفس للمحبوب ومنع القلب من التعرض الى ماسواه وانما يكون ذلك باقرار المحب لمحبوبه بالتوجه اليه والاعراض عما عداه وذلك عند ما ينسى أوصاف نفسه فى ذكر محاسن حبه فتذهب ملاحظته التنويه والى هذا المعنى أشار القائل بقوله

شاهدته وذهلت عن غيرة * منى عليه فذا المثنى مفرد

وانما كانت المحبة حالة بين الهمة والانس كما أشار اليه الشيخ لان المحب لما كان أشد الراغبين طلبا صارت الهمة من جملة أوصافه اذ المراد بالهمة شدة طلب القلب للحق طلبا خالصا عن رغبة فى ثواب أو رهبة من عقاب ولما كان الطلب بالهمة قد يعرى عن الانس

ومن شرط المحب كونه مستأنسا بمحاسن محبوبه مستغرقا وجب أن يكون المحب موصوفا
بالانس فلذا اكتنفت المحبة بالهمة والانس (فقال عليه السلام) بلسان الحال (يا جبريل
فالكريم يدعونى اليه فما الذى يفعل قال ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر) أى يستر
الذنب عنك فلا تلابسه (قال يا جبريل هذا لى فما لعيالى) أمتى (وأطفالى) أصحابى
وآلى (قال ولسوف يعطيك ربك فترضى) فقال صلى الله عليه وسلم اذن لا أرضى وواحد
من أمتى فى النار روى البيهقى عن ابن عباس فى هذه الآية قال رضاه ان يدخل أمته كلهم
الجنة وفى مسلم عن ابن عمر انه صلى الله عليه وسلم تلا قول الله عن ابراهيم فمن تبعنى فانه منى
وعن عيسى ان تعذبهم فانهم عبادك ثم رفع يديه فقال اللهم أمتى وبكى فقال الله يا جبريل
اذهب الى محمد فقل له انا سنرضيك فى أمتك ولا نسوءك (قال الآن طاب قلبى) انتهى كذا
(ها أنا ذاهب الى ربى ثم قال جبريل يا محمد امض بى اليك الاسلام لأكون خادم دولتك
وحاجب حاشيتك) جانبك قال المصباح حاشية الثوب جانبه والجمع الحواشى وحاشية
النسب كأنه مأخوذ منه وهو الذى يكون على جانبيه كالعم وابنه (وحامل غاشيتك) بغين
وشين معجمتين اسم لشئ نفيس يحمل امام الاكابر ويمشى به بين يديهم عرفا والغشاء
فى الاصل الغطاء وزنا ومعنى (ورحب بالمركوب اليك لاظهار كرامتك لان من عادة الملوك
اذا استزاروا حبيبا) طلبوا زيارته (أو استدعوا قريبا وأرادوا ظهور كرامته واحترامه
أرسلوا أخص خدامهم وأعز قوامهم لنقل أقدامهم) أى الذين أرسل اليهم وجمعه حملا
على ان المراد بالحبيب الجنس الصادق بالواحد والمتعدد (فجئناك على رسم عادة الملوك)
تأنيسا بالعادة (وآداب السلوك) وهو فى اصطلاح الطائفة عبارة عن الترقى
فى مقامات القرب الى حضرات الرب فعلا وحالا وذلك بأن يتحد باطن الانسان وظاهره فيما
هو بصدده مما يتكلفه من فنون المجاهدات وما يقاسيه من مشاق المكابدات بحيث لا يجد
فى نفسه حرجا من ذلك (ومن اعتقد انه يصل اليه بالخطا) بالضم جمع خطوة ما بين القدمين
(فقد وقع فى الخطا) بالفتح خلاف الصواب (ومن ظن انه محجوب بالغطاء) بغين
معجمة (فقد حرم العطاء انتهى والحكمة فى كون البراق) الذى أعد له وتعلق علمه تعالى
بأنه سيسرى به عليه (دابة دون البغل وفوق الحمار أبيض) أو فيه حذف أى الحكمة
فى المجىء له بالبراق الموصوف بما ذكر فلا يرد أنه ليس المراد بيان حكمة خلق البراق على هذه
الصورة فحق العبارة الحكمة فى المجىء له بالبراق دون فرس مثلا (ولم يكن على شكل
الفرس) التى هى أشرف الدواب المركوبة (اشارة) خبر الحكمة (الى أن الركوب كان
فى سلم وأمن لا فى حرب وخوف) فان الحرب هى التى يعتد لها بنحو الفرس وصورة البراق
لم يعهد عليه قتال البتة (أو لاظهار المعجزة) أى المبالغة فى اظهارها (بوقوع
الاسراع الشديد بدابة لا توصف بذلك فى العادة) لكن البياض لا دخل له فى الحكمتين
فلعل ذكره لبيان الواقع أو لاظهار السرور لان البياض يختار عادة لاظهاره (وذكره بقوله
أبيض باعتبار كونه مركوبا أو عطفا) لغويا أى ميلا يقال عطفت على كذا ملت له (على لفظ
البراق) وعلى بمعنى الى ولفظ الفتح أو بالنظر للفظ البراق (واختلف فى) اشتقاق

(تسميته

(تسميته بذلك) لقوله الآتي ويحتمل أن لا يكون مشتقا (فقيل) مشتق (من البريق) اللمعان أي سمي بذلك للمعان بدنه لصفاء بياضه (وقال القاضي عياض لكونه ذا لونين يقال شاة برقاء اذا كان في خلال صوفها الابيض طاقات سود) قال الحافظ ولا ينافيه وصفه في الحديث بأنه أبيض لان البرقاء من الغنم معدودة في البيض انتهى ولكن اعترض بأن هذا الوصف لم يثبت للبراق وما يأتي ان صدره ياقوتة حمراء ضعيف (وقيل) مشتق (من البرق) ما يلمع من السحاب (لانه وصف بسرعة السير) فاشبه البرق في سيره (ويحتمل أن لا يكون مشتقا) فلا يلاحظ في تسميته أخذه من مادة أصلا وانما هو اسم له (ووصفه بانه يضع خطوه عند أقصى طرفه) بسكون الراء وبالفاء أي نظره (أي يضع رجله) بيان للمراد بخطوه فليس المراد نفس المصدر (عند منتهى ما يرى بصره) فالطرف بمعنى البصر فقوله عند أقصى طرفه أي في المكان الذي هو غاية منتهى ما يصل اليه بصره (وقال ابن المنير يقطع ما انتهى اليه بصره في خطوة واحدة قال فعلى هذا يكون قطع من الارض الى السماء في خطوة واحدة لان بصر الذي في الارض يقع على السماء فبلغ أعلى السموات في سبع خطوات) اخبار عما وصف به في حالة عروجه لانه يرى كل سماء وهو فيما دونها انتهى كلام ابن المنير وهو مبني على انه عرج به على البراق أخذا بظاهر الحديث والصحيح خلافه (وفي حديث ابن مسعود عند أبي يعلى والبزار كما أفاده في الفتح ما لفظه اذا أتى) بمعنى أقبل (على جبل ارتفعت رجلاه واذا هبط ارتفعت يداه) فلا مشقة على راكبه في صعود ولا هبوط (وفي رواية لابن سعد) محمد (عن الواقدي) محمد بن عمر بن واقد (بأسانيده له جناحان قال الحافظ ابن حجر ولم أرها لغيره) وهو عجيب مع قول الشامي قوله له جناحان في فخذيه يحفز بهما رواه ابن اسحاق وابن جرير وابن المنذر عن الحسن البصري مرسلا ورواه ابن سعد من طريق الواقدي وابن عساكر من حديث جماعة من الصحابة ويحفز بفتح التحتية وسكون المهملة وكسر الفاء فزاي يحث بهما رجليه على سرعة السير قال ابن الاثير الحفز الحث والاعجال ولعل سر كونهما في فخذيه لثقل مؤخر الدابة أو لان ذلك جار على هذا الامر في خرق العادة أو لانهما لو كانا في جنبيه على العادة لكانا تحت فخذي الراكب أو فوقهما ويحصل له مشقة بضمهما ونشرهما خصوصا مع السرعة العظيمة انتهى (وعند الثعلبي بسند ضعيف عن ابن عباس في صفة البراق لها خد كخد انسان وعرف) بضم المهملة واسكان الراء وقد تضم وبالفاء (كعرف الفرس) وهو شعره النابت في محدب رقبته (وقوائم كالابل) أي كقوائمها (واظلاف) بمعجمة جمع ظلف بالكسر للبقرة والشاة بمنزلة القدم لنا (وذنب كالبقر) عائد لهما أي لها اظلاف كالبقر وذنب كالبقر (وكان صدره ياقوتة حمراء) تشبيه بليغ أي كياقوتة لا ان ذاته ياقوتة بالفعل هذا ان قرئ كان بالفعل فان قرئ بالتشديد والهمز فهو تشبيه حقيق لكن ظاهر السياق الاول (وفي رواية أبي سعد) هكذا في نسخة صحيحة باداة الكنية واسكان العين واسمه عبد الرحمن ابن الحسن الاصفهاني النيسابوري الحافظ المشهور الثقة المتوفى سنة سبع وثلثمائة وقد وصفه الذهبي في تاريخه بالحافظ وأغفله من طبقات الحفاظ والسهيلي يكنيه أبا سعيد

بالياء ورده مغلطاى بانه انما هو سعد بسكون العين و يقع فى نسخ ابن سعد وهى خطأ لقوله (فى شرف المصطفى) اذ هذا الكتاب انما هو لابى سعد عبد الرحمن لا لابن سعد محمد والذى فى الفتح وغيره أبى سعد (فكان الذى أمسك بركابه جبريل و بزمام) بكسر الزاى مقود (البراق ميكائيل) ولا ينافى ذلك ان جبريل كان راكبا معه كما يأتى لانه أمسك ركابه حتى ركب فركب امامه ثم يعارضه رواية وجبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره رواه سعيد بن منصور والطبرانى وابن مردويه فانه ظاهر فى عدم الركوب الا أن يكون ذلك اخبارا عن مبدأ سيره ثم ركب جبريل قدامه رفقا به والعلم لله (وفى رواية معمر عن قتادة عن أنس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بالبراق ليلة أسرى به مسرجا ملجما) حال الان من البراق (فاستصعب عليه) أى عسر وامتنع (فقال له جبريل ما حملك على هذا) يعنى أى شئ اغراك بهذا أى ما منعك من الانقياد له مع انه أعظم من يستحق غاية التعظيم لانه (ما ركبك خلق) أى مخلوق (اكرم على الله منه) بل هو اكرم من ركبك على مفاد النفى عرفا وان صدق لغة بالمساواة (قال فارفض) سال وجرى (عرقا) منصوب على التمييز من الفاعل ولهذا اورد مخففا والمعنى خجل من الاستصعاب وعرق من خجل العتاب قاله فى الآيات الباهرة (أخرجه الترمذى وقال حسن غريب وصححه ابن حبان) من حديث أنس وأخرجه أبو داود والطبرانى والبيهقى وصححه من حديث شداد بن أوس (وذكر ابن اسحاق) حيث قال حدثت (عن قتادة انه لما شمس) بفتح المعجمة والميم فسين مهملة أى منع ظهره من ركوبه باامتناعه (وضع جبريل عليه السلام يده على معرفته) بفتح فسكون ففتح موضع نبات العرف أى الشعر النابت على عنقه (وقال اما تستحى وذكر نحوه) فقال اما تستحى يا براق مما تصنع فوالله ما ركبك عبد لله قبل محمد اكرم عليه منه فاستحيا حتى ارفض عرقا ثم قر حتى ركبته (لكنه مرسل لانه لم يذكر انسا) انما قال قتادة حدثت عن رسول الله قال لما دنوت منه لاركبه شمس فذكره (وفى رواية وثيمة) بمثلثة وتحتية وميم (عند ابن اسحاق نعست) الدابة كذا فى النسخ وهو تصحيف فالذى فى الفتح وغيره فارتعشت (حتى لصقت بالارض فاستويت عليها وفى رواية للنسائى وابن مردويه) بفتح الميم ويكسر كما مر (من طريق يزيد) بتحتية فزاى (ابن أبى مالك) عبد الرحمن الهمدانى بالسكون الدمشقى القاضى صدوق ربما وهم مات سنة ثلاثين ومائة أو بعدها روى له أبو داود والنسائى وابن ماجه (عن أنس نحوه موصولا وزاد وكانت تسخر للانبياء قبله ونحوه فى حديث أبى سعيد الخدرى عند ابن اسحاق) محمد صاحب السيرة (وفيه دلالة على ان البراق كان معدا لركوب الانبياء خلافا لمن نفى ذلك كابن دحية واول قول جبريل فما ركبك أكرم على الله منه أى ما ركبك أحد قط فكيف يركبك اكرم منه) فيكون من نفى الموصوف فينتفى ذلك الوصف بانتفائه وهى طريقة معلومة خرجوا عليها قوله تعالى لا يسألون الناس الحافا أى لا سؤال فلا الحاف ولم يرد اثبات السؤال ونفى الالحاف بدليل يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف اذ التعفف لا يجامع المسألة وقوله تعالى فما تنفعهم شفاعة الشافعين أى لا شافع فلا شفاعة بغير عمد ترونها أى لا عمد فلا رؤية (فيكون مثل قول

امرئ القيس على لاحب) بمهملة وموحدة طريق واضح (لا يهتدى لمناره) أى علمه (فيفهم ان له منارا لا يهتدى له وليس المراد الا انه لا منار له البتة) فالمراد نفي المنار من أصله لا اثبات منار انتفى عنه الاهتداء (فتأمله) لان شرط التخريج على هذا اذا وجد مايدل عليه وليس كذلك هنا كيف (وقد جزم السهيلى بأن البراق انما استصعب عليه لبعد ركوب الانبياء قبله) فصرح بأنه ليس خاصا به وهو من الحفاظ الكبار وهو مثبت فيقدم على نفى تلميذه ابن دحية وان وافقه ما (قال النووى قال صاحب مختصر العين) الزبيدى (وتبعه صاحب التحرير كان الانبياء يركبون البراق قال) النووى متعقبا لهما (وهذا يحتاج الى نقل صحيح انتهى وتقدم النقل بذلك) قريبا (قال فى الفتح ويؤيده ظاهر قوله فربطته) أى شددته (بالحلقة التى تربط) بكسر الباء وضمها لغة (بها الانبياء انتهى فليتأمل فانه ليس فيه فربطته بالحلقة التى تربطه بها الانبياء) بالضمير (وانما قال تربط بها الانبياء وسكت عن ذكر المربوط ماهو فيحتمل كما قال ابن المنير أن يكون غير البراق) ويصير تقديره تربط بها الانبياء دوابهم وذلك لا يستلزم كون البراق مركوبا لهم وهذا لا يرد على الحافظ لانه لم يقل يؤيده قوله انما قال ظاهر قوله ولا شك ان ظاهره ربط البراق لانه المحدث عنه واما هذا الاحتمال فبعيد وأبعد منه قوله (ويحتمل ان يريد ارتباط الانبياء أنفسهم بتلك الحلقة أى تمسكهم بها ويكون من جنس العروة الوثقى) وهو متمسك المحق من النظر الصحيح والرأى القويم كما فى البيضاوى انتهى كلام ابن المنير ثم استدرك المصنف تعقبه على الحافظ بأن الروايات يفسر بعضها بعضا فتعين ان المراد تربط بها البراق لا الدواب ولا أنفسهم فقال (لكن وقع التصريح بذلك فى حديث أبى سعيد عند البيهقى ولفظه فأوثقت) أى ربطت (دابتى بالحلقة التى كانت الانبياء تربطها فيه وقد وقع عند ابن اسحاق) فى المبتدأ (من رواية وثيمة فى ذكر الاسراء أيضا فاستصعب البراق وكانت الانبياء تركبها قبلى وكانت بعيدة العهد بركوبهم لم تكن ركبت فى الفترة) التى بينه وبين عيسى وهى ستمائة سنة على الصحيح (وفى مغازى ابن عائذ من طريق الزهرى عن سعيد ابن المسيب قال البراق هى الدابة التى كان يزور ابراهيم عليها اسماعيل) وفى أوائل الروض للسهيلى ان ابراهيم حمل هاجر على البراق لما سار الى مكة بها وبولدها وفى كتاب مكة للفاكهى والازرقى أن ابراهيم كان يحج على البراق فهذه آثار يشد بعضها بعضا وجاءت آثار أخرى تشهد لذلك لم أر الاطالة بايرادها قاله الحافظ (وعلى ذلك) كله (فلا يكون ركوب البراق من خصائصه صلى الله عليه وسلم) قال النعمانى ولعل النافى ركوب غيره لم يستحضر هذه الاحاديث والآثار لانه اقتصر على الحديثين ولم أر نصا ينفى ركوب غيره من الانبياء عليه ومعارضة النص بتأويل قول جبريل فيه نظر بل ورد مايدل على ان غير الانبياء ركبه ففى أوائل روض السهيلى ان ابراهيم حمل هاجر على البراق لما سار الى مكة بها وبولدها وفيه أيضا عن الطبرى أوحى الله الى أرمياء ان اذهب الى بخت نصر فأعلمه انى قد سلطته على العرب فاحمل معدا على البراق كى لا تصيبه النقمة فانى مستخرج من صلبه نبيا كريما أختم به الرسل فحمله معه على البراق الى أرض الشام انتهى (نعم قيل ركوبه

مسرجا ملجما لم يرو لغيره من الانبياء عليهم السلام) فيحمل القول بأن ركوبه من خصائصه على ركوبه مسرجا ملجما الا مطلقا فلا ينافى ان غيره ركبه لا بهذه الصفة (فان قلت ما وجه استصعاب البراق عليه أجيب) أى أجاب ابن المنير (بأنه) أى وجهه (تنبيه) اعلام (أنه لم يذلل قبل ذلك ان قلنا انه لم يركبه أحد قبله أو لبعد العهد به ان قلنا انه ركب قبله) وهما قولان أرجحهما الثانى كما علم (ويحتمل أن يكون استصعابه تيها) بكسر الفوقية وسكون التحتية تكبرا (وزهوا) عطف تفسير ففى القاموس الزهو التيه والفخر (بركوبه صلى الله عليه وسلم وأراد جبريل) بقوله (أبمحمد تستصعب استنطاقه بلسان الحال انه لم يقصد الصعوبة وانما تاه زهوا لمكان الرسول عليه السلام منه) أى لوجوده عنده وارادته ركوبه (ولهذا قال فارفض عرقا فكأنه أجاب بلسان الحال متبريا من الاستصعاب وعرق من خجل العتاب) أى عتاب جبريل له (ومثل هذا رجفة الجبل) تحركه (به حتى قال) كما فى الصحيح عن أنس ان النبى صلى الله عليه وسلم صعد أحدا وأبو بكر وعمر وعثمان فرجف بهم فقال (اثبت أحد فانما عليك نبى وصديق) أبو بكر (وشهيدان) عمر وعثمان (فانها هزة الطرب) الفرح (لا هزة الغضب) فلذا قر الجبل وسكن (وكذا البراق لما قال له جبريل اسكن فما ركبك أحد أكرم على الله منه أقر فاستقر) سكن (وخجل من ظاهر الاستصعاب وتوجه الخطاب) اليه بالعتاب (فعرق حتى غرق) أى عمه العرق فشبه عمومه له بالغرق فى الماء (ووقع فى حديث حذيفة) بن اليمان (عند الامام احمد قال أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبراق فلم يزل على ظهره هو وجبريل حتى انتهيا الى بيت المقدس وهذا لم يسنده حذيفة عن النبى صلى الله عليه وسلم فيحتمل انه قاله عن اجتهاد) ولم تبلغه الاحاديث التى فيها نزوله فى أماكن قبل بيت المقدس (ويحتمل أن يكون قوله هو وجبريل متعلقا بمرافقته فى السير لا فى الركوب) الى بيت المقدس دون نزول قبله فلا يخالفه أحاديث نزوله قبله فى أماكن (وقال ابن دحية معناه وجبريل قائد أو سائق أو دليل قال وانما جزمنا بذلك لان قصة المعراج كانت كرامة للنبى صلى الله عليه وسلم فلا مدخل لغيره فيها) وتبعه ابن المنير وغيره والتعليل لا ينهض فان من جملة كرامته اكرام صاحبه (وقد تعقب الحافظ ابن حجر) فقال يرد (التأويل المذكور بان فى صحيح ابن حبان من حديث ابن مسعود ان جبريل حمله على البراق رديفا له) أى جاعلا له خلفه (وفى رواية الحارث) بن أبى اسامة (فى مسنده) عن ابن مسعود (أتى بالبراق فركبه خلف جبريل) وكأنه لسرعة السير وكونه ليلا وكونها دابة غير مألوفة فخاف عليه لئلا ينزعج فلم يجعله امامه (فسار بهما فهذا صريح فى ركوبه معه والله أعلم انتهى) ومعلوم تقديم صريح المنقول على مقتضى المعقول (وقد وقع فى غير هذه الرواية بيان ما رآه ليلة الاسراء) قبل اتيانه بيت المقدس فلا يحسن ابقاء قول حذيفة استمرا على ظهر البراق حتى انتهيا الى بيت المقدس على ظاهره وكذا قوله فى حديث مالك بن صعصعة ثم أتيت بدابة فحملت عليها فانطلق بى جبريل حتى أتى السماء الدنيا لا يليق بقاؤه على ظاهره لانه مجمل فيقضى عليه المفصل من الاحاديث المذكور فيها ما رآه فى ذهابه وايابه وفى السموات

ولما كانت ما صيغة عموم تفيد استيعاب جميع ما رآه أتى بقوله (أتى ذلك) لافادة أنه لم يستوعب ذلك (ما وقع فى حديث شداد بن أوس عند البزار والطبرانى وصححه البيهقى فى الدلائل انه أول ما) أى شئ رأيته لما (اسرى به مر بأرض ذات نخل) فهو أول المرئيات أو سماه أول باعتبار قطع المسافة سريعا فلا يقال بين مكة ويثرب مسافة طويلة فلا يصدق الخبر على المبتدأ وهو أول فعلى هذا فالخبر جملة قوله مر الخ بتقدير انه واسمها ضمير الشأن ويجوز نصب أول على انه ظرف متعلق بمر فما مصدرية واسم ان ضمير النبى صلى الله عليه وسلم أى انه مر أول اسرائه بأرض والاولية نسبية أى انه عند المرور أول اسرائه مع تأخره لقصر مسيره فيه وقرر شيخنا ان هذا أحسن (فقال له جبريل انزل فصل) فنزل (فصلى) ثم ركب (فقال له أتدرى أين صليت) فقلت الله أعلم هكذا فى حديث شداد نفسه قبل قوله (صليت بيثرب) صليت بطيبة هكذا جمع بينهما فى حديث شداد فيثرب لانها انما كانت مشهورة بهذا الاسم فقصد اخباره بالمحل وطيبة للإشارة الى انها تسمى به بعد حلوله فيها وفى حديث أنس عند النسائى أتدرى أين صليت صليت بطيبة واليها المهاجر بفتح الجيم فجبريل تبرع باخباره بذلك بعد سؤاله هل يدرى المحل الذى صلى فيه أولا قاصدا ادخال السرور عليه ولم يسأله النبى صلى الله عليه وسلم عنه على الظاهر المتبادر (ثم مر بأرض بيضاء فقال انزل فصل فصلى) ثم ركب (فقال له جبريل) أتدرى أين صليت قال لا قال (صليت بمدين) عند شجرة موسى كما فى خبر شداد ومدين بفتح الميم والتحتية واسكان المهملة بينهما بلد بالشام تلقاء غزة سميت باسم بانيها مدين بن ابراهيم ويحتمل أن المراد بشجرة موسى الشجرة التى كلمه الله عندها لما خرج من عند شعيب بعد انقضاء الاجل قاصدا مصر فنودى منها ان ياموسى انى أنا الله رب العالمين أو المراد الشجرة التى آوى بعد سقى الغنم للمرأتين المذكورة فى قوله فسقى لهما ثم تولى الى الظل فانه كان ظل سمرة قاله ابن عطية عن ابن عباس وعلى هذا فى اطلاق مدين على بقعتها تجوز لانها بالطور وليس هو مدين لكنه اقرب منه سماه بذلك وفى حديث شداد تلو قوله عند شجرة موسى ثم ركب فانطلق البراق يهوى به ثم قال له انزل فصل ففعل ثم ركب فقال أتدرى أين صليت قال لا قال صليت بطور سيناء حيث كلم الله موسى فصرح بانه صلى فى الموضعين عند الشجرة وعند الجبل وكلمه الله عندهما معا لكن بين التكليمين لموسى مدة طويلة فالتكليم الاول الذى بقى فيه كان عمره أربعين سنة كما فى ابن عطية والثانى كان بعد غرق فرعون واستقرار الامر لموسى بعد الامر بالصوم وانقضاء مدة الوعد المذكورة فى قوله تعالى وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر (ثم مر ببيت لحم) بلام مفتوحة فمهملة ساكنة قرية من الشام تلقاء بيت المقدس والمصنف اختصر الحديث والا فلفظ حديث شداد عند من عزاه لهم عقب قوله حيث كلم الله موسى ثم بلغ أرضا بدت له قصور (فقال له جبريل انزل فصل فصلى) ثم ركب وانطلق البراق يهوى به (فقال) له جبريل أتدرى أين صليت قال لا قال (صليت) ببيت لحم (حيث ولد عيسى) بن مريم وفى حديث أنس عند البيهقى فى الدلائل (لما جاء جبريل بالبراق اليه صلى الله عليه وسلم) استصعب عليه

(فكأنها) بسبب ذلك (أصرت اذنيها) أى جمعت بينهما فهو مفرع على محذوف وأصل الصر الجمع والشد كما فى النهاية (فقال لها جبريل مه) أى انكفى عن هذا واتركيه وانقادى له (يا براق فوالله ما ركبك مثله) بكسر الكاف ليناسب أصرت وان جاز فتحها (فسار رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو بعجوز على جنب الطريق) ناحيتها سقط من البيهقى عن أنس فقالت يا محمد انظرنى اسألك فلم يلتفت اليها (فقال ما هذه يا جبريل قال سر يا محمد) أمره بالسير خشية ان يسمع سؤالها رقة عليها لسنها لما جعل الله فى قلبه من الرأفة والرحمة (فسار ما شاء الله ان يسير فاذا هو بشئ يدعوه متنحيا) من شدة الكبر (متنحيا) مصروفا مباعدا (عن الطريق يقول هلم يا محمد فقال له جبريل سر) يا محمد لئلا يرق له لسنه فيقبل عليه (و) فى حديث أنس المذكور (انه مر بجماعة) فى مسيره ذلك ولفظه وبينما هو يسير اذ لقيه خلق من خلق الله تعالى (فسلموا عليه فقالوا السلام عليك يا أول) من اسمائه صلى الله عليه وسلم لانه أول الانبياء خلقا وأول من قال بلى يوم ألست بربكم والاول عودا فهو أول من تنشق عنه الارض وأول من يدخل الجنة وأول شافع وأول مشفع (السلام عليك يا آخر) لانه آخر الانبياء بعثا (السلام عليك يا حاشر) لانه يحشر الناس على قدميه أى يقدمهم وهم خلفه أو يسبقهم فيحشر قبلهم والثلاثة من أسمائه كما مر فى مقصدها (فقال) له (جبريل اردد عليهم السلام فرد الحديث) أسقط منه ثم لقيه الثانية فقال له مثل ذلك ولقيه الثالثة فقال له مثل ذلك (وفى آخره فقال له جبريل اما العجوز التى رأيت جانب الطريق فلم يبق من الدنيا الا ما بقى من عمر تلك العجوز والذى دعاك ابليس) أراد أن تميل اليه كما فى نفس الحديث (والعجوز الدنيا) أى انها صورت له بصورة عجوز اشارة الى قرب انقضائها والا فهى نقيض الآخرة لا صورة لها يرى فيها (أما) بالتخفيف (لو أجبتها لاختارت أمتك الدنيا على الآخرة) تجعلها نصب أعينهم وعباد يهادون الله فلا يرد ان كثيرا من أمته بل أكثرهم يبتغون الدنيا ويتها لكون عليها الا انهم وان فعلوا ذلك لكن لاغراض قامت عندهم مع اعتقاد كمال قدرة الله ووحدانيته فلا يصدق عليهم اتباعهم للدنيا (واما الذين سلموا عليك فابراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام) سلموا عليه ثلاثا زيادة فى المحبة (قال الحافظ عماد الدين بن كثير فى ألفاظه) أى هذا الحديث (نكارة وغرابة) لمخالفته لما فى حديث أبى سعيد ان جبريل أجابه بقوله لو أجبتها الخ لما تمثلت بامرأة حاسرة عن ذراعيها عليها من كل زينة خلقها الله واما سيئ تمثلها بعجوز فأجابه بأنه لم يبق من الدنيا الخ ومن جهة تفرده بذكر لقائه لهؤلاء الثلاثة فى ذهابه الى بيت المقدس قبل دخوله (وفى رواية) عند أبى يعلى الموصلى عن أنس بلفظ (أنه صلى الله عليه وسلم مر بموسى عليه السلام وهو يصلى فى قبره قال أنس) راويه (ذكر كلمة فقال أشهد انك رسول الله) بيان لكلمة ويحتمل ان الكلمة غيرها وقوله أشهد الخ ناشئ عنها والحديث فى مسلم والنسائى وغيرهما عن أنس ان النبى صلى الله عليه وسلم قال مررت على موسى ليلة اسرى بى عند الكثيب الاحمر وهو قائم يصلى فى قبره وفى حديث ابن مسعود عند الحسن بن عرفة والطبرانى وأبى نعيم وغيرهم رجل طوال سبط آدم كأنه

من رجال شنوءة وهو يقول برفع صوته أكرمته وفضلته فدفعنا اليه فسلمنا عليه فرد السلام وقال من هذا معك يا جبريل قال هذا أحمد قال مرحبا بالنبي الأمي العربي الذي بلغ رسالة ربه ونصح لأمته ودعا له بالبركة وقال سل لأمتك اليسر ثم أبعدنا فقلت من هذا يا جبريل قال هذا موسى بن عمران قلت ومن يعاتب قال يعاتب ربه قلت أيرفع صوته على ربه قال ان الله قد عرف له حدته فذكر الحديث وفيه انه لقي ابراهيم في طريقه ثم دخل الاقصى وصلى بالانبياء قال النعماني وفيه غرابة (ولا مانع ان الانبياء عليهم السلام يصلون في قبورهم) الصلاة الشرعية التي كانوا يصلونها في الحياة الدنيا لانهم الى الآن في الدنيا وهي دار تعبد وقيل المراد الصلاة اللغوية أي يدعون الله ويذكرونه ويثنون عليه وجزم القرطبي بالاول لانه ظاهر الحديث (ولانهم أحياء عند ربهم يرزقون) حياة حقيقية والصلاة تستدعي جسدا حيا سواء قلنا انها الشرعية أو اللغوية ولا يلزم من كونها حقيقية أن تكون الابدان معها كما كانت في الدنيا من الاحتياج الى الطعام والشراب ونحوهما من صفات الاجسام التي نشاهدها لان ذلك عادي لا عقلي وهذه الملائكة أحياء ولا يحتاجون الى ذلك (فهم يتعبدون بما يجدون من دواعي أنفسهم) فتعبدهم بذلك لذة أي لذة (لا بما) أي شيء (يلزمون به) لانه لا تكليف بعد الموت (كما يلهم أهل الجنة الذكر) ويجدون اللذة القوية ولا تكليف في الجنة (وسيأتي في الاشارة) القليلة (الى ذلك في حجة الوداع ان شاء الله تعالى) وسبق في الخصائص بأبسط مما في الموضعين (وفي حديث أبي هريرة عند الطبراني والبزار) والبيهقي وابن جرير وأبي يعلى (انه عليه السلام مر على قوم يزرعون ويحصدون) بكسر الصاد وضمها (في يوم كلما حصدوا عاد كما كان فقال لجبريل ما هذا قال هؤلاء المجاهدون في سبيل الله تضاعف لهم الحسنة الى سبعمائة ضعف وما أنفقوا من شيء فهو يخلفه) اخبار عن حالهم ولم يقصد القرآن فلا يرد أن التلاوة وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه (وهو خير الرازقين) والمراد أن ما يتنعمون به من فواكه وغيرها اذا نفد في ذلك الوقت جيء لهم بغيره على التوالي وبذلك يتميزون عن غيرهم من أهل الجنة أو أنه اخبار بأن ما أنفقه المجاهدون يعوضون به في الدنيا سريعا ولا يؤخر ثوابهم للآخرة (ثم أتى على قوم ترضخ) أي تشدخ كما في التقريب وفي المصباح تكسر (رؤسهم بالصخر كلما رضخت عادت كما كانت ولا يفتر عنهم) بضم أوله وفتح الفاء وشد الفوقية أي لا يخفف عنهم (من ذلك) الرضخ (شيء) أو هو بفتح الياء وضم الفوقية مخففا أي لا يرتفع عنهم ذلك ولا يسهل (فقال ما هذا يا جبريل قال هؤلاء الذين تتثاقل رؤسهم عن الصلاة المكتوبة) بالتساهل فيها اما بتركها أصلا أو باخراجها عن وقتها كلا أو بعضا (ثم أتى على قوم على اقبالهم رقاع) جمع قبل كاعناق وعنق وهو من كل شيء خلاف دبره قيل سمي قبلا لان صاحبه يقابل به غيره (وعلى ادبارهم رقاع يسرحون كما تسرح الانعام) الذي في رواية البزار والبيهقي وغيرهما كما تسرح الابل والغنم (يأكلون الضريع) الشوك اليابس أو نبات أحمر منتن الريح يرمى به البحر (والزقوم) ثمر شجر كريه الطعم قيل لا يعرف في شجر الدنيا وانما هي في النار يكره أهل النار على أكلها كما قال تعالى

انها شجرة تخرج فى أصل الجحيم طلعها كأنه رؤس الشياطين وفى القاموس الزقوم كتنور لزبد بالتمر وشجرة بجهنم ونبات بالبادية له زهر ياسمينى الشكل وطعام أهل النار وأخرج ابن جرير عن قتادة قال قال أبو جهل زعم صاحبكم هذا ان فى النار شجرة والنار تأكل الشجر وانا والله مانعلم الزقوم الا التمر والزبد فأنزل الله حين عجبوا أن يكون فى النار شجرة انها شجرة تخرج فى أصل الجحيم الآية (ورضف جهنم) بفتح الراء وسكون الضاد المعجمة بعدها فاء الحجارة المحماة واحدها رضفة بسكون الضاد وتفتح (قال ماهؤلاء يا جبريل قال هؤلاء الذين لا يؤدون زكاة أموالهم وماظلمهم الله) شيئا (وما الله بظلام) أى بذى ظلم (للعبيد) فيعذبهم بلا ذنب (ثم أتى على قوم بين أيديهم لحم نضيج) مستو (فى قدر ولحم نئ) بالهمز وزان حمل كل شئ شأنه أن يعالج بطبخ أوشى ولم يطبخ فيقال لحم نئ والابدال والادغام عامى (فى قدر خبيث) بالرفع نعت لحم (فجعلوا يأكلون من النئ الخبيث ويدعون النضيج فقال ماهؤلاء يا جبريل قال جبريل هذا الرجل من أمتك تكون عنده المرأة الحلال الطيب فيأتى امرأة خبيثة فيبيت عندها حتى يصبح) ولعله قيد بأمته لان غيرهم عذابا أعظم من هذا أولان الغرض اعلامه بما أعد لمرتكبى ذلك لينكفوا عنه (والمرأة تقوم من عند زوجها حلالا طيبا فتأتى رجلا خبيثا فتبيت عنده حتى تصبح) ولعل التقييد بذلك لانه الاغلب والمراد الزنا وان لم يكن بيات حتى الصباح ويؤيده ان الحافظ اختصر الحديث بقوله قال هؤلاء الزناة (ثم أتى على رجل قد جمع حزمة) بضم فسكون ماحزم من أى شئ وفى فتح البارى حزمة حطب (عظيمة لا يستطيع حملها وهو يزيد عليها) أى يضم اليها غيرها (قال ماهذا يا جبريل قال هذا الرجل من أمتك تكون عنده) أى فى جهته (أمانات الناس لا يقدر على ادائها) أى الخروج من عهدتها فدخل فيه ماتحت يده كوديعة وماوكل على بيعه وماتحت يده من مال يتيم ونحوه وما فوض اليه كامامة وخطابة وغيرهما من المناصب الشرعية مما لا يوصف بكونه تحت يده حسا (وهو يريد أن يحمل) أى يزيد (عليها) مايحتاج الى حمله معها مع عدم قدرته على حمل الاولى (ثم أتى على قوم تقرض) تقطع (ألسنتهم وشفاههم) جمع شفة مخففة (بمقاريض) جمع مقراض بكسر الميم (من حديد كلما قرضت عادت كما كانت لا يفتر عنهم من ذلك شئ قال ماهذا يا جبريل قال هؤلاء خطباء الفتنة) أى الذين يقولون مالا يفعلون فيفتنون الناس بذلك لعدم مطابقة قولهم لفعلهم وأسقط من الرواية خطباء أمتك يقولون مالا يفعلون والمراد بالخطباء كل من تصدى لتعليم العامة ماطلب منهم ونهيهم عما نهوا عنه فدخل العالم والواعظ وغيرهما (قال ثم أتى على جحر) بضم الجيم وسكون المهملة ثقب مستدير (صغير يخرج منه ثور عظيم) بمثلثة ذكر البقر (فجعل الثور يريد أن يرجع من حيث خرج فلا يستطيع فقال ماهذا يا جبريل قال هذا الرجل يتكلم بالكلمة العظيمة) من سخط الله (ثم يندم عليها فلا يستطيع ان يردها) لعدم امكانه (ثم أتى على واد فوجد فيه ريحا طيبة باردة وريح المسك وسمع صوتا فقال ماهذا يا جبريل قال هذا صوت الجنة تقول) بلسان القال على الظاهر المتبادر ولا مانع من أن يخلق لها

ادراك ونطق (رب آتني) بالمد (بما وعدتني) بزيادة الباء في المفعول كقوله تعالى ولا تلقوا بأيديكم لان آتى يتعدى بنفسه كقوله وآتاه الله الملك (فقد كثرت غرفي) بالضم جمع غرفة وهي العلية (واستبرقي) ثخين الديباج وفي البيضاوي ثخين الحرير (وحريري) عطف عام على خاص (وسندسي) رقيق الديباج (وعبقري) قيل هو الديباج أو البسط الموشيه أو الطنافس الثخان وأصله فيما قيل ان عبقر قرية يسكنها الجن فيما يزعمون فكلما رأوا شيئا فائقا غريبا مما يصعب عمله ويدق أو شيئا عظيما في نفسه نسبوه اليها فقالوا عبقري وفي القاموس العبقري الكامل في كل شئ والسيد الذي ليس فوقه شئ وعليه فالمراد هنا وكثرت نفائسي الكاملة من ثياب وغيرها ويكون من ذكر العام بعد الخاص (ولؤلؤي) بهمزتين وبحذفهما وباثبات الاولى دون الثانية (ومرجاني) قال الازهري وغيره هو صغار اللؤلؤ وقال الطرسوسي هو عروق حمر تطلع من البحر كاصابع الكف قال وهكذا شاهدناه بمغارب الارض (وفضتي وذهبي واكوابي) جمع كوب اناء لا عروة له ولا خرطوم (وصحافي) جمع صحفة اناء كالقصعة (وأباريقي) جمع ابريق اناء له عروة وخرطوم (ومراكبي) ما يركب (وعسلي ومائي ولبني وخمري) بالانهار الاربعة (فأتني بما وعدتني قال لك كل مسلم ومسلمة ومؤمن ومؤمنة ومن آمن بي وبرسلي وعمل صالحا) الطاعات (ولم يشرك بي شيئا) بأن لا يرائي أحدا بعبادته لي وحملنا على هذا ليغاير قوله (ولم يتخذ من دوني اندادا) شركاء يخصهم بالعبادة (ومن خشيني) خافني مع الاجلال (فهو امن ومن سألني أعطيته ومن أقرضني) بانفاقه في سبيلي لا جلي (جازيته) بجزاء مضاعفا كما قال من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له وله أجر كريم (ومن توكل علي كفيته اني أنا الله لا اله الا أنا لا أخلف الميعاد) الوعد بالبعث والجزاء (وقد) للتحقيق (أفلح) فاز (المؤمنون وتبارك الله أحسن الخالقين) أي المقدرين بزنة اسم الفاعل وتمييز أحسن محذوف للعلم به أي خلقا (قالت) الجنة (قد رضيت ثم أتى على واد فسمع صوتا منكرا) ينكره سامعه لعدم سماع نظيره في الاصوات المعتادة لشناعته وقبحه (ووجد ريحا منتنة) بضم الميم وكسر التاء اسم فاعل من أنتن كذا ويجوز كسر الميم للاتباع وضم التاء اتباعا للميم قال كما في المصباح (فقال ما هذا يا جبريل قال هذا صوت جهنم تقول) بلسان القال (رب آتني بما وعدتني فقد كثرت سلاسلي) جمع سلسلة (وأغلالي) قيودي (وسعيري) ناري وسعرتها وأسعرتها أوقدتها (وحميمي) ماء الحار غاية الحرارة (وغساقي) بخفة السين وتثقيلها أي ما يسيل ويخرج من لشدة حرارتي وفي البيضاوي وغيره الغساق ما يغسق أي يسيل من صديد أهل النار فانهم يذوقونه (وعذابي وقد بعد قعري واشتد حري فأتني بما وعدتني قال لك كل مشرك ومشركة وكافر وكافرة) عطف عام على خاص لان المشرك اذا جمع مع الكافر أريد به من جعل لله شريكا كعباد الاوثان والكافر يشمل ذلك وغيره (وكل جبار) كافر (لا يؤمن بيوم الحساب) يوم القيامة (قالت قد رضيت قال فسار حتى أتى بيت المقدس) وفي نسخة حتى أتيت أي فسار بي حتى أتيت

(وفي رواية أبي سعيد) الخدري سعد بن مالك بن سنان (عند البيهقي) وابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردويه (دعاني داع عن يميني) يا محمد (انظرني) نظر اقبال علي وتوجه الي (اسألك فلم أجبه ثم دعاني آخر عن يساري) يا محمد انظرني اسألك كما في الرواية واختصرها بقوله (كذلك فلم أجبه وفيه) أي حديث أبي سعيد المذكور وبينا هو يسير (اذا امرأة حاسرة) كاشفة (عن ذراعيها) اسم فاعل من حسر اذا كشف (وعليها من كل زينة خلقها الله تعالى فقالت يا محمد انظرني اسألك فلم ألتفت اليها وفيه) أي الحديث المذكور (ان جبريل قال له أمّا الداعي الاول) الذي عن يمينه (فهو داعي اليهود ولو أجبته لتهوّدت أمّتك) لعل حكمة ذلك لو وقع ان الله جعل اجابته سببا لذلك في سابق علمه وكذا يقال في قوله (وامّا الثاني فداعي النصارى ولو أجبته لتنصرت أمّتك وأمّا المرأة فالدنيا) اما انك لو أجبتها لاختارت أمّتك الدنيا على الآخرة هكذا في حديث أبي سعيد المذكور وتمثلت له أيضا بصورة عجوز اشارة الى قلة ما بقي منها كما مرّ (وفيه) أي الحديث المذكور (انه صعد الى السماء الدنيا ورأى فيها آدم) وأنه بعد اجتماعه بآدم مضى هنيهة و (رأى أخونة) جمع خوان بكسر المعجمة وضمها الذي يؤكل عليه وقال الخليل هو المائدة (عليها لحم طيب ليس عليها أحد) يأكل منها (وأخرى عليها لحم نتن عليها ناس يأكلون) منها (قال يا جبريل ما هذا قال جبريل هؤلاء الذين يتركون الحلال ويأكلون الحرام) وفي لفظ عند البيهقي أيضا وغيره فاذا هو بأقوام على مائدة عليها لحم شوي كأحسن ما رؤي من اللحم واذا حوله جيف فجعلوا يقبلون على الجيف يأكلون منها ويدعون اللحم فقال من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء الزناة يحلون ما حرّم الله عليهم ويتركوا ما أحل الله لهم (وفيه) أي حديث أبي سعيد المذكور (انه مرّ بقوم بطونهم أمثال البيوت كلما نهض أحدهم خرّ) سقط من قيام (وان جبريل قال له) جوابا لقوله يا جبريل من هؤلاء قال (هم أكلة الربا) أي الذين يتناولون من الاموال ما أخذوه على وجه الربا وهو خاص بالمطعومات والنقود اذا أخذت بالعقد المسمى بعقد الربا بأن اشتمل أحد العوضين فيه على زيادة أو تأخير في البدلين أو أحدهما وخرج بذلك المأخوذ بعقود فاسدة كفقد رؤية أو شرط فاسد مع انتفاء الربا عنها فلا يكون آكلها أهلا لذلك الوصف وان أثم ولم يملك ما أخذه وقد أفاد المصنف انه اختصر الحديث وهو كذلك ولفظه في هذه الجملة ثم مضى هنيهة فاذا هو بقوم بطونهم أمثال البيوت فيها الحيات ترى من خارج بطونهم كلما نهض أحدهم خرّ يقول اللهم لا تقم الساعة وهم على سابلة آل فرعون فتجيء السابلة فتطؤهم فسمعهم يضجون الى الله تعالى فقال يا جبريل من هؤلاء قال هؤلاء من أمّتك الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس والسابلة أبناء السبيل المختلفة وجعلوا ابطريق آل فرعون يمرّون عليهم غدوّا وعشيا لان آل فرعون هم أشد الناس عذابا يطؤنهم فضلا عن غيرهم من الكفار وهم لا يستطيعون القيام ومعنى ذلك ان الله وقف امرهم بين أن ينتهوا فيكون جزاءهم وبين أن يعودوا ويصرّوا فيدخلهم النار واستشكل بأن هذه الحالة ان كانت عبارة عن حالهم في الآخرة

فآل فرعون قد دخلوا أشد العذاب وانما يعرضون على النار غدوا وعشيا في البرزخ وان كانت هذه الحال التي رآهم عليها فأى بطون لهم وقد صاروا عظاما ورفاتا ومزقوا كل ممزق وأجيب بأنه انما رآهم في البرزخ لانه حدث عما رأى وهذه الحال هي حال أرواحهم بعد الموت وفيه تصحيح لمن قال الارواح أجساد لطيفة قابلة للتنعيم والعذاب فخلق الله تعالى في تلك الارواح من الالم ما يجده من انتفخ بطنه حتى وطئ بالاقدام ولا يستطيع معه قيام ولا دليل فيه على انهم أشد عذابا من آل فرعون بل فيه دليل على أن آل فرعون وغيرهم من الكفار الذين لا يأكلون الربا يطؤنهم ما داموا في البرزخ الى أن يقوموا يوم القيامة كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس ثم ينادى منادى الله ادخلوا آل فرعون أشد العذاب ذكره السهيلي (وأنه مر بقوم مشافرهم) بفتح الميم وخفة المعجمة فألف ففاء مكسورة فراء أى شفاههم (كالابل) لفظ الرواية كمشافر الابل وعبر عن شفاههم بذلك مجازا اذ يقال شفة الانسان ومشفر البعير وجحفل الفرس (يلتقمون جمرا فيخرج من أسافلهم) وفي رواية يجعل في أفواههم صخر من جهنم ثم يخرج من اسافلهم فسمعهم يضجون الى الله تعالى (وان جبريل قال له) جوابا لقوله يا جبريل من هؤلاء قال (هؤلاء الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما) انما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا كما في بقية جواب جبريل (وانه مر بنساء يعلقن بثديهن) بضم المثلثة ويقال بكسرها وكسر المهملة جمع ثدى يذكر ويؤنث فيقال هو الثدى وهى الثدى وهو معروف (وانهن الزوانى) يجوز أنه رأى أرواحهن وقد خلق فيها من الآلام ما يجده من هذه حاله وأن يكون مثلت له حالهن في الآخرة قاله السهيلي ولفظ الحديث ثم مضى هنيهة فاذا هو بنساء معلقات بثديهن ونساء منكسات بأرجلهن فسمعهن يضججن الى الله فقال من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء اللاتى يزنين ويقتلن أولادهن (وأنه مر بقوم يقطع من جنوبهم اللحم فيطعمون وانهم الغمازون) كذا في نسخ بغين معجمة أى المشيرون باعينهم أو حواجبهم لمعايب الناس أو لما فيه ضررهم لكن لفظ الرواية الهمازون بالهاء بدل الغين وهم الذين يغتابون الناس بلا مواجهة (اللمازون) العيابون كما في الشامى أى الذين يكسرون من أعراض الناس قال البيضاوى اللمز الكسر كالهمز شاعا في كسر أعراض الناس والطعن فيهم ولفظ الحديث ثم مضى هنيهة فاذا هو بأقوام يقطع من جنوبهم اللحم فيلقمون فيقال له كل كما كنت تأكل لحم أخيك فقال يا جبريل من هؤلاء قال هؤلاء الهمازون من أمتك اللمازون (وفى حديث أبي هريرة عند البزار والحاكم) والبيهقى (انه صلى الله عليه وسلم صلى ببيت المقدس) قبل صعوده كما هو سياق الحديث عند الثلاثة ولفظه ثم سار الى بيت المقدس فنزل فربط فرسه الى صخرة بيت المقدس ثم دخل فصلى مع الملائكة ويأتى انه صلى بالانبياء أيضا (وانه أتى هنالك بأرواح الانبياء فأثنوا على الله وفيه) أى الحديث (قول ابراهيم) لما اثنى نبينا على ربه بعد ثناء الانبياء (لقد فضلكم محمد) أى زاد عليكم وتميز بما اثنى به على ربه قال ذلك ابراهيم اظهارا لشرف المصطفى وفضله وليس ضمير فيه عائدا لما اثنوا به كما توهم لان ثناءهم انما كان على الله والمصنف اختصر الحديث هنا وسنذكره تاما عن

قريب (وفى رواية عبد الرحمن بن هاشم عن أنس) عند الطبرانى والبيهقى (ثم بعث له آدم) أى امر بالمجىء اليه (فمن دونه) من الانبياء كما فى نص حديث أنس (فأمهم تلك الليلة) أى صلى بهم اماما (وفى حديث أم هانئ عند أبى يعلى ونشر) أى سيق (لى رهط من) جملة (الانبياء) وجمعوا حولى عبر عن ذلك بالنشر اشارة الى كثرتهم وتفرقهم (منهم ابراهيم وموسى وعيسى) أو المعنى أخرجوا من قبورهم عبر عنه بالنشر تشبيها له ببعثهم من قبورهم وسعيهم الى المحشر وحضورهم فيه ويحتمل أن المراد بجميع الانبياء مأخوذ من نشر ازار ونحوه نشرا من باب قتل اذا بسطها ولا ينافيه لفظ رهط من الانبياء على أن من للبيان وسماهم رهطا نظرا لقلتهم بالنسبة لغيرهم من الناس هذا وان كان بعيدا لكن الحامل عليه الجمع بينه وبين قوله فى الحديث قبله آدم فمن دونه من الانبياء (وفى رواية أبى سلمة) بن عبد الرحمن بن عوف اسمه عبد الله وقيل اسمعيل عن أبى هريرة رفعه (ثم حانت الصلاة) أى دخل وقتها ويأتى للمصنف الخلاف فى انها الصبح أو العشاء ويأتى تضعيفهما وأن الاظهر انها من النفل المطلق أو من الفرض الذى كان قبل الخمس فالمراد بحانت الصلاة دخل الوقت المأمور بالصلاة فيه (فأممتهم) صليت بهم اماما (أخرجه مسلم وفى حديث أبى امامة عند الطبرانى فى الاوسط ثم أقيمت الصلاة) أى تهيؤا وقاموا لها لا الاقامة المشروعة الآن لانها انما شرعت بالمدينة (فتدافعوا) أى منع كل نفسه الامامة بعد أن طلب منه أن يكون اماما وطلب من غيره التقدم عليه (حتى قدموا محمدا صلى الله عليه وسلم) لا ينافيه حديث ابن مسعود الآتى فقمنا صفوفا ننتظر من يؤمنا فأخذ جبريل بيدى فقدمنى فصليت بهم المفيد ظاهره انهم لم يتدافعوا ولم يقدموه لان انتظار من يؤم لا ينافى تدافعهم أى قول بعضهم لبعض تقدم أنت مثلا ولما قدمه جبريل رضوا به فنسب هنا تقديمه اليهم لرضاهم به وسرورهم (وفى رواية ثابت البنانى عن أنس) رفعه (عند مسلم) قال أتيت بالبراق فوصفه قال فركبته حتى أتيت بيت المقدس (فربطته يعنى البراق) تفسير من المصنف لاسقاطه أول الحديث كما ترى (بالحلقة وهى باسكان اللام على الاشهر) وقد تفتح لامها وتكسر أو ليس فى الكلام حلقة بفتح اللام الا جمع حالق أو لغة ضعيفة حكاه القاموس (التى تربط به الانبياء) البراق كما رواه البيهقى لا الدواب كما توهمه بعض وقد تقدم قال النووى وقوله به كذا فى الاصول (بتذكير الضمير اعادة) أى ارجاعا للضمير مذكرا حملا (على معنى الحلقة وهو) أى المعنى (الشئ) والافكان الظاهر أن يقول بها لان الحلقة مؤنثة تأنيثا لفظيا وقال غيره روى بالتأنيث والتذكير فى مسلم والشفاء (والمراد حلقة باب مسجد بيت المقدس قاله صاحب التحرير) اى بابه المعهود المعروف وان كان للمسجد أبواب متعددة وعند البيهقى والطبرانى والبزار من حديث شداد ودخل المدينة من بابها اليمانى ودخل المسجد من باب يميل فيه الشمس والقمر وروى الواسطى فى فضائل بيت المقدس عن الوليد بن مسلم قال حدثنى بعض أشياخنا أن النبى صلى الله عليه وسلم رأى عن يمين المسجد وعن يساره نورين ساطعين فقال يا جبريل ما هذان النوران قال أما الذى عن يمينك فانه محراب أخيك داود وأما الذى عن يسارك فعلى قبر أختك مريم (قال عليه السلام) فى رواية مسلم عن ثابت

عن

عن أنس (ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين) غير الصلاة التي صلاها بالانبياء كما صرح به في حديث ابن مسعود الآتي ومن ثم قيل يحتمل انها تحية المسجد وأنها غيرها (ثم خرجت) بعد صلاته بالانبياء الواقعة بعد هذين الركعتين كما صرح به حديث أبي هريرة ثم حانت الصلاة فأممتهم رواه مسلم وعند ابن اسحق عن أبي سعيد فصلى بهم أي الانبياء ثم أتي باناء فيه لبن الخ فعرض الاواني انما كان بعد صلاته بالانبياء ففي هذا السياق اختصار فليس المراد أنه خرج من المسجد بعد صلاة الركعتين بل بعد صلاته بالانبياء (فجاءني جبريل عليه السلام باناء من خمر واناء من لبن) فلم يقع في رواية مسلم هذه واناء من عسل خلاف ما يوجد في نسخ سقيمة من المصنف واناء من عسل بعد قوله من خمر نعم هو ثابت في غير ما رواية فليس النزاع في انه أتي باناء فيه عسل انما هو في العزو لمسلم ما ليس فيه في روايته من طريق ثابت عن انس مرفوعا بلا واسطة (فاخترت) وفي رواية فأخذت (اللبن فقال جبريل اخترت) وفي رواية أخذت (الفطرة) بكسر الفاء قال ابن دحية تطلق الفطرة على الاسلام كخبر كل مولود يولد على الفطرة وتطلق على أصل الخلقة كقوله تعالى فطرة الله التي فطر الناس عليها وفاطر السموات والارض أي مبدئ خلقهما وقول جبريل اخترت الفطرة (أي اخترت الذي عليه) أي بسببه (ثبت الخلقة) وبين بناءها عليه بقوله (وبه نبت اللحم ونشز) بزاي منقوطة أي ارتفع (العظم) وغلظ (واخترته لانه الحلال الدائم) هو (في دين الاسلام) فاستتر الضمير الفاعل وحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه أي الدائم حله كعيشة راضية (بخلاف الخمر فحرام فيما يستقر عليه الامر) وقد روى أبو يعلى والبزار من حديث أبي هريرة أتي بآنية ثلاثة مغطاة أفواهها فأتي باناء منها فيه ماء فشرب منه قليلا وفي لفظ فلم يشرب منه شيأ ثم دفع اليه اناء آخر فيه لبن فشرب منه حتى روي منه ثم دفع اليه اناء آخر فيه خمر فقيل له اشرب قال لا أريده قد رويت فقال جبريل أما انها ستحرم على أمتك قال ابن دحية أيضا وقد تكون الاشارة بتقديم اللبن الى انه شعار العلم في التعبير كما ورد أنه صلى الله عليه وسلم قال رأيت كأني أتيت بقدح من لبن فشربت حتى أرى الري يخرج من اظفاري ثم ناولت فضلي عمر بن الخطاب قالوا يا رسول الله ما أولته قال العلم والاسراء وان كان يقظة الا انه ربما وقعت في اليقظة اشارة الى حكم الفأل فيعبر كما يعبر في المنام ولذا كان صلى الله عليه وسلم يحب الفأل الحسن فكأنه لما ملئ قلبه ايمانا وحكمة أردف ذلك بالعلم مطلقا وبجعل الله تعالى شرب ذلك اللبن سببا في ترادف العلوم واشحان القلب النبوي بأنوارها (وقال النووي المراد بالفطرة هنا في قول جبريل أخذت الفطرة الاسلام والاستقامة) وبه فسرت الآية أي بملة الاسلام فانهم لو خلوا وما خلقوا عليه لأدى بهم اليها وفسرت أيضا بخلقته التي خلقهم عليها وهي قبولهم للحق وتمكنهم من ادراكه وبالعهد المأخوذ من آدم وذريته (قال ومعناه والله أعلم اخترت علامة الاسلام و) علامة (الاستقامة) بالجر ففيه حذف مضاف اذ شرب اللبن ليس هو هما (قال وجعل اللبن علامة لكونه سهلا طيبا) لذيذا (طاهرا) لا يشوبه شيء من الفرث والدم من لون أو طعم أو ريح وهو

قوله هذين الركعتين هكذا في الاصول ولعله هاتين كما لا يخفى اه مصححه

بينهما (سائغا للشاربين) سهل المرور في حلقهم لا يغص به (سليم العاقبة) في الحال والمآل وهذا كله تعليل بجعله علامة الاسلام والاستقامة (وأما الخمر فانها أم الخبائث) كما ورد مرفوعا عند القضاعي بلفظ الخمر أم الخبائث أى اصلها التي تنشأ عنه لحمله الشارب على مجاوزة الحدود (وجالبة لانواع الشر في الحال والمآل انتهى) وقد قال صلى الله عليه وسلم الخمر أم الفواحش وأكبر الكبائر من شربها ترك الصلاة ووقع على أمه وخالته وعمته رواه الطبراني (وقال القرطبي) شارح مسلم في المفهم (يحتمل أن يكون سبب تسمية اللبن فطرة لكونه أول شئ يدخل جوف المولود ويشق أمعاءه والسر) أى السبب (في ميل النبي صلى الله عليه وسلم اليه دون غيره لكونه مألوفا له أولا) ولكونه لا ينشأ عن جنسه مفسدة انتهى كلام القرطبي بزيادة وحقيقة السر ما يكتم وهو خلاف الاعلان فاطلاقه على السبب مجاز مرسل من تسمية الجزئي باسم الكلي (واذا كانت الخمر مباحة لانها انما حرمت بالمدينة والاسراء كان بمكة) وجواب اذا الشرطية قوله (فما وجه تجنبه عليه السلام لاحد المباحين) باختياره الشرب منه (وما وجه عد ذلك صوابا وعد الآخر خطأ وهما سواء في الاباحة) وفرع على ذلك بجواب شرط هو واذا أردت بيان الوجه (فيحتمل أن يكون توقاها تورعا) لما في تناوله من الغائلة المتوقعة وان كان مباحا ولا خلاف أن مثل هذا الورع يثاب عليه قاله ابن المنير (وتعريضا بأنها ستحرم) ولعل سبب التعريض انه أوحى اليه بذلك ولو بالالهام فتركها تنبيها على أن حلها لا يستمر (وأنه لما وافق الصواب في علم الله تعالى قال له جبريل أصبت الفطرة او أصبت اصاب الله بك كما رويا) الاول في الصحيح والثاني في غيره قال ابن المنير فدل قول جبريل ذلك على أن اختيار الخمر خطأ عصم منه صلى الله عليه وسلم وأن المسئلة اجتهادية لان الخمر لم تكن حرمت قال وفيه دليل على المذهب المشهور لمالك والشافعي وغيرهما ان المسائل الاجتهادية لله فيها حكم معين من أصابه فقد أصاب الحق ومن أخطأه فقد أخطأ الحق خلافا للقول بأن حكم الله على كل مجتهد ما غلب على ظنه انتهى وفيه افادة وجه كون اختيار الخمر خطأ وهو أن حكم الله فيها تحريمها بعد أبدا وان كانت مباحة حينئذ لامور خفيت علينا * ثم الخمر المحضرة يحتمل انها من خمر الدنيا وأنها من خمر الجنة التي لا يصدعون عنها ولا ينزفون فاذا قلنا من خمر الدنيا فوجه تجنبها ما تقدم (وان قلنا انها) أى الخمر المحضرة له كانت (من خمر الجنة فيكون سبب تجنبها صورتها ومضاهاتها) مشابهتها (الخمر المحرمة أى في علم الله تعالى وذلك أبلغ في الورع) فان قلت فيلزم اجتنابها في الجنة تورعا من صورتها قلت لا يلزم لان الجنة ليست دار تكليف قاله ابن المنير (ويستفاد منه ان من اتخذ من ماء الرمان أو غيره) شيأ يستعمله على الصفة المعتادة بين شربة الخمر (ولو ماء قراحا) صرفا (وضاهى به الخمر في الصورة وهيأه في الهيآت التي يتعاطاها أهل السماعات) لفظ ابن المنير أهل الشهوات (من الاجتماعات فقد أتى منكرا وان كان لا يحد عليه) قال أعنى ابن المنير وقد نص العلماء على هذا فينبغي أن يؤخذ من حديث الاسراء كما بيناه (قاله ابن المنير) في المقتفى فيما لخصه المصنف منه فأحسن والا فهو رحمه الله أتى بعبارة طويلة استطرد فيها فوائد نفيسة على عادته وأورد قبل ذلك احضار الخمر

واللبن هل أريد اباحتهما معا أو أحدهما لا بعينه وعلى كل فمشكل لانه ان كان المراد اباحتهما معا كما لو أحضرت طعامين لضيف وأبحتهما له فما معنى اختياره لاحدهما وتصويب جبريل له وان كان فى أحدهما لا بعينه بحيث يكون الآخر محرما لزم التخيير بين ممنوع ومباح وذلك لا يتصور قال والذى يرفع الاشكال أن المراد تفويض الامر فى تحريم ما يحرم وتحليل ما يحل الى اجتهاده صلى الله عليه وسلم وسداد نظره المعصوم فلما نظر فيهما أداه اجتهاده الى تحريم الخمر وتحليل اللبن فوافق الصواب فى حكم الله تعالى فقال له جبريل اصبت وغيه اجتهاده فيما لم يوح اليه فيه وهى مسئلة خلاف وهذا الحديث يحقق الجواز مع اتفاق المسلمين على أن اجتهاده معصوم من الخطا بخلاف غيره من العلماء (وينظر فيما يعمله كثير من فقراء اليمن بمكة المشرفة وجدة) بضم الجيم ساحل البحر بمكة (وغيرهما من ماء قشر البن) ثم صاروا بعد ذلك يعملونه من البن أيضا (ويسمونه بالقهوة وهو اسم من) أشهر (أسماء الخمر) هل يحرم تناوله لتسميتهم بالخمر فكأنهم شبهوه بها وجوابه لا حرمة لانه لا يشرب على الهيئة التى يشرب عليها الخمر ومجرد تسميته قهوة لا يقتضى أن يعطى حكمها (وفى حديث ابن عباس عند أحمد فلما أتى المسجد الاقصى قام يصلى فلما انصرف) من صلاته بالانبياء (جىء بقدحين فى أحدهما لبن وفى الآخر عسل فأخذ اللبن) وهذا موافق لرواية مسلم أن اتيانه بالآنية كان ببيت المقدس قبل المعراج ومر لفظه قريبا (وفى رواية البزار) من حديث أبى هريرة انه جىء له (بثلاث أوانى وأن الثالث كان خمرا وأن ذلك وقع ببيت المقدس وأن الاول كان ماء ولم يذكر العسل) وأخرجه ابن عائذ من هذا الوجه فى حديث المعراج بعد ذكر ابراهيم قال ثم انطلقنا فاذا نحن بثلاثة آنية مغطاة فقال لى جبريل يا محمد ألا تشرب مما سقاك ربك فتناولت احداها فاذا هو عسل فشربت منه قليلا ثم تناولت الآخر فاذا هو لبن فشربت منه حتى رويت فقال ألا تشرب من الثالث قلت قد رويت قال وفقك الله (وفى حديث شداد بن أوس) عند البزار والطبرانى والبيهقى (فصليت) فى جانب (من المسجد حيث شاء الله وأخذنى من العطش أشد ما أخذنى فاتيت باناءين أحدهما لبن والآخر عسل) فعدلت بينهما هكذا فى الحديث قبل قوله (ثم هدانى الله فأخذت اللبن فقال شيخ بين يدى) اسقط من الرواية متكئ على منبر له (يعنى لجبريل أخذ صاحبك الفطرة) وانه لمهدى كما فى بقية حديث شداد وفى حديث أبى هريرة عند الشيخين أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسرى به بايلياء باناء فيه خمر واناء فيه لبن فنظر اليهما فأخذ اللبن فقال له جبريل الحمد لله الذى هداك للفطرة لو أخذت الخمر غوت امتك وفى حديث أنس عند البيهقى فعرض عليه الماء والخمر واللبن فأخذ اللبن فقال له جبريل اصبت الفطرة لو شربت الماء لغرقت وغرقت امتك ولو شربت الخمر لغويت وغويت امتك قال الحافظ ويجمع بين هذا الاختلاف فى عدد الآنية وما فيها بحمله على أن بعض الرواة ذكر ما لم يذكره الآخر ومجموعها أربعة آنية فيها أربعة أشياء من الانهار الاربعة التى رآها تخرج من أصل سدرة المنتهى فلعله عرض عليه من كل نهر اناء انتهى وسيأتى هذا

في كلام المصنف وأما الاختلاف في أن عرض الاواني في بيت المقدس أو بعد سدرة المنتهى والبيت المعمور فالجمع بينهما ما ذكره بقوله (وقد كان اتيانه بالاواني مرتين مرة عند فراغه من الصلاة) ببيت المقدس وسببه ما وقع له من العطش قاله الحافظ (ومرة عند وصوله الى سدرة المنتهى ورؤية الانهار الاربعة) التي رآها تخرج من أصل سدرة المنتهى وفي هذا اعمال لجميع الروايات لصحتها كلها وهو أولى من جمع الحافظ أيضا بحمل ثم في رواية مالك ابن صعصعة انه أتى بالاواني بعد سدرة المنتهى ورفع البيت المعمور له على غير بابها من الترتيب وانما هي بمعنى الواو هنا (وممن صرح) على طريق الترجي (بأنه كان مرتين الحافظ عماد الدين بن كثير) لا الجزم كما يوهمه المصنف فعبارة الشامي قال السهيلي وابن دحية وابن المنير وابن كثير والحافظ لعله قدم مرتين أي جمعا بين الروايات (وعلى هذا فيكون تكرار جبريل) عليه السلام (للتصويب حيث اختار اللبن تأكيد التحذير عما سواه) أي اللبن وذلك السوى هو الخمر خاصة (وقد أنكر حذيفة) بن اليمان رضي الله عنهما (ربط البراق بالحلقة فروى أحمد والترمذي من حديث حذيفة قال يحدثون انه ربطه) أي البراق (أخاف أن يفر منه) كذا في النسخ الصحيحة بهمزة الانكار ومثلها في الفتح والنعماني والشامي والغيطي فما في نسخ خاف بحذفها سهو من قلم المصنف أو نساخه (و) الحال انه (قد سخره له عالم الغيب والشهادة) فكيف يخاف أن يفر منه وتجويز أن خاف بلا همزة حكاية عن كلام المحدث عنهم وأنه رد عليهم بقوله وقد ممنوع اذ جميع الذين حدثوا بأنه ربطه لم يقل أحد منهم انه خاف أن يفر منه والجواب عما وجه به انكار ربطه أنه لم يفعل ذلك خوفا قال النووي في ربط البراق الاخذ بالاحتياط في الامور وتعاطي الاسباب وان ذلك لا يقدح في التوكل اذا كان الاعتماد على الله وقال السهيلي فيه من الفقه التنبيه على الاخذ بالحزم مع صحة التوكل وان الايمان بالقدر لا يمنع الحزم من توقي المهالك كما روي عن وهب ابن منبه (وكذا أنكر حذيفة أيضا) في هذا الحديث (صلاته عليه السلام ببيت المقدس) واحتج بأنه لو صلى فيه لكتب عليكم الصلاة فيه كما كتب عليكم الصلاة في البيت العتيق (وتعقبه البيهقي) وابن كثير بأن المثبت مقدم على النافي يعني من أثبت ربط البراق والصلاة في بيت المقدس) وهم جمهور الصحابة (معه زيادة علم على من نفى ذلك فهو أولى بالقبول) من النافي لانه لم يصحبه دليل نفيه قال الحافظ والجواب عنه منع التلازم في الصلاة ان كان أراد بقوله كتب عليكم الفرض وان أراد التشريع فنلتزمه وقد شرع النبي صلى الله عليه وسلم الصلاة فيه فقرنه بالمسجد الحرام ومسجده في شد الرحل وذكر فضيلة الصلاة فيه في غير ما حديث (ووقع في رواية بريدة عند البزار لما كان ليلة أسري بي فأتى جبريل الصخرة) بالفاء في جواب لما وهو قليل أجازه ابن مالك ورده ابن هشام (التي ببيت المقدس) التي كانت قبلة قال البرقي في غريب الموطا هي من غرائب الدنيا فان جميع المياه تخرج من تحتها وهي صخرة صماء في وسط المسجد الاقصى كجبل بين السماء والارض معلقة لا يمسكها الا الله وفي أعلاها موضع قدم النبي صلى الله عليه وسلم حين ركب البراق ليلة الاسراء فمالت من تلك الجهة من هيبته وفي الجهة الاخرى أثر أصابع الملائكة التي أمسكتها اذ مالت وكان

بعضها أبعد من الارض من بعض وتحتها غار عليه باب يفتح لمن يدخله للصلاة والدعاء (فوضع اصبعه فيها نخرقها فشد بها البراق ونحوه للترمذى) وابن حبان والحاكم وصححه عن بريدة قال قال صلى الله عليه وسلم لما انتهينا الى بيت المقدس ليلة اسرى بى قال جبريل باصبعه نخرق بها الحجر وشد به البراق والمراد بالحجر صخرة بيت المقدس كما فى رواية البزار فلذا اختار سياقه لصراحته والجمع بين هذا وبين قوله فى حديث أنس عند مسلم فربطته بالحلقة التى كانت تربط بها الانبياء ما قاله بعضهم انه صلى الله عليه وسلم ربطه أولا بالحلقة تأدبا واتباعا للانبياء فأخذه جبريل وحله من الحلقة وخرق الصخرة وشده بها كأنه يقول أنت لست ممن يكون مركوبه بالباب بل أنت أعلى واغلى فلا يكون مركوبك الا فى داخل المحل وهذا أمر مشاهد فى العادة بين الكبراء وأما جواب الطيبى بأن المراد بالحلقة الموضع الذى كان فيه الحلقة وقد استدخرقه جبريل فرده النجم بأن الحلقة وموضعها بالباب والذى خرقه جبريل باصبعه انما هو الصخرة وهى داخل المسجد بعيدة عن الباب انتهى (وفى حديث أبى سعيد عند البيهقى حتى اتيت بيت المقدس فأوثقت دابتى بالحلقة التى كانت الانبياء تربطها فيه فدخلت أنا وجبريل بيت المقدس فصلى كل واحد منا ركعتين) غير الصلاة التى صلاها بالانبياء كما هو صريحه قال بعضهم يحتمل انهما تحية المسجد ويحتمل غير ذلك أى كونهما من صلاة الليل أو القصد بهما شغل البقعة قال ابن دحية وفيه دليل على أن الصلاة لم تزل معهودة قبل أن تفرض ومعهودة مثنى مثنى قال النعمانى وقد فرضت الصلاة قبل الهجرة ركعتين (وفى رواية ابن مسعود) عند الحسن بن عرفة وأبى نعيم (نحوه وزاد) ابن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم (ثم دخلت المسجد فعرفت النبيين ما بين قائم وراكع) أى خاشع كخشوع الراكع فلا يرد أن الركوع من خصائص الامة وما صلاه المصطفى قبل الاسراء لا ركوع فيه وكذا ظهر عقب الاسراء وأول صلاة بركوع العصر بعدها (وساجد ثم أذن) كذا فى النسخ وفيها سقط فليس هذا من رواية ابن مسعود انما هو عن أنس ففى فتح البارى بعد قوله وساجد ثم أقيمت الصلاة فأممتهم وفى رواية يزيد بن أبى مالك عن أنس عند ابن أبى حاتم فلم ألبث الا يسيرا حتى اجتمع ناس كثير ثم اذن (مؤذن) أى أعلم بطلب الصلاة (فأقيمت الصلاة) أى تهيئوا لها وشرعوا فيها فلا يرد أن الاذان والاقامة انما شرعا بالمدينة والاسراء كان بمكة (فقمنا صفوفا ننتظر من يؤمنا) وفى نسخة ننظر وهى بمعنى ننتظر كقوله تعالى ما ينظرون الا صيحة واحدة أى ما ينتظرون (فأخذ بيدى جبريل فقدمنى فصليت بهم) اماما (وفى حديث ابن مسعود أيضا عند مسلم وحانت الصلاة) دخل وقت طلبهم بها (فأممتهم) صليت بهم اماما (وفى حديث ابن عباس عند أحمد فلما أتى صلى الله عليه وسلم) المسجد (الاقصى قام يصلى) بعد انتظارهم من يؤمهم وتقديم جبريل للمصطفى (فاذا النبيون أجمعون يصلون معه) كما فى الحديث قبله فليس المراد ظاهره انه قام يصلى وحده فاقتدوا به لان الاحاديث يفسر بعضها بعضا فان قيل كيف يصلى الانبياء وهم أموات فى الدار الآخرة وليست دار عمل أجاب عياض وتبعه السبكى بأنهم كالشهداء بل أفضل والشهداء أحياء عند ربهم يرزقون فلا يستبعد أن يحجوا و يصلوا وأن يتقربوا

الى الله بما استطاعوا لانهم وان ماتوا فهم في هذه الدنيا التي هي دار العمل حتى اذا فنيت مدتها وتعقبها الآخرة التي هي دار الجزاء انقطع العمل وحاصله أن البرزخ ينسحب عليه حكم الدنيا في استكثارهم من الاعمال وزيادة الاجور وبأن المنقطع في الآخرة انما هو التكليف وقد تحصل الاعمال من غير تكليف على سبيل التلذذ بها والخضوع لله ولذا صح عن أهل الجنة انهم يسبحون ويدعون ويقرؤن القرآن كما في الحديث انهم يلهمون التسبيح كما يلهمون النفس وهو معنى قوله دعواهم فيها سبحانك اللهم وانظر الى سجوده صلى الله عليه وسلم وقت الشفاعة أليس ذلك عبادة وعملا وعلى كلا الجوابين لا يمتنع حصول هذه الاعمال في مدة البرزخ وقد صح عن ثابت البناني التابعي انه قال اللهم ان كنت اعطيت أحدا أن يصلي في قبره فأعطني ذلك فرئي بعد موته يصلي في قبره وتكفي رؤيته صلى الله عليه وسلم لموسى قائما يصلي في قبره ولان جميع الانبياء لم يقبضوا حتى خيروا في البقاء في الدنيا وبين الآخرة ولا شك أنهم لو بقوا في الدنيا لازدادوا من الاعمال الصالحة ثم انتقلوا الى الجنة فلو لم يعلموا أن انتقالهم الى الله أكمل لما اختاروه ولو كان انتقالهم من هذه الدار يفوت عليهم زيادة فيما يقرب الى الله لما اختاروه انتهى (وعن أبي سعيد الخدري (ثم سار حتى أتى بيت المقدس فربط فرسه) أي البراق سماه فرسا تجوزا لقرب صورته منها لالان الفارس يطلق على مقابل الماشي سواء ركب فرسا أو بغلا أو حمارا وتجويز أن جبريل ركب معه فرسا لا يصح لحديث انه ركب معه على البراق وقد جاء تسمية البراق فرسا في رواية أخرى انه أتى بفرس فحمل عليه وضمن ربط معنى ضم فعداه بالى في قوله (الى صخرة) أو الى بمعنى الباء أو عند كقوله أشهى الي من الرحيق السلسل والمراد بالصخرة هنا الحلقة التي بالباب لا التي بداخل المسجد بدليل قوله (ثم دخل فصلى مع الملائكة) اماما بهم على المتبادر فضمير صلى للنبي صلى الله عليه وسلم بعد صلاته ركعتين هو وجبريل كما مر قريبا وترجيع ضمير صلى لجبريل وان المعنى صلى مع الملائكة لما وجدهم يصلون بعيد جدا بل يمنعه ما رواه الواسطي عن كعب فاذن جبريل ونزلت الملائكة من السماء وحشر الله له المرسلين فصلى النبي صلى الله عليه وسلم بالملائكة والمرسلين (فلما قضيت الصلاة) بالبناء للمفعول أي تمت وفرغوا منها (قالوا يا جبريل من هذا معك) خبر بعد خبر أو حال (قال هذا محمد رسول الله خاتم النبيين) والرسل (قالوا وقد أرسل اليه) أي طلب للحضور لا أرسل اليه بالوحي أم لا لقوله لهم رسول الله (قال نعم قالوا حياه الله) أي ابقاه وسلمه وملكه ما أعظمه وأكرمه (من أخ) تمييز متعلق بمحذوف أو مبينة للضمير أو زائدة وجعلوه أخا لهم لان المراد اخوة الايمان (ومن خليفة) لله تعالى لعمارة الارض وسياستها وتكميل النفوس البشرية وتنفيذ الاوامر الالهية لا لاحتياجه تعالى بل لقصور الخلق عن التلقي بلا واسطة (فنعم الاخ ونعم الخليفة ثم لقوا) أي المصطفى والملائكة ببيت المقدس بعد انقضاء الصلاة (أرواح الانبياء) متشكلة بصور أجسادهم (فأثنوا) أي الانبياء (على ربهم) وتجويز أن المثنى الملائكة لا ينافي تمام الانبياء كما يقول من رأى صالحا الحمد لله الذي من علي بلقائك يمنعه

قوله (فقال ابراهيم عليه السلام الحمد لله الذى اتخذنى خليلا) صفيا خالص المحبة له (وأعطانى ملكا عظيما) قال ابن دحية لا يعهد لابراهيم ملك عرفى فاما أن يراد بالملك الاضافة اليه نفسه لقهره عظماء الملوك وناهيك بنمرود وقد قهره الله لخليله وبعجزه عنه وغاية الملك العظيم قهر الملك العظيم فالقاهر أعظم من المقهور قطعا أو يراد الاضافة الى بنيه وذريته نحو ملك يوسف وهلم جرا كملك داود وسليمان والكل من ولد ابراهيم وفى التنزيل وآتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما والاشارة هنا الى ذريته واما أن يراد ملك النفس فى مظنة الاضطرار مثل ملكه لنفسه وقد سأله جبريل ألك حاجة قال أما اليك فلا (وجعلنى أمة) اماما جامعا لخصال الخير وفضائل لا تكاد توجد الا مفرقة فى اشخاص كثيرة والجامع لذلك أمة لقيامه مقام الجماعة كأنه اجتمع فيه ما تفرق فى غيره كقوله

وليس لله بمستنكر * أن يجمع العالم فى واحد

(قانتا) مطيعا (يؤتم) يقتدى (بى وأنقذنى من النار وجعلها على بردا) ذهبت حرارتها فلم تحرق غير وثاقه وبقيت اضاءتها (وسلاما) سلم من الموت ببردها (ثم ان موسى عليه السلام أثنى على ربه فقال الحمد لله الذى كلمنى تكليما) بلا واسطة (واصطفانى) اختارنى على أهل زمانى قال تعالى ياموسى انى اصطفيتك على الناس برسالاتى وبكلامى (وأنزل على التوراة) فيها هدى ونور وسماها الله تعالى الفرقان لفرقها بين الحق والباطل والحلال والحرام وبصائر للناس وهدى ورحمة (وجعل هلاك فرعون) على يدى (ونجاة بنى اسرائيل على يدى) بتنازعه هلاك ونجاة (وجعل من أمتى قوما يهدون) الناس (بالحق وبه يعدلون) يحكمون (ثم ان داود أثنى على ربه فقال الحمد لله الذى جعل لى ملكا عظيما) فى بنى اسرائيل ولم يجتمعوا على نبى قبله (وعلمنى الزبور) كتاب الله المنزل عليه (وألان لى الحديد) فكان فى يدى كالعجين (وسخر لى الجبال يسبحن معى) بالعشى وقت صلاة العشاء والاشراق وقت صلاة الضحى وهو ان تشرق الشمس ويتناهى ضوءها وفى التنزيل ياجبال أوبى معه أى سبحى معه قاله مجاهد رواه الفريابى وعن الضحاك هو التسبيح بلغة الحبشة قال ابن كثير وفيه نظر فالتأويب لغة الترجيع وقال وهب نوحى معه وذلك اما بخلق صوت مثل صوته فيها أو بحملها اياه على التسبيح اذا تأمل فيها وقيل سيرى معه حيث سار والتضعيف للتكثير (والطير) قال تعالى وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير مسخرا للتسبيح معه لا مره به اذا وجد فترة لينشط للتسبيح (وآتانى الحكمة) النبوة والاصابة فى الامور (وفصل الخطاب) البيان الشافى فى كل قصد وفى البيضاوى وفصل الخصام بتمييز الحق عن الباطل أو الكلام الملخص الذى ينبه المخاطب على المقصود من غير التباس براعى فيه مظان الفصل والوصل والعطف والاستئناف والاضمار والاظهار والحذف والتكرار ونحوها (ثم ان سليمان عليه السلام أثنى على ربه فقال الحمد لله الذى سخر لى الرياح) ذللها الطاعتى اجابة لدعوتى تجرى بأمره رخاء لينة من الرخاوة لا تزعزع أو لا تخالف ارادته كالمأمور المنقاد حيث أصاب أى أراد (وسخر لى الشياطين يعملون) لى (ماشئت من محاريب) ابنية مرتفعة يصعد اليها بدرج كالقصور وسميت بها لانها يذب عنها

قوله على نبى قبله الاولى على ملك قبله اه من هامش

ومحاريب عليها (وتماثيل) جمع تمثال وهو كل شئ مثلته بشئ أى صورا من نحاس وزجاج ورخام ولم يكن اتخاذ الصور حراما فى شريعته واسقط المصنف من حديث أبى سعيد وجفان كالجوابى وقدور راسيات وكذا هو ثابت فى حديث أبى هريرة عند البيهقى وغيره وهو موافق للقرآن فكأنه سقط من قلم المصنف سهوا والجوابى جمع جابية وهى حوض كبير يجتمع على الجفنة ألف رجل يأكلون منها وقدور راسيات ثابتات لها قوائم لا تحرك عن أماكنها تتخذ من الجبال باليمن يصعد اليها بالسلاليم (وعلمنى منطق الطير) أى فهم أصواته (وآتانى من كل شئ) يؤتاه الانبياء والملوك فضلا مبينا ظاهرا (وسخر لى جنود الشياطين) أى أعوانا هم الشياطين فهو من اضافة الاعم الى الاخص أو اضافة بيانية (والانس والجن) ظاهره انهم غير الشياطين وهو كذلك باعتبار الايمان فمن كفر من الجن يقال له شيطان كما فى حياة الحيوان وغيرها (والطير) أسقط من الحديث وفضلنى على كثير من عباده المؤمنين قبل قوله (وآتانى ملكا لا ينبغى) لا يكون (لاحد من بعدى) أى سواى ولو فى حياتى كقوله تعالى فمن يهديه من بعد الله أى سواه (وجعل لى ملكا طيبا ليس علىّ فيه حساب) ولا عقاب كما فى الرواية أى لعصمته من الظلم المؤدى الى ذلك فهو وان اتسع ملكه بحيث تجرى العادة فى مثله بترتب الحساب والعقاب لم يحصل فيه شئ يقتضيهما كما يقع للملوك لا سيما الجبابرة (ثم ان عيسى عليه السلام أثنى على ربه فقال الحمد لله الذى جعلنى كلمته) أى مكونا بها وهى قوله تعالى كن من غير واسطة أب ولا نطفة (وجعلنى مثل آدم) كشأنه فى خلقه من غير أب وهو من تشبيه الغريب بالاغرب ليكون أقطع للخصم وأوقع فى النفس (خلقه) أى آدم أى قالبه (من تراب ثم قال له كن) بشرا (فيكون) أى فكان وكذلك عيسى قال له كن من غير أب فكان والجملة مفسرة للتمثيل مبينة لما به الشبه (وعلمنى الكتاب) الخط أو جنس الكتب الالهية (والحكمة) أى العلوم وتهذيب الاخلاق (والتوراة) النازلة قبله على موسى (والانجيل) المنزل على عيسى (وجعلنى أخلق) أصور (من الطين كهيئة الطير) مثل صورته والكاف اسم مفعول (فانفخ فيه) الضمير للكاف أو للطين أو للطير وهكذا بالتذكير فى آل عمران وبالتأنيث فى المائدة عائدا للهيئة وهو تفنن على عادة العرب فى التفنن فى الكلام (فيكون طيرا باذن الله) أى بارادته (وجعلنى أبرئ) أشفى (الاكمه) الذى ولد أعمى (والابرص) وخصا لانهما داءا اعياء وكان بعثه فى زمن الطب فأبرأ فى يوم خمسين ألفا بالدعاء بشرط الايمان (وأحيى الموتى باذن الله) بارادته فأحيا عاذر صديقا له وابن العجوز وابنة العاشر فعاشوا وولد لهم وسام بن نوح ومات فى الحال (ورفعنى) اليه من الدنيا بلا موت (وطهرنى) بعدنى من الذين كفروا (وأعاذنى وأمى من الشيطان الرجيم) المطرود (فلم يكن للشيطان علينا سبيل) قال صلى الله عليه وسلم ما من مولود يولد الا مسه الشيطان حين يولد فيستهل صارخا الا مريم وابنها رواه الشيخان (قال وان محمدا صلى الله عليه وسلم أثنى على ربه فقال كلكم) يا هؤلاء الذين أثنوا (أثنى على ربه وانا أثنى على ربى فأقول الحمد لله الذى أرسلنى رحمة للعالمين) المسلمين لسعادتهم فى الدارين فى معاشهم ومعادهم

والكافرين

والكافرين بأمنهم من الخسف والمسخ والاستئصال (وكافة للناس) بيان لعموم رسالته فهو اما صفة مصدر أى ارسالة كافة أى عامة كفتهم عن الخروج منها فهو مفعول مطلق لارسلنى أو اسم فاعل حال من الياء أى حال كونى كافا للناس فالتاء للمبالغة وكونه حالا من الناس مقدما على صاحبها المجرور قول ضعيف (بشيرا) أى مبشرا بالخير لمن آمن واتقى (ونذيرا) منذرا محذرا من كفر وعصى وهو حال مترادفة أو متداخلة جود أولا على ما أنعم به عليه ثم ثنى بماله من المنافع والفوائد وبعبارة كافة أى جامعا فى الانذار والابلاغ من الكف بمعنى الجمع ومنه كف الثوب وهو جمعه بالخياطة والهاء للمبالغة كعلامة ونحوها وقيل معناه مانعا ورادعا عن الكفر وسائر المعاصى من الكف بمعنى المنع والهاء للمبالغة أيضا ونصب كافة على الوجهين حال من المفعول فى أرسلنى (وأنزل على الفرقان) من أسماء القرآن لانه فرق بين الحق والباطل وهذا عام لغة وعليه ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان ثم خص عرفا بالقرآن فصار علما له بالغلبة وأصله تبارك الذى نزل الفرقان على عبده وهو مصدر بمعنى الفارق أو المفرق آياته أو انزاله (فيه تبيان كل شئ) بكسر التاء البيان الشافى كما قال تعالى مافرطنا فى الكتاب من شئ أى يحتاج اليه من الامور المهمة الشرعية تفصيلا فى بعض واجمالا فى بعض وأحاله على الرسول عليه السلام فى أمره باتباعه بقوله وما آتاكم الرسول فخذوه ومانهاكم عنه فانتهوا وعلى الاجماع بقوله ويتبع غير سبيل المؤمنين وهو شامل للقياس والاجتهاد كما فى الكشاف وغيره (وجعل أمتى خير أمة أخرجت للناس) كما قال فى الكتاب العزيز كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون الآية (وجعل أمتى أمة وسطا) أى خيارا عدولا جامعين بين العمل والعلم وسائر الصفات التى بين التفريط والافراط (وجعل أمتى هم الاولون) فى دخول الجنة (والآخرون) فى الوجود وهم ضمير مبتدأ مفيد للحصر لا ضمير فصل لانه لو كان كذلك لقيل الاولين (وشرح لى صدرى) وسعه بالعلم والايمان والحكمة واليقين بحيث لا حزن على أمر من أمور الدنيا أوشقه وملأه بالانوار كما مر (ووضع عنى وزرى) طهر قلبى من حظ الشيطان وعصمنى فلا أرتكب ذنبا ولذا قال ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر فسوى بينهما العدم وقوعهما أو خفف أعباء النبوة والتبليغ بافاضة منته على والجلتان فى غاية التناسب (ورفع لى ذكرى) جعلنى مذكورا فى الملا الاعلى وجعل اسمى طراز الجنان ومقرونا باسمه تعالى على كل لسان وعلى المنابر فى كل اقامة وأذان قال حسان

وضم الاله اسم النبى الى اسمه * اذا قال فى الخمس المؤذن أشهد

(وجعلنى فاتحا) لابواب الايمان والهداية الى الصراط المستقيم ولبيان اسباب التوفيق وما استغلق من العلم أو هو من الفتح بمعنى الحكم فجعله كما فى خلقه ففتح ما انغلق بين الخصمين باحيائه الحق وايضاحه واماتته الباطل وادحاضه أو فاتحا بالشفاعة يوم القيامة (وخاتما) للنبيين أى آخرهم بعثا (فقال ابراهيم بهذا) أى بمجموع ماذكر وبكل واحدة منها لا بالأولى فقط كما زعم (فضلكم محمد) أى زاد فضله عليكم وقدم المعمول

للبصر وقال هذا ابراهيم خطابا للانبياء اذاعة لفضله لما سمع ثناءه (ثم ذكر) في هذا الحديث (انه عرج به الى السماء الدنيا) القريبة الينا من بين السبع سموات (ومن سماء الى سماء ذكره القاضي عياض في الشفاء مختصرا) يعني انه لم يذكر ثناء الانبياء بل قال فأثنوا على ربهم وذكر كلام كل واحد منهم وهم ابراهيم وموسى وعيسى وداود وسليمان ثم ذكر كلام النبي صلى الله عليه وسلم فقال كلكم فذكره بلفظ المصنف هنا (من حديث أبي هريرة من غير عزو) لمخرج وقد أخرجه أبو يعلى والبزار وابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي كلهم من حديث أبي هريرة فما يوهمه قول المصنف (ورواه) أي الحديث الذي ذكره أولا بقوله وعن أبي سعيد ثم سار حتى أتى بيت المقدس الى هنا لا قوله ثم عرج به الى السما كما زعمه من لم يقف على شيء (البيهقي من حديث أبي سعيد) الخدري (وهذا لفظه) من أن البيهقي لم يروه عن أبي هريرة وأن عياضا وهم في نسبته له ليس بمراد وروى أحمد وابن ماجه وصححه الحاكم عن ابن مسعود مرفوعا لقيت ليلة أسري بي ابراهيم وموسى وعيسى فتذاكروا أمر الساعة فردوا أمرهم الى ابراهيم فقال لا علم لي بها فردوا الامر الى موسى فقال لا علم لي بها فردوا الامر الى عيسى فقال أما وجبتها فلا يعلم بها أحد الا الله وفيما عهد الي ربي ان الدجال خارج ومعي قضيبان فاذا رآني ذاب كما يذوب الرصاص فيهلكه الله اذا رآني حتى ان الحجر والشجر ليقول يا مسلم ان تحتي كافرا فتعال فاقتله فيهلكهم الله ثم ترجع الناس الى بلادهم وأوطانهم فعند ذلك يخرج يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون فيطؤن بلادهم لا يطؤن على شيء الا أهلكوه ولا يمرون على ماء الا شربوه ثم ترجع الناس الي فيشكونهم فأدعو الله عليهم فيهلكهم ويميتهم حتى تجوى الارض من نتن ريحهم فينزل الله المطر فيجترف أجسادهم حتى يقذفهم في البحر ثم تنسف الجبال وتمد الارض مد الاديم فقيما عهد الي ربي ان ذلك اذا كان كذلك فان الساعة كالحامل المتم لا يدري أهلها متى تفجؤهم بولادتها ليلا أو نهارا وتجوى بالجيم أي تنتن وقوله فيهلكه الله اذا رآني أي على يدي بقتلي له بعد هروبه لا بمجرد رؤيته وقوله حتى ان الشجر غاية لمقدر ففي حديث أبي امامة عند ابن ماجه وصححه ابن خزيمة والحاكم مرفوعا فاذا انصرف أي من الصلاة خلف المهدي قال عيسى افتحوا الباب فيفتحون ووراءه الدجال معه سبعون ألف يهودي كلهم ذو سيف محلى وساج فاذا نظر اليه الدجال ذاب كما يذوب الملح في الماء وينطلق داربا ويقول عيسى ان لي فيك ضربة لن تسبقني فيدركه عند باب لد الشرقي فيقتله فيهزم الله اليهود فلا يبقى شيء مما خلق الله عز وجل تتوارى به دابة الا الغرقدة فانها من شجرهم لا تنطق الا قال يا عبد الله المسلم هذا يهودي فتعال اقتله (وفي رواية ابن أبي حاتم في تفسيره عن انس لما بلغ بيت المقدس فبلغ) أي فسار حتى بلغ (المكان الذي يقال له باب محمد) الآن بعد دخوله صلى الله عليه وسلم منه ويحتمل انه كان معروفا عندهم قبل المعراج بهذا الاسم من الانبياء والكتب القديمة (أتى الى الحجر) جواب لما (الذي به) وهو الصخرة المعروفة (فغمز جبريل بأصبعه فثقبه ثم ربطها) أي الدابة وهو البراق وفي نسخة ثم صعدا أي مرا بعد ربط البراق والافلا معنى للصعود هنا وأكثر النسخ باسقاطها وهي

ظاهرة (فلما استويا في سرحة) بسين مهملة وراء وسطه أي فناء (المسجد) أي ساحته التي في وسطه وفي نسخة صرحة المسجد بصاد مهملة وهي ظاهرة أي ساحته وفي نسخة عرصة المسجد أي ساحته التي لا بناء فيها ونقل الشامي هذا الحديث بعينه بلفظ في ضفرة المسجد أي عندها (قال جبريل يا محمد هل سألت ربك أن يريك الحور العين) بكسر العين جمع عيناء حسنة العينين واسعتهما والحور النساء البيض اللواتي بأعينهن حور وهو شدة بياض بياضها وسواد سوادها وقيل الحور اسوداد المقلة كلها كعيون الظباء قالوا ولا حور في الانسان وانما قيل ذلك في النساء على التشبيه (قال ثم قال فانطلق الى أولئك النسوة) فانهن من الحور العين (فسلم عليهن قال) صلى الله عليه وسلم فانطلقت (فسلمت عليهن فرددن على السلام فقلت لمن انتن فقلن خيرات) أخلاقا (حسان) وجوها جمع حسناء وقيل خيرات جمع خيرة بفتح فسكون وهي الحوراء (نساء قوم أبرار نقوا فلم يدرنوا) بفتح الباء والراء أو بضم الباء وكسر الراء أي لم يصبهم درن وهو الوسخ (وأقاموا فلم يظعنوا) يرتحلوا من محل لآخر فتصيبهم مشقة الظعن (وخلدوا فلم يموتوا قال ثم انصرفت) من عند الحور (فلم ألبث الا يسيرا حتى اجتمع ناس كثير ثم أذن مؤذن وأقيمت الصلاة) تقدم المراد بهما (قال فقمنا صفوفا ننتظر من يؤمنا فأخذ جبريل عليه السلام بيدي فقدمني فصليت بهم فلما انصرفت) من الصلاة (قال لي جبريل أتدري من صلى خلفك قلت لا قال صلى خلفك كل نبي بعثه الله) تعالى أي أوحى اليه بشرع فشمل الانبياء والمرسلين لقوله في الحديث السابق فاذا النبيون أجمعون يصلون معه ثم ظاهر سياق هذا الحديث يخالف قوله في الرواية السابقة ثم دخلت المسجد فعرفت النبيين ما بين قائم وراكع وساجد ثم أقيمت الصلاة فأممتهم (قال القاضي عياض يحتمل أن يكون صلى الله عليه وسلم صلى بالانبياء جميعا في بيت المقدس) قبل العروج قال الشامي وهو الذي تظافرت به الروايات واستظهره الحافظ (ثم صعد منهم الى السماء من ذكر أنه عليه السلام رآه في السموات) آدم فيحيى وعيسى فيوسف فادريس فهرون فموسى فابراهيم (ويحتمل أن يكون صلى بهم بعد أن هبط من السماء فهبطوا أيضا) للصلاة معه قال الشامي وصححه ابن كثير وقوله (والاظهر أن صلاته بهم ببيت المقدس قبل العروج انتهى) ظاهره أنه من كلام عياض وليس كذلك انما هو للحافظ ذكره في فتح الباري بعد كلام عياض وكذا عزاه له تلميذه النعماني ثم الشامي ثم الغيطي (وقال ابن كثير صلى بهم ببيت المقدس قبل العروج وبعده فان في الحديث ما يدل على ذلك ولا مانع منه انتهى) وهذا منابذ لنقله عن ابن كثير نفسه من قوله الظاهر أنه بعد رجوعه الى آخر ما يأتي بعد أسطر وقد نسب النعماني ما هنا لنفسه وتبعه الشامي فعزاه له (وقد اختلف في هذه الصلاة) هل هي الشرعية المعروفة أو اللغوية وصوب الاول لان النص يحمل على حقيقته الشرعية قبل اللغوية ما لم يتعذر حمله على الشرعية ولم يتعذر هنا فوجب حمله على الشرعية وعلى هذا اختلف (هل هي فرض) ويدل عليه كما قال النعماني حديث أنس عند ابن أبي حاتم المتقدم قريبا للمصنف (أو نفل واذا قلنا انها فرض فأي صلاة هي قال بعضهم الاقرب انها الصبح ويحتمل أن تكون العشاء

وانما يتأتى على قول من قال انه صلى الله عليه وسلم صلى بهم قبل عروجه الى السماء (وفي النعماني) انما يتأتى على أن الاسراء من أول الليل لكن قال بعض رواة حديث الاسراء انه بعد صلاة العشاء وأما على قول من قال صلى بهم بعد العروج فتكون الصبح والاحتمالات كما قال الشامي ليست بشئ سواء قلنا صلى بهم قبل العروج أو بعده لان أول صلاة صلاها النبي صلى الله عليه وسلم من الخمس مطلقا الظهر بمكة باتفاق ومن حمل الاولية على مكة فعليه الدليل قال والذي يظهر أنها كانت من التنفل المطلق أو كانت من الصلاة المفروضة عليه قبل ليلة الاسراء وفي فتاوى النووي ما يؤيد الثاني (قال ابن كثير ومن الناس من يزعم أنه امهم في السماء والذي تظاهرت به الروايات انه ببيت المقدس) فهو الواجب القبول (والظاهر أنه بعد رجوعه اليهم لانه لما مر بهم في منازلهم) من السموات (جعل يسأل جبريل عنهم واحدا بعد واحد وهو يخبره بهم) فلو رآهم قبل العروج ما حسن السؤال ولا الجواب ولكن هذا عقلي يدفعه قوله ثم دخلت المسجد فعرفت النبيين ما بين قائم وراكع وساجد والسؤال عنهم بعد ذلك في السموات لا يستلزم انه لم يرهم قبل لجواز اختلاف الصفة وقد نقل الحافظ أن رؤيته الذين صلوا ببيت المقدس تحتمل الارواح خاصة والارواح بأجسادها وأما في السماء فمحمولة على الارواح الا عيسى لما ثبت انه رفع بجسده وقد قيل في ادريس أيضا ذلك ويأتي ذلك للمصنف (ثم قال) ابن كثير (وهذا هو اللائق لانه أولا كان مطلوبا الى الجناب العلوي ليفرض الله عليه وعلى أمته ما يشاء ثم لما فرغ مما أريد به اجتمع هو واخوانه من النبيين) وهذا أيضا عقلي لا ينهض حجة في المدعى لانه قدم على هذا الامر العظيم الذي ليس في طوق بشر ما يؤنسه بالانتقال من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى وما رآه في سيره من الآيات ثم دخوله الاقصى وصلاته ركعتين فناسب أن يجتمع باخوانه ليزيد ايناسه بالاجتماع بجنسه (ثم أظهر شرفه عليهم بتقديمه في الامامة) ثم ثناء من اثنى منهم على ربه وزيادة ثنائه عليهم وقول ابراهيم بهذا فضلكم محمد فيتلقى المعراج بقلب قوي فلا يكون عنده وحشة في العالم العلوي (وفي رواية ابن اسحق) عن أبي سعيد (انه عليه السلام قال لما فرغت مما كان في بيت المقدس) من صلاته الركعتين وصلاته بالانبياء وثنائهم على الله (أتي بالمعراج) الذي تعرج عليه أرواح بني آدم كما في الرواية الآتية (ولم أر قط شيأ أحسن منه وهو الذي يمد اليه الميت عينيه اذا احتضر) ولو كان الميت أعمى كما في شرح الصدور فالميت يكشف له اذا احتضر عن المعراج فيراه فيمد عينيه اليه فاذا قبضت روحه صعدت فيه الى حيث شاء الله (فأصعدني صاحبي جبريل فيه حتى انتهى الى باب من أبواب السماء) أي الدنيا كما مر في الحديث (وفي رواية كعب) عند الواسطي في فضائل بيت المقدس (فوضعت له مرقاة من فضة ومرقاة من ذهب) وهو المعراج (حتى عرج هو وجبريل) عليها والمرقاة موضع الرقي ويجوز فتح الميم على انه موضع الارتقاء وكسرها تشبيها باسم الآلة كالمطهرة وأنكره أبو عبيد وقال لم تقله العرب (وفي) رواية لابن سعد في كتاب (شرف المصطفى انه أتي بالمعراج من جنة الفردوس) قال صلى الله عليه وسلم والفردوس أعلى الجنة ووسطها

وفوقه

وفوقه عرش الرحمن ومنها تفجر أنهار الجنة فاذا سألتم الله فاسألوه الفردوس رواه ابن ماجه وصححه الحاكم (وانه منضد باللؤلؤ) أى جمع عليه بحيث جعل بعضه فوق بعض (وعن يمينه ملائكة وعن يساره ملائكة) وفى رواية أبى سعيد عند البيهقى " ثم أتيت بالمعراج الذى تعرج عليه أرواح بنى آدم فلم تر الخلائق أحسن من المعراج أما رأيت الميت" استفهام قصد به تقرير المبالغة فى حسنه (حين يشق بصره) أى تنفتح عيناه عند الاحتضار انفتاحا لا يرتد عما رآه قال الجوهرى شق بصر الميت نظر الى شئ لا يرتد اليه طرفه ولا تقل شق الميت بصره فأفاد أنه لازم وفسره الفقهاء بشخص بصره ولعله اشارة الى انه صار كالشاخص الذى لا يتحرك من شدة نظره للمعراج الذى تعرج روحه عليه وترى بصرية حال كونه (طامحا) أى رافعا بصره الى السماء (فان ذلك) أى سببه (عجبه بالمعراج وقد تقدم فى حديث البخارى السابق) عن مالك بن صعصعة (فانطلق بى جبريل حتى أتى السماء الدنيا فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل أوقد أرسل اليه قال نعم ولم يقل جبريل عليه السلام انا حيث قال له من هذا الا انه سمى نفسه فقال جبريل) واقتصر عليه لانه ليس فى الملائكة من تسمى بهذا الاسم غيره (لان لفظ انا فيه اشعار بالعظمة) التى لا تخلو عن نوع تكبر كأنه يقول انا لا احتاج الى ذكر اسمى لسمو مقامى قاله ابن الجوزى قال بعضهم وعادة العارفين المتقين أن يذكر أحدهم اسمه بدل قوله انا الا فى نحو اقرار بحق فالضمير أولى (وفى الكلام السائر) الجارى بين الناس (أول من قال انا ابليس فشقى) وقال فرعون انا ربكم الاعلى فتعس (وأيضا فقوله انا مبهمة لافتقار الضمير الى العود فهى غير كافية فى البيان) والضمير اذا عاد وتعين مضمره كان أعرف المعارف والمستأذن محجوب عن المستأذن عليه غير متعين عنده فكأنه احاله على جهالة كما فى ابن المنير وغيره (وعلى هذا فينبغى للمستأذن اذا قيل له من أنت أن لا يقول أنا بل يقول فلان) ويصف نفسه بما يميزه عن غيره فلا يكفى أن يقول محمد مثلا الا اذا كان معروفا للمخاطب بذلك الاسم وقد أنكر النبى صلى الله عليه وسلم على الذى استأذن عليه فقال من هذا فقال أنا فقال صلى الله عليه وسلم انا أنا انكارا عليه قاله ابن المنير وغيره وقال بعض المحققين ذهبت طائفة من العلماء وفرقة من الصوفية الى كراهة اخبار الرجل عن نفسه بأنا تمسكا بظاهر الحديث حتى قالوا كلمة أنا لم تزل مشؤمة على أصحابها وزادوا ان ابليس اللعين يقولها وليس كما قالوا بل النهى عنه لما صحبه من النظر الى نفسه بالخيرية ولا تنكر اصابة الصوفية فى دقائق علومهم واشاراتهم فى التبرى من الدعاوى الوجودية لكن الذى أشاروا اليه بهذا راجع الى معان تتعلق بأحوالهم دون ما فيه من التعلق بالقول كيف وقد ناقض أقوالهم نصوص كثيرة وهم أشد الناس فرارا من مخالفتها كقوله تعالى انما أنا بشر مثلكم انا أول المسلمين وما أنا من المتكلفين وقوله صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد آدم والحاصل كما قال بعض الافاضل أن ذلك يتفاوت بتفاوت الاحوال والمقامات فالمتردد فى الاحوال المتحول فى الفناء والتلوين ينافى حاله أن يقول انا ومن رقى الى مقام البقاء بالله وتصاعد الى درجات التمكين فلا يضره (وفى رواية البخارى) فى الصلاة وغيرها (ومسلم)

في الايمان من حديث أنس عن أبي ذر (فعرج) بي جبريل الى السماء الدنيا بدل قوله في رواية ابن صعصعة فانطلق وهو (بفتح العين) والفاء والراء بمعنى صعد (وفي حديث أبي سعيد عند البيهقي) وابن اسحق (حتى انتهى الى باب من أبواب السماء يقال له باب الحفظة وعليه ملك يقال له اسمعيل) وهو صاحب سماء الدنيا كما في رواية البيهقي عن أبي سعيد وفي حديث جعفر بن محمد عند البيهقي معضلا أيضا يسكن الهواء لم يصعد الى السماء قط ولم يهبط الى الارض قط الا يوم مات النبي صلى الله عليه وسلم ومعلوم أن علم ذلك باخباره عليه السلام به قبل موته لان هذا لا مدخل فيه للرأي (تحت يده اثنا عشر ألف ملك) ينقادون لامره ونهيه كالجند زاد في رواية ابن اسحق مع كل ملك اثنا عشر ألف ملك وروى ابن جرير والبيهقي في الدلائل من حديث أبي سعيد وبين يديه سبعون ألف ملك مع كل ملك جنده مائة ألف وفي رواية للبزار وتحت يده سبعون ألف ملك تحت يد كل ملك سبعون ألف ملك ولعل المراد التكثير فلا يخالف مائة ألف ولعل الاثني عشر ألفا رؤساء السبعين ألفا وكذا الاثنا عشر ألفا الذين مع كل ملك رؤساء على باقي المائة ألف فلا اختلاف والله أعلم (وفي رواية شريك) بن عبد الله المدني عن أنس (عند البخاري أيضا ثم عرج) جبريل (به) بالنبي صلى الله عليه وسلم (الى سماء الدنيا فضرب بابا من أبوابها فناداه أهل سماء الدنيا) أي جنسهم الصادق بالحفظة للباب (من هذا) الذي يدق الباب وفي حديث أبي ذر فلما جئت الى السماء قال جبريل لخازن السماء الدنيا افتح قال من هذا (قال جبريل قالوا ومن معك قال محمد قالوا وقد بعث اليه قال نعم قالوا مرحبا وأهلا فيستبشر به أهل السماء) سقطت الفاء من رواية الاصيلي وزاد الدنيا (لا يعلم أهل السماء بما يريد الله به في الارض حتى يعلمهم أي على لسان من شاء كجبريل) عليه السلام (ووقع في هذه الرواية) أي رواية شريك عن أنس (أيضا انه رأى في سماء الدنيا النيل والفرات عنصرهما) بضم المهملتين بينهما نون ساكنة أصلهما الذي تميزا به عن نهري الجنة فينزلان الى سماء الدنيا ثم ينزلان الى الارض يدل عليه ما قبله ولفظ رواية شريك فاذا هو في السماء الدنيا بنهرين يطردان فقال ما هذان النهران يا جبريل قال هذا النيل والفرات عنصرهما (وظاهرها) أي هذه الرواية (يخالف حديث مالك بن صعصعة فان فيه بعد ذكر سدرة المنتهى واذا في أصلها أربعة أنهار) نهران باطنان ونهران ظاهران فقلت ما هذان يا جبريل قال أما الباطنان فنهران في الجنة وأما الظاهران فالنيل والفرات (ويجمع) بينهما (بأن أصل نبعهما من تحت سدرة المنتهى ومقرهما في السماء الدنيا ومنها ينزلان الى الارض) وجمع ابن دحية بأنه رأى هذين عند سدرة المنتهى مع نهري الجنة ورآهما في السماء الدنيا دون نهري الجنة وأراد بالعنصر عنصر انتشارهما بالسماء الدنيا وكأن الحافظ لم يرتضه لقوله كذا قال ابن دحية انتهى وتبعه المصنف فيما يأتي وجمع غيره بأن منبعهما من السدرة واذا نزلا الى الارض يسلكان أولا الى الجنة فيدخلانها ثم ينزلان الى الارض بعد ذلك ويأتي مزيد لذلك ان شاء الله قريبا (ووقع في هذه الرواية أيضا ثم مضى به في السماء الدنيا فاذا هو بنهر آخر عليه قصر من لؤلؤ وزبرجد وأنه) فسره جبريل بقوله هذا (الكوثر) ولفظه

عقب زبرجد فضرب بيده فاذا هو مسك قال ما هذا يا جبريل قال هذا الكوثر الذى خبأ لك ربك (وهو مما استشكل من رواية شريك فان الكوثر فى الجنة والجنة فوق السماء السابعة ويحتمل) الجمع برد رواية شريك الى هذا وهو (أن يكون) هناك حذف (تقديره ثم مضى فى سماء الدنيا الى السابعة فاذا هو بنهر) كذا ذكره الحافظ واستبعده تلميذه القطب الخيضرى فى الخصائص بأن بين الاولى والسابعة خمس سموات كل منها له صفة غير صفة الاخرى ولها أبواب وخدام غير الاخرى فاطلاق المسير اليها بعيد وذكرها بعد السادسة مما يبعده أيضا لكن قد يقال من غير استبعاد ان أصل الكوثر فى الجنة وجعل الله تعالى منه فرعا فى السماء الدنيا عجل لنبيه رؤيته استبشارا لانها أول المراتب العلوية بعد السفلية ويؤيد هذا قول جبريل خبأ لك ربك انتهى (ثم ان قوله فى الحديث استفتح دلالة) صريحة (على انه صادف أبواب السماء مغلقة) وأصرح منه قوله فى حديث أبى ذر قال جبريل لخازن السماء الدنيا افتح وكذا ضربه الباب (والحكمة) كما قال ابن المنير (فى ذلك والله أعلم التنويه بقدره) أى اظهاره ورفعه (عليه السلام وتحقيق أن السموات لم تفتح أبوابها الا من أجله ولو وجدها مفتحة لم يتحرر) أى لم يعلم (انها فتحت لاجله) ولابد بل كان يحتمل أنها مفتوحة دائما وأنها فتحت لغيره فصادف مجيئه بعده (فلما فتحت له تحقق عليه السلام أن المحل مصون وأن فتحه له كرامة وتبجيل) تعظيم وقال ابن دحية وانما لم تهيأ له بالفتح قبل مجيئه وان كان أبلغ فى الاكرام لانه لو رآها مفتحة لظن أنها لا تزال كذلك ففعل ذلك ليعلم أن ذلك فعل من أجله ولان الله تعالى أراد أن يطلعه على كونه معروفا عند أهل السموات (وأما قوله فى الحديث أرسل اليه) بهمزة واحدة ولابى ذر أأرسل بهمزتين الاولى للاستفهام والثانية للتعدية وهى مضمومة وللكشميهنى أوأرسل بواو مفتوحة بين الهمزتين (وفى رواية) لشريك عن أنس (وقد بعث اليه فيحتمل أن يكون استفهم عن الارسال اليه للعروج الى السماء) والاسراء (وهو الاظهر لقوله اليه) اذ لو كان المراد أصل البعثة لم يحتج لقوله اليه (لان أصل بعثه قد اشتهر فى الملكوت الاعلى) فلا يخفى عليهم الى هذه المدة قال الحافظ بعد ما استظهر هذا تبعا لابن المنير وغيره ويحتمل أن يكون خفى عليه أصل ارساله لاشتغاله بعبادته قال ويؤيده رواية شريك وقد بعث اليه انتهى وقد يقال لا تأييد فيها لان المراد البعث الخاص للاسراء وصعود السموات لا عن أصل البعثة (وقيل سألوا تعجبا من نعمة الله تعالى عليه بذلك أو استبشارا به وقد علموا أن بشرا لا يترقى هذا الترقى الا باذن من الله تعالى) اذ لا قدرة له على ذلك حتى باذن (وان جبريل لا يصعد بمن لم يرسل اليه) فليس سؤالا حقيقيا (وقيل ان الله تعالى أراد اطلاع نبيه على أنه معروف عند الملا الاعلى لانهم قالوا وقد بعث اليه) بحذف همزة الاستفهام للعلم بها (أو أرسل اليه) بحذفها واثباتها روايتان كما علم (فدل على أنهم كانوا يعرفون أن ذلك سيقع له) صلى الله عليه وسلم (والا لكانوا يقولون ومن محمد مثلا ولذلك أجابوا بقولهم مرحبا به ولنعم المجيء جاء وكلامهم بهذه الصيغة أدل دليل على ما ذكرناه من معرفتهم بجلالته وتحقيق رسالته ولان هذا أحسن ما يكون من حسن الخطاب والترفيع) المبالغة فى اظهار قدره

قوله الخيضرى فى بعض النسخ الخضرى وليحرر اه

قوله لا عن أصل الخ هكذا فى النسخ ولعل الاولى اسقاط عن من المعطوف أو ذكرها فى المعطوف عليه تأمل اه مصححه

وشرفه بين الملائكة بناء (على المعروف من عادة العرب) فيمن خاطبوه بذلك وهذا ذكره
ابن أبي جمرة وذكر ابن المنير أن موقع قول الخازن وقد بعث اليه استنطاق جبريل بالسبب
الموجب للاذن والفتح لان مجرد قوله معي محمد لا يوجب الاذن الا بواسطة البعث من الله
تعالى ويلزم منه الاذن في ازالة الموانع وفتح أبواب السماء فلم يتوقف الخازن على أن يوحى
اليه بالفتح لانه لزم عنده من البعث الاذن (وأما قوله ومن معك فيشعر بأنهم احسوا به عليه
الصلاة والسلام) لفظ الحافظ بأنهم أحسوا معه برفيق (والا لكان السؤال بلفظ أمعك
أحد وهذا الاحساس اما بمشاهدة لكون السماء شفافة) لا تحجب ما وراءها (واما الامر
معنوي كزيادة أنوار ونحوها قاله الحافظ ابن حجر) في فتح الباري (ولعله أخذه من كلام
العارف ابن أبي جمرة حيث قال في بهجته) أي كتابه بهجة النفوس وتحليها بمعرفة مالها
وعليها وهو اسم شرحه على الاحاديث التي انتخبها من البخاري (الثاني أن يكون سؤالهم له)
لجبريل (لما رأوا حين اقبالهم عليه) على جبريل (من زيادة الانوار ونحوها) بيان لما رأوا
(من المآثر الحسان زيادة على ما يعهدونه منه قال وهذا هو الاظهر) من احتمال أن ذلك
لان السماء شفافة (كأنهم قالوا من الشخص الذي من أجله هذه الزيادة التي معك
فأخبرهم بما أرادوا وهو تعيين الشخص باسمه حتى عرفوه انتهى) يؤيده أنه (قد قال
بعض العلماء في قوله تعالى لقد رأى من آيات ربه الكبرى انه صلى الله عليه وسلم رأى صورة
ذاته المباركة في الملكوت فاذا هو عروس المملكة) لشدة أنواره (وأما قولهم له مرحبا به)
أي أصاب رحبا وسعة كنى بذلك عن الانشراح وأخذ منه ابن المنير جواز رد السلام بغير
لفظه وتعقب بأن مرحبا به ليس ردا لانه كان قبل فتح الباب والسياق يرشد اليه وقد نبه
على ذلك ابن أبي جمرة (ولنعم المجيء جاء فيحتمل أن يكونوا قالوه لما عاينوه من بركاته عليه
السلام التي سبقته للسماء مبشرة بقدومه) وفيه دلالة على أن للحاشية اذا فهموا من
سيدهم عزما اكرام وافد أن يبشروه بذلك وان لم يأذن لهم فيه ولا يكون افشاء سر لان
الخازن أعلم النبي صلى الله عليه وسلم حال استدعائه انه استدعاه اكرام واعظام فعجل
بالبشرى والفراسة الصادقة عند أهلها وفي محلها تحصل العلم كما يحصله الوحي قاله ابن المنير
(وفيه تقديم وتأخير والتقدير جاء فنعم المجيء مجيئه) كذا قاله بعض الشراح وخرجه ابن
مالك في التوضيح على وجه لا تقديم فيه ولا تأخير فقال في هذا الكلام شاهد على الاستغناء
بالصلة عن الموصول أو الصفة عن الموصوف في باب نعم لانها تحتاج الى فاعل هو المجيء والى
مخصوص بمعناها وهو مبتدأ مخبر عنه بنعم وفاعلها فهو في هذا الكلام وشبهه موصول
أو موصوف بجاء والتقدير نعم المجيء الذي جاء أو نعم المجيء مجيء جاء وكونه موصولا أجود
لانه مخبر عنه والمخبر عنه اذا كان معرفة أولى من كونه نكرة نقله في الفتح وقدمته في شرح
الحديث (وانما لم يقل الخازن مرحبا بك بصيغة الخطاب بل قال به بصيغة الغيبة لانه حياه
قبل أن يفتح الباب وقبل أن يصدر من النبي صلى الله عليه وسلم خطاب) ولهذا قال الملك
لجبريل ومن معك فخاطبه بصيغة الخطاب لان جبريل خاطب الملك فارتفع حكم الغيبة
بالتخاطب من الجانبين قاله ابن المنير (ويحتمل أن يكون حياه بصيغة الغيبة تعظيما له لان هاء

الغيبة ربما كانت أفخم من كاف الخطاب) لما فيها من اجلال المخاطب على مخاطبه لانه لم ينزل نفسه أهلا لخطابه بجلالته عليه وهذان الاحتمالان ذكرهما ابن المنير (وأما قوله فى الحديث) ليس يعنى به حديث مالك بن صعصعة الذى قدمه لانه ليس فيه ذكر النسم كما فى البخارى ومسلم وانما عنى به حديث أنس عن أبى ذر عند البخارى أول كتاب الصلاة ولفظه فلما فتح علونا السماء الدنيا (فاذا) بالفاء وللاصيلى وابن عساكر بدونها (رجل قاعد عن يمينه اسودة) أشخاص جمع سواد كازمنة جمع زمان (وعن يساره اسودة اذا نظر قبل) بكسر القاف وفتح الموحدة أى جهة (يمينه ضحك واذا نظر قبل شماله بكى فقال) ذلك الرجل القاعد (مرحبا بالنبى الصالح والابن الصالح) وفى رواية شريك فقال مرحبا وأهلا يابنى نعم الابن أنت والصالح القائم بما يلزمه من حقوق الله وحقوق العباد فهى صفة جامعة لمعانى الخير فوصفه بها مكررا مع النبوة والبنوة اشارة الى أنه جمع بين صلاح الانبياء وصلاح الابناء كأنه قال مرحبا بالنبى التام فى نبوته والابن البار فى بنوته وفيه افتخار بابوته للنبى صلى الله عليه وسلم وجمع الصلاح لخلال الخير اقتصر الانبياء على وصفه بالصالح وتواردوا على ذلك وكررها كل منهم عند كل صفة ولم يقولوا بالنبى الصادق أو الامين قال بعضهم وصلاح الانبياء غير صلاح الامم فصلاح الانبياء صلاح كامل لانهم يزول بهم كل فساد فلهم صلاح خاص لا يتناول عموم الصالحين لان كثيرا من الانبياء تمنى أن يلحق بالصالحين ولا يتمنى الاعلى أن يلحق بالادنى فهذا يحقق أن صلاح الانبياء غير صلاح الامم ومن دونهم الامثل فالامثل فكل واحد يستحق اسم الصلاح على قدر ما زال به أو منه من الفساد (قلت لجبريل من هذا قال هذا آدم) ظاهره انه سأل عنه بعد أن قال له آدم مرحبا ورواية مالك بن صعصعة بعكس ذلك وهى المعتمدة فتحمل هذه عليها اذ ليس فى هذه اداة ترتيب كذا فى فتح البارى وتبعه الشامى أى لانه لم يقل هنا فقلت لجبريل بالفاء انما قال قلت فيحمل على أن القول وقع قبل قول آدم مرحبا والمراد بالعكس المخالفة فلفظ رواية ابن صعصعة فلما خلصت فاذا فيها آدم فقال هذا أبوك آدم فسلم عليه فسلمت عليه فرد السلام ثم قال مرحبا بالابن الصالح والنبى الصالح (وهذه الاسودة التى عن يمينه وشماله نسم بنيه) أرواحهم (فأهل اليمين منهم أهل الجنة والاسودة التى عن شماله أهل النار فاذا نظر قبل يمينه ضحك) سرورا (واذا نظر قبل شماله بكى) حزنا (فالاسودة بوزن أزمنة مفرد سواد) بوزن زمان (هى الاشخاص) من كل شئ وتطلق بمعان أخر (والنسم بالنون والسين المفتوحتين جمع نسمة) بزنة قصب وقصبة (وهى الروح) بيان للمراد بها هنا والافى المصباح النسم والنسمة نفس الريح ثم سميت بها النفس بالسكون قال الحافظ وحكى ابن التين انه رواه شيم بكسر الشين المعجمة وفتح الياء آخر الحروف بعد هاء ميم وهو تصحيف وظاهره أن أرواح بنى آدم من أهل الجنة والنار فى السماء وهو مشكل (وقد قال القاضى عياض جاء ان أرواح الكفار فى سجين) مكان يعذبون فيه أسفل سافلين كما فى ابن المنير وفى المصنف فى سجين الارض السابعة وفى القاموس سجين موضع فيه كتاب الفجار وواد فى جهنم (وأن أرواح المؤمنين منعمة فى الجنة) روى الطبرانى والبيهقى بسند حسن

عن أم مبشر وكعب بن مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان نسمة المؤمن تسرح في الجنة حيث شاءت ونسمة الكافر في سجين وسئل صلى الله عليه وسلم عن أرواح المؤمنين فقال في طير خضر تسرح في الجنة حيث شاءت قالوا وأرواح الكفار قال محبوسة في سجين رواه الطبراني (يعني فكيف تكون مجتمعة في سماء الدنيا) مع أن أرواح الكفار في سجين الارض السابعة (وأجاب) عياض (بأنه يحتمل انها تعرض على آدم أوقاتا فوافق) صادف (عرضها مرور النبي) صلى الله عليه وسلم ويدل على أن كونهم في النار في أوقات دون أوقات قوله) تعالى (النار يعرضون عليها) يحرقون بها (غدوا وعشيا) صباحا ومساء (واعترض بأن أرواح الكفار لا تفتح لهم أبواب السماء كما هو نص القرآن) في قوله تعالى ان الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء (والجواب عنه ما أبداه هو احتمالا أن الجنة كانت في جهة يمين آدم والنار كانت في جهة شماله وكان يكشف له عنهما) وحين مر المصطفى على آدم كشف له عن ذلك فرأى ما رآه آدم والى هذا جواب عياض كما في الفتح زاد المصنف (ولا يلزم من رؤية آدم لها وهو في السماء أن تفتح لها أبواب السماء ولا تلجها) فلا اعتراض على عياض وان كان الحافظ في الفتح أعاد كرهذا عقب احتمال أن المراد من خرجت من أجسادها حين خروجها لا انها مستقرة ولا يلزم الى آخر ما هنا ويأتي كلامه (وفي حديث أبي هريرة عند البزار) وأبي يعلى وابن جرير والبيهقي (فاذا عن يمينه) أي آدم (باب يخرج منه ريح طيبة وعن شماله باب يخرج منه ريح خبيثة اذا نظر عن يمينه استبشر واذا نظر عن شماله حزن وهذا لو صح لكان المصير اليه أولى من جميع ما تقدم) لعدم احتياجه لتأويل لان المستفاد منه رؤية البابين حين مروره على آدم وهو لا يستلزم أن عنده شيأ من النسم التي رآها عند آدم لجواز أنه رآها من وراء الابواب (ولكن سنده ضعيف قاله الحافظ ابن حجر) في كتاب الصلاة ببعض تصرف من المصنف وفيه أيضا قبل ذكره هذا الحديث الضعيف ويحتمل أن النسم المرئية هي التي لم تدخل الاجساد بعد وهي مخلوقة قبل الاجساد ومستقرها عن يمين آدم وشماله وقد أعلم بما سيصيرون اليه فلذلك كان يستبشر اذا نظر الى من على يمينه ويحزن اذا نظر الى من على يساره بخلاف التي في الاجساد فليست مرادة قطعا وبخلاف التي انتقلت من الاجساد الى مستقرها فليست مرادة أيضا فيما يظهر وبهذا يندفع الايراد ويعرف أن قوله نسم بنيه عام مخصوص أو أريد به الخصوص انتهى وهو مبني على أن الارواح كلها خلقت قبل الاجساد كما جزم به ثم اذا أراد الله احياء شخص أرسل الروح التي سبق في علمه أنها معدة لذلك الجسد وقال في الفتح هنا في باب المعراج وظهر لي الآن احتمال آخر وهو أن يكون المراد من خرجت من الاجساد حين خروجها لا أنها مستقرة ولا يلزم من رؤية آدم لها وهو في السماء أن تفتح لها أبواب السماء ولا تلجها وفي حديث أبي سعيد عند البيهقي ما يؤيده ولفظه فاذا أنا بآدم تعرض عليه أرواح ذريته المؤمنين فيقول روح طيبة ونفس طيبة اجعلوها في عليين ثم تعرض عليه أرواح ذريته الفجار فيقول روح خبيثة ونفس خبيثة اجعلوها في سجين ويظهر منه ومن حديث أبي هريرة عدم اللزوم المذكور وهذا أولى ما جمع به

القرطبي

القرطبى فى المفهم أن ذلك فى حالة مخصوصة انتهى وهو مخصص للارواح بالخارجة من الاجساد حين الموت لا مطلقا فهو أيضا عام مخصوص أو أريد به الخصوص وأجاب بعضهم عن الاشكال بحمل الاسودة التى عن شماله على العصاة من الموحدين لا على الجاحدين وعضده ببكاء آدم رحمة لهم ولا يرحم الكفار وتعقبه ابن المنير بأن المؤمنين برّهم وفاجرهم مطيعهم وعاصيهم من أهل اليمين وقد فسر الله أصحاب الشمال بالكفار فقال وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال فى سموم وحميم وظل من يحموم الآيات وهذا انما هو لكافر لاحظ له فى الايمان ولا حجة فى بكاء آدم لانه ليس فيه استغفار لهم ولا خلاف أن من مات أبوه كافرا وهو مسلم لا يحرم عليه البكاء عليه لاسيما الطبيعى والرقة الطبيعية وقال ابن دحية فان قيل كيف يكون نسم السعداء كلهم فى السماء وقد كان حين الاسراء جماعة من الصحابة فى الارض وهم من السعداء فالجواب أن آدم ابصارآهم فى مواضعهم ومقارّهم فى الارض ولكنه راهم من الجانب الايمن فالتقييد للنظر لا للمنظور انتهى وتبعه ابن المنير وهو واضح وقال السهيلى فان قيل كيف رأى عن يمينه أرواح أصحاب اليمين ولم يكن اذ ذاك منهم الا نفر قليل ولعله لم يكن مات تلك الليلة منهم أحد وظاهر الحديث يقتضى انهم جماعة فالجواب أن الاسراء ان كان مناما فتأويله أن ذلك سيكون وان كان يقظة فمعناه أن أرواح المؤمنين رآها هنالك لان الله يتوفى الخلق فى منامهم فصعد بالارواح الى هنالك فرآها ثم اعيدت الى اجسادها انتهى وهو مبنى على تخصيص الارواح بالخارجة من الاجساد بالموت ولو بالنوم (وأما قوله فى الحديث) أى حديث مالك بن صعصعة (ثم صعدبى حتى أتى السماء الثانية) كذا فى رواية أبى ذر للبخارى ولغيره ثم صعد بى الى السماء وهى التى قدمها المصنف (فاستفتح فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل اليه قال نعم) ارسل اليه (فقيل مرحبا به فنعم المجىء جاء ففتح) الخازن الباب (فلما خلصت اذا بيحيى وعيسى وهما ابنا الخالة قال هذا يحيى وعيسى فسلم عليهما فسلمت عليهما فردا) على السلام (ثم قالا مرحبا بالاخ الصالح والنبى الصالح الى قوله ثم صعد بى الى السماء السابعة فاستفتح جبريل قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال نعم قال مرحبا به فنعم المجىء جاء فلما خلصت) بفتح اللام وصلت (فاذا ابراهيم قال هذا أبوك ابراهيم فسلم عليه قال فسلمت عليه فرد السلام وقال مرحبا بالنبى الصالح والابن الصالح) وقصد المصنف زيادة البيان لطول العهد بسوق لفظ الحديث والا فالاوجز لو قال وأما ما ذكره فى الحديث من أماكن الانبياء فى السموات (فهذه الرواية موافقة لرواية ثابت) البنانى (عن أنس عند مسلم) وفيه (ان فى السماء الاولى آدم وفى الثانية يحيى وعيسى وفى الثالثة يوسف وفى الرابعة ادريس وفى الخامسة هرون وفى السادسة موسى وفى السابعة ابراهيم) فهذا بيان للموافقة محكى بالمعنى (وخالف ذلك ابن شهاب الزهرى فى روايته عن أنس عن أبى ذر) كما فى أول الصلاة من البخارى (أيضا) وقد خرج مسلم حديثه أيضا فى الايمان وذكر (انه لم يثبت) من الاثبات أبو ذر (كيف منازلهم) أى لم يعين أبو ذر لكل نبى سماء والمراد منازل الجميع فلا ينافى أنه

قال آدم في السماء الدنيا (وقال فيه وابراهيم في السماء السادسة) ولفظ البخاري قال أنس فذكر أي أبو ذر أنه وجد في السموات آدم وادريس وموسى وعيسى وابراهيم ولم يثبت كيف منازلهم غير أنه ذكر أنه وجد آدم في السماء الدنيا وابراهيم في السماء السادسة (وفي رواية شريك عن أنس) في الصحيحين ثم عرج به الى السابعة فقالوا له مثل ذلك كل سماء فيها أنبياء قد سماهم وعينتهم (ان ادريس في الثانية وهرون في الرابعة وآخر في الخامسة لم أحفظ اسمه وابراهيم في السادسة وموسى في السابعة بتفضيل كلام الله تعالى) أي بسبب أن له فضل كلام الله اياه وفيه دلالة على أن شريكا ما ضبط كون موسى في السابعة فيتعين أحد الجموع الآتية (وسياقه يدل على انه لم يضبط منازلهم) أي جميعهم والا فقد صرح بقوله وعينت انه ضبط أربعة (أيضا كما صرح به الزهري) محمد ابن مسلم بن شهاب في حديث أبي ذر (ورواية من ضبط أولى) احق بتقديمها على من لم يضبط (لاسيما) مع ما حصل فيها من القوة (من) أجل (اتفاق) ولفظ الفتح مع اتفاق فلا يحتاج لهذا التعسف (قتادة) بن دعامة عند الشيخين (وثابت) البناني عند مسلم (وقد وافقهما يزيد بن أبي مالك) هو ابن عبد الرحمن نسب الى جده الهمداني بالسكون الدمشقي القاضي صدوق ربما وهم مات سنة ثلاثين ومائة أو بعدها وله أكثر من سبعين سنة روى له أبو داود والنسائي وابن ماجه (عن أنس الا انه خالف في ادريس وهرون فقال هرون في الرابعة) فوافق شريكا في ذلك (وادريس في الخامسة) فخالف قتادة وثابتا في انه في الرابعة وشريكا في انه في الثانية (ووافقهم أبو سعيد الخدري) عند ابن مردويه وكان الأولى وافقهما بتثنية الضمير عائدا على قتادة وثابت وجمعه قد يوهم موافقة أبي ذر وشريك وليس بمراد فان رواية أبي سعيد انما وافقت رواية قتادة وثابت (الا ان في روايته يوسف في الثانية وعيسى ويحيى في الثالثة) وجمع باحتمال الانتقال لا التعدد لانه خلاف الصحيح (والمشهور في الروايات) كلها غير روايتي أبي ذر وشريك (ان الذي في السابعة هو ابراهيم) قال الحافظ وهو الارجح (وأكد) قوى (ذلك في حديث مالك بن صعصعة بأنه كان مسندا ظهره الى البيت المعمور) قال الحافظ وهو في السابعة بلا خلاف وما جاء عن علي انه في السادسة عند شجرة طوبى فان ثبت حمل على البيت الذي في السادسة بجانبه شجرة طوبى لانه جاء عنه ان في كل سماء بيتا يحاذي الكعبة وكل منها معمور بالملائكة وكذا القول فيما جاء عن الربيع بن أنس وغيره أن البيت المعمور في السماء الدنيا فانه محمول على اول بيت يحاذي الكعبة من بيوت السموات (فمع التعدد) أي مع القول بتعدد المعراج (فلا اشكال) بين الثابت المشهور في الروايات انه في السابعة وبين روايتي أبي ذر وشريك انه في السادسة لحمل كل على مرة (ومع الاتحاد) الذي هو الصحيح وقول الجمهور (فقد جمع بأن موسى كان حالة العروج في السادسة وابراهيم في السابعة على ظاهر حديث مالك بن صعصعة وعند الهبوط كان موسى في السابعة) بأن يكون صعد معه أو بعده لأجل المراجعة في أمر الصلاة (لانه لم يذكر في القصة ان ابراهيم كلمه في شئ مما يتعلق بما فرض على امته من الصلاة)

لكن لا يلزم من عدم الكلام أن يكون فى السادسة حين الرجوع الذى هو تمام الجمع بين الروايتين اذ تركه وان كان فى السابعة لان الخليل شأنه التسليم لخليله (كما كلمه موسى عليه السلام) وبجزاه عنا خيرا (والسماء السابعة هى اول شئ انتهى اليه ساعة الهبوط) مما هو أعلى منها (فناسب أن يكون موسى بها لانه هو الذى خاطبه فى ذلك) أى أمر الصلاة (كما ثبت فى جميع الروايات) لان شأن الكليم التكلم ولا بأس بهذا الجمع لكن قد علمت أن تمامه بوجوده ابراهيم حين رجع فى السادسة وأن تعليله بعدم تكلمه فى الصلاة لا ينهض بل قد يخدش فيه قوله فى حديث أنس عند ابن أبى حاتم ثم انجلت عنه السحابة وأخذ بيده فانصرف سريعا فأتى على ابراهيم فلم يقل شيأ فظاهر هذا انه مر على ابراهيم قبل موسى (ويحتمل) فى الجمع أيضا (أن يكون لقى موسى فى السادسة فاصعد معه الى السابعة تفضيلا له على غيره من أجل كلام الله تعالى وظهرت فائدة ذلك فى كلامه مع نبينا فيما يتعلق بأمر أمته فى الصلاة) وهو قريب من الاحتمال قبله ولم يعرج فى هذا أيضا على رواية وابراهيم فى السادسة (قاله فى فتح البارى وقال ان النووى أشار الى شئ من ذلك) وجمع الكرمانى فى كتاب الصلاة بأنه رأى ابراهيم فى السادسة ثم ارتقى ابراهيم الى السابعة ليراه فى مكانين تعظيما له وتبعه شيخ الاسلام زكريا وهو عندى أولى من الاحتمالين (وفى رواية شريك عن أنس فى قصة موسى) تلو قوله بتفضيل كلام الله فقال موسى رب (لم أظن) فيما مضى (أحدا يرفع على) لا فى الماضى ولا فى المستقبل ولفظ الصحيح لم أظن أن يرفع على أحد قال المصنف بضم التحتية وفتح الفاء ولابى ذر عن الحموى والمستملى أن ترفع على أحدا بالنصب وفتح الفوقية (قال ابن بطال فهم موسى عليه الصلاة والسلام من اختصاصه بكلام الله تعالى له فى الدنيا دون غيره من البشر لقوله تعالى) تعليل لفهم اختصاصه (انى اصطفيتك على الناس برسالاتى وبكلامى أن المراد بالناس هنا البشر كلهم) من فى زمنه ومن تقدمه ومن تأخره (وأنه استحق بذلك أن لا يرفع عليه أحد فلما فضل الله تعالى محمدا عليه الصلاة والسلام بما أعطاه من المقام المحمود وغيره ارتفع على موسى وغيره بذلك) فكان المراد بالناس ناس زمانه لا جميع البشر (وفى حديث أبى سعيد) عند البيهقى وغيره (قال موسى تزعم بنو اسرائيل أنى أكرم الخلق على الله وهذا أكرم على الله منى) وأخرج البزار والبيهقى وغيرهما من حديث أبى هريرة قال موسى تزعم بنو اسرائيل أنى أكرم بنى آدم على الله وهذا رجل من بنى آدم خلفنى فى دنيا وأنا فى اخرى فلو أنه بنفسه لم أبال ولكن مع كل نبى امته (زاد) سعيد بن يحيى بن سعيد بن أبان بن سعيد بن العاصى بن امية (الأموى) بفتح الهمزة على غير قياس وضمها على القياس وهو الاشهر عندهم كما فى المصباح نسبة لجده الأعلى امية بن عبد شمس بن عبد مناف وجزم الجوهرى بالفتح ثم قال وربما ضموا (فى روايته) لحديث المعراج فى مغازيه (ولو كان هذا وحده لهان على ولكن معه امته وهم أفضل الامم عند الله) ومعلوم أن هذا من الغبطة لا الحسد معاذ الله (وفى حديث مالك بن صعصعة ولما جاوزته بكى موسى يبكى فنودى) لفظ الحديث كما مر فلما تجاوزت بكى قيل له ما يبكيك وكذا هو لفظ البخارى فى المعراج وبدء

الخلق وكذا القطسلانى وغيره (ما يبكيك قال) قال ابن أبي جمرة الظاهر أن قائل ذلك له الباري تبارك وتعالى يدل على هذا قوله في الجواب (رب هذا غلام بعثته من بعدي يدخل من امته الجنة أكثر مما يدخل من امتي) وفي رواية أبي عبيدة بن عبد الله بن مسعود عن أبيه انه مر بموسى عليه السلام يرفع صوته فيقول أكرمته وفضلته فقال جبريل هذا موسى قلت من يعاتب قال يعاتب ربه قلت ويرفع صوته على ربه قال ان الله قد عرف له حدته قال العلماء (ولم يكن بكاء موسى حسدا معاذ الله) مفعول مطلق حذف عامله أي أعوذ أي أعتصم بالله معاذا من توهم أن بكاءه حسد (فان الحسد في ذلك العالم منزوع من آحاد المؤمنين فكيف بمن اصطفاه الله تعالى بل كان أسفا على ما فاته من الاجر الذي يترتب عليه رفع الدرجات له بسبب ما وقع من امته من كثرة المخالفة المقتضية لتنقيص اجورهم المستلزمة لتنقيص اجره لان لكل نبي مثل اجر كل من تبعه) من غير أن ينقص من اجورهم شيء (ولهذا كان من اتبعه في العدد دون من اتبع نبينا صلى الله عليه وسلم مع طول مدتهم بالنسبة لمدة هذه الامة وقال العارف ابن أبي جمرة قد جعل الله تعالى في قلوب أنبيائه عليهم الصلاة والسلام الرأفة والرحمة لاممهم وركبهم) أي ركب بنيتهم في أصل خلقتهم مجبولة (على ذلك) حتى كأنهم خلقوا من الرأفة والرحمة (وقد بكى نبينا فقيل له ما يبكيك) روى الشيخان عن اسامة ارسلت بنت النبي صلى الله عليه وسلم ان ابني قد احتضر فاشهدنا فأرسل يقرئ السلام ويقول ان لله ما أخذ وله ما اعطى وكل شيء عنده بأجل مسمى فلتصبر ولتحتسب فأرسلت اليه تقسم عليه ليأتينها فقام ومعه سعد بن عبادة ومعاذ بن جبل وأبي ابن كعب وزيد بن ثابت ورجال فدفع اليه الصبي فأقعده في حجره ونفسه تتقعقع ففاضت عيناه فقال سعد يا رسول الله ما هذا (قال هذا رحمة) جعلها الله في قلوب عباده (وانما يرحم الله من عباده الرحماء) روى بالنصب مفعول يرحم على ان ما في انما كافة أو أداة حصر وبالرفع خبر ان على انها موصولة بمعنى الذين والرحماء جمع رحيم من صيغ المبالغة فقضاه أن رحمة الله تختص بالمتصف بالرحمة الكاملة بخلاف من فيه رحمة ما لكن قضية خبر أبي داود الراحمون يرحمهم الله شموله له ورجح وانما بولغ في الاول لان ذكر الجلالة دال على العظمة فناسب فيه التعظيم والمبالغة وقال شيخنا لعل مراد الحديث انه يرحم كثير الرحمة رحمة تامة بحيث تمنع من قامت به من العذاب فلا يرد أنه يرحم الكافر بتخفيف العذاب عنه وبتأخيره في سعة عيش وصحة وغيرهما الى وقت قبض روحه وقد يخفف عنه عذاب غير الكفر (والانبياء عليهم الصلاة والسلام قد أخذوا من رحمة الله أوفر نصيب فكانت الرحمة في قلوبهم لعباد الله اكثر من غيرهم فلاجل ما كان بموسى عليه الصلاة والسلام من الرحمة واللطف بكى اذ ذاك رحمة منه لامته لان هذا وقت افضال وكرم وجود فرجا) حصول ما يتمناه من الثواب لامته فقال (لعل أن يكون) والرجاء يستعمل بمعنى التمني والخوف لان الراجي يخاف أن لا يدرك ما يترجاه (وقت القبول والافضال) أي الزيادة من النعم والخير على العباد (فيرحم الله امته ببركة هذه الساعة) لان لله أوقاتا يتجلى فيها بالرحمة على العباد فلا يرد فيها سائلا ولا يمنع

راجيا (فان قال قائل كيف يكون هذا) الواقع من موسى (وأمته لا تخلو من قسمين) جملة حالية مقررة للاشكال (قسم مات على الايمان وقسم مات على الكفر فالذى مات على الايمان لا بدله من دخول الجنة) وان كثر عصيانه فى الدنيا (والذى مات على الكفر لا يدخل الجنة أبدا) ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء (فبكاؤه لاجل ماذكر لا يسوغ لان الحكم فيهم قد مرّ ونفذ) عطف تفسير (قيل) فى الجواب (ان الله تعالى قدر قدره على قسمين فقدّر قدرا وقدّر أن ينفذ على كل الاحوال) فلا بدّ من وقوعه (وقدّر قدرا وقدّر ان لا ينفذ) أى أن لا يوجد ناجيا (و) لكن (يكون رفعه بسبب دعاء أو صدقة أو غير ذلك) مما علق عليه فى الازل وحصل ذلك المعلق عليه (فلاجل ما ركب فى موسى عليه الصلاة والسلام من اللطف والرحمة بالامة طمع) فى ذلك وقال (لعل أن يكون ما اتفق لامته من القدر الذى قدّره الله تعالى وقدّر ارتفاعه بسبب الدعاء والتضرع اليه وهذا وقت يرجى فيه التعطف والاحسان من الله تعالى لانه وقت أسرى فيه بالحبيب الكريم ليخلع عليه خلع) بكسر ففتح جمع خلعة بزنة سدرة وسدر (القرب والفضل العميم فطمع الكليم لعل أن يلحق لامته نصيبا من هذا الخير العظيم وقد قال نبينا صلى الله عليه وسلم (ان لله نفحات فتعرضوا) أى تصدوا أو من التعرض وهو الميل الى الشئ من أحد جوانبه (لنفحات الله) أى اسلكوا طرقها حتى تصير عادة وطبيعة وسجية وتعاطوا أسبابها وهو فعل الاوامر وتجنب المناهى رجاء أن تهب من رياح رحمته نفحة بسعد كم أو المعنى تعرضوا لها بطلبكم منه قال الصوفية التعرض للنفحات الترقب لورودها بدوام اليقظة والانتباه من سنة الغفلة حتى اذا مرّت نزلت بفناء القلوب قال بعضهم ومقصود الحديث أن لله فيوضا ومواهب تبدو لوامعها من أبواب خزائن الكرم والمنن فى بعض الاوقات فتهب فورتها ومقدماتها كالانموذج لما وراءها من مدد الرحمة فمن تعرض لها مع الطهارة الظاهرة والباطنة بجمع همة وحضور قلب حصل له منها فى دفعة واحدة ما يزيد على النعم الدارّة فى الازمنة الطويلة على طول الاعمار فان خزائن الثواب بمقدار على طريق الجزاء وخزائن المنن النفحة منها تفوق فما يعطى على الجزاء له مقدار ووقت معلوم ووقت النفحة مبهم فى الازمنة والساعات ليداوم على الطلب بالسؤال كما فى ليلة القدر وساعة الجمعة فقصد أن يكونوا متعرضين له فى كل الاوقات قياما وقعودا وعلى جنوبهم وفى وقت التصرف فى أشغال الدنيا فانه اذا دام أوشك أن يوافق الوقت الذى ينفع فيه فيسعد بسعادة الابد فقال صلى الله عليه وسلم اطلبوا الخير دهركم كله وتعرضوا النفحات رحمة الله فان لله نفحات تصيب من يشاء من عباده الحديث أخرجه البيهقى من حديث أنس وأبى هريرة (وهذه نفحة من النفحات) عطية من العطيات قال المصباح النفحة العطية وقيل مبدأ الشئ قليل من كثير وفى الصحاح نفح الطيب فاح ونفحت الريح هبت (فتعرض لها موسى فكان أمرا قد قدر والاسباب لا تؤثر الا بما سبقت القدرة بأنها فيه تؤثر) من تعليقه على سبب ووقوعه (وما كان قضاء نافذا لا تؤثر فيه ولا ترده الاسباب) لانه (حتم قد لزم) ومثال ذلك دعاء النبى صلى الله عليه وسلم

لامته أن لا يظهر عليهم عدوّ من غيرهم وأن لا يهلكهم بالسنين فاعطيهما وأن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعها فاستجيب له فى الاثنتين دون الثالثة وقيل له هذا أمر قدرته أى أنفذته فكانت الاثنتان من القدر الذى قدره الله وقدر أن لا ينفذه بسبب الدعاء والثالثة من القدر الذى قدره وقدر انفاذه على كل الاحوال لا يرده راد (وفى) حكمة (بكائه) أى موسى (عليه الصلاة والسلام وجه آخر وهو البشارة لنبينا صلى الله عليه وسلم وادخال السرور عليه) بكثرة أمته المستلزمة لكثرة أجره (وذلك قول موسى عليه الصلاة والسلام الذى هو أكثر الانبياء أتباعا ان الذين يدخلون الجنة من أمة محمد صلى الله عليه وسلم أكثر ممايدخلها من أمتى) فبكاؤه حين جاوزه المصطفى وقبل أن يبعد عنه لاجل أن يسمعه هذه البشارة اذ لو لم يكن اذ ذلك لترك البكاء حتى يبعد عنه فلا يسمعه ولم يبك حين كان معه بل رحب به وأثنى عليه ودعا له بخير لئلا يشوش عليه (وأما قول موسى عليه الصلاة والسلام لان غلاما ولم يقل غير ذلك من الصيغ) كرجلا أو نبيا (فاشارة الى صغر سنه) أى المصطفى (بالنسبة اليه) الى موسى (وفى القاموس الغلام الطارّ) أى النابت (الشارب والكهل ضد) فيحتمل انه استعمل بمعنى الكهل لاستعماله فيه وفى الكهل (وقال الخطابى العرب تسمى الرجل المستجمع السنّ) أى البالغ مبلغ الرجال بأن بلغ أشده واستوت لحيته (غلاما ما دامت فيه بقية من القوة فى الكهولة) اشارة الى مدحه بقوة الشاب مع انه كهل وقال ابن أبى جمرة العرب انما يطلقون على المرء غلاما اذا كان سيدا فيهم فلاجل ما فى هذا اللفظ من الاختصاص على غيره من ألفاظ الافضلية ذكره موسى دون غيره تعظيما للنبى صلى الله عليه وسلم (قال فى فتح البارى ويظهر لى أن موسى عليه السلام اشار الى ما أنعم الله به على نبينا عليه السلام من استمرار القوة فى الكهولة الى أن دخل فى سن الشيخوخة ولم يدخل على بدنه هرم ولا اعتراه فى قوته نقص) وهذا غير كلام الخطابى لانه قال بقية من القوة وهذا صرح ببقاء قوته كلها (حتى ان الناس فى قدومه المدينة لما رأوه مردفا أبا بكر) على راحلته وان كان له راحلة اكراما له أو على راحلة أخرى قال تعالى بألف من الملائكة مردفين أى يتلو بعضهم بعضا قاله الداودى ورجح ابن التين الاول وقال لا يصح الثانى لانه يلزم منه أن يمشى أبو بكر بين يديه صلى الله عليه وسلم ورده الحافظ بأنه انما يلزم ذلك لو جاء الخبر بالعكس فأما واللفظ وهو مردف أبا بكر فلا وفى البخارى من وجه آخر عن أنس فكأنى أنظر الى النبى صلى الله عليه وسلم على راحلته وأبو بكر ردفه (اطلقوا عليه اسم الشاب وعلى أبى بكر اسم الشيخ) قال انس أقبل صلى الله عليه وسلم الى المدينة وهو مردف أبا بكر وابو بكر شيخ يعرف والنبى صلى الله عليه وسلم شاب لا يعرف الحديث فى البخارى (مع كونه عليه السلام فى العمر أسن من أبى بكر) بأزيد من عامين لانه استكمل بمدة خلافته عمر المصطفى (والله أعلم انتهى وقد ذكرت ذلك) أى حديث أنس المذكور (فى الهجرة من المقصد الاول) قال الحافظ وقد وقع من موسى فى هذه القصة من مراعاة جانب النبى صلى الله عليه وسلم انه أمسك عن جميع ما وقع له حتى فارقه النبى صلى الله عليه وسلم أدبا معه وحسن عشرة فلما فارقه بكى وقال ما قال انتهى (وقد وقع فى حديث أبى هريرة

عند الطبرى) محمد بن جرير (فى ذكر ابراهيم فاذا هو برجل اشمط) أى أبيض الرأس يخالط سواده (جالس عند باب الجنة على كرسى) وفى حديث أبى سعيد فاذا بابراهيم خليل الرحمن مسندا ظهره الى البيت المعمور كاحسن الرجال (وفى رواية مسلم من حديث ثابت البنانى) (عن أنس ثم عرج) بالبناء للفاعل وضمير (بنا) للمصطفى وجبريل ويجوز بناؤه للمفعول (الى السماء السابعة فاذا ابراهيم مسندا ظهره الى البيت المعمور) قال أبو عبيدة معنى المعمور الكثير الغاشية ويقال له الضراح بضم المعجمة واهمال الحاء المهملة بين كاف وبيع الابرار سمى به لانه ضرح عن الارض أى بعد قال الحافظ فيه جواز الاستناد الى القبلة بالظهر وبغيره لان البيت المعمور كالكعبة فى انه قبلة من كل جهة وقد أسند ابراهيم ظهره اليه انتهى وقال التلمسانى قيل فيه دلالة على أن الافضل فى غير الصلاة اسناد الظهر للقبلة وقيل الافضل استقبالها ولعل ابراهيم أسند ظهره ليتوجه للمصطفى ويخاطبه انتهى وقد يقال انما دل على الجواز لا على أنه أفضل كيف وفى الحديث أشرف المجالس ما استقبل به القبلة رواه الطبرانى (واذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك) للعبادة (ثم لا يعودون اليه) لان حجه مرة كفرض الحج علينا أو لاشتغال غيرهم بدخوله هذا ما فى مسلم وزاد ابن اسحق من حديث أبى سعيد الى يوم القيامة هكذا بينه فى الفتح فما أوهمه قوله (الى يوم القيامة) من أنه فى رواية مسلم خطأ نشأ عن سقط ثم وجدت فى نسخ صحيحة عدمها ووقعت هذه الزيادة عند البخارى فى بدء الخلق مضمومة الى رواية قتادة عن أنس عن مالك بن صعصعة بلفظ اذا خرجوا لم يعودوا آخر ما عليهم وهى مدرجة من رواية قتادة عن الحسن عن أبى هريرة كما بينه فى الفتح واليه أشار البخارى وقد قدمته وآخر روى بالرفع بتقدير ذلك آخر والنصب على الظرف قال عياض والرفع أجود قال الحافظ واستدل به على أن الملائكة أكثر المخلوقات لانه لا يعرف من جميع العوالم من يتجدد من جنسه فى كل يوم سبعون ألفا غير ما ثبت من الملائكة فى هذا الخبر انتهى ويأتى مزيد لهذا فى المصنف وسئل على عنه فقال بيت فى السماء السابعة بحيال البيت حرمته كحرمة هذا فى الارض يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون اليه أخرجه ابن راهويه وحكمه الرفع اذ لا يقال رأيا (وفيه) أى حديث ثابت المذكور عن أنس ثم عرج بنا الى السماء الثالثة فذكر مثل الاول ففتح لنا (فاذا أنا بيوسف واذا هو قد أعطى شطر الحسن) أى نصفه والناس كلهم بعده شركاء فى النصف الآخر هذا ظاهر ببادى الرأى لكن الحقيقة والمراد منه أنه أوتى شطر الحسن الذى أوتى المصطفى جملته قاله ابن المنير وقال بعض شراح المصابيح المراد بالشطر البعض لان الشطر كما يراد به نصف الشئ قد يراد به بعضه مطلقا قال الطيبى وقد يراد به الجهة أيضا نحو فول وجهك شطر المسجد الحرام أى جهة من الحسن ومسحة منه كما يقال على وجهه مسحة ملك ومسحة جمال أى أثر ظاهر ولا يقال ذلك الا فى المدح (وفى حديث أبى سعيد عند البيهقى وأبى هريرة عند الطبرى) محمد بن جرير (فاذا أنا برجل) يعنى يوسف (أحسن ما خلق الله قد فضل) زاد (الناس بالحسن كالقمر ليلة البدر) أربعة عشر وهو اعلى ما يكون البدر (على سائر الكواكب وهذا ظاهره أن يوسف

عليه السلام كان أحسن من جميع الناس لكن) هذا الظاهر ليس بمراد اذ لا نزاع أن المصطفى أحسن منه وقد (روى الترمذي من حديث أنس ما بعث الله نبيا الا حسن الوجه حسن الصوت وكان نبيكم أحسنهم وجها وأحسنهم صوتا) فصرح بأنه أحسن من يوسف وغيره (فعلى هذا يحمل حديث المعراج) المذكور من رواية أبي سعيد وأبي هريرة (على أن المراد غير النبي صلى الله عليه وسلم) فلا تعارض بينه وبين حديث أنس المذكور (ويؤيده قول من قال) من أهل الاصول (ان المتكلم لا يدخل في عموم كلامه وحمل ابن المنير حديث الباب) المروي في مسلم (على أن المراد أن يوسف أعطي شطر الحسن الذي أوتيه نبينا) أي أوتي جملته كما عبر به ابن المنير قائلا فالنبي صلى الله عليه وسلم قد بلغ الغاية ويوسف عليه السلام بلغ نصفها قال ويحقق هذا حديث ما بعث الله نبيا فذكره أو المراد به البعض أو الجهة كما مر عن الطيبي وغيره (وأما قوله في الحديث عن ادريس ثم قال مرحبا بالنبي الصالح والاخ الصالح) فسماه بالاخ مع أنه جد له أعلى لانه ادريس بن يارد بن مهلائيل بن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم فكان قياسه أن يقول بالابن كما قال ابراهيم وآدم (فيحمل على اخوة النبوة والاسلام لانها تجمع الوالد والولد) فلا اشكال في خطابه له بالاخوة لانه كما هو والده نسبا أخوه في النبوة والاسلام وعدل للاخوة تلطفا وتأدبا (وقال ابن المنير وفي طريق شاذة مرحبا بالابن الصالح) هكذا ذكره في الفوائد من معراجه وقال قبل ذلك في أوائله أكثر الطرق على أنه خاطبه بالاخ وقال لي ابن أبي الفضل صحت لي طريق أنه خاطبه بالابن الصالح انتهى وكأنه بين مراده أولا فالشاذ ما خالف فيه الثقة غيره (وهذه هي القياس) وان قال بعضهم في صحتها نظر (لانه جده الاعلى) اذ هو سبط شيث كما علم وجد أبي نوح بن لمك بفتح اللام واسكان الميم وكاف ابن متوشلخ بفتح الميم وشد الفوقية مضمومة وسكون الواو وفتح المعجمة واللام آخره معجمة ابن خنوخ وهو ادريس سمي به لكثرة درسه للصحف على أنه عربي مشتق من الدراسة وقيل سرياني (وقيل ان ادريس الذي لقيه ليس هو الجد المشهور ولكنه الياس) بن ياسين سبط هرون أخي موسى بعث بعده ويسمى ادريس أيضا لانه قرئ ادريس وادراس مكان الياس وفي البخاري يذكر عن ابن مسعود وابن عباس أن ادريس هو الياس واختار هذا القول ابن العربي وتلميذه السهيلي لحديث المعراج حيث سماه أخا (فان كان كذلك ارتفع الاشكال) وان كان هو الجد الاعلى فيحمل على اخوة النبوة والاسلام لانها تجمع الوالد والولد وانما خص ابراهيم ونوح وآدم بالابوة لمعرفة خاص كما يشتهر الانسان بأحد أجداده دون من سواه من الاعلين والادنين كاشتهار محمد بن ادريس بالشافعي نسبة الى أحد اجداده شافع وهكذا أسماء القبائل كلها يشتهر واحد من طبقة الاجداد فينسب اليه الاولاد دون من فوقه وتحته هذا بقية كلام ابن المنير (فان قلت لم كان هؤلاء الانبياء) الثمانية المذكورون في حديث مالك بن صعصعة آدم فيحيى وعيسى فيوسف فادريس فهرون فموسى فابراهيم (عليهم الصلاة والسلام في السموات دون غيرهم من الانبياء) لعل المراد انه انما وجد هؤلاء دون غيرهم في السموات والا فكونه مر على هؤلاء لا يلزم منه أن لا يكون فيها غيرهم ولم يأت نص

بنفى كون غيرهم فيها (وما وجه اختصاص كل واحد منهم بسماء تخصه ولم كان فى السماء الثانية بخصوصها اثنان) يحيى وعيسى (أجيب عن الاقتصار على هؤلاء دون غيرهم من الانبياء بأنهم أمروا بملاقاة نبينا صلى الله عليه وسلم فمنهم من أدركه من أول وهلة ومنهم من تأخر فلحقه ومنهم من فاته) على عرف الناس اذا تلقوا الغائب مبتدرين للقائه فلا بد غالبا أن يسبق بعضهم بعضا ويصادف بعضهم اللقاء ولا يصادف بعضهم والى هذا أشار ابن بطال قال السهيلى فلم يصنع شيأ انتهى لكن هذا الجواب لا يطابق سؤال المصنف الا بتقدير مضاف أى لم كان انتظار هؤلاء لملاقاة النبى فى السموات فحذف المضاف لفهمه من الجواب وفى فتح البارى اختلف فى حكمة اختصاص كل منهم بالسماء التى التقاه بها فقيل ليظهر تفاضلهم فى الدرجات وقيل لمناسبة تتعلق بالحكمة فى الاقتصار على هؤلاء دون غيرهم من الانبياء فقيل أمروا بملاقاته فمنهم من أدركه من أول وهلة ومنهم من تأخر فلحق ومنهم من فاته وهذا زيفه السهيلى فاصاب انتهى فلو أتى المصنف بهذا كان أفيد بما ذكره وأسلم من الايراد (وقيل) الحكمة فى الاقتصار على المذكورين (اشارة الى ما سيقع له صلى الله عليه وسلم مع قومه من نظير ما وقع لكل منهم) ووجه الاشارة أن رؤيته لصورهم كالفأل فتفسر رؤية كل واحد بما يشبه ما وقع له فهو تنبيه على الحالات الخاصة بهم وتمثيل بما سيقع للمصطفى بما اتفق لهم مما قصه الله عنهم فى كتابه والنبى صلى الله عليه وسلم كان يحب الفأل الحسن ويستدل به على حسن العاقبة وبالضد من ذلك والفأل فى اليقظة نظير الرؤيا فى المنام وأهل التعبير يقولون من رأى نبيا من الانبياء بعينه فى المنام فان رؤياه تؤذن بما يشبه من حال ذلك النبى من شدة أو رخاء أو غير ذلك من الامور التى أخبر بها عن الانبياء فى القرآن والحديث أشار الى هذا ابن المنير وغيره (فأما آدم عليه السلام فوقع التنبيه بما وقع له من الخروج من الجنة) التى كان فيها فى أمن الله وجواره (الى الارض بما سيقع لنبينا صلى الله عليه وسلم من الهجرة) من مكة وهى حرم الله وأمنه وقطانها جيران الله لان فيها بيته (الى المدينة والجامع بينهما ما حصل لكل منهما من المشقة وكراهة فراق ما ألفه من الوطن ثم كان عاقبة كل منهما أن يرجع الى وطنه الذى خرج منه) فآدم رجع الى السماء بعد أن أهبط منها والمصطفى رجع الى مكة لما فتحها وصارت فى يده وهذا معنى كلام السهيلى وزاد تلميذه ابن دحية وتبعه ابن المنير أن فيه تنبيها على انه يقوم مقامه فى مبدأ الهجرة لان مقام آدم التهيئة والنشأة وعمارة الدنيا بأولاده وكذا كان مقام المصطفى أول سنة من الهجرة مقام تنشئة الاسلام وتربية أهله واتخاذ الانصار لعمارة الارض كلها بهذا الدين الذى أظهره الله على الدين كله وزوى الارض لنبيه حتى أراه مشارقها ومغاربها وقال صلى الله عليه وسلم وليبلغن ملك أمتى ما زوى لى منها واتفق ذلك فى زمن هشام بن عبد الملك جبى اليه خراج الارض شرقا وغربا وكان اذا انشأت سحابة يقول أمطرى حيث شئت فسيصل الى خراجك (وبعيسى ويحيى على ما وقع له أول الهجرة) وهى ثانى حال له والاولى بمكة (من عداوة اليهود وتماديهم) بالدال أى استمرارهم وفى نسخ تماليهم باللام أى تعاونهم أو اجتماعهم (على

البق عليه وارادتهم وصول السوء اليه) وهذا اللفظ الشيخ قائلا انه لخصه من السهيلى وهو محتاج لبيان ولفظ السهيلى واضح وهو ثم رأى فى الثانية عيسى ويحيى وهما الممتحنان باليهود أما عيسى فكذبته اليهود وآذوه وهموا بقتله فرفعه الله وأما يحيى فقتلوه ورسول الله صلى الله عليه وسلم بعد انتقاله الى المدينة صار الى حالة ثانية من الامتحان وكانت محنته فيها باليهود آذوه وظاهروا عليه وهموا بالقاء الصخرة عليه ليقتلوه فنجاه الله كما نجى عيسى ثم سموه فى الشاة فلم تزل تلك الاكلة تعاوده حتى قطعت أبهره وقال ابن دحية كانت حالة عيسى ومقامه معالجة بنى اسرائيل والصبر على معالجة اليهود وحيلهم ومكرهم وطلب عيسى الانتصار عليهم بقوله من انصارى الى الله أى مع الله قال الحواريون نحن انصار الله فهذه كانت حالة نبينا صلى الله عليه وسلم فى السنة الثانية من الهجرة ففيها طلب الانصار للخروج الى بدر العظمى فأجابوه ونصروه فلقاؤه لعيسى فى السماء الثانية تنبيه على انه سيلقى مثل حاله ومقامه فى السنة الثانية من الهجرة (ويوسف على ماوقع له مع اخوته على ماوقع لنبينا صلى الله عليه وسلم من قريش) أقاربه (من نصبهم الحرب له وارادتهم اهلاكه وكانت العاقبة له وقد أشار عليه السلام الى ذلك يوم الفتح بقوله لقريش) بعد الخطبة يامعشر قريش ماترون أنى فاعل فيكم قالوا خيرا أخ كريم وابن أخ كريم وقد قدرت فقال (أقول كما قال) أخى (يوسف لا تثريب) عتب (عليكم اليوم) خصه بالذكر لانه مظنة التثريب فغيره أولى (يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين اذهبوا فانتم الطلقاء) بضم المهملة وفتح اللام وقاف جمع طليق قال المصنف فى فتح مكة أى الذين أطلقوا فلم يسترقوا ولم يؤسروا والطليق الاسير اذا أطلق فتفسيره هنا بقوله (أى العتقاء) جمع عتيق بمعنى معتوق فيه تجوز لان حقيقة العتيق من أزيل عنه الرق وهؤلاء لم يسترقوا لكن لما كان المصطفى متمكنا منه ورفعه عنهم شبههم بمن أزيل عنه الرق وأطلق عليهم اسمه ثم هذا الذى ذكره المصنف الى قوله اليوم بغفر هو ماذكر فى الفتح انه لخصه من السهيلى وأما لفظه فى الروض فهو وأما لقاؤه ليوسف فى الثالثة فيؤذن بحالة ثالثة تشبه حال يوسف وذلك انه ظفر باخوته بعد اخراجهم من بين ظهرانيهم فصفح عنهم وقال لاتثريب عليكم الآية وكذا نبينا أسر يوم بدر جملة من أقاربه الذين أخرجوه فيهم عمه العباس وابن عمه عقيل فمنهم من أطلق ومنهم من فدى ثم ظهر عليهم عام الفتح فقال أقول كما قال أخى يوسف لاتثريب عليكم انتهى وقال ابن دحية مناسبة لقائه ليوسف فى الثالثة أن الثالثة من الهجرة اتفقت فيها غزوة أحد وكانت على المسلمين لم يصابوا بنازلة قبلها ولا بعدها مثلها فانها كانت وقعة أسف وحزن وأهل التعبير يقولون من رأى أحدا اسمه يوسف آذن ذلك من حيث الاشتقاق ومن حيث قصة يوسف باسف بناله قال ابن دحية فان كان يوسف النبى فالعاقبة حميدة والآخرة خير من الاولى ومما اتفق فى أحد من المناسبة شيوع قتل المصطفى فناسب ماحصل للمسلمين من الاسف على فقد نبيهم ماحصل ليعقوب من الاسف على يوسف لاعتقاده انه فقد الى أن وجده بعد تطاول الامد ومن المناسبة أيضا بين القصتين أن يوسف كيد وألقى فى غيابة الجب حتى انقذه الله على يد من شاء قال ابن اسحق وأكبت الحجارة على

قوله على ماوقع له هكذا فى نسخ الشارح وفى نسخة من المتن بما وقع له بالباء ولعلها أظهر تأمل اه مصححه

قوله بمعنى معتوق هكذا فى النسخ وصوابه معتق لانه من أعتقه فتنبه اه مصححه

جبهته صلى الله عليه وسلم من قريش حتى سقط لجنبه فى حفرة كان أبو عامر الفاسق حفرها مكيدة للمسلمين فأخذ على بيده صلى الله عليه وسلم واحتضنه طلحة حتى قام (وبادريس على رفيع منزلته عند الله تعالى) لفظ الروض ثم لقاؤه لادريس فى الرابعة وهو المكان الذى سماه الله مكانا عليا وهو أول من خط بالقلم فكان ذلك مؤذنا بحالة رابعة وهو علو شانه صلى الله عليه وسلم حتى أخاف الملوك وكتب اليهم يدعوهم الى طاعته حتى قال أبو سفيان وهو عند ملك الروم حين جاءه كتاب النبى صلى الله عليه وسلم ورأى ما رأى من خوف هرقل لقد أمر أمر ابن أبى كبشة حتى أصبح يخافه ملك بنى الاصفر وكتب عنه بالقلم الى جميع ملوك الارض فنهم من اتبعه على دينه كالنجاشى وملك عمان ومنهم من هادنه وأهدى اليه وأتحفه كهرقل والمقوقس ومنهم من تعصى عليه فأظفره الله به فهذا مقام على وخط بالقلم كنحو ما أوتى ادريس انتهى ولا يفهم من قوله بحالة رابعة وقوع الكتابة الى الملوك فى رابعة الهجرة كما ظن ابن المنير فقال فلعل ذلك صادف السنة الرابعة مطابقا للقاء ادريس فى السماء الرابعة انتهى فانه سهو عجيب فان كتابته للملوك كانت أول السنة السابعة كما تقدم فى المكاتبات قال ابن المنير واختلف هل رفع ادريس بعد الوفاة أو رفع حيا كعيسى وفى المكان العلى هل هو السماء الرابعة أو الجنة فان كان هو الجنة فقد شاركه المصطفى بلقائه فيها وزاد عليه فى الارتفاع الى أعلى الجنان وأرفع الدرجات انتهى ملخصا (وبهرون اذ رجع قومه الى محبته بعد أن آذوه) ولفظ الروض ولقاؤه فى الخامسة لهرون المحبب فى قومه يؤذن بحب قريش وجميع العرب له بعد بغضهم فيه وقال تلميذه ابن دحية ما نال هرون من بنى اسرائيل من الاذى ثم الانتصار عليهم والايقاع بهم وقصر التوبة فيهم على القتل دون غيره من العقوبات المحطة عنه وذلك أن هرون عند ما تركه موسى فى بنى اسرائيل وذهب للمناجاة تفرقوا على هرون وتحزبوا عليه وداروا حول قتله ونقضوا العهد وأخلفوا الموعد واستصغروا جانبه كما حكى الله تعالى ذلك عنهم وكانت الجناية العظمى الصادرة منهم عبادة العجل فلم يقبل الله منهم التوبة الا بالقتل فقتل فى ساعة واحدة سبعون ألفا كان نظير ذلك فى حقه صلى الله عليه وسلم ما لقيه فى خامسة الهجرة من يهود قريظة والنضير وقينقاع فانهم نقضوا العهد وحزبوا الاحزاب وجمعوها وحشدوا وحشروا وأظهروا عداوة النبى صلى الله عليه وسلم وأرادوا قتله وذهب اليهم قبل الوقعة بزمن يسير يستعينهم فى دية قتيلين فأظهروا اكرامه وأجلسوه تحت جدار ثم تواعدوا أن يلقوا عليه رحى فنزل جبريل فأخبره بمكرهم الذى هموا به فمن حينئذ عزم على حربهم وقتلهم وفعل الله تعالى ذلك وقتل قريظة بحكم سعد بن معاذ فقتلوا اشر قتلة وحاق المكر السيئ بأهله وتظاهرا استضعاف اليهود لهرون استضعافهم للمسلمين فى غزوة الخندق (وبموسى على ما وقع له من معالجة قومه وقد أشار الى ذلك عليه الصلاة والسلام بقوله) لما آثر ناسا ليؤلفهم فى قسمة غنائم حنين فقال رجل والله ان هذه قسمة ما عدل فيها وما أريد بها وجه الله فتغير وجهه ثم قال فمن يعدل ان لم يعدل الله ورسوله ثم قال (لقد أوذى موسى بأكثر من هذا فصبر) رواه الشيخان ولفظ السهيلى ولقاؤه فى السادسة لموسى يؤذن

قوله وبهرون اذ رجع الخ الذى فى نسخة المتن وبهرون على أن قومه رجعوا الى محبته الخ ولعل ذلك هو الانسب بسابقه ولاحقه فتدبر اهـ مصححه

بحالة تشبه حالة موسى حين أمر بغزو الشام فظهر على الجبابرة الذين كانوا فيها وأدخل بنى اسرائيل البلد الذى خرجوا منه بعد اهلاك عدوهم وكذلك غزا صلى الله عليه وسلم تبوك من أرض الشام وظهر على صاحب دومة الجندل حتى صالحه على الجزية بعد أن أتى به اسيرا وافتتح مكة ودخل أصحابه البلد الذى خرجوا منه وقال ابن دحية يؤذن لقاؤه له فى السادسة بمعالجة قومه فان موسى ابتلى بمعالجة بنى اسرائيل والصبر على اذاهم وما عالجه المصطفى فى السنة السادسة لم يعالج قبله ولا بعده مثله ففيها افتتح خيبر وفدك وجميع حصون اليهود وكتب الله عليهم الجلاء وضربهم بسوط البلاء وعالج صلى الله عليه وسلم فى هذه السنة كما عالج موسى من قومه أراد أن يقيم الشريعة فى الارض المقدسة وحمل قومه على ذلك فتقاعدوا عنه وقالوا ان فيها قوما جبارين وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها وفى الآخر صرحوا بالقنوط انا لن ندخلها أبدا ما داموا فيها فغضب الله عليهم وحال بينهم وبينها وأوقعهم فى التيه وكذلك أراد صلى الله عليه وسلم فى السادسة أن يدخل بمن معه مكة يقيم بها شريعة الله وسنة ابراهيم فصدوه فلم يدخلها فى هذا العام فكان لقاؤه لموسى تنبيها على التاسى به وجميل الاثر فى السنة القابلة (و) وقع التنبيه (بابراهيم فى استناده الى البيت المعمور بما ختم الله له صلى الله عليه وسلم فى آخر عمره من اقامة نسك الحج وتعظيم البيت الحرام) ولفظ الروض ثم لقاؤه فى السابعة لابراهيم لحكمتين احداهما أن البيت المعمور بحيال الكعبة واليه تحج الملائكة كما أن ابراهيم هو الذى بنى الكعبة وأذن فى الناس بالحج اليها والثانية أن آخر أحواله صلى الله عليه وسلم حجه الى البيت الحرام وحج معه ذلك العام نحو من تسعين ألفا ورؤية ابراهيم عند أهل التاويل تؤذن بالحج لانه الداعى اليه والرافع لقواعد الكعبة المحجوجة وقال ابن دحية مناسبة لقيه لابراهيم فى السابعة أنه صلى الله عليه وسلم اعتمر عمرة القضاء فى السنة السابعة من الهجرة ودخل مكة هو وأصحابه ملبين معتمرين محييا السنة ابراهيم ومقيما رسمه الذى كانت الجاهلية أماتت ذكره وبدلت أمره ورؤيته لابراهيم مسندا ظهره الى البيت المعمور اشارة الى انه يطوف بالكعبة فى السابعة وهى أول دخلة دخل مكة بعد الهجرة والكعبة فى الارض قبالة البيت المعمور قال وفى قوله فاذا هو يدخله كل يوم سبعون ألفا لا يرجعون اليه الى آخر الدهر اشارة الى انه اذا دخل البيت الحرام لا يرجع اليه لانه لم يدخله بعد الهجرة الا عام الفتح ثم لم يدخله فى حجة الوداع واعلم أن ما ذكره المصنف تبع فيه الحافظ وقال فى آخرها هذه مناسبات لطيفة أبداها السهيلى فأوردتها منقحة ملخصة وقد زاد ابن المنير فى ذلك أشياء أضربت عنها اذ أكثرها فى المفاضلة بين الانبياء والاشارة فى هذا المقام عندى أولى من تطويل العبارة انتهى وقال ابن دحية لا بأس بما ذكره هذا الامام يعنى شيخه السهيلى لكن يحتاج الى تنبيهات منها ان اجراءه لذلك كالتعبير فانه يوهم أن الاسراء كان مناما والصحيح انه يقظة والذى يرفع الاشكال أن الفأل فى اليقظة نظير الاحلام فيكون تعبير الفال بيان ما يدل عليه يقظة كتعبير الاحلام بما تدل عليه مناما فعلى هذا يصح كلامه وقد كان صلى الله عليه وسلم يحب الفأل الحسن ويستدل به على حسن العاقبة وبالضد من ذلك ومنها انه لم يذكر للمستوى

ولا لما بعده تطيرا اما لتعذر استنباط المناسبة أو لانقطاع الفكرة دون ذلك انتهى
أولان الاولى ترك ذلك كما أفصح به السهيلي عقيب ذكر المناسبات اذ قال وكان الحزم
ترك التكلف لتأويل مالم يرد فيه نص عن السلف ولكن عارض هذا ما يجب من التفكر
فى حكم الله وتدبر آياته قال ولولا مسارعة الناس الى انكار ما جهلوه وغلظ الطباع عن فهم
كثير من الحكمة لابدينا من سر هذا السؤال أكثر مما كشفنا (وأجاب العارف ابن أبي جمرة
عن وجه اختصاص كل واحد منهم بسماء) الذى هو ثانى أسئلة المصنف وفيه جواب
الثالث وهو لم كان فى الثانية بخصوصهما اثنان (بأن الحكمة فى كون آدم فى السماء الدنيا
لانه أول الانبياء وأول الآباء) فناسب مقام الاولية (وهو الاصل) فكان الاول فى الاولى
(ولاجل تأنيس البنوة بالابوة) فى مبدا العالم العلوى (وأما عيسى فانما كان فى السماء
الثانية لانه أقرب الانبياء) من حيث الزمن (الى النبى صلى الله عليه وسلم) لانه
(لا انمحت شريعة عيسى عليه السلام الا بشريعة سيدنا محمد ولانه ينزل فى آخر الزمان
لامة محمد صلى الله عليه وسلم على شريعته ويحكم بها) ووجه جعل هذا حكمة كونه
فى الثانية أن عيسى لما شابه المصطفى فى ثانى أحواله وهى حكمه بشريعته وكونه واحدا
من أمته ناسب أن يكون فى السماء الثانية وأول أحوال عيسى كونه رسولا الى بنى
اسرائيل (ولهذا) المذكور من الحكم الثلاث (قال عليه السلام) فى الصحيحين
وغيرهما (أنا أولى الناس) أى أخصهم (بعيسى) ابن مريم وأقربهم اليه لانه بشر
بأنه يأتى من بعده قال والاولوية هنا من جهة قرب العهد كما انه أولى الناس بابراهيم لانه أبوه
ودعا به وأشبه الناس به خلقا وملة وبين وجه الاولوية بقوله فى بقية الحديث ليس بينى
و بينه نبى كأنه قال لانه ليس الخ وضعف هذا الحديث ما ورد ان جرجيس وخالد بن سنان
كانا نبيين بعد عيسى لان فى اسنادهما مقالا وهذا صحيح بلاشك الا أن يجاب بأنهما بعثا
بتقرير شريعة عيسى لا شريعة مستقلة ذكره الحافظ وغيره (فكان فى الثانية لاجل
هذا المعنى) وفى فتح الصفا لانه خلق ثان كخلق آدم ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم
(وانما كان يحيى عليه السلام معه هنالك لانه ابن خالته وهما كالشئ الواحد فلاجل التزام
أحدهما بالآخر كانا هنالك معا) أدق من هذا قول ابن المنير السر فى ذلك أن عيسى
لم يلقه بعد موته لرفعه حيا صيانة له وذخيرة الى وقت عوده الى الارض فانما بشرع
المصطفى غير مجدد شرعا فهو فى حكم الاحياء ومقامه فى السماء ليس على معنى السكنى
الدائمة بخلاف غيره من الانبياء ويحيى هو المقيم فى السماء اسوة غيره من الانبياء واختص
مقامه عند عيسى لانهما ابنا الخالة وكانا لدتين وكانت أم يحيى تقول لام عيسى
وهما حاملتان انى أجد ما فى بطنى يسجد لما فى بطنك أى سجود تحية فكان بينهما اتحاد
منذ كانا فلما عرض لعيسى الصعود الى السماء جعل عند يحيى (وانما كان يوسف عليه
السلام فى السماء الثالثة لان على حسنه تدخل أمة النبى صلى الله عليه وسلم الجنة) وهى
ثالث دورها الدنيا فالبرزخ فالجنة فناسب كونه فى الثالثة (فأرى له هنالك لكى يكون ذلك
بشارة له عليه السلام فيسر بذلك) وفى فتح الصفا ويوسف فى الثالثة باعتبار أن جعله على

خزائن الارض كان مرتبة ثالثة له لانه بعد خروجه من السجن وذلك بعد رفعه من الجب (وانما كان ادريس عليه السلام فى السماء الرابعة لانه هنالك توفى ولم تكن له تربة فى الارض على ماذكر) عن كعب الاحبار ان الملك الموكل بالشمس كان صديقا لادريس فسأله أن يريه الجنة فأذن الله له فى ذلك فرفعه فلما كان فى السماء الرابعة رآه ملك الموت فتعجب وقال أمرت أن أقبض روحه فى السماء الرابعة فقبضه قال السهيلى ولكون رفعه حيا الى ذلك المقام خاصا به قال تعالى ورفعناه مكانا عليا فلا ينافى رؤيته ابراهيم وموسى فى مكان أعلى منه وجزم الحافظ أن هذا من الاسرائيليات والله أعلم بصحته وأن رفعه وهو حى لم يثبت من طريق مرفوعة قوية وقال ابن المنير اختلف فى ادريس هل رفع الى السماء بعد موته كغيره من الانبياء أوانما رفع حيا وهو الى الآن حى كعيسى وجاء فى القصص ان ادريس أحبته الملائكة لكثرة عبادته فسأل ملك الموت أن يذيقه الموت ليهون عليه فأذاقه ثم حيى فسأل أن يورده النار ليزداد رهبة فأوردها ثم أخرج فسأل أن يدخل الجنة ليزيد رغبة فأدخلها فقيل له اخرج قال لا يارب انى ذقت الموت ووردت النار ودخلت الجنة وقد وعدت من دخلها على ذلك أن لا يخرج منها أبدا فأوحى الله الى الخازن أن دعه فباذنى فعل مافعل فبقى فى الجنة فى السماء الرابعة على هذا الوجه انتهى فتأمله (وانما كان هرون عليه السلام فى السماء الخامسة لانه ملازم لموسى عليه السلام لاجل أنه أخوه) ووزيره (وخليفته فى قومه) لما ذهب الى المناجاة (فكان هناك لاجل هذا المعنى وانما لم يكن مع موسى فى السماء السادسة لان لموسى مزية وحرمة وهى كونه كليما واختص بأشياء لم تكن لهرون فلاجل هذا المعنى لم يكن معه) تكرار لزيادة البيان (وانما كان موسى فى السماء السادسة لاجل ما اختص به من الفضائل ولانه الكليم وهو أكثر الانبياء أتباعا بعد نبينا صلى الله عليه وسلم) فكان فيها للاشعار بالقرب (وانما كان ابراهيم عليه الصلاة والسلام فى السماء السابعة لانه الخليل والاب) الاخير للمصطفى (فناسب أن يتجدد للنبى عليه السلام بلقياه أنس لتوجهه بعده الى عالم آخر وهو اختراق الحجب) كما أنس بأبيه آدم فى أول عالم السموات ثم فى وسطها بأبيه ادريس لان الرابعة من السبع وسط معتدل (وأيضا لانه الخليل ولا أحد أفضل من الخليل الا الحبيب والحبيب ها هو قد علا ذلك المقام فكان الخليل فوق الكل لاجل خلته وفضله وارتفع الحبيب فوق الكل لاجل ما اختص به مما زاد به عليهم) وما أحسن اختصار الحافظ لهذا بقوله وأيضا منزلة الخليل تقتضى أن تكون أرفع المنازل ومنزلة الحبيب أرفع من منزلته فلذلك ارتفع عن منزلة ابراهيم الى قاب قوسين أو أدنى (قال الله تعالى تلك) مبتدأ (الرسل) صفة والخبر (فضلنا بعضهم على بعض) بتخصيصه بمنقبة ليست لغيره (منهم من كلم الله) كموسى (ورفع بعضهم) أى محمدا (درجات) على غيره بعموم الدعوة وختم النبوة به وتفضيل أمته على سائر الامم والمعجزات المتكاثرة والخصائص العديدة (فحصل لهم الكمال والدرجة الرفيعة وهى درجة الرسالة والنبوة ورفعوا بعضهم فوق بعض بمقتضى الحكمة الالهية (ترفيعا للمرفوع دون تنقيص بالمنزول) وفى نسخة للمنزول بلام بدل الموحدة

قوله لم يكن معه فى بعض نسخ المتن زيادة (فى السادسة) اه

هكذا بياض بأصله

أى النازل من غيره فى الفضل (انتهى فليتأمل وقد اختلف فى) صفة (رؤية نبينا صلى الله عليه وسلم لهؤلاء الانبياء عليهم السلام) فى السموات ولهم ولغيرهم فى بيت المقدس مع أن أجسادهم مستقرة فى قبورهم بالارض (فحمله بعضهم على رؤية أرواحهم) متشكلة بصور أجسادهم (الا عيسى لما ثبت انه رفع بجسده) سواء قلنا رفع حيا عند الاكثرين أو بعد أن توفى على ظاهر انى متوفيك للاتفاق على رفعه بجسده (وقد قيل فى ادريس أيضا ذلك) أى رفع بجسده حيا ثم مات أم لا على قولين تقدما (وأما الذين صلوا معه فى بيت المقدس فيحتمل الارواح خاصة) دون الاجساد ويؤيده حديث أبى هريرة عند الحاكم والبيهقى "فلقى أرواح الانبياء" وفيه دليل على تشكل الارواح بصور أجسادها فى عالم الله (ويحتمل الاجساد بأرواحها) بأن يكون أسرى بأجسادهم من قبورهم للاقاة النبى صلى الله عليه وسلم تلك الليلة تشريفاله وتكريما ويؤيده حديث أنس عند البيهقى "وبعث له آدم فمن دونه من الانبياء فأمهم" وعند البزار والطبرانى "فنشر لى الانبياء من سمى الله تعالى ومن لم يسم" فصليت بهم قال الحافظ واختاره بعض شيوخنا واحتج بما فى مسلم مرفوعا رأيت موسى ليلة أسرى بى قائما يصلى فى قبره فدل على أنه أسرى به لما مر به قلت وليس ذلك بلازم بل يجوز أن لروحه اتصالا بجسده فى الارض ولذلك تمكن من الصلاة فيها وروحه مستقرة فى السماء (وقيل) أى قال ابن أبى جمرة رؤيته لهؤلاء الانبياء (يحتمل) وجوها أحدها أنه يحتمل (أن يكون عليه السلام عاين كل واحد منهم فى قبره فى الارض على الصورة التى أخبر بها من الموضع الذى ذكر أنه عاينه فيه فيكون الله عز وجل قد أعطاه من القوة فى البصر والبصيرة ما أدرك به ذلك) لكن قد يبعده فاذا فيها آدم الخ لاسيما قوله فاذا أنا بابراهيم مسندا ظهره الى البيت المعمور فان الاصل الحقيقة وكون المعنى فاذا فى وجودى فى السماء عاينت آدم فى قبره ثم يقال مثله فى البقية مجاز بعيد جدا بلا داعية وكيف يقال عاينت وأنا فى السماء السابعة ابراهيم فى قبره وهو مسند ظهره الى البيت المعمور (ويشهد له رؤيته عليه الصلاة والسلام الجنة والنار فى عرض الحائط) بضم العين واسكان الراء جانبه وناحيته (وهو محتمل لان يكون عليه الصلاة والسلام رآهما من ذلك الموضع) حقيقة بأن كشف له عنهما وأزيلت الحجب التى بينه وبينهما قال ابن أبى جمرة كما يقال رأيت الهلال من منزلى من الطاق والمراد من موضع الطاق (أو مثل له صورتهما فى عرض الحائط والقدرة صالحة لكليهما) لكن هذان الاحتمالان ظاهران فى ذا الحديث واجراء مثلهما فى حديث المعراج لا يظهر لبعده (وقيل) أى قال ابن أبى جمرة أيضا (يحتمل) أن يكون صلى الله عليه وسلم عاين أرواحهم هنالك فى صورهم و(أن يكون الله سبحانه وتعالى لما أراد باسراء نبينا رفعهم من قبورهم لتلك المواضع اكراما لنبيه عليه السلام وتعظيما له حتى يحصل له من قبلهم) بكسر ففتح جهتهم (ما أشرنا اليه من الانس والبشارة وغير ذلك مما لم نشر اليه ولا نعلمه نحن) وهذا الاحتمال هو عين قوله أولا ويحتمل الاجساد بأرواحها غايته انه مبسوط عنه فهو كالشرح له وبقى احتمال رابع وبه جزم أبو الوفاء بن عقيل أن أرواحهم مستقرة

قوله لما أراد باسراء الخ هكذا فى النسخ ولعل اصله لما أراد اسراء الخ وقوله رفعهم الخ جواب لما تأمل اه مصححه

فى الاماكن التى رآهم المصطفى فيها متشكلة بصور أجسادهم لكنه انما يظهر فى الذين رآهم فى السموات لا فى بيت المقدس (وكل هذه الوجوه محتملة) بضم الميم الاولى وفتح الثانية أى قريبة وأما بكسر الثانية فالواقعة نفسها كما صرح به بعضهم (ولا ترجيح لاحدهما على الآخر) من حيث الاحتمال فى حد ذاته (اذ القدرة صالحة لكل ذلك) أما بالنظر لما يشهد له من خارج فيرجح (انتهى) يعنى كلام ابن أبى جمرة وان لم يفصح به وأوله ما قدمته وما قبله أتى به المصنف من فتح البارى وفيه رد على ما أطال به ابن القيم فى كتاب الروح من ترجيح أن رؤيته انما هى لارواحهم فقط اذ الاجساد فى الارض قطعا انما تبعث يوم القيامة ولو بعثت قبل ذلك لكانت انشقت عنهم الارض قبلها وكانت تذوق الموت عند نفخ الصور وهذه موتة ثالثة وهذا باطل قطعا وبأنها لو بعثت الاجساد لم تعد الى القبور بل كانت فى الجنة مع أنها محرمة على الانبياء حتى يدخلها نبينا وهو أول من يستفتح باب الجنة ولا تنشق الارض عن أحد قبله الى آخر ما أطال به مما لا حجة له فيه وجوابه كما أملاه شيخنا انه انما يتم ما قاله لو كانت أرواحهم مفارقة لاجسادهم فى قبورهم وليس كذلك بل هم أحياء فى قبورهم بحياة حقيقية يأكلون ويشربون ويتمتعون فيها وخروجهم من قبورهم ومجيئهم لها ليس الخروج المقتضى للبعث بل هو كخروج الانسان من منزله لحاجة يقضيها ويعود اليه فلا يعتد بذلك مفارقا له والذى يعتد به مفارقا هو الذى بحيث لا يعود اليه بل يقوم للقيامة وبهذا اسقط كلامه (وأما قوله فى الحديث ثم رفعت) رواه الاكثر بضم الراء وسكون العين وضم التاء ضمير المتكلم بعده حرف الجر وهو (الى سدرة المنتهى) وللكشميهنى رفعت بفتح العين وسكون التاء أى السدرة لى أى من أجلى وكذا فى بدء الخلق ويجمع بين الروايتين بأنه رفع اليها أى ارتقى به وظهرت له والرفع الى الشئ يطلق على التقريب منه وقد قيل فى قوله وفرش مرفوعة أى تقرب لهم (فاذا نبقها) بفتح النون وكسر الموحدة وبسكونها أيضا قال ابن دحية والاول هو الذى ثبت فى الرواية اى التحريك وهو ثمر السدر (مثل قلال) قال الخطابى بالكسر جمع قلة بالضم هى الجرار يريد أن ثمرها فى الكبر مثل القلال وكانت معروفة عند المخاطبين (هجر) بفتح الهاء والجيم بلدة لا تنصرف للتأنيث والعلمية ويجوز الصرف كما فى الفتح وقدمته قال النعمانى وأما ثمرها فهل هو كالثمار المأكولة وانه يزول ويعقبه غيره وهل الزائل يؤكل أو يسقط لم أر من ذكر هذا ولا يمتنع أن يكون كذلك وانه تأكله الطيور التى تسرح فى الجنة والروح على قول من يقول انهم صنف على صورة الانسان لهم أيد وأرجل ورؤس وانهم يأكلون الطعام وليسوا من الملائكة قال ابن عباس ما ينزل من السماء ملك الا ومعه واحد من الروح وقال أبو صالح وليسوا بناس ولا بالملائكة وعن بعضهم ان الملائكة لا يرونهم وليس بينه وبين قول ابن عباس هذا تناف فانه لا يلزم من نزولهم معهم رؤيتهم لهم انتهى (واذا ورقها مثل آذان الفيلة) بكسر الفاء وفتحها غلط زاعمه وفتح التحتية جمع فيل وفى بدء الخلق الفيول جمع فيل أيضا والتشبيه فى الشكل فقط لا فى الكبر ولا فى الحسن فلا تنافى رواية تكاد الورقة تغطى هذه الامة (قال) جبريل (هذه سدرة المنتهى) ولعل سبب اخباره انه

صلى الله عليه وسلم كان عالما بوجودها قبل الرؤية فكأنه قال هذه سدرة المنتهى التى علمت بوجودها قال الرازى واضافتها الى المنتهى من اضافة الشئ الى مكانه كقولك أشجار بلدة كذا فالمنتهى حينئذ موضع لا يتعداه ملك أو روح من الارواح أو من اضافة المحل الى الحال فيه ككتاب الفقه فالتقدير سدرة عندها منتهى العلوم أو من اضافة الملك الى مالكه كشجرة زيد فالمنتهى اليه محذوف تقديره سدرة المنتهى اليه قال تعالى وأن الى ربك المنتهى فالمنتهى اليه هو الله تعالى واضافتها اليه كاضافة البيت للتشريف والتعظيم (واذا الربعة أنهار نهران باطنان ونهران ظاهران) قال ابن أبى جمرة يحتمل الحقيقة فهذه الانهار تنبع من أصل الشجرة نفسها فتكون الشجرة طعمها نبق وأصلها ينبع منه الماء والقدرة لا تعجز عن هذا ويحتمل أنه من تسمية الشئ بما قاربه فتكون الانهار تنبع قريبا من أصل الشجرة انتهى (فقلت وما هذا يا جبريل قال أما الباطنان فنهران فى الجنة) قال ابن أبى جمرة فيه أن الباطن أجل من الظاهر لان الباطن جعل فى دار البقاء والظاهر جعل فى دار الفناء ومن ثم كان الاعتماد على ما فى الباطن كما قال صلى الله عليه وسلم ان الله لا ينظر الى صوركم ولكن ينظر الى قلوبكم (وأما الظاهران فالنيل) نهر مصر (والفرات) بالفوقية فى حال الوصل والوقف نهر الكوفة (وفى رواية عند البخارى أيضا) فى بدء الخلق (فاذا فى أصلها أى سدرة المنتهى أربعة أنهار) فيفسر قوله فى المعراج واذا أربعة أنهار أى فى أصلها اذ الحديث واحد (وعند مسلم يخرج من أصلها) فقوله فى أصلها معناه يخرج منه (وعنده) أى مسلم (أيضا من حديث أبى هريرة أربعة أنهار من الجنة النيل والفرات وسيحان) من السيح وهو جرى الماء على وجه الارض وهو نهر العواصم بقرب مصيصة وهو غير سيحون نهر بالهند أو السند (وجيحان) نهر أذنة وجيحون نهر بلخ وينتهى الى خوارزم وزعم أنهما هما وهم فقد حكى النووى الاتفاق على أنهما غيرهما لكن نازعه السيوطى فى دعوى الاتفاق (فيحتمل أن تكون سدرة المنتهى مغروسة فى الجنة والانهار تخرج من أصلها فيصح أنها من الجنة) بهذا الاعتبار فلا يعارض حديث المعراج (ووقع فى رواية شريك كما عند البخارى فى) كتاب (التوحيد) من صحيحه (انه رأى فى سماء الدنيا نهرين يطردان) بالتشديد يجريان (فقال له جبريل) جوابا لقوله ماهذان النهران يا جبريل قال (هما النيل والفرات عنصرهما) بضم العين والصاد المهملتين أصلهما بدل من النيل والفرات (والجمع بينهما انه رأى هذين النهرين عند سدرة المنتهى مع نهرى الجنة) الباطنين (ورآهما فى سماء الدنيا دون نهرى الجنة وأراد بالعنصر عنصر انتشارهما بسماء الدنيا) لا أصلهما الحقيقى فانه من أصل السدرة فلا تنافى بين الاحاديث (كذا قال ابن دحية) كأنه تبرأ منه لعدم تعين ما قال لجواز أن يراد أصل نبعهما من تحت السدرة ومقرهما فى سماء الدنيا ومنها ينزلان الى الارض كما تقدم للمصنف وهو فى المعنى قريب من جمع ابن دحية أو عينه وقال النعمانى يجوز أن عنصرهما مبتدأ يتعلق به خبر سابق لم يتقدم له ذكر من حيث اللفظ لكن من حيث العهد فيكون المعنى هذا النيل والفرات فيهم الكلام ثم يكون عنصرهما ما كنت رأيت عند سدرة المنتهى يا محمد فاكتفى بهذا

العهد السابق عن اعادة الكلام انتهى وهو مع تعسفه لا يصح لان رؤيته ذلك في سماء الدنيا قبل رقيه للسدرة فلا عهد هنا (وروى ابن أبي حاتم عن أنس أنه صلى الله عليه وسلم بعد أن رأى ابراهيم قال ثم انطلق) جبريل (بي على ظهر السماء السابعة حتى انتهى الى نهر عليه خيام الياقوت) بخاء معجمة جمع خيم كسهم وسهام وهو مثل الخيمة وفي نسخة جام بالجيم بلا ياء أي اناء والمراد الجنس فيصدق بالاواني الكثيرة (واللؤلؤ والزبرجد) بفتح الزاي ودال مهملة جوهر معروف ويقال هو الزمرد (وعليه طير خضر) هو (أنعم) فهو خبر مبتدا محذوف (طير رأيت) وهو اسم تفضيل من نعم بالضم نعومة لان ملمسه يعني أن ملمس هذه الطيور ألين من ملمس سائر الطيور وفي رواية أنعم طير أنت راء (قال جبريل هذا الكوثر الذي أعطاك الله فاذا فيه آنية الذهب والفضة يجري على رضراض) بفتح الراء وسكون الضاد المعجمة آخره مثلها حصى صغار (من الياقوت والزمرد) بزاي فميم فراء ثقيلة مضمومات آخره ذال معجمة ومهملة كما في القاموس وقال انه الزبرجد معرب (ماؤه أشد بياضا من اللبن قال فأخذت من آنيته فاغترفت من ذلك الماء فشربت فاذا هو أحلى من العسل وأشد رائحة من المسك) فجمع الاوصاف الثلاثة الحسنة (وفي حديث أبي سعيد عند البيهقي واذا فيها) أي السماء السابعة (عين تجري يقال لها السلسبيل فينشق منها نهران أحدهما الكوثر والآخر يقال له نهر الرحمة) قال الحافظ فيمكن أن يفسر بهما النهران الباطنان المذكوران في الحديث وكذا روى عن مقاتل قال الباطنان السلسبيل والكوثر انتهى وفيه مسامحة لان ما روى عن مقاتل صريح في أن احد النهرين السلسبيل والآخر الكوثر وحديث أبي سعيد صريح في أن السلسبيل هو الاصل ويخرج منه نهران أحدهما الكوثر فهو فرع منه لا قسيم له فحق العبارة وروى عن مقاتل باسقاط لفظ كذا ويكون مقابلا لتفسيرهما بما في حديث أبي سعيد ثم قال الحافظ عقب ما نقلته عنه وأما الحديث الذي أخرجه مسلم بلفظ سيحان وجيحان والنيل والفرات من أنهار الجنة فلا يغاير هذا لان المراد به أن في الارض أربعة أنهار أصلها من الجنة وحينئذ لم يثبت لسيحان وجيحان أنهما ينبعان من أصل سدرة المنتهى فيمتاز النيل والفرات عليهما بذلك وأما الباطنان فهما غير سيحان وجيحان قال النووي في هذا الحديث أن أصل النيل والفرات من الجنة وأنهما يخرجان من أصل السدرة ثم يسيران حيث شاء الله ثم ينزلان الى الارض ثم يسيران فيها ثم يخرجان منها وهذا لا يمنعه العقل وقد شهد به ظاهر الخبر فليعتقد وقول عياض الحديث يدل على أن أصل سدرة المنتهى في الارض لقوله ان النيل والفرات يخرجان من أصلها وهما يخرجان من الارض فيلزم منه أن أصل السدرة في الارض متعقب لان خروجهما من أصلها غير خروجهما بالنبع من الارض والحاصل أن أصلهما من الجنة ويخرجان أولا من أصلها ثم يسيران الى أن يستقرا في الارض ثم ينبعان واستدل به على فضيلة ماء النيل والفرات لكون منبعهما من الجنة وكذا سيحان وجيحان قال القرطبي لعل ترك ذكرهما في حديث الاسراء لكونهما ليسا أصلا برأسهما وانما يحتمل أن يتفرعا عن النيل والفرات قال وقيل انما أطلق على هذه الانهار

انها من الجنة تشبيها لها بانهار الجنة لما فيها من شدة العذوبة والحسن والبركة والاول أولى انتهى وقال ابن المنير صورة انصبابها كانصباب المطر متفرقا ثم يجتمع فى مواقعها فى الارض الى أن ينساق كل منها الى مستقره ومجراه ويحتمل أن يكون انصبابها فى نواحى الارض النائية المتصلة بمبادى هذه الانهار فانه لم يقف أحد على مباديها الى الآن وقال ابن أبى جمرة وردت الاخبار أن من شرب من ماء الجنة لا يموت ولا يفنى وانه لا فضلة له يخرج على ما يعهد فى الدنيا وانما هو رشح مسك على البدن فجعل فيه هذه الخاصية العظيمة ثم لما شاءت الحكمة نزوله الى هذه الدار نزعت منه تلك الخصوصية وبقى جوهره بحاله وكل الخواص مثله فى هذا المعنى ان شاء الله تعالى أبقى له الخاصية وان شاء سلبها مع بقاء جوهره ليس لذوات الخواص تأثير بل الخاصية خلقه والجوهر خلقه وانما القدرة هى المؤثرة فى كلها انتهى (وسيأتى مزيد لذلك مما ذكرهنا فى الكوثر فى المقصد الاخير ان شاء الله تعالى وقد وقع فى حديث ثابت عن أنس عند مسلم ثم ذهب بى) لم يقل عرج لانها فى السماء السابعة (الى سدرة المنتهى واذا أوراقها كآذان الفيلة) شبهه بها وان لم تكن بأرض الحجاز لانها كثيرة ببلاد الحبش وكثيرا ما كانوا يأتونها للتجارة واليها كانت الهجرة (واذا ثمرها كالقلال) شبهها بها فى ظلها ولطف ورقها وطيب ثمرها وحسن رائحته وان كان شجر الجنة انما هو كبعض ما فى الدنيا صورة (فلما غشيها) طرأ عليها وغطاها (من أمر الله عز وجل ما غشى) أى أمر عظيم غشى فان الابهام بمثله يفيده نحو الحاقة ما الحاقة فهو كقوله اذ يغشى السدرة ما يغشى فى ارادة الابهام للتفخيم أو التهويل وان معلوما كقوله فغشيهم من اليم ما غشيهم فى حق فرعون وقومه (تغيرت) عن حالها التى كانت عليها وفى رواية ابن عائذ تحولت ياقوتا وزبرجدا والظاهر أن المراد بأمر الله وحيه أو تجليه لرسوله فأشرق لها نور الهى زهت به وحسنت حسنا لا ينعت ونور لا يمكن أن يقابله الابصار كما قال (فما أحد من خلق الله يستطيع) يقدر (أن ينعتها من حسنها) الذى طرأ عليها أى يصفها بأوصاف تحصل صورتها فى الذهن لقصر العبارة لكمال حسنها عن بيان ماهيتها وانما ثبتت لكونها من أشجار الجنة المعتادة لاشراق تلك الانوار عليها ولو كانت من أشجار الارض لاحترقت كما صار الجبل دكا (وقد جاء فى حديث ابن مسعود عند مسلم أيضا بيان سبب تسميتها بسدرة المنتهى ولفظه لما أسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم قال انتهى بى الى سدرة المنتهى وهى فى السماء السادسة واليها ينتهى ما يعرج من الارض فيقبض منها واليها ينتهى ما يهبط من فوقها فيقبض منها) قال القرطبى وما خلفها غيب لا يعلمه الا الله أو من أعلمه فكأنه قيل سميت بذلك لانه اليها ينتهى الخ (وهو معنى قول ابن أبى جمرة لان اليها تنتهى الاعمال وينزل الامر بتلقى الاحكام وعندها تقف الحفظة وغيرهم ولا يتعدونها فكانت منتهى لان اليها ينتهى ما يصعد من أسفل وما ينزل من العالم العلوى من أمر العلى) سبحانه وهذا كالشرح لحديث ابن مسعود المذكور (وقال النووى لان علم الملائكة ينتهى اليها) وقال كعب لانه ينتهى اليها علم كل نبى مرسل وكل ملك مقرب (ولم يجاوزها أحد الا رسول الله صلى الله عليه وسلم) فجاوزها بما لا يعلمه الا الله قال

الحافظ وهذا لا يغاير حديث ابن مسعود لكنه ثابت في الصحيح فهو أولى بالاعتماد وأورده النووي بصيغة التمريض فقال وحكى عن ابن مسعود الخ فاشعر بضعفه عنده ولاسيما ولم يصرح بأنه رفعه وهو صحيح مرفوع انتهى وأطنب القرطبي فعد تسعة أقوال لم سميت بذلك فذكر ما في مسلم وقال أو لان علم الانبياء ينتهي اليها ويعزب عما وراءها قاله ابن عباس أو الاعمال تنتهي اليها وتقبض منها أو لانتهاء الملائكة والانبياء اليها ووقوفهم عندها أو لان أرواح الشهداء تنتهي اليها قاله الربيع بن أنس أو تأوي اليها أرواح المؤمنين قاله قتادة أو لانه ينتهي اليها كل من كان على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنهاجه قاله علي بن أبي طالب والربيع بن انس أيضا أو لان علم الخلائق ينتهي اليها أو لان من رفع اليها فقد انتهى به الى الكرامة انتهى والظاهر أن هذه الاقوال كلها يمكن دخولها في لفظ من أوتي جوامع الكلم اذ ما يعرج من الارض شامل للاعمال وأرواح الشهداء والمؤمنين ومن كان على سنته ومن رفع اليها فهذه الخمسة ظاهر شمول ما يعرج من الارض لها وباقيها يشملها بضرب من المجاز (ولا يعارض قوله في حديث ابن مسعود هذا انها في السادسة ما دل عليه بقية الاخبار) كحديث انس وهو قول الاكثر (انه وصل اليها في السماء السابعة) كما زعمه في المفهم فقال وهذا تعارض لا شك فيه وترجح حديث أنس بأنه مرفوع وحديث ابن مسعود موقوف (لانه يحمل على أن أصلها في السماء السادسة وأغصانها وفروعها في السابعة وليس في السادسة منها الا أصل ساقها قاله في فتح الباري) ودعوى القرطبي أن حديث ابن مسعود موقوف لا تصح لانه صرح برفعه (وجاء في حديث أبي ذر عند البخاري في) أول (الصلاة فغشيها) علاها ولابسها (ألوان) أنواع واطلاقها عليها حقيقي كما في القاموس (لا أدري ما هي) قال الكرماني هو كقوله تعالى اذ يغشى السدرة ما يغشى في أن الابهام للتفخيم والتهويل وان كان معلوما انتهى وفيه أنه لا ابهام هنا وانما هو اخبار بنفي درايته ولذا قال شيخنا الحافظ البابلي الاولى حمل النفي على حقيقته لانه صلى الله عليه وسلم من شدة الخشية لم يقدر على النظر الى جميع ألوانها وقد قال تعالى ما زاغ البصر وما طغى (وفي) بقية (حديث ابن مسعود المذكور عند مسلم قال الله تعالى اذ يغشى السدرة ما يغشى قال فراش) بالفتح جمع فراشة الطير الذي يلقي نفسه في ضوء السراج (من ذهب) ففسر المبهم في ما يغشى بذلك (وفي رواية يزيد بن أبي مالك عن أنس) تفسير المبهم بقوله (جراد من ذهب قال البيضاوي) في شرح المصابيح (وذكر الفراش وقع على سبيل التمثيل) أي انه يسقط عليها أشياء تشبه الفراش وخصه بالذكر لانه يتهافت في السراج فشبه ما ينزل عليها به في سرعة سقوطه (لان من شأن الشجر أن يسقط عليها الجراد وشبهه) كالفراش وجعلها من ذهب لصفاء لونها واضاءتها في نفسها انتهى كلام البيضاوي قال الحافظ (و) يجوز (جعلها من الذهب حقيقة) ويخلق فيه الطيران (والقدرة صالحة لذلك) فما أوهمه المصنف أن جعلها حقيقة من كلام البيضاوي وهم نشأ عن سقط أو انتقال نظر حين نقل من فتح الباري ويحتمل أن يكون قوله وجعلها من الذهب من المصنف اختيارا لما جوزه الحافظ مبتدأ حذف خبره أولى أي للعلم به

قوله وصل اليها في الخ في نسخة من المتن وصل اليها بعد أن دخل في الخ اه

من قوله والقدرة صالحة فيكون عطف علة على معلول (وفى حديث أبى سعيد) عند البيهقى (وابن عباس فغشيها الملائكة وفى حديث أبى سعيد) عند البيهقى (على كل ورقة منها ملك) قال بعضهم كأنهم طيور يرتقون اليها متشوقين متبركين بها زائرين كما يزور الناس الكعبة وفى حديث أبى هريرة عند البزار والبيهقى فغشيها أنوار الخلاق وغشيها من الملائكة أمثال الغربان حين يقعن على الشجر (وفى رواية ثابت عن أنس) عند مسلم (فلما غشيها من امر الله ما غشى تغيرت) عن حالها الاول فزادت حسنا لان الذى غشيها أنوار الخلاق لان النبى صلى الله عليه وسلم لما وصل اليها تجلى ربه لها كما تجلى للجبل فظهرت الانوار لكن كانت أقوى من الجبل وأثبت فجعل الجبل دكا ولم تتحرك الشجرة وخر موسى صعقا ولم يتزلزل محمد صلى الله وسلم عليهما (فما احد من خلق الله يستطيع أن ينعتها) يصفها بيان ماهى عليه من حسنها وقدم المصنف هذه الرواية قريبا وكأنه اعادها لقوله (وفى رواية حميد عن أنس عند ابن مردويه نحوه لكن قال تحولت ياقوتا ونحو ذلك) وفى رواية ابن عائذ تحولت ياقوتا وزبرجدا قال الشامى ولا منافاة بين هذه الروايات لان كلا منها يغشاها وقيل أبهمه تعظيما كأنه قيل اذ يغشى السدرة ما الله اعلم به من دلائل ملكوته وعجائب قدرته (قال ابن دحية واختيرت السدرة دون غيرها لان فيها ثلاثة أوصاف) جمع وصف وهو ذكر ما فى الموصوف من آثار تقوم به والمراد هنا الصفات التى هى نفس الآثار (ظل ممديد وطعم لذيذ) لثمرها (ورائحة زكية فكانت بمنزلة الايمان الذى يجمع القول والعمل والنية فالظل بمنزلة العمل) لتجاوزه (والطعم بمنزلة النية) لكمونه أى استتاره (والرائحة بمنزلة القول) لظهوره وكذا قاله الماوردى معلا بما ذكرته (وقال العارف ابن أبى جمرة وهل الشجرة مغروسة فى شىء أم لا يحتمل الوجهين معا لان القدرة صالحة لكليهما فكما جعل الله تعالى فى هذه الدار الارض مقرا للشجر كذلك يجعل الهواء لتلك مقرا) وجاء عن كعب الاحبار ما قد يعين هذا الاحتمال حيث قال هى فى أصل العرش على رؤس حملة العرش واليها ينتهى علم الخلائق وما خلفها غيب لا يعلمه الا الله (وكما رجع صلى الله عليه وسلم يمشى فى الهواء ولان بالقدرة استقرت الارض مع أنها على الماء فلا مانع من أن تكون الشجرة فى الهواء) لان قدرة الله لا يعجزها شىء (ويحتمل أن تكون مغروسة بأرض وأن تكون) تلك الارض (من تراب الجنة والله قادر على ما يشاء) وقد استظهر ابن أبى جمرة نفسه هذا الاحتمال لقوله ونهران باطنان ولا يطلق هذا اللفظ وما أشبهه الا على ما يفهم والباطن لابد أن يكون سريانه تحت شىء وحينئذ يطلق عليه اسم الباطن انتهى لكنه مبنى على الشاهد ولا يتم قياس الغائب عليه لعدم الجامع وقد جاء عن كعب ما قد يعين الاول كما علم قال ابن المنير وجه مناسبة المعراج الثامن الى سدرة المنتهى لما اشتملت عليه السنة الثامنة من الهجرة أنها اشتملت على فتح مكة ومكة هى أم القرى واليها المنتهى ومنها المبتدأ على ما ورد أن الارض كلها دحيت من مكة فلذا سميت أم القرى أو لان أهل القرى يرجعون اليها فى الدين والدنيا حجا واعتمارا وجوارا وكسبا واتجارا قال الله تعالى جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس أى يقوم

قوله فى الهواء ولان الخ فى بعض نسخ المتن ما نصه فى الهواء كما كان يمشى فى الارض ولان الخ اه

بأبدانهم وأديانهم وقال تعالى ليشهدوا منافع لهم قيل هي الاجر والتجارات في الموسم فبين أم القرى وسدرة المنتهى من المناسبة ما لا يخفى اذ سدرة المنتهى ينتهى اليها علم الخلائق ومكة ينتهى اليها أهل الآفاق شرقا وغربا وفيها يكون الاجتماع فكان بلوغه الى سدرة المنتهى تنبيها على بلوغه الى فتح مكة أم القرى في العام الثامن وقد غشيها الجراد أو الفراش الذى هو جند من جند الله جاء اللفظان معا في الحديث كما غشى مكة في الفتح جند الله وحزبه وغشيها أيضا أجناس من الخلق وألوان من الاسود والاحمر كما غشى سدرة المنتهى ألوان لا يعلمها الا الله ولما غشيت الالوان السدرة حسنت الى أن لا يحسن أحد أن ينعتها لفرط الحسن كما أن ألوان الخلق لما غشيت مكة يوم الفتح حسنت حينئذ بالايمان وبأهل القرآن حتى لا يحسن أحد أن يصف حالها حينئذ من عظم الشأن ثم كان ظهور الانهار الاربعة حينئذ دليلا على أن ملك الامة سيبلغها ويحققه أيضا قوله صلى الله عليه وسلم زويت لى الارض مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك أمتى ما زوى لى منها دل على انه عليه الصلاة والسلام يكشف له رأى العين علامات تدل على ما سيكون في المستقبل ولم يكن ذلك منامايعبرعنه ولكنه علم يظهر ويتفرس فيه بنور النبوة ما سيقع حتى تكون الصور في حقه عليه السلام دالة دلالة الالفاظ على المعانى كذلك هذه الاشارات الواقعة في حديث الاسراء انتهى (وأما قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث) السابق من رواية مالك بن صعصعة (ثم أتيت باناء من خمر واناء من لبن واناء من عسل فأخذت اللبن فشربت منه فقال جبريل هى الفطرة) علامة الاسلام (التى أنت عليها) وأمتك (فيدل) مع رعاية ما مر من أحاديث عرضها عليه ببيت المقدس (على انه عرض عليه الآنية مرتين) والا فهو لا يدل بذاته الا على مرة واحدة عند السدرة (مرة ببيت المقدس) وسببه ما وقع له من العطش (ومرة عند وصوله الى سدرة المنتهى ورؤية الانهار الاربعة) السابقة في قوله واذا أربعة أنهار نهران باطنان ونهران ظاهران وتقدم أن بجمع من الفاظ بجمع رواياتهما بالتعدد اعمالا للاحاديث لصحة جميعها وأن الحافظ زاد احتمال أن ثم هنا على غير بابها من الترتيب وانما هى بمعنى الواو (وأما الاختلاف في عدد الآنية) جمع اناء كوعاء وزنا ومعنى ففى هذا الحديث قال انها ثلاثة وفى مسلم عن أنس والصحيحين عن أبى هريرة اناءين اناء من خمر واناء من لبن وللبزار عن أبى هريرة والبيهقى عن أنس فعرض عليه الماء والخمر واللبن (وما فيها) كما رأيت (فيحمل على أن بعض الرواة ذكر ما لم يذكره الآخر) لنسيان أو نقص في السماع أو نحو ذلك (ومجموعها) أى الاوانى التى اشتملت عليها الروايات المختلفة (أربعة أوان) كما علمت جمع اناء أيضا والاولى رسم أوان بلا ياء كما في أكثر النسخ وهو الاكثر ويجوز اثباتها كما في نسخة وأما النطق فبلا ياء اتفاقا وهذا بخلاف ما عرف بأل فالاكثر رسمه بالياء كالقاضى (فيها أربعة اشياء من الانهار الاربعة التى رآها تخرج من أصل سدرة المنتهى) ووقع في حديث أبى هريرة عند الطبرى) محمد ابن جرير بيان ما في الانهار الاربعة نفسها لما ذكر (سدرة المنتهى يخرج من أصلها أربعة أنهار نهر من ماء غير آسن) بالمد والقصر كضارب وحذر أى متغير طعمه وريحه بخلاف

ماء الدنيا فيتغير لعارض (ونهر من لبن لم يتغير طعمه) بخلاف لبن الدنيا لخروجه من الضرع يتغير اذا امكث (ونهر من خمر لذة) لذيذة (للشاربين) بخلاف خمر الدنيا كريهة عند الشرب (ونهر من عسل مصفى) بخلاف عسل الدنيا لخروجه من بطون النحل يخالطه الشمع وغيره وهذا قد يفيد ان الحال التى جىء بهذه الاوانى منها كما قال (فلما عرض عليه من كل نهر اناء) اكراما له (وجاء عن كعب) عند البيهقى وغيره (ان نهر العسل) فى الجنة (نهر النيل ونهر اللبن نهر جيحان ونهر الخمر نهر الفرات ونهر الماء نهر سيحان) فهى الآن وان كانت كلها ماء لكن أصولها التى خرجت منها وهى الجنة مختلفة بالاربعة (ولنهر النيل فضائل ولطائف أفردها بالتأليف غير واحد من الائمة ووقع فى بعض الطرق انه صلى الله عليه وسلم صلى بالانبياء فى السموات) فان ثبت تكون صلاته بهم متعددة ببيت المقدس وفى السماء على قياس عرض الاوانى لكن قدم المصنف عن ابن كثير ما حاصله أن هذا لم يصح والذى تظاهرت به الروايات انه انما أمهم ببيت المقدس (وأما قوله عليه السلام) وكان الاولى تقديمه على قوله ثم أتيت الخ لانه (فى الحديث) مقدم على قوله (ثم رفع) بضم الراء وكسر الفاء (الى البيت المعمور) فمعناه انه أرى البيت المعمور له) وهو بمكانه لا انه جىء له به (ويحتمل أن يكون المراد المرفوع) صوابه الرفع كما عبر به الشامى وهو ما ذكره الجوهرى وأتباعه مصدر الرفع وزعم بعضهم أنه مصدر لرفع عدل اليه لئلا يتوهم انه أحد علامات الاعراب ليس بشىء اذ لا يخطر ببال عاقل ذلك مع قوله البيت المعمور ولا نعلم أحدا ذكر الرفوع مصدرا (والرؤية معا لانه قد يكون بينه وبين البيت عوالم) بكسر اللام جمع عالم بفتحها قياسا مطردا باتفاق (حتى لا يقدر على ادراكه فرفع اليه وأمد فى بصره وبصيرته حتى رآه) زاد الشامى على هذا وقد يحتمل أن تلك العوالم التى كانت بينه وبينه ازيلت حتى ادركه ببصره وقد يحتمل أن العالم بقى على حاله والبيت على حاله وأمد فى بصره وبصيرته حتى أدركه وعاينه والقدرة صالحة للكل انتهى ولم اعلم حقيقة المراد من هذه الاحتمالات وقد قال صلى الله عليه وسلم فدخلت البيت المعمور أخرجه البيهقى كما يأتى وليس هذا كقوله رفع لى بيت المقدس لان قوله هذا لما سألوه بمكة عنه عن أشياء لم يكن أثبتها قال فرفعه الله لى أنظر اليه وأما البيت المعمور فقد أخبر أنه رفع اليه بعد اخباره أنه رأى ابراهيم مسندا ظهره اليه فالمتبادر أنه رفع ورؤية معا وتأيد بدخوله وصلاته فيه حينئذ كما يأتى (وروى الطبرى) محمد بن جرير (من حديث سعيد بن أبى عروبة) مهران اليشكرى مولاهم البصرى ثقة حافظ من رجال الجميع من أثبت الناس فى قتادة له تصانيف (عن قتادة) بن دعامة (قال ذكر لنا) الذاكر له ذلك الحسن البصرى ففى رواية الحسن بن سفيان فى مسنده عن قتادة حدثنا الحسن عن أبى هريرة (ان النبى صلى الله عليه وسلم قال البيت المعمور مسجد فى السماء) السابعة كما فى أكثر الروايات وجاء من وجه آخر عن أنس مرفوعا انه فى السماء الرابعة وبه جزم شيخنا فى القاموس وقيل فى السماء السادسة وقيل هو تحت العرش وقيل بناه آدم لما أهبط الى الارض ثم رفع زمن الطوفان وكأن هذا شبهة من قال انه الكعبة جاء ذلك عن الحسن

ومحمد بن عباد بن جعفر والاول اكثر وأشهر أي كونه غير الكعبة كذا ذكره الحافظ في بدء الخلق وهو ينافي قوله في الصلاة انه في السابعة بلا خلاف وما ورد عن علي انه في السادسة وعن غيره انه في سماء الدنيا فيحمل على ما جاء عن علي أيضا ان في كل سماء بيتا يحاذي الكعبة وكل منها معمور بالملائكة وقدمت عبارته (بحذاء الكعبة لو خر لخر عليها) وقوله (يدخله سبعون ألف ملك كل يوم للعبادة اذا خرجوا منه لم يعودوا) هذا جاء أيضا في مسلم من رواية ثابت عن أنس ووقعت في بدء الخلق من البخاري مدرجة في حديث مالك بن صعصعة كما مر وروى اسحق بن راهويه والطبري وغيرهما ان ابن الكوا سأل عليا عن السقف المرفوع قال السماء وعن البيت المعمور قال بيت في السماء السابعة حيال البيت حرمته في السماء كحرمته في الارض يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون اليه ولابن مردويه عن ابن عباس نحوه وزاد وهو على مثل البيت الحرام لو سقط لسقط عليه ومن حديث عائشة نحوه باسناد صالح ومن حديث عبد الله بن عمرو نحوه باسناد ضعيف وهو عند الفاكهي في كتاب مكة باسناد صحيح عنه لكن موقوفا عليه (وفي هذا دليل على عظيم قدرة الله تعالى وأنه لا يعجزه ممكن لان هذا البيت المعمور يصلي فيه كل يوم هذا العدد العظيم منذ خلق الله الخلق الى الابد ثم طائفة هذا اليوم لا ترجع اليه أبدا) الى يوم القيامة كما جاء في حديث أبي سعيد عند ابن اسحق (ومع) ذلك الامر الدال على عظم القدرة (انه قد روي) ما هو أعظم في الدلالة منه (انه ليس في السماء ولا في الارض موضع شبر الا وملك واضع جبهته هناك ساجدا) روى البيهقي عن ابن مسعود قال ما في السموات سماء منها موضع الا وعليه جبهة ملك أو قدماه وأخرج أبو الشيخ عن عائشة رفعته ما في السماء موضع قدم الا عليه ملك ساجد أو قائم وروى أحمد والترمذي وابن ماجه وصححه الحاكم عن أبي ذر رفعه أطت السماء وحق لها أن تئط ما منها موضع أربعة أصابع الا وعليه ملك واضع جبهته وروى ابن أبي حاتم والطبراني والضياء عن حكيم بن حزام اني لاسمع أطيط السماء وما تلام أن تئط ما فيها موضع قدم الا عليه ملك ساجد أو قائم وروى ابن منده عن العلاء ابن سعيد ممن بايع يوم الفتح مرفوعا أطت السماء وحق لها أن تئط ليس منها موضع قدم الا وعليه ملك قائم أو راكع أو ساجد ثم قرأ وانا لنحن الصافون وانا لنحن المسبحون ولم أقف على مثل ذلك في الارض كما ذكر المصنف نعم روى ابن أبي حاتم عن كعب قال ما من موضع خرم ابرة من الارض الا وملك موكل بها يرفع علم ذلك الى الله وعلى المؤلف مغمز في حصره ذلك في السجود مع أن الاحاديث كما ترى ناصة على انه فيه وفي الركوع والقيام هذا وأورد النعماني على هذا كيف مر صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج وأجاب بأن الملك رفع رأسه حتى مر أو حمله على يديه كما في حديث حجاب الذهب ان الملك احتمله حتى وضعه بين يديه وهذا على القول الصحيح ان الملائكة متحيزة فلا اشكال وأما على انها أرواح غير متحيزة ولا تملأ حيزا فلا سؤال (ثم البحار ما من قطرة الا ولها ملك موكل فاذا كانت السموات والارض والبحار هكذا) مملوءة بالملائكة (فهؤلاء الملائكة الذين يدخلون أين يذهبون هذا من عظيم القدرة التي لا يشبهها شيء وفي هذا دليل على أن الملائكة

اكثر

أكثر المخلوقات) وقد قال صلى الله عليه وسلم ليس شئ من خلق الله أكثر من الملائكة ما من شئ ينبت الا وملك موكل به رواه أبو الشيخ وقال ابن عمر ليس شئ أكثر من الملائكة رواه البزار وقال تعالى وما يعلم جنود ربك الا هو (لانه اذا كان سبعون ألف ملك كل يوم يصلون فى البيت المعمور على ما تقدم ثم لا يعودون اليه) الى يوم القيامة (مع أن الملائكة فى السموات والارض والبحار) لزم أن تكون الملائكة أكثر من جميع المخلوقات غير الملائكة فان المخلوقات بأسرها فى بعض الارض وأكثر الارض خال منها فحذف جواب الشرط لدلالة السياق عليه وفى فتح البارى واستدل به على أن الملائكة أكثر المخلوقات لانه لا يعرف من جميع العوالم من يتجدد من جنسه فى كل يوم سبعون ألفا غير الملائكة (وفى حديث أبى هريرة عند ابن مردويه وابن أبى حاتم) والعقيلى عن النبى صلى الله عليه وسلم فى السماء السابعة بيت يقال له البيت المعمور بحيال الكعبة (ان) زائدة من المصنف لاسقاطه أول الحديث المذكور ولفظه و(فى السماء) الرابعة كما فى نفس حديث أبى هريرة هذا (نهرا) بالنصب اسم ان التى زادها والرواية بالرفع لانه ليس فيها ان (يقال له الحيوان يدخله جبريل كل يوم فينغمس فيه) انغماسة كما هو الرواية (ثم يخرج فينتفض) انتفاضة كما فى الرواية (فيخر) أى ينفصل (عنه سبعون ألف قطرة يخلق الله من كل قطرة ملكا هم الذين يصلون فيه أى فى البيت المعمور) لفظ الرواية يؤمرون أن يأتوا البيت المعمور فيصلون فيفعلون (ثم لا يعودون اليه) لفظ الرواية ثم يخرجون فلا يعودون اليه أبدا ويولى عليهم أحدهم ثم يؤمر أن يقف بهم فى السماء موقفا يسبحون الله فيه الى أن تقوم الساعة (واسناده ضعيف) كما جزم به الحافظ فى بدء الخلق وزاد وروى ابن المنذر نحوه بدون ذكر النهر من طريق صحيحة عن أبى هريرة لكن موقوفا انتهى لكن حكمه الرفع اذ لا يقال رأيا فاعتضد ضعف طريق رفعه ولذا قال الشامى الصواب انه ليس بموضوع أى كما زعمه بعضهم وروى أبو الشيخ عن الليث حدثنى خالد بن سعد قال بلغنى أن اسرافيل مؤذن أهل السماء فيؤذن لاثنتى عشرة ساعة من النهار ولاثنتى عشرة ساعة من الليل لكل ساعة تأذين يسمع تأذينه من فى السموات السبع ومن فى الارضين السبع الا الجن والانس ثم يتقدم عظيم الملائكة فيصلى بهم قال وبلغنا أن ميكائيل يؤم الملائكة بالبيت المعمور وروى الديلمى عن على مرفوعا مؤذن أهل السموات جبريل وامامهم ميكائيل يؤمهم عند البيت المعمور فتجتمع ملائكة السموات فيطوفون بالبيت المعمور وتصلى وتستغفر فيجعل الله ثوابهم واستغفارهم وتسبيحهم لامة محمد صلى الله عليه وسلم فان صحا فلعل اسرافيل وجبريل يتناوبان الاذان أو يؤذنان فى آن واحد معا أو واحد بعد واحد (وذكر الامام فخر الدين الرازى عند تفسير قوله تعالى ويخلق ما لا تعلمون انه روى عن عطاء ومقاتل والضحاك عن ابن عباس أنه قال ان عن يمين العرش نهرا من نور مثل السموات السبع والارضين السبع والبحار السبع) لعل المراد سيحان وجيحان والنيل والفرات وسيحون وجيحون والملح (يدخل فيه جبريل عليه السلام كل سحر ويغتسل فيه فيزداد نورا الى نوره وجمالا الى جماله ثم ينتفض فيخلق الله تعالى من كل

قوله فيصلون هكذا فى النسخ بالنون ولعل الاوفق حذفها الا أن يثبت انها الرواية تأمل اهـ مصححه

نقطة تقع من ريشه كذا كذا ألف ملك يدخل منهم البيت المعمور سبعون ألفا ثم لا يعودون اليه الى أن تقوم الساعة) وفى هذا مخالفة لما قبله من وجهين أحدهما فى النهر الذى يدخله والثانى صريح الاول أنه لا يخرج منه غير سبعين ألفا والثانى يخرج منه أكثر يدخل منهم البيت سبعون ألفا والجمع بينهما بجواز أن المراد بالسبعين التكثير وأن جبريل ينغمس فى البحرين ومن يدخل البيت المعمور بعضهم يخلق من القطرات الخارجة عنه عند انتفاضه من بحر الحيوان وبعضهم مما ينفصل عنه حين خروجه من بحر النور (وقد روى أن ثم ملائكة يسبحون الله فيخلق الله بكل تسبيحة ملكا) وأخرج أبو الشيخ عن أبى سعيد مرفوعا ان فى الجنة لنهرا ما يدخله جبريل من دخلة فيخرج فينتفض الا خلق الله من كل قطرة تقطر منه ملكا وأخرج عن الاوزاعى قال موسى يارب من معك فى السماء قال ملائكتى قال وكم هم يارب قال اثنا عشر سبطا قال وكم عدد كل سبط قال عدد التراب وأخرج عن كعب لا تقطر عين ملك منهم الا كانت ملكا يطير من خشية الله (هذا ماعدا الملائكة التى للتعبد) أى الذين خلقوا وأمروا به دائما على صفة خاصة كركوع أو سجود أو قيام قال صلى الله عليه وسلم ان لله ملائكة ترعد فرائصهم من مخافته مامنهم من ملك يقطر من عينه دمعة الا وقعت ملكا قائما يسبح وملائكة سجود امنذ خلق الله السموات والارض لم يرفعوا رؤسهم ولا يرفعونها الى يوم القيامة وملائكة ركوعا لم يرفعوا رؤسهم ولا يرفعونها الى يوم القيامة وصفوفا لم ينصرفوا عن مصافهم ولا ينصرفون عنها الى يوم القيامة فاذا كان يوم القيامة تجلى لهم ربهم عز وجل فنظروا اليه وقالوا سبحانك ماعبدناك كما ينبغى لك رواه البيهقى وأبو الشيخ وغيرهما (وماعدا الملائكة الموكلين بالنبات) قال صلى الله عليه وسلم ليس من خلق الله أكثر من الملائكة مامن شئ ينبت الا وملك موكل بها رواه أبو الشيخ (والارزاق) قال صلى الله عليه وسلم ان لله ملائكة موكلين بأرزاق بنى آدم قال لهم ايما عبد وجدتموه جعل الهم هما واحدا فضمنوا رزقه السموات والارض وبنى آدم وأيما عبد وجدتموه طلب فان تحرى الصدق فطيبوا له ويسروا وان تعدى ذلك فخلوا بينه وبين مايريد ثم لا ينال فوق الدرجة التى كتبتها له رواه الحكيم الترمذى فى النوادر (والحفظة) قال تعالى وان عليكم لحافظين كراما كاتبين فقيل على كل انسان ملكان عن اليمين وعن الشمال وقيل أربعة اثنان ليلا واثنان نهارا وقيل بزيادة ملك خامس لا يفارقه لا ليلا ولا نهارا وعن عثمان يارسول الله كم ملك مع العبد قال ملك عن يمينك على حسناتك وهو أمين على الذى على الشمال فاذا عملت حسنة كتبت عشرا واذا عملت سيئة قال الذى على الشمال للذى على اليمين أكتب قال لا لعله يستغفر فاذا قال ثلاثا قال نعم أراحنا الله منه فبئس القرين ماأقل مراقبته لله تعالى وأقل استحياءه من الله يقول الله ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد وملكان من بين يديك ومن خلفك يقول الله له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله وملك قابض على ناصيتك فاذا تواضعت لله رفعك واذا تجبرت على الله قصمك وملكان على شفتيك ليس يحفظان عليك الا الصلاة على النبى وملك قائم على فيك لا يدع

الحية

الحية أن تدخل في فيك وملكان على عينيك فهؤلاء عشرة يتداولون لان ملائكة الليل سوى ملائكة النهار فهؤلاء عشرون ملكا على كل آدمي أخرجه ابن جرير وروى أبو داود في كتاب القدر والطبراني وغيرهما مرفوعا وكل بالمؤمن ستون وثلثمائة ملك يدفعون عنه مالم يقدر عليه الحديث (والملك الموكل بتصوير ابن آدم) قال صلى الله عليه وسلم اذا مر بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة بعث الله اليها ملكا فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها وشحمها وعظامها الحديث رواه مسلم وفي رواية الطبراني ان النطفة اذا استقرت في الرحم قضى لها أربعون يوما جاء ملك الرحم فصور عظمه ولحمه ودمه وشعره وبشره وهذا غير الملك الموكل بالجنين روى ابو الشيخ بسند جيد عن ابن عباس قال وكل بالجنين ملك اذا نامت الام واضطجعت رفع رأسه لولا ذلك لغرق في الدم (والملائكة الذين ينزلون في السحاب) يصرفونه حيث أمروا به كما في حديث مرفوع عند أبي الشيخ (والملائكة الذين يكتبون الناس يوم الجمعة) روى احمد والشيخان عن أبي هريرة مرفوعا اذا كان يوم الجمعة كان على كل باب من أبواب المسجد ملائكة يكتبون الناس على قدر منازلهم الاول فالاول فاذا جلس الامام طووا الصحف وجاؤا يستمعون الذكر وروى احمد وصححه الضياء عن أبي سعيد مرفوعا اذا كان يوم الجمعة قعدت الملائكة على أبواب المسجد يكتبون من جاء من الناس على قدر منازلهم فرجل قدم جزورا ورجل قدم بقرة ورجل قدم شاة ورجل قدم دجاجة ورجل قدم عصفورا ورجل قدم بيضة فاذا أذن المؤذن وجلس الامام على المنبر طووا الصحف ودخلوا المسجد يستمعون الذكر (وخزنة الجنة) رضوان وأتباعه وكذا خزنة النار مالك وجنده قال تعالى عليها تسعة عشر قال القرطبي المراد بهم رؤساؤهم وأما جملة الخزنة فلا يعلم عدتهم الا الله (والملائكة الذين يتعاقبون) روى الامام مالك والبخاري ومسلم عن ابي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم وهو أعلم كيف تركتم عبادي فيقولون تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون قال ابن حبان في هذا دليل واضح أن ملائكة الليل انما تنزل والناس في صلاة العصر وحينئذ تصعد ملائكة النهار ضد قول من زعم ان ملائكة الليل تنزل بعد غروب الشمس (والذين يؤمنون على قراءة المصلي) روى مالك والبخاري وغيرهما عن أبي هريرة مرفوعا اذا قال الامام ولا الضالين فقولوا آمين فانه من وافق قوله قول الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه وظاهر المصنف هنا أنهم غير الحفظة وبه قيل لرواية وافق قوله قول أهل السماء وقيل هم الحفظة وانهم اذا قالوها قالها من فوقهم حتى تنتهي الى أهل السماء قال بعض ولو قيل بأنهم الحفظة وسائر الملائكة لكان أقرب وقال الحافظ الذي يظهر أن المراد بهم من يشهد تلك الصلاة من الملائكة ممن في الارض أو السماء لحديث وقالت الملائكة في السماء ولمسلم فوافق ذلك قول أهل السماء (والذين يقولون ربنا ولك الحمد) لحديث مالك والشيخين مرفوعا اذا قال الامام سمع الله لمن حمده فقولوا اللهم ربنا لك الحمد فانه من وافق قوله قول الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه (والذين يدعون لمنتظر

الصلاة) قال صلى الله عليه وسلم الملائكة تصلى على أحدكم مادام فى مصلاه الذى صلى فيه مالم يحدث اللهم اغفر له اللهم ارحمه رواه مالك وأحمد والبخارى ومسلم زاد فى رواية لابى داود والنسائى وأحمد أو يقوم بعد قوله يحدث (والذين يلعنون من شمرت فراش زوجها) قال صلى الله عليه وسلم اذا باتت المرأة هاجرة فراش زوجها لعنتها الملائكة حتى تصبح رواه احمد والشيخان قيل هم الحفظة أومن وكل منهم بذلك أو أعم ويرشد اليه رواية فى مسلم لعنتها الملائكة الذين فى السماء ان كان المراد به سكانها وبسط القول فى هذه الاحاديث يخرج عن المقصود فان المراد منها الاستدلال على كثرة الملائكة مع أن المصنف لم يستوف جزئيات ذلك كالملائكة الموكلين بالشمس والريح والمطر وقبر المصطفى والمبلغين له السلام من امته وغير ذلك مما يحتمل مؤلفا مستقلا ثم زاد فى الاستدلال فقال (وروى أن فى السماء الدنيا وهى من ماء ودخان) قال تعالى ثم استوى الى السماء وهى دخان روى عثمان بن سعيد الدارمى عن ابن عمر قال لما أراد الله أن يخلق الاشياء اذ كان عرشه على الماء ولا أرض ولا سماء خلق الريح فسلطها على الماء حتى اضطربت أمواجه وأثار أركانه فأخرج من الماء دخانا وطينا وزبدا فأمر الدخان فعلا وسما ونما فخلق منه السماء وخلق من الطين الارضين ومن الزبد الجبال وأخرج ابن المنذر وابن جرير عن ابن مسعود وناس من الصحابة لما أراد الله أن يخلق الخلق أخرج من الماء دخانا فارتفع فوق الماء فسما عليه فسماه سماء وهذا نحو قول من قال من موج مكفوف اذ الموج لغة اضطراب الماء فهو مكفوف عن الاضطراب (ملائكة خلقوا من ماء وريح عليهم ملك يقال له الرعد وهو ملك موكل بالسحاب والمطر) روى احمد والترمذى وصححه والنسائى عن ابن عباس أقبلت يهود الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت أخبرنا ما هذا الرعد قال ملك من ملائكة الله موكل بالسحاب بيديه مخراق من نار يزجر به السحاب يسوقه حيث أمر الله قالوا فما هذا الصوت الذى نسمع قال صوته قالوا صدقت (يقولون) أى الرعد وجنده (سبحان ذى الملك والملكوت) وفى العظمة عن ابن عباس الرعد ملك يسوق السحاب بالتسبيح كما يسوق الحادى الابل بحدائه ولا ينافى الحديث قبله فى سوقه بمخراق من نار لانه يفعله بيده ويسبح بلسانه حال سوقه وعن جابر سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن منشأ السحاب فقال ان ملكا موكل بالسحاب يلم القاصية ويلحم الدانية فى يده مخراق فاذا رفع برقت واذا زجر رعدت واذا ضرب صعقت وعن عمرو بن بجاد مرفوعا اسم السحاب عند الله العنان والرعد ملك والبرق طرف ملك يقال له روقيل رواهما ابن مردويه (وان فى السماء الثانية) وهى من مرمرة بيضاء كما عند ابن راهويه وأبى الشيخ والطبرانى وغيرهم عن الربيع بن أنس (ملائكة على ألوان) أى أنواع (وصفات شتى) متفرقين فيما أمروا به من العبادة المختلفة (رافعين أصواتهم يقولون سبحان ذى العزة والجبروت و) روى مما هو افتراء (ان فيها ملكا نصف جسده) الاسفل (من نار ونصف جسده) الاعلى (من ثلج فلا النار تذيب الثلج ولا الثلج يطفئ النار وهو يقول يا من ألف بين الثلج والنار) فلم يبغ أحدهما على الآخر مع انهما ضدان (ألف

قوله او يقوم ينظر فى عطفه على يحدث الجزم بلم ويحرر الرواية اه مصححه

بين قلوب عبادك المؤمنين) وفيه جواز اطلاق الاسماء المبهمة على الله فى مقام الدعاء وبه صرح بعضهم ولا يرد أن كثيرا من الناس قلوبهم مختلفة ودعاء الملائكة مستجاب لان مختلفى القلوب بينهم ائتلاف فى الجملة يمنعهم من استئصال بعضهم بعضا واختلافهم انما هو لاغراض دنيوية لا من جميع الوجوه أو أن الاضافة فى عبادك للتخصيص بالكاملين الذين استحقوا أن يضافوا اليه لكن هذا الحديث أخرجه ابن مردويه عن ابن عباس مرفوعا لما أسرى بى مررت بخلق عجيب رأيت ملكا نصف جسده مما يلى رأسه ثلج والآخر نار يكون ما بينهما رتق فلا النار تذيب الثلج ولا الثلج يذيب النار وهو قائم ينادى بصوت رفيع جدا يقول سبحان ربى الذى كف برد هذا الثلج فلا يطفئ حر هذه النار سبحان ربى الذى كف حر هذه النار فلا تذيب الثلج اللهم يا من ألف بين الثلج والنار ألف بين قلوب عبادك المؤمنين فقلت من هذا يا أخى يا جبريل قال هذا ملك من الملائكة وكله الله بأكناف السموات وأطراف الارضين وهو من أنصح الملائكة لاهل الارض من المؤمنين يدعو لهم بما تسمع فهذا قوله منذ خلق وذكر حديثا طويلا فيه عجائب وهو موضوع كما قاله ابن حبان وابن الجوزى والحافظ فى اللسان والذهبى فى الميزان (وان فى الثالثة وهى من حديد ملائكة ذوى) صفة الملائكة وفى نسخة ذوا على لغة من يلزم المثنى الالف وفى أخرى ذوو خبر محذوف أى هم ذوو (أجنحة ووجوه شتى) جمع شتيت كمريض ومرضى أى متفرقات فى الصور (وأصوات شتى رافعين) حال وفى نسخة رافعو بتقدير هم (اصواتهم بالتسبيح يقولون سبحانك اللهم أنت الحى الذى لا تموت) بفوقية مراعاة للفظ أنت وتحتية مراعاة للفظ الحى (وهم صفوف قيام كأنهم بنيان مرصوص) ملزوق بعضه الى بعض ثابت (لا يعرف أحدهم لون صاحبه من خشية الله) لانه ما نظر واحد منهم الى وجه صاحبه ولا ينظر اليه الى يوم القيامة كما فى العظمة عن خالد بن معدان (وان فى الرابعة وهى من نحاس ملائكة يضعفون) يزيدون (على ملائكة الثالثة) مثلهم فأكثر عند الخليل وقال الازهرى الضعف فى كلام العرب المثل ثم استعمل فيه وما زاد بلا حد (وكذلك كل سماء اكثر عددا من السماء التى تليها وان ملائكة السماء الرابعة قيام وركوع وسجود على ألوان) أنواع (شتى) متفرقات (من العبادات يبعث الله الملك منهم الى أمر من أموره فينطلق الملك ثم ينصرف فلا يعرف) المبعوث (صاحبه الذى الى جنبه) لبرجع اليه فصاحبه بالنصب ويجوز رفعه على معنى ان الباقى بجعله لا يعرف هل انصرف الذاهب أم لا (من شدة العبادة) واشتغاله بها (وهم يقولون سبوح قدوس) بضم أولهما أى منزه عن كل سوء وعيب والاظهر أنه خبر لقوله (ربنا الرحمن الذى لا اله الا هو وان فى السماء الخامسة وهى من فضة ملائكة يزيدون على ملائكة الاربع سموات وهم سجود وركوع لم يرفعوا أبصارهم الى يوم القيامة فاذا كان) وجد (يوم القيامة قالوا ربنا لم نعبدك حق عبادتك) اعتذارا واعترافا بالتقصير واظهارا لكمال عظمته وانعامه بحيث لا يقدر أحد على القيام بشكر ما يقابل نعمة من نعمه (وان فى السماء السادسة وهى من ذهب جند الله) وجند اسم جنس مفرد ولذا وصف بقوله (الاعظم

قوله وفى نسخة ذوا على لغة الخ لكن يلزم عليها عدم التطابق بين النعت والمنعوت واختلافهما بالتثنية والجمع كما لا يخفى اه مصححه

الكروبيون) قال الطيبي ملائكة العذاب من الكرب وفي القاموس الكروبيون سادة الملائكة منهم جبريل وميكائيل واسرافيل وهم المقربون من كرب اذا قرب وفي تذكرة الشيخ تاج الدين بن مكتوم سئل ابن دحية هل يعرف لغة أم لا فقال الكروبيون بتخفيف الراء سادة الملائكة وهم المقربون من كرب اذا قرب أنشد أبو علي البغدادي كروبية منهم ركوع وسجد وقال الطيبي من بعضهم في هذه اللفظة ثلاث مبالغات احداها ان كرب أبلغ من قرب حين وضع موضع كاد تقول كربت الشمس أن تغرب كما تقول كادت والثانية انه على وزن فعول وهو للمبالغة والثالثة زيادة الياء فيه وهي تزاد للمبالغة كاحمري ذكره في المبالغ (لا يحصي عددهم الا الله تعالى عليهم ملك) أمير (له سبعون ألف ملك جنده وكل ملك منهم جنوده سبعون ألف ملك وهم الذين يبعثهم الله في أموره الى أهل الدنيا رافعوا أصواتهم بالتسبيح والتهليل) وأخرج ابن المنذر عن ابن عمرو يرفعه الملائكة عشرة أجزاء تسعة أجزاء الكروبيون الذين يسبحون الليل والنهار لا يفترون وجزء قد وكلوا بخزانة كل شئ وما في السماء موضع اهاب الا فيه ملك ساجد أو ملك راكع (وان في السماء السابعة وهي من ياقوتة حمراء من الملائكة ما) أي ملائكة (يزيدون على ما تقدم وعليهم ملك مقدم على سبعمائة ألف ملك منهم جنود مثل قطر السماء وتراب الثرى) في الكثرة (والرمل والسهل وعدد الحصى والورق وعدد كل شئ خلق في السموات والارض ويخلق الله تعالى في كل يوم ما يشاء وما يعلم جنود ربك الا هو) وروى أبو الشيخ مرفوعا خلق الله السماء الدنيا فجعلها سقفا محفوظا وجعل فيها حرسا شديدا وشهبا ما كنها من الملائكة أولو أجنحة مثنى وثلاث ورباع في صورة البقر مثل عدد النجوم لا يفترون من التسبيح والتهليل والتكبير وأما السماء الثانية فساكنها عدد القطر في صورة العقبان لا يسأمون ولا يفترون ولا ينامون منها ينشأ السحاب حتى يخرج من تحت الخافقين فينتشر في جو السماء معه ملائكة يصرفونه حيث أمر وابه أصواتهم التسبيح ونشهم تخويف وأما السماء الثالثة فساكنها عدد الرمل في صورة الناس يحشرون الليل والنهار وأما السماء الرابعة فساكنها عدد أوراق الشجر صافون منا كبهم في صورة الحور والعين من بين راكع وساجد تبرق وجوههم سبحات ما بين السموات السبع والارض السابعة وأما السماء الخامسة فان عددها يضعف على عدد سائر الخلق على صورة البشر منهم الكرام البررة والعلماء السفرة وأما السماء السادسة فحزب الله الغالب وجنده الاعظم في صورة الخيل المسومة وأما السماء السابعة ففيها الملائكة المقربون الذين يرفعون الاعمال في بطون الصحف ويحفظون الخيرات فوقهما حملة العرش الكروبيون (و) روى (ان حملة العرش لكل منهم وجوه شتى وأعين شتى في جسده لا يشبه بعضها بعضا) روى عبد الرزاق وابن المنذر وغيرهما عن وهب قال حملة العرش أربعة لكل ملك منهم أربعة وجوه وأربعة أجنحة جناحان على وجهه من ان ينظر الى العرش فيصعق وجناحان يطير بهما وأقدامهم في الثرى لكل واحد منهم وجه ثور وأسد وانسان ونسر ليس لهم كلام الا أن يقولوا سبوح قدوس الله القوي ملأت عظمته السموات والارض وزاد أبو الشيخ عن

وهب

قوله ونشهم هكذا هو في النسخ ولا يلائم معناه المقام اذ هو كما في القاموس الشرب دون الري أو أن يشرب حتى يتملئ فلعله محرف عن النشيج أو النشيج وليحرر اه مصححه

وهب ملك منهم في صورة انسان يشفع لبني آدم في أرزاقهم وملك في صورة نسر يشفع للطير في أرزاقها وملك في صورة ثور يشفع للبهائم في أرزاقها وملك في صورة أسد يشفع للسباع في أرزاقها فلما حملوا العرش وقعوا على ركبهم من عظمة الله فلقنوا لا حول ولا قوة الا بالله فاستووا على أرجلهم قياما وروى عثمان بن سعيد الدارمي عن ابن عباس قال حملة العرش قرون لها كعوب ككعوب القنا ما بين أخمص أحدهم الى كعبه مسيرة خمسمائة عام وبين اربتبه الى ترقوته مسيرة خمسمائة عام ومن ترقوته الى موضع القرط خمسمائة عام (رافعة أصواتهم بالتهليل ينظرون الى العرش لا يفترون لو أرسل الملك منهم جناحه لطبق) بشدة البأس على (الدنيا بريشة من جناحه لا يعلم عددهم الا الله) وروى ابن المنذر وأبو الشيخ والبيهقي في الشعب عن هرون بن رياب قال (حملة العرش ثمانية) رؤسهم عند العرش في السماء السابعة وأقدامهم في الارض السفلى ولهم قرون كقرون الوعلة ما بين أصل قرن أحدهم الى منتهاه مسيرة خمسمائة عام (يتجاوبون بصوت حسن رخيم) أي سهل (تقول أربعة منهم سبحانك اللهم وبحمدك على حلمك بعد علمك وتقول أربعة سبحانك اللهم وبحمدك على عفوك بعد قدرتك) وهذا ظاهر أن الثمانية في الدنيا ولكن روى ابن جرير عن ابن زيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يحمله اليوم أربعة ويوم القيامة ثمانية وروى أبو الشيخ عن وهب حملة العرش اليوم أربعة فاذا كان يوم القيامة أيدوا بأربعة اخر وروى ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله تعالى ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية قال ثمانية صفوف من الملائكة لا يعلم عدتهم الا الله والاصل الحقيقة لانه تمثيل لعظمته تعالى بالمشاهد من أحوال السلاطين يوم خروجهم للقضاء العام بين الناس * وحكى الضحاك في الآية قولين ثمانية أملاك وثمانية صفوف (وقد روى الطبراني) والبيهقي وأبو الشيخ (من حديث ابن عباس قال) بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه جبريل يناجيه اذ انشق أفق السماء وأقبل جبريل يتضاءل ويدخل بعضه في بعض ويدنو من الارض فاذا ملك قد مثل بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد ان ربك يقرئك السلام ويخيرك بين أن تكون نبيا ملكا أو نبيا عبدا قال صلى الله عليه وسلم فأشار جبريل الي بيده أن تواضع فعرفت انه لي ناصح فقلت نبيا عبدا فعرج ذلك الملك الى السماء فقلت يا جبريل قد كنت أردت ان أسئلك عن هذا فرأيت من حالك ما شغلني عن المسئلة فمن هذا يا جبريل قال هذا اسرافيل خلقه الله يوم خلقه صافا قدميه لا يرفع طرفه بينه وبين الرب سبعون نورا ما منها نور يدنو منه الا احترق بين يديه اللوح المحفوظ فاذا أذن الله في شئ من السماء أو في الارض ارتفع ذلك اللوح فضرب جبهته فينظر فيه فان كان من عملي أمرني به وان كان من عمل ميكائيل أمره به وان كان من عمل ملك الموت أمره به (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل على أي شئ أنت) أي أنت موكل على أي شئ تقوم به وتدبره (قال على الرياح والجنود قال وعلى أي شئ ميكائيل قال على النبات والقطر) أي انهما رأسا الموكلين بذلك (قال وعلى أي شئ ملك الموت قال على قبض الارواح) وفي لفظ الانفس أي وله أعوان قال

تعالى لوفقته رسلنا (الحديث) بقيته وما ظننت انه هبط الا لقيام الساعة وما ذاك الذى رأيت منى الا تخوفا من قيام الساعة (وفى اسناده محمد بن عبد الرحمن بن ابى ليلى) الانصارى الكوفى القاضى أبو عبد الرحمن مات سنة ثمان وأربعين ومائة (وقد ضعف لسوء حفظه) جدا (ولم يترك) بل روى له اصحاب السنن الاربعة لانه صدوق (وروى الترمذى) باسناد صحيح والحاكم وصححه (من حديث أبى سعيد مرفوعا) ان لى وزيرين من أهل السماء ووزيرين من أهل الارض (وزيراى من أهل السماء جبريل وميكائيل) ووزيراى من أهل الارض أبو بكر وعمر هذا تمامه المشار له بقوله (الحديث) وأخرجه الحكيم الترمذى من حديث ابن عباس وأخرج البزار والطبرانى وأبو نعيم عن ابن عباس رفعه ان الله أيدنى بأربعة وزراء اثنين من أهل السماء جبريل وميكائيل واثنين من أهل الارض أبى بكر وعمر قال القرطبى وفيه دلالة ان المصطفى أفضل من جبريل وميكائيل والوزير من الوزر وهو الثقل فانه يتحمل عن الملك أوزاره قال تعالى حكاية عن موسى واجعل لى وزيرا من أهلى وروى أبو يعلى وابن عساكر عن أبى ذر مرفوعا ان لكل نبى وزيرين ووزيراى وصاحباى أبو بكر وعمر (وروى النقاش ان اسرافيل أول من سجد لآدم (من الملائكة) حين أمروا بالسجود (وانه جوزى على ذلك بولاية اللوح المحفوظ) بان جعل مطلعا عليه ومتصرفا فيه بنقل ما فيه للملائكة كما فى حديث ابن عباس المتقدم قريبا وروى أبو الشيخ عن عائشة رفعته لاسرافيل أربعة أجنحة منها جناحان أحدهما بالمشرق والآخر بالمغرب واللوح بين عينيه فاذا أراد الله أن يكتب الوحى ينقر بين جبهته وروى أبو الشيخ وابن أبى حاتم عن ضمرة قال بلغنى ان أول من سجد لآدم اسرافيل فأثابه الله أن كتب القرآن فى جبهته ولا منافاة فكلاهما جوزى به (وفى كتاب العظمة لابى الشيخ) عبد الله (بن حيان) بفتح المهملة والتحتية الثقيلة الحافظ المشهور (من ذلك) أى ما يدل على كثرة الملائكة جدا (العجب العجاب وعندى منه الجزء الثانى وقد وقعت فى غير رواية البخارى هنا) أى فى ذكر السموات (زيادات) لا يفيد كونها بعد السدرة ورؤية الانهار لان رؤيته لابراهيم كان قبل ذلك (فيها) أى الزيادات (ما وقع فى رواية أبى سعيد الخدرى عند البيهقى فى دلائله) والبزار وأبى يعلى وابن جرير وابن أبى حاتم (ثم صعدت الى السماء السابعة فاذا ابراهيم الخليل ساند) برفعه خبر مبتدا محذوف (ظهره الى البيت المعمور كأحسن الرجال ومعه نفر من قومه فسلمت عليه وسلم على) أى رد السلام على سماه سلاما لاشتماله عليه معنى (واذا أنا بأمتى) منقسمة أو أراها (شطرين) فنصب بمقدر والا فالظاهر شطران خبرا أمتى زيدت فيه الباء والشطر لغة النصف وقد يستعمل فى البعض قل أو كثر وهو المراد هنا فلا يلزم استواء القسمين عددا (شطر عليهم ثياب بيض كأنهم القراطيس) جمع قرطاس ما يكتب فيه وكسر القاف اشهر من ضمها والقرطس وزان جعفر لغة فيه (وشطر عليهم ثياب رمدة) أى لونها كلون الرماد لكن الذى فى دلائل البيهقى رمد بلا هاء قال فى النهاية أى غبر فيها كدورة كلون الرماد واحدها أرمد (قال فدخلت البيت المعمور) نقل فى النور أن السلطان برقوق سأل عن البيت

المعمور من أى شئ هو فأجابه بعض الحاضرين بأنه من عقيق ونقله عن بعض التفاسير (ودخل معى الذين عليهم الثياب البيض وحجب الآخرون) أى منعوا من الدخول (الذين عليهم الثياب الرمدة) وهم على خير كما فى رواية البيهقى وغيره أى لانهم لما تاب الله عليهم صارت سيئاتهم مغفورة فبقيت أعمالهم التى يجازون عليها كلها حسنة (فصليت أنا ومن فى البيت المعمور) اماما على الظاهر (وفى رواية الطبرانى فاذا هو برجل اشمط) أى أبيض شعر الرأس يخالط سواده كما فى القاموس وفى المغرب الشمط فى الرجل شيب اللحية وأطلق ابن الاثير فقال الشمط الشيب (جالس عند باب الجنة على كرسى وعنده قوم جلوس بيض الوجوه أمثال القراطيس وقوم فى ألوانهم شئ) أى غبرة كما فى الحديث قبله (فدخلوا نهرا فاغتسلوا فيه فخرجوا وقد خلص) بفتحات (من ألوانهم شئ) أى صفا بعض الصفاء (ثم دخلوا نهرا آخر فاغتسلوا فيه فخرجوا وقد خلص من ألوانهم شئ ثم دخلوا نهرا آخر) ثالثا (فاغتسلوا فيه) هكذا فى النسخ الصحيحة ذكر ثلاثة أنهار موافقة للرواية خلاف ما فى نسخ سقيمة من الاقتصار على نهرين فانه خطأ نشأ عن سقط ويدل عليه بقية الحديث (فخرجوا وقد خلصت ألوانهم وصارت مثل ألوان البيض الوجوه) فجاؤا فجلسوا الى أصحابهم كما فى الرواية (فقال) ياجبريل (من هذا) لفظ الرواية من هؤلا البيض الوجوه (ومن هؤلاء الذين فى ألوانهم شئ وما هذه الانهار التى دخلوا فيها فجاؤا وقد صفت ألوانهم قال) جبريل (هذا أبوك ابراهيم أول من شمط) بكسر الميم كفرح (على الارض وأما هؤلاء البيض الوجوه فقوم لم يلبسوا) يخلطوا (ايمانهم بظلم) أى شرك كما فسره به النبى صلى الله عليه وسلم فى الصحيحين (أولئك لهم الامن) من العذاب (وهم مهتدون) وتوقف بعض فى تفسيره هنا بالشرك لمقابلته بقوله (وأما هؤلاء النفر الذين فى ألوانهم شئ فقوم خلطوا عملا صالحا) وهو جهادهم أو اعترافهم بذنوبهم أو غير ذلك (وآخر سيأ) ولا وقفة أصلا فالمراد بالعمل السئ ما يشمل ادعاء الشريك لله تعالى وقوله (فتابوا) منه بمعنى أسلموا (فتاب الله عليهم) وأما البيض الوجوه فما خلطوه بشرك أصلا فلذا ميزوا عليهم وان سبقت لمن لم يشرك معصية وتاب منها (وأما الانهار فأولها رحمة الله والثانى نعمة الله والثالث وسقاهم ربهم شرابا طهورا) مبالغة فى طهارته ونظافته وظاهره أن الجملة اسم للنهر وليس مرادا وانما المراد أن الثالث هو النهر الذى يقال للذين يشربون منه سقاهم الخ وعليه فاسم النهر الشراب الطهور (وفى رواية البخارى فى الصلاة) عن ابن عباس وأبى حبة الانصارى قال النبى صلى الله عليه وسلم (ثم عرج) بفتحات أو ضم الاول وكسر الثانى (بى حتى ظهرت) أى ارتفعت (لمستوى) بفتح الواو ومنون أى موضع مشرف يستوى عليه أى يصعد قال المصنف وفى بعض الاصول بمستوى بموحدة بدل اللام (أسمع فيه صريف الاقلام) قال القرطبى لعلها المعبر عنها بالقلم المقسم به فى ن والقلم ويكون القلم للجنس (الحديث والمستوى المصعد) وقيل المكان المستوى وعليهما فالباء ظرفية وعلى رواية اللام قال التوربشتى اللام لعلة أى ارتفعت لاستعلاء مستوى أو لرؤيته أو لمطالعته ويحتمل أن يكون متعلقا بالمصدر أى ظهرت ظهور المستوى

ويحتمل أن تكون بمعنى الى قال تعالى أوحى لها أى اليها والمعنى انى أقمت مقاما بلغت فيه من رفعة المحل الى حيث اطلعت على الكوائن وظهر لى ما يراد من أمر الله وتدبيره فى خلقه وهذا هو المنتهى الذى لا تقدم فيه لاحد عليه وقال الطيبى لام الغرض والى الغائية يلتقيان فى المعنى قال فى الكشاف فى قوله تعالى كل يجرى لاجل مسمى ويجرى الى أجل مسمى أهو من تعاقب الحرفين قلت كلا ولن يسلك هذه الطريقة الا بليد الطبع ضيق العطن ولكن المعنيين اعنى الانتهاء والاختصاص كل واحد منهما ملائم لصحة الغرض لان قوله الى أجل مسمى معناه يبلغه وينتهى اليه وقوله لاجل مسمى يريد يجرى لادراك أجل مسمى انتهى فالحاصل أن اللام والى وان كان معناهما أعنى الادراك والانتهاء ملائما لصحة الغرض فليستا متعاقبتين فمعنى ظهرت الى مستوى بلغته وانتهيت اليه أى لو روى بذلك ومعنى لمستوى الذى الرواية به أدركت مستوى وجعل البيضاوى اللام صالحة للعلة والغاية (وصريف الاقلام هو بفتح الصاد المهملة) وكسر الراء وآخره فاء وفى النور عن بعضهم صريربالراء آخره عوض الفاء وهو الاشهر فى اللغة (تصويتها حالة الكتابة والمراد) كما قال عياض والنووى (ما تكتبه الملائكة من أقضية الله تعالى) ووحيه وما ينسخون من اللوح المحفوظ أو ما شاء الله من ذلك أن يكتب ويرفع لما أراده من أمره وتدبيره وفيه حجة لاهل السنة فى الايمان بصحة كتابة الوحى والمقادير فى كتب الله من اللوح المحفوظ بالاقلام التى هو يعلم كيفيتها على ما جاءت به الآيات والاحاديث الصحيحة وأن ما جاء من ذلك على ظاهره لكن كيفية ذلك وصورته وجنسه لا يعلمه الا الله ومن اطلعه على شئ منه من ملائكته ورسله وما يتأول هذا ويحيله الاضعيف النظر والايمان اذ جاءت به الشريعة ودليل العقول لا يحيله والله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد حكمة من الله واظهارا لما يشاء من غيبه لمن يشاء من ملائكته وسائر خلقه والا فهو غنى عن الكتب والاستذكار انتهى (والقدر المكتوب قديم وانما الكتابة حادثة) فلا يتوهم أن القدر الذى تكتبه الملائكة حادث انما الحادث الكتابة ونفس القدر لا يكتب فيؤول بما تعلق به القدر وامضاه والمتعلق حادث كالكتابة (وظاهر الاخبار أن اللوح المحفوظ فرغ من كتابته وجف القلم) كناية عن فراغ الكتابة واتمامها عبر به على عادة الكتاب انهم اذا فرغوا من الكتابة تطفوا أقلامهم فيجف بازالة أثر المداد الذى كان عليها (بما فيه قبل خلق السموات والارض وانما هذه الكتابة فى صحف الملائكة كالفروع المنتسخة من الاصل وفيها الاثبات والمحو على ما ذكر فى الاثر) وهذا ذكره ابن دحية وتبعه ابن المنير وزادا وأصل اللوح المحفوظ الذى انتسخ منه اللوح هو علم الغيب القديم فى أزل القدم وهو الذى لا محو فيه ولا اثبات حيث لا لوح ولا قلم والحكمة البالغة والله أعلم فى سماعه لصريف الاقلام حصول الطمأنينة بجفاف القلم بما فى القدر حتى يتمكن التفويض للقدر لا للسبب وحتى يتعاطى السبب تعبدا لا تعودا وبذلك يتم التوكل ويسكن الاضطراب عند اختلاف الاسباب قالوا والمناسبة بين هذا المعراج التاسع والعام التاسع من الهجرة أنه كان فيه غزوة تبوك خرج صلى الله عليه وسلم من المدينة الى الشام فى العدد

قوله فى الاثر فى بعض نسخ المتن فى الآية

الذى لم يتم قبله مثله كان العدد ثلاثين ألفا والشقة بعيدة ولهذا لم يورّ فيها بل اعلم الناس بوجههم ليكونوا تأهبهم بحسب ذلك ومع هذا الاجتهاد فى الاستعداد لم يلق صلى الله عليه وسلم فيها حربا ولا افتتح فيها بلدا لان أجل فتح الشلم لم يكن بعد فانتسخ العزم بالقدر وبجفاف القلم ورجع صلى الله عليه وسلم الى المدينة وعلى المسلمين الوقار والسكينة من غير اضطراب عند انصراف العزيمة (وذكر ابن القيم أن الاقلام اثنا عشر قلما وأنها متفاوتة فى الرتب) بجمع رتبة المنزلة (فأعلاها وأجلها قدرا قلم القدر السابق الذى كتب الله به مقادير الخلق) بمعنى القدر وهو عبارة عن تعلق علم الله وارادته أزلا بالكائنات قبل وجودها وهو سبحانه أزلى لا يتقيد وجوده بزمان قاله الابى وقال النووى قال العلماء المراد تحديد وقت الكتابة فى اللوح المحفوظ أو غيره لا أصل التقدير لانه أزلى لا أول له (كما فى سنن أبى داود عن عبادة بن الصامت) الخزرجى النقيب البدرى من فضلاء الصحابة (قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان أول ما) أى شئ (خلق الله القلم) بالرفع على الخبرية والاولية نسبية أى بعد العرش لان الجمهور وهو الاصح أن العرش خلق قبل القلم قال ابن السيد الوجه رفع القلم وما أعلم أحدا رواه بالنصب وهو خطأ لان القلم أول مخلوق كما دلت عليه الاحاديث فان صحت روايته بنصبه خرجت على لغة نصب ان الجزأين لا على أنه مفعول خلق لفساده فى المعنى والاعراب انتهى وظاهر الاحاديث أنه قلم حقيقى من نور كحديث ابن عباس قلمه نور وعن مجاهد أنه من البراع القصب فان صح فلعل تجسمه من نور على صفة البراع وطوله خمسمائة عام رواه أبو الشيخ عن ابن عمر وعنده أيضا بسند واه وعرضه كذلك وسنه مشقوقة ينبع منه المداد وفى خبر مرسل انه من لؤلؤ طوله سبعمائة عام ولا معارضة فالاقل لا ينفى الاكثر وكونه لؤلؤا على التشبيه لشدة بياضه اذ هو نور وأغرب شيخ الاسلام السراج البلقينى فيما حكاه عنه ولده فى ترجمته فقال القلم ملك من الملائكة لانه من نور والملائكة مخلوقة من النور وانه عاقل قائم بكل ما يؤمر به (قال له اكتب قال) القلم بأن خلق الله له قوة النطق والادراك كما خلقها فى الاعضاء وأحد وغير ذلك وتجويز غير هذا خروج عن الظاهر بلا دليل (يارب وما اكتب قال اكتب مقادير كل شئ) زاد فى رواية الترمذى ما كان وما هو كائن الى الابد أى ما كان قبل القلم لان أوليته نسبية فلا يرد تصريحه انه أول مخلوق وما هو كائن الى انقضاء هذا العالم كما قال الى الابد وكقوله (حتى تقوم الساعة) وكذا ما بعدها مما يمكن تناهيه لا نعيم الآخرة وعذابها اذ لا نهاية له فلا يدخل تحت الكتابة وبقية حديث أبى داود من مات على غير هذا فليس منى (فهذا القلم أول الاقلام وأجلها وقد قال غير واحد من أهل التفسير انه القلم الذى أقسم الله به) فى قوله ن والقلم انه الذى خط فى اللوح وقيل المراد الذى يكتب به وأقسم به لكثرة فوائده الحاصلة بالكتابة به (والقلم الثانى قلم الوحى ... والثالث قلم التوقيع) أى الذى يكتب به ما يقع صادرا عن الله ورسوله والتوقيع ما يوقع فى الكتاب كما فى القاموس (والرابع قلم طب الابدان الذى يحفظ به صحتها والخامس قلم

هكذا بياض بالاصل

التوقيع عن الملوك ونوابهم وبه تساس الممالك) أى يدبر أمرها (والسادس قلم الحساب وهو الذى تضبط به الاموال مستخرجها ومصرفها ومقاديرها وهو قلم الارزاق والسابع قلم الحكم الذى تثبت به الحقوق وتنفذ به القضايا والثامن قلم الشهادة الذى تحفظ به الحقوق والتاسع قلم التعبير) تفسير الرؤيا (وهو كاتب وحى المنام وتفسيره وتعبيره والعاشر قلم تواريخ العالم ووقائعه والحادى عشر قلم اللغة وتفاصيلها والثانى عشر القلم الجامع وهو قلم الرد على المبطلين ودفع شبه المحرفين فهذه الاقلام بها انتظام مصالح العالم قال ويكفى فى جلالة القلم أنه لم تكتب كتب الله الا به وأنه تعالى أقسم به فى كتابه فى أحد القولين كما مر (انتهى ملخصا من كتاب أقسام القرآن) لابن القيم رحمه الله (وقد وقع فى رواية أبى ذر (عند مسلم) فى الايمان (وغيره) كالبخارى فى أحاديث الانبياء والترمذى فى التفسير والنسائى فى الصلاة (من الزيادة أيضا ثم ادخلت الجنة فاذا فيها جنابذ اللؤلؤ واذا ترابها المسك) حقيقة وقول المصنف أى تراب الجنة كرائحة المسك تعقب بأنه لا ضرورة الى هذا التأويل وقد تظاهرت الاحاديث على أن ترابها المسك وفى حديث أبى بن كعب عند ابن مردويه فقال يا جبريل انهم يسألونى عن الجنة فقال أخبرهم أنها قيعان وأن ترابها المسك (الحديث والجنابذ بالجيم ثم النون المفتوحتين ثم ألف ثم موحدة ثم ذال معجمة هى القباب) وفى الفتح شبه القباب واحدها جنبذة بالضم وهو ما ارتفع من البناء فارسى معرب وأصله بلسانهم كنبذة بوزنه لكن الموحدة مفتوحة والكاف ليست خالصة وفى القاموس الجنبذة وقد تفتح الباء أو هو لحن كالقبة (ويؤيده) أى تفسيره بالقباب (ما فى التفسير) لسورة الكوثر (من البخارى من طريق قتادة عن أنس لما عرج به) أى بالنبى كما هو لفظه (صلى الله عليه وسلم قال أتيت على نهر حافتاه قباب اللؤلؤ) مجوف فقلت ما هذا يا جبريل قال هذا الكوثر وللترمذى حافتاه فيهما مثل القباب (وأما ما فى كتاب الصلاة من البخارى) من حديث أبى ذر ثم أدخلت الجنة (فاذا فيها حبائل اللؤلؤ بالمهملة والموحدة وآخره لام) كذا لجميع الرواة فى الصلاة (فقال القاضى عياض وغيره) من الائمة (هو تصحيف) وانما هو جنابذ كما عند البخارى فى أحاديث الانبياء وكذا عند غيره من الائمة ووقع فى نسخة معتمدة من رواية أبى ذر فى الصلاة جنابذ على الصواب قال الحافظ وأظنه من اصلاح بعض الرواة وقال صاحب المطالع الحبائل القلادة والعقود أوهى من حبال الرمل أى فيها اللؤلؤ مثل حبال الرمل جمع حبل وهو ما استطال من الرمل وتعقب بأن الحبائل لا تكون الا جمع حبالة أو حبيلة بوزن عظيمة وقال بعض من اعتنى بالبخارى الحبائل جمع حبالة وحبالة جمع حبل على غير قياس والمراد أن فيها عقودا أو قلائد من اللؤلؤ انتهى (وفى حديث الامام أحمد) والترمذى (من رواية حذيفة فتحت لهما) أى المصطفى وجبريل (أبواب السماء قال) صلى الله عليه وسلم (فرأيت الجنة والنار) وعد الآخرة أجمع (وفى حديث أبى سعيد) عند البيهقى وابن جرير وابن أبى حاتم (انه) صلى الله عليه وسلم (عرضت عليه الجنة وان رمانها كأنه الدلاء) بكسر الدال والمد جمع دلو وفى رواية للبيهقى وغيره أيضا واذا فيها رمان كأنه جلود الابل المقتبة

أى التى بأقتابها (واذا طيرها كأنه البخت) نوع من الابل الواحد بختى مثل روم ورومى ثم يجمع على البخاتى ويخفف ويثقل كما فى المصباح وفى رواية البيهقى وغيره واذا بطيرها كالبخاتى فقال أبو بكر يارسول الله ان تلك الطير لناعمة قال أكلتها أنعم منها وانى لارجو أن تأكل منها وفى عرضها عليه كرامة عظيمة لانه كان يعرضها على أمته ليشتروها كما قال تعالى ان الله اشترى الآية فأراد الله أن يعاين نبيه مايعرضه على أمته ليكون وصفه لها عن مشاهدة ولانه كان يدعو اليها فأراها له ليعلم انها تسع الخلائق كلهم ولا تملى حتى ينشئ الله لها خلقا كما فى الحديث وليعلم خسة الدنيا فى جنبها فيكون فيها ازهد وعلى الشدائد أصبر ولئلا يكون لاحد كرامة الا وله مثلها وكان لادريس كرامة دخول الجنة قبل القيامة فأراد تعالى أن يكون ذلك لصفيه ونجيه أيضا قاله ابن دحية ملخصا (وانه عرضت عليه النار فاذا هى لو طرح فيها الحجارة والحديد لاكلتها) وفى مسلم عن ابن عباس وابن مردويه عن عمر ورأى مالكا خازن النار فاذا رجل عابس يعرف الغضب فى وجهه وفى حديث أبى هريرة فى مسلم والنسائى فبدأ النبى صلى الله عليه وسلم بالسلام (ووقع عند مسلم) وكذا عند البخارى فى الرقائق والترمذى (من طريق همام) بن منبه بن كامل الصنعانى أخو وهب ثقة روى له الجميع مات سنة اثنتين وثلاثين ومائة على الصحيح (عن قتادة) بن دعامة بن قتادة السدوسى البصرى ثقة روى له الجميع يقال ولد أكمه مات سنة بضع عشرة ومائة (عن أنس رفعه بينما) بالميم (انا أسير فى الجنة اذا أنا بنهر) وذلك ليلة المعراج كما فى رواية البخارى السابقة قريبا عن أنس لما عرج بالنبى صلى الله عليه وسلم قال أتيت على نهر (حافتاه) بحاء مهملة وخفة الفاء جانباه لانه ليس مستطيلا يجرى فيه الماء حتى يكون له حافتان بل سائل على وجه أرض الجنة كما قال صلى الله عليه وسلم لعلكم تظنون ان أنهار الجنة أخدود فى الارض لا والله انها لسائحة على وجه الارض رواه أبو نعيم وصححه الضياء عن أنس والاخدود شق مستطيل فى الارض (قباب الدر المجوف واذا طينه) بالنون وشك هدبة بن خالد شيخ البخارى هل هو بالنون أو الموحدة ولم يشك فيه أبو الوليد شيخ البخارى أيضا فقاله بالنون وهو المعتمد وفى رواية البيهقى بلفظ ترابه (مسك أذفر) بذال معجمة يقال ذفر الشئ بالكسر ذفرا بفتحتين اشتدت رائحته طيبة كانت أو كريهة وأما بدال مهملة فلريح المنتنة (فقال جبريل هذا الكوثر) ولمسلم أيضا من طريق شيبان عن قتادة عن أنس لما عرج بالنبى صلى الله عليه وسلم فذكره (وفى رواية أبى عبيدة بن عبد الله بن مسعود) مشهور بكنيته والاشهر أنه لا اسم له غيرها ويقال اسمه عامر كوفى ثقة والراجح انه لا يصح سماعه من أبيه مات بعد سنة ثمانين (عن أبيه ان ابراهيم عليه السلام قال للنبى صلى الله عليه وسلم يابنى) تصغير تحبب (انك لاق ربك الليلة) يحتمل أن يكون ابراهيم علم بذلك فى حياته ويحتمل غير ذلك (وان أمتك آخر الامم وأضعفها فان استطعت أن تكون حاجتك) كلها بدليل قوله فيما اسقطه من الحديث أو جلها بضم الجيم أى معظمها وكان معناه ان لم تستطع كلها (فى أمتك فافعل) ودعا له بالبركة وهذا الحديث ساقه الشامى فى القصة قبل دخوله بيت المقدس فقال ومر على شجرة تحتها شيخ وعياله

فرأى مصابيح وضوءا فقال من هذا ياجبريل قال هذا أبوك ابراهيم فسلم عليه فرد عليه السلام وقال من هذا معك ياجبريل قال هذا ابنك احمد فقال مرحبا بالنبي العربي الامي الذي بلغ رسالة ربه ونصح لامته يابني انك لاق فذكره ثم قال ثم سار حتى أتى المدينة يعني مدينة القدس فما أوهمه سياق المصنف أن ابراهيم وصاه بذلك لما اجتمع به في السماء السابعة ليس بمراد (وفى حديث أبي سعيد الخدرى عند البيهقى ثم صعد) جبريل (بي الى السماء السابعة قال ثم رفعت لى) بضم الراء مبنى للمفعول ونائبه (سدرة المنتهى فاذا كل ورقة منها تغطى) لفظ رواية البيهقى وغيره عن أبي سعيد تكاد تغطى (هذه الامة) ثم في حديث أبي هريرة عند البزار والبيهقى وغيرهما الورقة منها مغطية للامة كلها وفى لفظ الطبرى الورقة منها تظل الخلق (واذا فيها) أى في أصلها كما مر (عين تجرى يقال لها السلسبيل فينشق منها نهران أحدهما الكوثر والآخر يقال له الرحمة فاغتسلت فيه فغفر لى ما تقدم من ذنبى وما تأخر) المراد تشريفه بهذا الامر أى لو كان له ذنوب لغفرت ولم يكن له ذنب البتة قاله التقى السبكى تبعا لابن عطية ونحوه قول عياض عن بعضهم المغفرة هنا تنزيه من العيوب وقال بعض المحققين المغفرة هنا كناية عن العصمة أى فعصمت فيما تقدم من عمرى وفيما تأخر منه عن الذنوب وهذا القول في غاية الحسن وسيكون لنا ان شاء الله تعالى عودة الى بسط ذلك حيث تكلم فيه المصنف (ثم دفعت الى الجنة فاستقبلتني جارية فقلت لها لمن أنت قالت لزيد بن حارثة) الكلبى مولى المصطفى وحبه أبي اسامة البدرى المختص بأن الله تعالى لم يصرح في كتابه باسم أحد سواه من الصحابة (وفيه) أى حديث أبي سعيد (واذا رمانها كالدلاء عظما) بكسر ففتح وفى رواية كأنه جلود الابل المقتبة ولا منافاة لجواز أنه رأى فيها ما يشبه بكل منهما فأخبر بكل مرة ويحتمل غير ذلك (ثم عرضت على) بالبناء للمجهول ونائبه (النار فاذا فيها غضب الله وزجره عذابه (ونقمه) جمع نقمة (لو طرحت فيها الحجارة والحديد لاكلتها) من شدة توقدها وفى حديث شداد بن أوس فاذا جهنم تنكشف عن مثل الزرابى ووجدتها مثل الحمة السخنة وزاد فيه انه رآها في وادى بيت المقدس كذا في فتح البارى فيحتمل انها لما عرضت عليه وهو في السماء رآها في وادى بيت المقدس أى من جهته بأن قوى الله بصره حتى رآها وأورد الشامى الحديث في القصة قبل دخوله بيت المقدس ثم قال الزرابى بزاى فراء كما رأيته بخط جماعة منهم الذهبى في تاريخ الاسلام والهيثمى في مجمع الزوائد والشيخ يعنى السيوطى في تفسيره جمع زربية بتثليث الزاى وهى الطنفسة بكسر الطاء والفاء وبضمهما وبكسر الطاء وضم الفاء وهى البساط الذى له خمل رقيق ورأيت بخط بعض المحدثين الروابى براء فواو وأظنه تصحيفا وان كان قريب المعنى والحمة بحاء مضمومة فحمة والسخنة بضم السين المهملة وسكون الخاء المعجمة أى حارة (ثم اغلقت دونى) حتى لايحصل له نوع ضجر قال ابن دحية انما عرضت عليه النار ليكون آمنا يوم القيامة فيفزع الى الشفاعة ولو لم يؤمن لكان مشغولا بنفسه كغيره من الانبياء لانهم لم يروا قبل يوم القيامة شيأ منها فاذا رأوها جزعوا وكفت ألسنتهم عن الخطبة والشفاعة من هولها

وقال

وقال كل منهم نفسى نفسى وهو صلى الله عليه وسلم قد رآها قبل فلا يفزع منها مثل ما فزعوا فيقدر على الخطبة وهو المقام المحمود ولان الكفار لما كذبوا واستهزؤا به وآذوه أشد الاذى أراه الله تعالى النار المعدة لهم تطييبا لقلبه وتسكينا لفؤاده وللاشارة الى أن من طيب قلبه باعانة أعدائه والانتقام منهم فأولى أن يطيبه فى أوليائه بالشفاعة والاكرام وليعلم منة الله عليه حين أنقذهم منها ببركته وشفاعته انتهى ملخصا (وفى الطبرانى) وابن حبان من طريق أبى واقد الحرانى قال الذهبى وهو الآفة والخطيب من طريق محمد بن خليل قال ابن الجوزى كذاب يضع وابن غيلان من طريق أحمد بن الاصم المروزى وهو كذاب وابن الجوزى من طريق غلام خليل وهو كذاب كلهم (من حديث عائشة) مرفوعا (لما كان) تامة أى حصل (ليلة أسرى بى الى السماء أدخلت الجنة فوقفت) بالفاء أى اطلعت (على شجرة من أشجار الجنة لم أر فى الجنة شجرة أحسن منها ولا أبيض ورقا ولا أطيب منها ثمرة فتناولت) أخذت (ثمرة من ثمرها فأكلتها فصارت نطفة فى صلبى فلما أهبطت الى الارض واقعت خديجة فحملت بفاطمة) فاذا اشتقت الى رائحة الجنة شممت ريح فاطمة هذا بقيته (وهو حديث ضعيف) أراد به شر الضعيف وهو الموضوع فقد صرح ابن الجوزى والذهبى والحافظ بأنه موضوع وان تعددت طرقه عن عائشة ورواه ابن الجوزى عن ابن عباس من طريق الابرادى وهو وضاع كذاب والحاكم فى المستدرك عن سعد بن أبى وقاص قال الذهبى فى تلخيصه هذا كذب جلى وهو من وضع مسلم بن عيسى الصفار لان فاطمة ولدت قبل النبوة فضلا عن الاسراء ويدل على ان المصنف أراد بالضعف الوضع قوله (وفيه التصريح بأن الاسراء كان قبل ولادة فاطمة وهى ولدت قبل النبوة بسبع سنين وشئ) الذى جزم به ابن الجوزى والمدائنى وأسنده الواقدى عن الباقر عن العباس انها ولدت قبل النبوة بخمس سنين (ولا ريب ان الاسراء كان بعد النبوة) بالاجماع ولذا قال فى اللسان كان واضعه خذل والا ففاطمة ولدت قبل فرض الصلاة انتهى (وذكر أبو الحسن) على (بن غالب فيما) أى كتاب (تكلم فيه على أحاديث الحجب السبعين والسبعمائة والسبعين ألف حجاب) وهذه الاحوال الثلاثة نشأت من اختلاف الروايات فى عدة الحجب حيث وردت بكل منها وجمع النعمانى بأن السبعين بالنسبة الى السموات السبع والسبعمائة باعتبار عالم الكرسى وما حوى والسبعين ألفا باعتبار عوالم العرش وما حوى وبسط الكلام على ذلك (وعزاها لابى الربيع بن سبع) باسكان الموحدة وقد تضم كما فى التبصير ومقتضى المصنف انه لم يره لابن سبع (فى شفاء الصدور) لانه كثير النقل عنه (من حديث ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بعد أن ذكر مبدأ حديث الاسراء كما) أى مثل ما (ورد فى الامهات) أى الاصول وهى الكتب وظاهره ان ابن عباس رواه بلا واسطة وليس كذلك فالمنقول عن ابن غالب عن ابن سبع عن ابن عباس قال قال على سلونى قبل أن تفقدونى سلونى عن علم لا يعلمه جبريل ولا ميكائيل أعلمنى رسول الله مما علمه ليلة الاسراء قال علمنى ربى علوما شتى فأعلمنى صلى الله عليه وسلم قال كنت نورا فى جسد ابراهيم وذر

في الهواء فلما عارضه جبريل وهو في المنجنيق فقال له يا خليل الرحمن هل لك من حاجة قال أما اليك فلا فعاد اليه ثانية ومعه ميكائيل فقال لا اليك ولا الى ميكائيل فعاد اليه الثالثة فقال هل لك من حاجة الى ربك قال يا أخي يا جبريل من شأن الخليل أن لا يعارض خليله قال النبي صلى الله عليه وسلم فأنطقني الله أن قلت ان بعثني الله نبيا واصطفاني بالرسالة لا [illegible] جبريل على فعله بأبي ابراهيم فلما كان ليلة الاسراء بعد ان بعثني الله (أتاني جبريل وكان السفير) أي المسافر بمعنى الذاهب (بي الى ربي الى ان انتهى الى مقام ثم وقف عند ذلك فقلت يا جبريل في مثل هذا المقام) وهو سدرة المنتهى (يترك الخليل خليله فقال ان تجاوزته احترقت بالنور فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا جبريل هل لك من حاجة الى ربك فقال يا محمد سل الله تعالى في أن أبسط جناحي) مفرد مضاف الى ياء المتكلم (على الصراط لا متك حتى يجوزوا عليه) اذ لو كان مثنى لقال عليهما (ثم زج) بزاي فجيم ثقيلة (بي في النور زجا فخرق بي) بالبناء للمفعول (سبعون ألف حجاب ليس فيها حجاب يشبه الآخر وانقطع عني حس كل ملك وانسي فلحقني عند ذلك استيحاش) أي حالة تشبه حالة المستوحش في الانفراد والبعد عن الخلق وتعلق الوحشة على الخلوة (فعند ذلك ناداني مناد بلغة أبي بكر قف ان ربك يصلي فبينما أنا أتفكر في ذلك أقول هل سبقني أبو بكر فاذا النداء من العلي الاعلى) سبحانه وتعالى وتأويله بان النداء من الملك بأمر العلي يأباه المقام كما لا يخفى بل العلي تعالى خاطبه بلا واسطة بقوله (ادن يا خير البرية) أي الخلق وأصله بالهمزة قلبت ياء لوقوعها بعد ياء زائدة وأدغمت الزائدة في المبدلة عن الهمزة (ادن يا أحمد ادن يا محمد ليدن الحبيب) مجزوم بلام الامر مساو لادن فجمع بين الامر بالصيغة وباللام (فأدناني ربي حتى كنت كما قال تعالى ثم دنا) قرب (فتدلى) زاد في القرب (فكان) منه (قاب) قرب (قوسين أو أدنى) من ذلك (قال وسألني ربي) لم يبين ماسأله عنه (فلم أستطع أن أجيبه فوضع يده بين كتفي بلا تكييف ولا تحديد) لاستحالتهما عليه (فوجدت بردها بين ثديي فأورثني علم الاولين والآخرين وعلمني علوما شتى فعلم أخذ علي كتمانه) بكسر الكاف أي أمرني باخفائه (اذ علم) أي لعلمه (انه لا يقدر على حمله أحد غيري وعلم خيرني فيه) أي في اخفائه واظهاره قال في الحديث فكنت أسر الى أبي بكر والى عمر والى عثمان واليك يا أبا الحسن يعني عليا لانه راويه (وعلمني القرآن فكان جبريل يذكرني به) بضم الياء وسكون الذال وكسر الكاف مخففة وبضم الياء وفتح الذال وكسر الكاف مشددة وكأنه نزل معارضته بالقرآن حين كان يدارسه منزلة من يغفل عن الشئ فيذكر به أو كان يحصل له سهو عن بعض الكلمات فيذكره به (وعلم أمرني بتبليغه الى العام والخاص من أمتي) وهو قوله يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك كذا في الرواية قبل قوله (قال ولقد عاجلت جبريل في آية نزل علي بها) لم يبينها ولم نر من بينها (فعاتبني ربي وأنزل علي ولا تعجل بالقرآن) أي بقراءته (من قبل أن يقضى اليك وحيه) أي يفرغ جبريل من ابلاغه (وقل رب زدني علما) بالقرآن فكلما نزل عليه شئ منه زاد به علمه (ثم) ألهمني ربي

ان

ان (قلت) كما فى الرواية (اللهم انه لما لحقنى استيحاش قبل قدومى عليك سمعت مناديا ينادى بلغة تشبه لغة أبى بكر فقال لى قف ان ربك يصلى فعجبت من هاتين) وبينهما بقوله (هل سبقنى أبو بكر الى هذا المقام وان ربى لغنى عن أن يصلى قال فسادانى أنا الغنى عن أن أصلى لاحد) أتكمل به أولغرض يحمل على صلاتى له وانما أصلى على غيرى رحمة وتفضلا منى من غير اجبار ولا الجاء على ذلك فانى أنا الغنى المطلق لا اله غيرى (وانما أقول سبحانى سبحانى) تنزيها لى عما لا يليق (سبقت رحمتى غضبى اقرأ يا محمد هو الذى يصلى عليكم) أى يرحمكم (وملائكته) أى يستغفرون لكم (ليخرجكم) ليديم اخراجه اياكم (من الظلمات) أى الكفر (الى النور) أى الايمان (وكان بالمؤمنين رحيما) ومن رحمته صلاته عليهم كما قال (فصلاتى رحمة لك ولامتك) وروى ابن المنذر وغيره لما نزلت ان الله وملائكته الآية قال الصديق يارسول الله ما خصك الله بشرف الا وأشركنا فيه فنزلت هو الذى يصلى عليكم الآية (واما أمر صاحبك يا محمد) وهو سماعك صوتا يشبه صوته فسببه تأنيسك بسماع شبهه ليزول عنك عظيم الهيبة فتقوى على قبول ما يلقى اليك كما أشار اليه بقوله (فان أخاك موسى كان أنسه بالعصا فلما أردنا كلامه قلنا وما تلك) كائنة (بيمينك يا موسى) الاستفهام للتقرير ليرتب عليه المعجزة فيها (قال هى عصاى وشغل بذكر العصا عن عظيم الهيبة وكذلك أنت يا محمد لما كان أنسك) التام (بصاحبك أبى بكر وانك خلقت) بكسر الهمزة جملة حالية (أنت وهو من طينة واحدة وهو أنيسك فى الدنيا) كما وقع ليلة الغار (والآخرة خلقنا ملكا على صورته يناديك بلغته ليزول عنك الاستيحاش لئلا يلحقك من عظيم الهيبة ما يقطعك عن فهم) مصدر مضاف للمفعول أى عن فهمك (ما يراد منك) فهمه (ثم) انسانى ربى حاجة أخى جبريل وأراد أن يمن على بأن اذكرنيها ف(قال الله تعالى وأين حاجة جبريل) هكذا فى الرواية انسانى الخ فكأنه انساها له بشغله بعظيم الهيبة والجلال أو تلذذه بسماع الخطاب فمن عليه باذكاره (فقلت اللهم انك أعلم فقال يا محمد قد اجبته فيما سأل ولكن فى) طائفة من أمتك فقلت اللهم فمن تلك الطائفة قال (من أحبك وصحبك) فأجابه باذنه فى بسط جناحه لخواص أمته الاتقياء دون من دنس ايمانه بتقصير فى طاعة أو بالعصيان كمن أبغض بعض صحبه (وفى رواية) من حديث ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ان ذكر حديث الاسراء كما فى الامهات قال (فتقدمت وجبريل على اثرى) فيه العطف على الضمير المتصل بلا فاصل وهو ضعيف ومع ضعفه هو جائز فى السعة كما قال ابن مالك (حتى انتهى بى الى حجاب فراش الذهب فحرك الحجاب فقيل من هذا قال أنا جبريل ومعى محمد صلى الله عليه وسلم فقال الملك الله أكبر) تعظيما لما رأى وفرحا بقدوم المصطفى (فأخرج يده من تحت الحجاب فاحتملنى فوضعنى بين يديه فى أسرع من طرفة عين وغلظ الحجاب مسيرة خمسمائة عام فقال لى تقدم يا محمد) اسقط منه فقلت انك أنت تقدم قال يا محمد تقدم فأنت أكرم على الله منى (فمضيت فانطلق بى الملك فى أسرع من طرفة عين الى حجاب اللؤلؤ فحرك الحجاب فقال الملك من وراء الحجاب من هذا قال أنا فلان) لم يسم (صاحب حجاب الذهب)

قوله فيه العطف الخ لا حاجة اليه الظهور جعل وجبريل على أثرى جملة حالية اهـ

ولا شك ان سيره معه باذن الله تابعا له عليه السلام (وهذا محمد صلى الله عليه وسلم رسول رب العزة معي فقال الملك الله أكبر فأخرج يده من تحت الحجاب فاحتملني حتى وضعني بين يديه) ووجود الملائكة عند الحجب معاول بما تضمنه الاحاديث ان سدرة المنتهى لم يجاوزها أحد الا المصطفى وبه جزم النووي كما مر وتأويله باحتمال ان المراد لم يجاوزها أحد من ملائكة السموات ونحوها انما ينهض لو كان لهذا الحديث نوع تماسك ويأتي انه كذب (فلم أزل كذلك من حجاب الى حجاب حتى جاوزت سبعين حجابا غلظ كل حجاب مسيرة خمسمائة عام فقال لي تقدم يا محمد فمضيت فانطلق بي الملك ثم دلى لي رفرف أخضر تغلب خضرته ضوء الشمس فالتمع) أي أضاء (بصري) فقوى ادراكه حتى تمكن من مشاهدة ما في تلك الحضرات من الامور التي يقصر العقل عن وصفها وبيان حقيقتها (ووضعت على ذلك الرفرف ثم احتملت حتى وصلت الى العرش) أسقط قوله فلما رأيت العرش اتضع كل شيء عند العرش ثم ان الله تعالى بحوله وقوته وقيام نعمته على قربني عند العرش (فأبصرت أمرا عظيما لا تناله الالسن) حذف منه فسألت الهي أن يمن على بالثبات حتى أستتم نعمته فثبتني الله على وقواني لذلك (ثم دلى لي قطرة من العرش فوضعت على لساني فما ذاق الذائقون شيأ قط أحلى منها فانبأني الله بها نبأ الاولين والآخرين ونور قلبي وغشى نور عرشه بصري فلم أر شيأ فجعلت أرى بقلبي ولا أرى بعيني) قال النعماني أي فقط بل رأيت بالباطن والظاهر وقد أرشد الى ذلك بقوله (ورأيت من خلفي ومن بين كتفي كما رأيت أمامي) والانفا المقتضي لكونه سلب رؤية بصره ورأى بغيره من ظاهر جسده وبهذا لا يشكل مع ما تقرر من الرؤية انتهى (الحديث) ذكر النعماني تمامه في أزيد من ورقتين ناسبا له لمن عزاه له المصنف بقوله (رواه والذي قبله) ابن سبع (في كتاب شفاء الصدور كما ذكره ابن غالب) هذا يشعر بعدم رؤيته في ابن سبع (والعهدة في ذلك عليه) قال الشامي بعد نقل كلام المصنف هذا وهو كذب بلا شك انتهى والعجب من النعماني حيث أورد الروايتين بطولهما ساكتا عليهما فاتلا ولا يستبعد وقوع هذا كله في بعض ليلة (وتكثير الحجب لم يرد في طريق صحيح ولم يصح في ذلك غير ما في مسلم) في الايمان عن أبي موسى قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمس كلمات فقال ان الله تعالى لا ينام ولا ينبغي له أن ينام يخفض القسط ويرفعه يرفع اليه عمل الليل قبل عمل النهار وعمل النهار قبل عمل الليل (حجابه النور) لو كشفه لاحرقت سبحات وجهه ما انتهى اليه بصره من خلقه أي انه محتجب بنور عزته وأشعة عظمته وذلك الحجاب هو الذي تدهش دونه العقول وتذهب الابصار وتحير البصائر فحجابه خلاف الحجب المعهودة فكيف يشاهد فهو استئناف في جواب سؤال مقدر وهو لم لا نشاهد الله أشار اليه الطيبي (والرفرف البساط) أي هو المراد هنا (وقيل انه في الاصل ما كان من الديباج وغيره رقيقا حسن الصنعة ثم اتسع فيه) فأطلق على البساط وعلى كل ثوب عريض وعلى ذيل الخيمة وعلى الوسائد والنمارق وبهما فسر متكئين على رفرف خضر وفي نسخ رقيق مبتدأ خبره من الديباج مقدم عليه واسم كان ضمير الشان والجملة خبر كان (واعلم أن ماذكر في هذا المحل الرفيع من الحجب) على تقدير صحتها وكذا حجابه النور

(فهو فى حق المخلوق) زاد الفاء فى خبر الموصول لتضمنه معنى الشرط وهو جائز (لا فى حق الخالق عز وجل) اذ الحجاب لغة المنع والحاجب المانع ومنه حاجب العين وحاجب الامير فيقتضى تناهيه وتحيزه (والله سبحانه وتعالى منزه عما يحجبه اذ الحجب) بضمتين جمع حجاب أو بفتح فيكون مصدر (انما تحيط بقدر محسوس) له طول وعرض فى جهة يحس بتوجيه الناظر فيقتضى الجهة وهو منزه عن ذلك (فالخلق كلهم محجوبون عنه تعالى بمعانى الاسماء والصفات والافعال وسائر المخلوقات من معانى الانوار والظلمات كل له مقام من الحجب معلوم وحظ من الادراك أى أنواع العلم (والمعرفة) به (مقسوم) بحسب ما أراده تعالى وقد قال تعالى فى الكفار كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون فجعلهم هم المحجوبين لا هو وأورد ان الحجب أمر نسبى لا بد من تعلقه بالطرفين فكيف يصح ذلك وأجيب بأنه نسبى لكن بين حاجب ومحجوب والحاجب سبحات الانوار وستائر العظمة والمحجوب مخلوقاته لا هو لانه محجوب عنه لا محجوب فيجوز أن يوصف بأنه محجوب عنه وحاجب ومحتجب خلافا لمن أنكره (وأقرب الخلق الى الله تعالى الملائكة الحافون) بعرشه (والكروبيون) بخفة الراء سادات الملائكة من كرب اذا قرب كامر (وهم محجوبون) عن رؤيته (بنور المهابة والعظمة والكبرياء والجلال والقدس والقيومية تحجب الذات بالصفات) أى كما ان الذات تحجب بالصفات التى قامت بها عن معرفة حقيقتها وتعلقها بهيئة تميزها كذلك تحجب الحافون والكروبيون عنه تعالى بأنوار المهابة (وهم فى الحجب عنه على طبقات مختلفات كل على مقام معلوم ودرجات) وفى التنزيل وما منا الا له مقام معلوم (وبالجملة فالمخلوقات كلها) أى التى تقوم بالعالم يشتغل بها عما يقربه الى الله (ما كانت) ما ظرفية أى مدة كونها أى وجدانها (حجاب) بالرفع خبر المخلوقات (عن الخالق) أى هى التى تحجبهم عن القيام بحقوق الخالق وجعلها بعض معترضة بين المبتدا والخبر والاظهر جعلها ظرفا من المبتدا (فقوم حجبوا برؤية النعم) التى أسبغت عليهم (عن المنعم) جل وعلا (وبرؤية الاحوال) المشاهدة لهم من نحو صحة وغنى وضديهما (عن) ذى (الحول) والقوة الذى خلق ذلك وقدره وفى نسخة عن المحول أى الموجد لتلك الاحوال لكن فى اطلاقه على الله نظر (وبرؤية الاسباب) كالشبع والرى وضديهما (عن المسبب) الخالق لذلك (وقوم حجبوا بالعلم عن المعلم) فتراهم أبدا انما يبحثون ويتكلمون فى العلم وما يتفرع منه غافلين عن التفكر فى آلاء من علمهم (وبالفهم عن المفهم وبالعقل عن المعقل) وفى اطلاق ذلك كله على الله تعالى نظر فأسماؤه توقيفية (وكل ذلك من معنى حجاب النعم عن المنعم والمواهب عن الواهب) اذ هى بعض تفاصيل للنعم والمواهب (وقوم حجبوا بالشهوات المباحة) فهم أبدا فيها يرتعون (وقوم حجبوا بالشهوات المحرمات والمعاصى والسيئات) وان لم يكن فيها شهوات فتغاير العطف (وقوم حجبوا بالمال والبنين وزينة الحياة الدنيا اللهم لا تحجب قلوبنا عنك فى الدنيا ولا أبصارنا عنك فى الآخرة يا كريم) واجعل وجوهنا ناضرة الى ربها ناظرة وما أحلى قول الحكم الحق ليس بمحجوب انما المحجوب أنت عن النظر اليه اذ لو حجبه شئ لستره ما حجبه ولو كان له ساتر لكان لوجوده حاصر وكل حاصر

لشئ فهو له ساتر وهو القاهر فوق عباده كيف يتصور أن يحجبه شئ وهو الذى ظهر فى كل شئ كيف يتصور أن يحجبه شئ وهو الذى ظهر بكل شئ كيف يتصور أن يحجبه شئ وهو الذى ظهر لكل شئ كيف يتصور أن يحجبه شئ وهو الظاهر قبل وجود كل شئ كيف يتصور ان يحجبه شئ وهو أظهر من كل شئ انتهى (وقد ورد فى الصحيح) للبخارى من طريق شريك (عن أنس قال عرج بى جبريل الى سدرة المنتهى) لفظ الصحيح ثم علا به جبريل فوق ذلك بما لا يعلمه الا الله حتى جاء سدرة المنتهى فنى قول المصنف بى شئ لانه لم يصرح برفعه (ودنا الجبار رب العزة) دنو قرب ومكانة لا دنو مكان ولا قرب زمان (فتدلى) زاد فى القرب (فكان قاب قوسين أو أدنى) أقرب وهو بالنسبة للمصطفى عبارة عن نهاية التقريب ولطف المحل وايضاح المعرفة وبالنسبة الى الله تعالى اجابته ورفع درجته وهذا مما أنكر من رواية شريك قال الخطابى ليس فى البخارى أشنع ظاهرا ولا أمنع مذاقا من هذا فانه يقتضى تحديد المسافة بين أحد المذكورين وبين الآخر وتمييز مكان كل واحد منهما هذا مع ما فى التدلى من التشبيه والتمثيل له بالشئ الذى تعلق من فوق الى أسفل فمن لم يبلغه من هذا الحديث الا هذا القدر مقطوعا عن غيره ولم يعتبره بأول القصة ولا بآخرها اشتبه عليه وجهه ومعناه وكان قصاراه اما رد الحديث من أصله واما الوقوع فى التشبيه وهما مرغوب عنهما وأما من اعتبر أول الحديث بآخره فانه يزول عنه الاشكال فانه مصرح فيهما بأنه كان رؤيا لقوله أوله وهو نائم وفى آخره استيقظ وبعض الرؤيا مثل يضرب ليتأول على الوجه الذى يجب أن يصرف اليه معنى التعبير فى مثله وبعض الرؤيا لا يحتاج الى ذلك بل يأتى كالمشاهدة قال الحافظ وهو كما قال ولا التفات الى من تعقبه بأن فى الحديث الصحيح ان رؤيا الانبياء وحى فلا يحتاج الى تعبير لانه كلام من لم يمعن النظر فان بعض مرائى الانبياء يقبل التعبير كقول بعض الصحابة فى القميص فما أولته يا رسول الله قال الدين وفى رؤيا اللبن قال العلم لكن جزم الخطابى بأنه منام متعقب بأن الراجح انه يقظة بالادلة ثم دفع الخطابى الحديث من أصله بأن القصة بطولها انما هى حكاية يحكيها أنس من تلقاء نفسه لم يعزها الى النبى صلى الله عليه وسلم ولا نقلها عنه فأصل الامر فى النقل انها من جهة الراوى اما أنس واما شريك فانه كثير التفرد بمناكير الالفاظ التى لا يتابعه عليها سائر الرواة قال الحافظ وما نفاه من ان أنسا لم يسند هذه القصة الى النبى صلى الله عليه وسلم لا تأثير له فأدنى أمره فيها أن تكون مرسل صحابى فاما أن يكون تلقاها عن النبى صلى الله عليه وسلم أو عن صحابى تلقاها عنه ومثل ما اشتملت عليه لا يقال بالرأى فيكون لها حكم الرفع ولو أثر ما ذكره لم يحمل حديث أحد روى مثل ذلك على الرفع أصلا وهو خلاف عمل المحدثين قاطبة فالتعليل بذلك مردود ثم قال الخطابى نسبة التدلى للجبار مخالف لعامة السلف والعلماء وأهل التفسير من تقدم ومن تأخر والذى قيل فيه ثلاثة أقوال أحدها دنا جبريل من محمد فتدلى أى تقرب منه وقيل هو على التقديم والتأخير أى تدلى فدنا لان التدلى سبب الدنو الثانى تدلى له جبريل بعد الانصباب والاندفاع حتى رآه مرتفعا وذلك من آيات الله حيث أقدره على أن يتدلى فى الهواء من غير

اعتماد

اعتماد على شئ وتمسك بشئ الثالث دنا جبريل فتدلى محمد ساجد الربه شكرا على ما أعطاه من الزلفى قال وقد روى هذا الحديث عن أنس من غير طريق شريك فلم يذكر فيه هذه الالفاظ الشنيعة وذلك مما يقوى الظن انها صادرة من شريك قال الحافظ قد أخرج البيهقى من طريق الاموى فى مغازيه عن محمد بن عمرو بن أبى سلمة عن ابن عباس فى قوله ولقد رآه نزلة أخرى قال دنا منه ربه وهذا اسند حسن وهو شاهد قوى لرواية شريك ثم قال الخطابى وفى هذا الحديث لفظة أخرى تفرد بها شريك أيضا لم يذكرها غيره وهى قوله فعلا به يعنى جبريل الى الجبار تعالى فقال وهو مكانه يا رب خفف عنا والمكان لا ينسب الى الله انما هو مكان النبى صلى الله عليه وسلم فى مقامه الاول الذى قام فيه قبل هبوطه قال الحافظ وهذا الاخير متعين وليس فى السياق تصريح باضافة المكان الى الله قال وما جزم به من مخالفته للسلف والخلف فقد ذكرنا من وافقه وقد نقل القرطبى عن ابن عباس انه قال دنا الله قال القرطبى والمعنى دنا أمره وحكمه وأصل التدلى النزول الى الشئ حتى يقرب منه وقيل تدلى الرفرف لمحمد حتى جلس عليه ثم دنا محمد من ربه وقد أزال العلماء اشكاله فقال القاضى عياض اضافة الدنو والقرب هنا من الله أو الى الله ليس بدنو مكان وقرب مدى ينتهى اليه وانما دنا صلى الله عليه وسلم من ربه وقربه هو منه ابانة عظيم منزلته وتشريف رتبته اعتناء بشأنه واظهارا لما لم يؤته أحدا غيره واشراق أنوار معرفته ومشاهدة أسرار غيبه وقدرته بما لم يطلع عليه غيره كما قال جعفر بن محمد الدنو من الله لا حد له ينتهى اليه مطمح فهم أو مطرح وهم ومن العباد بالحدود الغائية المنتهية الى غاية وقال أيضا انقطعت الكيفية عن الدنو ألا ترى كيف حجب جبريل عن دنوه ودنا محمد الى ما أودع قلبه من المعرفة والايمان فتدلى بسكون قلبه الى ما أدناه اليه وأزال عن قلبه الشك والارتياب أى الذى عرا خاطره هل يغشى حضرة هذا القرب وينال مواهبه من انافة واكرام وشرف وانعام فأنجح الله أمنيته لا الشك فى ذلك اذ كان أثبت الناس معرفة وايمانا وأسكنهم جنانا وأملكهم طمأنينة وسكونا وانما الدنو والقرب من الله تعالى أو اليه كناية عن جزيل فوائده اليه وجميل عوائده عليه وتأنيس لاستيحاشه بانقطاع الاصوات عنه وبسط بالمكالمة واكرام بشرائف منيفة أو هو دنو افضال واجمال على أحد الوجوه فى حديث ينزل ربنا الى سماء الدنيا كل ليلة وقال الواسطى من توهم انه تعالى بنفسه دنا فقد جعل ثم مسافة ولا مسافة لاستحالتها بل كلما دنا بنفسه من الحق تدلى بعدا يعنى كلما قرب منه نزل بساحة البعد كناية عن نفيهما جميعا أو عن ادراك حقيقته اذ لا يدركها أحد اذ لا دنو للحق ولا بعد لاستحالتهما وقوله فانى قريب تمثيل لكمال علمه واجابته لتعاليه عن القرب مكانا (فأوحى الى عبده ما أوحى) كذا فى النسخ ولفظ البخارى فأوحى الله فيما أوحى خمسين صلاة (الحديث) ذكر فى بقيته الهبوط والمراجعة فى الصلاة

(وهذا الدنو والتدلى المذكور فى هذا الحديث وغيره من أحاديث المعراج غير الدنو والتدلى المذكور فى قوله تعالى فى سورة النجم ثم دنا فتدلى فكان قاب) قدر (قوسين) ما بين مقبض القوس والسية بكسر السين المهملة وتحتية خفيفة وهى ما عطف من طرفها ولكل

قوس قابان (وان اتفقا فى اللفظ) لاختلافهما فى المسند اليه لانه فى الحديث مسند الى الله تعالى بخلاف الآية (فان الصحيح أن المراد فى الآية جبريل لانه الموصوف بما ذكر من أول السورة) يعنى قوله علمه شديد القوى (الى قوله ولقد رآه نزلة) مرة من النزول كجلسة من الجلوس والواو للعطف أو الحال أى كيف تجادلونه فيما رآه وهو قد رآه على وجه لاشك فيه (أخرى) يدل على سبق رؤية قبلها (عند سدرة المنتهى) ظرف مكان لرأى (هكذا فسره النبى صلى الله عليه وسلم فى الحديث الصحيح) الذى أخرجه مسلم (قالت عائشة رضى الله عنها سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية) أى ولقد رآه نزلة أخرى (فقال ذاك جبريل لم أره فى صورته التى خلق عليها الامرتين) الاولى بالارض والنبى صلى الله عليه وسلم بحراء فى أوائل البعثة بعد فترة الوحى كما قال ابن كثير وجبريل بالافق الاعلى ومرة فى السماء ليلة الاسراء (ولفظ القرآن لايدل على غيرذلك من وجوه) سبعة (أحدها انه قال علمه) أى صاحبكم محمدا والمفعول الثانى محذوف أى علم النبى الوحى ويجوز أن ضمير علمه للوحى أى الموحى فالمفعول الاول محذوف أى علم الوحى النبى (شديد القوى) أى قواه العلمية والعملية شديدة كلها (وهذا جبريل الذى وصفه بالقوة فى سورة التكوير) بقوله ذى قوة وفى وصفه بذلك فوائد اذ مدح المعلم مدح للمتعلم فلو قال علمه جبريل بلا وصف لم يحصل للمصطفى فضيلة ظاهرة وفيه رد قولهم أساطير الاولين والوثوق بقول جبريل لان قوة الادراك شرط للوثوق بقول القائل وكذا قوة الحفظ والامانة فوصفه بجميع هذه الشروط (الثانى انه قال ذو مرة) قال القرطبى قال قطرب تقول العرب لكل بجزل الرأى حصيف العقل ذو مرة قال الشاعر

قد كنت قبل لقائكم ذا مرة * عندى لكل مخاصم ميزانه

وكانت بجزالة رأيه وحصانة عقله أن الله ائتمنه على وحيه الى جميع رسله وفسره ابن القيم بقوله (أى حسن الخلق) بفتح فسكون أو بضمتين (وهو الكريم الذى فى سورة التكوير) فى انه لقول رسول كريم أى كريم خلقا وخلقا قال ابن القيم أيضا ذو مرة أى جميل المنظر حسن الصورة ذو جلالة ليس شيطانا أقبح الخلق صورة بل هو من أجمل الخلق وأقواهم وأعظمهم امانة ومكانة عند الله قال وهذا تعديل لسند الوحى والنبوة وتزكية له كما ذكر نظيره فى سورة التكوير فوصفه بالعلم والقوة وجمال المنظر وجلالته وهذه كانت أوصاف الرسولين البشرى والملكى (الثالث انه قال فاستوى) قال القرطبى أى ارتفع وعلا الى مكانه فى السماء بعد أن علم محمدا قاله ابن المسيب وابن جبير قال الرازى وهو المشهور وقيل ظهر فى صورته التى خلق عليها (وهو) أى جبريل مبتدأ خبره (بالافق الاعلى) والجملة حال من فاعل استوى قاله مكى قال القرطبى والمعنى فاستوى جبريل عاليا على صورته ولم يكن المصطفى رآه عليها حتى سأله اياها وقيل الجملة مستأنفة (وهو) أى الافق (ناحية السماء العليا وهذا استواء جبريل عليه السلام وأما استواء الرب جل جلاله فعلى عرشه) كما قال الرحمن على العرش استوى لكن الآية فيها تأويل معلومة لايليق الجزم بظاهرها دون الاتيان بها كما فعل لكن هذا كلام ابن القيم وقد رمى بالتجسيم

(الرابع انه قال ثم دنا) جبريل من النبى صلى الله عليه وسلم بعد استوائه بالافق الاعلى من الارض (فتدلى) على المصطفى والمعنى انه لما رأى من عظمة جبريل ما رأى وهاله ذلك رده الله الى صورة آدمى حتى قرب من المصطفى هذا قول الجمهور كما فى القرطبى (فكان قاب قوسين أو أدنى) قال ابن القيم أو ليست للشك بل لتحقيق قدر المسافة وأنها لا تزيد على قوسين البتة كما قال تعالى وأرسلناه الى مائة ألف أو يزيدون تحقيقا لهذا العدد وأنهم لا ينقصون عن مائة ألف رجلا واحدا (فهذا دنو جبريل وقد نزل الى الارض حيث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بها وأما الدنو والتدلى فى حديث المعراج فرسول الله صلى الله عليه وسلم كان فوق السموات فهناك دنا الجبار جل جلاله منه وتدلى) دنو منزلة كما فى الحديث القدسى من تقرب الى شبرا تقربت اليه باعا ومن أتانى يمشى أتيته هرولة وهو تمثيل بتقرب المعنى الى الافهام أى من تقرب الى بطاعتى جازيته بأضعاف ما تقرب الى ومن هرول فى طاعتى سبقته بجزائه فهو قرب بالاجابة والقبول واتيان بالاحسان والمأمول ثوابا مضاعفا ومرتبه مزيد قربا (الخامس انه قال ولقد رآه نزلة) نصب على المصدر الواقع موقع الحال أى رآه نازلا نزلة (أخرى) قاله الحوفى وابن عطية أو على المصدر المؤكد أو الظرف الذى هو مرة لان فعلة اسم للمرة من الفعل فكانت فى حكمها ورد بأنه ليس مذهب البصريين انما هو مذهب الفراء (عند سدرة المنتهى والذى عند سدرة المنتهى قطعا هو جبريل وبهذا فسره النبى صلى الله عليه وسلم فقال ذاك جبريل) ولا معدل عن تفسيره (السادس أن نفس الضمير فى قوله ولقد رآه وقوله دنا فتدلى وقوله فاستوى وقوله وهو بالافق الاعلى واحد فلا يجوز أن يخالف بين المفسرين) بفتح السين والراء تثنية بجعل ضميرى استوى وهو لجبريل ودنا فتدلى لله تعالى (من غير دليل) لانه تحكم والاصل توافق الضمائر لكن الاستدلال بهذا لا يصح اذ الدليل ما سلمه الخصم وقد قيل الضميران فى فاستوى وفى وهو لله تعالى وهو قول الحسن البصرى على معنى العظمة والقدرة والسلطان (السابع انه سبحانه وتعالى أخبر أن هذا الذى دنا فتدلى كان بالافق الاعلى وهو أفق السماء) أى جانب من جوانبها قاله ابن دريد ومنه قوله

أخذنا بآفاق السماء عليكم * لنا قراها والنجوم الطوالع

وقال مجاهد مطلع الشمس وقال قتادة هو الافق الذى يأتى منه النهار يعنى طلوع الفجر حكاها الماوردى ولذا قال (بل تحتها فدنا من الارض فتدلى من رسول الله صلى الله عليه وسلم ودنو الرب تبارك وتعالى وتدليه على ما فى حديث شريك) عن انس (كان فوق العرش لا الى الارض) فلا يصح تفسير الآية بما فى حديث شريك ولذا جزم ابن كثير بأن الدنو والتدلى فى حديث شريك غير الذى فى الآية (ثم نفى سبحانه وتعالى عن نبينا صلى الله عليه وسلم بقوله سبحانه ما زاغ البصر) أى مال قال ابن عباس ما زاغ يمينا ولا شمالا (وما طغى) ما جاوز ما أمر به وعلى هذا المفسرون ومفعول نفى قوله (ما يعرض للرائى الذى لا أدب له بين يدى الملوك والعظماء من التفاته يمينا وشمالا) وهذا تفسير لزاغ (و) نفى بقوله ما طغى (مجاوزة بصره لما بين يديه وأخبر عنه بكمال الادب فى ذلك المقام وفى تلك الحضرة

قوله ومن هرول الخ انظر ما هذا تفسيره فى الحديث المذكور ومقتضى ما ساقه فيه أن يقول ومن مشى الخ الا أن يكون للحديث بقية لم يذكرها وهذا تفسير لما لم يذكره وحرر اه مصحح

افلم يلتفت جانبا ولم يمد بصره الى غير ما أرى من الآيات وما هنالك من العجائب) التى لا يشبهها شئ (بل قام مقام العبد الذى أوجب أدبه) فاعل ومفعوله (اطراقه و أوجب (اقباله على ما أريه دون التفاته الى غيره ودون تطلعه الى مالم يره مع ما فى ذلك من ثبات الجأش) بالهمز (وهو روع) بالفتح أى خوف (القلب اذا اضطرب) عند الفزع وقد لا يهمز والجمع جؤوش كما فى القاموس وفى النهاية الجأش القلب والنفس والجنان يقال فلان ثابت الجأش أى ثابت القلب لا يرتاع للعظائم والشدائد (وسكون القلب وطمأنينته وهذا غاية الكمال) فزيغ البصر التفاته جانبا وطغيانه مده أمامه الى حيث ينتهى فنزه علمه عن الضلال وقصده وعمله عن الغى ونطقه عن الهوى وفؤاده عن تكذيب بصره وبصره عن الزيغ والطغيان وهكذا يكون المدح

تلك المكارم لا قعبان من لبن * شيبا بماء فعادا بعد أبوالا

قال الامام الرازى اللام فى البصر يحتمل وجهين أحدهما البصر المعروف وهو بصر محمد صلى الله عليه وسلم أى ما زاغ بصر محمد صلى الله عليه وسلم فعدم الزيغ ان قلنا الغاشى للسدرة هو الجراد أو الفراش فعناه لم يلتفت اليه ولم يشتغل به ولم يقطع نظره عن مقصوده وان قلنا أنوار الله فمعناه لم يلتفت يمنة ويسرة بل اشتغل بمطالعتها ففيه بيان أدبه أو ما زاغ بضعفه عن مطالعتها ففيه بيان قوته الثانى انها لتعريف الجنس أى ما زاغ بصر أصلا فى ذلك الموضع لعظم الهيبة قال وفيه لطيفة هى انه لم يقل ما مال وما جاوز لان الميل والتجاوز مذمومان فى ذلك الموضع فاستعمل الزيغ والطغيان فيه أو هو بيان لشدة يقينه الذى لا يقين فوقه أى ما مال عن الطريق فلم ير الشئ على خلاف ما هو عليه بخلاف من ينظر الى عين الشمس مثلا ثم ينظر الى شئ أبيض فانه يراه أبيض وأخضر يزيغ بصره عن جادة الابصار وقوله ما طغى أى ما تخيل المعدوم موجودا وقيل ما جاوز ما أمر به انتهى (قال) ابن القيم (فى مدارج السالكين) فى شرح منازل السائرين لابى اسمعيل الهروى (وفى هذه الآية أسرار عجيبة هى من غوامض الآداب اللائقة بأكمل البشر صلوات الله وسلامه عليه تواطأ هنالك بصره وبصيرته) وهى العقل المنور بنور القدس المكحل بضياء هداية الحق فلا يخطئ فى العيان ولا يحتاج الى برهان بل يتصور الحق بينا مكشوفا والباطل زاهقا مدحورا فلذا قال صاحب المنازل البصيرة ما يخلص من الحيرة (وتوافقا) عطف تفسير لتواطأ (فيما شاهده بصره فالبصيرة مواطئة) موافقة (له وما شاهدته بصيرته فهو أيضا حق مشهود بالبصر فتواطأ فى حقه أى ما كذب الفؤاد ما رآه بصره) فهو اخبار عن تصديق فؤاده لما رأته عيناه وليس كمن رأى شيأ على خلاف ما هو عليه فكذب فؤاده بصره (ولهذا قرأها هشام وأبو جعفر ما كذب الفؤاد ما رأى بتشديد الذال أى لم يكذب القلب البصر بل صدقه وواطأه بصحة الفؤاد والبصر وكون المرئى المشاهد بالبصر والبصيرة حقا) وحاصله أن قلبه صدق ما رآه بعينه ولم يقل انه خيال لا حقيقة له (وقرأ الجمهور ما كذب الفؤاد بالتخفيف وهو متعد) بنفسه على القراءتين (وما رأى مفعوله أى ما كذب قلبه ما رأت عيناه بل واطأه ووافقه) وما مصدرية

أي ما كذب فؤاده رؤيته أو موصول والعائد محذوف أي الذي رآه بعينه وقيل قراءة التخفيف على اسقاط الخافض أي فيما رآه. قاله مكي وغيره وعلى التقديرين فهو اخبار عن تطابق رؤية القلب لرؤية البصر وتوافقهما وتصديق كل واحد منهما صاحبه وهذا ظاهر في قراءة التشديد وقد استشكلها المبرد وغيره بانه اذا رأى بقلبه فقد علمه أيضا بقلبه واذا وقع العلم فلا كذب معه وأجيب بأنه قد يتخيل الشيء على خلاف ماهو به فيكذبه قلبه اذ يريه صورة المعلوم على خلاف ماهي عليه كما تكذبه عينه فيقال كذبه قلبه وكذبته عينه فنفى ذلك سبحانه عن رسوله (فلموافقة قلبه لقالبه) جسده (وظاهره لباطنه وبصره لبصيرته لم يكذب الفؤاد البصر ولم يتجاوز البصر حده فيطغى ولم يمل عن المرئي فيزيغ بل اعتدل البصر على المرئي ماجاوزه ولا مال عنه كما اعتدل القلب في الاقبال على الله تعالى والاعراض عما سواه فانه أقبل على الله بكليته وأعرض عما سواه بكليته) قلبا وقالبا وقد حكى الماوردي في الفؤاد قولين أحدهما نفسه لانه محل الاعتقاد والثاني صاحبه وعبر عنه بالفؤاد لانه قطب الجسد وبه قوام الحياة (وللقلب زيغ وطغيان كما أن للبصر زيغا وطغيانا) بل قد يكون أشد لحديث ألا وان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب (وكلاهما منتف عن قلبه وبصره فلم يزغ قلبه التفاتا عن الله الى غيره ولم يطغ بمجاوزته مقامه الذي أقيم فيه وهذا غاية الكمال والادب مع الله تعالى) ولا بدع ففي الحديث أدبني ربي فأحسن تأديبي (الذي لا يلحقه فيه) أحد (سواه فان عادة النفوس اذا أقيمت في مقام عال رفيع أن تطلع الى ماهو أعلى منه وفوقه ألا ترى ان موسى عليه الصلاة والسلام لما أقيم مقام التكليم والمناجاة) لله سبحانه (طلبت نفسه الرؤية) فقال رب أرني أنظر اليك (ونبينا صلى الله عليه وسلم لما أقيم في ذلك المقام وفاه حقه ولم يلتفت بصره ولا قلبه الى غير ما أقيم فيه البتة) بالقطع فلم يسأل حتى قال له ربه سل ومع ذلك سأل بالتلويح دون التصريح فقال انك اتخذت الى آخر ما يأتي (ولاجل هذا ماعاقه عائق ولا وقف به مراد حتى جاوز السموات السبع فلم تعقه ارادة منه لشيء ولم تقف به دون كمال العبودية همة ولهذا كان مركوبه في مسراه يسبق خطوه الطرف فيضع خطوه) وفي نسخة قدمه (عند منتهى طرفه) بسكون الراء أي نظره وهذا صريح في التساوي فيدافع قوله يسبق الا أن يكون المراد أن ما ينتهي اليه طرفه وهو الجزء الاخير من المسافة التي ينتهي اليها الطرف يضع مؤخر قدمه عنده فتكون جملة القدم مقدمة على ما وصل اليه طرفه (مشاكلا لحال راكبه وبعد شأوه) بالشين المعجمة والهمز بزنة فلس أي غايته وأمده (الذي سبق به العالم أجمع في سيره فكان قدم البراق لا يتخلف عن موضع نظره كما كان قدمه صلى الله عليه وسلم لا يتأخر عن محل معرفته فلم يزل صلى الله عليه وسلم في خفارة) بضم الخاء وكسرها أي حماية (كمال أدبه مع الله تعالى وتكميل مرتبة عبوديته له حتى خرق حجب السموات وجاوز السبع الطباق) وهي السموات (وجاوز سدرة المنتهى ووصل الى محل من القرب سبق به الاولين والآخرين) اذ لم يصل اليه نبي مرسل ولا ملك مقرب (فانصبت له هنالك أقسام القرب انصبابا وانقشعت) انكشفت (له سحائب الحجب) بضمتين جمع حجاب

(ظاهرا وباطنا حجابا بعد حجاب) أى حجابا بعد حجاب (وأقيم مقاما غبطه) استحسنه (به الانبياء والمرسلون فاذا كان فى المعاد) يوم القيامة (أقيم مقاما من القرب ثانيا يغبطه به الاولون والآخرون واستقام هنالك على صراط مستقيم من كمال أدبه مع الله تعالى ما زاغ البصر وما طغى فأقامه فى هذا العالم) أى عالم الدنيا (على أقوم صراط على الحق والهدى) وانك لتهدى الى صراط مستقيم (وأقسم بكلامه القديم على ذلك فى الذكر) أى القرآن (الحكيم فقال يس) القراءة المشهورة بسكون النون وقرئ شاذا بالفتح للخفة وبالكسر لالتقاء الساكنين وبالضم على النداء كما فى الاتقان (والقرآن الحكيم) المحكم بعجيب النظام وبديع المعانى (انك لمن المرسلين على) متعلق بما قبله (صراط مستقيم) أى طريق الانبياء قبلك التوحيد والهدى والتأكيد بالقسم وغيره رد لقول الكفار لست مرسلا (فاذا كان يوم المعاد أقامه على الصراط فيسأل السلامة لاتباعه ولاهل سنته حتى يجوزوا الى جنات النعيم وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ثم اعلم أن ما ذكرهنا من القرب والدنو) الى الله ومن الله فى حديث شريك وفى الآية على أحد القولين ليس بدنو مكان ولا قرب مدى وانما (المراد به تأكيد المحبة) باظهار عظيم منزلته وتشريف رتبته (والقربة ورفع المنزلة والرتبة) عطف تفسير (قال جعفر الصادق) لصدقه فى مقاله ابن محمد الباقر بن على بن الحسين بن على الهاشمى أبو عبد الله الفقيه الامام الصدوق المتوفى سنة ثمان وأربعين ومائة روى له مسلم وأصحاب السنن (لما قرب الحبيب من الحبيب غاية القرب نالته غاية الهيبة فلاطفه الحق تعالى بغاية اللطف وذلك قوله جل جلاله فأوحى) الله (الى عبده) محمد صلى الله عليه وسلم بلا واسطة ملك ولا غيره على ما هو المنقول عن جعفر فى الشفاء وغيره فالمراد بالوحى هنا الكلام وان كان أعم منه (ما أوحى) أى أمرا عظيما فنى ابهامه تفخيمه وتعظيمه كما أفاده قوله (أى كان ما كان وجرى ما جرى وقال الحبيب للحبيب ما يقول الحبيب للحبيب وألطف به الطاف الحبيب للحبيب تخفى السر ولم يطلع عليه أحد) لانه من أسرار المعارف التى لم يطلع عليها غيره (ولم يعلم أحد ما أوحى الا الذى أوحى) وهو الله سبحانه أى والموحى اليه محمد صلى الله عليه وسلم علمه أيضا ويحتمل قراءة أوحى بالبناء للمفعول أى أوحى اليه لكن فيه حذف نائب الفاعل الا أن يكون للعلم به من السياق (وقال غيره فى قوله تعالى فأوحى الى عبده ما أوحى أبهمه لعظمته فان الابهام قد يقع للتعظيم فهو مبهم لا يطلع عليه بل يتعبد بالايمان به) وهذا معنى كلام جعفر وان اختلف التعبير (وقيل هو مفسر بالاخبار الواردة قال سعيد بن جبير أوحى الله تعالى اليه صلى الله عليه وسلم ألم أجدك) استفهام تقرير (يتيما) بفقد أبيك قبل ولادتك أو بعدها (فآويتك) بضمك الى عمك أبى طالب واسكان محبتك فى قلبه حتى كان يقدمك على أولاده (ألم أجدك ضالا) عما أنت عليه الآن من الشريعة كقوله ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان (فهديتك) اليها أو ضالا فى بعض شعاب مكة فبينت لك الطريق ورددتك أو ناسيا فهديتك الى الذكر لان الضلال جاء بمعنى النسيان قال تعالى أن تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى وجمع بينهما فى لا يضل ربى ولا ينسى لانه ثم بمعنى الخطا والغفلة (ألم

أجدك عائلا) قليل المال (فأغنيتك) بما قنعتك به من الغنائم وغيرها وفي الحديث ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس (ألم نشرح لك صدرك) بالنبوة وغيرها (ووضعنا) حططنا (عنك وزرك الذى أنقض) أثقل (ظهرك) وهذا كقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر وتقدم قريبا ويأتي المستقبل (ورفعنا لك ذكرك) بأن تذكر مع ذكري في الاذان والاقامة والتشهد والخطبة وغيرها (وقيل أوحى الله تعالى اليه ان الجنة حرام) ممنوع دخولها (على الانبياء حتى تدخلها يا محمد وعلى الامم حتى تدخلها أمتك ذكره الثعلبي) الامام المفسر (والقشيري) العلم الشهير (وقيل أوحى الله تعالى اليه خصصتك بحوض الكوثر فكل أهل الجنة أضيافك بالماء ولهم الخمر واللبن والعسل ذكره القشيري وذكر أيضا انه أوحى اليه ما أوحى الى الرسل لقوله تعالى ما يقال لك) بناء على أن معناه ما يوحى اليك (الا ما قد قيل للرسل من قبلك) من الوحي وقيل معناه ما يقال لك من التكذيب (وقيل أوحى اليه الصلوات الخمس ذكره النقاش) وقيل ما في ما أوحى للعموم والمراد كل ما جاء به وفي الشفاء أكثر المفسرين على ان الموحي الله الى جبريل وجبريل الى محمد الا الشذوذا منهم جعفر الصادق قال أوحى اليه بلا واسطة ونحوه ذهب بعض المتكلمين ان محمدا كلمه ربه في الاسراء وحكى عن الاشعري وابن مسعود وابن عباس وأنكره آخرون انتهى (وفي رواية أبي سعيد الخدري عند البيهقي) وأبي هريرة عند ابن جرير والبزار وأبي يعلى والبيهقي (ان الله تعالى قال له صلوات الله وسلامه عليه) وفي رواية فرأى ربه سبحانه فخر صلى الله عليه وسلم ساجدا وكلمه ربه عند ذلك فقال يا محمد قال لبيك يا رب قال (سل) أصله اسأل فخفف وحذف المفعول للعموم أي كل ما تريد (فقال انك اتخذت ابراهيم خليلا) مصفيا خالص المحبة وفي رواية أبي يعلى ان الله قال له اني اتخذتك خليلا وروى ابن ماجه عن ابن عمرو مرفوعا ان الله اتخذني خليلا كما اتخذ ابراهيم خليلا فمنزلي ومنزل ابراهيم في الجنة يوم القيامة تجاهين والعباس بيننا مؤمن بين خليلين (وآتيته ملكا عظيما) تقدم انه لا يعهد لابراهيم ملك عرفي فيجوز أن المراد قهره لعظماء الملوك كالنمرود فالقاهر أعظم من المقهور أو ملك النفس أو بالنسبة لذريته كيوسف وداود وسليمان (وكلمت موسى) بلا واسطة (تكليما) أكده لافادة انه حقيقي فلا عبرة بانكار بعض المعتزلة له (وأعطيت داود ملكا عظيما) فجعلته خليفة في الارض (وألنت له الحديد) فكان في يده كالعجين يتخذ منه الدروع (وسخرت له الجبال) تسبح معه بالعشي والاشراق (وأعطيت سليمان ملكا عظيما) اذ ملكته الدنيا بأسرها (وسخرت له الانس) جندا ورعايا لا يعصونه في شئ (والجن) فكانوا يخدمونه في بنائه وفي غيره فبنت له بيت المقدس بالرخام المزخرف بناء عاليا حتى كان يضيء في الليلة المظلمة ولم يزل كذلك حتى خربه بخت نصر ونقل ما فيه لمملكته بالعراق (والشياطين) وهم مردة الجن فهو عطف خاص على عام فكانوا يغوصون البحار ويستخرجون له الدر والجواهر ويعملون له ما يريد (وسخرت له الرياح) تجري بأمره رخاء حيث أصاب وتحمل كرسيه وبساطه مسيرة شهر غدوا ومسيرة شهر رواحا (وأعطيته ملكا لا ينبغي) لا يكون

(لاحد من بعده) كما سألك ذلك ما فوق الارض وما تحتها (وعلمت عيسى) وهو صغير (التوراة والانجيل) الذى أنزل عليه ولا أحكام فيه انما هو حكم وحقائق التوحيد وقيل فيه أحكام قليلة بالنسبة للتوراة فلذا حفظهما وعمل بهما (وجعلته يبرئ الاكمه) الذى ولد أعمى (والابرص) بياض لون البدن وصيرورته قبيحا من علة مزمنة لا يتيسر علاجها وخصهما لانهما داءا اعياء (ويحيي الموتى باذنك) فأحيا جماعة كما مر (وأعذته) حفظته وأجرته (وأمه من الشيطان الرجيم) المطرود اللعين (فلم يكن له عليهما سبيل) طريق (فقال له ربه) جوابا للمعنى كلامه ان المقامات العلية سبق لها السابقون من الرسل (قد اتخذتك حبيبا) هذا في مقابلة الخلة والمحبة أعظم وفي رواية أبي يعلى ان الله تعالى قال له اتخذتك خليلا بجمع الصفتين ولم يذكر ما يقابل ما بعده لعله اذ هو لم يرض الملك لما عرض عليه والكلام وقع له كما وقع لموسى والقرآن أعظم من التوراة والانجيل وابراء الاكمه والابرص وقع للمصطفى نظيره كرد عين قتادة وبره كثير من الامراض بمس يده وأعيذ من الشيطان حتى ان قرينه امن به ووقع له احياء الموتى وما هو أغرب منه كما تقدم بسط ذلك كله في المعجزات (فهو مكتوب في التوراة محمد حبيب الرحمن) هذا من كلام الراوى أبي سعيد أو غيره استشهادا وتقوية للحديث وفي سبعيات الهمدانى ثبت في الحديث انه صلى الله عليه وسلم قال هممت ليلة المعراج أن أخلع نعلى فسمعت النداء من قبل الله يا محمد لا تخلع نعليك لتشرف السماء بهما فقلت يارب انك قلت لموسى اخلع نعليك انك بالوادى المقدس فقال يا أبا القاسم ادن منى لست عندى كموسى فانه كليمى وأنت حبيبى انتهى وتعقب بأن هذا باطل لم يذكر في شئ من الاحاديث بعد الاستقراء التام ويأتى له مزيد (وأرسلتك الى الناس كافة) جامعا في الانذار والابلاغ من الكف بمعنى الجمع ومنه كف الثوب وهو جمعه بالخياطة والهاء للمبالغة كعلامة وقيل معناه مانعا ورادعا عن الكفر وسائر المعاصى من الكف بمعنى المنع والهاء للمبالغة أيضا والنصب على الوجهين حال من المفعول في أرسلتك أو على انه مفعول مطلق لارسلتك أى ارسالة كافة أى عامة كفتهم عن الخروج منها فكافة صفة مصدر (بشيرا) للمؤمنين والمتقين (ونذيرا) للكافرين والعاصين (وشرحت لك صدرك ووضعت عنك وزرك ورفعت لك ذكرك فلا أذكر الا وتذكر معى) أى كثيرا أو عادة أو في مواطن معلومة كالاذان والاقامة والتشهد والاسلام والخطبة وغير ذلك وبهذا دفع ايراد أن الشهادة الثانية قد لا تذكر وهذا بيان لرفع ذكره ولا أرفع من ذلك وقد قال صلى الله عليه وسلم أتانى جبريل فقال ان ربى وربك يقول لك تدرى كيف رفعت ذكرك قلت الله أعلم قال لا أذكر الا ذكرت معى رواه أبو يعلى والطبرانى وصححه ابن حبان والضياء من حديث أبي سعيد فقد خاطبه بذلك بعد ارساله جبريل له به قبل ذلك على مدلول الحديثين زيادة في التعظيم والاكرام (وجعلت أمتك خير أمة أخرجت للناس) فيه تبشيره بذلك قبل انزاله عليه لان الاسراء بمكة والسورة مدنية (وجعلت أمتك أمة وسطا) خيارا عدولا (وجعلت أمتك هم الاولون) في القيام من القبور والقضاء ودخول الجنة (والآخرون)

في الوجود

فى الوجود والمنة بهذا عليه لما تضمنه من كثرتهم وقلة مكثهم فى القبور وعدم نسخ شريعته وروى الخطيب عن أنس مرفوعا لما أسرى بى الى السماء قربنى ربى حتى كان بينى وبينه كقاب قوسين أو أدنى وعلى المسميات قال يا محمد قلت لبيك قال هل غمك أن جعلتك آخر النبيين قلت يارب لا قال هل غم أمتك أن جعلتهم آخر الامم قلت يارب لا قال فأقرأ أمتك منى السلام وأخبرهم أنى جعلتهم آخر الامم لافضح الامم عندهم ولا أفضحهم (وجعلت أمتك لا تجوز لهم خطبة) أى لا يعتدبها اعتدادا كاملا (حتى يشهدوا انك عبدى ورسولى) أى يأتوا بكلمتى الشهادة لحديث كل خطبة ليس فيها تشهد فهى كاليد الجذماء أى ناقصة لا بركة فيها وبالتقييد بكاملا اندفع ماقيل مقتضاه أن التشهد فى الخطبة ركن أو شرط ولم يقل به أحد من الفقهاء وتعسف الجواب بأن المعنى لا يصح الا خطبة المسلم المصدق بك والامة أمة الدعوة أو النسخ اذ لا يثبت بالاحتمال على أن الشافعى وغيره اشترطوا فى الخطبة الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم وهى تتضمن الشهادة بذلك فدعوى الاجماع غير مسموعة (وجعلت من أمتك أقواما قلوبهم اناجيلهم) أى يحفظون الكتاب المجيد ويتلونه حفظا والاناجيل جمع انجيل وهو اسم كتاب الله المنزل على عيسى (وجعلتك أول النبيين خلقا) لانه خلق روحه قبل الارواح وخلق الارواح ونبأه قبلهم فى عالم الارواح فهو أولهم خلقا ونبوة (وآخرهم بعثا) ارسالا (وأولهم يقضى له) قبل الناس (وأعطيتك سبعا من المثانى) الفاتحة لانها تثنى وتكرر فى كل ركعة أو غيرها تقدم بسطه (لم أعطها نبيا قبلك وأعطيتك الكوثر) نهر فى الجنة كما فى مسلم مرفوعا (وأعطيتك خواتيم سورة البقرة) من آمن الرسول (من كنز تحت العرش) قال الحافظ العراقى معناه انها ادخرت له وكنزت كما قال (لم أعطها نبيا قبلك) وكثير من آى القرآن منزل فى الكتب السابقة باللفظ أو المعنى وان كان فى القرآن أيضا مالم يؤت غيره لكن فى هذه خصوصية لهذه الامة وهى وضع الاصر الذى كان على من قبلها قال التوربشتى ليس يعنى بقوله أعطى انها أنزلت عليه بل المعنى انه استجيب له فيما لقن من الآيتين من قوله غفرانك ربنا الى آخر السورة ولمن يقوم بحقهما من السائلين قال الطيبى وفى كلامه اشعار بأن الاعطاء بعد الانزال لان المراد منه الاستجابة وهى مسبوقة بالطلب والسورة مدنية والمعراج كان بمكة قال ويمكن أن يقال هذا من قبيل وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى وانما أوثر الاعطاء لتعبيره بكنز (وأعطيتك ثمانية أسهم الاسلام) وصفا لامتك دون الامم ومرآت هذا أرجح القولين (والهجرة والجهاد) ومافيه من الغنائم (والصلاة) أى مجموع الصلوات الخمس (والصدقة) الزكاة (وصوم رمضان) وفيه حجة لاحد القولين فى اختصاصه بالامة المحمدية (والامر بالمعروف والنهى عن المنكر) لك بلا شرط ولامتك بالشروط المعلومة (وجعلتك فاتحا) لكل خير (وخاتما) للنبيين (وفى اسناده أبو جعفر الرازى) التميمى مولاهم مشهور بكنيته واسمه عيسى بن عبد الله بن ماهان وأصله من مرو وكان يتجر الى الرى مات فى حدود الستين ومائة روى له أصحاب السنن (ضعفه بعضهم وقال

أبو زرعة) الرازى (متهم وقال ابن كثير الاظهر انه سيئ الحفظ) وليس بمتهم وبه يجزم الحافظ فقال صدوق سيئ الحفظ خصوصا عن مغيرة (وذكر الفخر الرازى عن والده قال سمعت أبا القاسم سليمان الانصارى يقول لما وصل محمد صلى الله عليه وسلم الى الدرجات العالية والمراتب الرفيعة فى المعراج أوحى الله تعالى اليه يا محمد بم) يكون (شرفك) الذى تريده (قال يارب بنسبتى اليك بالعبودية فأنزل الله تعالى سبحان الذى أسرى بعبده) لانه ليس للمؤمن صفة أتم ولا أشرف من العبودية ولذا أطلقه الله على نبيه فى أشرف المواطن كقوله أسرى بعبده الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب تبارك الذى نزل الفرقان على عبده فأوحى الى عبده قاله أبو على الدقاق قال الطوسى وسبب ذلك أن الالهية والسيادة والربوبية انما هى فى الحقيقة لله لا لغيره والرتب الحقيقية أشرف المراتب اذ ليس بعدها الا المجاز قال بعض وبهذا يخرج الجواب عن وصف يحيى بالسيادة (فسماه تعالى بهذا لتحققه صلى الله عليه وسلم بالاسم الاعظم واتصافه بجميع صفاته فلا يصلح هذا الاسم بالحقيقة الا له عليه الصلاة والسلام وللاقطاب من بعده بتبعيته لا بالحقيقة وان أطلق على غيره مجازا) لان حقيقة العبد عند القوم القائم الى أوامر سيده على حد النشاط حيث جعله محل أمره قاله أبو حفص النيسابورى وقال ابن عطاء هو الذى لا ملك له وقيل هو الذى يتخلق بأخلاق ربه وقيل غير ذلك مما هو متقارب المعنى مختلف اللفظ وكل تكلم بلسان حاله على قدر مقامه (ويرحم الله الاديب برهان الدين) ابراهيم بن شرف الدين بن عبد الله بن محمد (القيراطى) البارع المتفنن ولد فى صفر سنة ست وعشرين وسبعمائة ولازم علماء عصره وبرع فى الفنون ودرس بعدة أماكن وفاق فى النظم وله ديوان مشهور مات بمكة سنة احدى وثمانين وسبعمائة (فلقد أجاد حيث قال

ودعتنى بالعبد يوما فقالوا * قد دعته بأشرف الاسماء)

وقد أخذ قول القائل

ياقوم قلبى عبد زهراء * يعرفه السامع والرائى

لا تدعنى الا بيا عبدها * فانه أشرف أسمائى

أنشده الاستاذ أبو القاسم القشيرى (ولبعض أهل الاشارات) من محققى الصوفية الذين يستخرجون من النصوص معانى كأنها منطوق بها بحسب افهامهم واحوالهم (كان الله تعالى قال له محمد) بحذف ياء النداء لانها للبعيد وهو قد حصل له غاية القرب (انى أعطيتك نورا) قوة فى بصرك شديدة زائدة على المعتاد (تنظر به جمالى) اذ لو لم أعطك ذلك ما قدرت على نظره (وسمعا) زائدا على سمعك (تسمع به كلامى) فلولاه ما سمعت ثم لما ثبت وتحقق له القرب المعنوى ذكر ياء النداء على الاصل فقال (يا محمد انى أعرفك بلسان الحال معنى عروجك الىّ يا محمد) وذلك لانى (أرسلتك الى الناس شاهدا ومبشرا ونذيرا والشاهد مطالب بحقيقة ما يشهد به) كما قال صلى الله عليه وسلم على مثل الشمس فاشهد والا فدع رواه الحاكم والبيهقى (فأريتك جنتى لتشهد ما اعددت فيها لاوليائى) المؤمنين (وأريتك نارى لتشهد ما اعددت فيها لاعدائى) الكافرين اذ ليس

الخبر كالعيان وفى التنزيل عن ابراهيم بلى ولكن ليطمئن قلبى (ثم أشهد لتجلالى) عظمتى (وأكشف لك عن جمالى لتنظر الى منزه فى جمالى) وجلالى (عن التشبيه والتنظير والوزير) المعين (والمشير فرآه صلى الله عليه وسلم بالنور الذى قواه من غير ادراك ولا احاطة) عطف تفسير كما فسر به قوله تعالى لا تدركه الابصار أى لا تحيط به (فردا صمدا) مقصودا فى الحوائج على الدوام أو لا جوف له كما فى الطبرانى عن بريدة وقاله كثير من المفسرين وكأنه جمع بين المقصود وقال الشعبى لا يأكل ولا يشرب وتظرفيهما ابن عطية بأن الجسم فى غاية البعد عن صفات الله فما الذى يعطينا هذه العبارات (لا فى شئ) يحويه أى مكان (ولا من شئ) متولدا (ولا قائما بشئ) يعينه (ولا على شئ ولا مفتقرا الى شئ) لانه خالق كل شئ (ليس كمثله شئ) الكاف زائدة لانه تعالى لا مثل له (فلما كلمه شفاها) أى بلا واسطة (وشاهده كفاحا) بكسر الكاف أى مواجهة أى بلا حائل (فقال يا محمد لابد) لا فراق ولا محالة (لهذه الخلوة من سر لا يذاع) لا ينتشر ولا يظهر (ورمز) اشارة (لا يشاع) لا يظهر فمعناهما واحد حسنه اختلاف اللفظ رعاية السجع (فأوحى الى عبده ما أوحى فكان سرا من سر لم يقف عليه ملك مقرب ولا نبى مرسل وأنشد لسان الحال

بين المحبين سر ليس يفشيه * قول ولا قلم فى الكون يحكيه)

يقال فشا الشئ فشوا وفشوا ظهر وانتشر وأفشيته بالالف

(سر يمازجه أنس يقابله * نور تحير فى بحر من التيه

ولما انتهى الى العرش تمسك العرش بأذياله) جمع ذيل كذيول قال فى سبل الرشاد لم يرد فى أحاديث المعراج الثابتة أنه صلى الله عليه وسلم عرج به الى العرش فقول ابن المنير انه عرج به اليه ليس على ما ينبغى وقد سئل الامام رضى الدين القزوينى عن وطء النبى صلى الله عليه وسلم العرش بنعله وقول الرب جل جلاله لقد شرف العرش بنعلك يا محمد هل ثبت ذلك أم لا فأجاب أما حديث وطء النبى صلى الله عليه وسلم العرش بنعله فليس بصحيح ولا ثابت بل وصوله الى ذروة العرش لم يثبت فى خبر صحيح ولا حسن ولا ثابت أصلا وانما صح فى الاخبار انتهاؤه الى سدرة المنتهى فحسب وأما الى ماوراءها فانما ورد ذلك فى أخبار ضعيفة ومنكرة لا يعرج عليها انتهى قال بعض المحدثين قاتل الله من وضع أنه رقى العرش بنعله ما أعدم حياءه وما أجرأه على سيد المتأدبين ورأس العارفين صلى الله عليه وسلم قال وجواب الرضى القزوينى هو الصواب فقد وردت قصة الاسراء والمعراج مطولة ومختصرة عن نحو أربعين صحابيا وليس فى حديث أحد منهم انه صلى الله عليه وسلم كان تلك الليلة فى رجليه نعل وانما وقع ذلك فى نظم بعض قصاص جهلة ولم يذكر العرش بل قال وأتى البساط فهم يخلع نعله فنودى لا تخلع وهذا باطل لم يذكر فى شئ من الاحاديث بعد الاستقراء التام ولم يرد فى حديث صحيح ولا حسن ولا ضعيف أنه جاوز سدرة المنتهى بل ذكر فيها انه انتهى الى مستوى سمع فيه صريف الاقلام فقط ومن ذكر انه جاوز ذلك فعليه البيان وأنى له به ولم يرد فى خبر ثابت ولا ضعيف أنه رقى العرش وافتراء بعضهم لا يلتفت اليه ولا أعلم خبرا ورد فيه انه رأى العرش الا ما رواه ابن أبى الدنيا عن أبى المخارق انه صلى الله عليه وسلم

قال مررت ليلة أسري بي برجل مغيب في نور العرش فقلت من هذا أملك قيل لا قلت نبي قيل لا قال من هو قيل هذا رجل كان في الدنيا لسانه رطب من ذكر الله ولم يستسب لوالديه قط وهو خبر مرسل لا تقوم به الحجة في هذا الباب انتهى أي لان المرسل ضعيف عند جماهير النقاد للجهل بالساقط في الاسناد مع أن أبا المخارق مجهول لكن دعواه انه لم يرد انه جاوز سدرة المنتهى في حديث ضعيف ولا حسن ولا صحيح فيها نظر فقد أخرج ابن أبي حاتم عن أنس انه صلى الله عليه وسلم لما انتهى الى سدرة المنتهى غشيته سحابة فيها من كل لون فتأخر جبريل والقزويني الذي صوب هذا المحدث كلامه قد اعترف بورود هذا بقوله وأما الى ما وراءها فانما ورد في أخبار ضعيفة ومنكرة (وناداه بلسان حاله) قصره عليه ليس لامتناع كونه بلسان القال لانه جماد وقد عهد نطقه كتسبيح الحصا وغيره بل لانه لم يرد في حديث نطقه بقوله (يا محمد أنت) كائن (في صفاء) أي خالص (وقتك) حال كونك (آمنا) فهو حال من الضمير في الخبر المحذوف وهذا أولى من جعله حالا من المبتدأ لضعفه بخلاف الخبر فالراجح جوازه (من مقتك) مصدر مضاف لمفعوله أي من وصول مقت اليك والمراد من جميع المشوشات (أشهدك جمال أحديته) أي أحديته الجليلة وهي تنزهه عن الجسمية والتعدد والتحيز قال البيضاوي الاحد يدل على مجامع صفات الكمال اذ الواحد الحقيقي ما يكون منزه الذات عن أنحاء التركيب والتعدد وما يستلزم أحدهما كالجسمية والتحيز والمشاركة في الحقيقة وخواصها كوجوب الوجود والقدرة الذاتية والحكمة التامة المقتضية للالوهية (واطلعك على جلال صمديته) أي سيديته واحتياج غيره اليه وقصدهم اليه قال البيضاوي الصمد السيد المصمود اليه في الحوائج من صمد اذا قصد وهو المقصود على الاطلاق فانه مستغن عن غيره مطلقا وكل ما عداه محتاج اليه في جميع جهاته (وأنا الظمآن) أي المشتاق (اليه) فهو مجاز من اطلاق الملزوم على لازمه فالظمأ بالهمز العطش وزنا ومعنى ويلزمه الاشتياق للماء (اللهفان) المتحسر (عليه المتحير فيه لا أدري من أي وجه) أي طريق (آتيه جعلني أعظم خلقه) من حيث الجسم قال صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده ما السموات السبع والارضون السبع عند الكرسي الا كحلقة ملقاة بأرض فلاة وان فضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على تلك الحلقة رواه ابن مردويه وابن أبي شيبة عن أبي ذر وروى ابن جرير عنه رفعه ما السموات السبع في الكرسي الا كدراهم سبعة ألقيت في ترس وما الكرسي في العرش الا كحلقة من حديد ألقيت بين ظهري فلاة من الارض وهذا نص صريح في أن الكرسي غير العرش وما روى عن الحسن البصري أن الكرسي هو العرش فضعيف لا يصح عنه والصحيح عنه وعن غيره من الصحابة والتابعين أنه غيره (فكنت أعظمهم منه هيبة) أي أعظم الخلق الذي أشابهم ويشبهوني كالكرسي واللوح والقلم لا الانبياء والملائكة كيف وقد قال صلى الله عليه وسلم أنا أعلمكم بالله وأشدكم له خشية (وأكثرهم فيه حيرة) مصدر حار من باب تعب لم يدر وجه الصواب قال الازهري وأصله أن ينظر الانسان الى شئ فيغشاه ضوؤه فيصرف بصره عنه (وأشدهم منه خوفا يا محمد خالقي فكنت أرعد) بضم العين

وفتحها

وفتحها قال المجد رعد كمنع ونصر اضطرب (لهيبة جلاله فكتب على قائمتى لا اله الا الله فازددت لهيبة اسمه ارتعادا وارتعاشا) عطف تفسير قال المجد رعش كفرح ومنع أخذته الرعدة (فكتب محمد رسول الله فسكن لذلك قلق) اضطرابى (وهدأ) سكن (روعى) فزعى روى الحاكم وصححه عن ابن عباس أن الله أوحى الى عيسى لقد خلقت العرش على الماء فاضطرب فكتبت عليه لا اله الا الله محمد رسول الله فسكن موقوف حكمه الرفع اذ لا يقال رأيا (فكان اسمك لقاحا) كذا فى نسخ بلام قبل القاف أى كالا (لقلبى) لان الناقة لا تلقح حتى تكمل فكذا العرش لم يكمل حتى كتب عليه محمد رسول الله وبهذا
٢ سقط اعتراض بعضهم بأنه لا معنى للقاح هنا لانه من لقحت الناقة حملت فما كان ينبغى لهذا الصوفى الا ابداله بنحو شفاء وفى نسخ نفاحا بنون ثم فاء أى رائحة من نفحت الريح هبت فكما أن هبوبها بريح ما تتصل به كذلك اسمه صلى الله عليه وسلم لما ظهر أشبه هبوب المريحة للاجسام الواصلة اليها (وطمأنينة) اسم من اطمأن القلب سكن ولم يقلق (لسرى) أى جوفى قال المجد فى معانى السر وجوف كل شئ ولبه (فهذه بركة كتابة اسمك على فكيف اذا وقع جميل نظرك على يا محمد أنت المرسل رحمة للعالمين) وانا من جملتهم (ولا بد لى من نصيب من هذه الرحمة) لعمومها (ونصيبى يا حبيبى أن تشهد لى بالبراءة مما نسبه أهل الزور الى) أى الكذب قال تعالى والذين لا يشهدون الزور (وتقوله أهل الغرور) أى ادعوا (على) ما لا حقيقة له وبينه بقوله (زعموا انى أسع من لا مثل) لا شبيه (له وأحيط بمن لا كيفية له يا محمد من لا حد لذاته ولا عد لصفاته كيف يكون مفتقرا الى ومحمولا على) لا يتأتى ذلك ولا يكون (اذا كان الرحمن اسمه والاستواء صفته) كما قال الرحمن على العرش استوى (وصفته متصلة بذاته فكيف يتصل بى أو ينفصل عنى) فانما الاستواء صفة لا تفسر اذ لا يعلمها الا هو أو تفسر بالاستيلاء كقوله قد استوى بشر على العراق أو بغيره فيه المذهبان الشهيران (يا محمد وعزته لست بالقريب منه وصلا) أى لا اتصل به (ولا بالبعيد عنه فصلا) بل انا من جملة مخلوقاته (ولا بالمطيق له حملا أوجدنى منه) متعلق بقوله (رحمة) مقدم عليه لاجل السجع (وفضلا) على وعلى عباده حيث جعلنى سقف المخلوقات (ولو محقنى) اذهبنى كلى حتى لا يرى لى أثر كقوله يمحق الله الربا (لكان حقا منه وعدلا) اذ لا حجر على المالك الحقيق فيما يفعل بملكه (يا محمد أنا محمول قدرته) فكيف أحمله (ومعمول حكمته فأجاب لسان حال سيدى زاده الله فضلا وشرفا لديه) عنده (وواصل صلاته وسلامه عليه أيها العرش اليك عنى أنا مشغول عنك فلا تكدر) هكذا بياض بالاصل

(على صفوتى) مثلث الصاد أى خالص ما أنا فيه من اشتغالى بالحضرة العلية (ولا تشوش على خلوتى) بشين معجمة أوله أى تخلط على قاله الفارابى وتبعه الجوهرى وقال بعض الحذاق هى كلمة مولدة والصحيح هوش بالهاء أوله وقال ابن الانبارى قال أئمة اللغة انما يقال هوشت وتبعه الازهرى وغيره وقالوا تشوش خطأ (فما أعاره صلى الله عليه وسلم منه طرفا) نظرا (ولا أقرأه من مسطور ما أوحى اليه حرفا ما زاغ البصر وما طغى) استدلال لقوله فما أعاره منه طرفا (وقد ورد فى بعض أخبار الاسراء) والمعراج (مما ذكره العلامة)

محمد (بن مرزوق فى شرحه لبردة المديح أنه صلى الله عليه وسلم لما كان من ربه) كما قال صلى الله عليه وسلم فى رواية شريك ودنا الجبار فتدلى فكان (قاب قوسين أو أدنى) فليس فاعل قال عائدا على الله فلا يخالف ما مر له أن المراد فى الآية جبريل على الصحيح (قال اللهم انك عذبت الامم بعضهم) بدل (بالحجارة) كقوم لوط (وبعضهم بالخسف) كقارون (وبعضهم بالمسخ) كطائفة من بنى اسرائيل (فما أنت فاعل بأمتى قال) تعالى (أنزل عليهم الرحمة وأبدل سيئاتهم حسنات) أى يجعل فى الآخرة مكان السيئة حسنة قال صلى الله عليه وسلم انى لاعلم آخر أهل الجنة دخولا الجنة وآخر أهل النار خروجا منها رجل يؤتى به يوم القيامة فيقال اعرضوا عليه صغار ذنوبه وارفعوا عنه كبارها فيعرض الله عليه صغار ذنوبه فيقال عملت يوم كذا وكذا كذا وكذا وعملت يوم كذا وكذا كذا وكذا فيقول نعم لا يستطيع ان ينكر وهو مشفق من كبار ذنوبه ان تعرض عليه فيقال له ان لك مكان كل سيئة حسنة فيقول يارب قد عملت أشياء لا أراها ههنا قال أبو ذر فلقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه رواه مسلم وغيره (ومن دعانى) نادانى بقوله يا الله (منهم لبيته) أجبته بلبيك (ومن سألنى أعطيته) ما سأل أو نظيره فورا أو بعد مدة سبق فى علمه تأخير الاعطاء اليها لحكمة اقتضت ذلك أو تدخر له دعوته فى الآخرة فيجازى عليها (ومن توكل على كفيته) وفى التنزيل ومن يتوكل على الله فهو حسبه (وفى الدنيا أستر على العصاة وفى الآخرة أشفعك فيهم ولولا أن الحبيب يحب معاتبة حبيبه) أى ملاطفته بالكلام (لما حاسبت أمتك) وقال الخليل حقيقة العتاب مخاطبة الادلال ومذاكرة الموجدة (ولما أراد صلى الله عليه وسلم الانصراف قال يارب ان لكل قادم من سفره تحفة) بزنة رطبة وحكى سكون الحاء ما أتحفت به غيرك (فما تحفة أمتى) التى أتحفهم بها فى قدومى (قال الله تعالى انا لهم ما عاشوا) فى الدنيا بالحفظ والنصر وتيسيرهم لصالح الاعمال وغير ذلك وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها (وانا لهم اذا ماتوا) أى وقت نزع أرواحهم بطرد الشياطين عنهم وتوفيهم على الاسلام وغير ذلك (وانا لهم فى القبور) بجعلها روضة من رياض الجنة وتثبيتهم لسؤال الملكين وغير ذلك (وانا لهم فى النشور) يوم القيامة بجعل الفزع الاكبر لا يحزنهم وجعلهم على مكان عال وغرا محجلين من آثار الوضوء وغير ذلك حتى يدخلهم الجنة قبل الامم (نسأل الله الوفاة على الاسلام) والايمان بلا محنة (واعلم انه قد اختلف العلماء قديما وحديثا فى رؤيته صلى الله عليه وسلم لربه تعالى ليلة الاسراء) وعلى انه رآه هل بعينى رأسه أو بقلبه أو مرة بالبصر وأخرى بالقلب وثالثها الوقف هذا حاصل ما ذكره (فروى البخارى) فى التفسير تاما وفى التوحيد مقطعا ومسلم فى الايمان والترمذى والنسائى فى التفسير (من حديث مسروق) بن الاجدع بن مالك الهمدانى الوادعى الكوفى ثقة فقيه عابد مخضرم روى له الائمة مات سنة اثنتين ويقال سنة ثلاث وستين وله ثلاث وستون سنة (قال قلت لعائشة) رضى الله عنها وفى رواية عبد الرزاق وابن حميد والترمذى وغيرهم عن مسروق قال لقى ابن عباس كعبا بعرفة فسأله عن شئ فقال ابن عباس انا بنى هاشم نزعم وفى لفظ نقول ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى ربه مرتين فكبر كعب حتى جاوبته

الجبال وقال ان الله قسم رؤيته وكلامه بين محمد وموسى فرآه محمد مرتين وكلمه موسى مرتين قال مسروق فدخلت على عائشة فقلت (يا أمتاه) بضم الهمزة وشد الميم ففوقية فألف فهاء ساكنة قال فى الفتح والاصل يا أمه والهاء للسكت فأضيف اليها ألف الاستغاثة فأبدلت تاء ثم زيدت هاء السكت بعد الالف وقال الخطابى اذا نادوا قالوا يا امه بهاء السكت وعند الوصل يا أمت فاذا فتحوا للندبة قالوا يا أمتاه والهاء للسكت وتعقبه الكرمانى بأن قول مسروق ليس للندبة اذ ليس هو متفجعا عليها قال الحافظ وهو كما قال (هل رأى محمد ربه) ليلة الاسراء (فقالت لقد قف) بفتح القاف وشد الفاء قام (شعرى مما قلت) ولابى ذر مما قلته بالضمير (أين أنت من ثلاث) أى كيف يغيب فهمك عنها وكان ينبغى ان تكون مستحضرها ومعتقدا كذب من يدعى وقوعها (من حدثك بهن فقد كذب) فى حديثه (من حدثك أن محمدا رأى ربه) ليلة المعراج (فقد كذب ثم قرأت) مستدلة لذلك بطريق الاستنباط (لا تدركه الابصار) أى لا تراه (وهو يدرك الابصار) أى يراها ولا تراه ولا يجوز فى غيره أن يدرك البصر وهو لا يدركه أى يحيط بها علما (وهو اللطيف) بأوليائه (الخبير) بهم وقرأت مستدلة أيضا (وما كان لبشر أن يكلمه الله الا) أن يوحى اليه (وحيا) فى المنام أو بالهام (أو من وراء حجاب) بأن يسمعه كلامه ولا يراه كما وقع لموسى عليه السلام وأجيب بأن هذه الآية لا تدل على نفى الرؤية مطلقا بل على أن البشر لا يرى الله فى حال التكلم فنفى الرؤية مقيد بهذه الحالة دون غيرها وبأنه عام مخصوص بما تقدم وبأن المراد بالوحى الكلام بلا واسطة والقول وان كان محتملا لكن الجمهور على أن المراد بالوحى هنا الالهام والرؤيا فى المنام وكلاهما يسمى وحيا وأما قوله تعالى أو من وراء حجاب فقال الواحدى وغيره معناه غير مجاهر لهم بالكلام بل يسمعون كلامه تعالى من حيث لا يرونه وليس المراد أن يكون هناك حجاب يفصل موضعا عن موضع ويدل على تحديد المحجوب فهو بمنزلة ما يسمع من وراء حجاب حيث لم ير المتكلم (ومن حدثك انه يعلم ما فى غد فقد كذب ثم قرأت وما تدرى نفس ماذا تكسب) أى تعمل (غدا) من خير أو شر ويعلمه الله وفى رواية مسلم فقد أعظم على الله الفرية والله تعالى يقول قل لا يعلم من فى السموات والارض الغيب الا الله (ومن حدثك انه كتم) شيأ مما أمر بتبليغه ولابى ذر انه قد كتم (فقد كذب ثم قرأت يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك) جميعه ولا تكتم منه شيأ خوفا أن تنال بمكروه (وان لم تفعل) أى لم تبلغ جميع ما أنزل اليك (فما بلغت رسالته) بالافراد والجمع لان كتمان بعضها كتمان كلها زاد مسلم فى رواية ولو كان محمد كاتما شيأ مما أنزل عليه لكتم هذه الآية واذ تقول للذى أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفى فى نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه (ولكنه) صلى الله عليه وسلم وللمستملى ولكن (رأى جبريل فى صورته مرتين) مرة بالارض وهو بالافق الاعلى ومرة فى السماء عند سدرة المنتهى (وفى رواية مسلم من حدثك أن محمدا رأى ربه فقد أعظم الفرية) بدل قوله كذب والفرية بالكسر الكذب وجمعها فرى كعنب (وقوله) أى الشخص وهو عائشة

(فقف أى قام من الفزع لما حصل عندها من هيبة الله واعتقدته من تنزيهه واستحالة وقوع ذلك) فى الدنيا وليس انكار الوقوع الرؤية مطلقا كما تزعم المعتزلة قال النضر ابن شميل القفة بفتح القاف وشد الفاء كالقشعريرة وأصله التقبض والاجتماع لان الجلد ينقبض عند الفزع فيقوم الشعر لذلك (قال النووى) تبعا لغيره لم تنف عائشة وقوع الرؤيا بحديث مرفوع ولو كان معها لذكرته) لان النص أقوى من الاستنباط (وانما اعتمدت الاستنباط على ما ذكرته من ظاهر الآية وقد خالفها غيرها من الصحابة) فلم يفهمها على ظاهرها كابن عباس (والصحابى اذا قال قولا وخالفه غيره منهم) أى الصحابة (لم يكن ذلك القول حجة اتفاقا) عمن قال بانه حجة ومن قال ليس بحجة (قال الحافظ أبو الفضل العسقلانى بجزمه) أى النووى (بأن عائشه لم تنف الرؤية بحديث مرفوع تبع فيه ابن خزيمة) محمد بن اسحق امام الائمة كما تبعه جماعة (وهو عجيب فقد ثبت ذلك عنها فى صحيح مسلم الذى شرحه الشيخ) النووى (فعنده من طريق داود بن أبى هند) القشيرى مولاهم البصرى ثقة متقن مات سنة أربعين ومائة وقيل قبلها روى له مسلم وأصحاب السنن (عن الشعبى) عامر بن شراحيل (عن مسروق فى الطريق المذكور قال مسروق وكنت متكئا فجلست فقلت) يا أم المؤمنين أنظرينى ولا تعجلينى ألم يقل الله عزوجل ولقد راه بالافق المبين ولقد رآه نزلة أخرى فقالت انا أول هذه الامة سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال انما هو جبريل لم أره على صورته التى خلق عليها غير هاتين المرتين رأيته منهبطا من السماء سادا عظم خلقه ما بين السماء والارض هذا لفظ مسلم فى كتاب الايمان قال فى الفتح وأخرجه ابن مردوية أيضا عن مسروق فقلت (ألم يقل الله ولقد رآه نزلة أخرى فقالت أنا أول هذه الامة سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية فقلت يا رسول الله هل رأيت ربك قال لا انما رأيت جبريل منهبطا) أى نازلا من السماء فسقط من قلم المصنف أو نساخه بعض الكلام كما رأيت اذ لم يقع فى مسلم تصريح بأن النبى صلى الله عليه وسلم نفى رؤيته لله تعالى وبهذا ابطل تعجب الحافظ من النووى لان غاية ما فى رواية مسلم انها زيفت دليل الخصم باسنادها الى المصطفى ان المراد جبريل فلا يلتفت الى غيره ولكن لا يدل على نفى الرؤية كما صرح به الابى لانه لا يلزم من ابطال الدليل بطلان المدلول واما رواية ابن مردوية المصرحة بنفى الرؤية ورفعها اليه صلى الله عليه وسلم فغناء فى الآية المسئول عنها وهى ولقد رآه نزلة أخرى ان سلم ان رواية ابن مردوية تعادل رواية مسلم والا فما فيه أصح ولم يقع فيه تصريح بنفى الرؤية مرفوعا وقد قال التقى السبكى فى تفسيره قول ابن عطية حديث عائشة عن النبى صلى الله عليه وسلم قاطع لكل تأويل فى اللفظ لان قول غيرها انما هو منتزع من ألفاظ القرآن فيه نظر لانه ان كان سؤالها عن ولقد رآه نزلة أخرى فليس مما نحن فيه وجاز أن يكون ذلك جبريل وهذا أى الله سبحانه وان كان عن الآيتين فيقرب ما قاله ابن عطية والاحتمال حاصل فيما سألت عنه ليس فى لفظها صراحة بذكره ثم قال فلذلك يستمر ما ادعاه هؤلاء الائمة من ان عائشة لم تذكر فيه نصا وبان بهذا ان الراجح فى تفسير الآية أن الرؤية بالبصر وأنها لله تعالى انتهى وفيه

تأمل لان رواية ابن مردويه تصرحت بأن السؤال عن ولقد رآه نزلة أخرى لكن كلامه انما هو مع رواية مسلم ومن قال انه صلى الله عليه وسلم خاطبها على قدر عقلها وحاول تخطئتها فيما ذهبت اليه فهو عظمى قليل الادب (ثم احتجاج عائشة رضى الله عنها بالآية) الاولى (خالفها فيه ابن عباس فأخرج الترمذى) وحسنه (من طريق الحكم بن ابان) العدنى أبي عيسى صدوق عابد له أوهام مات سنة أربع وخمسين ومائة وكان مولده سنة ثمانين روى له أصحاب السنن (عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما قال رأى محمد ربه قال عكرمة قلت أليس يقول الله تعالى لا تدركه الابصار) أى لا تراه (قال) ابن عباس (ويحك يا عكرمة (ذاك اذا تجلى) ظهر (بنوره الذى هو نور) واما اذا تجلى بغيره فتمكن رؤيته على الوجه الذى يليق بالرائى (وقد رأى ربه مرتين) مرة ببصره ومرة بفؤاده رواه الطبرانى باسناد صحيح عن ابن عباس قال الشامى وحاصله أن المراد بالآية نفى الاحاطة به عند رؤيته لا نفى أصل رؤيته وقال النووى المراد بالادراك الاحاطة والله تعالى لا يحاط به واذا ورد النص بنفى الاحاطة لا يلزم منه نفى الرؤية بغير احاطة (وقال القرطبى) الشيخ أبو العباس فى المفهم (الابصار فى الآية جمع محلى بالالف واللام فيقبل التخصيص وقد ثبت دليل ذلك سمعا فى قوله تعالى كلا) حقا (انهم عن ربهم يومئذ) يوم القيامة (لمحجوبون) فلا يرونه (فيكون المراد الكفار بدليل قوله تعالى فى الآية الاخرى وجوه يومئذ) يوم القيامة (ناضرة) حسنة مضيئة (الى ربها ناظرة) فثبت النظر فى الآخرة للمؤمنين بنص الآية (واذا جازت فى الآخرة جازت فى الدنيا لتساوى الوقتين بالنسبة الى المرئى) وهو ذاته تعالى (انتهى وهذا استدلال جيد) من القرطبى (وقال القاضى عياض) فى الشفاء والحق الذى لا امتراء فيه أن (رؤية الله تعالى جائزة عقلا) لانه موجود حقيقة وكل موجود تجوز رؤيته عيانا (وليس فى العقل ما يحيلها) اى ما يقتضى انها مستحيلة وهذا كالدليل لما قبله فهو عطف علة على معلول وذكر دليلا نقليا تأييدا للعقلى بقوله (والدليل على جوازها سؤال موسى عليه الصلاة والسلام لها) ومحال أن يجهل نبى ما يجوز على الله وما لا يجوز عليه ولكن وقوعه ومشاهدته من الغيب الذى لا يعلمه الا من علمه الله فقال له الله لن ترانى أى لن تطيق ولا تحتمل رؤيتى ثم ضرب له مثالا مما هو أقوى من نبيه موسى وأثبت وهو الجبل وكل هذا ليس فيه ما يحيل رؤيته فى الدنيا بل فيه جوازها على الجملة (ثم قال) عقب هذا (وليس فى الشرع دليل قاطع على استحالتها ولا) دليل قاطع على (امتناعها) واذا لم تكن مستحيلة فلا دليل على امتناع وقوعها مطلقا أو فى الدنيا (اذ كل موجود فرؤيته جائزة غير مستحيلة) والله موجود وهذا تعليل للجواز فالعلة فيه الوجود وهو مشترك بين الله وسائر الموجودات فكما يجوز رؤيتها تجوز رؤيته وانتقد هذا التعليل باقتضائه صحة رؤية الاصوات والروائح والطعوم وكيفية الملموس فانها موجودة مع أنها غير محسوسة بالبصر وأجيب بأنه منقول عن الاشعرى وهو قد التزم جواز رؤيتها فالكلام فى الجواز لا الوقوع (ولا حجة) مسلمة عند الخصم (لمن استدل على منعها) أى الرؤية (بقوله تعالى لا تدركه الابصار لاختلاف التأويلات فى هذه الآية) فقيل لا تدركه أبصار الكفار وقيل لا تحيط به

وهو قول ابن عباس وقيل لا تدركه الابصار وانما يدركه المبصرون وكل هذه التأويلات لا تقتضى منع الرؤية ولا استحالتها (انتهى) كلام عياض بهذا الذى زدته وحذفه المصنف استغناء بما بسطه تبعا للحافظ بقوله (وقد روى ابن أبى حاتم بسنده عن اسمعيل بن علية) بضم العين المهملة وفتح اللام وشد التحتية وهى أمه اشتهر بها وأبوه ابراهيم بن مقسم بكسر الميم وسكون القاف وفتح السين البصرى ثقة حافظ روى له الستة مات سنة ثلاث وتسعين ومائة وهو ابن ثلاث وثمانين (فى تأويل هذه الآية قال هذا فى الدنيا وقال آخرون لا تدركه الابصار أى جميعها وهذا مخصص) بصيغة اسم المفعول (بما ثبت) فى الكتاب والسنة (من رؤية المؤمنين له فى الدار الآخرة) وهذا كالشرح لقول ابن علية (وقال آخرون من المعتزلة بمقتضى ما فهموه من هذه الآية انه لا يرى فى الدنيا ولا فى الآخرة) وقد بالغ عياض فى الرد عليهم بأن ما استدلوا به حجة عليهم لا لهم فقال وقد استدل بعضهم بهذه الآية على جواز الرؤية وعدم استحالتها انتهى أى لان نفى الشئ عند البلغاء يقتضى جوازه والا كان عبثا فلا يقال للحائط لا علم له والله قد ساق نفى ادراك الابصار فى سياق المدح وانما يتمدح بأمر ثبوتى كما قال لا بالعدم الصرف فكل نفى مدح به تضمن أمرا وجوديا كنفى الموت المتضمن للحياة السرمدية فلو كان نفى الابصار معناه انه لا يرى أصلا كسائر المعدومات لم يكن فيه مدح (فخالفوا أهل السنة والجماعة فى ذلك مع ما ارتكبوه من الجهل بما دل عليه كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم أما الكتاب فقوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة) تراه يوم القيامة مستغرقة فى مطالعة جماله بحيث تغفل عما سواه ولذا قدم المفعول وليس هذا فى كل الاحوال حتى ينافيه نظرها الى غيره وقول المعتزلة معناه منتظرة انعامه رد بأن الانتظار لا يسند الى الوجه وتفسير الوجه بالجملة خلاف الظاهر فان المستعمل بمعناه لا يتعدى بالى واستشهادهم لتفسيرهم بقوله

وإذا نظرت اليك من ملك * والبحر دونك زدتنى نعما

قال العلم السخاوى لا حجة فيه لان النظر بمعنى التأمل لا يطلع عليه مخلوق ولذا قال زدتنى نعما وقال البيضاوى النظر بمعنى السؤال فان الانتظار لا يستعقب العطاء وقال الطيبى والبحر دونك جملة معترضة تحتمل وجهين أحدهما البحر بينى وبينك وثانيهما البحر أقل منك فى الجود وهذا أرجح وحينئذ لا يصلح للاستشهاد (وقوله كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) فلا يرونه بخلاف المؤمنين (قال) الامام (الشافعى) رحمه الله تعالى فدل (هذا) بالمفهوم (على ان المؤمنين لا يحجبون عنه تبارك وتعالى) اذ تخصيص الحجب بالكفار يدل بمفهومه على ذلك دلالة ظاهرة وحاد المعتزلة عن سواء السبيل فقدروا مضافا مثل رحمة ربهم أو قرب ربهم أو هو تمثيل لاهانتهم باهانة من يمنع من الدخول على الملوك (وأما السنة فقد تواترت الاخبار عن أبى سعيد) سعد بن مالك بن سنان (وأبى هريرة) عبد الرحمن بن صخر (وأنس) بن مالك (وجرير) بن عبد الله البجلى (وصهيب) بضم الصاد ابن سنان الرومى (وبلال) المؤذن (وغير واحد من الصحابة عن النبى صلى الله عليه وسلم ان المؤمنين يرون الله تبارك وتعالى فى الدار الآخرة فى العرصات) قبل دخول الجنة (وفى روضات

الجنات جعلنا الله منهم) وتفصيل ذلك يطول (وقيل المنفى فى الآية) بقوله لا تدركه الابصار (ادراك العقول) فلا ينافى ادراك الابصار (قال ابن كثير وهو غريب جدا وخلاف ظاهر الآية) لانه صرح بالابصار (وقال آخرون لامنافاة بين اثبات الرؤية ونفى الادراك فان الادراك أخص من الرؤية ولا يلزم من نفى الاخص انتفاء الاعم) اذ النفى انما وقع على خاص (ثم اختلف هؤلاء فى الادراك المنفى ماهو فقيل معرفة الحقيقة فان هذا لا يعلمه الا هو وان رآه المؤمنون كما ان من رأى القمر فانه لا يدرك حقيقته وكنهه وماهيته) عطف مساو (فالعظيم) تبارك وتعالى (أولى بذلك) من القمر لانه اذا لم يدرك حقيقة المخلوق فكيف الخالق (ولله المثل) الوصف (الاعلى) الذى ليس لغيره ما يساويه ولا يدانيه فانما هذا تقريب للفهم (وقال آخرون المراد بالادراك الاحاطة) بجوانب المرئى وحدوده لان حقيقة الادراك اللحوق والوصول فى المكان كقول أصحاب موسى انا لمدركون أو الزمان كما يقال أدرك فلان النبى صلى الله عليه وسلم أو الصفة كادرك الغلام اذا بلغ وأدركت الثمرة اذا نضجت ثم نقل لابصار الشئ المتناهى المحدود بالجهات لتوهم معنى اللحوق فيه كأن المبصر قطع المسافة التى بينه وبينه حتى بلغه ووصل اليه فابصار ما ليس فى جهة لا يتحقق فيه معنى البلوغ فلا يسمى ادراكا فلا يلزم من نفيه وهو رؤية مخصوصة نفى المطلقة والى هذا أشار بقوله (قالوا) أى الآخرون وليس المراد التبرى بل النسبة (ولا يلزم من عدم الاحاطة عدم الرؤية كما لا يلزم من عدم الاحاطة بالعلم عدم العلم) فالمعنى لا تدركه الابصار اذا نظرت اليه على وجه الاحاطة لتعاليه عن التناهى وعن الاتصاف بالحدود التى هى النهايات والجوانب والاحاطة بما لا يتناهى محال وحينئذ فدلالة الآية على جواز الرؤية بل على تحققها بالوقوع أظهر من دلالتها على الجواز عاذ كر من التمدح (وفى صحيح مسلم) قوله صلى الله عليه وسلم (لا أحصى ثناء عليك) قال ابن الاثير الاحصاء هنا بلوغ الواجب أى لا ابلغ الواجب فى الثناء عليك وقال الراغب هو التحصيل أى لا أحصل ثناء المجزى عنه اذ هو نعمة تستدعى شكرا وهكذا الى غير نهاية أو لا أعد ثناء كما فى الصحاح لان معنى الاحصاء العد بالحصى كما قال

ولست بالاكثر منهم حصى * وانما العزة للكاثر

وعليه فهو من نفى الملزوم المعبر عنه بالاحصاء المفسر بالعد واراده نفى اللازم وهو استيعاب المعدود فكأنه قيل لا استوعب فالمراد نفى القدرة عن الاتيان بجميع الثناآت لا نفى القدرة على افراد أو فرد منها ولا عدها اذ يمكن عد افراد كثيرة من الثناء (أنت) مبتدا خبره (كما أثنيت) أى الثناء عليك هو المماثل لثنائك (على نفسك) ولا قدرة لاحد عليه ويحتمل ان أنت تأكيد للكاف من عليك باستعارة الضمير المنفصل للمتصل والثناء الوصف بالجميل قال النووى بتقديم المثلثة والمد المشهور فى اللغة قصر استعماله فى الخير واستعماله فى الشر مجاز وقال المجد وصف بمدح أو ذم أو خاص بالمدح (ولا يلزم من هذا عدم الثناء) بل وجد الثناء من المصطفى كثيرا جدا على ربه (فكذلك هذا) الذى فيه الكلام لا يلزم من عدم الاحاطة عدم الرؤية (وروى ابن أبى حاتم عن أبى سعيد الخدرى عن رسول الله صلى الله

عليه وسلم في قوله تعالى لا تدركه الابصار قال لو أن الجن والانس والشياطين) مردة الجن (والملائكة منذ خلقوا الى أن فنوا صفوا صفا واحدا ما أحاطوا بالله أبدا) فهذا يؤيد أن المراد بالادراك الاحاطة (قال ابن كثير غريب لا يعرف الا من هذا الوجه) بمعنى أنه تفرد به الراوى فلا متابع له (ولم يروه أحد من أصحاب الكتب الستة) وذلك ظاهر في غرابته وليس المراد ان ماليس فيها يكون غريبا (والله أعلم) بالحق في ذلك (ومما ينسب لامام الحرمين في) كتاب (لمع الادلة) بضم ففتح جمع لمعة من لمع أضاء (انه قال من أصحابنا من قال ان الرب تعالى يرى ولا يدرك لان الادراك ينبئ عن الاحاطة ودرك) بفتح فسكون بمعنى ادراك (الغاية والرب جل جلاله تقدس) تنزه (عن الغاية والنهاية) وكلامهم في الادراك مسلم لكنه ليس بلازم من الرؤية كما مر فنفيهم لها ليس بمسلم واليه أشار بقوله (ثم قال فان عارضوا بقوله تعالى في جواب قول موسى عليه الصلاة والسلام رب أرني أنظر اليك قال (لن تراني) لا تقدر على رؤيتي (وزعموا أن لن تفيد النفي على التأبيد) كما زعمه الزمخشري في أنموذجه أو تأكيده كما زعمه في كشافه في الآية والصحيح انها لا تفيد ذلك (قلنا هذه الآية أوضح الادلة على جواز الرؤية لانها لو كانت مستحيلة لكان معتقد جواز الرؤية ضالا كافرا) باعتقاد المحال على الله (وكيف يعتقد) بالبناء للفاعل (ما) أي امرا (لا يجوز على الله تعالى) مفعول والفاعل (من اصطفاه لرسالته) ياموسى انى اصطفيتك على الناس برسالاتي (واختاره لنبوته وخصه بكرامته وشرفه بتكليمه) بلا واسطة (وجعله أفضل أهل زمانه) أشار الى أن قوله على الناس ناس زمانه (وأيده ببرهانه) كأنه أراد قوله ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات والاستفهام للنفي أي لا يمكن اعتقاده ذلك وكذا قوله (وكيف يجوز على الانبياء الريب) الشك (في أمر يتعلق بعلم الغيب) وانفصل المعتزلة عن هذا بأنه لم يسأله لجوازه عنده بل تبكيتا للقائلين له أرنا الله جهرة أو سألها مع علمه باستحالتها ليتأكد الدليل العقلي بالسمعي وبطمئن قلبه كما قال ابراهيم ولكن ليطمئن قلبي فان العلم يتفاوت قوة وضعفا ورد بأن تفاوته غير مسلم والخليل لم يسأله لذلك وانما علم ان الله متخذ خليلا يحيي الموتى بدعائه فسأل ذلك ليعلم أهو هو أم لا ولو سلم فلا يلزم سؤال ما لا يجوز وينافي الادب اذ كان يقول موسى بين لي علم ذلك جوازا أو استحالة (فيجب حمل الآية على أن ما اعتقد موسى عليه الصلاة والسلام جوازه جائز لكن ظن ان ما أعتقد جوازه ناجز) واقع في الحال (فرجع النفي في الجواب الى الانجاز) فكأنه قيل لن تراني في الحال (وما سأل موسى ربه رؤيته في المآل فصرف النفي اليه) حتى يلزم أنه لا يرى أبدا (والجواب) بلن تراني دون لن أرى (يدل على قضية الخطاب انتهى وقال البيضاوي في هذه الآية دليل على أن رؤيته تعالى جائزة في الجملة لان طلب المستحيل من الانبياء محال) لانهم بعثوا لتعليم الامم الشرائع والعقائد الحقة وهي معرفة ما يجوز على الله ويمتنع فلو جهل ذلك كان الله آمرا له بما لا يعلمه وهو محال لانه جهل أو عبث (وخصوصا ما يقتضي الجهل بالله) وجواب المعتزلة بأنه انما يلزم هذا لو كان سؤالا حقيقيا لا لالزام غيره أو تبكيته رد بأن السياق يأباه (ولذلك رده

بقوله لن ترانى دون لن أرى) ففى ذلك دليل واضح على الجواز انتهى وقوله تبت اليك أى من سؤالى مالم تقدره لى قاله عياض أى فى ذلك الوقت فلا ينافى قوله وقد ذكر القاضى أبو بكر أن موسى رأى الله فلذا خر صعقا وأن الجبل رآه بادراك خلقه الله له فصار دكا قال عياض واستنبط ذلك والله أعلم من قوله ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف ترانى فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا وتجليه للجبل ظهوره حتى رآه على هذا القول وقال جعفر بن محمد شغله بالجبل حين تجلى ولولا ذلك مات صعقا بلا افاقة وهذا يدل على أن موسى رآه وقال بعض المفسرين رآه الجبل وبه استدل من قال برؤية نبينا صلى الله عليه وسلم اذ جعله دليلا على الجواز ولا مرية فى الجواز اذ ليس فى الآيات نص فى المنع انتهى والراجح أن موسى لم يره وقيل قوله تبت اليك انما كان لما غشيه من شدة ما أفضى به الى أن صعق كما يقول من فعل جائزا حصل له منه مشقة تبت عن فعل مثله (ونقل القاضى عياض عن أبى بكر الهذلى فى) تفسير (الآية أن المراد ليس لبشر أن يطيق) أى يقدر (أن ينظر الى فى الدنيا وانه من نظر الى) فيها (مات) لضعف القوى البشرية عن سبحات الجلال الامن أقدره الله وفيه دليل على جواز وقوعه فى الدنيا لكن من وقع له لا يعيش كما روى أن من رأى جبريل من غير الانبياء يعمى (قال) عياض (وقد رأيت لبعض السلف المتقدمين و) لبعض (المتأخرين ما معناه ان رؤيته تعالى فى الدنيا ممتنعة) لمانع منها الالذاتها من حيث هى لما مر من جوازها عقلا فامتناعها لعارض (لضعف تركيب أهل الدنيا) أى لضعف أبدانهم المركبة كما قال تعالى خلق الانسان ضعيفا (وقواهم) جمع قوة وهى أمر أودعه الله فى البدن به الادراك أو المراد المعنى اللغوى (وكونها) أى القوى أو هى مع التركيب (متغيرة) بالازدياد أول أمرها ثم النقص بعده وذلك يدل على ضعفها (غرضا) بمعجمتين (للآفات) شبه الجسد بهدف ينصب لرمى السهام وآفات الدهر ومصائبه بسهام لا يزال يرمى بها حتى تفنى ويجوز اهمال العين أى معرضا لها والاول أصح رواية ودراية ونصب حالا أو خبرا بعد خبر لكون ولم يعطف لكونه سببا لما قبله وقيل لكمال الاتصال بينهما وفيه نظر لان ذلك مخصوص بالجمل وقال التلمسانى روى معترضة بدل قوله متغيرة أى ذات أعراض وهى الآفات والامراض أو من العرضة أى متعرضة للآفات وهى كالعاهات كل ما يعرض للشئ فيفسده (والفناء) بفتح الفاء والمد الزوال والعدم (فلم يكن لهم قوة على الرؤية) لضعف أبدانهم وقواهم فى الدنيا (فاذا كان فى الآخرة) أى اذا أحياهم الله (وركبوا تركيبا آخر) غير تركيبهم الاول (ورزقوا قوى ثابتة) بمثلثة ونون وتحتية اى غير القوى الاولى الدنيوية وفى نسخ ثابتة بموحدة وفوقية فقوله (باقية) تفسير له أى مخلدة لا تفنى لقوة تركيبها وتمام قواها (وأتم أنوار أبصارهم وقلوبهم) أى جعلها تامة كاملة مستعدة للبقاء السرمدى (قووا بها على الرؤية) جواب اذا وضمير بها للمذكورات من التركيب والقوى والانوار فهذا يدل على وقوعها فى الآخرة وجوازها فى الدنيا لانه لو رزقهم ذلك فى الدنيا صح ذلك منهم أيضا ولذا شق صدر المصطفى وأودع فيه ما قوى به على

ذلك (قال) عياض (وقد رأيت) وفي نسخ وروى (نحو هذا المالك بن أنس) الامام
(رضي الله عنه قال لم ير) بضم التحتية ونائب الفاعل عائد على الله (في الدنيا لانه
باق ولا يرى الباقي بالفاني فاذا كان) المنظور أو الناظر (في الآخرة ورزقوا
أبصارا باقية رؤي الباقي بالباقي) لان البقاء الابدي علة لصحة الرؤية كما أن الفناء
والحدوث لا مدخل له في المنع لان الرؤية بخلق الله وليست مشروطة بشيء عند أهل السنة
فكأنه أراد أن البقاء يلزمه قوة التركيب والقوة المعدة لصحة النظر فيكون بمعنى ما قبله
وكذا ان كان مراده ان الرائي والمرئي لا بد أن يكون بينهما مناسبة وأبصار هذه الدار
فانية فاذا اعادت وكسيت صفة دوام البقاء تحملت رؤية الحي القيوم للمناسبة في الجملة
وان كان بقاؤه قديما ذاتيا وبقاؤها طارئ عرضي (وهذا كلام حسن مليح وليس فيه دلالة
على الاستحالة) والامتناع عقلا بل هو دال على الجواز اذ لا مانع منه (الا من حيث
ضعف القدرة البشرية) في الدنيا (فاذا قوى الله من شاء من عباده) بأن رزقه قوة تطيق
ذلك (وأقدره على حمل أعباء) اثقال (الرؤية) أي جعل له قدرة وطاقة على رؤيته
ومشاهدته ونسخة الرسالة تصحيف فلا دخل لها هنا والذي في الشفاء الرؤية (لم تمتنع
في حقه) الرؤية فيمكنه منها بما خصه من القوة وأعباء جمع عبء بكسر المهملة وسكون
الموحدة وهمزة الحمل الثقيل حقيقة في المحسوسات استعير للمعاني الشاقة (انتهى)
كلام عياض (والاستثناء في قوله الا من حيث ضعف القوة ينبغي أن يكون منقطعا
على معنى لكن من حيث ضعف القوة والا) بأن كان متصلا (فضعف القوة قصاراه) غايته
(أن يكون مانعا) فلا يصح دخوله فيما قبل الاستثناء (أي امتنع من حيث ضعف
القوة لا) نافية (من جهة كونه مستحيلا) تقرير وبيان للانقطاع (ويدل على هذا
قوله فاذا قوى الله تعالى من شاء من عباده وأقدره على حمل أعباء الرؤية لم تمتنع في حقه)
اذ لو كان متصلا ما حسن التفريع (وقد وقع في صحيح مسلم ما يؤيد هذه التفرقة
في حديث مرفوع فيه واعلموا انكم لن تروا ربكم حتى تموتوا وأخرجه ابن خزيمة أيضا)
في صحيحه (من حديث ابي أمامة) صدي بن عجلان الباهلي (ومن حديث عبادة
ابن الصامت) الانصاري (فاذا جازت الرؤية في الدنيا عقلا فقد امتنعت سماعا) بقوله
حتى تموتوا (لكن من أثبتها للنبي صلى الله عليه وسلم له أن يقول ان المتكلم لا يدخل في عموم
كلامه) على أحد الاقوال في الاصول (وفي تفسير ابن كثير في بعض كتب الله المتقدمة
ان الله تعالى قال لموسى لما سأله الرؤية ياموسى انه لن يراني حي الا مات) وقد اختلف على
قول من قال ان موسى رآه هل مات ثم أحياه الله كما ذهب اليه كثير من المفسرين أو لم يمت
لانه ألهى بالنظر للجبل حتى لا يموت اذا تجلى له ابتداء وهو قول جعفر بن محمد كما مر وعليه
فمعنى قوله الا مات مالم أثبته وأقوه فلا يموت (وقد جزم القشيري في الرسالة بأنها لا تجوز
في الدنيا على جهة الكرامة وادعى حصول الاجماع عليه) ونوزع بوجود الخلاف
(وحكى القاضي عياض) في الشفاء (امتناعها) أي رؤيته تعالى (في الدنيا عن جماعة
من المحدثين) لعدم صحة حديث عن المصطفى صريح بذلك (والفقهاء) في باب الردة

هل يكفر مدعيها أم لا (والمتكلمين) فى أصول الدين (وقال القشيرى أيضا سمعت الامام أبا بكر بن فورك) بضم الفاء واسكان الواو وفتح الراء فكاف (يحكى عن الامام أبى الحسن الاشعرى) امام أهل السنة والجماعة (فى ذلك قولين فى كتاب الرؤية الكبير انتهى) أى فى جوازها وعدمه وأجمعوا على وقوعها فى الآخرة للمؤمنين كما تواترت به الاحاديث وبه نطق القرآن وقوله تعالى للذين أحسنوا الحسنى وزيادة الحسنى الجنة وزيادة هى النظر اليه تعالى كما فسره به النبى صلى الله عليه وسلم فى مسلم وغيره وأحالت المعتزلة ذلك فصارت الادلة عندهم كالصائل لا يبالون بأى شئ دفعوه فقال كبيرهم الزمخشرى زعمت المسمية والمجبرة أن الزيادة النظر الى وجه الله وجاؤا بحديث مرفوع قال الطيبى هو عنده بالقاف أى مفترى وأما عند أهل السنة فبالفاء وقال ابن المنير بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه والحديث مدون فى الصحاح وقد جعل أهل السنة جاؤا به من عند أنفسهم فحسبه الله وقال الزمخشرى فى موضع آخر

لجماعة سموا هواهم سنة * وجماعة حمر لعمرى موكفه
قد شبهوه بخلقه وتخوفوا * شنع الورى فتستروا بالبلكفه

قال ابن المنير انتقل الى الهجاء وقد أذن صلى الله عليه وسلم لحسان فى المنافحة وهجاء المشركين فتناسيت وقلت

وجماعة كفروا برؤية ربهم * هذا ووعد الله ما ان يخلفه
وتلقبوا عدلية قلنا أجل * عدلوا بربهم فحسبهم سفه
وتلقبوا الناجين كلا انهم * ان لم يكونوا فى لظى فلهم شفه

وقال السعد لقد عورض ما أنشده أو انشأه من الهذيان

لجماعة كفروا برؤية ربهم * ولقائه فهم حمير موكفه
فكما هم عملوا بلا كيف فحسن نرى فلم تنفعهم بالبلكفه
هم عطلوه عن الصفات وعطلوا * عنه الفعال فبالها من متلفه
هم نازعوه الخلق حتى اشركوا * بالله زمرة حاكة واساكفه
هم غلقوا أبواب رحمته التى * هى لا تزال على المعاصى موكفه

الى آخر ما قال وقد أكثر الناس فى الرد عليه نظما ونثرا ثم لما أثبت المؤلف جواز الرؤية فى الدنيا عقلا وسمعا وان كان كلامه فى الخلاف فى وقوعها للمصطفى وعدمه لانه ان لم يثبت الجواز لم يثبت الوقوع أخذ فى تتميم الكلام على الوقوع فقال (وقد ذهبت عائشة) كما تقدم (وابن مسعود) فى المشهور عنه (الى أنه عليه السلام لم ير ربه ليلة الاسراء واختلف عن أبى ذر) فروى عنه انه رآه وروى عنه انه لم يره وكذا اختلف عن أبى هريرة فحكى ابن اسحق أن مروان سأل أبا هريرة هل رأى محمد ربه قال نعم وفى رواية لم يره والى النفى ذهب كثير من المحدثين والفقهاء والمتكلمين وبالغ الحافظ عثمان بن سعيد الدارمى فنقل فيه الاجماع (وذهب جماعة الى اثباتها) قال النووى وهو قول أكثر العلماء (وحكى عبد الرزاق) بن همام الصنعانى أحد الاعلام (عن معمر) بن راشد (عن الحسن

البصري أنه حلف أن محمدا رأى ربه) لفظ الرواية أنه كان يحلف بالله لقد رأى محمد صلى الله عليه وسلم ربه (وأخرج ابن خزيمة عن عروة بن الزبير اثباتها) أى رؤية الله للمصطفى وأنه كان يشتد عليه انكار عائشة لها (وبه قال سائر) أى جميع (أصحاب ابن عباس وجزم به كعب الاحبار) أى ملجأ العلماء وكبرهم وافقه ابن عباس حتى جاوبته الجبال بعرفة سرورا (والزهري) محمد بن مسلم بن شهاب الزهري (وصاحبه) أى تلميذه (معمر) بن راشد البصري أحد الاعلام (وآخرون) كثيرون (وهو قول الاشعري وغالب أتباعه) وفى الشفاء وقال الاشعري وجماعة من اصحابه انه صلى الله عليه وسلم رأى الله ببصره وعينى رأسه وقال أى الاشعري كل آية أوتيها نبي فقد أوتي مثلها نبينا وخص من بينهم بتفضيل الرؤية (ثم اختلفوا هل رآه بعينه أو بقلبه) ويأتى معناه وقال النووى الراجح عند أكثر العلماء انه صلى الله عليه وسلم رأى ربه بعينى رأسه ليلة المعراج واستدل بأشياء نوزع فى بعضها (وجاءت عن ابن عباس أخبار مطلقة) أى دالة على الرؤية بلا قيد بالعين ولا بالقلب (وأخرى مقيدة) بأنه رآه بقلبه (فيجب حمل مطلقها) الدال على الرؤية (على مقيدها) انه رآه بقلبه عملا بقاعدة حمل المطلق على المقيد هكذا قاله الحافظان ابن كثير وابن حجر وغيرهما ومقتضاه انه لم يرد عنه أخبار مقيدة بأنه رآه بعينه وهو عجيب ففى الشفاء بعد حكاية اختلاف الروايات عن ابن عباس فى انه رآه بعينه أو بقلبه ما نصه والاشهر عنه انه رآه بعينه روى ذلك عنه من طرق انتهى فالوجه الجمع بأنه رآه مرتين مرة بقلبه ومرة بعينه كما قال ابن خزيمة وبه صرح ابن عباس فى الطبراني بسند صحيح كما يأتى ومحل القاعدة اذا عارض المطلق مقيد واحد أما اذا عارضه مقيدان فلا يقيد بواحد دون الآخر لانه تحكم فان أمكن الجمع كما هنا بالتعدد وجب المصير اليه والا رجع للمطلق (لكن ذلك) أى ما جاء عن ابن عباس لا بقيد المطلق والمقيد (ما أخرجه النسائى باسناد جيد) أى مقبول وفى نسخ صحيح وهى أنسب بقوله (وصححه الحاكم أيضا من طريق عكرمة عن ابن عباس انه قال أتعجبون أن تكون الخلة لابراهيم) كما قال تعالى واتخذ الله ابراهيم خليلا (والكلام لموسى) وكلم الله موسى تكليما (والرؤية لمحمد صلى الله عليه وسلم) وهذا من الاحاديث المطلقة وأخرجه ابن خزيمة بلفظ ان الله اصطفى ابراهيم بالخلة وموسى بالكلام ومحمدا بالرؤية واستشكل تفريقه هذه الخصائص بأن الخلة والكلام ثبتا لنبينا أيضا وأجيب بأن مراده أن الخلة ثبتت له مع زيادة المحبة فهو خليل وحبيب وموسى اشتهر بالكليم لان كلام الله بالارض فى الدنيا بلا واسطة لم يقع لاحد سواه وان كان الله تعالى كلم نبينا فى المعراج بلا واسطة فى حظائر قدسه (ومنها ما أخرجه مسلم من طريق أبى العالية) رفيع بضم الراء مصغر ابن مهران الرياحى بكسر الراء وبالتحتية ثقة من رجال الجميع مات سنة تسعين وقيل ثلاث وتسعين وقيل بعد ذلك (عن ابن عباس فى قوله تعالى ما كذب الفؤاد ما رأى ولقد رآه نزلة أخرى قال رأى ربه بفؤاده مرتين) أى بقلبه (وله) أى مسلم (من طريق عطاء) بن أبى رباح (عن ابن عباس قال رآه بقلبه) وكل من الروايتين مقيد لكن لا صراحة فيها انه لم يره بعينه ولذا قال (وأصرح من ذلك

ما أخرجه ابن مردويه من طريق عطاء عن ابن عباس قال لم يره رسول الله صلى الله عليه وسلم بعينه وانما رآه بقلبه) وكأن هذا خاطب ابن عباس به من لا يليق به الافصاح بأنه رآه بعينه أو مراده لم يره بعينه فقط وانما رآه بقلبه وعينه أو هو من تصرف الراوي عن عطاء فلا ينافي ذلك أن الاشهر عنه انه رآه بعينه ولا شك أن رواية مسلم عن عطاء عنه أصح من رواية ابن مردويه هذه (وعلى هذا فيمكن الجمع بين اثبات ابن عباس ونفي عائشة بأن يحمل نفيها على رؤية البصر واثباته على رؤية القلب لكن) يقدح في الجمع المذكور أنه (روى الطبراني في الاوسط باسناد رجاله رجال الصحيح) بمعنى انه خرج لهم أصحاب الصحيح (خلا جهور) بفتح الجيم واسكان الهاء وفتح الواو ثم راء (ابن منصور الكوفي وجهور بن منصور) المذكور (قد ذكره ابن حبان في الثقات) فالاسناد صحيح لثقة رجاله وان لم يخرج لبعضهم في الصحيح لان الصحيح مراتب (عن ابن عباس انه كان يقول ان محمدا صلى الله عليه وسلم رأى ربه مرتين مرة ببصره ومرة بفؤاده) فلا يمكن الجمع حينئذ بما تقدم بين اثباته ونفي عائشة لانه مصرح بأنه رآه مرة ببصره ولا رد المطلق عنه الى المقيد بالقلب أيضا كما قدمته وقول ابن كثير من روى عن ابن عباس انه رآه ببصره فقد أغرب فانه لا يصح في ذلك شيء عن الصحابة قال الشامي ليس بجيد لان اسناد الطبراني هذا صحيح (ثم المراد برؤية الفؤاد) كما قال الحافظ ابن حجر (رؤية القلب لا مجرد حصول العلم لانه صلى الله عليه وسلم كان عالما بالله على الدوام بل مراد من أثبت له أنه رآه بقلبه أن الرؤية التي حصلت له خلقت له في قلبه كما تخلق الرؤية بالعين والرؤية لا يشترط لها شيء مخصوص عقلا) بل هي قوة يجعلها الله تعالى فيما شاء من خلقه ولا يشترط فيها أيضا اتصال أشعة ولا مقابلة المرئي ولا غير ذلك (ولو جرت العادة بخلقها في العين) فليست شرطا وقال الواحدي وعلى القول بأنه رآه بقلبه جعل الله تعالى بصره في فؤاده أو خلق لفؤاده بصرا حتى رأى ربه رؤية صحيحة كما يرى بالعين (وروى ابن خزيمة باسناد قوي عن أنس قال رأى محمد ربه) بعينه كما حمله عليه الواحدي وتبعه البغوي (وفي مسلم من حديث أبي ذر) الغفاري (أنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك) أي رؤيته لربه فلفظه عن عبد الله بن شقيق عن أبي ذر قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم هل رأيت ربك (فقال نور) منون مرفوع وروى بالنصب أيضا (أنى) بفتح الهمزة وشد النون والقصر (أراه أي حجابه نور) اشارة الى أن نور خبر مبتدا ويجوز انه فاعل لفعل مقدر أي حجبني أو منعني أو ظهر لي نور وعلى رواية النصب تقديره رأيت نورا (فكيف) تفسير لقوله أنى (أراه ومعناه ان النور منعني من الرؤية) بجري العادة بأن النور اذا غشي البصر حجبه عن رؤية ما وراءه وروى نوراني بكسر النون الثانية وشد التحتية نسبة للنور على غير قياس كصنعاني وهذه الرواية حكاها في الشفاء عن بعض مشايخه ولكنه قال في شرحه لمسلم الاكمال هذه الرواية لم تقع لنا ولا رأيتها في أصل من الاصول (وعند أحمد) عن أبي ذر (قال) صلى الله عليه وسلم (رأيت نورا) ظاهر عزوه لاحمد بعد عزوه ما قبله لمسلم أنه لم يروه وليس كذلك فقد رواه مسلم أيضا عقب الاول من وجه آخر

عن عبد الله بن شقيق قال قلت لأبي ذر لو رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم لسألته فقال عن أي شيء كنت تسأله قال كنت أسأله هل رأيت ربك قال قد سألته فقال رأيت نورا أي رأيت نورا حجبني عن رؤية الله فتتفق الروايتان على أن النور مانع (ومن المستحيل أن تكون ذات الله نورا اذ النور من جملة الاعراض والله تعالى يتعالى عن ذلك) ولذا قال في الشفاء حديث أبي ذر هذا مختلف أي فيه من حيث اللفظ محتمل أي لكونه رآه أو لم يره مشكل أي من حيث جعل ذاته نورا وقال في الاكمال ومن المستحيل أن تكون ذاته نورا لانه جسم وهو منزه عنه باجماع فيؤول بما ذكر في الله نور السموات والارض أن معناه منورهما أو هادي أهلهما أو منور قلوب المؤمنين أو ذو بهجة وجمال أو خالق النور ورده ابو عبد الله الابي بأنه لا يستقيم تأويل الرواية بشيء من الجميع لانه لا يلتئم مع قوله أني أراه لان كونه خالقا أو منورا أو هاديا لا يمنع من رؤيته قال السنباطي فالذي يظهر على ما نعتقده من وقوع الرؤية أن قوله نور أي هو ذو نور ثم استعظم ما وقع له من الرؤية وما شاهده من الذات العلية فقال أني أراه اعترافا بالقصور عن درجة الرؤية واستعظاما للذات المرئية كما قيل في قوله تعالى أنى يحيي هذه الله بعد موتها قال وأما رأيت نورا فهو نص في الرؤية وتأويله بأن المراد منعني عن رؤيته كعادة الانوار الساطعة ضعيف جدا لان فيه قياس الاشياء الخارقة للعادة الجائية في طور ماوراء العقل على الاشياء المحسوسة العادية وهذا خطأ قطعا انتهى وقال العراقي في تخريج أحاديث الاحياء مازلت لهذا الحديث منكرا وقال ابن خزيمة في القلب من صحة اسناده شيء انتهى وأجيب بأن النور من أسمائه تعالى كما في الحديث قال الغزالي ومعناه الظاهر بنفسه المظهر لغيره ونحوه قول الاشعري الله نور ليس كالانوار فالروايتان بمعنى فهو نور النور الخفي بفرط الظهور وقول عياض النور جسم غير مسلم (وعند ابن خزيمة) والنسائي (عنه) أي عن أبي ذر انه (قال) في تفسير الآية (رآه بقلبه ولم يره بعينه) وروى ابن جرير عن بعض الصحابة قلنا يارسول الله هل رأيت ربك قال لم أره بعيني رأيته بفؤادي مرتين ثم تلا ثم دنا فتدلى وفيه موسى بن عبيدة ضعيف (وبهذا يتبين مراده في حديث أبي ذر) المذكور عن مسلم (بذكر النور الذي حال بينه وبين رؤيته ببصره) وذلك لا يمنع رؤيته بقلبه (وجنح) أي مال (ابن خزيمة في كتاب التوحيد الى ترجيح الاثبات) أي انه رآه ببصره (وأطنب في الاستدلال بما يطول ذكره وحمل ما ورد عن ابن عباس) من أنه رآه بقلبه (على أن الرؤية وقعت مرتين مرة بقلبه ومرة بعينه) جمعا بين مختلف الروايات عنه وعملا بتصريحه بذلك في الطبراني المانع من رد المطلق للمقيد كما مر تحريره (ومما يعزى للاستاذ عبد العزيز المهدوي انه صلى الله عليه وسلم لما رجع من سفر الاسراء) سمي خروجه من مكة الى المقدس ثم الى السموات ثم الى حيث شاء الله سفرا لصدق حد السفر عليه وهو الخروج للارتحال من محله الى غيره (أبصر العوالم) بكسر اللام (من حيث فلكهم) أي تطور كل عالم وخاطبه بما يليق بفلكه المتعلق به (ومراتبهم) اللائقة بهم قربا وبعدا (وسقى كل واحد من كأسه وعلى قدر عقله فخاطب الكفار وهم آخر العوالم بما رأى

فى الطريق وما كان فى المسجد الاقصى عـلى العيان) بكسر العين المشاهدة حيث جلا الله له المسجد (وبما يعرفون لانهم فى فلك الاجسام حتى صدقوا بالاسراء) حقيقة وان لم يؤمنوا عنادا (ثم ارتقى حتى حدث عن فلك السماء وكذلك فى كل سماء حتى أخبر بما شاهد ورأى كل فلك وما يليق أن يحدث به أعنى أصحابه كلا على قدر مرتبته بلا ضيق ولا مزاحم الى السماء السابعة) وحاصل معنى كلامه انه صلى الله عليه وسلم رأى تلك الليلة ما تقصر العقول عن ادراكه فحدث أصحابه كلا بما يليق بمخاطبته وبمرتبته فاختلفت العبارات باختلاف أحوال المخاطبين مع كون المخبر عنه واحدا لا اختلاف فيه وانما نشأ الاختلاف من اختلاف العبارات التى اذى بها عليه السلام (ولما وصل مقام جبريل تحدث عن الافق المبين) البين وهو الاعلى (وعما فوق) الافق (الى الدنو) القرب (والى التدلى الى موضع الايحاء عند حضرة اسقاط السوى والخلق فأخبر بذلك أصحابه فمنهم من قال رأى جبريل بالافق المبين وبالافق الاعلى وصدق) لانه حدث بما أخبره به (ومنهم من قال برؤية الفؤاد) القلب (والبصيرة) لا البصر (وصدق وهى عائشة ومن معها) كابن مسعود فى الاشهر عنه (ومنهم من قال بعينى رأسه رأى) ربه تبارك وتعالى (وصدق فكل أخبر بما حدثه صلى الله عليه وسلم من مقامه وسقاه من كأسه وما يليق به) لكن قال الشامى من قال انه صلى الله عليه وسلم خاطب عائشة على قدر عقلها ومن حاول تخطئتها فيما ذهبت اليه فهو مخطئ قليل الادب انتهى (فاذا صح هذا المعراج عرفت الامر ومقامات الرؤية والقائلين بذلك واختلافهم) نفيا واثباتا ووقفا (وقولهم الجميع الحق انتهى) كلام المهدوى وحاول بذلك الجمع بين النفى والاثبات وقد يؤيده خبر حدثوا الناس بما يعرفون أتريدون أن يكذب الله ورسوله رواه الديلمى عن على رفعه وهو فى البخارى موقوف عليه وروى الحسن بن سفيان عن ابن عباس يرفعه أمرت أن أخاطب الناس على قدر عقولهم قال الحافظ وسنده ضعيف جدا لا موضوع (وممن أثبت الرؤية) أى رؤية الله تعالى (لنبينا صلى الله عليه وسلم الامام أحمد) بن حنبل (روى الخلال) بالخاء المعجمة نسبة الى الخل أبو محمد الحسن بن أبى طالب بن محمد بن الحسن البغدادى الحافظ الثقة صاحب التصانيف مات سنة تسع وثلاثين وأربعمائة (فى كتاب السنة عن) اسحق بن منصور بن بهرام الكوسج التميمى (المروزى) نزيل نيسابور أحد الائمة الحفاظ الثقات روى عنه الجماعة سوى أبى داود قال الخطيب كان فقيها عالما وهو الذى دون المسائل عن أحمد مات سنة احدى وخمسين ومائتين (قال قلت لاحمد) بن حنبل الامام (انهم يقولون ان عائشة قالت من زعم أن محمدا قد رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية) بكسر الفاء الكذب (فبأى) معنى يدفع) بتحتية مضمومة أو فوقية مفتوحة (قولها) بالرفع والنصب (قال بقول النبى صلى الله عليه وسلم رأيت ربى) أى ببصرى على الظاهر المتبادر (قول النبى صلى الله عليه وسلم أكبر) بموحدة أعظم وأجل (من قولها) فيقدم عليه اذ لا رأى لاحد مع نصه وهذا ظاهر فى أن أحمد كان يقول انه رآه ببصره قيل أن يسأل ويجيب لان عائشة تقول بأنه رآه بقلبه على ما مر فدفعه أحمد بالحديث حملا له على المتبادر

منه وحينئذ بطل الانكار المذكور بقوله (وقد أنكر صاحب الهدى) ابن القيم فيه (على من زعم أن أحمد قال رأى ربه بعينى رأسه قال وانما قال أحمد مرة رأى محمد ربه) وأطلق (وقال مرة) رآه (بفؤاده) فيحمل المطلق على المقيد (وحكى عنه بعض المتأخرين انه رأى ربه بعينى رأسه وهذا من تصرف الحاكى فان نصوصه) أى أحمد (موجودة وليس فيها انه رآه بعينى رأسه فالحاكى ذلك عنه من تصرفه (انتهى) لكن فى الشفاء ان عبد الله بن احمد حكى عن أبيه انه رآه وحكى النقاش عن أحمد بن حنبل انه قال أنا أقول بحديث ابن عباس انه رأى ربه بعينيه رآه رآه رآه حتى انقطع نفسه يعنى نفس أحمد وقال أبو عمر رآه بقلبه وجبن عن القول برؤيته فى الدنيا بالابصار انتهى وجمع بينهما بأنه قد يخفيه فى بعض المجالس (وقد رجح القرطبى فى المفهم بشرح مسلم قول الوقف فى هذه المسئلة) وهو قول سعيد بن جبير لا أقول رآه ولا لم يره (وعزاه لجماعة من المحققين وقواه بأنه ليس فى الباب دليل قاطع وغاية ما استدل به الطائفتان ظواهر متعارضة قابلة للتأويل) ونحوه قول عياض أواخر هذا المبحث من الشفاء لا مرية فى الجواز اذ ليس فى الآيات نص فى المنع بل هى مشيرة للجواز وأما وجوب وقوعها لنبينا صلى الله عليه وسلم والقول بأنه رآه بعينه فليس فيه قاطع أيضا ولا نص اذ المعول فيه على آيتى النجم والتنازع فيهما مأثور والاحتمال لهما ممكن ولا أثر قاطع متواتر عن النبى صلى الله عليه وسلم بذلك وحديث ابن عباس خبر عن اعتقاده ولم يسنده الى النبى صلى الله عليه وسلم فيجب العمل باعتقاد متضمنه من رؤيته ربه ومثله حديث أبى ذر فى تفسير الآية ثم قال فان ورد حديث نص بين فى الباب اعتقد ووجب المصير اليه اذ لا استحالة فيه ولا مانع قطعى يرده انتهى (قال) القرطبى (وليست المسئلة من العمليات فيكتفى فيها بالادلة الظنية وانما هى من المعتقدات فلا يكتفى فيها الا بالدليل القطعى) ورده السبكى فى السيف المسلول على من سب الرسول بأنه ليس من شرطه أن يكون قاطعا متواترا بل متى كان حديثا صحيحا ولو ظاهرا وهو من رواية الآحاد جاز أن يعتمد عليه فى ذلك لان ذلك ليس من مسائل الاعتقاد التى يشترط فيها القطع على انا لسنا مكلفين بذلك انتهى (والله أعلم) بالواقع من ذلك (وأما قوله فى الحديث) أى حديث مالك بن صعصعة الذى قدمه المصنف ثم تكلم عليه (ثم فرضت على الصلاة) بالافراد لابى ذر ولغيره الصلوات بالجمع (كل يوم خمسين صلاة ففى رواية ثابت البنانى) بضم الموحدة ونونين بينهما ألف (عن أنس عند مسلم ففرض الله على) فصرح بذكر الفاعل وان كان فى الاولى بنى للمفعول للعلم به (خمسين صلاة كل يوم وليلة) فأفاد أن المراد بيوم فى الرواية الاولى مع الليلة (ونحوه فى رواية مالك بن صعصعة عند البخارى أيضا) لا محل لذكر هذا الان رواية مالك هى التى أراد بقوله وأما قوله فى الحديث وهذا انما ذكره الحافظ فى قوله فى الصلاة قال النبى صلى الله عليه وسلم ففرض الله على أمتى خمسين صلاة فعارضه الحافظ بروايتى ثابت ومالك من جهة تصريحه فيهما بأن الفرض عليه وجمع الحافظ بقوله فيحتمل أن يقال فى كل من رواية الباب والرواية الاخرى اختصار (ويحتمل أن يقال ذكر الفرض عليه يستلزم

الفرض

الفرض على الامة وبالعكس الا ما يستثنى من خصائصه) وكان المصنف حذف احتماله الاول لانه لم يذكر رواية الصلاة لكنه بترك رواية الصلاة صار لا كبير فائدة فيه اذ رواية ثابت موافقة للرواية التى شرحها فيكون قوله ذكر الفرض عليه ضائعا (وفى حديث ثابت عن أنس عند مسلم) عقب قوله وليلة (فنزلت الى موسى فقال ما فرض ربك على أمتك) قال أولا فرض على وهنا على أمتك لان ما فرض على النبى فرض على أمته فهما احتباك وهو من أنواع البديع وهو أن يذكر شيئين يحذف من كل منهما ما ذكر فى الآخر فحذفه من الاول وعلى أمتى ومن الثانى عليك وهذا جمع ثالث ولم يقل موسى عليك لانه علل بعدم الطاقة وهى انما تنسب الى الامة لاله ففيه حسن أدب موسى فى الخطاب (قلت خمسين صلاة) تمييز (قال ارجع الى ربك) أى الى الموضع الذى ناجيته فيه (فاسأله التخفيف فان أمتك لا يطيقون) بضم أوله (ذلك) أى انه يشق عليهم فيقصرون فيه لانه محال حتى يقال انه مبنى على تكليف المحال وهو جائز وفائدته الاخذ فى مقدماته حتى يعلم امتثاله (فانى قد بلوت بنى اسرائيل) أى اختبرتهم بأن أمرتهم بما كلفوا به (وخبرتهم) أى علمت منهم عدم الوفاء بذلك فهو عطف مسبب على سبب يقال بلاه وابتلاه بخير أوشر بمعنى امتحنه وخبرت الشئ من باب قتل علمته واختبرته بمعنى امتحنته كما فى المصباح كذا مشاه شيخنا وقال غيره وخبرتهم عطف تفسير وهو واضح لان كونه بمعنى علم فى خبر لا اختبر فمعناه امتحن وفيه مقدر أى خبرتهم مع قوة أجسادهم وطول أعمارهم فلم أجد لهم صبرا على ذلك فكيف حال أمتك (قال) صلى الله عليه وسلم (فرجعت الى ربى فقلت يارب خفف عن أمتى) ما فرضته عليهم من الصلاة فحذف المفعول للعلم به وفى رواية شريك عن أنس قال أى موسى ان أمتك لا تستطيع ذلك فارجع فليخفف عنك ربك وعنهم فالتفت النبى صلى الله عليه وسلم الى جبريل كأنه يستشيره فى ذلك فأشار اليه جبريل أن نعم ان شئت فعلا به الى الجبار فقال وهو مكانه يارب خفف عنا فان أمتى لا تستطيع هذا (فحط عنى خمسا) منها وأصل معناه تنزيل الحمل فشبهه بالحمل تشبيها مكنيا كقوله لا تحملنا ما لا طاقة لنا به وفى رواية ابن صعصعة وأبى ذر وشريك فوضع (فرجعت الى موسى فقلت حط عنى خمسا فقال ان أمتك لا يطيقون ذلك فارجع الى ربك فاسأله التخفيف قال فلم أزل ارجع) أى أردد الرجوع وأكرره (بين ربى وبين موسى) أى بين موضع مناجاتى له تعالى وملاقاتى لموسى (حتى قال) تعالى لما انتهى التخفيف الى خمس (يا محمد انهن خمس صلوات كل يوم وليلة بكل صلاة عشر) فكل حسنة بعشر أمثالها (فتلك خمسون صلاة) وفى حديث أبى ذر هن خمس وهن خمسون لا يبدل القول لدى ومر فى حديث ابن صعصعة فوضع عنى عشرا ومثله لشريك وفى رواية أبى ذر فوضع شطرها قال ابن المنير ذكر الشطر أعم من كونه وقع دفعة واحدة أو فى مرار متعددة واذا ورد تفصيل واجمال حمل الاجمال على التفصيل فلا تعارض قال الحافظ وكذا العشر فكأنه وضع العشر فى دفعتين والشطر فى خمس دفعات أو المراد بالشطر البعض وقد حققت رواية ثابت أن التخفيف كان خمسا وهى زيادة معتمدة يتعين حمل باقى الروايات عليها وقال الكرمانى

الشطر وهو النصف ففي المراجعة الاولى وضع خمسا وعشرين وفي الثانية ثلاثة عشر يعني نصف الخمسة وعشرين بجبر الكسر وفي الثالثة سبعة كذا قال وليس في حديث أبي ذر في المراجعة الثالثة ذكر وضع شيء الا أن يقال حذف ذلك اختصارا فيتهيأ لكن الجمع بين الروايات يأبى هذا الحمل فالمعتمد ما تقدم انتهى قال الشامي ويؤيد رواية ثابت ما رواه ابن خزيمة في صحيحه والبيهقي وابن مردويه من حديث مالك بن صعصعة فحط عني خمسا وفيه فمازلت بين موسى وبين ربي يحط عني خمسا خمسا انتهى والظاهر أن هذه رواية شاذة وان صح اسنادها فالثابت في الصحيحين والنسائي ومسند أحمد من حديث مالك بن صعصعة فوضع عني عشرا وقدم المؤلف لفظه (ومن هم بحسنة) أي أراد فعلها مصمما عليه (فلم يعملها كتبت له حسنة) أي كتبت له الحسنة التي هم بها ولم يعملها كتابة واحدة لان الهم سببها وسبب الخير (فان عملها كتبت له عشرا) لان الحسنة بعشر أمثالها (ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب شيأ) أي اذا لم يصمم على الفعل كما هو مذكور في محله وفي الفتح استثنى جماعة ممن ذهب الى عدم مؤاخذة من وقع منه الهم بالمعصية ما يقع في الحرم المكي ولو لم يصمم لقوله تعالى ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب أليم ذكره السدي في تفسيره عن مرة عن ابن مسعود وأخرجه أحمد من طريقه مرفوعا ومنهم من رجح وقفه (فان عملها كتبت سيئة واحدة) قال في الفتح استثنى بعض العلماء وقوع المعصية في الحرم المكي قال اسحق بن منصور قلنا لاحمد هل ورد في شيء من الحديث أن السيئة تكتب بأكثر من واحدة قال لا ما سمعت الا بمكة لتعظيم البلد والجمهور على التعميم في الازمنة والامكنة لكن قد تتفاوت بالعظم ولا يرد على ذلك قوله تعالى من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين لان ذلك ورد تعظيما لحق النبي صلى الله عليه وسلم لان وقوع ذلك من نسائه يقتضي أمرا زائدا على الفاحشة وهو أذاه صلى الله عليه وسلم واستدل به على أن الحفظة لا تكتب المباح للتقييد بالحسنات والسيئات وأجاب بعض الشراح بأن بعض الائمة عد المباح من الحسن وتعقب بأن الكلام فيما يترتب على فعله حسنة وليس المباح ولو سمي حسنا كذلك نعم قد تكتب حسنة بالنية وليس البحث فيه (قال) صلى الله عليه وسلم (فنزلت حتى انتهيت) أي انتهى سيري فوصلت (الى موسى) ولم يقل انتهيت قبل هذا وقاله هنا اشارة الى انه تمام المراجعة ولا مراجعة بعده (فأخبرته) بما قال الله (فقال ارجع الى ربك فاسأله التخفيف) من الخمس (فقلت لقد راجعت ربي) مرارا في سؤال التخفيف (حتى استحييت منه) زاد في حديث ابن صعصعة ولكن أرضى وأسلم وفي رواية شريك عن أنس قال صلى الله عليه وسلم يا موسى قد والله استحييت من ربي مما اختلفت اليه قال ابن المنير هنا نكتة لطيفة وهي انه يحتمل انه صلى الله عليه وسلم تفرس من كون التخفيف وقع خمسا خمسا انه لو سأل التخفيف بعد أن صارت خمسا لكان سائلا في دفعها فلذلك استحيا قال الحافظ ودلت مراجعته صلى الله عليه وسلم لربه في طلب التخفيف في تلك المرات كلها أنه علم أن الامر في كل مرة ليس على سبيل الالزام بخلاف المرة الاخيرة ففيها ما يشعر بذلك لقوله تعالى

مايدل

ما يدل القول له* ويحتمل أن يكون سبب الاستحياء أن العشرة آخر جمع القلة وأول جمع الكثرة فخشى أن يدخل فى الالحاح فى السؤال لكن الالحاح فى الطلب من الله مطلوب فكأنه خشى من عدم القيام بالشكر وسيأتى فى التوحيد زيادة فى هذا وفتح البارى (وفى رواية النسائى) من طريق يزيد بن أبى مالك (عن أنس فقيل لى انى يوم خلقت السموات والارض فرضت عليك وعلى أمتك خمسين صلاة) كل يوم وليلة (فقم بها أنت وأمتك وذكر مراجعته مع موسى وفيه فانه فرض على بنى اسرائيل صلاتان فما قاموا بهما) هذا هو الصواب وما وقع فى البيضاوى انه فرض عليهم خمسون صلاة فى اليوم والليلة فقال السيوطى هذا غلط فلم يفرض على بنى اسرائيل خمسون صلاة قط بل ولا خمس صلوات ولم تجمع الخمس الا لهذه الامة وانما فرض على بنى اسرائيل صلاتان فقط كما فى الحديث انتهى (وقال فى آخره خمس بخمسين فقم بها أنت وأمتك قال فعرفت انها عزمة) أى طلب جازم لا يتغير وان سألت (من الله فرجعت الى موسى فقال ارجع فلم أرجع) فهذا صريح فى أن عدم رجوعه لانه فهم أن الامر للالزام لا لمجرد الفراسة (فان قلت لم قال موسى عليه السلام لنبينا صلى الله عليه وسلم ان أمتك لا يطيقون ذلك ولم يقل انك وأمتك لا تطيقون) أى ما الحكمة فى قصر العجز على الامة دونه (أجيب بأن العجز مقصور على الامة لا يتعداهم الى النبى صلى الله عليه وسلم فهو لما رزقه الله من الكمال يطيق ذلك وأكثر منه وكيف لا) يكون ذلك (وقد جعلت قرة عينه) فرحها وسرورها (فى الصلاة) ذات الركوع والسجود لانها محل المناجاة ومعدن المصافاة والقول بأن المراد صلاة الله وملائكته منع بأن السياق يأباه (قال العارف ابن أبى جمرة والحكمة فى تخصيص فرض الصلاة بليلة الاسراء انه صلى الله عليه وسلم لما عرج به رأى فى تلك الليلة تعبد الملائكة وأن منهم القائم فلا يقعد والراكع فلا يسجد والساجد فلا يقعد) أى لا يرفع رأسه منه أبدا (فجمع الله له ولامته تلك العبادات) ليعلمه بما أكرمه به من ان ما رآه من عبادة الملائكة جمع له ولامته (فى ركعة واحدة يصليها العبد بشرائطها من الطمأنينة والاخلاص) وقال ابن أبى جمرة أيضا فى اختصاص فرضها بليلة الاسراء اشارة الى عظم شأنها فلذلك اختص فرضها بكونها بغير واسطة بل بمراجعات تعددت على ما سبق بيانه (وقد وقع من موسى عليه السلام من العناية بهذه الامة فى أمر الصلاة ما لم يقع لغيره ووقعت الاشارة لذلك فى حديث أبى هريرة عند الطبرى والبزار قال صلى الله عليه وسلم كان موسى أشدهم على حين مررت) يشير الى نحو قوله فلما تجاوزت بكى قيل ما يبكيك قال لان غلاما بعث من بعدى يدخل الجنة من أمته أكثر ممن يدخلها من أمتى وغير ذلك مما تقدم فى المتن (وخيرهم لى حين رجعت) لشفقته على أمتى (وفى حديث أبى سعيد الخدرى عند البيهقى وغيره) (فأقبلت راجعا فررت بموسى ونعم الصاحب كان لكم) لامره لى بسؤال التخفيف عنكم كما أفاده بقوله (فسألنى كم فرض عليك ربك الحديث) فى المراجعة والقصد منه قوله ونعم الصاحب كان لكم (قال السهيلى وأما اعتناء موسى عليه السلام بهذه الامة والحاحه على نبيها أن يشفع لها ويسأل التخفيف عنها) فى الصلاة

(فقوله) أى موسى ونسخة تعالى من جهل النساخ ولاذكرلها فى الروض (والله أعلم حين قضى) أوحى (الامر اليه) بالرسالة الى فرعون وقومه (بجانب) الجبل أو الوادى أو المكان (الغربى) من موسى حين المناجاة (ورأى صفات أمة محمد صلى الله عليه وسلم فى الالواح وجعل يقول انى أجد فى الالواح أمة صفتهم كذا) مقول القول (اللهم اجعلهم أمتى فيقال له تلك أمة أحمد وهو حديث مشهور) فى التفاسير كما فى الروض زاد المصنف (وقد تقدم ذكره فى خصائص هذه الامة قال) السهيلى (فكان اشفاقه) أى حنوه وعطفه (عليهم واعتناؤه بأمرهم كما يعتنى بالقوم من هو منهم لقوله اللهم اجعلنى منهم انتهى) أحسن الحافظ تلخيصه بقوله وذكر السهيلى أن الحكمة فى ذلك أنه رأى فى مناجاته صفة أمة محمد فدعا الله أن يجعله منهم فكان اشفاقه عليهم كعناية من هو منهم انتهى (وقال القرطبى الحكمة فى تخصيص موسى بمراجعة النبى صلى الله عليه وسلم فى أمر الصلوات يحتمل أن تكون لكون أمة موسى عليه السلام كلفت من الصلوات مالم يكلف به غيرها من الامم قبلها فثقلت عليهم) ورد أن بنى اسرائيل كلفوا ركعتين بالغداة وركعتين بالعشى قيل وركعتين عند الزوال فما قاموا بما كلفوا به (فأشفق موسى على أمة محمد من مثل ذلك) قال ابن المنير أكثر الامة يغلب عليه التفريط فى الصلوات الخمس خصوصا النساء وكثير من المصلين مفرط فى الشروط غير موف بالحقوق فكان ذلك من آثار فراسة موسى فيهم لقوله للمصطفى وقد رجع الفرض الى الخمس ارجع الى ربك فاسأله التخفيف ولم يرد صلى الله عليه وسلم فراسة موسى ولكن قال استحييت وفى لفظ أرضى وأسلم (و يشير اليه قوله فى جربت) من التجربة وفى رواية خبرت (الناس قبلك) قال ابن أبى جمرة فيه أن التجربة أقوى من المعرفة الكثيرة لقول موسى للمصطفى انه عالج الناس قبله وجربهم وفيه تحكيم العادة والتنبيه بالاعلى على الادنى لان من سلف من الامم كانوا أقوى أبدانا من هذه الامة وقد قال موسى انه عالجهم على أقل فما وافقوه انتهى بحروفه زاد فى الفتح وقال غيره لعل الحكمة من جهة أنه ليس فى الانبياء من له اتباع أكثر من موسى ولا له كتاب أكبر ولا أجمع للاحكام من كتابه فكان من هذه الجهة مضاهيا للنبى صلى الله عليه وسلم فناسب أن يتمنى أن يكون له مثل ما أنعم به عليه من غير أن يريد زواله عنه وناسب أن يطلعه على ما وقع له وينصحه فيما يتعلق به ويحتمل أن موسى لما وقع له فى الابتداء الاسف على نقص حظ أمته بالنسبة لامة محمد حتى تمنى أن يكون منهم استدرك ذلك ببذل النصيحة لهم والشفقة عليهم ليزيل ما عساه أن يتوهم عليه فيما وقع منه فى الابتداء (ووقع فى كلام بعض أهل الاشارات) أى الصوفية فى حكمة ذلك أنه (لما تمكنت نار المحبة من قلب موسى عليه السلام أضاءت له أنوار نور الطور فأسرع اليها المقتبس) يأخذ القبس وهو شعلة فى رأس فتيلة أو عود (فاحتبس فلما نودى من النادى) انى أنا الله (اشتاق الى المنادى فكان يطوف فى بنى اسرائيل) قائلا (من يحملنى رسالة الى ربى ومراده أن تطول مناجاته مع الحبيب) أى الله (فلما مر عليه النبى صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج) وعلم أن الله اتخذه حبيبا (ردده فى أمر الصلوات ليسعد برؤية حبيب

الحبيب

الحبيب) سواء قيل انه رآه أم لا (وقال آخر) من الصوفية أيضا (لما سأل موسى عليه السلام الرؤية ولم تحصل له البغية) بكسر الباء وضمها لغة أى الحاجة التى طلبها (بقى الشوق يقلقه) يزعجه (والامل) الرجاء (يعلله) أى يشغله بما يرجاه فيسهل عليه الامر ويتسلى بما يترجاه (فلما تحقق أن سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم منح الرؤية) لله سبحانه (وفتح له باب المزية أكثر السؤال) أى قصد بتكرير رجوعه (ليسعد برؤية) أى تكرار رؤية (من قد رأى) قال الحافظ ويحتاج الى ثبوت تجديد الرؤية فى كل مرة انتهى أى فانها ماثبتت سوى مرة مع قوة الخلاف وتعقب بأن محبته لرؤية من رأى لاتتوقف على تجددها اذ يكفى علمه بأنه رآه مرة واحدة لعلمه انه حصل له بها مالم يحصل لغيره فيحمله ذلك على محبة رؤيته ومخاطبته ويكررها بل مثله يحمل على محبة الاتصال به بحيث يود أن لايفارقه لحظة ويؤيده قوله

وأشرب الماء مابى نحوه عطش * الالان عيونى سيل واديها

(كما قيل وأستنشق الارواح) جمع روح بالفتح وهو نسيم الريح (من نحو أرضكم * لعلى أراكم أو أرى من يراكم) فكلاهما محبوب (وأنشد) أسأل (من لاقيت عنكم عساكم *) تجودون) تسمعون (لى بالعطف) الحنو والشفقة (منكم عساكم) تأكيد لفظى للتقوية وفيه تجريد الفعل بعد عسى من أن وهو قليل (فأنتم حياتى ان حييت وان أمت *) بهواكم (فيا حبذا ان مت عبد هواكم) لانه غاية السعادة (وقال آخر

وانما السر فى موسى يردده * ليجتلى حسن ليلى حين يشهده
يبدو سناها على وجه الرسول فيا * لله در رسول حين أشهده

وقال اخر) من الصوفية فى حكمة ذلك (لما جلس الحبيب) المصطفى (فى مقام القرب) أى الموضع الذى حصلت فيه المناجاة لربه الذى لم يصل اليه ملك مقرب ولانبى مرسل سواه (دارت عليه كؤوس الحب) حيث قال له اتخذتك حبيبا (ثم عاد وهلال) واحد الاهلة (ما كذب الفؤاد ما رأى بين عينيه وبشر) بكسر الموحدة وسكون المعجمة (فأوحى الى عبده ما أوحى ملء قلبه وأذنيه فلما اجتاز بموسى عليه السلام قال لسان حاله لنبينا صلى الله عليه وسلم

ياواردا من أهيل الحى يخبرنى * عن جيرتى شنف الاسماع بالخبر
ناشدتك الله ياراوى حديثهم * حدث فقد ناب سمعى اليوم عن بصرى)

شنف الاسماع أى قرطها بخبر الاحباب وسرها أى أصحابها بذلك مأخوذ من شنف الجارية اذا جعل لها شنفا وهو مايعلق فى أعلى الاذن (فأجاب لسان حال نبينا صلى الله عليه وسلم) بقول ابن الفارض

(ولقد خلوت مع الحبيب وبيننا * سر أرق من النسيم اذا سرى
وأباح طرفى نظرة أملتها * فغدوت معروفا وكنت منكرا)

وحاصل هذا أن حكمة ترديده ليعلم ما أوحى اليه فأشير للجواب بأنه من السر الذى لايفشى ثم هى حكم لاتتزاحم (فكل قوم يلحظون مذهبهم وقد علم كل أناس مشربهم) موضع شربهم

فلا يشاركهم غيرهم فيه (والله تعالى بفضله واحسانه والى انسجام سحائب عفوه ورضوانه على العارف الربانى" الشيخ) محمد بن الحسين بن محمد بن موسى (أبى عبد الرحمن السلمى") بضم السين وفتح اللام نسبة الى جدله اسمه سليم الازدى" النيسابورى" الصوفى" سمع الاصم" وغيره وسأل الدارقطنى" عن الرجال سؤال عارف بالحديث وعنه القشيرى والبيهقى" والحاكم ومات قبله بسبع سنين وكان حافظا عالما زاهدا ثقة ولاعبرة بمن قال كان يضع للصوفية الاحاديث ولد سنة ثلاثين وثلثمائة قال الذهبى كان وافر الجلالة وتصانيفه قيل نحو ألف مات ثالث شعبان سنة اثنتى عشرة وأربعمائة بنيسابور (فلقد أجاد اذ أفاد بما أفرده من لطائف المعراج حسبما جمعه من كلام أهل الاشارات بأقوم منهاج) اى طريق قال ابن أبى جمرة والحكمة فى أن ابراهيم لم يتكلم فى طلب التخفيف أن مقام الخلة انما هو الرضا والتسليم والكلام فى هذا الشأن ينافى ذلك المقام وموسى هو الكليم والكليم أعطى الادلال والانبساط ومن ثم استبد موسى بأمر النبى" صلى الله عليه وسلم بطلب التخفيف دون ابراهيم مع أن للمصطفى من الاختصاص بابراهيم أزيد مماله من موسى لمقام الابوة ورفعة المنزلة والاتباع فى الملة" وقال غيره الحكمة فى ذلك ما أشار اليه موسى فى نفس الحديث من سبقه الى معالجة قومه فى هذه العبادة بعينها وأنهم خالفوه وعصوه قال القرطبى" وأما قول من قال ان موسى أول من لاقاه بعد الهبوط فلا يصح لان حديث مالك بن صعصعة انه رآه فى السادسة وابراهيم فى السابعة أقوى اسنادا من حديث شريك أنه رأى موسى فى السابعة قال الحافظ اذا جمعنا بينهما بأنه لقيه فى الصعود فى السادسة وصعد معه الى السابعة فلقيه فيها بعد الهبوط ارتفع الاشكال وبطل الرد (وقد استدل العلماء بقوله فى الحديث) السابق قريبا من رواية ثابت عن أنس عند مسلم (انهن خمس صلوات كل يوم وليلة بكل صلاة عشر فتلك خمسون) صلاة ونحوه حديث أبى ذر" هن خمس وهن خمسون لايبدل القول لدى" وفى رواية شريك كل حسنة بعشر أمثالها فهى خمسون فى أم الكتاب وهى خمس عليك أى وعلى أمتك (على عدم فرضية مازاد على الصلوات الخمس كالوتر) خلافا لمن قال به (وعلى دخول النسخ قبل الفعل) كذا فى النسخ وصوابه على جواز أوفيه سقط فلفظ فتح البارى وعلى دخول النسخ فى الانشاءات ولو كانت مؤكدة خلافا لقوم فيما أكد وعلى جواز النسخ قبل الفعل (قال ابن بطال وغيره ألا ترى أنه عزوجل نسخ الخمسين بالخمس قبل أن تصلى ثم تفضل عليهم بأن أكمل لهم الثواب وتعقبه ابن المنير فقال هذا ذكره طوائف من الاصوليين والشراح وغيرهم وهو مشكل على من أثبت النسخ قبل الفعل كالاشاعرة) بناء على قولهم بجواز بل وقوع التكليف بمالا يستطاع لان الافعال كلها مخلوقة لله تعالى والعبد مطالب بما لا يقدر على ايجاده ولايقدر على احرازه لقوله والله خلقكم وما تعملون (أو منعه كالمعتزلة) جريا على قولهم العبد يخلق فعل نفسه ويوجد طاعة ربه باستطاعته فلا يتصور التكليف عندهم بما لا يستطاع فلا يتصور النسخ قبل التمكن من الفعل (لكونهم اتفقوا جميعا على أن النسخ لا يتصور قبل البلاغ) قال المصنف وتعقب بأن الخلاف مأثور

نص عليه ابن دقيق العيد فى شرح العمدة وغيره (وحديث الاسراء وقع فيه النسخ قبل البلاغ فهو مشكل عليهم جميعا قال) ابن المنير (وهذه نكتة مبتكرة انتهى) وتعقبه الحافظ وتبعه المصنف بقوله (فان أراد قبل البلاغ لكل أحد فممنوع) لان ذلك بلغ النبى صلى الله عليه وسلم (وان أراد قبل البلاغ الى بعض الامة) صوابه اسقاط بعض كما فى الفتح (فمسلم لكن قد يقال هو بالنسبة اليهم ليس نسخا لكن هو نسخ بالنسبة الى النبى صلى الله عليه وسلم لانه كلف بذلك قطعا ثم نسخ بعد أن بلغه وقبل أن يفعله فالمسئلة صحيحة التصور فى حقه صلى الله عليه وسلم) وهذا الاستدراك انما هو ايضاح لما قبله لكن التعقب على ابن المنير بهذا فيه نظر لانه ذكر فى معراجه الجواب بتصور النسخ فى حق النبى صلى الله عليه وسلم وقال هذا جواب ضعيف بل كان التكليف عاما لقول موسى ان أمتك لا تطيق ذلك وسله التخفيف لامتك ويجوز أن التكليف كان عليه خاصة لرواية فرض على خمسين صلاة لكنه فهم أن الامة تدخل بعد وكذا فهم موسى فراجعه فى التخفيف وكذا كل تكليف يتقدم فيه الرسول على الامة تتقدم زمانيا لانه يبلغه عن الله قبل أن يبلغهم منه ولذا قال وأنا أول المسلمين فيه نظر لانه لو فهم دخولهم لدخلوا ضرورة اذ فهمه صواب قطعا فيعود الاشكال لانه اختص بالتكليف ثم التخفيف ثم كانت الامة بالتخفيف لا بالاصل فلم يدخلوا فيه البتة فالاحسن الجواب بأنه عام فى حقه وحقهم والتخفيف أيضا عام وانما صح النسخ فى حق الامة لان الاسلام يوجب على كل مسلم الدخول فى فروعه وشرائعه فكل من آمن فى حياته عليه السلام آمن على أن ثم تكاليف منها ما نزل مبينا بكل وجه وما نزل مجملا من وجه مبينا من وجه وما لم ينزل وسينزل والتزام الاسلام شامل للجميع فكما يجوز النسخ بعد البلاغ وفيه نوع اجمال كذلك يجوز قبل البلاغ لانه دخل عليه بالالتزام العام ولا فرق بين اجمال واجمال وأكثر الفرائض انما وجب مجملا ثم بين وقت الحاجة كالصلاة والزكاة لم يقترن بأول وجوبها ذكر أعدادها ولا أوقاتها ولا شرائطها انتهى ملخصا (ولما رجع صلى الله عليه وسلم من سفر الاسراء مر) فى بعض طريقه (بعير) بكسر العين ابل باحمالها (لقريش تحمل طعاما فيها جمل يحمل غرارتين) تثنية غرارة وهى الجوالق بجيم مضمومة فواو فألف فقاف فاخرج (غرارة سوداء وغرارة بيضاء فلما حاذى العير نفرت منه واستدارت) أى دار بعضها ببعض من النفرة (وانصرع ذلك البعير) وانكسر رواه ابن أبى حاتم عن أنس (وفى رواية) له أيضا عنه (ومر بعير) ابل (قد أضلوا بعيرا) أى واحدا وهو ناقة والبعير يقع على الذكر والانثى (لهم قد جمعه فلان) أى أتى به قال المجد الجمع كالمنع تأليف المفترق (قال صلى الله عليه وسلم فسلمت عليهم فقال بعضهم هذا صوت محمد) لانه سلم عليهم كما فى الرواية (ثم أتى محمد) صلى الله عليه وسلم (مكة قبل الصبح وأخبر قومه بما رأى وقال لهم ان من آية ما أقول لكم أنى مررت بعير لكم فى مكان كذا وكذا) أى بالروحاء كما فى حديث أم هانئ (وقد أضلوا بعيرا لهم قد جمعه فلان) لرجل سماه فنسى الراوى اسمه (وان مسيرهم ينزلون بمكان كذا وكذا ويأتونكم يوم كذا وكذا يقدمهم) بضم الدال كقوله

تعالى يقدم قومه والماضي بفتحها (جمل آدم) بفتح الهمزة والمد وفتح الدال وأصله أأدم بهمزتين أبدلت الثانية ألفا أي شديد السواد والناقة أدماء كما في الصحاح (وعليه مسح اسود وغرارتان) وفي رواية أبي يعلى قالوا فأخبرنا عن عدتها وما فيها من الرعاة قال وكنت عن عدتها مشغولا ثم قام فأتى الابل فعدها وعلم ما فيها من الرعاة ثم أتى قريشا فقال هي كذا وكذا وفيها من الرعاة فلان وفلان فكان كما قال (فلما كان ذلك اليوم) الذي قال انهم يأتون فيه (أشرف الناس ينظرون حتى اذا كان قريب من نصف النهار أقبلت العير يقدمهم ذلك الجمل كما وصف عليه السلام وفي رواية) للبيهقي عن يونس ابن بكير وعن اسمعيل السدي (سألوه آية فأخبرهم بقدوم العير يوم الاربعاء فلما كان ذلك اليوم لم يقدموا حتى كادت الشمس أن تغرب فدعا الله تعالى فحبس الشمس حتى قدموا كما وصف) وهو مخالف للرواية فوقه انها أقبلت قرب نصف النهار ولا خلاف لانه مر بعيرين بل بثلاثة فكان احداها تأخرت وقد روى الطبراني وابن مردوية عن أم هانئ قالوا أخبرنا عن عيرنا فقال أتيت على عير بني فلان بالروحاء قد ضلوا ناقة لهم فانطلقوا في طلبها فانتهيت الى رحالهم فليس بها منهم أحد واذا قدح ماء فشربت منه ثم انتهيت الى عير بني فلان فيها جمل عليه غرارتان غرارة سوداء وغرارة بيضاء فلما حاذيت العير نفرت وصرع ذلك البعير وانكسر ثم انتهيت الى عير بني فلان في التنعيم يقدمهم جمل أورق عليه مسح اسود وغرارتان سوداوان وها هي ذه تطلع عليكم من الثنية فاستقبلوا الابل فقالوا هل ضل لكم بعير قالوا نعم فسألوا العير الآخر فقالوا هل انكسر لكم ناقة حمراء قالوا نعم قالوا فهل كان عندكم قصعة من ماء فقال رجل أنا والله وضعتها فما شربها أحد منا ولا أهريقت في الارض زاد أبو يعلى وابن عساكر فرموه بالسحر وقالوا صدق الوليد فأنزل الله تعالى وما جعلنا الرؤيا التي أريناك الا فتنة للناس (وعن عائشة لما أسرى بالنبي صلى الله عليه وسلم الى المسجد الاقصى أصبح يحدث الناس بذلك فارتد ناس كانوا آمنوا) لانهم استبعدوا وقوع ذلك بالشقاوة التي كتبت عليهم وفي حديث ابن عباس عند أحمد والبزار باسناد حسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما كان ليلة أسرى بي وأصبحت بمكة مر بي عدو الله أبو جهل فقال هل كان من شئ قلت اني أسرى بي الليلة الى بيت المقدس قال ثم أصبحت بين أظهرنا قلت نعم قال فان دعوت قومك أتحدثهم بذلك قلت نعم قال يا معشر بني كعب بن لؤي فانقضت اليه المجالس فقال حدث قومك بما حدثتني فحدثتهم فمن بين مصفق ومن بين واضع يده على رأسه متعجبا (وسعى رجال من المشركين الى أبي بكر فقالوا هل الى صاحبك يزعم انه أسرى به الليلة الى بيت المقدس قال وقد قال ذلك قالوا نعم) وفي رواية ابن اسحق فقال لهم أبو بكر انكم لتكذبون عليه قالوا بل ها هو ذا في المسجد يحدث به الناس (قال لئن قال ذلك لقد صدق) أي لئن تحققتم قوله ذلك فحققوا انه قد صدق لانكم تعلمون انه لا يكذب فأتى باللام وقد زيادة في تحقق صدقه (قالوا أتصدقه انه ذهب الى بيت المقدس وجاء قبل أن يصبح فقال نعم اني لاصدقه فيما هو أبعد من ذلك) وأزال توهم قصر البعد على الارض بقوله (أصدقه في خبر السماء في غدوة) بضم الغين ما بين طلوع

الفجر وطلوع الشمس (أو روحة) اسم للوقت من الزوال للغروب (فلذلك سمى الصديق رواه الحاكم فى المستدرك) من حديث عائشة (وابن اسحق) من حديث الحسن البصرى مرسلا (وزاد ثم أقبل حتى انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يانبى الله أحدثت) بهمزة الاستفهام وتاء الخطاب كما هو فى ابن اسحق (هؤلاء) القوم بز(أنك جئت بيت المقدس هذه الليلة قال نعم) حدثتهم (فقال يانبى الله صفه لى فانى قد جئته قال الحسن) البصرى (فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فرفع لى المسجد حتى نظرت اليه فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يصفه لابى بكر فيقول أبو بكر صدقت أشهد أنك رسول الله كلما وصف له منه شيأ) قال صدقت أشهد أنك رسول الله حتى انتهى قال صلى الله عليه وسلم وأنت ياأبا بكر الصديق فيومئذ سماه الصديق وأنزل الله وما جعلنا الرؤيا الآية هذا بقيته فى ابن اسحق (وقول أبى بكر صفه لى لم يكن عن شك فانه صدقه من أول وهلة ولكنه أراد اظهار صدقه عليه الصلاة والسلام لقومه فانهم كانوا يثقون) بمثلثة من الوثوق (بأبى بكر فاذا طابق خبره عليه السلام ما كان يعلم أبو بكر وصدقه كان حجة ظاهرة عليهم وفى رواية البخارى) ومسلم كلاهما عن جابر أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لما كذبنى قريش قمت فى الحجر (فجلى) بجيم وتخفيف اللام ولابى ذر عن الكشميهنى بتشديدها (الله لى بيت المقدس) فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر اليه هذا بقيته فى البخارى ومسلم وقوله فجلى (أى كشف الحجب بينى وبينه حتى رأيته) والمسجد فى مكانه (وفى رواية مسلم) عن أبى هريرة رفعه لقد رأيتنى فى الحجر وقريش تسألنى عن مسراى (فسألنى عن أشياء) من بيت المقدس (لم أثبتها) أى لم أعرفها حق المعرفة (فكربت) بضم الكاف وكسر الراء من الكرب وهو الغم الذى يأخذ النفس لشدته (كربا شديدا) وفى رواية كربة بضم الكاف وسكون الراء (لم أكرب مثله) بتذكير الضمير عائدا على معنى كربة على روايتها وهو الغم والهم أو الشئ (قط فرفعه الله لى أنظر اليه مايسألونى عن شئ الا أنبأتهم) أخبرتهم (به فيحتمل أن يكون حمل الى أن وضع بحيث يراه ثم أعيد ففى حديث ابن عباس عند أحمد والبزار فجئ بالمسجد وأنا أنظر اليه حتى وضع عند دار عقيل فنعته وأنا أنظر اليه) قال الحافظ وهذا يقتضى أنه أزيل من مكانه حتى أحضر اليه وما ذلك فى قدرة الله بعزيز (وهذا أبلغ فى المعجزة) من كشفه له عن المسجد وهو فى مكانه (ولا استحالة فيه فقد أحضر عرش بلقيس فى طرفة عين) لسليمان (وأما ما وقع فى حديث أم هانئ عند ابن سعد فخيل الى بيت المقدس وطفقت) بكسر الفاء وسكون القاف (أخبرهم عن آياته) علاماته (فان ثبت) لفظ خيل زاد الحافظ ولم يكن مغيرا من قوله فجلى (احتمل أن يكون المراد مثل قريبا منه كما قيل فى حديث أريت الجنة والنار ويؤول قوله فى حديث ابن عباس جئ بالمسجد أى جئ بمثاله) زاد الحافظ ويؤيد الاحتمال الاول أى تفسير جلى بكشف حديث شداد بن أوس عند البزار والطبرانى ففيه ثم أتيت أصحابى قبل الصبح بمكة فأتانى أبو بكر فقال أين كنت الليلة قلت انى أتيت بيت المقدس فقال انه مسيرة شهر فصفه لى قال ففتح لى شراك كأنى أنظر اليه

لا يسألني عن شئ الا أنبأته عنه (وفي حديث أم هانئ المذكور انهم قالوا له كم للمسجد من باب قال ولم أكن عددتها قال فجعلت أنظر اليه وأعدها بابا بابا) أي بعد باب (وعند أبي يعلى) من حديث أم هانئ (ان الذي سأله) صلى الله عليه وسلم (عن صفة بيت المقدس هو المطعم بن عدي) الميت على كفره (والد جبير) بضم الجيم (ابن مطعم) النوفلي الصحابي الشهير ولا تنافي فانه سأله استهزاءا وأبو بكر ارادة لأن يصدقه قومه وقد علم الصديق أنه ان لم يكن أثبته تلك الليلة فالله يطلعه عليه ثم لا ينافي اسناد السؤال الى المطعم رواية من روى أن الكفار قالوا يا محمد صف لنا بيت المقدس كيف بناؤه وكيف هيئته وكيف قربه من الجبل فذهب ينعت لهم بناؤه كذا وهيئته كذا وقربه من الجبل كذا فقال القوم أما النعت فوالله لقد أصاب لاحتمال أن المطعم هو الذي ابتدأ سؤاله من المشركين كما أنه الذي تولى كبر التكذيب يومئذ روى أبو يعلى وغيره عن أم هانئ انه صلى الله عليه وسلم لما أخبرهم بالاسراء الى بيت المقدس ضجوا وأعظموا ذلك فقال المطعم بن عدي كل أمرك قبل اليوم كان أمما غير قولك اليوم انا أشهد أنك كاذب نحن نضرب أكباد الابل مصعدا شهرا ومنحدرا شهرا تزعم أنك قد أتيته في ليلة واللات والعزى لا أصدقك فقال أبو بكر يا مطعم بئس ما قلت لابن أخيك جبهته وكذبته أنا أشهد أنه صادق (وأشار ابن أبي جمرة الى أن الحكمة في الاسراء الى بيت المقدس اظهار الحق للمعاند) الذي يريد اخماد الحق (لانه لو عرج به من مكة الى السماء لم يجد لمعاندة الاعداء سبيلا الى البيان والايضاح حيث سألوه عن جزئيات) تتعلق بالاسراء ومنها بقوله (من) سؤالهم عن صفة (بيت المقدس) حتى أبوابه عن عدتها (كانوا رأوها وعلموا انه لم يكن رآها قبل ذلك فلما أخبرهم بها حصل التحقيق أنه أسري به الى بيت المقدس) وان أصروا على التكذيب فلمحض العناد (واذا صح البعض لزم تصحيح الباقي فكان ذلك سببا لقوة ايمان المؤمنين وزيادة في شقاء من عاند وجحد من الكافرين) أصلا وارتداد وثم حكم أخر ولا تتزاحم (والله أعلم) بحقيقة الحكمة في ذلك وقد اقتصر المصنف في الاسراء والمعراج على الزبد التي ذكرها لان مرامه الاختصار والافعلوم ما فيه من التصانيف المبسوطة التي لو جمعت واختصرت كانت عدة أسفار كبار

(* المقصد السادس في) بيان (ما ورد في آي التنزيل من عظم قدره) بيان لما أي بيان مقداره وشرف رتبته (ورفعة) أي اعلاء (ذكره) بين الناس بأمرهم بالثناء عليه نبيه وقرن اسمه باسمه محمد رسول الله وجعل طاعته طاعته من يطع الرسول فقد أطاع الله وخطابه بالالقاب يا أيها النبي يا أيها الرسول (وشهادته له) أي اخباره والشهادة خبر قاطع كما في القاموس (بصدق نبوته) أي بوجودها وتحققها في نفسها التحقق انها وحي من الله أو المراد بصدقه عليه السلام في دعواها ومن ذلك قوله تعالى انا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا وقوله يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وقوله ولكن رسول الله وخاتم النبيين وقوله يا أيها النبي انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا فجعله شاهدا على أمته بابلاغهم الرسالة وهذا من خصائصه ومبشرا

له بأمرهم في بعض النسخ
.فه اه

لاهل الطاعة ونذيرا لاهل المعصية وداعيا الى توحيد الله وسراجا منيرا يهتدى به للحق (وثبوت بعثته) كالدليل على تحقق نبوته (وقسمه تعالى على تحقيق رسالته) بنحو يس والقرآن الحكيم انك لمن المرسلين على صراط مستقيم (وعلو منصبه) حسبه وشرفه (الجليل) العظيم (ومكانته) عظمته يقال مكن فلان مكانة بزنة ضخم ضخامة عظم وارتفع فهو مكين أو استقامته يقال الناس على مكانتهم أى على استقامتهم (ووجوب طاعته) بنحو يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول (واتباع سنته) طريقته بنحو قوله قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله وقوله لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة وما آتاكم الرسول فخذوه ومانهاكم عنه فانتهوا (وأخذه تعالى له الميثاق على سائر) أى جميع (النبيين فضلا) أى احسانا (ومنة) أى انعاما (ليؤمنن به ان أدركوه ولينصرنه) بقوله واذ أخذ الله ميثاق النبيين الآية (والتنويه) أى الرفع والتعظيم (به في الكتب السالفة) بذكر اسمه ونعته فيها (كالتوراة والانجيل) كما في الصحيح عن عبد الله بن عمر أنه صلى الله عليه وسلم موصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا الحديث وفي التنزيل عن الانجيل ومبشرا برسول يأتي من بعدى اسمه احمد وفي نسخ والتوراة والانجيل من عطف الخاص على العام تنبيها على عظم قدرهما حتى كأنهما نوع مغاير لما عطف عليه (بأنه صاحب الرسالة والتبجيل) متعلق بقوله والتنويه به بعد تعلقه بالاول والمعنى رفع ذكره بأنه صاحب الرسالة وهذا أظهر من كونه بدلا منه (وغير ذلك * اعلم) أمر يصدر به ما يعتنى به من الكلام (أطلعني الله واياك على أسرار التنزيل) بمعنى المنزل وهو القرآن أو الكتب المنزلة فيشمل جميعها (ومنحنا) وهبنا (بلطفه تبصرة) أى تنويرا في قلوبنا وهي رؤية الاشياء بعين البصيرة بحيث لا يقتصر منها على رؤية ظاهرها بل تعبر الى ما يؤل اليه باطنها كذا في لطائف الاعلام (تهدينا الى سواء السبيل) الطريق ومعمول اعلم (أنه لا سبيل لنا أن نستوعب الآيات الدالة على ذلك وما فيها من التصريح والاشارة) أى من حيث دلالتها على ذلك فلا ينافي أن الآيات الدالة محصورة معدودة في أنفسها بل حروف القرآن كلها محصورة مضبوطة واحتمال أن المراد بالآيات معناها اللغوى وهو العلامات الدالة على نبوته وغيرها مما ثبت له من الكمالات مدفوع بأن الترجمة فيما ورد في آى التنزيل لا في مطلق العلامات (الى علو محله الرفيع) أى الشريف (ومرتبته ووجوب المبالغة في حفظ الادب معه) كقوله لا تقدموا بين يدى الله ورسوله (وكذلك الآيات التي فيها ثناؤه تعالى عليه واظهاره عظيم شأنه لديه) عنده (وقسمه تعالى بحياته) بقوله لعمرك انهم لفى سكرتهم يعمهون اتفق المفسرون على أنه قسم من الله بمدة حياته صلى الله عليه وسلم حكاه عياض ومراده مفسرو السلف فانه كما قال ابن القيم لا يعرف بينهم في ذلك نزاع ولم يوفق الزمخشرى في قوله انه خطاب من الملائكة للوط ويأتي ان شاء الله تعالى بسطه عند حكاية المصنف ذلك (ونداؤه بالرسول والنبي ولم يناد باسمه بخلاف غيره) من الانبياء (فناداهم بأسمائهم) يا آدم يا نوح يا ابراهيم يا لوط يا موسى يا عيسى

(الى غيرذلك مما يشيرالى انافة) أى زيادة (قدره) من انافت الدراهم على مائة زادت عليها (العلى) الرفيع (عنده) تعالى (وانه لا مجد يساوى مجده) شرفه وكرمه فى ذاته وأصوله (ومن تأمل القرآن العظيم وجده طافحا) ممتلئا أى دالا دلالة ظاهرة بكثرة بمعنى ناطقا فلذا عداه بالباء فى قوله (بتعظيم الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ويرحم الله ابن الخطيب) أبا عبد الله محمد بن جابر (الاندلسى حيث قال مدحتك آيات الكتاب) كلها صريحا أو استلزاما بأن دلالتها المطابقة ودلالتها على اكرامه بنزولها عليه مع اشتمالها على مافاقت به غيرها من الكتب السماوية (فما عسى * يثنى على علياك) أى شرفك (نظم مديحى) أى فأى شئ يترجى به أن يليق الثناء به على شرفك التام بالنسبة لما أثنى الله عليك (واذا كتاب الله أثنى مفصحا *) عليك (كان القصور) أى العجز (قصار) بضم القاف أى غاية (كل فصيح) أنه يعترف عن الاتيان ببعض أوصافك (وهذا المقصد أكرمك الله) جملة دعائية (يشتمل على عشرة أنواع

النوع الاول فى ذكر آيات تتضمن عظم قدره ورفعة ذكره وجليل مرتبته وعلو درجته على الانبياء وتشريف منزلته) هى والرتبة متقاربان بمعنى علو القدر (قال الله تعالى تلك) مبتدأ (الرسل) صفة والخبر (فضلنا بعضهم على بعض) بتخصيصه بمنقبة ليست لغيره (منهم من كلم الله قال المفسرون) أى جمهورهم (يعنى موسى عليه الصلاة والسلام كلمه بلا واسطة) وقيل المصطفى كلمه ليلة المعراج (وليس نصا فى اختصاص موسى بالكلام) لانه انما قال منهم فلا يفهم منه انه لم يكلم غيره (وقد ثبت انه تعالى كلم نبينا أيضا كما مر) ليلة المعراج وقد قال السيوطى من جملة من كلم من الانبياء آدم كما فى الحديث (فان قلت اذا) بمعنى حيث (ثبت انه عليه السلام كلمه ربه بلا واسطة وقام به هذا الوصف فلم يشتق له من الكلام اسم الكليم) بمعنى المكالم كالجليس بمعنى المجالس والانيس بمعنى المؤانس والنديم بمعنى المنادم وهو كثير (كما اشتق منه لموسى أجيب بأن اعتبار المعنى قد يكون لتصحيح الاشتقاق كاسم الفاعل) مثل القائم والضارب (فيطرد) بمعنى أن كل من قام به ذلك الوصف يشتق له منه اسم وجوبا (للاحظة أن صحة استعماله بالنظر لمبدا الاشتقاق دون غيره (وقد يكون للترجيح فقط كالكليم والقارورة فلا يطرد) وحاصله مع الايضاح كما قال شيخنا أن المشتق وهو مادل على ذات مبهمة باعتبار حدث معين قد يكون اشتقاقه لما فهم فيه من المصدر الذى اشتق منه ذلك اللفظ فلاحظ أن صحة استعماله بالنظر لمبدا الاشتقاق دون غيره فاذا اشتق على هذا الوجه وجب اطلاقه على كل ما صدق عليه كالضارب والقائم فان كلا منهما يصدق على من اتصف بالضرب والقيام وقد يكون اطلاقه على معنى وتخصيصه به باعتبار أثر قام به حمل المستعمل على ملاحظته فى أصل وضع اللفظ لذلك المعنى فوضعه له وهذا من الاسماء المشبهة للصفات وليس منها والكليم من هذا النوع فلا يلزم من اطلاقه على موسى لكلام الله له اطلاقه على غيره ممن كلمه الله تعالى (وحينئذ فلا يلزم فى كل من قام به ذلك الوصف أن يشتق له منه اسم كما حققه القاضى عضد الدين) عبد الرحمن بن أحمد الايجى

المحقق النحرير يروي تصانيف البيضاوي عن زين الدين الهشكي عنه وروى عنه محمد بن يوسف الكرماني شارح البخاري (وهذا ملخصه وتحريره كما قاله) تلميذه (المولى سعد الدين التفتازاني) بفتح الفوقيتين والزاي وسكون الفاء نسبة الى تفتازان قرية بنواحي نسا ولعل حكمة عدم اطلاقه على المصطفى مع ظهور دلالته على كلامه أن قومه أنكروا الاسراء أصلا فلم يسم كاسما حذرا من انكارهم اذا سمعوه وتكلمهم بما لا يليق في حقه ولا دليل قطعي يرد عليهم فاقتصر على ما ظهر لهم كالاسراء فانه وصف لهم بيت المقدس وغيره فصدقوا صدقه وان أنكروه عنادا (وقوله ورفع بعضهم درجات يعني محمدا صلى الله عليه وسلم رفعه الله تعالى من ثلاثة أوجه بالذات في المعراج) الى مقام لم يصل اليه ملك مقرب ولا نبي مرسل (وبالسيادة على جميع البشر) لقوله أنا سيد الناس يوم القيامة (وبالمعجزات لانه عليه الصلاة والسلام أوتي من المعجزات ما لم يؤت نبي قبله) قال عياض ولانه بعث الى الاحمر والاسود أي لعموم بعثته (قال الزمخشري وفي هذا الابهام) بقوله بعضهم (من تفخيم فضله واعلاء قدره ما لا يخفى لما فيه من الشهادة على أنه العلم الذي لا يشتبه والمتميز الذي لا يلتبس) فهو وان عبر عنه بالبعض المقتضي لابهامه معلوم متميز عن سائر من عداه ومتعين فيه قال التفتازاني في التعبير عنه باللفظ المبهم تنبيه على انه من الشهرة بحيث لا يذهب الوهم الى غيره في هذا المعنى ألا ترى أن التنكير الذي يشعر بالابهام كثيرا ما يجعل علما على الاعظام والافخام فكيف اللفظ الموضوع لذلك (انتهى) كلام الزمخشري وقد أحسن فيه لكنه أساء في قوله بعده ويجوز أن يريد ابراهيم أو غيره من أولي العزم من الرسل وقد قال بعض المحققين لم يصب الزمخشري في تجويزه أن المراد بالبعض غيره لان المستحق للتفضيل على الوجه المذكور هو أفضل الانبياء باجماع المسلمين وتأييده بخبر ابن عباس تذاكرنا فضل الانبياء فذكرنا نوحا وابراهيم وموسى وعيسى فقال صلى الله عليه وسلم لا ينبغي لاحد أن يكون خيرا من يحيى بن زكريا مدفوع بأن المراد أن في كل نبي نوع فضيلة تخصه فلا وجه لتخصيص بعضهم بالامتياز من تلك الجهة فالمنفي في قوله لا ينبغي الخ الخيرية من جميع الوجوه (وقد بينت هذه الآية وكذا قوله تعالى ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض) بتخصيص كل منهم بفضيلة كموسى بالكلام وابراهيم بالخلة ومحمد بالاسراء وسليمان بالملك (أن مراتب الانبياء والرسل) وفي نسخة الرسل والانبياء أي الذين ليسوا برسل أو هو عطف عام على خاص (متفاوتة خلافا للمعتزلة القائلين بأنه لا فضل لبعضهم على بعض وفي هاتين الآيتين) تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض (رد عليهم) على سبيل الصراحة (وقال قوم آدم أفضل لحق الابوة) وليس بشئ لانها بمجردها لا تقتضي فضله عليهم مطلقا وكم من فرع فضل أصله لخصوصيات شرف بها على الاصل بل كثيرا ما تشرف الاصول بفروعها

وكم أب قد علا بابن ذرى شرف * كما علا برسول الله عدنان

(وتوقف بعضهم) لتعارض الادلة عليه (فقال السكوت أفضل) لعدم القاطع عند ذا البعض (والمعتمد ما عليه جماهير السلف والخلف أن الرسل أفضل من الانبياء)

لان الرسالة تثمر هداية الامة والنبوة قاصرة على النبي كالعلم والعبادة خلافا لمن قال النبي أفضل لان النبوة الوحي بمعرفته تعالى وصفاته فهي متعلقة به من طرفيها والرسالة الامر بالتبليغ فهي متعلقة به من أحد الطرفين وأجيب بأنها تستلزم النبوة فهي مشتملة عليها لانها كالرسول وأخص من النبوة التي هي أعم كالنبي (وكذلك الرسل بعضهم أفضل من بعض بشهادة هاتين الآيتين وغيرهما قال بعض أهل العلم) بالكتاب والسنة (فيما حكاه القاضي عياض) في الشفاء (والتفضيل المراد لهم هنا) عطف على مقدر أو على ما تقدم وهنا اشارة لما ذكر قبله (في الدنيا) متعلق بالتفضيل (وذلك بثلاثة أحوال) وفي نسخة أوجه (أن تكون آياته ومعجزاته اظهر) وفي نسخة أبهر أي أقوى وأغلب من بهر ضوء القمر الكواكب غلبها أو هو بمعنى أظهر (وأشهر) كانشقاق القمر وانفلاق البحر وانقلاب العصا حية (أو تكون) بالنصب (أمته أزكى) اتقى وأطهر لبعدهم عن التلبس بما لا يليق (وأكثر) من غيرهم (أو يكون في ذاته أفضل) بزيادة علمه وخصاله المحمودة (وأظهر) بمعجمة أي أشهر وبمهملة اتقى وأنقى (وفضله في ذاته) ونفسه (راجع الى ما خصه الله تعالى به من كرامته) أي اكرام الله بما تر ومناقب عظيمة وهباته (واختصاصه) بالجر معطوف على مدخول الى (من كلام) بلا واسطة لموسى والمصطفى وهو بيان لاختصاصه بمعنى ما خصه به (أو خلة) لابراهيم والمصطفى (أو رؤية) عيانا لنبينا صلى الله عليه وسلم (أو ما شاء الله) أراده لهم غير ما ذكر (من ألطافه) بفتح الهمزة أي عطاياه (وتحف) بفاء آخره (ولايته) أي تحف أولاها لهم هكذا في الشفاء بالفاء فقط وفسرها شارحها بما ذكر وقال شيخنا كأن المراد بها ما ميزه به تعالى ولايته عن ولاية غيره من الخواص والمزايا التي لم تثبت لغيره وفي بعض نسخ المصنف وتحقق ولايته بقافين أي ثبوتها بلا ريبة ولا تردد لكثرة الادلة المثبتة لها (واختصاصه) بما اختصهم به من قرة أعين لا يعلمها الا هو (انتهى فلا مرية) بالكسر لا شك (أن آيات نبينا ومعجزاته أظهر وأبهر) بموحدة أغلب (وأكثر وأبقى) بالموحدة (وأقوى) أشد (ومنصبه) حسبه وشرفه (أعلى ودولته أعظم وأوفر وذاته أفضل وأطهر) بالمهملة (وخصوصياته على جميع الانبياء أشهر من أن تذكر) فقد جمعت فيه الاحوال الثلاثة وزيادة (فدرجته ارفع من درجات المرسلين وذاته أزكى وأفضل من سائر المخلوقين) انسا وملكا (وتأمل حديث الشفاعة) اضافة لادنى ملابسة لذكرها فيه (في المحشر) بفتح الشين وكسرها (وانتهائها اليه) بعد تنصل رؤساء الانبياء منها (وانفراده هناك بالسودد) أي السيادة (كما قال صلى الله عليه وسلم أنا سيد ولد) يكون جمعا وواحدا والمراد الاول (آدم وأول من تنشق عنه الارض يوم القيامة) أي أول من يعجل احياؤه مبالغة في اكرامه وتخصيصا بتعجيل جزيل انعامه (رواه ابن ماجه) محمد القزويني (وفي حديث أنس عند الترمذي) مرفوعا أنا أول الناس خروجا اذا بعثوا وأنا خطيبهم اذا وفدوا وأنا مبشرهم اذا أيسوا لواء الحمد يومئذ بيدي و(أنا أكرم ولد آدم يومئذ على ربي) اخبار بما منحه من السودد والاكرام وتحدث بمزيد الفضل والانعام (ولا فخر) حال مؤكدة أي أقول

ذلك

ذلك غير مقتضر به نظر تكبر أتى به دفعا لتوهم ارادة الاقتصار به قال القرطبى انما قال ذلك لانه مما أمر بتبليغه لما يترتب عليه من وجوب اعتقاد ذلك وأنه حق فى نفسه وليرغب فى الدخول فى دينه وتمسك به من دخل فيه ولتعظم محبته فى قلوب متبعيه فتكثر أعمالهم وتطيب أحوالهم ويحصل لهم شرف الدنيا والآخرة لان شرف المتبوع متعد لشرف التابع (لكن هذا الايدل على كونه افضل من آدم بل من أولاده فالاستدلال بذلك على مطلق أفضليته عليه السلام على الانبياء كلهم ضعيف) تبع التفتازانى فى شرح العقائد وقد تعقب بأن المراد سيد جنس الآدميين فلا يخرج آدم لان المراد من ولد آدم كافة البشر بدليل قوله فى حديث أبى هريرة أنا سيد الناس وقوله فى حديث أبى سعيد آدم فمن سواه الا تحت لوائى وقد الوح المصنف بعد قليل بمعنى هذا التعقب بقوله وهذا يدل على انه أفضل من آدم وبأن دخول آدم أولوى لان فى ولده من هو أفضل منه وبأن ذلك من الاساليب العرفى على حد اعملوا آل داود شكرا لدخول داود لزوما أو قصدا وعبر عنه بذلك لارادة التنصيص على دخول آله معه (واستدل الشيخ سعد الدين) مسعود بن عمر بن عبد الله (التفتازانى) الشافعى قال الحافظ فى الدرر الكامنة ولد سنة ست عشرة وسبعمائة وأخذ عن القطب والعضد وتقدم فى الفنون واشتهر ذكره وطار صيته وله تصانيف انتفع بها الناس مات بسمرقند سنة احدى وتسعين وسبعمائة (لمطلق أفضليته عليه الصلاة والسلام) على جميع الانبياء (بقوله تعالى كنتم خير أمة أخرجت للناس قال لانه لاشك أن خيرية الامم بحسب كمالهم فى الدين وذلك تابع لكمال نبيهم الذى يتبعونه) وهذا انما ذكره التفتازانى سندا للاجماع على فضل المصطفى وتعقب بأنه لا يصلح سندا له لان خيريتهم فى الدنيا بزيادة نفعهم للغير لحديث خير الناس أنفعهم للناس وهذا هو الظاهر لحديث البخارى عن أبى هريرة قال فى الناس ناس يأتون بهم والسلاسل فى أعناقهم حتى يدخلوا الاسلام وخيريتهم فى الآخرة بكثرة ثوابهم لحديث البخارى لكم الاجر مرتين فغضبت اليهود والنصارى وقالوا نحن أكثر عملا وأقل عطاء والسر فى ذلك أنهم صدقوا الانبياء كلهم بخلاف جميع الامم فانما صدق كل منهم نبيه ومن قبله كما نبه عليه صلى الله عليه وسلم بقوله لهرقل أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين قال الكرمانى وغيره مرة للايمان بنبيهم ومرة للايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والتعبير بأحد هذين المعنيين للامة لاتدل على أفضلية رسولهم انتهى وفيه تأمل (واستدل له الفخر الرازى فى المعالم) أى معالم التنزيل اسم تفسيره (بأنه تعالى وصف الانبياء بالاوصاف الحميدة) فى سورة الانعام (ثم قال لمحمد صلى الله عليه وسلم اولئك الذين هدا) هم (الله فبهداهم) طريقهم التوحيد والصبر (اقتده) بهاء السكت وقفا ووصلا وفى قراءة بحذفها وصلا (فأمره أن يقتدى بأثرهم فيكون اتيانه به واجبا والا فيكون تاركا للامر) وهو محال (واذا أتى بجميع ما أتوا به من الخصال الحميدة فقد اجتمع فيه ما كان متفرقا فيهم فيكون أفضل منهم) لان الواحد اذا فعل مثل فعل الجماعة كان أفضل منهم قيل عليه لاشك انه أفضل من كل واحد منهم ومن الجميع أيضا لكن فى هذا الدليل خفاء لانه لايلزم من اتيانه بكل ما أتى به كل واحد منهم الامساواته للمجموع لا أفضليته

عليهم وسلم أنه الداعي للعز بن عبد السلام على قوله انه أفضل من كل واحد منهم لا من جميعهم فمال الى جماعة من علماء عصره على تكفيره فعصمه الله بل قد يتوقف في المساواة أيضا الانك لو أنعمت على أربعة فأعطيت واحدا دينارا وآخر دينارين وآخر ثلاثة وآخر أربعة لزاد صاحب الاربعة على كل واحد دون جميع ما للغيره ولو أعطيته ستة لساواهم ولو أعطيته عشرة زاد عليهم فينبغي أن يقال انه صلى الله عليه وسلم ساواهم في العمل وزاد عليهم بأنه أعلم منهم بالله وأكثر من جميعهم خصائص ومعجزات وهذا التفضيل في القرب والمنزلة وهو أكثر ثوابا وأمته أكثر من جميع الامم وأجرهم له الى يوم القيامة ولو كانت للناس مساكن بعضها فوق بعض لكان الذي فوق الاخير أعلى من الجميع وفي آية تلك الرسل ايماء لهذا حيث أبهم وعبر برفع الدرجات دون أن يسميه ويقول انه أعظم أو أفضل انتهى (وبأن دعوته عليه الصلاة والسلام في التوحيد والعبادة وصلت الى أكثر بلاد العالم بخلاف سائر الانبياء فظهر أن انتفاع أهل الدنيا بدعوته صلى الله عليه وسلم أكمل من انتفاع سائر الامم بدعوة سائر الانبياء فوجب أن يكون أفضل من سائر الانبياء انتهى) استدلال الرازي (وقد روى الترمذي) وقال حسن صحيح وأحمد وابن ماجه وصححه الحاكم (عن أبي سعيد الخدري قال قال صلى الله عليه وسلم أنا سيد ولد آدم يوم القيامة) خصه لانه يوم يجموع له الناس فيظهر سودده لكل أحد عيانا ووصف نفسه بالسودد المطلق المفيد للعموم في المقام الخطابي فيفيد سيادته على جميع أولاد آدم حتى أولي العزم واحتياجهم اليه وتخصيص ولد آدم ليس للاحتراز فهو أفضل حتى من خواص الملائكة باجماع من يعتد به (ولا فخر) بل انما قلته شكرا كقول سليمان علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شئ أي لا أقوله تكبرا وتعاظما على الناس في الدنيا وان كان فيه فخر الدارين أو لا أفتخر بذلك بل فخري بمن أعطاني هذه الرتبة (وبيدي لواء) بالكسر والمد علم (الحمد) والعلم في العرصات مقامات لاهل الخير والشر تنصب في كل مقام لكل متبوع لواء يعرف به قدره وأعلى تلك المقامات مقام الحمد ولما كان صلى الله عليه وسلم أعظم الخلائق أعطي أعظم الالوية لواء الحمد ليأوي اليه الاولون والآخرون فهو حقيقي ولا وجه لحمله على لواء الجمال والكمال (ولا فخر) لي بذلك فخر تكبر أو لا فخر بالعطاء بل بالمعطي (وما من نبي يومئذ (آدم فمن سواه الا تحت لوائي) قال الطيبي آدم فمن سواه اعتراض بين النفي والاستثناء وآدم بالرفع بدل أو بيان من محله ومن موصولة وسواه صلته وصح لانه ظرف وآثر الفاء التفصيلية في فمن للترتيب على منوال الامثل فالامثل وبقية هذا الحديث وأنا أول من تنشق عنه الارض ولا فخر وأنا أول شافع ولا فخر (وفي حديث أبي هريرة مرفوعا عند البخاري) ومسلم والترمذي وأحمد (أنا سيد الناس يوم القيامة) وهل تدرون مم ذلك يجمع الله الاولين والآخرين في صعيد واحد فذكر حديث الشفاعة بطوله (وهذا) المذكور من حديثي أبي سعيد وأبي هريرة (يدل على انه أفضل من آدم عليه السلام ومن كل أولاده بل أفضل من الانبياء) اضراب انتقالي لدفع توهم أن المراد بأولاده من عدا الانبياء (بل أفضل الخلق كلهم) لانه من ناس اذا تحرك فشمل الملائكة حتى أمين الوحي

بإجماع حتى من المعتزلة وجهل الزمخشري مذهبه كما حققه جماعة من المحققين (وروى البيهقي في فضائل الصحابة أنه ظهر علي بن أبي طالب من البعد فقال صلى الله عليه وسلم هذا سيد العرب فقالت عائشة ألست يا رسول الله بسيد العرب قال أنا سيد العالمين وهو سيد العرب وهذا يدل على أنه صلى الله عليه وسلم أفضل الأنبياء) والملائكة لأن العالم ما سوى الله (وقد روى هذا الحديث أيضا الحاكم في صحيحه) المستدرك من طريق أبي عوانة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير (عن ابن عباس) مرفوعا (لكن بلفظ أنا سيد ولد آدم وعلي سيد العرب وقال) الحاكم (انه صحيح ولم يخرجاه) أي البخاري ومسلم مع أن اسناده على شرطهما (وله شاهد من حديث عروة) بن الزبير (عن) خالته (عائشة وساقه) أي رواه الحاكم (من طريق أحمد بن عبيد بن ناصح) أبي جعفر النحوي يعرف بأبي عصيدة قيل ان أبا داود حكى عنه مات بعد السبعين ومائتين (قال حدثنا الحسين بن علوان وهما ضعيفان) لكن اقتصر في التقريب على أن أحمد بن عبيد لين الحديث (عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة) مرفوعا (بلفظ ادعوا الى سيد العرب قالت) عائشة (فقلت يا رسول الله ألست سيد العرب فقال وذكره وكذا أورده) الحاكم (من حديث عمر بن موسى الوجيهي) بفتح الواو وكسر الجيم نسبة الى وجيه (وهو ضعيف أيضا عن أبي الزبير) محمد بن مسلم المكي (عن جابر مرفوعا ادعوا الى سيد العرب فقالت عائشة ألست سيد العرب وذكره) ورواه أبو نعيم في الحلية عن الحسن بن علي رفعه ادع سيد العرب يعني عليا فقالت له عائشة ألست سيد العرب فقال أنا سيد ولد آدم وعلي سيد العرب (قال شيخنا) السخاوي (وكلها ضعيفة بل جنح) مال (الذهبي الى الحكم على ذلك بالوضع) انتهى ولم يتبين لي ذلك اذ ليس فيها وضاع ولا كذاب ولا متهم والحاكم انما أورد حديث عائشة من الطريقين وان كان فيهما ضعف شاهدا لحديث ابن عباس الذي صححه لأن رواته من رجال الصحيح (ولم يقل صلى الله عليه وسلم أنا سيد الناس عجبا وافتخارا على من دونه) والفخر ادعاء العظم والمباهاة (حاشاه من ذلك) اذ هو سيد المتواضعين (وانما قاله اظهارا لنعمة الله عليه) لقوله وأما بنعمة ربك فحدث (واعلاما للأمة بقدر امامهم ومتبوعهم عند الله وعلو منزلته لديه لتعرف نعمة الله عليهم وعليه) وليعتقدوا فضله على من سواه قال القرطبي ولأنه مما أمر بتبليغه لما يترتب عليه من وجوب اعتقاد ذلك وأنه حق في نفسه فان قيل هذا راجع للاعتقاد فكيف يحصل القطع به من أخبار الآحاد قلنا من سمع شيأ من هذه الامور منه صلى الله عليه وسلم مشافهة حصل له العلم به كالصحابة ومن لم يشافهه حصل له العلم به من طريق التواتر المعنوي لكثرة أخبار الآحاد به (وكذلك العبد) أي عبد من عباد الله الكاملين (اذا لاحظ ما هو فيه من فيض المدد وشهده من عين المنة ومحض الجود وشهد مع ذلك فقره الى ربه في كل لحظة وعدم استغنائه عنه طرفة عين أنشأ له ذلك في قلبه سحائب النور) وفي نسخة السرور والنور أولى (فاذا انبسطت هذه السحائب في سماء قلبه وامتلأ أفقه بها أمطرت عليه وابل الطرب مما هو فيه من لذيذ السرور فان لم يصبه وابل) مطر شديد (فطل) مطر خفيف والمعنى انه يزكو وينمو كثر المطر أو قل (وحينئذ يجري على

لسانه الافتخار من غير عجب ولا فخر بل هو فرح بفضل الله وبرحمته كما قال تعالى قل بفضل الله وبرحمته فبذلك) الفضل والرحمة (فليفرحوا فالافتخار) كائن (على ظاهره) بحسب اللفظ (والافتقار والانكسار في باطنه ولا ينافي أحدهما الآخر والى هذا المعنى يشير قول العارف) هو من أشهده الحق نفسه وظهرت عليه الاحوال والمعرفة حاله هكذا ذكره الشيخ فالعالم عنده أعلى مقاما من العارف خلافا للاكثرين وقد قرر ذلك في الفتوحات ومواقع النجوم (الرباني سيدى على الوفائي في قصيدته التي أولها من أنت مولاه) ناصره ومعينه (حاشا * علاه) رفعته (أن يلاشى) يخس بعد رفعته (والله يا روح) حياة (قلبي * لا مات من بك عاشا) بل يحيا حياة طيبة (قوم لهم أنت ساق * لا يرجعون عطاشا) بل على غاية من الرى (لاقص) بمهملة ثقيلة (دهر جناحا * له وفاؤك راشا) أصلح حاله ونفعه (بك النعيم مقيم * لمن وهبت انتعاشا) أى رفعة وجبرا وذكرا حسنا قال المجد نعشه الله كمنعه رفعه كانعشه ونعشه وفلانا جبره بعد فقره والميت ذكره ذكرا حسنا (ومن بحولك قوتك (يقوى * لن يضعف الدهر) بالنصب (جاشا) أى نفسا قال المجد الجاش نفس الانسان وقد لا يهمز (عبد له بك عز *) قوة ومنعة (فكيف لا يتحاشى) يكرم ويعظم (حاشا وفاؤك يرمى * من أنت مولاه حاشا) أى تنزيها له أن يفعل ذلك (فان قلت ما الجمع بين كل من (هاتين الآيتين) تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض فان كلا منهما صريح في التفضيل وعدم التفريق في قوله تعالى لا نفرق بين أحد منهم دال على التسوية كجملة أحاديث كما قال (وبين قوله تعالى) خطابا بالمؤمنين (قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا) من القرآن (وما أنزل الى ابراهيم) من الصحف العشر (واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط) أولاد يعقوب (وما أوتى موسى) من التوراة (وعيسى) من الانجيل (وما أوتى النبيون من ربهم) من الكتب والآيات (لا نفرق بين أحد منهم) فنؤمن ببعض ونكفر ببعض كاليهود والنصارى (ونحن له مسلمون) وأورد أن بين انما تقع على اثنين كجلست بين زيد وعمرو وأحد في الآية مفرد لانه بمعنى واحد لا بعينه فكيف صح دخول بين عليه وأجيب بأنه باعتبار معطوف حذف لظهوره أى بين أحد منهم وبين غيره وفيه دلالة صريحة على تحقيق عدم التفريق بين كل فرد منهم وبين من عداهم كائنا من كان بخلاف ما لو قيل لا نفرق بينهم وأجاب الكشاف بأن أحد في معنى الجماعة بحسب الوضع قال التفتازاني لانه اسم لمن يصلح أن يخاطب يستوى فيه المفرد والمثنى والجمع والمذكر والمؤنث ويشترط أن يكون استعماله مع كلمة كل أو في كلام غير موجب وهذا غير الاحد الذى هو أول العدد في مثل قل هو الله أحد قال وليس كونه في معنى الجماعة من جهة كونه نكرة في سياق النفى على ما سبق الى كثير من الاوهام ألا ترى انه لا يستقيم لا نفرق بين رسول من الرسل الا بتقدير عطف أى رسول ورسول وقال في لا نفرق بين أحد من رسله من زعم أن معنى الجمع في أحد أنه نكرة في سياق النفى فقد سها وانما معناه ما ذكر في كتب اللغة أنه اسم لمن يصلح أن يخاطب فحين أضيف بين اليه أو أعيد ضمير جمع اليه أو نحو ذلك فالمراد به جمع من الجنس الذى يدل عليه الكلام فمعنى لا نفرق بين أحد بين جمع من الرسل

ومعنى

ومعنى فما منكم من أحد فما منكم من جماعة ومعنى لستن كأحد كجماعة من جماعات النساء انتهى (والحديث الثابت في الصحيحين عن أبي هريرة قال استب) أي سب (رجل من المسلمين) قال عمرو بن دينار هو أبو بكر الصديق أخرجه سفيان بن عيينة في جامعه وابن أبي الدنيا في كتاب البعث ويعكر عليه أن في رواية للشيخين من حديث أبي هريرة أيضا وأبي سعيد أنه من الانصار الا ان كان المراد المعنى الاعم فان الصديق من انصاره صلى الله عليه وسلم بل هو رأس من نصره ومقدمهم وسابقهم قاله الحافظ في الفتح زاد في المقدمة أو يحمل على تعدد القصة لكن لم يسم من اليهود غير واحد (ورجل من اليهود) أي سب كل منهما الآخر يعني غيره قال الحافظ لم أقف على اسم هذا اليهودي وزعم ابن بشكوال انه فنحاص وهو بكسر الفاء وسكون النون ومهملتين وعزاه لابن اسحق والذي ذكره ابن اسحق لفنحاص مع أبي بكر في لطمه اياه قصة أخرى في نزول قوله تعالى لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير الآية (فقال اليهودي في قسمه) أي حلفه وفي رواية للشيخين عن أبي هريرة فقال المسلم والذي اصطفى محمدا على العالمين وقال اليهودي والذي اصطفى موسى على العالمين فرفع المسلم عند ذلك يده فلطم وجه اليهودي وفي رواية لهما أيضا بينما يهودي يعرض سلعته أعطى فيها شيأ كرهه فقال (لا والذي اصطفى موسى على العالمين) وفي رواية لهما على البشر فقال ذلك ردا على المسلم فيما قاله وأكده بالقسم (فرفع المسلم يده) عند ذلك أي سماعه قوله لما فهمه من عموم لفظ العالمين أو البشر فدخل فيه محمد صلى الله عليه وسلم وقد تقرر عند المسلم انه أفضل وقد جاء ذلك مبينا في حديث أبي سعيد أن الضارب قال له أي خبيث أعلى محمد فدل على أن لطمه عقوبة له على كذبه عنده قاله الحافظ (فلطم اليهودي) وفي رواية لهما فلطم وجه اليهودي وقال أتقول هذا ورسول الله بين أظهرنا وفي رواية للامام أحمد فلطم عين اليهودي وقوله (وقال أي خبيث) بفتح الهمزة وسكون الياء حرف نداء (وعلى محمد) هذه الجملة أدخلها المصنف في حديث أبي هريرة وليست منه فقد أخرجه مسلم في الفضائل والبخاري في الخصومات والرقاق والتوحيد وأحاديث الانبياء مختصرا ومطولا وليس فيه هذه الجملة انما هي عنده في مواضع عن أبي سعيد قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس جاء يهودي فقال ضرب وجهي رجل من الانصار فقال ادعوه فقال أضربته قال سمعته بالسوق يحلف والذي اصطفى موسى على البشر قلت أي خبيث أعلى محمد صلى الله عليه وسلم فأخذتني غضبة ضربت وجهه فقال لا تخيروا بين الانبياء الحديث وأخرجه مسلم بنحوه وقد صرح الحافظ كما رأيت بأن هذه الجملة من حديث أبي سعيد (فجاء اليهودي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واشتكى) ضمنه معنى اعترض فعداه بقوله (على المسلم) وهذا نقل بالمعنى والا فلم تقع هذه اللفظة في الصحيحين لا في حديث أبي هريرة ولا في حديث أبي سعيد ولفظ البخاري في الاشخاص في حديث أبي هريرة فذهب اليهودي الى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبر بما كان من أمره وأمر المسلم وكذلك في أولى روايتيه في احاديث الانبياء ولفظه في الثانية يا أبا القاسم ان لي ذمة وعهدا فما بال فلان لطم وجهي فقال لم لطمت وجهه فذكره فغضب

صلى الله عليه وسلم حتى رؤى فى وجهه وكذا أخرجه مسلم فى الفضائل باللفظين من طريقين (فقال صلى الله عليه وسلم لا تفضلونى على الانبياء وفى رواية) لهما (لا تفضلوا بين الانبياء وفى رواية لا تخيرونى على موسى) (وحديث أبى سعيد الخدرى عند البخارى فى التفسير والتوحيد والخصومات) (ومسلم) فى الفضائل (انه صلى الله عليه وسلم قال لا تخيروا بين الانبياء) بأن تقولوا فلان خير من فلان (وحديث ابن عباس عند البخارى ومسلم) أيضا فى الفضائل (مرفوعا ما ينبغى) ما يصح ولا يجوز (لعبد) من عباد الله (أن يقول أنا خير من يونس) يحتمل أن يكون رجوع انا الى القائل والى النبى صلى الله عليه وسلم قال الحافظ فى التفسير والاول أولى لكنه قال فى أحاديث الانبياء حديث عبد الله بن جعفر عند الطبرانى لا ينبغى لنبى أن يقول أنا الخ يؤيد رجوعها للنبى صلى الله عليه وسلم والطبرانى فى حديث ابن عباس ما ينبغى لاحد وللطحاوى انه سبح الله فى الظلمات فأشار الى جهة الخيرية انتهى (ابن متى) بفتح الميم والفوقية الثقيلة وألف مقصورة وقع فى تفسير عبد الرزاق أنه اسم أمه ورده الحافظ بقوله فى بقية هذا الحديث ونسبه الى أبيه ففيه رد على من زعم انه اسم أمه وهو محكى عن وهب بن منبه وذكره الطبرى وتبعه ابن الاثير فى الكامل والذى فى الصحيح أصح وقيل سبب قوله ونسبه الى أبيه انه كان فى الاصل يونس ابن فلان فنسبه الراوى وكنى عنه بفلان وذلك سبب نسبته الى أمه فقال الذى نسى يونس ابن متى وهى أمه ثم اعتذر فقال ونسبه أى شيخه الى أبيه أى سماه فنسيته ولا يخفى بعد هذا التأويل وتكلفه انتهى بل يرده ما فى الثعلبى عن عطاء سألت كعب الاحبار عن متى فقال هو أبو يونس واسم أمه بروة أى صديقة بارة تقية وهى من ولد هرون انتهى فقول السيوطى التأويل عندى أقوى وان استبعده الحافظ فيه نظر قال الحافظ ولم أقف فى شئ من الاخبار على اتصال نسبه وقد قيل انه كان فى زمن ملوك الطوائف من الفرس (وحديث أبى هريرة عند الشيخين من قال أنا خير من يونس بن متى فقد كذب) هذا لفظ البخارى فى التفسير مختصرا بلا واو وأوله فزيادتها فى نسخ خطأ ولم يخرجه مسلم بهذا اللفظ وقد أحسن السيوطى فعزاه فى الزوائد للبخارى والترمذى وابن ماجه نعم أخرجه مسلم والبخارى فى آخر الحديث السابق بلفظ ولا أقول ان أحدا أفضل من يونس بن متى ورواه البخارى أيضا مختصرا بلفظ لا ينبغى للعبد أن يقول أنا خير من يونس بن متى وفى رواية مسلم عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال يعنى الله لا ينبغى لعبدلى وقال ابن المثنى لعبدى أن يقول أنا خير من يونس بن متى ومسلم رواه عن شيوخه ابن أبى شيبة وابن بشار ومحمد ابن مثنى فلذا بين اختلاف لفظهم فالاولان بلام والثالث بدونها والاضافة لياء المتكلم (أجاب العلماء بأن قوله عز وجل لا نفرق بين أحد منهم يعنى فى الايمان بما أنزل اليهم والتصديق بأنهم رسل الله وأنبياؤه) عطف عام على خاص على أن الرسول أخص من النبى ومرادف على تساويهما وأن كلا منهما انسان أوحى اليه بشرع وأمر بتبليغه أو المعنى التصديق بأن منهم رسلا وأنبياء ليسوا برسل (والتسوية بينهم فى هذا) المذكور من الايمان بما أنزل الخ (لا تمنع أن يكون بعضهم أفضل من بعض) كما هو نص الآيتين بسببه

خواص تزيح من قامت به على غيره بالنظر لتلك الخصوصية (وأجابوا عن الاحاديث بأجوبة) سبعة أو ثمانية (فقال بعضهم ان) مخففة من الثقيلة (نعتقد) بالرفع أى انا نعتقد (أن الله تعالى فضل بعضهم على بعض فى الجملة) وجاز حذف اللام عماد خلت عليه لظهور المراد كقوله ان الحق لايخفى على ذى بصيرة ولكن عدم الفصل بينها وبين الفعل الغير الناسخ نادر والمضارع اندر من الماضى كما فى ان يزينك لنفسك وان يشينك لهيه ويحتمل قراءته بفتح الهمزة (ونكف) نمتنع (عن الخوض فى تفصيل) تبيين (التفضيل بآرائنا) لانه هجوم على عظيم (قال ابن ظفر فان أراد هذا القائل انا نكف عن الخوض فى تفصيل التفضيل بآرائنا) المجردة عن فهم من كتاب أوسنة (فصحيح) وبهذا الايرد أن هذا عين ما قاله ذلك البعض فكيف يجعله احتمالا فيه (وان أراد أنا لاندكر فى ذلك ما فهمناه من كتاب الله وروى لنا من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم) وهو رأى أيضا لكن فى فهم الدليل من غير أن تكون دلالته عليه قطعية (فسقيم) أى ضعيف لان الاخبار على غلبة الظن وما ادّى اليه الاجتهاد لايمتنع ومحصله أن التفضيل بالرأى المحض مجمع على منعه وبالدليل لاوجه لمنعه وما أحسن اختصار الحافظ لهذا بقوله قال العلماء انما نهى عن ذلك من يقوله برأيه لامن يقوله بدليل (وقال آخر نفضل) أى نعتقد فضل (من رفع الله درجته) منزلته (بخصائص الحظوة) بضم الحاء المهملة وكسرها ومعجمة المحبة ورفع المنزلة (والزلفى) القربى مصدر بمعنى التقريب (ولا نخوض) لانتكلم (فى تفضيل بعضهم على بعض) عبر عن التكلم بالخوض لما فيه من المشقة بلوم الدنيا وعقوبة الاخرى وفى القاموس خاض الماء دخله والغمرات اقتحمها (فى سياسة) أمر ونهى (المنذرين) بفتح الذال القوم الذين أرسلوا اليهم وبينوا لهم عواقب الفواحش (والصبر على الدين) أى القيام به وهو هنا ما شرع من الاحكام التى من جملتها وجوب تبليغ ما أمروا به ومنع المخالفين لهم الخارجين عن الطاعة (والنهضة) أى السرعة (فى اداء الرسالة والحرص على هدى الضلال) بضم الضاد وشد اللام جمع ضال ويجوز فتحها والتخفيف بتقدير أهل الضلال والاول أولى (فان كلا منهم قد بذل فى ذلك وسعه الذى لايكلفه الله أكثر منه) لانه لا يكلف الله نفسا الا وسعها (وقال آخر مما ذكره القاضى عياض) فى الشفاء (ان نهيه عليه السلام عن التفضيل كان قبل أن يعلم) بالبناء للفاعل أو المفعول أى يعلمه الله (انه سيد ولد آدم فنهى عن التفضيل اذ يحتاج الى توقيف) أى اعلام به واذن فيه فلا يقدم عليه بالعقل (وان من فضل بلا علم) بل بالرأى المجرد (فقد كذب) لانه لايطابق ما فى نفس الامر والجملة حالية أو استئنافية مقوية لما قبلها (قال الحافظ عماد الدين بن كثير وفى هذا) الذى قاله الجماعة الآخرون (نظر انتهى ولعل وجه النظر من جهة معرفة المتقدم تاريخا من ذلك) يعنى انه يتوقف على العلم بتقدم النهى على العلم بأنه سيد ولد آدم ولم يعلم التاريخ أو فيه مضاف أى جهة جهل معرفة الخ (ثم رأيت فى تاريخ ابن كثير أن وجه النظر من جهة أن هذا من رواية أبى سعيد) الخدرى (وأبى هريرة) الدوسى (وما هاجر أبو هريرة الاعام خيبر) بالمعجمة وراء آخره على الصواب فى المحرم

قوله ابن ظفر فى بعض نسخ المتن ابن طغربك اهـ

سنة سبع ونسخة حنين تصحيف (فيبعد أنه لم يعلمه) الله تعالى (بهذا الابعد هذا) بل أعلمه فضله قبل ذلك قال السبكي وفي حديث الاسراء مايدل عليه انتهى ومن جملته قول ابراهيم بهذا فضلكم محمد (وقال آخر انما قاله صلى الله عليه وسلم على طريق التواضع) لين الجانب وخفض الجناح (ونفي التكبر) اظهار العظمة (والعجب) بضم فسكون استحسان النفس والمدح لها (قال القاضي عياض وهذا لايسلم من الاعتراض) لانه عد الاخبار بخلاف الواقع الذي هو كذب مذموم تواضعا قيل ولان نفي التكبر والعجب يقتضي ثبوتهما له وانه مع ماعلم من حاله كيف يتوهم فيه مالا يتوهم في صالحي أمته ولا يخفى انه اعتراض ساقط فان التواضع صفة محمودة وهو من شأنه صلى الله عليه وسلم كذا في شرح الشفاء وقال شيخنا لانه صلى الله عليه وسلم كثيرا مايفتخر من باب التحدث بالنعمة بل المطلوب منه أن يظهر فضله لامته ليقوى ايمانهم به ولئلا يجهلوا مقامه فيضلوا (وقيل) مما ذكره عياض أيضا (لاتفضل بعضهم تفضيلا يؤدى) بضم التحتية وفتح الهمزة وشد الدال يجزؤ يوصل (الى تنقيص بعضهم) تفعيل من النقص أي يقتضي وصفهم بما فيه نقص (او الغض منه) بفتح الغين والضاد المعجمتين أي انتقاصه كما في القاموس وغيره فهو مساو لما قبله ولا يصح انه عطف تفسير لانه انما يكون بالواو الا أن تكون أو استعملت بمعنى الواو مجازا فعوملت معاملتها وقد رد هذا الجواب بأنه ان أريد مطلق النقص فهذا لايقوله مسلم وان أريد نقص بعضهم عن بعض في الفضل فلامعنى لافعل التفضيل الا ذلك (وقيل) مما ذكره عياض أيضا (منع التفضيل) بين الانبياء والرسل (انما هو في حق النبوة والرسالة) نفسهما لا الانبياء والرسل (فان الانبياء عليهم الصلاة والسلام فيها) أي النبوة (على حد واحد) فرتبتها وقدرها متحد فيهم اذهي شيء واحد (لاتتفاضل) أي لايزيد بعضها على بعض (وانما التفاضل في زيادة الاحوال) أي العوارض الطارئة عليها (والخصوص) أي ماخص به بعضهم دون بعض (والكرامات) التي أكرم الله بها بعضهم (والرتب) الدنيوية والاخروية (وأما النبوة نفسها فلا تتفاضل) قال السنوسي في شرح عقائده ويدل عليه منع أن يقال لفلان النبي النصيب الاقل من النبوة ولفلان النصيب الاوفر منها ونحوه من العبارات التي تقتضي أن النبوة مقولة بالتشكيك ولا شك أن امتناع ذلك معلوم من الدين بالضرورة بين السلف والخلف فدل على أن حقيقة النبوة من المتواطئ المستوي أفراده ولا يلتفت لمن خالف مقتضاه لوضوح فساده (وانما التفاضل بأمور أخرى زائدة عليها) ليست من نفس حقيقتها كما تبين وفي ذكره ذلك في النبوة دون الرسالة ايماء الى الفرق بينهما (ولذلك) المذكور من أن التفاضل لامر زائد (كان منهم رسل وأولو عزم) أي شدة وقوة وتصميم على تنفيذ ما يراد به وبغيره (انتهى وهذا قريب من القول الثاني) وليس عينه لاختلاف لفظهما وفي فتح الباري قال العلماء انما نهى صلى الله عليه وسلم عن ذلك من يقوله برأيه لامن يقوله بدليل أو من يقوله بحيث يؤدي الى تنقيص المفضول أو يؤدي الى الخصومة والتنازع أو المراد لاتفضلوا بجميع أنواع الفضائل بحيث لايترك للمفضول فضيلة فالامام مثلا اذا قلنا انه أفضل من المؤذن لايستلزم

نقص فضيلة المؤذن بالنسبة الى الاذان وقيل النهي انما هو في حق النبوة نفسها لقوله لانفرق بين أحد من رسله ولم ينه عن تفضيل الذوات لقوله تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض الآية وقال الحليمي الاخبار الواردة في النهي عن التخيير انما هي في مجادلة أهل الكتاب وتفضيل بعض الانبياء على بعض بالمخايرة لان المخايرة اذا وقعت بين دينين لم يؤمن أن يخرج أحدهما الى الازراء بالآخر فيفضي الى الكفر فأما اذا كان التخيير مستندا الى مقابلة الفضائل ليحصل الرجحان فلا يدخل في النهي ثم قال أعني في الفتح في قوله ما ينبغي لعبد أن يقول أنا خير من يونس قال العلماء انما قاله صلى الله عليه وسلم تواضعا ان كان قاله بعد أن علم انه أفضل الخلق وان قاله قبل علمه فلا اشكال وقيل خص يونس بالذكر لما يخشى على من سمع قصته أن يقع في نفسه تنقيص له فبالغ في ذكر فضله لسد هذه الذريعة انتهى وذكرته برمته لحسن تلخيصه وان تكرر بعضه مع ما ذكره المصنف (وقال ابن أبي جمرة) بجيم وراء (في حديث يونس يريد بذلك نفي التكييف والتحديد على ما قاله ابن خطيب الري) الامام فخر الدين محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي البكري الطبرستاني الرازي بحر العلوم ناصر السنة الورع الدين صاحب التصانيف الكثيرة تفقه على أبيه وغيره ولد سنة ثلاث وقيل أربع وأربعين وخمسمائة وتوفي بهراة يوم عيد الفطر يوم الاثنين سنة ست وستمائة مر بعض ترجمته أيضا كان أبوه خطيبا بالري بفتح الراء وشد التحتية مدينة مشهورة من أعلام البلاد كانت أعظم من أصبهان والنسبة اليها بزيادة زاي (لانه قد وجدت الفضيلة بينهما في عالم الحس لان النبي صلى الله عليه وسلم أسري به الى فوق السبع الطباق) أي السموات (ويونس نزل به الى قعر البحر وقد قال صلى الله عليه وسلم أنا سيد ولد آدم يوم القيامة) خصه لانه يوم ظهور ذلك كل الظهور (وقال عليه السلام آدم ومن دونه تحت لوائي) فالمراد بولد آدم جنس البشر كما تقرر فدخل آدم (وقد اختص صلى الله عليه وسلم بالشفاعة الكبرى التي لم تكن لغيره من الانبياء عليهم الصلاة والسلام فهذه الفضيلة وجدت بالضرورة فلم يبق أن يكون قوله عليه الصلاة والسلام لاتفضلوني على يونس بن متى الا بالنسبة الى القرب من الله سبحانه والبعد فمحمد صلى الله عليه وسلم وان أسري به لفوق السبع الطباق واخترق الحجب ويونس عليه الصلاة والسلام وان نزل به لقعر البحر فهما بالنسبة الى القرب والبعد من الله سبحانه وتعالى على حد واحد انتهى وهو مروي عن امام دار الهجرة مالك بن أنس) وهو حمل حسن لا يرد عليه شئ (وعزي نحوه لامام الحرمين) أبي المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني ذكر القرطبي في التذكرة أن القاضي أبا بكر بن العربي قال أخبرني غير واحد أن امام الحرمين سئل هل الباري في جهة فقال لا هو متعال عن ذلك قيل ما الدليل عليه قال قول النبي صلى الله عليه وسلم لاتفضلوني على يونس بن متى قيل ما وجه الدليل منه قال لا أقول حتى يأخذ ضيفي هذا ألف دينار يقضي بها دينا فقام رجلان فقالا هي علينا فقال لا يتبع بها اثنين لانه يشق عليه فقال واحد هي علي فقال ان يونس رمى بنفسه في البحر فالتقمه الحوت وصار في قعر البحر في ظلمات ثلاث ونادى لا اله الا أنت سبحانك اني كنت

من الظالمين كما أخبر الله ولم يكن محمد صلى الله عليه وسلم حين جلس على الرفرف الاخضر وارتقى به صعدا حتى انتهى به الى موضع يسمع فيه صريف الاقلام وناجاه ربه بما ناجاه وأوحى اليه ما أوحى بأقرب الى الله من يونس فى ظلمة البحر فالله سبحانه قريب من عباده يسمع دعاءهم ولا يخفى عليه حالهم كيفما تصرفت من غير مسافة بينه وبينهم انتهى (وقال ابن المنير) فى معراجه (ان قلت ان لم يفضل) نبينا صلى الله عليه وسلم (على يونس باعتبار استواء الجهتين بالنسبة الى وجود الحق تعالى فقد فضله باعتبار تفاوت الجهتين فى تفضيل الحق سبحانه (فانه تعالى فضل الملأ الاعلى) أى السموات (على الحضيض الادنى) أى الارض عند الاكثرين لانه لم يعص فيها ومعصية ابليس لم تمكن فيها أو وقعت نادرة فلم يلتفت اليها وقيل الارض أفضل لانها مستقر الانبياء ومدفنهم ونسب للاكثر أيضا وصحح الاول ومحل الخلاف كما قال السراج البلقينى فيما عدا قبور الانبياء فهى أفضل اتفاقا (فكيف لا تفضله عليه الصلاة والسلام على يونس فان لم يكن التفضيل بالمكان فهو بالمكانة) الرفعة وعلو المنزلة (بلا اشكال ثم قال) تلو هذا السؤال بلا فاصل (قلت لم ينه عن مطلق التفضيل وانما نهى عن تفضيل مقيد بالمكان يفهم منه القرب المكانى) الذى يتعالى الله عنه (فعلى هذا يحمل جمعا بين القواعد انتهى) وهو فى معنى ما قال امام الحرمين ومالك وغيرهما (و) قد (اختلف) فى جواب قول السائل (هل البشر أفضل من الملائكة) أم الملائكة أفضل ثالثها الوقف واختاره الكيا الهراسى ومحل الخلاف فى غير نبينا صلى الله عليه وسلم أما هو فأفضل الخلق اجماعا لا يفضل عليه ملك مقرب ولا غيره كما ذكره الرازى وابن السبكى والسراج البلقينى والزركشى وما فى الكشاف من تفضيل جبريل قال بعض المغاربة جهل الزمخشرى مذهبه فان المعتزلة مجمعون على تفضيل المصطفى نعم قيل ان طائفة منهم خرقوا الاجماع كالرمانى فتبعهم (فقال جمهور أهل السنة والجماعة خواص بنى آدم وهم الانبياء أفضل من خواص الملائكة) واختاره الامام فخر الدين فى الاربعين وفى المحصل قال ابن المنير وفضلهم باعتبار الرسالة والنبوة لا باعتبار عموم الاوصاف البشرية بمجردها والا لكان كل البشر أفضل من الملائكة معاذ الله وذكر الامام فخر الدين أن الخلاف فى التفضيل بمعنى أيهما أكثر ثوابا على الطاعات وزيف بذلك احتجاج الفلاسفة على تفضيل الملائكة بأنها نورانية علوية والجسمانية ظلمانية سفلية وقال هذا لا يلاقى محل النزاع وبهذا يزول الاشكال فى المسئلة (وهم جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل) ملك الموت (وحملة العرش) وهم أربعة أو ثمانية تقدم تحريره فى المعراج (والمقربون والكروبيون) بفتح الكاف وخفة الراء كما مر (والروحانيون) بضم الراء وفتحها أما الضم فلانهم أرواح ليس معها ماء ولا نار ولا تراب ومن قال هذا قال الروح جوهر ويجوز أن يؤلف الله أرواحا فيجسمها ويخلق منها خلقا ناطقا عاقلا فيكون الروح مخترعا والتجسيم بضم النطق والعقل اليه حادثا من بعد ويجوز أن اجساد الملائكة على ما هى عليه اليوم مخترعة كما اخترع عيسى وناقة صالح وأما الفتح فبمعنى انهم ليسوا محصورين فى الابنية والظلل ولكنهم فى فسحة وبساط وقيل ملائكة الرحمة روحانيون بفتح الراء وملائكة العذاب الكروبيون

من الكرب قاله الحليمي والبيهقي (وخواص الملائكة) وهم المذكورون (أفضل من عوام بني آدم) يعني أولياء البشر وهم من عدا الانبياء كما في الحبائك أي الصلحاء كما يأتي (قال التفتازاني بالاجماع بل بالضرورة) لعصمتهم جميعهم قال السيوطي لكن رأيت لطائفة من الحنابلة أنهم فضلوا أولياء البشر على خواص الملائكة وشنع عليهم ابن عقيل من أئمتهم وقال ان ذلك شناعة عظيمة عليهم (وعوام بني آدم أفضل من عوام الملائكة) وهم غير خواصهم في أحد القولين وجزم به الصفار والنسفي كلاهما من الحنفية وذكر البلقيني انه المختار عند الحنفية ومال الى بعضه وهو أنه قد يوجد من أولياء البشر من هو أفضل من غير الخواص من الملائكة وذهب الاكثرون الى تفضيل جميع الملائكة على أولياء البشر وجزم به ابن السبكي في جمع الجوامع وفي منظومته فذكر المصنف ثلاث صور واستدل لها بقوله (فالمسجود له أفضل من الساجد) وهو الملائكة أي ان مجموع البشر أفضل من مجموع الملائكة كما أشار له بقوله (فاذا ثبت تفضيل الخواص) وهم الانبياء (على الخواص) من الملائكة بالسجود (لآدم ثبت تفضيل العوام على العوام) وهذا صريح في تفضيل المجموع وأورد الرازي في الاربعين لم لا يقال السجدة كانت لله وآدم كالقبلة سلمنا أنها لآدم لكن لم لا يكون من السجود التواضع والترحيب سلمنا انها وضع الجبهة على الارض لكنها قضية عرفية يجوز أن تختلف باختلاف الازمنة فلعل عرف ذلك الوقت ان من سلم على غيره وضع جبهته على الارض وتسليم الكامل على غيره أمر معتاد قال والجواب عن الأسئلة الثلاثة ان ذلك السجود لو لم يدل على زيادة منصب المسجود له على الساجد لما قال ابليس أرأيتك هذا الذي كرمت علي فانه لم يوجد شئ آخر يصرف هذا الكلام اليه سوى هذا السجود فدل على اقتضائه ترجيح المسجود له على الساجد (فعوام الملائكة خدم عمال الخير) وهم صلحاء المؤمنين (والمخدوم له فضل على الخادم) وهذا استدلال للصورة الثالثة وعطف على فالمسجود له أفضل من الساجد باعتبار المعنى أي فبنو آدم من حيث هم أفضل لان هذا النوع مسجود له في الجملة (ولأن المؤمنين) من حيث هم (ركب فيهم الهوى) بالقصر أي الميل الى الشئ ثم استعمل في الميل المذموم نحو ولا تتبع الهوى فيضلك (والعقل) عبر به دون الشهوة وان كان أظهر في بيان المشقة الحاصلة للمؤمنين في العبادة لبيان ما حصل به الاشتراك بين الآدمي والبشر وقد أوضح ذلك الفخر في الاربعين فقال الملائكة لهم عقول بلا شهوة والبهائم لهم شهوة بلا عقل والآدمي له عقل وشهوة فان رجحت شهوته على عقله كان أخس من البهيمة قال تعالى أولئك كالانعام بل هم أضل فقياسه لو رجح عقله على شهوته وجب ان يكون أفضل من الملك انتهى وذكر نحوه البيهقي وزاد ألا ترى من ابتلي من الملائكة بالشهوة كيف وقع في المعصية وذكر قصة هاروت وماروت وساقها من ثلاثة طرق فكأن المصنف عبر عن الشهوة بالهوى لتنبيه عنها (مع تسليط الشيطان عليهم بوسوسته والملائكة ركب فيهم العقل دون الهوى) لعدم الشهوة (ولا سبيل للشيطان عليهم) لعصمتهم فهذه الآفة غير حاصلة

للملائكة (فالانسان كما قاله) التفتازانى (فى شرح العقائد) للنسفى (يحصل الفوائد والكمالات العلمية والعملية مع وجود العوائق والموانع من الشهوة والغضب وسنوح الحاجات) أى ظهورها وعروضها (الضرورية) التى لابدّ منها (الشاغلة عن اكتساب الكمالات) من علم وعمل ومع ذلك يحصلهما (ولاشك أن العبادة وكسب الكمال مع الشواغل والصوارف) أى الموانع وهى لازمة للشواغل وكأنه جمع صارف أو صارفة أى أمر صارف أو خصلة صارفة لان فواعل يجمع قياسا على فاعل وفاعلة والمجموع ممنوع كفلس وفلوس على مافى المصباح (أشق وأدخل فى الاخلاص فيكون الانسان) (أفضل) وفى الاربعين لانّ طاعة البشر أشق لانّ الشهوة والغضب والحرص والهوى من أعظم الموانع عن الطاعات وهذه صفات موجودة فى البشر مفقودة فى الملائكة والفعل مع المانع أشق منه مع غير المانع ولانّ تكاليف الملائكة مبنية على النصوص قال تعالى لايسبقونه بالقول وتكاليف البشر بعضها مبنى على النصوص وبعضها على الاستنباط قال تعالى فاعتبروا ياأولى الابصار وقال تعالى لعلمه الذين يستنبطونه منهم والتمسك والاجتهاد والاستنباط فى معرفة الشئ أشق من التمسك بالنص والاشق أفضل نصا وقياسا أمّا النص فقوله صلى الله عليه وسلم أجرك على قدر نصبك وحديث أفضل العبادات أحمزها أى أشقها وأمّا القياس فلو اشتركت الطاعات السهلة والشاقة فى الثواب لكان تحمل الشاقة عن الفائدة وتحمل الضرر الخالى عن الفائدة محظور قطعا فكان يجب حرمة الشاقة فلما لم يكن كذلك علم ان الاشق أكثر ثوابا (والمراد بعوام بنى آدم هنا) فى هذا المبحث (الصلحاء) لاماا شتهر أنهم مقابل العلماء ولامافى الاصول انهم خلاف المجتهدين (لاالفسقة) جعلهم فى مقابلة الصلحاء يقتضى ان كل من لم يرتكب كبيرة ولم يصر على صغيرة من صلحاء المؤمنين وان لم يصل درجة الاولياء وهو قد ينافى تعريف الولى بالقائم بحق الله والعباد لكن من هذه صفته قليل (كما نبه عليه العلامة كمال الدين بن أبى شريف المقدسى قال ونص عليه البيهقى فى الشعب وعبارته قد تكلم الناس قديما وحديثا فى المفاضلة بين الملائكة والبشر) الانسان سمى به لظهور بشرته يطلق على الانسان واحده وجمعه وقد يثنى ويجمع على أبشار كما فى القاموس (فذهب ذاهبون الى انّ الرسل من البشر) الذين يدعون الناس الى الحق ويبلغونهم مانزل اليهم (أفضل من الرسل من الملائكة) وهم الذين يتوسطون بين الله وبين الانبياء فهم رسل بالمعنى اللغوى كقوله جاعل الملائكة رسلا أما الاصطلاحى وهو انسان حرّ ذكر أوحى اليه بشرع وأمر بتبليغه فلايكونون رسلا اذلاشئ من الملائكة بانسان (والاولياء من البشر) قال السيوطى وهم من عدا الانبياء (أفضل من الاولياء من الملائكة) وهم من عدا خواصهم كما أفاده السيوطى (انتهى) كلام البيهقى وانما يوافق دعواه بتأويل أولياء البشر بالصلحاء الذين لاكبيرة لهم ولااصرار على صغيرة لابما عرّفه التفتازانى انه العارف بالله وصفاته حسبما يمكنه المواظب على الطاعات المجتنب عن المعاصى المعرض عن الانهماك فى اللذات والشهوات

قوله لانّ فواعل يجمع الخ هكذا فى النسخ ولعل العبارة مقلوبة والاصل لانّ فاعلة وفاعلا أى اذا كان وصفا لمؤنث أو لغير عاقل يجمعان قياسا على فواعل تأمّل اه مصححه

(وذهبت

(وذهبت المعتزلة والفلاسفة وبعض الاشاعرة) أي أهل السنة كأبي اسحق الاسفرايني والحاكم أبي عبد الله (الى تفضيل الملائكة وهو اختيار القاضي أبو بكر) محمد بن الطيب ابن الباقلاني) بتخفيف اللام والنون نسبة الى بيع الباقلاء (وأبي عبد الله الحليمي) واختاره أيضا الامام فخر الدين في المعالم وأبو شامة قال البيهقي وأكثر أصحابنا ذهبوا الى القول الاول والامر فيه سهل وليس فيه من الفائدة الا معرفة الشيء على ماهو به انتهى (وتمسكوا بوجوه) نحو عشرين اقتصر منها على أربعة (الاول) وهو أضعفها (ان الملائكة أرواح مجردة) قال الآمدي هذا غير مسلم بل اجسام ذات ارواح والتفاوت في هذا المفهوم ليس علم (كاملة بالعقل) بمعنى انها (مبرأة عن مبادى الشرور والآفات كالشهوة والغضب) والخيال والوهم (وعن ظلمات الهيولى) قال الجد القطن وشبيه الاوائل طينة العالم به أو هو في اصطلاحهم موصوف بما يصف به أهل التوحيد الله تعالى أنه موجود بلا كمية وكيفية ولم يقترن به شيء من سمات الحدث ثم حلت به الصنعة واعترضت به الاعراض فحدث منه العالم (والصورة) قالوا وهذه الصفات هي الحجب القوية عن تجلي نور الله ولا كمال الا بحصول ذلك التجلي ولا نقص الا بحصول ذلك الحجاب فلما كان هذا التجلي حاصلا لهم أبدا والارواح البشرية محجوبة عن ذلك التجلي في أكثر الاوقات علم انه لا نسبة لكمالهم الى كمال البشر والقول بان الخدمة مع كثرة العوائق أعلى منها بلا عوائق كلام خيالي لان المقصود من جميع العبادات والطاعات حصول ذلك التجلي فأي موضع كان فيه التجلي أكثر وعن المعاوق أبعد كان فيه الكمال والسعادة أتم ولذا قال تعالى في الملائكة يسبحون الليل والنهار لا يفترون (قوية على الافعال العجيبة) لا تستثقل حمل الاثقال ولا تستصعب نقل الجبال والرياح تهب بتحريكها والسحاب تعرض وتزول بتصرفاتها والزلازل تطوى بقوتها (عالمة بالكوائن ماضيها وآتيها من غير غلط) لانهم ناظرون الى اللوح المحفوظ ابدا فيعلمون ما وجد في الماضي وما سيوجد في المستقبل (والجواب ان مبنى ذلك) الذي احتجوا به (على الاصول الفلسفية) اذ هم القائلون بأنهم أرواح مجردة (دون الاصول الاسلامية) القائلين بأنهم أجسام ذات أرواح والتفاوت في هذا غير مسلم عندنا وأما في باقي الصفات المذكورة فغير مسلمة على ما عرف من أصولنا قاله الآمدي (الثاني ان الانبياء مع كونهم أفضل البشر) باتفاق الفريقين (يتعلمون ويستفيدون منهم بدليل قوله تعالى علمه شديد القوى) أي جبريل (وقوله تعالى نزل به الروح الامين على قلبك ولاشك ان المعلم أفضل من المتعلم والجواب ان التعليم انما هو من الله والملائكة انما هم مبلغون) فلا يلزم تفضيلهم على الانبياء لان مجرد كونهم وسائط في التبليغ لا يقتضي التفضيل ألا ترى ان السلطان لو أرسل الى الوزير مثلا رسالة مع بعض أتباع السلطان لا يلزم منه ان الرسول أفضل من الوزير بل ولا مساوله ولا يلزم أيضا كون المعلم أعلم كما ادعوه قال الآمدي آدم كان أعلم منهم لقوله وعلم آدم الاسماء كلها الآيات والمراد أصحاب الاسماء وهي المسميات لقوله ثم عرضهم ولو أراد الاسماء لقال ثم عرضها

كما قاله ثعلب ولو سلم انهم أعلم فانما يدل على اختصاصهم بالاعلمية ولا يلزم أن يكونوا أفضل عند الله بمعنى أكثر ثوابا وأرفع درجة (الثالث انه اطرد فى الكتاب والسنة تقديم ذكرهم على الانبياء) كقوله كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس (وما ذاك الا لتقدمهم فى الشرف والرتبة) لان العرف شاهد بفضيلة المتقدم فى الذكر والاصل تنزيل الشرع عليه ويدل عليه قول عمر للقائل

كفى الشيب والاسلام للمرء ناهيا لو قدمت الاسلام لاعطيتك (والجواب أن ذلك لتقدمهم فى الوجود) لا للدلالة على الفضيلة بدليل أنه تعالى قدم ذكرهم على كتبه والكتب على الرسل والكتب ان كانت هى الكلام القديم النفسانى فهى أفضل من الملائكة وان كانت العبارات والكتابات الدالة فالرسل أفضل منها باتفاق وقد أخر الرسل عنها فى الذكر قاله الآمدى (أولان وجودهم أخفى) لعدم رؤيتنا لهم واذا استدلوا على وجودهم بالادلة السمعية كذكرهم فى الكتب السماوية واخبار الانبياء بهم (فالايمان بهم أقوى وبالتقديم أولى) لان الله أثنى على الذين يؤمنون بالغيب أى بما غاب عنهم (الرابع قوله تعالى لن يستنكف) يتكبر ويأنف (المسيح) الذى زعمتم أنه اله عن (أن يكون عبد الله ولا الملائكة المقربون) عنده ان يكونوا عبيد الله (فان أهل اللسان يفهمون من ذلك أفضلية الملائكة من) أى على (عيسى اذ القياس فى مثله الترقى من الادنى الى الاعلى يقال لا يستنكف من هذا الامر الوزير ولا السلطان ولا يقال السلطان ولا الوزير) اذ لا يحسن ذلك لاقتضائه زيادته على السلطان ولا كذلك فدل على فضل الملائكة على الانبياء ثم أجابوا عن قصور الدليل على فضلهم على عيسى فلا يلزم ذلك على بقية الانبياء بقولهم (ثم لا قائل بالفرق) وفى نسخ بالفصل بصاد مهملة أى التمييز (بين عيسى وغيره من الانبياء عليهم السلام) فثبت الدليل بقياس المساواة لكن قد اعترض الفخر هذا الاستدلال بوجوه بأن محمدا أفضل من المسيح ولا يلزم من فضل الملائكة عليه فضلهم على محمد صلى الله عليه وسلم وبأن قوله ولا الملائكة المقربون صيغة جمع تتناول الكل فتفيد أن مجموعهم أفضل من المسيح لان كل واحد أفضل منه ولان الواو حرف عطف فتفيد الجمع المطلق لا الترتيب فأما المثال المذكور فليس بحجة لان الحكم الكلى لا يثبت بالمثال الجزئى ثم هو معارض بسائر الامثلة كقولك ما أعانى على هذا الامر لا عمرو ولا زيد فلا يفيد فضل المتأخر فى الذكر ومنه قوله تعالى ولا الهدى ولا القلائد ولا آمين البيت فلما اختلفت الامثلة امتنع التعويل عليها ثم تحقيق المسئلة اذا قيل هذا العالم لا يستنكف عن خدمته الوزير ولا السلطان فنحن نعلم بعقولنا ان السلطان أعظم درجة من الوزير فعرفنا أن الغرض من ذكر الثانى المبالغة وانما عرفناها بالعقل لا بمجرد الترتيب فلا يمكنا أن نعرف ان المراد فى ولا الملائكة بيان المبالغة الا اذا عرفنا قبل ذلك ان الملائكة أفضل من المسيح وحينئذ تتوقف صحة الدليل على صحة المطلوب وهو دور (والجواب) على تقدير أن الآية دالة على ان منصب الملك أعلى من المسيح لكنها لا تدل على ان تلك الزيادة فى جميع المناصب بل فى بعضها فقولك لا يستنكف من خدمة هذا العالم الوزير ولا السلطان انما يفيد

ان

ان السلطان أكمل منه فى بعض الاشياء وهى القدرة والسلطنة ولا يفيد زيادته على الوزير فى العلم والزهد فاذا ثبت هذا فنحن نقول بموجبه وهو أن الملك أفضل من البشر فى القدرة والقوة والبطش فان جبريل قلع مدائن قوم لوط والبشر لا يقدر على ذلك فلم قلتم بفضل الملك على البشر فى كثرة الثواب الذى هو محل الخلاف فى المسئلة وكثرته انما تحصل بنهاية التواضع والخضوع ووصف العبد بذلك لا يلائم صيرورته مستنكفا عن العبودية بل يناقضها فامتنع كون المراد من الآية هذا المعنى اما اتصافه بالقدرة الشديدة والقوة الكاملة فيناسب التمرد وترك العبودية وذلك (أن النصارى استعظموا المسيح بحيث يرتفع) وفى نسخة يترفع أى يتعالى (من أن يكون عبدا من عباد الله بل ينبغى أن يكون ابنا له) كما قال تعالى وقالت النصارى المسيح ابن الله (لانه مجرد لا أب له) ولانه (كان يبرئ الاكمه والابرص ويحيى الموتى بخلاف سائر العباد من بنى آدم فرد) الله (عليهم بأنه لا يستنكف من ذلك) أى عبودية الله (المسيح ولا من هو أعلى منه فى هذا المعنى وهم الملائكة الذين لا أب لهم ولا أم ويقدرون باذن الله تعالى على أفعال أقوى وأصعب وأعجب من ابراء الاكمه والابرص واحياء الموتى باذن الله تعالى) الذى شاهدتموه من المسيح (فالترقى والعلو انما هو فى أمر التجرد) من الاب والام (واظهار الآثار القوية كالشدة والقوة والبطش) (لا فى مطلق الشرف والكمال) المؤدى الى كثرة الثواب ومزيد الرفعة عند الله (فلا دلالة فى الآية على أفضلية الملائكة البتة انتهى) ما أراده من هذا البحث وليس المراد انتهى ما فى الشعب لانه ليس فيها ذلك وقدم قوله انتهى يعنى ما فى الشعب قبل قوله وذهبت والقول الثالث الوقف حكاه الكلاباذى عن جمهور الصوفية قال شارحه القونوى وهو أسلم الاقوال والسلامة لا يعدلها شئ كيف وأدلة الجانبين متجاذبة وليست المسئلة مما كلفنا الله تعالى بمعرفة الحكم فيها فالصواب تفويض علمها الى الله واعتقاد أن الفضل لمن فضله الله ليس بشرف الجوهر ليقال الملائكة أفضل لان جوهرهم أشرف فانهم خلقوا من نور وخلق البشر من طين وأصل ابليس وجوهره وهو النار أشرف وأصفى من جوهر البشر وما أفاده ذلك فضلا ولا بالعمل ليقال عمل الملائكة أكثر لان ابليس أكثر عملا أيضا وقال فى منع الموانع عن والده ليست المسئلة مما يجب اعتقاده ويضر الجهل به ولو لقى الله سادجا منها بالكلية لم يأثم قال القاضى تاج الدين فالناس ثلاثة رجل عرف أن الانبياء أفضل واعتقده بالدليل وآخر جهل المسئلة ولم يشتغل بها وهذان لا ضرر عليهما وثالث قضى بأن الملك أفضل وهذا على خطر وهل من فضل الانبياء على خطر فالسادج أسلم منه أو انه لاصابة الحق ان شاء الله ناج من الخطر هذا موضع نظر والذى كنت أفهمه عن الوالد أن السلامة فى السكوت وأن الدخول فى التفضيل بين هذين الصنفين المكرمين على الله بلا دليل قاطع دخول فى خطر عظيم وحكم فى مكان لسنا أهلا للحكم فيه وجاءت أحاديث مشيرة الى عدم الدخول فى ذلك كقوله صلى الله عليه وسلم لا تفضلونى على يونس بن متى ونحوه ولا خلاف انه أفضل منه فلعله اشارة الى انكم لا تدخلوا فى أمر لا يعنيكم وما للسوقة والدخول بين الملوك أعنى بالسوقة أمثالنا

وبالمناولة الانبياء والملائكة انتهى وقد بسط فى الحبائك المسئلة (ثم ان الملائكة بعضهم أفضل من بعض) فأعلاهم درجة حملة العرش الحافون حوله فأكابرهم كالاربعة فملائكة الجنة والنار فالموكلون ببنى آدم فالموكلون باطراف هذا العالم كذا ذكر الرازى (وأفضلهم الروح الامين جبريل المزكى) صفة بمنزلة التعليل كأنه قال لانه المزكى (من رب العالمين المقول فيه من ذى العزة) سبحانه (انه) أى القرآن (لقول رسول كريم) على الله أضيف اليه القرآن لنزوله به (ذى قوة) أى شديد القوة (عند ذى العرش) أى الله (مكين) ذى مكانة (مطاع ثم) أى تطيعه الملائكة فى السموات وثم اما متعلقة بمطاع أو بقوله (أمين) على الوحى (فوصفه بسبع صفات) على ما قاله الزمخشرى وهو ظاهر بجعل عند ذى العرش صفة مستقلة لا متعلقة بما قبلها ولا بما بعدها وعدها الرازى ستة فجعلها متعلقة بقوله ذى قوة (وهو أفضل الملائكة الثلاثة الذين هم أفضل الملائكة على الاطلاق وهم ميكائيل واسرافيل وعزرائيل) كما قال كعب الاحبار جبريل أفضل الملائكة نقله النعمانى وكان هذا لم يصح عند السيوطى فقد قال فى الحبائك سئلت هل الافضل جبريل أو اسرافيل والجواب لم أقف على نقل فى ذلك لاحد من العلماء والآثار متعارضة فحديث الطبرانى عن ابن عباس مرفوعا الا أخبركم بأفضل الملائكة جبريل وأثر وهب ان أدنى الملائكة من الله جبريل ثم ميكائيل يدل على تفضيل جبريل وحديث ابن مسعود مرفوعا ان أقرب الخلق من الله اسرافيل صاحب الصور جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره وحديث عائشة مرفوعا اسرافيل ملك الله ليس دونه شئ وأثر كعب ان أقرب الملائكة الى الله اسرافيل وأثر الهذلى ليس شئ من الخلق أقرب الى الله من اسرافيل وحديث ابن أبى جبلة أول من يدعى يوم القيامة اسرافيل وأثر ابن سابط يدبر أمر الدنيا أربعة جبريل وميكائيل وملك الموت واسرافيل الى أن قال وأما اسرافيل فأمين الله بينه وبينهم أى وبين الثلاثة وأثر خالد بن أبى عمران واسرافيل بمنزلة الحاجب كل ذلك يدل على تفضيل اسرافيل انتهى (وكذلك الرسل أفضل من الانبياء) الذين ليسوا برسل لزيادتهم بالرسالة والانبياء بعضهم أفضل كما قال تعالى ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض قال الامام الرازى أجمعت الامة على ان بعض الانبياء أفضل من بعض وأن محمدا أفضل الكل (وكذلك الرسل بعضهم أفضل من بعض) بنص الآية (ومحمد صلى الله عليه وسلم أفضل الانبياء والرسل) نصا واجماعا (كما تقدم) قريبا ويليه ابراهيم كما نقل بعضهم عليه الاجماع وفى الصحيح خير البرية ابراهيم خص منه المصطفى فبقى على عمومه كذا فى النقاية وقال التفتازانى فى شرح المقاصد اختلف فى الافضل بعد المصطفى فقيل آدم لكونه أبا البشر وقيل نوح لطول عبادته ومجاهدته وقيل ابراهيم لزيادة توكله واطمئنانه وقيل موسى لكونه كليم الله ونجيه وقيل عيسى لكونه روح الله وصفيه انتهى وجزم ابن كثير فى تاريخه بأن ابراهيم أفضل بعد محمد صلى الله عليه وسلم وعليهم (وأول الانبياء آدم) أى والرسل أيضا فالصحيح أنه مرسل الى بنيه كما دل عليه حديث أبى ذر (وآخرهم نبينا صلى الله عليه وسلم فأما نبوة آدم فبالكتاب الدال على انه قد أمر) بنحو اسكن أنت وزوجك الجنة (ونهى) بنحو ولا تقربا هذه

الشجرة (مع القطع بأنه لم يكن في زمنه نبي آخر فهو بالوحي لا غير وكذا السبنة) دلت على نبوته كحديث أبي ذر الآتي (والاجماع) من الامة عليها (فانكار نبوته على ما نقل عن البعض يكون كفرا) لمخالفة الاجماع والنص (وقد اختلف في عدد الانبياء والمرسلين والمشهور في ذلك ما في حديث أبي ذر عند ابن مردويه في تفسيره) وعبد بن حميد والحاكم في المستدرك وابن عساكر والحكيم الترمذي في النوادر (قال) أبو ذر (قلت يا رسول الله كم الانبياء قال مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا قال قلت يا رسول الله كم الرسل منهم قال ثلثمائة وثلاثة عشر) هم (جم) أي جمع (غفير) أي كثير (قال قلت يا رسول الله من كان أولهم) أي الرسل (قال آدم ثم قال صلى الله عليه وسلم يا أبا ذر أربعة سريانيون آدم وشيث) ابنه (ونوح وخنوخ) بفتح المعجمة وضم النون وسكون الواو ثم معجمة بوزن ثمود عند الاكثر وقيل بزيادة الف في أوله وسكون المعجمة الاولى وقيل كذلك لكن بحذف الواو وقيل كذلك لكن بدل الخاء الاولى هاء وقيل كالثاني لكن بدل المعجمة مهملة (وهو ادريس) سرياني وقيل عربي مشتق من الدراسة لكثرة درسه الصحف ولا يمنع الحديث كون لفظ ادريس عربيا اذا ثبت ان له اسمين (وهو اول من خط بالقلم) وذكر ابن اسحق أن له أوليات كثيرة منها انه أول من خاط الثياب ذكره كله الحافظ (وأربعة من العرب هود) بن عبد الله بن رباح بن حرث بن عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح وسماه في التنزيل أخا عاد لكونه من قبيلتهم لا من جهة اخوة الدين هذا هو الراجح في نسبه وأما ابن هشام فقال اسمه عابر بن ارفخشد بن سام (وصالح) بن عبيد بن اسف بن ماشج بن عبيد بن حادر ابن ثمود بن عابر بن ارم بن سام (وشعيب) بن سليل بن يشجن بن عنقاء بن مدين بن ابراهيم وقيل شعيب بن صفور بن عنقاء بن ثابت بن مدين وقول ابن اسحق يشجن بن لاوي بن يعقوب لا يثبت (ونبيك) محمد صلى الله عليه وسلم (يا أبا ذر) ففي هذا الحديث أن شعيبا من العرب العاربة وقيل انه من بني عنزة بن أسد ففي حديث سلمة بن سعيد العنزي أنه قدم على النبي صلى الله عليه وسلم فانتسب الى عنزة فقال نعم الحي عنزة مبغي عليهم منصورون رهط شعيب وأختان موسى أخرجه الطبراني وفي اسانيده مجاهيل (وأول نبي من بني اسرائيل موسى) قد يستشكل هذا بقوله ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات سواء قلنا انه ابن يعقوب أو ابن أفرايم بن يوسف بن يعقوب وكلاهما قبل موسى وهما من بني اسرائيل الذي هو يعقوب الا ان يقال المعنى أول نبي أمر جميع من ياتي من أنبيائهم بعده باتباع شرعه والدعاء اليه (وآخرهم عيسى وأول النبيين) على الاطلاق (آدم وآخرهم نبيك يا أبا ذر) وقد روى هذا الحديث بطوله الحافظ أبو حاتم) محمد (بن حبان) بكسر المهملة وشد الموحدة (في كتابه الانواع والتقاسيم وقد وسمه بالصحيح) وكذا صححه الحاكم (وخالفه ابن الجوزي فذكره في الموضوعات واتهم به ابراهيم بن هشام) الغساني (قال الحافظ ابن كثير ولا شك انه قد تكلم فيه) أي ابراهيم (غير واحد من أئمة الجرح والتعديل من أجل هذا الحديث) فقال أبو حاتم انه غير ثقة وكذبه أبو زرعة الرازي (والله أعلم) بصحته في نفس الامر وعدمها (وروى أبو يعلى) وأبو نعيم في الحلية بسند ضعيف

(عن أنس مرفوعا كان من خلا من اخوانى من الانبياء ثمانية آلاف نبى) لا يعارض ماقبله بفرض صحته مالان الاخبار بالاقل لا ينافى الاكثر لدخوله فيه ولعله أوحى اليه بهذا فاخبر به ثم بالاول وماينطق عن الهوى (ثم كان عيسى ابن مريم ثم كنت أنا والذين نص الله على أسمائهم فى القرآن آدم وادريس ونوح وهود وصالح وابراهيم ولوط واسمعيل واسحق) ولدا ابراهيم (ويعقوب) بن اسحق (ويوسف) بن يعقوب وكذا حفيده يوسف بن أفرايم بن يوسف فى قوله ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات فى أحد القولين والثانى انه ابن يعقوب وحكى النقاش والماوردى انه رسول من الجن بعث اليهم قال السيوطى وهو غريب جدا (وأيوب) قال ابن اسحق والصحيح انه من بنى اسرائيل ولم يصح فى نسبه شئ الا ان اسم أبيه أبيض وقال ابن جرير هو أيوب بن موص بن رازح بن عيص بن اسحق وحكى ابن عساكر أن أمه بنت لوط وان أباه آمن بابراهيم فعلى هذا كان قبل موسى وقال ابن جرير كان بعد شعيب وقال ابن أبى خيثمة بعد سليمان ابتلى وهو ابن سبعين سنة سبع سنين وقيل ثلاث عشرة وقيل ثلاث سنين وروى الطبرانى ان مدة عمره ثلاث وتسعون سنة (وشعيب وموسى وهرون) أخوه شقيقه وقيل لامه وقيل لابيه حكاهما الكرمانى فى عجائبه (ويونس وداود وسليمان) ابنه (والياس واليسع وزكريا ويحيى) ولده (وعيسى) ابن مريم (وكذا ذو الكفل) نبى (عند كثير من المفسرين) وقيل هو ابن أيوب فى المستدرك عن وهب بعث الله بعد أيوب ابنه بشرا نبيا وسماه ذا الكفل وأمره بالدعاء الى توحيده وكان مقيما بالشام عمره حتى مات وعمره خمس وستون سنة وكفل مائة نبى فروا اليه من القتل وتكفل بصيام جميع النهار وقيام جميع الليل وأن يقضى بين الناس ولا يغضب فوفى بذلك وقيل هو الياس وقيل يوشع وقيل زكريا وقيل اليسع وان له اسمين وقيل اسمه ذو الكفل وقيل لم يكن نبيا بل رجلا صالحا يتكفل بأمور فيوفى بها (والله أعلم) بذلك ومن جملة المختلف فى نبوته لقمان وذو القرنين وكذا الخضر لكن لم يفصح باسمه فى القرآن (قال الله تعالى ورفعنا لك ذكرك) واستأنف بيانيا فقال (روى ابن جرير) محمد الطبرى الحافظ أحد الاعلام فى تفسيره وأبو يعلى والطبرانى (من حديث أبى سعيد) الخدرى (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أتانى جبريل فقال ان ربى وربك) المحسن الى والبك بجليل التربية المزكى لى ولك بجميل التزكية واضافة رب للتشريف فكما تفيده اضافة العبد اليه تعالى تشريفه فكذا اضافته اليه تعالى تفيده بل ذلك أقوى افادة له (يقول) زاد فى رواية لك تنبيها على كمال العناية ومزيد الوجاهة عنده والرعاية (تدرى) استفهام حذفت أداته تخفيفا لكثرة وقوعها فيه وفى رواية أتدرى باثباتها وهو غير حقيقى لاستحالته على علام الغيوب بل تقريرى ليقر بعدم علمه فيعلمه من لدنه أى أتدرى جواب (كيف) أى على أى حال ومعنى (رفعت ذكرك) وكيف فى محل نصب حال من المفعول على القاعدة المشهورة ان وقعت بعد كلام تام فحال ولا فخبر وليست منصوبة بتدرى لان لها الصدر فتدرى معلق عن الجملة بعده كقوله

وما أدرى وسوف اخال أدرى ❊ أقوم آل حصن أم نساء

وزعم أن كيف خرجت عن الاستفهام أي أتدري كيفية الرفع وهذا من الانبساط مع المحبوب لأجل زيادة التوجه والانتظار ونكتة أعجمية مع أن لفظ كيفية لم تسمع من العرب كما صرح به أهل اللغة (قلت) وفي رواية فقلت (الله أعلم) وكان هذا شبيه من جبريل بما وقع من المخاطبة بينه وبين الله قبل نزوله والله عالم بأنه يجيب برد العلم اليه فكأنه قال اذا أجابك فقل (قال اذا ذكرت) بضم التاء والضمير لله (ذكرت) بفتحها خطاب للمصطفى والفعل مجهول فيهما وفي رواية لا أذكر الا ذكرت (معي) بصيغة الحصر وأي رفع أعظم من ذلك وأفادت هذه الرواية الثانية أن الحصر هو المراد في الاولى أي اذا ذكرت فالا ئق أو المطلوب أن تذكر معي فمن لم يذكرك ترك المطلوب وفيه رد العلم الى الله ورد على من كرهه مطلقا أو عقب ختم نحو الدرس ولا ايهام فيه خلافا لزاعمه بل هو في غاية التفويض المطلوب وقد قال تعالى الله أعلم حيث يجعل رسالاته وقال علي ما أبردها على كبدي اذا سئلت عما لا أعلم أن أقول الله أعلم ولا يعارضه ما في البخاري ان عمر سأل الصحب عن سورة النصر فقالوا الله أعلم فغضب وقال قولوا نعلم أو لا نعلم لانه فيمن جعل الجواب به ذريعة الى عدم اخباره عما سئل عنه وهو يعلم وفي المعالم انه صلى الله عليه وسلم سأل جبريل عن الآية فقال قال الله فكأنه بعد السؤال جاء وقال ان ربي الخ وقوله قال الله نقل بالمعنى هكذا قال بعض المحققين ثم قد وقع في بعض نسخ الشفاء الله ورسوله أعلم فان صحت رواية فالمراد به جبريل لانه من رسل الملائكة يرسل بالوحي للانبياء والرسل وتفضيله عليه في خصوص هذا العلم لانه علمه قبل أن يبلغه اليه (وذكره) أي رواه أيضا (الطبراني) سليمان ابن أحمد واسناده حسن وفي نسخة الطبري ولا فائدة فيها اذ هو ابن جرير الذي نسبه له أولا (وصححه ابن حبان) وكذا صححه الضياء المقدسي في الاحاديث المختارة (وروينا عن الامام الشافعي قال أخبرنا ابن عيينة) سفيان (عن) عبد الله (بن أبي نجيح) بفتح النون وكسر الجيم وحاء مهملة يسار المكي أبي يسار الثقفي مولاهم ثقة من رجال الجميع ورمي بالقدر وربما دلس مات سنة احدى وثلاثين ومائة أو بعدها (معناه) أي قوله ورفعنا لك ذكرك (لا أذكر) مجهول المتكلم (الا ذكرت) مجهول المخاطب (معي) في قول (أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله) وفي التفسير بهذا اشارة الى أن الحصر هو المراد بما قبله (قال الامام الشافعي يعني والله أعلم ذكره عند الايمان) بالله تعالى (وفي الاذان) كما أشار له ابن أبي نجيح فلا يرد على الحصر أن الكافر كثيرا ما يذكر الله وحده بل والمؤمن كثيرا ما يقول لا اله الا الله مقتصرا عليها وكثيرا ما يذكر الله ولا يطلب ذكره صلى الله عليه وسلم كسمع الله لمن حمده وربنا لك الحمد والتسمية في الوضوء والاكل والشرب (قال الشافعي) (ويحتمل أن يكون المراد ذكره عند تلاوة القرآن وعند العمل بالطاعة والوقوف عن المعصية) بأن يتذكر في نفسه أن فعلها والكف عن ضده سببه تبليغ النبي صلى الله عليه وسلم الثواب الحاصل للمطيع والعقاب الحاصل للعاصي فيصلي عليه جزاء لتبليغه وتحمل أعباء الرسالة (انتهى) قول الشافعي (وقيل) معناه (رفعه بالنبوة) الخاصة وهي رسالته الى جميع الخلائق وبقاء شرعه الى يوم الدين وكونها رحمة للعالمين فلا يرد

أن وصف النبوة شاركه فيه الانبياء فلا يكون مرفوعا بها عليهم او المراد بها سبقه بالنبوة جميع الانبياء وكونه أول الانبياء فى الخلق أو على من فى عصره او الفضل المتقدم (قاله يحيى بن آدم) بن سليمان (الكوفى) أبو زكريا مولى بنى أمية ثقة حافظ فاضل روى عنه أحمد وغيره وروى له الستة ومات سنة ثلاث ومائتين (وعن ابن عطاء) بلا اضافة هو أبو العباس أحمد بن محمد بن سهل بن عطاء البغدادى الزاهد الادمى بفتحتين نسبة الى بيع الادم له لسان فى فهم القرآن يختص به صحب الجنيد وغيره ومات سنة تسع أو احدى عشرة وثلثمائة (جعلتك) أى ذكرك (ذكرا من ذكرى) أو جعلت ذاتك مبالغة حتى كان من رأى ذاته ذكر الله أو المعنى كان ذكرك عين ذكرى لعدم انفكاكه عنه غالبا أو هو مثله فى التقرب به والاجر أو هو معدود من أفراده لان كل مطيع لله ذاكره (فمن ذكرك ذكرنى) الفاء تفسيرية أو تفريعية (وعنه أيضا جعلت تمام الايمان بذكرى معك) وفى نسخة من الشفاء بذكرك معى وهذه واضحة والاولى مخالفة لقاعدة أن مع تدخل على المتبوع غالبا وقد تجىء لمطلق المصاحبة كما هنا أى جعلته يحصل بذكر الله مصحوبا بذكره عليه السلام بان يأتى بالشهادتين على الوجه المعروف وجعله تمام الايمان اما لان الايمان عنده تصديق القلب واللسان كما هو قول لاهل السنة وأما من يقول بمجرد التصديق فباعتبار أنه لا يعتد به بدونه ولا تترتب عليه الاحكام ما لم يأت به لسانا (وعن جعفر بن محمد) الباقر بن على زين العابدين بن الحسين بن على بن أبى طالب (الصادق) صفة لجعفر لصدقه فى مقاله أبى عبد الله الهاشمى فقيه امام صدوق روى له مسلم وأصحاب السنن ومات سنة ثمان وأربعين ومائة (لا يذكرك أحد بالرسالة الا ذكرنى بالربوبية) صيغة مصدر من الرب والياء المصدرية فلا بد معها من تاء التأنيث يعنى لا يعترف أحد برسالتك الا بعد أن يعترف بربوبية الله ووحدانيته لوجوب معرفة الله عقلا قبل ذلك لئلا يلزم الدور كما ذهب اليه الماتريدية أو سمعا كما ذهب اليه غيرهم وقيل المراد أو أراد ذلك أو عبر بالماضى عن المضارع مبالغة فى تحقق وقوعه ولا يشكل الاول بعدم مقارنة الحال للعامل لتقدم الايمان بالله أو ارادته على الايمان بالرسول وأما التلفظ بما يدل على ذلك فذكره عقبه بلا فاصل يعد مقارنا عرفا ومثله يكفى عند النحاة فلا حاجة لجعل الحال مقدرة ودعوى عدم اختصاصه صلى الله عليه وسلم بذلك مدفوعة بأن هذه المقارنة فى الاذان والاقامة والخطب والصلاة والايمان وهذا كله مختص بهذه الامة فتختص المقارنة على هذه الصفة بنبيها لاختصاصها به دون من عداه من الامم والرسل وهذا فى غاية الظهور (قال البيضاوى وأى رفع مثل أن قرن اسمه باسمه فى كلمتى الشهادة وجعل طاعته طاعته) وصلى عليه فى ملائكته وأمر المؤمنين بالصلاة وخاطبه بالالقاب وانما ذكر ذلك ليكون ابهاما قبل ايضاح فيفيد المبالغة (انتهى) كلام البيضاوى بما زدته فاقتصر المصنف على حاجته منه هنا لاجل شرحه بقوله (يشير) البيضاوى (الى قوله تعالى من يطع الرسول فقد أطاع الله) فجعل طاعته طاعته (والله ورسوله أحق ان يرضوه) أحق بالارضا بالطاعة والوفاق وتوحيد الضمير لتلازم الرضاءين ولان الكلام فى ايذاء الرسول وارضائه أو لان التقدير والله أحق

ان

٣ قوله ولا يشكل الاول أى بشقيه وهما حمل الذكر على الاعتراف المشار اليه بقوله يعنى لا يعترف الخ وحمله على الارادة المشار اليه بقوله وقيل المراد أو أراد ذلك أى لا يستشكل ذلك يعنى لا يعتبر فى مثل هذا المقام عدم مقارنة الحال للعامل ولا يقال به لتقدم الايمان بالله الخ فهو علة للنفى ٣ وبذلك يتم الكلام بخلاف ما لو جعل علة للمنفى فان الكلام يكون ناقصا هكذا ينبغى أن تفهم هذه العبارة ومع ذلك فلقائل أن يقول ما دام هذا التركيب أعنى لا يذكرك أحد بالرسالة الخ عربيا جاريا على أسلوب اللغة العربية وقانونها توجه الاستشكال بعدم المقارنة ولا يدفعه حمل الذكر على الاعتراف أو ارادته تأمل اه

مصححه

أن يرضوه والرسول كذلك قاله فى الانوار (ومن يطع الله ورسوله) فقد فاز فوزا عظيما (وأطيعوا الله والرسول) لانه يعنى وأطيعوا الرسول بجمع بينهما بواو العطف المشركة ولا يجوز جمع هذا الكلام فى غيره عليه الصلاة والسلام قاله عياض واعترض بانه لا مانع أن يقال أطع الله والقاضى كقوله تعالى أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم حتى قال بعض انه وهم وما أظن أحدا منعه وأجيب بانه أراد أنه منهى عنه تنزيها وأدبا لورود الحديث بما يدل على رعاية الادب فى اللفظ وترك ما يوهم خلافه وأطلق نفى الجواز اعتمادا على تصريح الخطابى وغيره بالكراهة ولا دلالة فى آية وأولى الامر لاحتمال الجواز بالتبعية ولذا لم يكرر وأطيعوا مرة أخرى كما لم تكرر اللام فى عامتهم فى حديث الدين النصيحة لله ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم (و) يشير الى (قول قتادة) بن دعامة عند ابن أبى حاتم والبيهقى (رفع الله ذكره) صلى الله عليه وسلم (فى الدنيا والآخرة فليس خطيب) يحمل على جهة الكمال وفى الحديث كل خطبة ليس فيها شهادة فهى كاليد الجذماء (ولا متشهد) أى آت بكلمة الشهادة فى غير الخطبة والصلاة (ولا صاحب صلاة) المراد بها الفرد الكامل المتبادر فلا ترد صلاة الجنازة (الا يقول) مستثنى من أعم الاحوال أى ليس فى حال من الاحوال الا قائلا (أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله انتهى) قول قتادة وأورد أن أمر الآخرة لا يعلم بالمقايسة فرفع ذكره فى الدنيا لا يستلزم رفعه فى الآخرة وأجيب بانه أخذه من اطلاق الآية والحديث ورفع ذكره فى الدنيا عنوان رفعه فى الاخرى ووجه التفريع أن من رفع ذكره فى الدارين حقيق بأن يشهد له بذلك فهو بيان لبعض الاحوال التى تفعل فى الدنيا وليس فيها شئ من أحوال الآخرة وان شمله قوله فى الدنيا والآخرة لما ذكره ولغيره فيندرج فيه ما يفعل فى الآخرة (فهو مذكور معه) تفريع على قول قتادة (فى الشهادة) دخولا فى الايمان وثناء عليه بعده (والتشهد) لان الشهادة من جملة ألفاظه الواردة فيه سواء كان بلفظ حديث ابن مسعود أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله أو بلفظ حديث غيره وأن محمدا رسول الله (ومقرون ذكره بذكره فى القرآن) أى مصاحب له فالمقارنة المصاحبة كما قيل

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه * فكل قرين بالمقارن يقتدى

(والخطب) الشرعية الكاملة (والاذان ويؤذن باسمه فى موقف القيامة) اظهارا لرفعة قدره فى ذلك الموطن روى ابن زنجويه عن كثير بن مرة الحضرمى مرفوعا يبعث بلال على ناقة من نوق الجنة ينادى على ظهرها بالاذان فاذا سمعت الانبياء وأممها أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله قالوا ونحن نشهد على ذلك (وأخرج أبو نعيم فى الحلية عن أبى هريرة رفعه لما نزل آدم عليه السلام بالهند استوحش) حصل له وحشة لانفراده (فنزل جبريل عليه السلام فنادى بالاذان الله أكبر الله أكبر مرتين أشهد أن لا اله الا الله مرتين أشهد أن محمدا رسول الله مرتين الحديث) ورواه أيضا الحاكم وابن عساكر وحكمة ذلك التنويه باسمه فى عهد آدم ومصاحبته لاسم الله وأن الاذان ينفع المستوحش الحزين وقد روى الديلمى عن على رآنى رسول الله صلى الله عليه وسلم حزينا

فقال لى يا ابن أبى طالب مالى أراك حزينا فر بعض أهلك يؤذن فى أذنك فانه دواء للهم فجربته فوجدته كذلك وقال كل من رواته جربته فوجدته كذلك (وكتب اسمه الشريف على العرش) أى على ساقه كما قدمه فى الاسماء أى قوائمه ولابن عدى لما عرج بى رأيت مكتوبا على ساق العرش لا اله الا الله محمد رسول الله أيدته بعلى (وعلى كل سماء) أى السموات السبع (وعلى الجنان وما فيها) من قصور وغرف وعلى نحور الحور العين وورق شجرة طوبى وسدرة المنتهى وأطراف الحجب وبين أعين الملائكة (رواه ابن عساكر) عن كعب الاحبار وهو من الاسرائيليات وقيل انه موضوع وقدمه فى الاسماء والمعجزات وأعاده هنا لبيان رفع الذكر (وأخرج البزار عن ابن عمر مرفوعا لما عرج بى الى السماء ما مررت بسماء الا وجدت اسمى فيها مكتوبا محمد رسول الله) وكتب مع انه مشهور فى السموات بأحمد أكثر ليحصل به الرد من علم ذلك على منكرى رسالته وانما يعرف بينهم بمحمد دون بقية أسمائه (وفى الحلية عن ابن عباس رفعه ما فى الجنة شجرة عليها ورقة الا مكتوب عليها) أى الورقة (لا اله الا الله محمد رسول الله) وكل من هذين شاهد وبيان لقوله فى حديث كعب على كل سماء وعلى الجنان (وأخرج الطبرانى من حديث جابر مرفوعا كان نقش خاتم سليمان بن داود عليهما السلام لا اله الا الله محمد رسول الله) ويروى عن عبادة بن الصامت مرفوعا عند الطبرانى أيضا ان فص خاتم سليمان بن داود كان سماويا ألقى اليه فوضعه فى اصبعه وكان نقشه أنا الله لا اله الا أنا محمد عبدى ورسولى (وعزاه) أى نسبه (الحافظ ابن رجب) عبد الرحمن (فى كتاب أحكام الخواتيم لجزء أبى على الخالدى وقال انه باطل موضوع) وتعقب بأنه شديد الضعف لا موضوع (وشق اسمه الكريم من اسمه تعالى كما قال حسان) بن ثابت (وشق) بالبناء للفاعل عطفا على قوله قبل وضم الاله اسم النبى الى اسمه أى أخذ له اسما حروفه (من اسمه ليجله *) ليعظمه (فذو العرش محمود وهذا محمد وسماه من أسمائه الحسنى بنحو سبعين اسما كما بينت ذلك فى أسمائه صلوات الله وسلامه عليه) من المقصد الثانى (وصلى عليه فى ملائكته وأمر المؤمنين بالصلاة) والتسليم (عليه) من جملة ما رفع به ذكره (فقال تعالى ان الله وملائكته يصلون) اختلف المفسرون وغيرهم فى أن الواو عائدة على الله تعالى وملائكته أو على ملائكته فقط وخبر الجلالة محذوف أى ان الله يصلى وملائكته يصلون فأجازه بعضهم ومنعه آخرون لعلة التشريك حكاه عياض أى التسوية بين الله وملائكته فى لفظ واحد وهو ضمير الواو لما فيه من عدم رعاية التعظيم (على النبى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما) خصه بالتأكيد وتنوين التعظيم أى تسليما عظيما تعريضا بمن لم يسلم أولان المراد تسليما لا كتسليم غيره من الامة والصلاة لا يشاركه فيها الامة فيفهم منها فى نفسها التعظيم بلا تأكيد أولان التسليم لم يثبت لله والملائكة فهو فى معرض المساهلة فى الجملة (فأخبر عباده بمنزلة نبيه عنده فى الملا الاعلى بأنه يثنى عليه عند ملائكته المقربين وان الملائكة تصلى عليه ثم أمر العالم السفلى) أى المؤمنين (بالصلاة والتسليم عليه) وكل ذلك ابانة لفضله

ورفعا

ورفعا ذكره (فيجتمع الثناء عليه من أهل العالمين) بفتح اللام والميم تثنية العالم (العلوى) و (العالم السفلى جميعا) وقد أورد على هذا ان المؤمنين شاركوه فى ذلك قال تعالى هو الذى يصلى عليكم وملائكته ومثله كثير فى الاحاديث كحديث ان الله وملائكته يصلون على ميامن الصفوف وأجيب بأن الآية الاولى نزلت أولا من غير مزاحم فيها مع التأكيدات والاسمية وتمييزه بمجموع ماذكر فبان بها فضله ورفعه على غيره وقد أخرج عبد بن حميد عن مجاهد قال لما نزلت ان الله وملائكته يصلون على النبى قال أبو بكر يا رسول الله ما أنزل الله عليك خيرا الا أشركنا فيه فنزلت هو الذى يصلى عليكم وملائكته وقال الامام الرازى صلاة الملائكة على المؤمنين بطريق التبعية لصلاته تعالى عليهم لتأخر ذكرها وصلاتهم على النبى صلى الله عليه وسلم بطريق الاصالة ففيها تفضيله على غيره كما اذا قيل يدخل فلان وفلان فانه يدل على تقديم الاول بخلاف فلان وفلان يدخلان انتهى ولا يرد بأن الواو لمطلق الجمع بلا ترتيب لان ملحظه أن التقديم الذكرى يشعر بالاهتمام والتقديم لا من حيث الواو (وكتبه نبيا وآدم بين الروح والجسد) كما مر مبسوطا فى المقصد الاول (وختم به النبوة والرسالة) فلا نبى بعده ولا رسول (وأعلن بذكره الكريم) أى أظهره (فى الاولين والآخرين ونوه) رفع (بقدره الرفيع العالى) (حين أخذ الميثاق على جميع النبيين) كما قال واذ أخذ الله ميثاق النبيين الآية (وجعل ذكره فى فواتح الرسائل وخواتمها وشرف به المصاقع) بالصاد المهملة والقاف الخطباء الفصحاء البلغاء جمع مصقع بكسر الميم (على المنابر) جمع منبر من النبر وهو الارتفاع (وزين بذكره أرباب الاقلام والمحابر) جمع محبرة بفتح الميم والباء أو فتحها وضم الباء أو كسرها وفتح الباء لانه آلة أجودها الاولى (ونشر ذكره فى الآفاق) النواحى (شرقا وغربا بحرا وبرا حتى فى السموات السبع وعند المستوى وصريف الاقلام) تصويتها (والعرش والكرسى وسائر) بمعنى جميع (الملائكة المقربين من الكروبيين) بالتخفيف سادة الملائكة (والروحانيين) بفتح الراء وضمها (والعلويين) أى الملازمين للسموات (والسفليين) من عداهم كالموكلين بحفظ بنى آدم ومصالحهم (وجعله فى قلوب المؤمنين بحيث يستطيبون ذكره) ويتلذذون به (فترتاح أرواحهم وربما تميل من طرب سماع اسمه أشباحهم) أجسادهم وأنشد لغيره قوله

(واذا ذكرتكم أميل كأننى * من طيب ذكركم سقيت الراحا)

قال الجوهرى الراح الخمر كالرياح بالفتح والارتياح (كأنه تعالى يقول أملأ الوجود كله علويه وسفليه (من اتباعك كلهم يثنون عليك ويصلون عليك ويحفظون سنتك) وقد قال الا انى أوتيت الكتاب ومثله معه الحديث رواه أحمد وأبو داود (بل ما من فريضة من فرائض الصلاة الا ومعها سنة) مما سنه كتكبيرة الاحرام معها رفع اليدين والفاتحة معها السورة وهكذا (فهم يتمسكون فى الفريضة بأمرى وفى السنة بأمرك) لانه من أمرى (وجعلت طاعتى طاعتك) فى نحو قولى من يطع الرسول فقد أطاع الله (وبيعتى بيعتك) ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله وأتى بهما على القلب للمبالغة (فالقراء يحفظون

ألفاظ منثورك) على اختلاف القراآت الواردة عنك متواترة وغيرها وبوجوه ماقد يخفى من جهة اللسان بأوجه متعددة أووجه هؤلاء هم القرّاء (والمفسرون يفسرون معانى فرقانك) بما ورد عنك وعن أصحابك وتابعيهم وما استنبطوه من اللغة واستخرجوه من علوم البلاغة (والوعاظ) المذكورون (يبلغون بليغ وعظك) من اضافة الصفة للموصوف أى وعظك البليغ (والملوك والسلاطين يقفون فى خدمتك ويسلمون عليك من وراء الباب) أدبا واحتشاما (ويمسحون وجوههم بتراب روضتك ويرجون شفاعتك فشرفك باق أبد الآبدين والحمد لله رب العالمين) على ذلك الفضل العظيم (وقال تعالى طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى) من الشقاء التعب أو الشقاوة على ما يأتى (اعلم أن للمفسرين فى طه قولين أحدهما انها) أى هذه اللفظة والافهى حرفان (من) أسماء (حروف التهجى والثانى انها كلمة مفيدة) أى مركبة لامقطعة من أسماء حروف التهجى (وعلى القول الاول قيل معناها) الذى أريد بها (ياطمع) بزنة مقعد (الشفاعة للامة) أى يامن هو محل تطمعها فى الشفاعة لها (وياهادى الخلق الى الملة) يحتمل أن الاسم مركب من مجموع النداءين وأن كل واحد منهما مسمى بمجموع الطاء والهاء ومقتضى قول عياض وقيل هى حروف مقطعة لمعان الاول فالطاء للاول والهاء للثانى (وقيل الطاء فى الحساب بتسعة والهاء بخمسة فالجملة أربعة عشر ومعناها ياأيها البدر) ذكره معرفا باللام اشارة الى انه الكامل المنير السالم من العوارض (وهذه الاقوال) استعمل الجمع فى اثنين لانه الذى قدمه بناء على انهما أقله فهو حقيقة أومجاز من استعمال الكل فى البعض بناء على أن أقله ثلاثة (لايعقد عليها اذهى كما قال المحققون من بدع) بكسر فسكون أى غريب (التفسير) الذى لاسند له سوى هذا التوهم العقلى وفى نسخة المفسرين والمعنى واحد وتجوز قراءته بفتح الدال جمع بدعة اسم من الابتداع وهو الاستخراج والاحداث بلا أصل (ومثلها قول الواسطى) أبى بكر محمد بن موسى الامام العارف من كبار أتباع الجنيد (فيما حكاه القاضى عياض فى الشفاء أراد ياطاهر وياهادى) فالطاء من طاهر والهاء من هادى وقيل الطاء طول القراءة والهاء هيا تها وقيل طوبى والهاوية وقيل قسم بطوله وهدايته عليه السلام وهى أيضا من البدع وقيل طه اسم من أسمائه صلى الله عليه وسلم وقيل من أسماء الله حكاهما عياض والمصنف فى المقصد الثانى قائلا المعتمد أنها من أسماء الحروف (وأما على قول من قال انها كلمة مفيدة ففيه وجهان أحدهما أن معناه يارجل) أى معناه رجل وحرف النداء مقدر معه (وهو مروى عن ابن عباس) عند البيهقى (والحسن) البصرى (ومجاهد وسعيد بن جبير وقتادة وعكرمة) والكل من التابعين المفسرين (قال سعيد بن جبير بلسان النبطية) أى المنسوبة الى النبط قوم كانوا ينزلون سواد العراق (وقال قتادة بلسان السريانية وقال عكرمة بلسان الحبشة) ولا يشكل عليهم قوله تعالى قرآنا عربيا لان المراد عربى الاسلوب لاالكلمات أوهو اسم للجملة وهى كثيرة فلا يخرجه اشتماله على كلمات قليلة غير عربية كقسطاس وسجيل عن كونه عربيا ولا أنه نزل بمكة والمدينة وبينهما لانه لايلزم

من نزوله بها أن جميعهم يلغتهم بلوازاشتهار تلك اللغة فى تلك الاماكن (وقال البيضاوى ان صح أن معناه يارجل فلعل أصله ياهذا فتصرفوا فيه بالقلب) للياء طاء (والاختصار) أى الاقتصار على الهاء من هذا (انتهى قال الكلبى لو قلت فى عك) بفتح العين وشد الكاف قال الجوهرى هو عك بن عدنان أخو معد وهم اليوم باليمن (يارجل لم يجبك حتى تقول طه) لانها لغتهم ولا يعلمون لفظ يارجل (وقال السدى) بضم السين وشد الدال (معنى طه يافلان) كناية عن اسم الانسان دون قصد واحد بعينه نحو رأيت زيدا فقلت له يافلان افعل كذا بخلاف يارجل القصد به ياهذا الذكر من بنى آدم (وقال الزمخشرى لعل عكا تصرفوا فى ياهذا كأنهم فى لغتهم قالبون الياء طاء) الاحسن أن يقول يا بلا أل لان الكلمة المركبة من حرفين فصاعدا انما ينطق بلفظها لا بحروف هجائها والياء انما هى اسم لاحد حروف التهجى (فقالوا فى ياطا) أى ذكروا بدل لفظ يا لفظ طا فنى للبدل وكذا فى الكشاف بنى ويقع فى بعض نسخ المصنف باسقاط فى على حذف مضاف أى بدل ياطا (واختصروا) لفظ (هذا) بحذف الذال (فاقتصروا على ها) مضمومة الى طا فصار طه بالقصر لان أسماء حروف التهجى مالم تلها العوامل موقوفة خالية عن الاعراب لفقد موجبه لكنها قابلة اياه معرضة له اذلم تناسب مبنى الاصل ولذا قيل ق وص مجموعا فيهما بين الساكنين ولم يعامل معاملة اين وما ولا قاله فى الانوار (وأثر الصيغة ظاهر (لايخفى فى البيت المستشهد به) وهو (ان السفاهة طه) أى يارجل (فى خلائقكم) أى طباعكم (لاقدس الله أخلاق الملاعين) جمع ملعون أى مطرود كما فى القاموس وغيره وقول بعض سموا ملاعين لانهم يلعنون الناس كثيرا لا يناسب اللغة ولم يذكر المجد أن اخلاق من جموع خليقة فيحتمل انه جمع خلق كعنق وأعناق فيكون هجاهم أولا بأن طبيعتهم مجبولة على السفاهة ثم دعا على خلقهم (انتهى) كلام الزمخشرى ورده البيضاوى فقال الاستشهاد بالبيت ضعيف لجواز أن يكون قسما كقولهم حم لا ينصرون انتهى أى ان السفاهة وحق طه أو وقسمى طه كقوله صلى الله عليه وسلم ليلة الخندق ان لقيتم الليلة فقولوا حم لا ينصرون رواه أبو داود والترمذى والنسائى والحاكم وصححه عن البراء بن عازب (قال) أبو حيان (فى البحر) تفسيره الكبير (وكان الزمخشرى (قد قدم أن طه فى لغة عك فى معنى يارجل ثم تخرص) تكلف الخوض بما لغته بما تكلفه (وتجرأ) أسرع بالهجوم بلا توقف (على عك بما لا يقوله نحوى وهو أنهم قلبوا الياء طاء وهذا لا يوجد فى لسان) أى لغة (العرب قلب الياء التى للنداء طاء وكذلك حذف اسم الاشارة فى النداء واقرار) أى ابقاء (ها التى للتنبيه) كذا فى النسخ الصحيحة وهو ما فى النهر مما فى بعض النسخ وأقرت تصحيف انتهى (وقيل معناه يا انسان) حكاه عياض وغيره فان صحت هذه التفاسير فهو مشترك والوجه الثانى انها كلمة دالة على الطلب (و) يدل عليه انه (قرئ) شاذا (طه) وبه قرأ الحسن البصرى (باسكان الهاء على انه أمر له صلى الله عليه وسلم بأن يطأ الارض بقدميه فقد روى انه صلى الله عليه وسلم كان يقوم فى تهجده على احدى رجليه) للاستراحة من طول القيام (فامر بأن يطأ

الارض بقدميه معا) حتى لا يتعب ويحتاج للاستراحة أخرج عبد بن حميد عن الربيع بن أنس قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا صلى قام على رجل ورفع الاخرى فأنزل الله طه الآية وأخرج ابن مردوية عن علي قال لما نزل على النبي صلى الله عليه وسلم يا أيها المزمل قم الليل الا قليلا قام الليل كله حتى تورمت قدماه فجعل يرفع رجلا ويضع أخرى فهبط عليه جبريل فقال طه طأ الارض بقدميك يا محمد فأمر بأن يطأ الارض بقدميه معا (وان الاصل طأ فقلبت همزته هاء كما قالوا هياك) بكسر الهاء (في اياك وهرقت في أرقت ويجوز أن يكون الاصل من وطأ على ترك الهمزة) قال الطيبي بان قلبت الفا وبني الامر عليه واذا بني عليه (فيكون أصله ط يا رجل ثم أثبت الهاء فيه للوقف) أي السكت فصار طه (وعلى هذا يحتمل أن يكون أصل طه طأ ها والالف مبدلة من الهمزة والهاء كناية عن الارض) أي الضمير راجع اليها للعلم بها من قرينة الحال والضمير يسمى كناية عند النحاة ويحتمل انه اراد أن الهاء وحدها ضمير كما عليه بعض النحاة أو أن ها اسم لحرف مأخوذ من ها اسم للضمير فهي كناية اصطلاحية عنه لانه ضمير (لكن يرد ذلك) كما قال البيضاوي (كتبهما على صورة الحرف) وتعقب بأن رسم المصحف غير قياسي كما رسم المؤمنون بلا ألف في الامام (وأما قوله تعالى ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى فذكروا في سبب نزولها اقوالا) منها ما تقدم وأخرج البزار عن علي قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يراوح بين قدميه يقوم على كل رجل حتى نزلت ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى (أحدها) ما عند ابن مردوية بمعناه عن ابن عباس (ان أبا جهل) فرعون الامة (والوليد بن المغيرة ومطعم بن عدي قالوا للرسول الله صلى الله عليه وسلم انك لتشقى حيث تركت دين آبائك) ومرادهم ضد السعادة (فقال صلى الله عليه وسلم بل بعثت رحمة للعالمين) فكيف أشقى أنا (فأنزل الله تعالى هذه الآية ردا عليهم وتعريفا له صلى الله عليه وسلم بأن دين الاسلام والقرآن هو) أي المذكور (السلم) فلا يرد أن القياس هما السلم (الى نيل كل فوز والسبب في ادراك كل سعادة وما فيه الكفرة هو الشقاوة بعينها) وأي شقاوة مثل الخلود في جهنم (وثانيها انه) كما رواه ابن مردوية عن علي بمعناه انه (صلى الله عليه وسلم) لما نزل عليه يا أيها المزمل قم الليل الا قليلا (صلى بالليل حتى تورمت قدماه فقال له جبريل) بأمر الله (أبق على نفسك فان لها عليك حقا) أي ما أنزلنا عليك القرآن لتنهك (نفسك بالعبادة) الزائدة تتعب وتولم (وتذيقها المشقة العظيمة) بالسهر وقيام الليل (وما بعثت الا بالحنيفية السمحة) السهلة التي لا تعب فيها (وروى انه كان اذا قام من الليل ربط صدره بحبل حتى لا ينام) مبالغة في امتثال الامر (وقال بعضهم كان يسهر طول الليل) في ابتداء أمره حتى أمر بالتخفيف (وتعقب بأنه بعيد لانه صلى الله عليه وسلم ان فعل شيأ من ذلك فلا بد أن يكون فعله بأمر الله تعالى) وهذا ممنوع لانه فعل ذلك لتحقق مدلول ما أمر به من قيام الليل على الوجه الاتم لا للامر به بخصوصه ويمنع تعقبه أيضا بقوله (فاذا فعله عن أمره فهو من باب السعادة لا من باب الشقاء) بل هو التباس اذ الرد على أنه من باب الشقاء بمعنى اتعاب النفس على هذا لا ينافي أن الاتعاب المذكور للسعادة وانما يقال من باب السعادة لا الشقاء على

الوجه

الوجه الذي قبله في الرد على أبي جهل ومن معه هكذا أملاه شيخنا (وثالثها قال بعضهم) ظاهره أنه سبب لنزول الآية لقوله أولا ذكروا في سبب نزولها أقوالا أولا كذلك فانما هذا فهم في الشقاء اذ السبب لا يكون احتمالا بل نقل بمجرد وقد قال (يحتمل أن يكون المراد لا تشق نفسك ولا تعذبها بالاسف) الحزن والحسرة (على كفر هؤلاء) فهو كقوله لا تذهب نفسك عليهم حسرات (فانما أنزلنا عليك القرآن لتذكر) تعظ (به من آمن في آمن وأصلح) عمل الصالحات من الفرائض وغيرها (فلنفسه) لان ثمرته عائدة عليه وان كان للنبي أجره أيضا (ومن كفر فلا يحزنك كفره) لا تهتم لكفره (فما عليك الا البلاغ) وليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء (وهذا كقوله تعالى لعلك باخع) قاتل (نفسك) ولعل للاشفاق أي أشفق على نفسك أن تقتلها (أن لا يكونوا مؤمنين) لئلا يؤمنوا أو خيفة أن لا يؤمنوا وكقوله (ولا يحزنك كفرهم وروابعها) وهو من نمط الثالث لا سبب النزول كما يوهمه المصنف (أن هذه السورة من أوائل ما نزل بمكة وفي ذلك الوقت كان صلى الله عليه وسلم مقهورا ومامع أعدائه) الكفار (فكأنه تعالى قال لا تظن انك شقي على هذه الحالة) التي هي قهر الاعداء (بل يعلو أمرك ويظهر قدرك فانا ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى أي لتبقى شقيا) متعبا مقهورا والشقاء شائع بمعنى التعب ومنه أشقى من رائض المهر أي أن معالجة المهارة شقاوة لما فيها من التعب (بل تصير معظما مكرما زاده الله تعالى تعظيما وتكريما) كما الى هذا الاشارة بقوله الا تذكرة لمن يخشى أي لكن تذكيرا لمن في قلبه خشية ورقة يتأثر بالانوار أو لمن علم الله انه يخشى بالتخويف فانه المنتفع به ومن خشي صار المصطفى لديه معظما مكرما كما وقع ذلك للصحابة حتى كانوا عنده كأنما على رؤسهم الطير ولا يحدون النظر اليه وكان أحب اليهم من أنفسهم قال البيضاوي ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى خبر طه ان جعلت مبتدأ على انه مؤول بالسورة والقرآن فيه واقع موقع العائد وجواب ان جعلت مقسما به ومنادى له ان جعلت نداء واستئناف ان كانت جملة فعلية أو اسمية باضمار مبتدا أو طائفة من الحروف محكية قال تبعا للكشاف وانتصاب الا تذكرة على الاستثناء المنقطع ولا يجوز أن يكون بدلا من محل لتشقى لاختلاف الجنسين يعني أن نصب تذكرة نصبة صحيحة ليست بعارضة والنصبة التي في لتشقى بعد نزع الخافض عارضة كما قال أبو حيان ولا يجوز أن يكون مفعولا له لانزلنا فان الفعل الواحد لا يتعدى الى علتين وقيل هو مصدر في موضع الحال من الكاف أو القرآن أو مفعول له على أن لتشقى متعلق بمحذوف هو صفة للقرآن أي ما أنزلنا عليك القرآن المنزل لتتعب بتبليغه (وقال الله تعالى انا أعطيناك الكوثر) أكده مع ضمير العظمة ايماء الى عظمة المعطي والمعطى وتشويقا وتفيا للشبهة فيه (السورة قال الامام فخر الدين) محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي البكري الطبرستاني الرازي (ابن الخطيب) بالري مر بعض ترجمته غير مرة (في هذه السورة كثير من الفوائد منها انها كالمتممة لما قبلها من السور) المتعلقة به صلى الله عليه وسلم وليس القصد بها بيان الاحكام فلا يرد أن ما ذكره دليلا على ذلك بعض السور لا جميعها على انه كما قال شيخنا في التقرير لم تظهر زيادة الكوثر على تفسيره

بينا هو أعم من النهر على قوله ولسوف يعطيك ربك فترضى فانه شامل لما شمله الكوثر أو أشمل (وذلك لان الله تعالى أنزل) وفي نسخة جعل (سورة والضحى في مدح نبينا صلى الله عليه وسلم وتفصيل أحواله) أي جنسها فلا ينافي أن ما ذكر في هذه السورة مشتمل على جميعها لزوما (فذكر في أولها) أي أحواله (ثلاثة أشياء تتعلق بنبوته) أي ترتبط بها وتترتب عليها كالثمرة لها وليس المراد التعلق النحوي ولا المعنوي المقتضى لكون هذه من معنى النبوة اذ ليست من معناها (وهي قوله ما ودعك) أي تركك (ربك وما قلى) أبغضك حذف مفعوله اختصارا للعلم به وللجري على نهج الفواصل ولئلا يخاطبه بالبغض وان كان منفيا أوليم نفسه وأصحابه وأمته روى الشيخان وغيرهما عن جندب ابن عبد الله قال اشتكى النبي صلى الله عليه وسلم فلم يقم ليلة أو ليلتين فأتته امرأة فقالت يا محمد ما أرى شيطانك الا قد تركك فأنزل الله والضحى والليل اذا سجى ما ودعك ربك وما قلى وروى سعيد بن منصور والفريابي عن جندب قال أبطأ جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال المشركون قد ودع محمد فنزلت وهذه المرأة هي العوراء أم جميل أخت أبي سفيان ابن حرب وروى الحاكم برجال ثقات عن زيد بن أرقم قال مكث صلى الله عليه وسلم أياما لا ينزل عليه فقالت أم جميل امرأة أبي لهب ما أرى صاحبك الا قد ودعك وقلاك فأنزل الله والضحى الآيات وفي الصحيح أيضا عن جندب قالت امرأة يارسول الله ما أرى صاحبك الا أبطأ عنك فنزلت ما ودعك ربك وما قلى قال الحافظ هي زوجته خديجة كما في المستدرك أيضا وأعلام النبوة لابي داود وأحكام القرآن للقاضي اسمعيل وتفسير ابن مردويه من حديث خديجة نفسها فخاطبته كل واحدة منهما بما يليق بها وروى سنيد في تفسيره ان قائل ذلك عائشة وهو باطل لانها لم تكن اذ ذاك زوجة وأخرج ابن جرير عن عبد الله بن شداد أن خديجة قالت للنبي صلى الله عليه وسلم ما أرى ربك الا قد قلاك فنزلت وأخرج أيضا عن عكرمة أبطأ جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم فجزع جزعا شديدا فقالت خديجة انى أرى ربك قد قلاك مما نرى من جزعك فنزلت وكلاهما مرسل رجاله ثقات قال الحافظ والذي يظهر أن كلا من أم جميل وخديجة قالت ذلك لكن أم جميل قالته شماتة وخديجة قالته توجعا وروى ابن أبي شيبة والطبراني بسند فيه من لا يعرف عن خولة خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان جروا دخل بيته تحت السرير فمات فمكث صلى الله عليه وسلم أربعة أيام لا ينزل عليه الوحي فقال ياخولة ما حدث في بيت رسول الله جبريل لا يأتيني فقلت في نفسي لو هيأت البيت وكنسته فأهويت بالمكنسة تحت السرير فأخرجت الجرو فجاء صلى الله عليه وسلم ترعد لحيته وكان اذا نزل عليه أخذته الرعدة فأنزل الله والضحى الى قوله فترضى قال الحافظ قصة ابطاء جبريل بسبب الجرو مشهورة لكن كونها سبب نزول الآية غريب بل شاذ مردود بما في الصحيح (وللآخرة خير لك من الاولى) لانها باقية خالصة من الشوائب وهذه فانية مشوبة بالمضار واللام للابتداء مؤكدة أو جواب قسم ففيه تعظيم آخر أي كما أعطاك في الدنيا يعطيك في الآخرة ما هو أعلى وأكثر فلا تبال بما قالوه فهو وعد فيه تسلية بعد ما نفى عنه ما يكره

فهو

فهو تحلية بعد تخلية وقيل المعنى لنهاية أمرك خير من بدايته فانه لا يزال يتصاعد فى الرفعة والكمال (ولسوف يعطيك ربك فترضى) وعد شامل لما أعطاه من كمال النفس وظهور الامر واعلاء الدين ولما ادخر له مما لا يعرف كنهه سواه واللام للتأكيد وقول الزمخشرى وتبعه البيضاوى اللام للابتداء دخل على الخبر بعد حذف المبتدا والتقدير ولانت سوف ردّه ابن الحاجب وغيره بأن فيه تكلفين وهما تقدير محذوف وخلع اللام عن معنى الحال لئلا يجتمع دليلان حال واستقبال قال وليست للقسم لانها انما تدخل على المضارع مؤكدا بالنون قال ابن هشام وهو ممنوع بل تارة تجب اللام وتمتنع النون وذلك مع الفعلين كالآية ومع تقدم المعمول بين اللام والفعل نحو ولئن متم أو قتلتم لالى الله تحشرون ومع كون الفعل للحال نحو لا أقسم وتارة يمتنعان وذلك مع الفعل المنفى نحو تالله تفتؤ وتارة يجبان نحو وتالله لاكيدن (ثم ختمها) أى الاحوال المتعلقة بنبوته (كذلك بأحوال ثلاثة فيما يتعلق بالدنيا) من حيث النبوة لكن تعلق الثلاثة الاول بالنبوة من حيث كونها حاصلة بها والثلاثة الثانية بمعنى أن سببها اكرامه بالنبوة وان كان أولاها حصل قبل النبوة والاثنان بعد النبوة ولو أسقط كذلك فات التنبيه على تعلقها بالنبوة (وهى قوله تعالى ألم يجدك) من الوجود بمعنى العلم و (يتيما) مفعوله الثانى أو المصادفة ويتيما حال أى لا أب لك وقيل لا مثل لك (فآوى) بأن ضمك الى عمك أبى طالب (ووجدك ضالا أى عن علم الحكم) بكسر ففتح جمع حكمة أى معرفة العلل والاسباب فقوله (والاحكام) عطف مسبب على سبب وليس الحكم مفرد الاحكام لانه يصير ما بعده مرادفا ولا ينافى ذلك أن بعض الاحكام تعبدى لانه بالنسبة لنا أما هو صلى الله عليه وسلم فكان عارفا بالعلة (فهدى) أى هداك الى معرفتها وهذا أحد تفاسير فى الآية كما يأتى للمصنف (ووجدك عائلا) ذا عيال (فأغنى) بما حصل لك من ربح التجارة كذا قصره البيضاوى ولم يجعله شاملا لذلك ولغيره من مبدئه الى نهاية ما حصل له أو يقصره على ما حصل له من الغنا ثم والفتوحات لان ربح التجارة حصل به أصل الغنى وما بعده حصل به الزيادة بعد اطمئنان النفس بالاول فكانت النعمة فى الحقيقة هى الربح لانها التى حصل بها دفع الحاجة هذا ولم يذكر المصنف من أحواله بقية السورة مع انها خطاب له لعدم دلالتها على مدحه صريحا اذ ليست أوصافا قائمة به يمدحه بتعدادها ولا صفات كمالية قائمة به ولا على تعداد النعم التى أنعم بها عليه وانما هى أمر له ونهى وكلاهما لا يعد من النعم الصريحة وان ترتب عليه الامتثال بفعل المأمور وترك المنهى وهما من أعظم النعم ولا يرد قوله أولا جعل سورة والضحى فى مدح نبينا لان المراد معظمها أو كلها ولكن ما تركه هنا مستلزم للكمال لان كونه منهيا مأمورا مقتض لامتثاله وهو كمال استلزاما لا صراحة (ثم ذكر فى سورة ألم نشرح أنه تعالى شرفه عليه الصلاة والسلام بثلاثة أشياء وهى ألم نشرح لك صدرك) استفهم عن الشرح على وجه الانكار مبالغة فى اثبات الشرح فكأنه قيل شرحنا ولذا عطف عليه ووضعنا اعتبارا للمعنى قاله الكشاف قال الطيبى أى أنكر عدم الشرح فاذا أنكره ثبت لان الهمزة للانكار ولم نفى اذا دخل عليه النفى عاد

اثباتا ولا يجوز جعل الهمزة للتقرير انتهى أى لان التقرير سؤال مجرد اذ هو حمل المخاطب على الاعتراف بامر استقر عنده ثبوته أو نفيه فلا يحسن عطف ووضعنا عليه (أى ألم نفسحه حتى وسع مناجاة الحق ودعوة الخلق) فالمراد به ما يرجع الى المعرفة والطاعة فكأنه قيل ألم نفتح ونوسع صدرك بالايمان والنبوة والعلم والحكمة وبه جزم البغوى وتقدم غير ذلك (ووضعنا عنك وزرك أى عناءك) بفتح المهملة والمد أى خضوعك (الثقيل) القوى الذى كنت فيه قبل ظهور أمرك أو المشقة التى كنت فيها بمعاداة الكفار لك فوضعنا ذلك باظهارك عليهم بقتل من قتل وهداية من اهتدى فالعناء يكون بمعنى الخضوع وبمعنى المشقة (الذى أنقض ظهرك) أثقله ويأتى للمصنف فى النوع العاشر معنى الآية (ورفعنا لك ذكرك) مر الكلام عليه (وهكذا سورة حتى قال انا أعطيناك الكوثر أى أعطيناك هذه المناقب) جمع منقبة بفتح الميم الفعل الكريم كما فى المصباح وفى المختار بوزن المتربة ضد المثلبة انتهى فالقاف مفتوحة فقراءته بكسرها على هذا خطأ (المتكاثرة التى كل واحدة منها أعظم من ملك الدنيا بحذافيرها) بأسرها أو بجوانبها جمع حذفور كعصفور كما فى القاموس (واذ) تعليلية (أنعمنا عليك بهذه النعم) وفى نسخة واذا للظرفية المجردة والفاء فى (فاشتغل بطاعتنا) زائدة على النسختين والتعليل أظهر (ولا تبال بقولهم) ساحر كاهن مجنون وغير ذلك (ثم ان الاشتغال بالعبادة اما أن يكون بالنفس وهو قوله فصل لربك) أمر بالصلاة مطلقا أو التهجد وكان الظاهر فاشكر فعدل عنه لان مثل هذه النعمة العظيمة ينبغى أن يكون شكرها كذلك وأعظم ذلك العبادة وأعظمها الصلاة (واما بالمال وهو قوله وانحر) أمر بتقريب البدن لان النحر يختص بها وفى غيرها يقال ذبح (وتأمل قوله انا أعطيناك كيف ذكره بلفظ الماضى ولم يقل سنعطيك بلفظ المضارع (ليدل) صلة ذكره (على أن الاعطاء حصل فى الزمان الماضى كما (قال عليه الصلاة والسلام كنت نبيا وادم بين الروح والجسد) رواه أحمد والبخارى فى التاريخ وغيرهما ومر الكلام عليه أول الكتاب (ولا شك أن من كان فى الزمان الماضى عزيزا مرعى الجانب أشرف ممن سيصير كذلك كأنه تعالى يقول يا محمد قد هيأنا) يسرنا وسهلنا (أسباب سعادتك قبل دخولك فى هذا الوجود فكيف أمرك بعد وجودك واشتغالك بعبوديتنا) استفهام تفخيم وتعظيم أى فاعتقد من الكمالات التى تحصل لك بعد وجودك ما شئت فانها لا نهاية لها (يا أيها العبد الكريم انا لم نعطك هذا الفضل العظيم) المعبر عنه بالكوثر (لاجل طاعتك وانما اخترناك بمجرد فضلنا واحساننا من غير موجب) مرتب على ما قبل الاستفهام أى هيأنا أسباب سعادتك قبل دخولك فى هذا الوجود لا لاجل طاعتك المتأخرة بل فضلا وليس مرتبا على الاستفهام لئلا يكون فيه بعض تناف (واختلف المفسرون فى تفسير الكوثر على وجوه) وصلت الى نحو عشرين قولا (منها انه نهر فى الجنة وهذا هو المشهور المستفيض عند السلف والخلف) ودليله انه (روى أنس ابن مالك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينما) بالميم (أنا أسير فى الجنة اذا أنا بنهر) وللترمذى اذ عرض لى نهر أى ظهر وللبخارى فى التفسير عن أنس قال لما عرج

بالنبي صلى الله عليه وسلم الى السماء قال أتيت على نهر (حافتاه) بحاء مهملة وخفة الفاء جانباه لانه ليس اخدودا أي شقا مستطيلا في الارض يجري فيه الماء حتى يكون له حافتان ولكنه سائل على وجه أرض الجنة ومعلوم انه ليس عاما في جميعها كما جاوز ما انتهى سيلانه اليه هو جانبه روى أبو نعيم والضياء عن أنس قال قال صلى الله عليه وسلم لعلكم تظنون أن انهار الجنة اخدود في الارض لا والله انها السائحة على وجه الارض (قباب) بكسر القاف وخفة الموحدة جمع قبة وللترمذي حافتاه فيهما اللؤلؤ مثل القباب فالمراد في جانبيه مثل قباب (الدر المجوف) بفتح الواو مشددة صفة للدر وهو كاللؤلؤ حقيقة وتجويز أنه مثله في الحسن والنضارة خلاف الظاهر بلا داعية (قلت ما هذا يا جبريل قال هذا الكوثر الذي أعطاك ربك) وعطف على مقدر أي فنظرت له (فاذا طينه مسك) اذ المفاجأة انما تترتب على النظر لا على أعطاك ربك ويدل له رواية الترمذي عن أنس قال أي المصطفى ثم ضرب أي جبريل بيده الى طينه فاستخرج مسكا أي اظهارا لشرف المنعم به وسماه طينا جريا على العادة في كون مقر الماء طينا كما قال الدلجي وغيره فلا بد من تقدير في قوله طينه مسك ليصح الحمل وهو هنا في المبتدأ أي فاذا مادة ما تحت مائه مسك ولا يقدر في الخبر أي مثل مسك لانه خلاف الظاهر من الاحاديث انه يجري على المسك ولا يعارضه حديث عبد الله بن عمرو بن العاصي ومجراه على الدر والياقوت لانهما فوق طينه الذي هو مسك كما أن الانهار تجري على طين وحصى فهذا حصاه جواهر وطينه مسك (اذفر) بمعجمة ساكنة أي شديد الرائحة الطيبة ويطلق أيضا على الكريهة وليس بمراد هنا وأما بمهملة فخاص بالمنتنة (رواه البخاري) في الرقاق بهذا اللفظ عن شيخيه أبي الوليد هشام بن عبد الملك وهدبة بن خالد كلاهما عن همام عن قتادة عن أنس ثم قال في آخره طينه أي بالنون أو طيبه أي بموحدة شك هدبة أي ولم يشك أبو الوليد أنه بالنون قال الحافظ وغيره وهو المعتمد ففي البعث للبيهقي من طريق عبد الله بن مسلم عن أنس بلفظ ترابه مسك ورواه في التفسير الى قوله هذا الكوثر وأخرجه مسلم أيضا كما تقدم في المعراج والترمذي (وقيل الكوثر أولاده) من فاطمة لان عقبه انما هو منها ويؤيده قوله الآتي فانظركم قتل من أهل البيت (فان هذه السورة انما نزلت ردا على من عابه عليه الصلاة والسلام بعدم) أي بفقد (الاولاد) كالعاصي بن وائل قال لما مات القاسم لقد أصبح محمد أبتر فنزل انا أعطيناك الكوثر عوضا عن مصيبتك بالقاسم رواه يونس في زيادات المغازي ولابن جرير عن شمر بن عطية كان عقبة بن أبي معيط يقول لا يبقى لمحمد ولد وهو أبتر فأنزل الله فيه ان شانئك هو الابتر وللطبراني بسند ضعيف عن أبي أيوب لما مات ابراهيم مشى المشركون بعضهم الى بعض فقالوا ان هذا الصابئ قد بتر الليلة فأنزل الله انا أعطيناك الكوثر الى آخر السورة فان صح هذا كله فقد تعدد السبب والنزول بمكة والمدينة اذ موت ابراهيم بها (وعلى هذا فالمعنى انه) تعالى (يعطيه) صلى الله عليه وسلم (نسلا يبقون على ممر الزمان) فهو من وضع الماضي موضع المستقبل (فانظركم قتل من أهل البيت) مع الحسين وبعده (ثم العالم ممتلئ منهم ولم يتفق لنبي من الانبياء غيره)

مثل هذا (وقيل الكوثر الخير الكثير) الذى أعطاه الله اياه قاله ابن عباس رواه البخارى وغيره فهو وصف مبالغة فى المفرط الكثرة فيشمل النبوّة والقرآن والخلق الحسن العظيم وكثرة الاتباع والعلم والشفاعة والمقام المحمود وغيرها مما أنعم به عليه لكن أورد عليه ان أراد ابن عباس بهذا بيان ماوضع له لغة أو بيان معنى عام خص فى الآية فلا كلام فيه وان أراد تفسير الآية فالنص النبوى جاء بخلافه كما مرّ ويأتى (وقيل النبوّة وهى من الخير الكثير) الذي أعطيه (وقيل علماء أمّته) وجعل البيضاوى مجموع أولاده والاتباع والعلماء قولا واحدا لعله قول آخر لم يذكره المصنف (وقيل الاسلام ولاريب) لاشك فى (انهما) أى الاسلام والعلماء (من الخير الكثير) الذى فسر به ابن عباس الكوثر فلا يقصر عليهما ولا على النبوّة ولا غيرها بل يعم شرف الدارين (فالعلماء ورثة الانبياء) لان الميراث ينتقل للاقرب وأقرب الامة فى نسبة الدين العلماء الذين أعرضوا عن الدنيا وأقبلوا على الآخرة وكانوا للامة بدلا من الانبياء الذين فازوا بالحسنيين العلم والعمل وحازوا الفضيلتين الكمال والتكميل ولا رتبة فوق رتبة النبوّة فلا شرف فوق شرف وارث تلك الرتبة ولذا اشتغلت الملائكة وغيرهم من المخلوقات بالاستغفار والدعاء لهم الى يوم القيامة وروى ابن عدى وأبو نعيم والديلمى عن على رفعه العلماء مصابيح الارض وخلفاء الانبياء وورثتى وورثة الانبياء قال تعالى ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا قال الكشاف سماهم ورثة الانبياء الا لمدانا تهم لهم فى الشرف والمنزلة لانهم القوام بما بعثوا من أجله وقال الغزالى لا يكون العالم وارثا الا اذا اطلع على جميع معانى الشريعة حتى لا يكون بينه وبينه الا درجة النبوّة وهى الفارق بين الوارث والموروث اذ هو الذى حصل له المال واشتغل بتحصيله واقتدر عليه والوارث هو الذى لم يحصله لكن انتقل اليه وتلقاه عنه انتهى (كما رواه أحمد وأبو داود والترمذى) وابن ماجه والبيهقى كلهم عن أبى الدرداء سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا الى الجنة وان الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع وان العالم ليستغفر له من فى السموات ومن فى الارض حتى الحيتان فى الماء وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب وان العلماء ورثة الانبياء ان الانبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما انما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر وصححه ابن حبان والحاكم وغيرهما وحسنه حمزة الكنانى وضعفه الترمذى وغيره بالاضطراب فى سنده قال السخاوى لكن له شواهد يتقوّى بها ولذا قال شيخنا له طرق يعرف بها أن للحديث أصلا وقد أخرجه الديلمى عن البراء بن عازب رفعه العلماء ورثة الانبياء يحبهم أهل السماء وتستغفر لهم الحيتان فى البحر اذا ماتوا وأورده أيضا بلا سند عن أنس مرفوعا العلماء ورثة الانبياء وانما العالم من عمل بعلمه (وأما) خبر (علماء أمتى كأنبياء بنى اسرائيل) فانهم كانوا يدعون الى شريعة موسى من غير أن يأتوا بشرع مجدد وكذا علماء هذه الامة يدعون الى الشريعة المحمدية (فقال الحافظ ابن حجر ومن قبله الدميرى والزركشى انه لا أصل له) زاد بعضهم ولا يعرف فى كتاب معتبر وسئل عنه الحافظ العراقى فقال لا أصل له

ولا

ولا اسناد بهذا اللفظ ويغنى عنه العلماء ورثة الانبياء وهو حديث صحيح وعن عبد الله بن عمرو مرفوعا أكرموا حملة القرآن فمن أكرمهم فقد أكرمنى ومن أكرمنى فقد أكرم الله ألا فلا تنقصوا حملة القرآن حقوقهم فانهم من الله بمكان كاد حملة القرآن أن يكونوا أنبياء الا انه لا يوحى اليهم رواه الديلمى وقال انه غريب جدا قال السخاوى وفيه من لا يعرف وأحسبه غير صحيح (ثم روى أبو نعيم فى) كتاب (فضل العالم العفيف بسند ضعيف عن ابن عباس رفعه أقرب الناس من درجة النبوة أهل العلم والجهاد) لانهم لما قاموا مقام الانبياء فى الامرين استحقوا أن يكونوا أقرب الناس من درجتهم (وقيل الكوثر كثرة الاتباع والاشياع) بجيم وتحتية عطف مساو (وعن بعضهم المراد بالكوثر العلم وحمله عليه أولى لوجوه) أى ثلاثة (أحدها أن العلم هو الخير الكثير) الذى يتفرع عنه سعادة الدارين (و) الوجه (الثانى اما أن يحمل الكوثر على نعم الآخرة أو على نعم الدنيا قال) ذلك البعض (والاول غير جائز) ان حمل على حقيقة اللفظ (لانه قال انا أعطيناك الكوثر) بصيغة الماضى (والجنة سيعطيها الا أنه أعطاها فوجب حمل الكوثر على ما وصل اليه فى الدنيا) ابقاء للفظ أعطينا على حقيقته (وأشرف الامور الواصلة اليه فى الدنيا هو العلم والنبوة فوجب حمل اللفظ على العلم) كأنه قصره عليه مع اشتراكه مع النبوة فى انهما أشرف ما وصل اليه لان العلم مترتب عليها فكأنه المقصود بالوحى وثمراته كثيرة بخلاف النبوة فخاصة به عليه الصلاة والسلام (و) الوجه (الثالث انه لما قال انا أعطيناك الكوثر قال عقبه فصل لربك وانحر والشئ الذى يتقدم على العبادة هو المعرفة) أى العلم بالاحكام فيفيد أنه المراد (ولان الفاء فى قوله فصل للتعقيب ومعلوم أن الموجب) أى السبب المقتضى (للعبادة ليس الا العلم) فيفيد أنه المراد لكن هذا كله استنباط عقلى لا يلاقى تفسيره صلى الله عليه وسلم بأنه نهر فى الجنة (وقيل الكوثر الخلق الحسن) لان به سعادة الدارين كما قال صلى الله عليه وسلم فى حديث ذهب حسن الخلق بخير الدنيا والآخرة رواه الطبرانى والبزار (وعن ابن عباس) ان الكوثر (جميع نعم الله تعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم) فشمل النبوة والعلم وجميع ما مر وغيره من النعم التى لم تذكر (وبالجملة فليس حمل الآية على بعض هذه النعم أولى من حملها على الباقى فوجب حملها على الكل ولذا روى أن سعيد بن جبير لما روى هذا القول) ان الكوثر جميع النعم (عن ابن عباس) لكن الذى رواه البخارى من طريق أبى بشر وعطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال الكوثر الخير الكثير الذى أعطاه الله اياه قال أبو بشر فقلت لسعيد ان ناسا يزعمون انه نهر فى الجنة فقال سعيد النهر الذى فى الجنة من الخير الذى أعطاه الله اياه (قال له بعضهم) هو أبو بشر جعفر بن أبى وحشية واسمه اياس (ان ناسا) وفى رواية ان أناسا بضم الهمزة وسمى منهم أبو اسحق السبيعى وقتادة (يزعمون) يقولون (انه نهر فى الجنة فقال سعيد النهر الذى فى الجنة من الخير الذى أعطاه الله اياه) لان النهر فرد من أفراد الخير الكثير فلا تنافى لكن صرح صلى الله عليه وسلم بأنه نهر فى الجنة كما فى مسلم ويأتى وكما مر عن الصحيحين فى حديث المعراج ان جبريل قال له

هذا الكوثر الذى أعطاك ربك وفى الصحيح عن أبى عبيدة بن عبد الله بن مسعود أنه سأل عائشة عن قوله تعالى انا أعطيناك الكوثر قالت نهر أعطيه نبيكم فى الجنة شاطئاه عليه در مجوف آنيته كعدد النجوم فأى معدل عن هذا على انه قد ورد عن ابن عباس تفسيره بالنهر فكأنه بلغه عن المصطفى فرجع عن الاستنباط أخرج ابن أبى الدنيا عن ابن عباس فى قوله تعالى انا أعطيناك الكوثر قال هو نهر فى الجنة عمقه سبعون ألف فرسخ ماؤه أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل شاطئاه من اللؤلؤ والزبرجد والياقوت خص الله به نبيه قبل الانبياء وما ذكر فى عمقه لا يخالفه ما رواه ابن أبى الدنيا عنه أيضا انه سئل ما أنهار الجنة أفى اخدود قال لا ولكنها تجرى على أرضها لا تفيض ههنا ولا ههنا لانه أجيب بأن المراد انها ليست فى اخدود كالجداول ومجارى الانهار التى فى الارض بل سائحة على وجه الارض مع عظمها وارتفاع حافاتها فلا ينافى ما ذكر فى عمقها (قال الامام فخر الدين بن الخطيب) الرازى (قال بعض العلماء ظاهر قوله تعالى انا أعطيناك الكوثر يقتضى انه تعالى قد أعطاه ذلك الكوثر فيجب أن يكون الاقرب حمله على ما آتاه الله تعالى فى الدنيا من النبوة والقرآن والذكر العظيم والنصر على الاعداء) والآيات البينات (وأما الحوض) الذى له فى القيامة وهو أحد ما قيل فى تفسير الكوثر كما فى الشفاء (وسائر ما أعده الله له من الثواب) فى الآخرة (فهو وان جاز أن يقال انه داخل فيه لان ما ثبت بحكم وعد الله فهو كالواقع) لانه لا يخلف وعده وجوازه لا يوجب الحمل عليه ولا يرجحه لانه اذا حمل عليه بخصوصه أو على ما يشمله كان مجازا واذا حمل على ما أعطيه فى الدنيا فقط كان حقيقة وهى مقدمة على المجاز ما أمكنت حيث لا مانع وقد علم أن المانع تفسيره صلى الله عليه وسلم بأنه نهر فى الجنة (الا أن الحقيقة ما قدمناه) فى قوله فيجب أن يكون الاقرب الخ لان ما أعطاه فى الدنيا ثبت اعطاؤه له بالفعل فاستعمال الاعطاء حقيقة فيه بخلاف أمور الآخرة (لان ذلك وان أعده له فلا يصح أن يقال على الحقيقة انه أعطاه الكوثر فى حال نزول السورة بمكة) وانما يصح ان يقال ذلك على المجاز اما لانها ستعطى أو لانه تعالى قدر فى علمه انها له فعبر عنها بأعطينا (ويحتمل أن يجاب عنه بأن من أقر لولده الصغير بشئ يصح أن يقال أعطاه ذلك الشئ مع أن الصبى فى ذلك الحال ليس أهلا للتصرف انتهى) وعليه يحمل أعطى على ما أعطاه من أمور الدنيا والآخرة ولا يكون مجازا لان من وهب شيأ لولده الصغير وقبله له صار ملكا حقيقيا للصغير فها هنا كذلك (وقد روينا فى صحيح مسلم) وسنن أبى داود والنسائى (من حديث أنس بينما) بالميم (رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا) أى بيننا وأظهر زائدة (اذ أغفى اغفاءة) أى نام نومة خفيفة (ثم رفع رأسه متبسما فقلنا ما يضحكك أضحك الله سنك يا رسول الله) قال الابى عبروا بالضحك عن التبسم لوضوح التبسم منه صلى الله عليه وسلم فعبروا عنه بالضحك (قال نزلت على سورة آنفا) أى قريبا (فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم انا أعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر ان شانئك هو الابتر) فهم منه فاهمون أن السورة نزلت فى تلك الاغفاءة لان رؤيا الانبياء وحى قال فى الاتقان والاشبه أن القرآن كله نزل يقظة وأجاب

قوله شاطئاه عليه الخ هكذا فى النسخ ولعل مرجع الضمير المجرور بعلى كل من الشاطئين وليحرر لفظ الحديث اهـ مصححه

الرافعي بأنه خطر له في النوم سورة الكوثر المنزلة في اليقظة او عرض عليه الكوثر الذي نزلت فيه السورة فقرأها عليهم وفسرها لهم او الاغفاءة ليست نوما بل هي البرحاء التي كانت تعتريه عند الوحي قال في الاتقان والاخير أصح من الاول لان قوله أنزل علي آنفا يدفع كونها نزلت قبل ذلك (ثم قال أتدرون ما الكوثر قلنا الله ورسوله اعلم قال فانه نهر) داخل الجنة كما رآه المصطفى ليلة المعراج كما مر في حديث أنس في الصحيح (وعدنيه ربي) بقوله انا أعطيناك الكوثر (عليه خير كثير) منه قوله سابقا حافتاه قباب الدر وطينه مسك أذفر (وهو حوض) أي نهر في الجنة يسيل في حوض (ترد عليه أمتي يوم القيامة) وفي رواية لاحمد ويفتح نهر الكوثر الى الحوض وفي مسلم عن ابي ذر ان الحوض يشخب فيه ميزابان من الجنة قال المصنف ويطلق على الحوض كوثر لكونه يمد منه وقال الحافظ وهذا النهر هو الذي يصب في الحوض فهو مادة الحوض كما جاء صريحا في البخاري (آنيته عدد النجوم) ولاحمد من رواية الحسن عن أنس أكثر من عدد نجوم السماء وفي الصحيحين من حديث ابن عمرو وكيزانه كنجوم السماء من شرب منه فلا يظمأ ابدا (فيختلج) بضم التحتية وسكون المعجمة وفتح الفوقية واللام وبالجيم مبني للمفعول أي يجتذب ويقتطع (العبد منهم فأقول رب انه من أمتي) فلم أخرج منهم (فيقول ما تدري ما أحدث بعدك) من الردة عن الاسلام أو المعاصي فيمنعون من الحوض حتى يطهروا من ذنوبهم وأحضر المرتدون زيادة لتنكيلهم وحسرتهم (وهذا تفسير صريح منه صلى الله عليه وسلم بأن المراد بالكوثر هنا الحوض) أي النهر الذي يصب في الحوض بدليل قوله نهر (فالمصير اليه أولى) أي أحق وأوجب وقول الشارح أي من حيث الاعتبار فلا ينافي ماقدمه من انه واجب فيه أنه لم يقدم ذلك انما قدم الوجوب في تفسيره بغير ذلك (وهذا هو المشهور كما تقدم) في قوله انه نهر في الجنة وهذا هو المشهور المستفيض عند السلف والخلف وهذا صريح في تأويل قوله الكوثر الحوض بما قلناه لانه الذي قدمه وقد قيل ان المراد به الحوض الذي في القيامة على ظاهر الحديث فلا تأويل وقيل الشفاعة وقيل المعجزات الكثيرة وقيل المعرفة أي العلوم اللدنية التي أفاضها عليه بلا واسطة فكأنها كوثر وقيل تخفيفات الشريعة وقيل كثرة الامة ومغايرته لكثرة الاتباع بحمله على أصحابه لكثرتهم على اتباع غيره من المرسلين جدا وقيل رفعة الذكر وقيل الدعوات المجابات له وقيل كلمة التوحيد لا اله الا الله محمد رسول الله وقيل الخمس صلوات التي خصت بها أمته فهذه عشرة والمصنف حكى عشرة فتلك عشرون أصحها الاول (فسبحان من أعطاه هذه الفضائل العظيمة وشرفه بهذه الخصال العميمة وحباه) بموحدة (بما أفاضه عليه من نعمه) جمع نعمة (الجسيمة وقد جرت عادة الله تعالى مع أنبيائه عليهم الصلاة والسلام ان يناديهم بأسمائهم الاعلام نحو يا آدم اسكن) أنت وزوجك الجنة وبدأ به لانه أبو البشر المقدم عليهم (يا نوح اهبط) بسلام وكذا يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا (يا موسى اني أنا الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك) يا داود انا جعلناك خليفة في الارض يا زكريا انا نبشرك يا يحيي خذ الكتاب (وأما نبينا محمد صلى الله عليه وسلم

فناداه بالوصف الشريف من الانباء والارسال) الدال على التعظيم والملاطفة لمنزلته عنده (فقال يا أيها النبي يا أيها الرسول) يا أيها المزمل يا أيها المدثر فلم يذكر باسمه في النداء تعظيما وذكر في الخبر كقوله وما محمد الا رسول محمد رسول الله ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد لانه ورد مورد التعيين والاعلام بأن صاحب هذا الاسم هو الرسول وقوله تعالى لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة لما لم يورد هذا المورد لم يذكر اسمه (ولله در القائل ودعا جميع الرسل كلا باسمه * ودعاك وحدك بالرسول وبالنبي) دعا نادى ومراد المصنف خطاب الله تعالى له في القرآن باسمه فلا يرد عليه كما توهم خطابه بقوله انك لا تهدي من أحببت وقوله وانك لتهدي الى صراط مستقيم وقوله في المحشر ارفع رأسك وقل تسمع يا محمد ولم يقل يا أيها النبي أو يا أيها الرسول وان قيل حكمته انه أخصر ففيه سرعة اجابته وتطويل الكلام لا يناسب مقام الاذن في الشفاعة وقد سرى هذا التشريف ببركته الى أمته ففي الخصائص ان الله شرفهم بخطابهم في القرآن بقوله يا أيها الذين آمنوا وخاطب الامم السالفة بيا أيها المساكين (قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام ولا يخفى على أحد ان السيد اذا دعا) نادى (عبيده بأفضل ما وجد لهم) اعطاهم (من الاوصاف العلية والاخلاق السنية) بمعنى العلية فحسنه اختلاف اللفظ (ودعا آخرين) وفي نسخة غيرهم (بأسمائهم الاعلام التي لا تشعر بوصف من الاوصاف ولا بخلق) بضمتين (من الاخلاق) دل دعاؤه لذلك البعض على (أن منزلة من دعاه بأفضل الاسماء والاوصاف أعز عليه وأقرب اليه ممن دعاه باسمه العلم) فالمقدر جواب اذا لان لفظ أن مفرد لا يقع جوابا لاذا وجملة اذا من الشرط والجواب خبر ان السيد الخ (وهذا معلوم بالعرف ان من دعى بأفضل أوصافه واخلاقه كان ذلك مبالغة في تعظيمه واحترامه انتهى) اذا العدول عن الاسم العلم يقتضي ذلك عرفا ولذا قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا (وانظر) نظر تأمل وتدبر في المعاني المستنبطة من الالفاظ (ما في نحو قوله تعالى واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة من ذكر الرب تعالى) المشعر بمزيد الرأفة (واضافته) أي رب (اليه صلى الله عليه وسلم) بقوله ربك (وما في ذلك من التنبيه على شرفه) باضافته اليه (واختصاصه وخطابه وما في ذلك من الاشارة اللطيفة وهي ان المقبل عليه بالخطاب له الحظ الاعظم والقسم الاوفر من الجملة المخبر بها) وهي هنا خلافة الله في الارض فلا ريب ان له النصيب الاوفى منها (اذ هو في الحقيقة أعظم خلفائه ألا ترى الى عموم رسالته ودعائه) الخلق الى ذلك اني رسول الله اليكم جميعا (وجعله أفضل أنبيائه) بدليل انه (أمهم ليلة اسرائه) بتقديم جبريل له والحق في الامامة للافضل (وجعل آدم فمن دونه) أي فمن بعده (يوم القيامة تحت لوائه فهو المقدم في أرضه وسمائه وفي دار تكليفه) الدنيا (وجزائه) الآخرة (وبالجملة فقد تضمن الكتاب العزيز) القوي الغالب (من التصريح بجليل رتبته وتعظيم قدره) أي رتبته وشرفه (وعلو منصبه) بزنة مسجد العلو والرفعة كما في المصباح كقدره (ورفعة ذكره ما يقضي بأنه استولى على أقصى درجات التكريم) أي اعلاها (ويكفي اخباره

قوله ولذا قال الله تعالى الخ هكذا في النسخ والتلاوة لا تجعلوا دعاء الرسول الخ بدون يا أيها الذين آمنوا اه

تعالى بالعفو عنه ملاطفة) معاملة وشفقة والمفاعلة مجازية لتنزيل استحقاقه له بمنزلة فعله أو هي لاصل الفعل بلا مشاركة (قبل ذكر العتاب في قوله تعالى عفا الله عنك لم أذنت لهم) فقدم عفا الله عنك دعامة تقصد بها الملاطفة اذ هو خبر معناه لاعهدة عليك وليس المعنى ان الاذن ذنب يتعلق به العقوبة لان مسامحته لهم مع اذاهم اسقاط للحظوظ فهو عتب باطف لا ملامة فيه أي قد بلغت في الامتثال والاحتمال الغاية وزدت في طاعة الله ومحبته والرفق بالبر والفاجر ما أجحف بك فهو من عتب الحبيب في حيفه على نفسه وتخفيف لا تعنيف ومدح لا قدح ويأتي بسط هذا ان شاء الله (و) يكفي في ذلك أيضا (تقديم ذكره على الانبياء تعظيما له) اذ التقديم يعطيه (مع تأخره عنهم) في الوجود (في قوله تعالى واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى ابن مريم) قيل معناه تبليغ الرسالة وتصديق بعضهم بعضا وقيل أن يعلنوا بنبوة المصطفى ويعلن هو بأنه لا نبي بعده ففيها تفضيل له من وجوه منها أنه ذكر النبيين جملة ثم خص بالذكر بعضهم تشريفا لهم وقدمه صلى الله عليه وسلم عليهم تشريفا على تشريف وهؤلاء الخمسة هم أولو العزم في قول (واخباره بتمني أهل النار طاعته في قوله تعالى يوم تقلب وجوههم في النار يقولون يا) للتنبيه (ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسول وهذا بحر لا ينفد) بفتح الفاء لا يفرغ (وقطر) بفتح القاف وسكون الطاء أي مطر (لا يعد) لكثرته أو بضم القاف أي اقليم لا يمكن عد نواحيه وبلاده لكثرتها جوزهما شيخنا في التقرير واقتصر في الحاشية على الفتح لانه أظهر والله أعلم

(* النوع الثاني في أخذ الله تعالى له الميثاق على النبيين) عداه بعلى اشارة الى انه ألزمهم به وعداه فيما يأتي بمن اشارة الى أنهم التزموه (فضلا) أي احسانا (ومنة) أي انعاما (ليؤمنن به ان أدركوه ولينصرنه) على عدوه (قال الله تعالى واذ) أي حين متعلق بمقدر أي اذكر وقيل بأقررتم وان أخر عنه (أخذ الله ميثاق النبيين) عهدهم كلهم أو مع أممهم أو أنبياء بني اسرائيل (لما) بفتح اللام للابتداء أو توكيد معنى القسم الذي في أخذ الميثاق وكسرها متعلقة بأخذ وما موصولة على الوجهين أي للذي (آتيتكم) اياه وفي قراءة آتيناكم (من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم) من الكتاب والحكمة وتنوين رسول وابهامه للتعظيم والمراد محمد صلى الله عليه وسلم أو للتعميم على القولين الآتيين للمصنف (لتؤمنن به ولتنصرنه) جواب القسم ان أدركتموه وأممهم تبع لهم في ذلك (الآية أخبر تعالى في الازل كما حكاه المصنف أول الكتاب (انه أخذ ميثاق كل نبي بعثه) صفة نبي ولا يرد أنه قاصر على الرسل مع أن المتبادر العموم لجواز أن معناه أوحى اليه والبعث يطلق على الايحاء (من لدن آدم الى محمد صلى الله عليه وسلم أن يصدق بعضهم بعضا) على نبوته ومعناه كما في البغوي انه أخذ العهد على كل نبي أن يؤمن بمن يأتي بعده وينصره ان أدركه وأن يأمر قومه بنصره فأخذ الميثاق من موسى أن يؤمن بعيسى ومن عيسى أن يؤمن بمحمد انتهى فليس معنى هذا القول يصدق بعضهم بعضا على نبوة المصطفى وانهم

من أتباعه ومؤمنون به كما توهم اذ لو كان كذلك ما صح قول المصنف الآتي ان ذا القول لا يخالف قول علي وابن عباس اذ هو عينه على ذا الفهم (قاله الحسن) البصري (وطاوس) اليماني (وقتادة) السدوسي الثلاثة من التابعين (وقيل معناه انه تعالى أخذ الميثاق من النبيين وأممهم واستغنى بذكرهم عن ذكر الامم) لانهم تبع لهم فهو من الاستغناء بذكر الملزوم عن لازمه ولا يرد أنه خاص بالرسل لانهم هم الذين لهم أمم أما النبيون فلا أمم لهم لجواز أن يراد بأممهم الاناس الموجودون في زمانهم وأطلق عليهم أممهم من حيث وجودهم في زمانهم وان لم يرسلوا اليهم فالنبي وان لم يؤمر بشرع يجب عليه أن يخبر بنبوته لئلا يحتقر ولا يمتنع عليه الوعظ ونحوه ومنه اخباره للناس بالايمان بمحمد اذا جاء اولا الانبياء (وعن علي بن أبي طالب) عند ابن جرير وغيره (وابن عباس) عند ابن جرير وابن عساكر ووقع للزركشي وابن كثير والحافظ في الفتح في كتاب الانبياء انهم عزوه لصحيح البخاري قال الشامي ولم أظفر به فيه (ما بعث الله نبيا من الانبياء) وفي رواية لم يبعث الله نبيا من آدم فمن بعده (الا أخذ عليه الميثاق لئن بعث محمد صلى الله عليه وسلم وهو) أي ذلك النبي (حي ليؤمنن به ولينصرنه) ويأخذ العهد بذلك على قومه هذا بقية المروي عن علي وابن عباس كما تقدم ثم هو موقوف لفظا مرفوع حكما لانه اخبار عن غيب فلا مجال للرأي فيه ويحتمل انهما قالاه فهما للآية والظاهر الاول ولذا اقتصرت عليه أول الكتاب (وما قاله قتادة والحسن وطاوس) من أن المعنى أخذ على كل نبي أن يؤمن بمن بعده (لا يضاد) لا يخالف (ما قاله علي وابن عباس ولا ينفيه بل يستلزمه) لانه اذا صدق بعضهم بعضا لزم أن يكونوا مأمورين بالايمان بالمصطفى ونصره (ويقتضيه) عطف تفسير (وقيل معناه ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام كانوا يأخذون الميثاق من أممهم بأنه اذا بعث محمد صلى الله عليه وسلم أن يؤمنوا به وينصروه) وعلى هذا فاضافة الميثاق الى النبيين اضافته للفاعل والمعنى واذ أخذ الله الميثاق الذي وثقه الانبياء على أممهم قاله البيضاوي (واحتج له بأن الذين أخذ الله الميثاق منهم يجب عليهم الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم عند مبعثه وكان الانبياء عند مبعث محمد صلى الله عليه وسلم من جملة الاموات) لا يرد عيسى وادريس على حياتهما والخضر على حياته ونبوته لان الحكم للاكثر (والميت لا يكون مكلفا فتعين أن يكون الميثاق مأخوذا على الامم قالوا ويؤكد) أي يقوي (هذا) القول (انه تعالى حكم على الذين أخذ عليهم الميثاق انهم لو تولوا لكانوا فاسقين) بقوله فمن تولى بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون (وهذا الوصف لا يليق بالانبياء) أي لا يجوز عليهم (وانما يليق بالامم) لجوازه عليهم (وأجاب الفخر الرازي) وفي نسخة وأجاب القفال والظاهر فسادها وفي أخرى وأجيب (بان يكون المراد من الآية أن الانبياء لو كانوا في الحياة لوجب عليهم الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم) كما قال لو كان موسى حيا ما وسعه الا اتباعي (ونظيره قوله تعالى لئن أشركت ليحبطن عملك وقد علم الله تعالى انه لا يشرك قط ولكن خرج هذا الكلام على سبيل التقدير والفرض) والمراد به تهييج الرسل واقناط الكفرة والاشعار على حكم الامة والخطاب

باعتبار

باعتبار كل واحد (وقال تعالى ولو تقول) النبى (علينا بعض الاقاويل) بأن قال علينا مالم نقله سمى الافتراء تقولا لانه قول متكلف والاقوال المفتراة أقاويل تحقيرا لها كأنها جمع افعولة من القول كأضاحيك (لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين) أى نياط قلبه بضرب عنقه وهو تصوير لاهلاكه بأفظع ما يفعله الملوك بمن يغضبون عليه وهو أن يأخذ القتال بيمينه ويكفحه بالسيف ويضرب جيده وقيل اليمين بمعنى القوة قاله البيضاوى (وقال فى الملائكة ومن يقل منهم انى اله من دونه) أى الله أى غيره (فذلك نجزيه جهنم) كذلك كما جزيناه نجزى الظالمين (مع أنه تعالى أخبر عنهم بأنهم لا يسبقونه بالقول) لا يأتون بقولهم الا بعد قوله (وبأنهم يخافون) أى الملائكة حال من ضمير يستكبرون (ربهم من فوقهم) حال من هم أى عاليا عليهم بالقهر (فكل ذلك خرج على سبيل الفرض والتقدير واذا نزلت هذه الآية) واذ أخذ الله ميثاق النبيين (على أن الله أوجب على جميع الانبياء أن يؤمنوا بمحمد لو كانوا فى الاحياء وأنهم لو تركوا ذلك) فرضا وتقديرا (لصاروا فى جملة الفاسقين) حاشاهم (فلأن يكون الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم واجبا على أممهم من باب أولى) لانه اذا أمر المتبوع بذلك فكيف بالتابع (فكان صرف هذا الميثاق الى الانبياء أقوى فى تحصيل المقصود) بالتعظيم له لشموله للامم بالاحروية بخلاف حمله على الامم (وقال السبكى) الكبير فى رسالة صغيرة سماها التعظيم والمنه فى لتؤمنن به ولتنصرنه (فى هذه الآية) افادت (انه عليه الصلاة والسلام على تقدير مجيئهم) أى النبيين (فى زمانه يكون مرسلا اليهم فتكون نبوته ورسالته عامة لجميع الخلق من زمن آدم الى يوم القيامة وتكون الانبياء وأممهم كلهم من أمته) مع بقاء الانبياء على نبوتهم (ويكون قوله عليه الصلاة والسلام) فى حديث رواه الشيخان وغيرهما (وبعثت الى الناس كافة) قومى وغيرهم من العرب والعجم (لا يختص به الناس) الكائنون (من زمانه الى يوم القيامة بل يتناول من قبلهم أيضا) وذكر نحوه البارزى فى توثيق عرى الايمان وادعى بعض أن ماذكره السبكى غريب لا يوافقه عليه من يعتدبه والجمهور على أن المراد بالكافة ناس زمنه فمن بعدهم الى يوم القيامة ودفعه شيخنا لما ذكرته له بأنه لا ينافى كلام الجمهور الا اذا أريد التبليغ بالفعل أما اذا أريد بالبعث اتصافه بكونهم مأمورين فى الازل بأن يتبعوه اذا وجد كما هو صريح كلامه فلا يخالفه واحد فضلا عن الجمهور (وانما أخذ المواثيق على الانبياء ليعلموا انه المقدم عليهم وانه نبيهم ورسولهم) مع بقائهم على النبوة والرسالة ولذا لما أثنى على ربه فى المعراج قال ابراهيم بهذا فضلكم محمد (وفى أخذ المواثيق) خبر مقدم (وهى فى معنى الاستحلاف) بحاء مهملة أى طلب اليمين قال ذلك لان الميثاق لغة العهد (ولذلك دخلت لام) جواب (القسم فى لتؤمنن به ولتنصرنه) وجواب الشرط محذوف ان جعلت ما بمعنى الشرط وقرئ بفتح اللام أما على قراءة لما بكسرها وجعل ما مصدرية فهو جواب القسم فى واذ أخذ الله الخ (لطيفة) مبتدأ مؤخر (وهى كأنها ايمان البيعة التى تؤخذ للخلفاء) على الناس بالطاعة (ولعل أيمان الخلفاء أخذت من هنا فانظر) نظر تدبر وتأمل (هذا التعظيم العظيم للنبى صلى الله عليه وسلم

من ربه تعالى فاذا اعرف هذا فالنبي صلى الله عليه وسلم نبي الانبياء) أى مبعوث اليهم لاخذ الميثاق عليهم بايمانهم به ان أدركوه والمراد بالنبوة هنا الرسالة أى انه رسول الى جميع الانبياء أى اوحى اليه بتبليغهم عن الله تعالى حتى لو اجتمع بواحد منهم فى زمانه كان مرسلا اليه مع بقائه على رسالته ونبوته (ولهذا اظهر ذلك فى الآخرة) أى كونه نبي الانبياء (جميع الانبياء) بالرفع بدل من ذلك أو بيان له (تحت لوائه) كما قال فى أحاديث (و) ظهر (فى الدنيا كذلك ليلة الاسراء صلى بهم) اماما (ولو اتفق مجيئه فى زمن آدم ونوح وابراهيم وموسى وعيسى) وباقى الانبياء والمرسلين (وجب عليهم وعلى أممهم الايمان به ونصرته وبذلك أخذ الله الميثاق عليهم فنبوته عليه السلام عليهم ورسالته اليهم معنى حاصل لهم فى حياتهم وانما أمره يتوقف على اجتماعهم معه فتأخر ذلك الامر راجع الى وجودهم لا الى عدم اتصافهم بما يقتضيه وفرق بين توقف الفعل على قبول المحل) وهو ذاته صلى الله عليه وسلم من حيث انها قابلة للرسالة بأن يوحى اليها (وتوقفه على أهلية الفاعل) وهو من أمر بالتبليغ لانه يفعل ما أمر به من تبليغ ما أمر به ويأمر وينهى وهى ذاته فتطلق عليها محلا وفاعلا باعتبارين (فههنا لا توقف من جهة الفاعل ولا من جهة ذات النبي الشريفة وانما هو من جهة وجود العصر) الزمن (المشتمل عليه فلو وجد فى عصرهم لزمهم اتباعه بلا شك ولهذا يأتى عيسى فى آخر الزمان على شريعته) أى نبينا بمعنى انه مأمور بالعمل بها لكونه مأمورا باتباعه (وهو نبي كريم على حاله) لا كما يظن بعض الناس انه يأتى واحدا من هذه الامة) ليس متصفا بنبوته وحذف هذه الصفة تأدبا قال السيوطى وسبب هذا الظن تخيله ذهاب صفة النبوة منه وهو فاسد لانه لا يذهب أبدا ولا بعد موته (نعم هو واحد من هذه الامة لما قلنا من اتباعه للنبي وانما يحكم بشريعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بالقرآن والسنة) وأخذه لها من النبي صلى الله عليه وسلم بلا واسطة لانه اجتمع به غير مرة فلا مانع انه تلقى منه أحكام شريعته المخالفة لشرع الانجيل لعلمه بأنه ينزل فى أمته ويحكم فيهم بشرعه والى هذا أشار جماعة من العلماء أو يتلقاها عنه اذا نزل لانه يجتمع به فى الارض كما صرح به فى أحاديث فلا مانع أن يأخذ عنه ما احتاج اليه من أحكام شرعه ذكره السيوطى وتقدم له مزيد فى خصائص الامة (وكل ما فيهما من أمر ونهى فهو متعلق به كما يتعلق بسائر الامة) من حيث كونه مأمورا بهما كغيره وفى نسخة لا كما يتعلق بلا النافية أى لان تعلقه به قطعى من حيث انه اذا اجتهد فى أخذ شئ منهما كان قطعيا مطابقا للواقع بخلاف أخذ غيره من الامة فظنى قد لا يصيب فيه (وهو نبي كريم على حاله لم ينقص منه شئ) اذ النبوة لا تذهب بالموت فكيف بمن هو حى (وكذلك لو بعث النبي صلى الله عليه وسلم فى زمانه أو فى زمان موسى وابراهيم ونوح وآدم كانوا مستمرين على نبوتهم ورسالتهم الى أممهم والنبي صلى الله عليه وسلم نبي عليهم ورسول الى جميعهم فنبوته ورسالته أعم وأشمل وأعظم) لكونها للانبياء والامم جميعا بخلاف غيره فكل الى أمته (وتتفق مع شرائعهم فى الاصول لانها لا تختلف) كما قال تعالى شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا اليك وما وصينا به

ابراهيم

ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه وقال صلى الله عليه وسلم فى حديث والانبياء أولاد علات أمهاتهم شتى ودينهم واحد رواه الشيخان وعلات بفتح المهملة وشد اللام وفوقية أى ضرائر من رجل واحد (وتقدم شريعته فيما عساه) يختلف أو (يقع الاختلاف فيه من الفروع اما على سبيل التخصيص واما على سبيل النسخ أولا نسخ ولا تخصيص بل تكون شريعة النبى صلى الله عليه وسلم فى تلك الاوقات بالنسبة الى أولئك الامم ماجاءت به انبياؤهم وفى هذا الوقت بالنسبة الى هذه الامة هذه الشريعة) التى جاء بها اليها عليه السلام (والاحكام تختلف باختلاف الاشخاص والاوقات) كعادم الماء لمرض أو سفر فرضه التيمم واعترض بأن النصوص العقلية والنقلية ناطقان بخلافه كقوله تعالى انا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده وما فى معناها من الآيات والانبياء مع تعظيمهم له ومحبتهم ليسوا مكلفين بأحكام شرعه والامم يكونوا أصحاب شرع فالمحبة والتعظيم معنى والتعبد بشرعه معنى آخر ولا عبرة بظنهما أمرا واحدا وقوله ليؤمنن به دون بشرعه مناد عليه فما تبجح به السبكى واستحسنه هو ومن بعده لا وجه له عند من له أدنى بصيرة نقادة وكيف يتأتى ما قاله مع قوله تعالى أن اتبع ملة ابراهيم حنيفا فانه عكسه وقد طلب موسى أن يكون من أمته فأجابه الله بقوله استقدمت واستأخر ولكن سأجمع بينك وبينه فى دار الجلال انتهى وتعسفه لا يخفى فان قوله ذلك من جملة مدخول لو فى قوله لو بعث فى زمان عيسى أو موسى الى آخره فسقط جميع ما قاله ومن أقوى تعسفه قوله ليسوا مكلفين بأحكام شرعه فانه لم يدع تكليفهم به بل ان شرائعهم على تقدير وجوده فى أزمانهم شرع له فيهم (وبهذا بان) ظهر واتضح (لنا معنى حديثين كانا خفيا) أى بعدا دراكهما (عنا أحدهما قوله صلى الله عليه وسلم بعثت الى الناس كافة كنا نظن انه من زمانه الى يوم القيامة فبان انه جميع الناس أولهم وآخرهم والثانى قوله صلى الله عليه وسلم كنت نبيا وآدم بين الروح والجسد) رواه أحمد والبخارى فى التاريخ وأبو نعيم وغيرهم (كنا نظن أنه بالعلم فبان انه زائد على ذلك) على ما شرحناه يعنى بقوله أولا انه قد جاء ان الله تعالى خلق الارواح قبل الاجساد فقد يكون قوله كنت نبيا اشارة الى روحه أو حقيقة من الحقائق والحقائق تقصر عقولنا عن معرفتها وانما يعلمها خالقها ومن أمده بنور الهى ويؤتى الله كل حقيقة منها ما يشاء فى الوقت الذى يشاء فحقيقته صلى الله عليه وسلم قد تكون من حين خلق آدم آتاها ذلك الوصف بأن يكون خلقها متهيئة لذلك وأفاضه عليها من ذلك الوقت فصار نبيا فحقيقته موجودة من ذلك الوقت وان تأخر جسده المتصف بها الى أن قال فقد علم أن من فسره بعلم الله بأنه سيصير نبيا لم يصل الى هذا المعنى لان علمه محيط بجميع الاشياء ووصفه صلى الله عليه وسلم بالنبوة فى ذلك الوقت ينبغى أن يعلم منه أمر ثابت له فى ذلك الوقت ولو كان المراد مجرد العلم لم تكن له خصوصية بأنه نبى وآدم بين الروح والجسد لان جميع الانبياء يعلم الله نبوتهم فى ذلك الوقت وقبله فلا بد من خصوصية له لاجلها أخبر بهذا الخبر ليعرف قدره عند الله انتهى (وانما يفترق الحال بين ما بعد وجود جسده الشريف وبلوغه الاربعين وما قبل ذلك بالنسبة الى المبعوث اليهم وتأهلهم لسماع

كلامه لا بالنسبة اليه ولا اليهم لو تأهلوا قبل ذلك وتعليق الاحكام على الشروط قد يكون بحسب المحل القابل وقد يكون بحسب الفاعل المتصرف فههنا التعليق انما هو بحسب المحل القابل وهو المبعوث اليهم وقبولهم سماع الخطاب والجسد الشريف الذى يخاطبهم بلسانه وهذا كما لو وكل الاب رجلا فى تزويج ابنته اذا وجدت كفؤا فالتوكيل صحيح وذلك الرجل أهل للوكالة ووكالته ثابتة وقد يحصل التوقف أى توقف التصرف) الاظهر فى التعبير بقوله والتصرف متوقف (على وجود الكفوء ولا يوجد الا بعد مدة وذلك لا يقدح فى صحة الوكالة وأهلية التوكيل) وهذا المثال ظاهر فى حديث بعثت الى الناس كافة (انتهى) كلام السبكى فى رسالته وهى فى ورقتين كما ذكر المصنف سواء بسواء فمن كتب على قوله والاوقات الى هنا انتهى كلام السبكى لم يقف على رسالته فرجم بالغيب والله تعالى أعلم

قوله وقد يحصل التوقف أى الخ كذا نسخ الشارح ونسخ المتن وقد يحصل توقف التصرف اه

(النوع الثالث فى) بيان مايدل على (وصفه تعالى له) صلى الله عليه وسلم (بالشهادة) على وحدانية الله وغيرها مما يأتى فى انا أرسلناك شاهدا (وشهادته) تعالى (له بالرسالة) أى اخباره بذلك فالشهادة خبر قاطع كما فى القاموس وغيره (قال الله تعالى حكاية عن ابراهيم واسمعيل عليهما السلام) أى ماوقع منهما من الالفاظ الحادثة المنزلة على المصطفى وايجادها متأخر عن بعثته فلا يرد أن كلامه تعالى قديم سابق على قولهما فكيف يكون حكاية لما قالاه (عند) تمام (بناء البيت) اذ الدعاء انما كان بعد أن فرغا من بنائه (الحرام) أى الكعبة واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسمعيل (ربنا تقبل منا انك أنت السميع) للقول (العليم) بالفعل (ربنا واجعلنا مسلمين) منقادين (لك و) اجعل (من ذريتنا) أولادنا (أمة) جماعة (مسلمة لك) ومن للتبعيض وأتى به لتقدم قوله لا ينال عهدى الظالمين (وأرنا) علمنا (مناسكنا) شرائع عبادتنا أو حجنا (وتب علينا انك أنت التواب الرحيم) سألاه التوبة مع عصمتهما تواضعا وتعليما للذرية هما (ربنا وابعث فيهم) أى أهل البيت (رسولا منهم) من أنفسهم (يتلو عليهم آياتك) القرآن (ويعلمهم الكتاب) القرآن (والحكمة) مافيه من الاحكام (ويزكيهم) يطهرهم من الشرك (انك أنت العزيز) الغالب (الحكيم) فى صنعه (فاستجاب الله دعاءهما) بقولهما ربنا وابعث فيهم رسولا منهم (وبعث فى أهل مكة منهم رسولا بهذه الصفة من ولد اسمعيل الذى دعا مع أبيه ابراهيم عليهما السلام بهذا الدعاء) أفاد أن المبتدئ بالدعاء ابراهيم فوافقه اسمعيل فلذا خص ابراهيم فى الخبر الآتى لكونه المبتدئ به وزعم أن الدعاء كان من ابراهيم وضم اليه اسمعيل لمشاركته له فى الدعاء بتأمينه عليه أو غيره فاسد لان التأمين من خصوصية هذه الامة كما مر فى الخصائص قال صلى الله عليه وسلم وأعطيت آمين ولم يعطها أحد ممن كان قبلكم الا أن يكون الله أعطاها نبيه هرون فان موسى كان يدعو الله ويؤمن هرون رواه ابن مردوية وغيره (وان قلت من أين علم أن الرسول هنا المراد به محمد صلى الله عليه وسلم فالجواب من

وجوه) ثلاثة (* أحدها اجماع المفسرين وهو حجة) قوية (* الثاني قوله عليه الصلاة والسلام) في حديث أخرجه الطيالسي والحرث والديلمي وابن عساكر (أنا دعوة أبي ابراهيم) أي صاحب دعوته اذ لا يصح الاخبار بالمصدر (وبشارة) أخي (عيسى) وفي رواية ابن عساكر وكان آخر من بشر بي عيسى ابن مريم وفائدة اخبار المصطفى بذلك بعد علمه ثبوت وقوعه مقدرا له ذلك في الازل التنويه بشرفه وكونه مطلوب الوجود تاليا للآيات معلما للكتاب والحكمة مطهرا للناس من الشرك معروفا عند جميع الانبياء (قالوا) ليس مراده التبري بل الحكاية عن كل العلماء (وأراد بالدعوة هذه الآية) وخصه لانه المبتدئ كما مر (وبشارة عيسى هي) هكذا في النسخ الصحيحة خبر بشارة وفي نسخة سقيمة وهي بزيادة واو ولا يحسن عطف بشارة على قوله هذه الآية لان المعنى عليه يصير حاصله أراد ببشارة عيسى بشارة عيسى ولا يخفى ما فيه (ما ذكر في سورة الصف من قوله تعالى ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد) سماه به لانه مسمى به في الانجيل ولانه أبلغ من محمد بشر عيسى قومه بذلك ليؤمنوا به عند مجيئه أو ليكون معجزة لعيسى عند ظهوره (* الثالث ان ابراهيم انما دعا بهذا الدعاء بمكة لذريته الذين كانوا بها وحولها ولم يبعث الله تعالى الى من بمكة) من ذرية ابراهيم واسمعيل (الا محمدا صلى الله عليه وسلم) فتعين انه المراد (وقد امتن الله تعالى) وفي نسخة من وهما بمعنى أنعم مطلقا أو على من لا يطلب ويكون بمعنى تعداد النعم (على المؤمنين ببعث النبي منهم على هذه الصفة فقال لقد من) أنعم (الله على المؤمنين) ولا يحمد المن الا من الله تعالى لانه بمنه يذكر العبد فيبعثه على الشكر فيثيبه ومن الخلق قبيح مطلقا ولذا قال لنبيه ولا تمنن تستكثر فالمن حرام عليه مكروه لغيره وقيل بحرمته أيضا (اذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم) من جنسهم يعرفون حاله وأنه ما قرأ ولا درس وقد جاء بالعلم دفعة فقص سير الاولين والآخرين على ما هي عليه فيعلم العاقل انه أمر خارق من عند الخالق كل ذلك ابلاغ في ظهور حجته ووضوح معجزته فكيف يليق ان يجعل المقتضى مانعا فيلحدون ويجحدون قاله ابن المنير في تفسيره (يتلو عليهم آياته) القرآن (ويزكيهم) يطهرهم من الذنوب (ويعلمهم الكتاب) القرآن (الآية) بالنصب أي اقرأ أو اذكر (فليس لله تعالى منة على المؤمنين أعظم من ارسال محمد صلى الله عليه وسلم يهدي الى الحق) الاسلام أو العقائد (والى طريق مستقيم) من الشرائع (وانما كانت النعمة على هذه الامة برسالته أعظم النعم لان النعمة به صلى الله عليه وسلم تمت بها مصالح الدنيا والآخرة وكمل بسببها دين الله تعالى) أحكامه وفرائضه (الذي رضيه) اختاره (لعباده) كما قال تعالى اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا (وقوله من أنفسهم يعني انه بشر مثلهم وانما امتاز عليهم بالوحي) لا ملك ولا أعجمي (وقرئ في الشواذ من أنفسهم بفتح الفاء يعني من أشرافهم) واذا كان من أشرافهم كان منهم ضرورة (لانه من بني هاشم وبنو هاشم أفضل قريش وقريش أفضل العرب والعرب أفضل من غيرهم) وقد مر تفاصيل ذلك في المقصد الاول وكذا قرئ لقد جاءكم رسول من أنفسكم بفتح الفاء

كما مر أيضا (ثم قيل لفظ المؤمنين عام ومعناه خاص في العرب) لان المراد المؤمنون منهم وفي الظرفية تسمح اذ التخصيص انما هو بكون المؤمنين من العرب لا بكون المؤمنين فيهم ولو من غيرهم ويمكن تعلق في العرب بمقدر كالدليل لكون معناه خاصا أي وانما كان مخصوصا بالعرب لان بعثه فيهم ويحتمل تعلقه بمعناه تجوزا لا حقيقة اذ العموم والخصوص من عوارض الالفاظ دون المعنى (لانه ليس حي من احياء العرب الا وقد ولده) بفتحات أي له عليه ولادة اما بكونه جدة أو جدا وفي البغوي قيل أراد العرب لانه ليس حي منهم الا وله فيهم نسب الا بني تغلب دليله هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم وقيل أراد جميع المؤمنين ومعنى قوله من أنفسهم بالايمان والشفقة لا بالنسب دليله لقد جاءكم رسول من أنفسكم (وخص المؤمنين بالذكر) مع أن نعمة البعثة عامة (لانهم هم المنتفعون به أكثر فالنعمة عليهم أعظم) فلا ينافي قوله وما أرسلناك الا رحمة للعالمين (فان قلت هل العلم بكونه صلى الله عليه وسلم بشرا ومن العرب شرط في صحة الايمان وهو من فروض الكفاية) على الابوين مثلا فاذا علم أحدهما ولده المميز ذلك سقط طلبه عن الآخر (أجاب الشيخ ولي الدين) أحمد (بن) عبد الرحيم (العراقي) الحافظ ابن الحافظ (انه شرط في صحة الايمان فلو قال شخص أومن برسالة محمد صلى الله عليه وسلم الى جميع الخلق لكن لا أدري هل هو من البشر أو من الملائكة أو من الجن أولا أدري أهو من العرب أو العجم فلا شك في كفره لتكذيبه القرآن) كقوله تعالى هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم وقال تعالى ولا أقول لكم اني ملك (وجحده ما تلقته قرون الاسلام خلفا عن سلف وصار معلوما بالضرورة عند الخاص والعام ولا أعلم في ذلك خلافا فلو كان غبيا) بمعجمة فموحدة جاهلا قليل الفطنة (لا يعرف ذلك وجب تعليمه اياه فان جحده) أي المعلوم بالضرورة (بعد ذلك حكمنا بكفره) لان انكاره كفر اما انكار ما ليس ضروريا فليس كفرا ولو بجحده بعد التعليم على ما اقتضاه شرح البهجة لشيخ الاسلام زكريا (انتهى) جواب الولي وتعقبه بعض شراح مسلم بقول الحليمي في منهاجه الايمان به صلى الله عليه وسلم أي التصديق بأنه رسول الى الانس والجن الى قيام الساعة يتضمن الايمان بجميع الانبياء والمرسلين فلذا اكتفى به في المقارنة للايمان بالله تعالى ومن آمن به صلى الله عليه وسلم وقال لا أدري أكان بشرا أم ملكا أم جنيا لم يضره ذلك ان كان ممن لم يسمع شيأ من اخباره سوى انه رسول الله كما لو لم يعلم انه كان شابا أو شيخا مكيا أو عراقيا عربيا أو عجميا لان شيأ من ذلك لا ينافي الرسالة لامكان اجتماعهما بخلاف ما لو قال آمنت بالله ولا أدري أجسم هو أم لا لان الجسم لا يمكن أن يكون الها فتبين بذلك ان معرفته صلى الله عليه وسلم ليست شرطا في صحة ابتداء الايمان وانما هي واجبة بعد ذلك لاجل أن لا يقع في شيء مما ينقص مقامه الشريف فليتأمل انتهى (فان قلت هل هو عليه الصلاة والسلام باق على رسالته الى الآن) بعد الموت الى الابد (أجاب أبو المعين) ميمون بن محمد بن سعيد بن مكحول (النسفي) الحنفي صاحب التبصرة في علم الكلام والتمهيد لقواعد التوحيد وغيرهما وهو غير صاحب الكنز عبد الله بن أحمد وغير صاحب التفسير عمر بن محمد وغير صاحب العقائد البرهان محمد بن محمد وكلهم حنفيون

من

من نسف بفتح النون والمهملة وبالفاء مدينة بما وراء النهر (بأن الاشعرى قال انه عليه الصلاة والسلام الآن فى حكم الرسالة وحكم الشئ يقوم مقام أصل الشئ ألا ترى أن العدة تدل على ما كان من أحكام النكاح انتهى) قضيته ان وصفه بأنه رسول انقطع بموته لكن بقاء حكمها نازل منزلة بقائها فهى باقية حكما لا حقيقة (وقال غيره ان النبوة والرسالة باقية) كل منهما أو لاتحادهما فى صفة الايحاء فكأنهما شئ واحد أو بناء على اتحادهما فلا يرد أن الاولى للمطابقة باقيتان (بعد موته عليه الصلاة والسلام حقيقة كما يبقى وصف الايمان للمؤمن بعد موته لان المتصف بالنبوة والرسالة والايمان هو الروح وهى باقية لا تتغير بموت البدن بإجماع انتهى وتعقب) هذا التعليل (بأن الانبياء احياء فى قبورهم) كما صرحت به الاحاديث (فوصف النبوة باق للجسد والروح معا) أى الاتصاف بالنبوة مع الرسالة وان انقطع العمل بشرائعهم سوى شريعة نبينا صلى الله وسلم عليهم (وقال القشيرى كلام الله تعالى) النفسى الازلى لا الالفاظ الدالة عليه (لمن اصطفاه أرسلتك أو بلغ عنى وكلامه تعالى قديم فهو عليه الصلاة والسلام قبل أن يوجد كان رسولا) بقوله أرسلتك أو بلغ عنى (وفى حال كونه) أى وجوده خارجا بعد تكوينه وايجاده رسولا وان تأخر الامر بالتبليغ الى بعد الوحى وتقدم تقريبه بأن من أقر لولده الصغير بشئ يصح أن يقال أعطاه ذلك الشئ مع أن الصبى فى هذا الحال ليس أهلا للتصرف وفى نسخة وفى حال موته وعليها يكون ساكتا عن حال وجوده للعلم به (والى الابد رسولا لبقاء الكلام وقدمه واستحالة البطلان على الارسال الذى هو كلام الله تعالى) وهذا ظاهر على ما هو الراجح من ان كلامه تعالى الازلى يتنوع حقيقة الى أمر ونهى وخبر واستخبار وغير ذلك (ونقل السبكى فى طبقاته عن ابن فورك) بضم فسكون (انه عليه السلام حى فى قبره رسول الله أبد الآباد) أى فى جميع الازمنة الصادق بما بعد موته الى قيام الساعة (على الحقيقة لا المجاز) لحياته فى قبره يصلى فيه بأذان واقامة قال ابن عقيل الحنبلى ويضاجع أزواجه ويستمتع بهن اكمل من الدنيا وحلف على ذلك وهو ظاهر ولا مانع منه (وقال تعالى هو الذى بعث فى الاميين رسولا منهم) نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم (يتلو عليهم آياته) القرآن (ويزكيهم) يطهرهم من الشرك (ويعلمهم الكتاب) القرآن (والحكمة) ما فيه من الاحكام (وان) مخففة من الثقيلة واسمها محذوف أى وانهم (كانوا من قبل) قبل مجيئه (لفى ضلال مبين) بين (والمراد بالاميين العرب) سموا بذلك لانهم كانوا لا يكتبون ولا يقرؤن وكانت الكتابة معدومة فيهم الا النادر والحكم له ثم أطلق على من كتب منهم ومن لم يكتب تغليبا والامى هو الذى لا يكتب ولا يقرأ الخط وان قرأ ما حفظه بالسماع من غيره وقيل الذى يقرأ ولا يكتب (تنبيها لهم على قدر هذه النعمة وعظمها حيث كانوا أميين لا كتاب لهم وليس عندهم شئ من آثار النبوة) لا يرد أنه كان عندهم بقايا من شرع ابراهيم كالحج والغسل من الجنابة لانهم لما اشتغلوا عنها بعبادة الاصنام وغيروا البقايا عن وجهها كأنها لم تكن عندهم (كما كان عند أهل الكتاب) بقايا قليلة (فمن الله عليهم بهذا الرسول وبهذا الكتاب حتى صاروا أفضل الامم) أى الذين آمنوا منهم (وفى كونه عليه

قوله حتى صاروا أفضل الامم وفى كونه كذا الشراح ونسخة المتن حتى صاروا أفضل الامم وأعلمهم وعرفوا ضلالة من ضل قبلهم من الامم وفى كونه اه

الصلاة والسلام منهم فائدتان احداهما ان هذا الرسول كان أيضاً أمياً كأمته المبعوث اليهم لم يقرأ كتاباً قط ولم يخطه) يكتبه (بيمينه كما قال تعالى وما كنت تتلو) تقرأ (من قبله) أي الكتاب المذكور في قوله وكذلك أنزلنا عليك الكتاب أي القرآن (من كتاب ولا تخطه بيمينك) اخبار حالة التي يكتب بها وذكرها زيادة تصوير لما نفي عنه من الكتابة (ولا خرج عن ديار قومه) عطف على قوله لم يقرأ أي خروجاً يقتضي تعلم شيء من غيره كما أفاده قوله (فأقام عند غيرهم حتى تعلم منهم) فلا يرد خروجه مع عمه وفي تجارة خديجة لانه لم يقم فيهما اقامة تقتضي التعلم منهم (بل لم يزل أمياً بين أمة) طائفة (أمية) لا تقرأ ولا تكتب كيوم ولدتها أمهاتها على جبلتها وتظرف من قال

من أعجب الاشياء اني امرؤ * عمي خالي وأبي أمي

(لا يكتب ولا يقرأ حتى بلغ الاربعين من عمره ثم جاء بعد ذلك) أي أحضر أو ظهر أو بعث (بهذا الكتاب المبين) اسم فاعل من أبان بمعنى البين الواضح أو بمعنى المظهر للشرائع وما فيها او الموضح لها (وهذه الشريعة الباهرة) الغالبة الفاضلة على غيرها من الشرائع (وهذا الدين القيم) هو أبلغ من المستقيم باعتبار الوزن لانه صفة مشبهة تدل على الثبوت والدوام والمستقيم أبلغ باعتبار صيغته الدالة على الطلب فكأنه نفسه الذي يطلب قوامه (الذي اعترف حذاق الارض ونظارها انه لم يقرع) أي يصل (العالم ناموس) رسول صاحب سر يبلغهم ما جاء به عن الله (أعظم منه وفي هذا برهان عظيم على صدقه) وامتنان وثناء عظيم (* الفائدة الثانية التنبيه على أن المبعوث منهم وهم الاميون خصوصاً أهل مكة يعرفون نسبه وشرفه وصدقه وأمانته وعفته وانه نشأ بينهم معروفاً بذلك وانه لم يكذب قط فكيف كان يدع) أي يترك (الكذب على الناس ثم يفتري) يقول (الكذب على الله عز وجل) من تلقاء نفسه (هذا هو الباطل) والاستفهام انكاري (ولهذا سأل هرقل) بكسر الهاء وفتح الراء واسكان القاف على المشهور ولا ينصرف للعلمية والعجمة وحكى الجوهري وغيره سكون الراء وكسر القاف (عن هذه الاوصاف واستدل بها على صدقه فيما ادعاه من النبوة والرسالة) فقال سألتك عن نسبه فذكرت انه فيكم ذو نسب فكذلك الرسل تبعث في نسب قومها وسألتك هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال فذكرت ان لا فقد أعرف انه لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله الى أن قال وسألتك بما يأمركم فذكرت انه يأمركم ان تعبدوا الله ولا تشركوا به شيأ وينهاكم عن عبادة الاوثان ويأمركم بالصلاة والصدق والعفاف فان كان ما تقول حقاً فسيملك موضع قدمي هاتين (وقد قال الله تعالى خطاباً له) خطاب شفقة وتسلية قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون (فانهم لا يكذبونك) ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون واستشكل ظاهره لان كذب القول يستلزم كذب قائله الا أن يكون ناقلاً غير ملتزم للصحة والنبي صلى الله عليه وسلم انما ذكره على أنه حق من عند الله وأجيب بأن المراد ليس قصدهم تكذيبك لانك عندهم موسوم بالصدق وانما يقصدون تكذيبي والجحود بآياتي أو لا يعتقدونك كاذباً وانما ينسبون الكذب لما جئت به عناداً أو لا يقولون

عادتك الكذب لكانتكر النبوة فلا يلزم أن تكون كذابا أو انك غير متعمد للكذب بل تخيلت أمرا باطلا فالتكذيب المنفى بالنسبة لافتعاله وتعمده فلا يكون عيبا قيل وهذا أحسن التأويلات وقيل لا يخصونك بالتكذيب وقيل لا يكذبونك فى السر ونقل ابن الجوزى عن قتادة لا يكذبونك بحجة بل بهتانا وعنادا وقال عياض فى هذه الآية منزع لطيف المأخذ من تسليته تعالى له صلى الله عليه وسلم والطافه فى القول بأن قرر عنده انه صادق عندهم وانهم غير مكذبين له معترفون بصدقه قولا واعتقادا وكانوا يسمونه قبل النبوة الامين فدفع عنه بهذا التقرير ارتماض نفسه بسمة الكذب ثم جعل الذم لهم بتسميتهم جاحدين ظالمين تحاشيا من الوصم وطوقهم بالمعاندة بتكذيب الآيات حقيقة الظلم اذ الجحد انما يكون ممن علم الشئ ثم أنكره كقوله تعالى وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا انتهى (ويروى ان رجلا) هو الحرث بن عامر بن نوفل كما عند النسائى عن ابن عباس وروى ابن جرير من طريق العوفى عن ابن عباس ان أناسا من قريش قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم ان نتبعك تتخطفنا الناس فنزلت وقالوا ان نتبع الهدى الآية فلعل الحرث هو المبتدى (قال والله يا محمد ما كذبتنا قط فنتهمك اليوم ولكنا ان نتبعك نتخطف من أرضنا فنزلت هذه الآية) ظاهره ان المراد فانهم لا يكذبونك وقد علم من رواية النسائى وابن جرير أنها وقالوا ان نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا (رواه أبو صالح) مشهور بكنيته واسمه ميزان البصرى مقبول من أواسط التابعين خرج له الترمذى (عن ابن عباس) رضى الله عنهما (وعن مقاتل كان الحرث بن عامر) بن نوفل بن عبد مناف ووقع فى الانوار تسمية أبيه عثمان وهو خلاف الروايات انه عامر (يكذب النبى صلى الله عليه وسلم فى العلانية فاذا خلا مع أهل بيته قال ما محمد من أهل الكذب) ووقع فى الانوار انه أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال نحن نعلم انك على الحق ولكنا نخاف ان اتبعناك وخالفنا العرب وانما نحن أكلة رأس أن يتخطفونا من أرضنا فرد الله عليهم بقوله أولم نمكن لهم حرما آمنا (وروى ان المشركين كانوا اذا رأوه عليه السلام قالوا انه لنبى) ويتعللون بالانفة عن اتباعه حتى لا يكونوا تابعين ويأبى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون (و) روى الترمذى والحاكم (عن على قال أبو جهل للنبى صلى الله عليه وسلم انا لا نكذبك ولكن نكذب بما جئت به) وفى نسخة مصححة من الشفاء ما جئت بدون الباء (فأنزل الله تعالى الآية) لفظ روايتهما فأنزل الله تعالى فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون (والمعنى انهم ينكرونه مع العلم بصحته اذ الجحد لغة) كما صرح به الجوهرى والمجد وغيرهما هو (الانكار مع العلم) فهو محض عناد وبغى (فان قلت فما الجمع بين هذا) فانهم لا يكذبونك (وبين قوله تعالى) تلو هذه الآية (ولقد كذبت رسل من قبلك الآية) فان مفادها انهم كذبوا لانها تسلية له اذ قوله فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا معناه فاصبر كما صبروا حتى يأتيك نصرنا باهلاك من كذبك كما أهلكنا من كذب الرسل من قبلك ولا مبدل لكلمات الله ولقد جاءك من نبأ المرسلين أى ما فيه تسلية لك قيل كان الاولى المعارضة بقوله تعالى وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك لصراحتها

قوله وانما نحن أكلة رأس يضرب مثلا فى قلة العدد كما يستفاد من مجمع الامثال للميدانى اه مصححه

فيها التكذيب دون هذه ورده شيخنا تقريرا بأن ما سلكه المصنف أولى لان هذه الآية صرح فيها بالقضية الشرطية فلا تستلزم التكذيب بالفعل بخلاف ولقد كذبت تستلزمه (أجيب بأنه) أى التكذيب الصادر منهم (على طريق الجحد) لعلمهم بصدقه وكذبوه عنادا واستكبارا عن الاتباع فهم مصدقون فى نفس الامر وان كذبوا ظاهرا (وهو يختلف باختلاف أحوالهم فى الجهل فمنهم من وقع منه ذلك لجهله) لاجحدا (فحيث علم آمن ومنهم من علم وأنكر كفرا وعنادا كأبى جهل فيكون المراد بقوله فانهم لا يكذبونك قوما مخصوصين منهم) وهم الذين كذبوا جهلا ثم آمنوا أو المكذبون عنادا اذهم مصدقون باطنا (لا كلهم وحينئذ فلا تعارض) بين الآيتين وفى الشفاء من قرأ لا يكذبونك بالتخفيف معناه لا يجدونك كاذبا وقال الفراء والكسائى لا يقولون انك كاذب وقيل لا يحتجون على كذبك ولا يثبتونه ومن قرأ بالتشديد فمعناه لا ينسبونك الى الكذب وقيل لا يعتقدون كذبك انتهى ومزله مزيد (وروى ان أبا جهل لقيه النبى صلى الله عليه وسلم فى بعض فجاج مكة فصافحه فقيل له أتصافحه) وأنت تعاديه (فقال والله انى لاعلم انه نبى ولكن متى كنا تبعا لبنى عبد مناف فأنزل الله الآية) فانهم لا يكذبونك والجمع بين هذا وحديث على انه صافحه وقال له انا لا نكذبك الخ وقال لسانه والله انى الخ (رواه ابن أبى حاتم) ونقل البغوى وغيره عن السدى قال التقى الاخنس بن شريق وأبو جهل بعد ذلك وأسلم فقال يا أبا الحكم أخبرنى عن محمد أصادق هو أم كاذب فانه ليس هنا أحد يسمع كلامك غيرى فقال أبو جهل والله ان محمدا الصادق وما كذب محمد قط ولكن اذا ذهب بنو قصى باللواء والسقاية والحجابة والندوة والنبوة فماذا يكون لسائر قريش فأنزل الله هذه الآية وفى الشفاء روى ان النبى صلى الله عليه وسلم لما كذبه قومه حزن فجاءه جبريل فقال ما يحزنك قال كذبنى قومى فقال انهم يعلمون انك صادق فأنزل الله هذه الآية قال السيوطى لم أجد هذا (والقرآن كله مملوء بالآيات الدالة على صدق هذا الرسول الكريم وتحقيق رسالته) ثبوتها (وكيف) استفهام انكارى على من نسب الكذب للنبى أى لا (يليق بكمال الله تعالى أن يقر من يكذب عليه أعظم الكذب) مع قوله ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا (ويخبر عنه بخلاف ما الامر عليه ثم ينصره على ذلك ويؤيده) ويقويه (ويعلى كلمته ويرفع شأنه) أمره (ويجيب دعوته) أى جنسها (ويهلك عدوه ويظهر على يديه من الآيات والبراهين والادلة) ألفاظ متقاربة (ما يضعف عنه قوى البشر وهو مع ذلك كاذب عليه مفتر ساع فى الارض بالفساد ومعلوم ان شهادته) اطلاعه (سبحانه على كل شئ) كما قال وهو على كل شئ شهيد (وقدرته على كل شئ وحكمته وعزته وكماله المقدس) المطهر عما لا يليق به (يأبى ذلك كل الاباء) أشد الامتناع (ومن ظن ذلك به وجوزه عليه فهو من أبعد الخلق عن معرفته ان عرف منه بعض صفاته كصفة القدرة وصفة المشيئة) أى ان جميع الناس يدركون كثيرا من صفاته ويقرون بها ومن حق من عرف شيأ منها ان يعترف بما ظهر له من الادلة باتصافه صلى الله عليه وسلم بجميع صفات الكمال اللائقة بالانبياء (والقرآن كله مملوء من هذه الطريق وهذه طريق الخاصة بل خاصة الخاصة الذين يستدلون

قوله والجمع الخ هكذا فى النسخ بدون ذكر مسند ولعل الاصل وتقدم الجمع الخ أى ما يفيده أو والجمع الخ ما مر أى نظير ما مر تأمل اه مصححه

بالله) أي بذاته وصفاته (على أفعاله وما يليق به أن يفعله وما لا يفعله) وليس الحكم مقصورا على الذات من غير اعتبار صفة زائدة عليها كما تقول المعتزلة (ولذا تدبرت القرآن) أي تأملت معانيه وتبصرت ما فيه (رأيته ينادى على ذلك ويسدبه ويعيد لمن له فهم وقلب واع عن الله تعالى) يتفكر به في حقائقه فالمتمتع بالقرآن المتأمل لامره ونهيه هو الجامع بين الحفظ والفهم والتعب النفس في تأمل ألفاظه ومعانيه (قال تعالى ولو تقول) الرسول الكريم (علينا بعض الاقاويل) بأن قال عنا ما لم نقله (لاخذنا) لنلنا (منه) عقابا (باليمين) بالقوة والقدرة (ثم لقطعنا منه الوتين) نياط القلب وهو عرق متصل به اذا انقطع مات صاحبه (فما منكم من أحد) هو اسم ما ومن زائدة لتأكيد النفي ومنكم حال من أحد وهو في الاصل نعت له فلما تقدم عليه أعرب حالا (عنه حاجزين) ما نعين خبر ما وجمع لان أحدا في سياق النفي بمعنى الجمع وضمير عنه للنبي أي لا مانع لنا عنه من حيث العقاب (اقترا سبحانه وتعالى يخبر أن كماله وحكمته وقدرته تأبى ان يقر من تقول عليه بعض الاقاويل) ثم يقرّ من يكذب عليه لا (بل لا بد أن يجعله عبرة لعباده كما جرت بذلك سنته) عادته (في المتقولين عليه) فذلك دليل على صدقه صلى الله عليه وسلم (وقال تعالى أم) بمعنى بل (يقولون افترى على الله كذبا) بنسبة القرآن الى الله (فان يشأ الله يختم على قلبك ههنا انتهى جواب الشرط) وهو فان يشأ الله والقصد به كما في البيضاوى استبعاد الافتراء عن مثله بالاشعار على انه انما يجترئ عليه من كان مختوما على قلبه جاهلا بربه وأما من كان ذا بصيرة ومعرفة فلا وكأنه قال ان يشأ الله خذلانك يجترئ بالافتراء عليه وقيل يختم على قلبك يمسك القرآن والوحى عنه أو يربط عليه بالصبر عليه فلا يشق عليه اذاهم انتهى (ثم أخبر خبرا جازما غير معلق انه يمحو الباطل ويحق الحق) بكلماته انه عليم بذات الصدور فهو كما في البيضاوى استئناف لنفي الافتراء عما يقول بأنه لو كان مفترى لمحقه اذ من عادته تعالى محو الباطل واثبات الحق بوحيه أو بقضائه لا مرد له (وقال تعالى وما قدروا الله حق قدره) أي ما عظموه حق عظمته أو ما عرفوه حق معرفته (اذ قالوا) للنبي صلى الله عليه وسلم وقد خاصموه في القرآن (ما أنزل الله على بشر من شئ) قال ابن عباس قائل ذلك اليهود وقال مجاهد مشركو قريش وقال السدى فنحاص اليهودى وقال سعيد بن جبير مالك بن الصيف أخرجهما ابن أبي حاتم (فأخبر أن من نفى عنه الارسال والكلام لم يقدره حق قدره ولا عرفه كما ينبغي ولا عظمه كما يستحق) في الرحمة والانعام على العباد فان الوحى والبعث من عظائم رحمته وجلائل نعمته أو ما قدروه في السخط على الكفار وشدة البطش بهم حين جسروا على هذه المقالة (فكيف من ظن انه ينصر الكاذب المفترى عليه ويؤيده ويظهر على يديه الآيات والادلة وهذا) أي تعظيمه صلى الله عليه وسلم بالآيات الدالة على كماله (في القرآن كثير) وذلك لانه (يستدل) بزيادة السين والتاء أي يدل (تعالى) خلقه (بكماله المقدس وأوصافه وجلاله على صدق رسوله) فيما جاء به (وعلى وعده ووعيده) مثلا قوله تعالى يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم دل بكونه خالقا للناس

منقماً عليهم بجعل الارض فراشاً والسماء بناء الخ على ان من قدر على ابتداء هذه الاشياء لا يعجز عن بعثهم بعد فناء أجسادهم ومن لازم ذلك صدق الرسول في اخباره عن الله بالبعث والاعادة (ويدعو عباده الى ذلك) أي تصديقه فيما جاء به عليه السلام أو الاشارة راجعة للصدق بتقدير مضاف أي الى اعتقاد صدق رسوله (وقال تعالى لمن طلب آية تدل على صدق رسوله) مثل ناقة صالح وعصا موسى ومائدة عيسى وهم الذين قالوا لولا أنزل عليه آية من ربه فرد عليهم بقوله قل انما الآيات عند الله وانما أنا نذير مبين (أولم يكفهم) فيما طلبوا (انا أنزلنا عليك الكتاب) القرآن (يتلى عليهم) فهو آية مستمرة لا انقضاء لها بخلاف ما ذكر من الآيات (ان في ذلك) الكتاب (لرحمة) لنعمة عظيمة (وذكرى) عظة (لقوم يؤمنون) لمن همه الايمان دون التعنت وروى ابن جرير وابن أبي حاتم والدارمي عن يحيى بن جعدة قال جاء ناس من المسلمين بكتب قد كتبوها فيها بعض ما سمعوه من اليهود فقال صلى الله عليه وسلم كفى بقوم ضلالة أن يرغبوا عما جاء به نبيهم اليهم الى ما جاء به غيره الى غيرهم فنزلت أولم يكفهم انا أنزلنا الآية (قل كفى بالله بيني وبينكم شهيدا) بصدقي وقد صدقني بالمعجزات أو بتبليغ ما أرسلت به اليكم ونصحي ومقابلتكم اياي بالتكذيب والتعنت (يعلم ما في السموات والارض) فلا يخفى عليه حالي وحالكم (والذين آمنوا بالباطل) وهو ما يعبد من دون الله (وكفروا بالله) منكم (أولئك هم الخاسرون) في صفقتهم حيث اشتروا الكفر بالايمان (فأخبر سبحانه ان الكتاب الذي أنزله يكفي من) أي بدل (كل آية) لا انقضائها بخلافه (ففيه الحجة والدلالة على انه من الله تعالى وأن الله سبحانه أرسل به رسوله وفيه بيان ما يوجب لمن اتبعه السعادة وينجيه من العذاب) بقوله ان في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون (ثم قال قل كفى بالله بيني وبينكم شهيدا يعلم ما في السموات والارض فاذا كان سبحانه عالما بجميع الاشياء) المعبر عنها بما في السموات والارض (كانت شهادته أعظم شهادة وأعدلها فانها شهادة بعلم تام محيط بالمشهود به) بخلاف شهادة غيره فليس لها هذا الوصف اذ قد يخفى عليه ما يمنعه من الشهادة بما شاهده لو علمه (وهو سبحانه وتعالى يذكر علمه عند شهادته) فهذا حكمة قوله يعلم ما في السموات والارض بعد قوله شهيدا مع انه مقطوع محقق الحصول عند كل أحد (و) يذكر (قدرته وملكه عند مجازاته) لافادته انه لا يعجزه شيء (وحكمته عند خلقه وأمره ورحمته عند ذكر ارسال رسله وحلمه عند ذنوب عباده) تنبيها لهم على التوبة وأن لا يقنطوا (فتأمل ورود أسمائه الحسنى في كتابه وارتباطها بالخلق والامر والثواب والعقاب) يظهر لك من اسرارها العجب العجاب وحاصله ان من عادته تعالى اذا ذكر أمرا تقصر عن ادراكه العقول ذكر أنه انما أخبر عنه بعلم تام وقدرة كاملة فليس اخباره عن شيء كاخبار بعض البشر عما شاهده لانه قد يخفى عليه ما يمنعه الشهادة لو علمه أو من المجازاة عليه (وقال تعالى انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه) تيسيره أطلق له لانه من أسبابه وقيد به اشارة الى انه أمر صعب لا يتأتى الا بمعونته تعالى قاله البيضاوي وغيره وقال العز بن عبد السلام في مجاز القرآن اذنه

مشيئته وارادته لان الغالب فى الاذن أن لا يقع الا بمشيئة واعتبار الملازمة الغالبة تصحح المجاز أو بأمر التكوين فان الامر يلازمه مشيئة الآمر غالبا وقال ابن عباس فى قوله تعالى فهزموهم باذن الله بأمره وقوله كن وهو من مجاز التمثيل شبه سهولة الاشياء فى قدرته بسهولة هذه الكلمة على الناطق بها تفهيما السرعة نفوذ مشيئته وقدرته فيما يريده ويعبر بالاذن عن التيسير والتسهيل كقوله تعالى والله يدعو الى الجنة والمغفرة باذنه أى بتيسيره وتسهيله اذ لا يحسن ان يقال دعوته باذنى ولا قت وقصدت باذنى ولذا قال الزمخشرى يجوز أن يراد بالاذن هنا الامر أى يدعوكم الى الجنة والمغفرة بأمره اياكم بطاعته وكلاهما من مجاز الملازمة انتهى (وسراجا) أحوال مقدرة (منيرا) قال عياض جمع الله له فى هذه الآية ضروبا من رتب الاثرة وجملة أوصاف من المدحة فجعله شاهدا على أمته بابلاغهم الرسالة وهى من خصائصه ومبشرا لاهل طاعته ونذيرا لاهل معصيته وداعيا الى الله باذنه الى توحيده وعبادته وسراجا منيرا يهتدى به الى الحق وقال ابن عطية هذه أرجى آية فى القرآن لانه أمره بتبشير المؤمنين بالفضل الكبير وقد فسره فى آية أخرى والذين آمنوا وعملوا الصالحات فى روضات الجنات لهم ما يشاؤن عند ربهم ذلك هو الفضل الكبير (أى شاهدا على الوحدانية) أى اتصافه تعالى بأنه واحد أحد لا شريك له فى ذاته ولا فى صفاته ولا فى أفعاله ولم يقيد الشهادة فشملت الشهادة بها فى الدنيا والآخرة وفى البيضاوى شاهدا على من بعثت اليهم بتصديقهم وتكذيبهم ونجاتهم وضلالهم وكذا تقدم عن عياض فجعلا ذلك صلة الشهادة وجعلا صلة داعيا الى الاقرار بالله وتوحيده وما يجب الايمان به من صفاته وهو خلاف ما ذكر المصنف (وشاهدا فى الدنيا بأحوال الآخرة) أى بما يكون فيها ذاتا أو صفة (من الجنة والنار والميزان والصراط وشاهدا فى الآخرة بأحوال الدنيا و) ذلك بأن يشهد للمطيع (بالطاعة و) على العاصى (بالمعصية) فهو بيان للمراد بالشهادة (والصلاح) الواقع من المطيع (والفساد) من العاصى وعلمه صلى الله عليه وسلم بذلك لان أعمال أمته تعرض عليه كما ثبت فى الحديث واستشكل مع حديث الصحيح ليذادن رجال عن حوضى كما يذاد البعير الضال أناديهم ألا هلم فيقال انهم بدلوا وغيروا بعدك فأقول سحقا سحقا وفى رواية انك لا تدرى ما أحدثوا بعدك وأجيب بأنها انما تعرض عليه عرضا مجملا فيقال عملت أمتك شرا عملت أمتك خيرا أو انها تعرض عليه دون تعيين عاملها قاله الابى (وشاهدا على الخلق يوم القيامة بابلاغ أنبيائهم وتزكية أمته) (كما قال تعالى) وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس (ويكون الرسول عليكم شهيدا) روى أحمد والبخارى والترمذى والنساى وابن ماجه عن أبى سعيد مرفوعا يجىء نوح وأمته فيقول الله هل بلغت فيقول نعم أى رب فيقول لامته هل بلغكم فيقولون لا ما جاءنا من نبى فيقول لنوح من يشهد لك فيقول محمد وأمته وهو قوله تعالى وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس والوسط العدل فتدعون فتشهدون له بالبلاغ ثم أشهد عليكم وروى أحمد والنساى وابن ماجه عن أبى سعيد رفعه يجىء النبى يوم القيامة ومعه الرجل والنبى ومعه الرجلان

ويجىء النبى ومعه الثلاثة وأكثر من ذلك فيقال له هل بلغت قومك فيقول نعم فيدعى قومه فيقال لهم هل بلغكم هذا فيقولون لا فيقال له من يشهد لك فيقول محمد وأمته فيقال لهم هل بلغ هذا قومه فيقولون نعم فيقال وما علمكم فيقولون جاء نبينا فأخبرنا أن الرسل قد بلغوا وصدقناه فذلك قوله وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا قال البيضاوى وهذه الشهادة وان كانت لهم لكن لما كان الرسول كالرقيب المؤتمن على أمته عدى بعلى وقدمت الصلة للدلالة على اختصاصهم بكون الرسول شهيدا عليهم وطالبهم بالبينة وهو أعلم اقامة للحجة على المنكرين انتهى ولاظهار فضل هذه الامة على رؤس الاشهاد قال أبو الحسن القابسى أبان الله فضل نبينا وفضل أمته بهذه الآية وفى قوله فى هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس وكذلك قوله فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد الآية (كأنه تعالى يقول يا أيها المشرف) بالفاء بالنبوة (من قبلنا انا أرسلناك شاهدا بوحدانيتنا ومشاهدا كمال قدرتنا تبشر عبادنا وتنذرهم مخالفة أمرنا وتعلمهم مواضع الخوف منا) وهى المعاصى (وداعيا الخلق الينا) أى الى ما يجب الينا (وسراجا يستضاء بك) من ظلمات الجهل ويقتبس من نورك أنوار البصائر (وشمسا تبسط شعاعك على جميع من صدقك وآمن بك ولا يصل الينا الا من اتبعك وخدمك وقدمك) على جميع الخلق بأن علم كمالك الذى تميز به على غيرك وأذعن له (فبشر يا أيها المشرف من قبلنا المؤمنين (بفضلنا) انعامنا عاجلا وآجلا (وطولنا) أى احساننا (عليهم) بترك عقابهم فتغاير العطف لكن يصير (واحساننا اليهم) تفسيريا وفى نسخة فبشره بضمير عائد على لفظ من وحذفه أولى (ولما كان الله تعالى قد جعله عليه الصلاة والسلام شاهدا على الوحدانية والشاهد لا يكون مدعيا فالله تعالى لم يجعل النبى فى مسئلة الوحدانية مدعيا لها لان المدعى من يقول شيأ على خلاف الظاهر والوحدانية أظهر من الشمس والنبى صلى الله عليه وسلم كان ادعى النبوة) قبل نزول هذه الآية حيث أخبر أن الله بعثه ولم يعرف بها قبل الدعوة فأتى بخلاف ظاهر حاله قبل (فجعل) جواب لما أدخل عليه الفاء (الله تعالى نفسه شاهدا له فى مجازاة كونه شاهدا له تعالى فقال سبحانه والله يشهد) التلاوة يعلم (انك لرسوله) ولا يصح أن يشهد تفسيرا ليعلم لان علم الشئ لا يستلزم الشهادة به لكن فى القاموس شهد الله أنه لا اله الا هو أى علم الله أو قال أو كتب (ومن هذا قوله تعالى ويقول الذين كفروا) قيل هم رؤساء اليهود (لست مرسلا قل كفى بالله شهيدا بينى وبينكم) فانه أظهر من الادلة على رسالتى ما يغنى عن شاهد يشهد عليها (ومن عنده علم) مرتفع بالظرف لاعتماده على الموصول أو مبتدأ والظرف خبره (الكتاب) القرآن وما ألف عليه من النظم المعجز أو علم التوراة وهو ابن سلام وأضرابه قال سعيد بن جبير هو جبريل وقال عكرمة هو عبد الله بن سلام رواهما ابن أبى حاتم وقال ابن عباس هم اليهود والنصارى وقال قتادة كنا نحدث أن منهم ابن سلام وسلمان الفارسى وتميما الدارى أخرجهما ابن جرير وقيل المراد علم اللوح المحفوظ وهو الله قال الطيبى فيلزم عطف الشئ على نفسه فأول الزمخشرى وغيره اسم الذات بما يعطيه من معنى استحقاق العبادة لكونه

جامعا لمعاني الاسماء فقال كفى بالذي يستحق العبادة وبالذي لا يعلم ما في اللوح الا هو شهيدا بيننا فيخزي الكاذب منا ويؤيده قراءة من قرأ ومن عنده بالكسر خبر والمبتدأ علم قال الازهري لا يكون الهاحق يكون معبودا وخالقا ورازقا ومدبرا فاتى بالموصول ليتوافق المعطوف والمعطوف عليه (فاستشهد على رسالته بشهادة الله له) وأمره بقول ذلك اذ لا يجحد باطنا (وكذلك قوله تعالى) حين قالت قريش يا محمد لقد سألنا عنك أهل الكتاب فزعموا أن ليس لك عندهم ذكر ولا صفة فأرنا ما يشهد لك أنك رسول الله فنزلت على ما قال الكلبي وتبعه البغوي وغيره وأخرج ابن اسحق وابن جرير عن ابن عباس ان ثلاثة من اليهود جاؤا فقالوا يا محمد ما نعلم مع الله الها غيره فقال لا اله الا الله بذلك بعثت والى ذلك أدعو فأنزل الله في قولهم (قل أي شئ) أي موجود (أكبر شهادة) تمييز محول عن المبتدا (قل الله شهيد بيني وبينكم) على صدقي فهو الجواب لانه تعالى اذا كان الشهيد كان أكبر شئ شهادة قال الطيبي فهو من اسلوب الحكيم يعني فشهادته معلومة لا كلام فيها وانما الكلام في انه شاهد لي عليكم مبين لدعواي واذا ثبت انه شهيد له لزم أن أكبر شئ شهادة شهيد له ونحوه قول التفتازاني كأنه قيل معلوم أن الله هو الاكبر شهادة ولكن الانسب بالمقام هو الاخبار بأن الله شهيد لي لينتج مع قولنا الله أكبر شهادة أن الاكبر شهادة شهيد لي قال أبو حيان هذا الوجه أرجح مما قدمه الزمخشري أن المعنى قل الله أكبر شهادة ثم ابتدأ شهيد أي هو لان فيه اضمارا أولا وآخرا والاول لا اضمار فيه مع صحة معناه (وقوله تعالى) روى ابن اسحق عن ابن عباس دخل جماعة من اليهود على النبي صلى الله عليه وسلم فقال لهم اني والله أعلم انكم تعلمون أني رسول الله فقالوا ما نعلم ذلك فأنزل الله (لكن الله يشهد) يبين نبوتك (بما أنزل اليك) من القرآن المعجز (أنزله) ملتبسا (بعلمه) أي عالما به أو فيه علمه (والملائكة يشهدون) أيضا لك (وكفى بالله شهيدا) على ذلك قال البيضاوي استدراك على مفهوم ما قبله وكأنه لما تعنتوا عليه بسؤال كتاب ينزل عليهم من السماء واحتج عليهم بقوله انا أوحينا اليك قال انهم لا يشهدون ولكن الله يشهد أو انهم أنكروه ولكن الله يثبته ويقرره بما أنزل اليك من القرآن المعجز الدال على نبوتك روى ابن جرير عن ابن عباس لما نزل انا أوحينا اليك قالوا ما نشهد لك فنزلت (وقوله تعالى والله يعلم انك لرسوله) فلا يضر قول المنافقين ذلك بألسنتهم مخالفا لما في قلوبهم (وقوله محمد رسول الله) جملة مبينة للمشهود به ويجوز أن يكون رسول الله صفة ومحمد خبر محذوف أو مبتدأ والذين معه معطوف عليه وخبرهما أشداء على الكفار رحماء بينهم كما في الانوار (فهذا كله منه تعالى شهادة لرسوله صلى الله عليه وسلم قد أظهرها وبينها وبين صحتها غاية البيان بحيث قطع العذر) بسكون الذال وتضم للاتباع أي منع الاشياء التي تكون سببا لطلب ما يزيل اللوم عن الفاعل (بينه وبين عباده وأقام الحجة عليهم بكونه سبحانه شاهدا لرسوله) صلى الله عليه وسلم (وقال تعالى هو الذي أرسل رسوله بالهدى) ملتبسا به أو بسببه ولاجله (ودين الحق) الاسلام (ليظهره) ليعليه (على) جنس (الدين كله) بنسخ ما كان حقا واظهار فساد ما كان

باطلا أو تسليط المسلمين على أهله اذ ما من أهل دين الا وقد قهرهم المسلمون وفيه تأكيد لما وعده من الفتح (وكفى بالله شهيدا) على أن ما وعده كائن أو على نبوته باظهار المعجزات أو على انك مرسل كما قال محمد رسول الله (فيظهر ظهورين ظهورا بالحجة والبيان) بحيث لا يستطيع المعاند رده ما بل يخادعون أنفسهم بالتشغيب والتكذيب والافتراء والمباهتة والرضا بالدنية كقولهم قلوبنا غلف وفي أكنة مما تدعونا اليه وغير ذلك (وظهورا بالنصر والغلبة والتأييد حتى يظهر على مخالفيه ويكون منصورا) كما قال هو الذى أيدك بنصره لينصرك الله نصرا عزيزا (ومن شهادته تعالى أيضا ما أودعه في قلوب عباده من التصديق الجازم واليقين الثابت والطمأنينة بكلامه) سبحانه (ووحيه) الى أنبيائه (فان الله فطر) خلق (القلوب) مشتملة (على قبول الحق والانقياد له والطمأنينة والسكون اليه ومحبته وفطرها على) أعاد العامل تنبيها على أن كلا من قبول الحق و (بغض الكذب والباطل) مقصود بالذات (والنفور عنه وعدم السكون اليه ولو بقيت الفطرة) بالكسر الخلقة (على حالها لما آثرت) قدمت (على الحق سواه ولما سكنت) اطمأنت (الا اليه ولا اطمأنت الا به ولا أحبت غيره ولهذا ندب) دعا (الحق سبحانه الى تدبر القرآن فان كل من تدبره أوجب له علما ضروريا ويقينا جازما انه حق بل أحق كل حق وأصدق كل صدق قال تعالى أفلا يتدبرون القرآن) يتصفحونه وما فيه من المواعظ والزواجر حتى لا يجسروا على المعاصي (أم على قلوب أقفالها) لا يصل اليها ذكر ولا ينكشف لها أمر وقيل أم منقطعة والهمزة للتقرير وتنكير قلوب لان المراد قلوب بعض منهم أو للاشعار بأنها لابهام أمرها في القساوة أو لفرط جهالتها كأنها مبهمة منكورة واضافة الاقفال اليها للدلالة على أقفال مناسبة لها مختصة بها لا تجانس الاقفال المعهودة وقرئ اقفالها على المصدر قاله البيضاوي (فلو رفعت الاقفال عن القلوب لباشرتها حقائق القرآن واستنارت فيها مصابيح الايمان وعلمت علما ضروريا كسائر الامور الوجدانية) بكسر الواو (كاللذة والالم انه من عند الله تكلم به حقا وبلغه رسوله جبريل الى رسوله محمد صلى الله عليه وسلم فهذا الشاهد في القلب من أعظم الشواهد انتهى ملخصا من مدارج السالكين) للعلامة ابن القيم في شرح منازل السائلين لشيخ الاسلام الهروي (وقال تعالى قل يا أيها الناس انى رسول الله اليكم جميعا) حال من الضمير في اليكم قال المفتي لما حكى ما في الكتابين من نعوته صلى الله عليه وسلم وشرف من يتبعه من أهلهما ونيلهم لسعادة الدارين أمر عليه الصلاة والسلام ببيان أن تلك السعادة غير مختصة بهم بل شاملة لكل من تبعه كائنا من كان ببيان عموم رسالته للثقلين مع اختصاص سائر الرسل بأقوامهم وارسال موسى الى فرعون وملئه بالآيات التسع انما كان لامرهم بعبادة رب العالمين وترك العظمة التي كان يدعيها الطاغية ويقبلها منه الفئة الباغية وبارسال بنى اسرائيل من الاسر والقسر وأما العمل بأحكام التوراة فمختص ببني اسرائيل انتهى (ففي هذه الآية دلالة على أنه صلى الله عليه وسلم مبعوث الى كافة الثقلين) الانس والجن سميا بذلك لثقلهما على الارض أو لرزانة رأيهم وقدرهم أو لانهما مثقلان

بالتكليف ووجه الدلالة أن الناس وان غلب استعماله فى الانس لكنه اسم للانس والجن لانه مشتق من ناس ينوس اذا تحرك فيطلق عليهما وبهما فسر فى صدور الناس (وقالت العيسوية من اليهود وهم أتباع عيسى) المنقول لغيره أبى عيسى (الاصفهانى) زاد فى نسخة النصرانى ولا ينافيها قوله أولا من اليهود لجواز انه كان نصرانيا ثم تهود فتبعته تلك الطائفة (ان محمدا صادق مبعوث الى العرب غير مبعوث الى بنى اسرائيل ودليلنا على ابطال قولهم هذه الآية لان قوله يا أيها الناس خطاب) عام (يتناول كل الناس) العرب وبنى اسرائيل وغيرهم فتخصيصه بالعرب من اين (ثم قال) بأمر الله تعالى قل يا أيها الناس (انى رسول الله اليكم جميعا وهذا يقتضى كونه مبعوثا الى جميع الناس) اقتضاء ظاهرا لاسيما مع قوله جميعا فهو قريب من الصريح (وأيضا) دليل ثان فى الرد على العيسوية (فلانا نعلم بالتواتر أنه كان يدعى) أى يذكر (انه مبعوث الى الثقلين فاما أن نقول انه كان رسولا حقا أو ما كان كذلك) من ارخاء العنان للخصم للزوم الحجة له (فان كان رسولا حقا) كما اعترفت به أيها الخصم (امتنع الكذب عليه) لاستحالته على الرسول (ووجب الجزم بكونه صادقا فى كل ما يدعيه) ومنه انه رسول الى بنى اسرائيل (فلما ثبت بالتواتر وبظاهر هذه الآية) لم يقل بصريحها لاحتمال أن أل فيها للجنس ولكن يمنعه أو يبعده التأكيد بقوله جميعا (انه كان يدعى أنه مبعوث الى جميع الثقلين وجب كونه صادقا وذلك يبطل قول من يقول انه كان مبعوثا الى العرب فقط لا الى بنى اسرائيل) وعبر بيدعى لان الادعاء قول يخالف الظاهر كما قدمه وهذا وان طابق الواقع بحسب نفس الامر لكنه مخالف للظاهر فلذا أتى بالادلة والبراهين لاثبات رسالته (واذا ثبت هذا فنقول قوله تعالى قل يا أيها الناس انى رسول الله اليكم جميعا من الناس من يقول انه عام دخله التخصيص ومنهم من أنكر ذلك أما الاولون) ترك عديله أما الظهوره أى وأما المنكرون فقالوا هو باق على عمومه والتكليف ووصول خبر الرسالة ليس شرطا فى الرسالة وانما هو شرط فى المؤاخذة بما بلغه (فقالوا دخله التخصيص من وجهين الاول انه رسول الله الى الناس اذا كانوا من جملة المكلفين) لا مجانين وصبيانا (فاذا لم يكونوا من جملة المكلفين لم يكن رسولا اليهم وذلك لانه عليه السلام قال) كما رواه أحمد وأبو داود والنسائى وصححه ابن خزيمة وابن حبان والحاكم عن على وعمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (رفع القلم عن ثلاث) كناية عن عدم التكليف لانه يلزم منه الكتابة وعبر برفع اشعارا بأن التكليف لازم لبنى آدم لا ينفك عنهم الا عن ثلاثة (عن الصبى) الطفل ولو مراهقا (حتى يبلغ) وفى رواية حتى يكبر وأخرى حتى يشب وأخرى حتى يحتلم قال السبكى ليس فى روايتى حتى يكبر وحتى يبلغ من البيان ما فى رواية حتى يحتلم فالتمسك بها لبيانها أولى لان حتى يبلغ مطلق وحتى يحتلم مقيد فيحمل عليه فان الاحتلام بلوغ قطعا وعدم بلوغ السن ليس ببلوغ قطعا (وعن النائم حتى يستيقظ) من نومه (وعن المجنون) زاد فى رواية المغلوب على عقله (حتى يفيق) وفى رواية حتى يبرأ أى بالافاقة وفى أخرى حتى يعقل وفى أخرى وعن المبتلى حتى يبرأ أى المبتلى بداء الجنون قال ابن حبان والمراد برفع القلم ترك كتابة الشر عليهم دون الخير قال الزين

العراقي وهو ظاهر في الصبي دون المجنون والنائم لانهما في حيز من ليس قابلا لصحة العبادة منهم لزوال الشعور فالمرفوع عن الصبي قلم المؤاخذة لا قلم الثواب لقوله صلى الله عليه وسلم للمرأة لما سألته ألهذا حج قال نعم واختلف في تصرف الصبي فصححه أبو حنيفة ومالك باذن وليه مراعاة للتمييز وأبطله الشافعي مراعاة للتكليف (والثاني انه رسول الله الى كل من وصله خبر وجوده وخبر معجزاته وشرائعه حتى يمكنه عند ذلك متابعته أنا لو قدرنا) قد يشعر بعدم وجوده والمصرح به في الفروع والاصول خلافه (حصول قوم في طرف من أطراف الارض لم يبلغهم خبره وخبر معجزاته وشرائعه حتى لا يمكنهم عند ذلك متابعته فلا يكونون مكلفين بالاقرار بنبوته) ويكونون من الناجين في الآخرة لعذرهم بعدم بلوغ الدعوة ولكن لا يصلى عليهم لانه انما يصلى على المحقق اسلامه ولا يجوز لعنهم لانهم لعدم تكذيبهم في معنى المسلم كما قال الغزالي انه التحقيق لا مسلم كما عبر به بعض أو على الفطرة كما عبر به آخر واختار السبكي التعبير بناج (وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال والذي نفسي بيده) أقسم تقوية للحكم (لا يسمع بي أحد من هذه الامة) التي وجدت فيهم الى قيام الساعة (ولا يهودي ولا نصراني) عطف خاص على عام لافادة عموم بعثته (ومات ولم يؤمن بالذي أرسلت به الا كان من أصحاب النار) الخالدين فيها (رواه مسلم) وأحمد (ومفهومه أن من لم يسمع بي ولم تبلغه دعوة الاسلام فهو معذور) فيكون ناجيا (على ما تقرر في الاصول انه لا حكم قبل الشرع على الصحيح) لقوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ولان الغافل لا يكلف لقوله تعالى ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم وأهلها غافلون ثم اختلف هل نجاة من لم تبلغه الدعوة ودخوله الجنة غير متوقفة على الامتحان أو متوقفة عليه لورود أحاديث كثيرة بأنهم يمتحنون يوم القيامة يبعث رسول اليهم أن ادخلوا النار فمن دخلها كانت عليه بردا وسلاما ومن لم يدخلها سحب اليها (وفي هذا الحديث نسخ الملل كلها برسالة نبينا صلى الله عليه وسلم) بجعله من لم يؤمن برسالته من أهل النار وانما يكون كذلك بموته كافرا وكفره يستدعي نسخ الشريعة التي هو متمسك بها والله أعلم (وقال تعالى يا أهل الكتاب) اليهود والنصارى (قد جاءكم رسولنا) محمد صلى الله عليه وسلم (يبين لكم) الدين وحذف لظهوره أو ما كتمتم من الكتاب كآية الرجم وصفته صلى الله عليه وسلم وحذف لتقدم ذكره ويجوز أن لا يقدر مفعول على معنى يبذل لكم البيان والجملة في موضع الحال أي جاءكم رسولنا مبينا (على فترة من الرسل) متعلق بجاء أي على حين فتور من الارسال وانقطاع من الوحي فتعلق على فترة بجاءكم تعلق الظرفية كقوله واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان وقيل انه حال من ضمير لكم (أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير) كراهة أن تقولوا ذلك وتعتذروا به فهو في موقع المفعول له (فقد جاءكم بشير ونذير) متعلق بمحذوف أي لا تعتذروا بما جاءنا بأن تقولوا ذلك قاله الكشاف قال التفتازاني أي بمحذوف تفصح عنه الفاء وتفيد بيان سببه كالتي تذكر بعد الاوامر والنواهي بيانا لسبب الطلب لكن كمال حسنها وفصاحتها أن تكون مبنية على التقدير منبئة عن المحذوف بخلاف قولك اعبد ربك فالعبادة حق له

ولكون

ولكون مبنى الفاء الفصيحة على الحذف اللازم بحيث لو ذكر لم يكن بتلك الفصاحة تختلف العبارة في تقدير المحذوف فتارة أمرا أو نهيا كما في هذه الآية وتارة شرطا كقوله فهذا يوم البعث وتارة معطوفا عليه كقوله فانفجرت (والله على كل شيء قدير) فيقدر على الارسال تترا كما فعل بين موسى وعيسى اذ كان بينهما ألف وسبعمائة سنة وألف نبي وعلى الارسال على الفترة كما فعل بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام (خاطب الله تعالى أهل الكتاب من اليهود والنصارى بأنه قد أرسل اليهم رسوله محمدا خاتم النبيين الذي لا نبي بعده ولا رسول) بيان لخاتم النبيين (بل هو المعقب لجميعهم) أي الجائي بعدهم (ولهذا قال تعالى على فترة من الرسل أي من بعد مدة متطاولة ما بين ارساله وعيسى ابن مريم) والفترة لغة من فتر الشيء اذا سكنت حدته سميت المدة التي بين الانبياء فترة لفتور الدواعي في العمل بتلك الشرائع (وقد اختلفوا في مقدار هذه المدة فقال النهدي) بفتح النون واسكان الهاء أبو عثمان عبد الرحمن بن مل بلام ثقيلة والميم مثلثة مشهور بكنيته من كبار التابعين مخضرم ثقة عابد روى له الجميع مات سنة خمس وتسعين وقيل بعدها وعاش مائة وثلاثين سنة وقيل أكثر (وقتادة) بن دعامة الاكمه التابعي المشهور (في رواية عنه ستمائة سنة ورواه البخاري) من حديث أبي عثمان النهدي (عن سلمان الفارسي) قال فترة بين عيسى ومحمد ستمائة سنة قال الحافظ أي المدة التي لم يبعث فيها رسول من الله ولا يمتنع أن ينبأ فيها نبي يدعو الى شريعة الرسول الاخير (وعن قتادة انها خمسمائة وستون سنة) أخرجه عبد الرزاق عن معمر عنه لكن لم يقل وستون سنة كما في الفتح قال وعن الكلبي خمسمائة وأربعون (وقال الضحاك أربعمائة سنة وبضع وثلاثون سنة وعن الشعبي) عامر بن شراحيل (فيما ذكره ابن عساكر) عنه (تسعمائة سنة وثلاث وثلاثون سنة قال الحافظ عماد الدين بن كثير والمشهور أنها ستمائة سنة) خلافا لنقل ابن الجوزي الاتفاق على ذلك فانه تعقب بوجود الخلاف (قال وكانت هي الفترة بين عيسى ابن مريم آخر أنبياء بني اسرائيل وبين محمد آخر النبيين من بني آدم) بيان للواقع (على الاطلاق كما في البخاري) في أحاديث الانبياء وكذا مسلم كلاهما (من حديث أبي هريرة مرفوعا) بلفظ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (أنا أولى الناس بابن مريم) وفي رواية للبخاري بعيسى ابن مريم في الدنيا والآخرة ولفظ مسلم في الاولى والآخرة قال الحافظ أي أخصهم به وأقربهم اليه لانه بشر بأنه يأتي من بعده فالاولوية من جهة قرب العهد كما انه أولى الناس بابراهيم من جهة قوة الاقتداء زاد السيوطي ولانه أبوه ودعا به وأشبه الناس به خلقا وملة انتهى وقول الكرماني التوفيق بين الحديث وبين قوله تعالى ان أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي أن الحديث وارد في كونه صلى الله عليه وسلم متبوعا والآية واردة في كونه تابعا رده الحافظ بان مساق الحديث كمساق الآية فلا دليل على هذه التفرقة والحق انه لا منافاة ليحتاج الى الجمع فهو أولى بكل منهما من جهة وأسقط المصنف من هذه الرواية عند البخاري ومسلم والانبياء أولاد علات (لانه ليس بيني وبينه نبي) لم تقع لفظة لانه في الصحيحين ولذا قال السيوطي ليس الخ بيان لجهة

الأولوية وقال الحافظ قوله ليس بيني وبينه نبي هذا أورده كالشاهد لقوله انه أقرب الناس اليه وتبعه المصنف وفي رواية لهما والانبياء اخوة لعلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد والعلات بفتح المهملة الضرائر وأصله أن من تزوج امرأة ثم أخرى كأنه عل منها بعد ما كان ناهلا من الاخرى والعلل الشرب بعد الشرب وأولاد العلات الاخوة من الاب وأمهاتهم شتى فقوله أمهاتهم الخ من باب التفسير كقوله تعالى ان الانسان خلق هلوعا اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا ومعنى الحديث ان أصل دينهم واحد وهو التوحيد وان اختلفت فروع الشرائع وقيل المراد أن أزمنتهم مختلفة (وهذا فيه رد على من زعم أنه بعث بعد عيسى نبي يقال له خالد بن سنان) العبسي (كما حكاه القاضي) عياض وفي نسخة القضاعي (وغيره) وفي فتح الباري استدل به على انه لم يبعث بعد عيسى أحد الا نبينا صلى الله عليه وسلم وفيه نظر لانه ورد ان الرسل الثلاثة الذين أرسلوا الى أصحاب القرية المذكورة قصتهم في سورة يس كانوا من أتباع عيسى وأن جرجيس وخالد بن سنان كانا نبيين وكانا بعد عيسى والجواب أن هذا الحديث يضعف ما ورد من ذلك فانه صحيح بلا تردد وفي غيره مقال أو المراد أنه لم يبعث بعد عيسى نبي بشريعة مستقلة وانما بعث بعده بتقرير شريعة عيسى (والمقصود أن الله بعث محمدا على فترة من الرسل وطموس) مصدر طمس محي ودرس (من السبيل) أي ذهاب الشرائع وعدم العلم بشيء منها (وتغير الاديان) بتحريف ما يدل عليها وتبديله (وكثرة عبادة الاوثان والنيران والصلبان) جمع صليب للنصارى (فكانت النعمة به أتم والنفع به أعم وفي حديث عند الامام أحمد مرفوعا ان الله نظر الى أهل الارض) نظر غضب (فمقتهم) أبغضهم أشد البغض لقبح ما ارتكبوه والمراد من هذا ونحوه غايته (عجمهم) بفتحتين وفي لغة بضم فسكون خلاف العرب (وعربهم الا بقايا من بني اسرائيل) فلم يمقتهم لتمسكهم بالحق (وفي لفظ مسلم من أهل الكتاب) بدل قوله من بني اسرائيل ومعناهما واحد (فكان الدين قد التبس على أهل الارض كلهم حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فهدى به الخلائق وأخرجهم الله به من الظلمات) الكفر (الى النور) الايمان (وتركهم على المحجة) بفتح الميم (البيضاء) أي الطريقة الواضحة بيانه لهم الحق من الباطل (والشريعة الغراء صلوات الله وسلامه عليه) قال الامام الرازي كان العالم مملوءا من الكفر والضلال أما اليهود فكانوا في المذاهب الباطلة من التشبيه والافتراء على الانبياء وتحريف التوراة وأما النصارى فقالوا بالتثليث والابن والاب والحلول والاتحاد وأما المجوس فأثبتوا الهين وأما العرب فانهمكوا في عبادة الاصنام والفساد في الارض فلما بعث صلى الله عليه وسلم انقلبت الدنيا من الباطل الى الحق ومن الظلمة الى النور وانطلقت الالسنة بتوحيد الله فاستنارت العقول بمعرفة الله ورجع الخلق من حب الدنيا الى حب المولى انتهى (وقال تعالى لقد جاءكم رسول من أنفسكم) بضم الفاء في قراءة الجمهور أي منكم وقرئ شاذا بفتح الفاء أي من خياركم وأشرفكم وأخرج ابن مردويه عن أنس قال قرأ النبي صلى الله عليه وسلم لقد جاءكم رسول من أنفسكم بفتح الفاء وقال انا أنفسكم نسبا وصهرا وحسبا ليس في آبائي

من لدن آدم سفاح كلنا نكاح (عزيز) شديد (عليه ما عنتم أي يشق عليكم) أن تهتدوا (بالمؤمنين رؤف) شديد الرحمة (رحيم) يريد لهم الخير وفي الرأفة مع الرحمة حيث وقعت مقدمة لا فاصلة كما قال البيضاوي ومن ثمه لو قوعه كذلك في غيره أيه والمشل قال تعالى وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة بل لان أصل معنى الرأفة التلطف والشفقة كما صرح به القرطبي في شرح الاسماء فقال قال الله تعالى وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه الآية حيث ذكر الوصفان قدم الرؤف على الرحيم في الذكر وسببه أن الرحمة في الشاهد انما تحصل بعشق المرحوم من فاقته وضعفه وحاجته والرأفة تطلق عندنا على ما يحصل الرحمة من شفقة على المرحوم وقال المشايخ الرؤف المتعطف والذي جاد بلطفه ومن بعطفه انتهى (أي عزيز عليه عنتكم أي اثمكم بالشرك والمعاصي) بيان المراد بالعنت والا فهو لغة المشقة والخطأ (قال الحسن) البصري (عزيز عليه أن تدخلوا النار) من عز اذا صعب وشق قال الشاعر يعز علينا أن نفارق من نهوى (حريص عليكم أن تدخلوا الجنة) والحرص فرط الشدة أو الشح على الشئ أن يضيع والمراد هنا شدة الطلب لما يريده ويحبه (ومن حرصه صلى الله عليه وسلم علينا) على الرفق بنا (انه لم يخاطبنا بما يريد ابلاغه الينا و) يريد (فهمنا اياه على قدر منزلته) بأن يأتي بالالفاظ المتناهية في البلاغة والغرابة خشية عدم فهمنا المراد منها (بل على قدر منزلتنا) بالالفاظ المتداولة بين الناس وان نزلت في الرتبة عن غيرها ليسهل فهمه لنا علينا ويتضح المراد منها (والى هذا أشار صاحب البردة بقوله لم يمتحنا) لم يبتلنا (بما) أي بخطاب (تعيا العقول) أي تقصر عن فهمه لغموضه فلا تهتدي الى المراد (به حرصا علينا) أن لا نضل (فلم نرتب ولم نهم أي لم نتحير) تفسير لنرتب (ولم نشك فيما ألقاه الينا) بل تحققناه لسهولته (وقال تعالى وما أرسلناك الا رحمة) أي للرحمة (للعالمين) الانس والجن وغيرهم (ولا رحمة مع التكليف بما لا يفهم) بل هو عقاب (ومن حرصه عليه السلام على هدايتنا انه كان كثيرا ما يضرب المثل بالمحسوس ليحصل الفهم) كقوله لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير من أن يكون لك حمر النعم (وهذه سنة القرآن) عادته المستمرة ان الله لا يستحيي أن يضرب مثلا ما (ومن تتبع الكتاب والسنة رأى من ذلك العجب العجاب) البالغ فيما يتعجب منه لاشتماله على الاشياء البالغة في زيادة البيان والايضاح والرفق بالمؤمنين (ولما ساوى سبحانه وتعالى بين الناس) مؤمنهم وكافرهم (في حرص رسوله عليه السلام على اسلامهم خص المؤمنين برأفته ورحمته لهم) المستفاد من التقديم كأنه قيل بالمؤمنين لا بغيرهم (وقال من أنفسكم ولم يقل من أزواجكم فقيل يحتمل أن يكون مراده) على مغايرة النفس للروح (انه منا بجسده المنفس) بالتشديد للمبالغة أي المكرم ولرعاية (لا بروحه المقدس) المطهر وان كان أصل المنفس بالتخفيف (ورحم الله القائل اذا رمت) قصدت (مدح المصطفى شغفا) ولوعا (به) ومحبة له (تبلد) من البلادة عدم الذكاء والفطنة أي انكسرت حدة (ذهني) وبرد عن الاوصاف اللائقة بمقامه وفي نسخة تبدد أي تفرق (هيبة لمقامه) لاني أرى الاوصاف قاصرة عنه فيعلو في الخجل عند ارادة مدحه (فأقطع ليلي ساهرا

الفطن) أى جنسه (مطرحاه) بكسر الراء وفتحها (هوى) بالقصر أى ميلا (فيه أحلى من لذيذ منامه) اذا السهر فى هوى المحبوب ألذ (اذا قال فيه الله جل جلاله رؤف رحيم) وهما من أسمائه (فى سياق كلامه) ومعنى اذا الظرفية المجردة لا الشرط لان القول تحقق من الله فلا يليق جعله مستقبلا ويجوز أن اذا منون أى لاجل هذا (فمن ذا يجارى) يأتى بما يشابه (الوحى) بثنائه على المصطفى نثرا أو نظما (والوحى معجزه بمنطقه) بالفاء متعلق بيجارى (نثره ونظامه) أى نظمه والمعنى ان الوحى معجز للكلام نثرا كان أو نظما فلا يمكن مشابهته لاحد (تنبيه) ايقاظ وتبيين (وأما قول القاضى عياض بعد ذكره الآية) لقد جاءكم فى الشفاء بما لفظه أعلم الله تعالى المؤمنين أو العرب أو أهل مكة أو جميع الناس على اختلاف المفسرين من المواجه بهذا الخطاب انه بعث فيهم رسولا من أنفسهم يعرفونه ويتحققون مكانته ويعلمون صدقه وأمانته ولا يتهمونه بالكذب وترك النصيحة لهم لكونه منهم وانه لم يكن فى العرب قبيلة الا ولها على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولادة أو قرابة وكونه من أنفسهم وأرفعهم وأفضلهم على قراءة الفتح (ثم وصفه بعد) أى بعد الاعلام المذكور (بأوصاف حميدة) أى محمودة عند الله والناس أو حاملة على التحرز فى النسبة (وأثنى عليه بمحامد) جمع محمدة (كثيرة) والثناء بها الايفاء بالوصف بصفات حميدة ولا يعاب مثله فى مقام الخطابة مع انه لما كانت أوصاف جمع قلة عقبه بجمع الكثرة دفعا للايهام والاول مطابق لظاهر الآية والثانى لما تضمنته مما لا يحصى (من حرصه) بيان لما قبله من الاوصاف وما بعده أى من فرط شدته (على هدايتهم) أى دلالتهم والمراد طلب تأثيرها لا مجردها (ورشدهم) أى صلاحهم ظاهرا وباطنا ليغاير الهداية كما يقتضيه ظاهر العطف فلا يفسر بضد الغى لانه الهداية (واسلامهم) مغاير لما قبله فلذا عطف بالواو وجعل ذلك كله متعلق الحرص لدلالة السياق عليه ولقوله ان تحرص على هداهم فالقرآن يفسر بعضه بعضا والحرص لا يتعلق بالذوات فان قيل لم قدم عياض هذه الصفة وهى حريص عليكم مع تأخرها فى الآية أجيب بأنها لما كانت العزة منشأ لحرصه قدمت فى الآية على وفق الواقع لبيان حاله فى ابتداء أمره فلما حكاه عياض بيانا لمحامده قدم المقصود بالذات الذى هو الحمد أولا لان المقام مقام مدح وهو فى الحرص أتم وأكمل وسياق الآية للامتنان وهو كونه يعز عليه حالهم فأشار الى تفاوت المقامين ولا يرد أن المنة فى الحرص أتم لان مسلك الآية على الترقى وما هنا بخلافه للتفنن (وشدة ما يعنتهم) روى بسكون العين وخفة النون من الاعنات قال الله تعالى ولو شاء الله لأعنتكم وروى بفتح العين وتثقيل النون وهما لغتان أعنت وعنت بمعنى المشقة والوقوع فيما يجئ بمعنى الاثم والفساد والهلاك (ويضربهم) بفتح الياء وضم الضاد وروى بضم الياء وكسر الضاد مضارع أضر* لانه يقال ضره وأضر به ومعناهما أوقعه فى الضرر (فى دنياهم وأخراهم) الدنيا تقال فى مقابل آخرة وأخرى كما عبر به (وعزته عليه) عطف تفسير على شدة كقوله انما أشكو بثى وحزنى وكان المناسب لعطف التفسير تأخير الاشهر الاظهر فيقول عزته وشدته لكنه عكس للمبادرة للمراد حتى يسلم السامع من عنت

* قوله لانه يقال الخ هكذا فى النسخ ومقتضاه تعين الضبط الثانى فى المصنف فيكون من أضر لانه الذى يتعدى بالباء دون ضر لكن فى القاموس أن ضر يتعدى بنفسه وبالباء وعليه فالضبطان هنا ظاهران تأمل اه مصححه

الانتظار

الاستظهار ولا حاجة لجعل الشدة غير العزة المتنازع على عليه قال التلمسانى لا ينافى التنازع
وبقية كلام عياض ورأفته ورحمته بمؤمنيهم (فهو وإن كان المتصل منه صحيحا فى ظاهره
خفى لانه يوهم أن قوله وشدة ما يعنتهم معطوف على متعلق المصدر الذى هو الحرص) بيان
للمصدر ومتعلقه قوله على هدايتهم (فيكون مفروضا به) فيصير المعنى حريصا على شدة
ما يعنتهم وهذا فاسد (ومما يقوى هذا التوهم قرينة اعطاء الكلام أن الضمير الاول من عزه
وعزته عليه عائد على النبى صلى الله عليه وسلم والضمير الثانى عائد على الله تعالى فلا تبقى
الشدة الا أن تكون معطوفة على متعلق المصدر) أى قوله على هدايتهم (ولا يخفى ما فى هذا)
من الفساد للوهم خلاف المراد (وقد تأوله بعض العلماء على حذف مضاف) مجرور
معطوف على الحرص المجرور بعن (أى وكراهة شدة ما يعنتهم ونحو ذلك) من المضافات
المصححة للمراد قال فى النسيم لا حاجة الى التقدير لان معنى شدته عليه انه صعب شاق عليه
غير راض به انه مكروه تأباه نفسه فالمعنى من حرصه على هدايتهم ومن كراهته لما يضرهم
وصاحب المواهب لم يعطف عليه العطف ولكن أوضحه التقدير فيما وقع فيه انتهى وكأنه لم ير
بقية الكلام وهو قوله (والاولى) من تأويله على حذف مضاف (أو الصواب) على ابقائه
على ظاهره (ان شاء الله تعالى ان تكون الشدة معطوفة على نفس المصدر الذى هو
الحرص) وكان هذا أولى من تقدير المضاف لما فيه من الاحتياج لتقدير الاصل عدمه
(ويكون قوله وعزته معطوفا على وشدته والضمير فيه راجع الى الموصول وهو ما فى قوله
ما يعنتهم) أى الذى (والهاء الثانية فى عليه عائدة على النبى صلى الله عليه وسلم
انتهى) والمعنى ومضمونه أثنى عليه بما له من شدة الذى يعنتهم وعزة الذى يعنتهم
على المحقق (وقال تعالى وما أرسلناك الا رحمة للعالمين يجوز أن يكون) قوله
(رحمة مفعولا له) أى لاجل الرحمة والعالمين متعلق به أى الا لترحم بك العالمين
بهدايتك اياهم لسعادة الدارين وفى الصحيح قيل يا رسول الله ادع على المشركين فقال
انى لم أبعث لعانا انما بعثت رحمة (ويجوز أن ينتصب على الحال) من الكاف (مبالغة
فى أن جعله نفس الرحمة واما على حذف مضاف أى ذا رحمة) وليس للعالمين متعلقا
بأرسلنا لان ما قبل الا لا يعمل فيما بعدها الا فى الاستثناء المفرغ نحو ما مررت الا بزيد
والمعنى الا لارحم العالمين بالبناء للفاعل لا للمفعول كما زعم (أو بمعنى راحم) اسم فاعل
(قاله السمين) الشيخ شهاب الدين أحمد بن يوسف بن عبد الدائم الحلبى النحوى نزيل
القاهرة مات سنة ست وخمسين وسبعمائة له اعراب القرآن وأيضا تفسير كبير فى عدة
اجزاء (قال أبو بكر بن طاهر) بن مفوز بن أحمد بن مفوز المعافرى الشاطبى كما جزم به
البرهان الحلبى فى المقتفى والشمنى وغيرهما (فيما حكاه القاضى عياض) فى الشفاء (زين
الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم بزينة الرحمة) استعارة مكنية تخييلها كالحلة والخلعة
البهية والزينة ما يتزين به لباسا وغيره واضافته للرحمة بيانية أو من اضافة الاعم للاخص
كلجين الماء وقيل الزينة هنا اللباس أى ألبسه الله رحمة رحمانية شاملة له وفيه اشارة الى
انها منة من الله بما عليه غير الطبيعة البشرية (فكان كونه) أى وجوده فهى تامة لا خبر

قوله والمعنى الخ انظر ما موقع هذه العبارة هنا وتأمل اهـ مصححه

(١) قوله كلجين الماء الخ لا يظهر كونه مثالا لما قبله فلعل فى العبارة سقطا والاصل أو (٢) من اضافة المشبه به للمشبه كلجين الماء الخ فتدبر اهـ مصححه

لن الغلظة من ربه قبيح (رحمة) خبر فكان والفاء فيه للتفسير والتفصيل (وجميع شمائله) جمع شمال بالكسر قال الازهرى الشمال خلقة الرجل أى خلقه وجمعه شمائل ورجل كريم الشمائل أى فى اخلاقه ومخالطته انتهى فعطف (وصفاته رحمة) عام على خاص اذ لم يختص الصفات بالظاهرة والشمائل بخلافها وقال شراح الشفاء صفاته تشمل غضبه وظاهر صرآه لانه لا يغضب لنفسه وانما يغضب لله وغضبه للاصلاح وهو رحمة فى ذاته وأما مرآه الحسن فانه لحسنه والتصديق به ألا ترى أن عبد الله بن سلام لما رآه آمن به وقال لما رأيت وجهه عرفت انه ليس بوجه كذابه (فمن أصابه شئ من رحمته) أى اهتدى بهدايته لان من لم يهتد كمن لم تصبه الرحمة كما أن من شرب الماء ولم يرو كأنه لم يشرب (فهو الناجى) أى السالم (فى الدارين) الدنيا والآخرة (من كل مكروه) يصيب من لم يهتد فى الدنيا كقتل وسبى وأخذ جزية وفى الآخرة العذاب المخلد وأما أسقام الدنيا وآلامها التى تصيب المؤمن فلا تعد مكروهة بعد العلم بما فيها من تكفير السيئات ونيل الحسنات (والواصل فيهما الى كل محبوب) أما فى الآخرة فغنى عن البيان وأما فى الدنيا فان كان ذا غنى ونعمة فظاهر والا فالمؤمن العاقل اذا صبر وقام بوظائف العبودية فى دنيا سريعة الزوال كان ما أصابه من المكروه لايصاله الى الامر الاخروية محبوبا عنده (انتهى) كلام ابن طاهر (وقال ابن عباس رحمة للبر) أى المؤمن (والفاجر) أى الكافر (لان كل نبى) ممن سبق (اذا كذب) بشد الدال مبنى للمجهول (أهلك الله من كذبه ومحمد صلى الله عليه وسلم أخر من كذبه الى الموت أو الى القيامة) فتأخير عذاب الدنيا عنهم بنحو الاستئصال والخسف والمسخ والعذاب النازل من السماء رحمة فلا يرد عليه من قتل من الكفار فى غزوات المصطفى (وأما من صدقه) أى آمن به (فله الرحمة فى الدنيا والآخرة) وان عذب العاصى فمآله الى الجنة مع خفة عذابه عن الكفار بمراحل بل لامشابهة وعن ابن عباس أيضا عند الطبرى وغيره هو رحمة للمؤمنين والكافرين اذ عوفوا مما أصاب غيرهم من الامم الكاذبة (وقال) أبو الليث (السمرقندى) نصر بن محمد ابن أحمد بن ابراهيم الفقيه الحنفى الامام المشهور له التصانيف كالتفسير والنوازل وخزانة الفتاوى وتنبيه الغافلين والبستان توفى سنة ثلاث وسبعين وثلثمائة منسوب الى سمرقند مدينة بفارس بما وراء النهر قال التلمسانى المصحح فى النسخ بفتح السين والراء وسكون الميم والمعروف فتح الميم وسكون الراء وتبع قول الجد اسكان الميم وفتح الراء لحن وفيه نظر وهو معرب شمركند وشمر اسم رجل وكند بمعنى قرية (رحمة للعالمين يعنى الجن والانس) تفسير للآية بجنس العقلاء من الثقلين بقرينة جمع المذكر السالم وان كان جمع عالم وهو كل ما يعلم به الصانع من العقلاء وغيرهم فالمفرد أعم من جمعه فخص ثم جمع بجعله صفة أو ملحقا بها لانه فاعل بالفتح اسم آلة كالخاتم والقالب وقيل غلب العقلاء أو جعل اسما لذى العلم من الثقلين أو هما والملك أو الانس (وقيل لجميع الخلق) مقابل لما اختاره قال الشريف الجرجانى يطلق على كل جنس لافراده وللقدر المشترك بين الاجناس فيصح اطلاقه على كل جنس وعلى مجموعها واذا عرف بلام الاستغراق شمل كل فرد من جنس

كالاقاويل فمن فسره بجميع الخلق فعلى الاصل ومن فسره بالانس والجن فعلى بعض الوجوه أو خصه لانه صلى الله عليه وسلم مبعوث اليهما ومن فسره بالمؤمن والكافر أراد أنه يشملهما لا أن معناه ذلك انتهى وأخذ فى بيان ما به تكون الرحمة على مختاره فقال (للمؤمنين) بدل من للعالمين أو متعلق بمقدر أى أرسله وعلى الاول وهو الظاهر هو بيان لمختاره وعلى الثانى يصلح لهما وفى نسخة للمؤمن بالافراد (رحمة بالهداية) الزائدة على هداية الايمان أو لمن قدر ايمانه (ورحمة للمنافقين) وفى نسخة للمنافق بالافراد على ارادة الجنس (بالامان من القتل) مطلقا بخلاف الكافر فانما يأمن بجزية أو أمان (ورحمة للكافرين) وفى نسخة بالافراد (بتأخير العذاب) لما بعد الموت وأما عذاب الدنيا بالقحط وغيره فلا يختص بطائفة أو المراد الاستئصال والمسخ والخسف والزنديق سواء أدخل فى المنافق أو الكافر عذابه مؤخر أيضا فالظاهر اشتراكهما فيه وتمييز المنافق باجراء أحكام الاسلام عليه ظاهرا أو يقال أراد فى كل قسم ذكر رحمة مخصوصة من غير تخصيص (فذاته عليه السلام رحمة تعم المؤمن والكافر) كما قال تعالى وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم) لان العذاب اذا نزل عم ولم تعذب أمة الا بعد خروج نبيها والمؤمنين منها (وقال عليه الصلاة والسلام انما أنا رحمة مهداة) بضم الميم معطاة من الله بلا عوض (رواه الديلمى والبيهقى فى الشعب) للايمان (من حديث أبى هريرة) ورواه الحاكم وصححه على شرطهما وأقره الذهبى ومر شرحه فى الاسماء الشريفة (وقال بعض العارفين الانبياء كلهم خلقوا من الرحمة ونبينا صلى الله عليه وسلم عين الرحمة) أعلاها وأجلها (ولقد أحسن القائل

غنيمة عمر الكون بهجة عيشه * سرور حياة الروح فائدة الدهر

هو النعمة العظمى هو الرحمة التى * تجلى بها الرحمن فى السر والجهر)

ومعنى البيتين ظاهر (فبيانه) أى ظهوره أو تبيينه (عليه السلام وتحيه رحمة) أى كل واحد منهما (ودعاؤه واستغفاره) كل منهما (رحمة) سواء فى حياته وبعد مماته كما قال صلى الله عليه وسلم حياتى خير لكم ومماتى خير لكم أما حياتى فأبين لكم السنن وأشرع لكم الشرائع وأما موتى فان أعمالكم تعرض على فما رأيت منها حسنا حمدت الله وما رأيت منها سيئا استغفرت الله لكم رواه البزار وغيره بسند جيد (فرزق ذلك من قبله) بأن آمن به وان عاصيا (وحرمه من رده) فلم يؤمن به نسأل الله الثبات على الايمان (فان قلت كيف كان رحمة وقد جاء بالسيف) قال تعالى جاهد الكفار وأى بالسيف (واستباحة الاموال) بالغنائم التى لم تحل لاحد قبله ومنها استرقاق الذرارى والنساء (فالجواب من وجهين أحدهما أنه انما جاء بالسيف لمن استكبر وعاند ولم يتفكر ولم يتدبر) فعذابه انما جاء من نفسه كعين جرت فانتفع بها قوم وكسل آخرون فهى رحمة لهما وهو صلى الله عليه وسلم لم يرد ضرر الاحد وقد اجتهد فى نفع كل أحد وايصال تلك الرحمة اليه ولكن من يضلل الله فماله من هاد (ومن أوصاف الله تعالى الرحمن الرحيم ثم هو منتقم من العصاة) ولا تنافى بين الوصفين فكذا لا تنافى بين بعثه بالسيف وكونه رحمة

(وقال تعالى ونزلنا من السماء ماء) مطرا (مباركا) كثير البركة والمنافع (ثم قد يكون سببا للفساد) باهلاك الزرع وغيره والقصد أنه لا مانع من وصف الشئ بالشئ وضده لاختلاف من يقع عليه الامران (وثانيهما أن كل نبي من الانبياء قبل نبينا اذا كذبه قومه أهلك الله المكذبين بالخسف) كقارون (والمسخ) قردة كأصحاب ايلة بدعاء داود وخنازير كأصحاب المائدة بدعاء عيسى قال تعالى لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم الآية (والغرق) كقوم نوح وفرعون وقومه وبالريح العاصف فيها حصباء كقوم لوط وبالصيحة كثمود قال تعالى فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الارض ومنهم من أغرقنا (وقد أخر الله عذاب من كذب نبينا الى الموت أو الى يوم القيامة) فتأخيره رحمة لانه لم يجمع عليهم عذابين كالامم السابقة (لا يقال انه تعالى قال قاتلوهم يعذبهم الله) يقتلهم (بأيديكم ويخزهم) أي يذلهم بالاسر والقهر (وقال تعالى ليعذب الله المنافقين) والمنافقات والمشركين والمشركات (لانا نقول تخصيص العام) وهو العالمين من رحمة للعالمين ببعض أفراده وهو المنافق والمشرك (لا يقدح فيه) لانه يكفي في عمومه صدقه على غير ما خص به (وفي الشفاء للقاضي عياض وحكي) بالبناء للمجهول كما قال البرهان (أنه صلى الله عليه وسلم قال لجبريل هل أصابك من هذه الرحمة شئ) فيه اشارة الى انه مرحوم مقرب وانما السؤال عن رحمة نالته من رحمة المصطفى كما أفاده اسم الاشارة (قال نعم كنت أخشى العاقبة) أى سوءها أو المراد بالعاقبة السيئة بجعل التعريف للعهد بقرينة الخشية فانها بمعنى الخوف وانما يكون في المكروه والعاقبة ما يعقب الشئ ويحصل منه خيرا كان أو شرا (فأمنت) بفتح الهمزة المقصورة وكسر الميم الخفيفة مبني للفاعل من الامن ضد الخوف وضبطه بضم الهمزة مبني للمفعول خلاف المشهور ثم ان كان بشد الميم فظاهر وان كان بتخفيفها فركيك جدا لانه ان كان من ضد الخيانة فلا يناسب المقام أو من الامن فكذلك لان مفعوله الثاني من المعاني لا الذوات فيحتاج لتقدير وحذف أي أمنت سوء عاقبتي ولا داعي له (لثناء الله تعالى علي بقوله) انه لقول رسول كريم (ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم أمين) عند الله في علمه أو في حكمه وقضائه لان ثناءه يقتضي رضاه وقبوله وهو لا يرضى ويقبل الا من كان مرحوما مقربا فلما علم ذلك من القرآن الذي هو رحمة نازلة بالمصطفى اطمأن خاطره وأمن سوء الخاتمة (انتهى) نقل عياض قال السيوطي ولم أجده مخرجا في شئ من كتب الحديث (وذكره السمرقندي في تفسيره بلفظ وذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لجبريل يقول الله تعالى وما أرسلناك الا رحمة للعالمين فهل أصابك من هذه الرحمة شئ قال نعم كنت أخشى عاقبة الامر) أى خاتمته (فامنت بك لثناء الله تعالى علي في قوله ذي قوة عند ذي العرش مكين) ولا يعارض هذا ما روى ان جبريل أتى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يبكي فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يبكيك قال ومالي لا أبكي فوالله ما جفت لي عين منذ خلق الله النار مخافة أن أعصيه فيقذفني فيها أخرجه أحمد في الزهد عن أبي عمران الجوني بلاغا وأخرج أبو الشيخ عن

عبد العزيز بن أبى داود قال نظر الله الى جبريل وميكائيل وهما يبكيان فقال الله ما يبكيكما وقد علمتما انى لا أجور قالا يارب انا لا نأمن مكرك قال هكذا فافعلا فانه لا يأمن مكرى الا كل خاسر لانه كلما زاد القرب زاد الخوف فالمقرب لا يزال خائفا من بابه أو لانه من عظمة الله تعالى قد يذهل عن الامان (وهذا يقتضى أن محمدا صلى الله عليه وسلم أفضل من جبريل وهو الذى عليه الجمهور) بل حكى الرازى عليه الاجماع وكذا ابن السبكى والبلقينى والزركشى وقال انهم استثنوه من الخلاف فى التفضيل بين النبى والملك (خلافا لمن زعم) وهو الزمخشرى فى الكشاف (أن جبريل أفضل) وقد قال بعض علماء المغاربة جهل الزمخشرى مذهبه فان المعتزلة مجمعون على أنه أفضل من جبريل ثم قيل ان طائفة منهم خرقوا الاجماع كالرمانى فتبعهم الكشاف جهلا (واستدل بأن الله وصف جبريل بسبعة أوصاف من أوصاف الكمال فى قوله انه لقول رسول كريم) أى جامع لانواع الخير ففيه شهادة له بعلو الرتبة وليس المراد كريم عند مرسله كما قيل به فى ألقى الى كتاب كريم وان أجيز هنا للاستغناء عنه بعند ذى العرش (ذى قوة) على تبليغ ما حمله من الوحى وعلى اقتلاع المدائن والجبال واهلاك صيحته كل من سمعها وهبوطه الى الارض وصعوده فى طرفة عين الى غير ذلك (عند ذى العرش) صفة مستقلة عنده لانه عدها سبعا لا متعلقة بما قبله ولا بما بعده والا فهى ستة وقد عدها الرازى ستة فعلقها بما قبلها (مكين) أى متمكن المنزلة عند ربه رفيع المحل عنده (مطاع ثم) أى فى السماء (أمين) على الوحى (ووصف محمدا صلى الله عليه وسلم بقوله وما صاحبكم بمجنون) كما تبهته الكفرة (ولو كان محمد صلى الله عليه وسلم مساويا لجبريل فى صفات الفضل أو مقاربا له لكان وصف محمد امثل ذلك) قال البيضاوى وهو استدلال ضعيف اذ المقصود منه نفى قولهم انما يعلمه بشر أفترى على الله كذبا أم به جنة لا تعداد فضلهما والموازنة بينهما (وأجيب بأنا متفقون على أن لمحمد صلى الله عليه وسلم فضائل أخرى) القرآن طافح بها ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ان تطيعوه تهتدوا قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة الى غير ذلك (سوى ما ذكر فى هذه الآية وعدم ذكر الله تعالى لتلك الفضائل هنا لا يدل على عدمها بالاجماع) لانه لم يقصد المفاضلة بينهما (واذا ثبت أن لمحمد صلى الله عليه وسلم فضائل أخرى زائدة) على هذه السبع التى تشبث بها جاهل المعتزلة (فيكون أفضل من جبريل) وهو اجماع حتى من المعتزلة أيضا كما مر (وبالجملة فافراد أحد الشخصين بالوصف لا يدل البتة) بقطع الهمزة (على انتفاء تلك الاوصاف عن الثانى) بل هو موصوف بها ضرورة انه لا يصح نفيها عنه (واذا ثبت بالدليل القرآنى انه صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين والملائكة من جملة العالمين وجب أن يكون أفضل منهم) حتى جبريل (والله أعلم) ولهذا ونحوه حذر جماعة من أكابر العلماء كالسبكى من قراءة الكشاف (وقال تعالى ما كان محمد أبا أحد من رجالكم) قال ابن عطية أذهب الله بهذه الآية ما وقع فى نفوس منافقين وغيرهم من تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم زوجة دعيه زيد بن حارثة لانهم كانوا استعظموا أن

بالاجماع

قوله بقطع الهمزة فيه أن همز أل همز وصل ولا يقطع الا فى يا ألله الا أن يثبت سماعه تأمل اه مصححه

يتزوج زوجة ابنه فنفى القرآن تلك البنوة وأعلم أنه عليه السلام ما كان أبا أحد من المعاصرين له حقيقة ولم يقصد بهذه الآية انه لم يكن له ولد فيحتاج الى الاحتجاج فى أمر بنيه بأنهم كانوا ماتوا ولا فى الحسن والحسين الى انهما ابنا بنته ومن احتج بذلك تأول معنى البنوة على غير ما قصد بها (ولكن رسول الله) وقرئ بالرفع أى هو وقرأ عاصم وأبو عمرو ونافع بالنصب عطفا على أبا ولكن بالتخفيف وقرأت فرقة لكن بالتشديد ورسول اسمها والخبر محذوف (وخاتم النبيين) بكسر التاء قراءة الجمهور بمعنى انه ختمهم أى جاء آخرهم وقرأ عاصم بفتح التاء أى انهم ختموا به فهو كالخاتم والطابع لهم (وهذه الآية نص فى انه لا نبى بعده واذا كان لا نبى بعده فلا رسول بطريق الاولى لان مقام الرسالة أخص من مقام النبوة فان كل رسول نبى ولا ينعكس) فليس كل نبى رسولا (كما قدمنا ذلك فى أسمائه الشريفة من المقصد الثانى وبذلك وردت الاحاديث عنه صلى الله عليه وسلم فروى الامام أحمد) بن حنبل (من حديث أبى بن كعب) الانصارى الخزرجى سيد القراء من فضلاء الصحابة (ان النبى صلى الله عليه وسلم قال مثلى) مبتدأ (فى النبيين) متعلق به وفى حديث جابر ومثل الانبياء بالعطف والخبر (كمثل رجل بنى دارا فأحسنها وأكملها وترك فيها موضع لبنة) بفتح اللام وكسر الموحدة ونون ويجوز كسر اللام وسكون الموحدة قطعة طين تعجن وتعد للبناء من غير احراق فان أحرقت فهى آجرة (لم يضعها فجعل الناس يطوفون بالبنيان ويتعجبون) بفوقية بعد التحتية (منه) أى من حسنه وكماله (ويقولون) ووددنا (لو تم موضع هذه اللبنة) فلو للتمنى فلا جواب لها أو جوابها محذوف لعله من المذكور أى لتم حسنها وكمالها (فأنا فى النبيين موضع تلك اللبنة) وفى رواية أحمد عن أبى هريرة الا وضعت ههنا لبنة فيتم بنيانك (ورواه الترمذى عن بندار) بضم الموحدة واسكان النون ودال مهملة فالف فراء بلا نقط لقب محمد بن بشار بن عثمان العبدى البصرى أبى بكر ثقة روى عنه الائمة الستة وابن خزيمة وغيرهم مات سنة اثنتين وخمسين ومائتين وله خمس وثمانون سنة (عن أبى عامر) عبد الملك بن عمرو القيسى (العقدى) بفتح المهملة والقاف ثقة مات سنة أربع أو خمس ومائتين روى له الجميع (وقال) الترمذى (حديث حسن صحيح) عن أبى بن كعب (وفى حديث أنس بن مالك مرفوعا ان الرسالة والنبوة قد انقطعت فلا رسول بعدى ولا نبى) قيل ومن لا نبى بعده يكون أشفق على أمته كوالد ليس له غير ولد (رواه الترمذى وغيره) كالامام أحمد والحاكم باسناد صحيح (وفى حديث جابر مرفوعا) قال قال النبى صلى الله عليه وسلم (مثلى) مبتدأ (ومثل الانبياء) عطف عليه (كمثل رجل) خبر (بنى دارا فأكملها وأحسنها) وفى رواية همام عن أبى هريرة عند مسلم كمثل رجل ابتنى بيوتا فأحسنها وأجملها وأكملها (الا موضع لبنة) من زاوية من زواياها (فكان من دخلها فنظر قال ما أحسنها الا موضع هذه اللبنة) وفى رواية الشيخين فجعل الناس يدخلونها ويتعجبون منها ويقولون لولا موضع هذه اللبنة وفى حديث أبى هريرة ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة وفى رواية همام ألا وضعت ههنا لبنة فيتم بنيانك قال صلى الله عليه وسلم (فأنا موضع اللبنة ختم بى

الانبياء

الانبياء) ولمسلم جئت فختمت الانبياء (عليهم السلام) وفى حديث أبى هريرة قال فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين (رواه أبو داود) سليمان بن داود بن الجارود (الطيالسى) بفتح الطاء والصتانية نسبة الى الطيالسة المعروفة البصرى الثقة الحافظ المصنف مات سنة أربع وقيل ثلاث ومائتين روى له مسلم والاربعة (وكذا البخارى ومسلم بنحوه) عن جابر وأخرجاه أيضا من حديث أبى هريرة وسياقه أتم وقدمه المصنف فى الخصائص (وفى حديث أبى سعيد الخدرى فجئت أنا فأتممت تلك اللبنة رواه مسلم) فيه شئ لان مسلما لم يسق لفظه بل أحال به على حديث أبى هريرة الذى رواه من ثلاثة طرق فقال حدثنا ابن أبى شيبة وأبو كريب قالا حدثنا أبو معاوية عن الاعمش عن أبى صالح عن أبى سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلى ومثل النبيين فذكر نحوه هذا لفظ مسلم وقد علمت ثبوتها فى حديث أبى هريرة وأورد أن المشبه به واحد والمشبه جماعة فكيف صح التشبيه وأجيب بأنه جعل الانبياء كرجل واحد لانه لا يتم ما أراد من التشبيه الا باعتبار الكل وكذا الدار لا تتم الا باجتماع البنيان وبأنه من باب التشبيه التمثيلى وهو أن يوجد وصف من أوصاف المشبه ويشبه بمثله من أحوال المشبه به فكأنه شبه الانبياء وما بعثوا به من ارشاد الناس ببيت أسست قواعده ورفع بنيانه وبقى منه موضع يتم به صلاح ذلك البيت وزعم ابن العربى أن اللبنة المشار اليها كانت فى أس الدار المذكورة وأنها لولا وضعها لانقضت تلك الدار قال وبهذا يتم المراد من التشبيه المذكور قال الحافظ وهذا ان كان منقولا فحسن والا فليس بلازم نعم ظاهر السياق أن اللبنة فى مكان يظهر عدم الكمال فى الدار بفقدها وفى رواية مسلم الا موضع لبنة من زاوية من زواياها فظهر أن المراد أنها مكملة محسنة والا لاستلزم أن يكون الامر بدونها ناقصا وليس كذلك فان شريعة كل نبى بالنسبة اليه كاملة فالمراد هنا النظر الى الاكمل بالنسبة الى الشريعة المحمدية مع ما مضى من الشرائع الكاملة وفى الحديث ضرب الامثال للتقريب للافهام (وفى حديث أبى هريرة عند مسلم) عن النبى صلى الله عليه وسلم فضلت على الانبياء بست أعطيت جوامع الكلم ونصرت بالرعب وجعلت لى الارض مسجدا وطهورا (وأرسلت الى الخلق كافة) ارسالة عامة محيطة بهم لانها اذا عمتهم فقد كفتهم أن يخرج منها أحد منهم (وختم بى النبيون) أى أغلق باب الوحى والرسالة وسد لكمال الدين وتصحيح الحجة فلا نبى بعده ومر الحديث فى الخصائص (فمن تشريف الله تعالى له ختم الانبياء والمرسلين به وا كمال الدين الحنيفى) المائل عن الباطل للحق (له وقد أخبر الله تعالى فى كتابه ورسوله فى السنة المتواترة عنه انه لا نبى بعده ليعلموا) أى المخبرون (أن كل من ادعى هذا المقام بعده فهو كذاب) كثير الكذب (أفاك) كذاب مبالغ فيه (دجال) كذاب قال ثعلب الدجال هو المموه يقال سيف مدجل اذا طلى بذهب وقال ابن دريد كل شئ غطيته فقد دجلته واشتقاق الدجال من هذا لانه يغطى الارض بالجمع الكثير (ضال) لم يهتد فالالفاظ الاربعة متقاربة وقد علم صلى الله عليه وسلم بذلك وأخبر به ففى الصحيحين مرفوعا لا تقوم الساعة حتى يبعث دجالون كذابون قريبا من ثلاثين كلهم يزعم انه رسول الله

(ولو تحذلق) بفوقية فمهملة فمعجمة أظهر الحذق وادّعى أكثر مما عنده ومثله حذلق بلا تاء (وتشعبذ) بالذال المعجمة بعد الموحدة أي بما يرى الانسان منه ما لا حقيقة له كالسحر ويقال له أيضا شعوذ بالواو بدل الموحدة (وأتى بأنواع السحر) قال ابن فارس وهو اخراج الباطل في صورة الحق ويقال هو الخديعة وسحره بكلامه استماله برقته وحسن ترتيبه وقال الامام فخر الدين هو في عرف الشرع كل أمر يخفى سببه ويتخيل على غير حقيقته ويجري مجرى التمويه والخداع قال تعالى يخيل اليه من سحرهم انها تسعى واذا أطلق ذم فاعله (والطلاسم والنيرنجيات) بكسر النون واسكان التحتية وفتح الراء فنون ساكنة فجيم فتحتية فألف ففوقية قال المجد النيرنج بالكسر أخذ كالسحر وليس به (فكلها محال) باطل (وضلالة) زوال عن الحق (عند أولى الالباب) العقول (ولا يقدح في هذا نزول عيسى ابن مريم عليه السلام بعده لانه اذا نزل من السماء كان على دين نبينا محمد) صلى الله عليه وسلم (ومنهاجه) طريقه في شرعه فهو واحد من أمته (مع) أنه لا يرد هذا أصلا اذ (أن المراد أنه آخر من نبئ) وأرسل فلا يضر وجود واحد بعده أو أكثر ممن نبئ أو أرسل قبله (قال ابن حبان من ذهب الى أن النبوة مكتسبة لا تنقطع أو الى أن الولي أفضل من النبي فهو زنديق يجب قتله) لتكذيب القرآن وخاتم النبيين (والله أعلم)

* النوع الرابع في التنويه به) أي التعظيم ورفعة شأنه (صلى الله عليه وسلم) بذكره (في الكتب السالفة كالتوراة والانجيل بأنه صاحب الرسالة والتبجيل) متعلق بقوله في التنويه أي رفع ذكره بأنه صاحب وهذا أظهر من كونه بدلا منه (قال الله تعالى الذين يتبعون الرسول النبي الامي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل) باسمه وصفته بحيث لا يشكون أنه هو ولذا عدل عن يجدون اسمه أو وصفه مكتوبا فتضمن ذلك اخباره تعالى بذكره في الكتابين قبل وجوده تعظيما له وحثا على اتباعه اذا وجد روى أبو نعيم في الحلية عن وهب بن منبه قال كان في بني اسرائيل رجل عصى الله مائتي سنة ثم مات فأخذوه فألقوه على مزبلة فأوحى الله الى موسى أن اخرج فصل عليه قال يارب بنو اسرائيل يشهدون أنه عصاك مائتي سنة فأوحى الله اليه هكذا كان الا انه كان كلما نشر التوراة ونظر الى اسم محمد صلى الله عليه وسلم قبله ووضعه على عينيه وصلى عليه فشكرت له ذلك وغفرت له وزوجته سبعين حوراء (وهذا يدل على انه لو لم يكن مكتوبا لكان ذكر هذا الكلام من أعظم المنفرات) لهم عن اتباعه (والعاقل لا يسعى فيما يوجب نقصان حاله) بل في الزيادة (و) لا فيما (ينفر الناس عن قبول مقاله) فكيف بأرجح الخلق عقلا (فلما قال لهم عليه السلام هذا) المذكور من كتابة اسمه ووصفه بالنبي الامي (دل على أن ذلك النعت) أي الوصف الذي وصف لهم به نفسه (كان مذكورا في التوراة والانجيل وذلك من أعظم الدلائل على صحة نبوته لكن أهل الكتاب كما قال الله تعالى يكتمون الحق) نعت محمد صلى الله عليه وسلم (وهم يعلمون) أنه الحق (ويحرفون) يبدلون (الكلم) الذي في التوراة من نعت محمد وغيره (عن مواضعه) التي وضعه الله عليها (والافهم فانهم الله قد عرفوا

محمدا

هكذا بياض بالاصل

قوله وهذا اظهر من كونه بدلا منه ظاهره انه بدل من قوله في التنويه ولا يخفى ما فيه بل هو بدل من قوله به ثم ان احتمال البدلية هو الاظهر عكس ما قال لانه يلزم على ما استظهره تعلق حرفي جر متحدى اللفظ والمعنى بعامل واحد تأمل اه مصححه

قوله من أعظم المنفرات والعاقل الخ هنا سقط وجد في نسخة من المتن ونصها (من أعظم المنفرات لليهود والنصارى عن قبول قوله لان الاصرار على الكذب والبهتان من أعظم المنفرات والعاقل الخ) اه

محمدا صلى الله عليه وسلم كما عرفوا أبناءهم) كما قال تعالى الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم قال عبد الله بن سلام رضي الله عنه لقد عرفته صلى الله عليه وسلم حين رأيته كما أعرف ابني ومعرفتي لمحمد أشد (ووجدوه عندهم مكتوبا في التوراة والانجيل لكن حرفوهما وبدلوهما) عطف تفسير (ليطفئوا نور الله بأفواههم) بأقوالهم (ويأبى الله الا أن يتم نوره) بظهوره (ولو كره الكافرون) ذلك (فدلائل نبوة نبينا في كتابيهما بعد تحريفهما طافحة) أي ظاهرة مالئة لكتابيهما من طفح الاناء امتلأ (وأعلام شرائعه ورسالته فيهما لائحة) فالباقي بعد التحريف كاف في بيان صدقه واظهار رسالته عليه السلام (وكيف يغني عنهم انكارهم وهذا اسم النبي بالسريانية) كما جزم به عياض وغيره (مشفح) بضم الميم وشين معجمة وفاء شديدة مفتوحتين ثم حاء مهملة مرفوع في النسخ الصحيحة وفي كثيرها مشفحا بالنصب على الحال أي جاء حال كونه مشفحا أو بتقدير يرى مشفحا لكن قال الدلجي مشفح ممنوع الصرف للعلمية والعجمة وبالفاء جزم ابن دحية وقال انه بوزن محمد ومعناه وروى كما قال المصنف بالقاف وبه جزم الشمني والدلجي وقال القاف مفتوحة أو مكسورة واقتصر المجد على الفتح فقال مشقح كمعظم قال الحافظ البرهان لا أعرف صحته ولا معناه أي سواء كان بالفاء أو بالقاف وقال الدلجي لا أعرف له معنى ولعل مرادهما لا يعرفان هل معناه شافع أو صاحب الحوض أو اللواء أو نحو ذلك فلا ينافي قول عياض وابن دحية وغيرهما وتبعهم المصنف بقوله (فمشفح محمد بغير شك) أي معناه محمد وهو ثابت في كتبهم بهذا الوصف (واعتباره) أي دليله (انهم يقولون شفحا لاها اذا أرادوا أن يقولوا الحمد لله واذا كان الحمد) أي معناه في لغتهم (شفحا فمشفح محمد) وقد يقال لا يلزم من التعبير عن الحمد لله بشفحا لاها أن مشفح اسم لمحمد لجواز أن يراد به اسم آخر كمحمود أو ممدوح ونحوه الا أن يقال وجه الملازمة انه اذا ثبت أن الحمد معناه الشفح كان مصدرا واسم المفعول المأخوذ من الحمد مصدرا هو محمد فيكون مشفح بمعنى محمد (ولان الصفات التي أقروا بها) أي بورودها في كتبهم (هي وفاق) أي مطابقة (لاحواله وزمانه ومخرجه ومبعثه وشريعته صلى الله عليه وسلم) فان أنكروا انه هو (فليدلونا على من هذه الصفات له) قائمة به فالعطف على مقدر وحيث عجزوا ثبت المطلوب أن من قامت به هذه الصفات هو النبي صلى الله عليه وسلم ولزمتهم الحجة (ومن خرجت له الامم) أي جاءت له طائعة مذعنة (من بين يديه) وقوله (وانقادت له واستجابت) أجابت (لدعوته) بيان للمراد به (ومن صاحب الجمل الذي هلكت بابل) بلد في سواد العراق ينسب اليه السحر والخمر (وأصنامها به اذ) وفي نسخة على أنا (لو لم نأت بهذه الانباء) الاخبار (والقصص من كتبهم) وجواب لو قوله (لم يك فيما أودع الله عز وجل القرآن دليل على ذلك) وفي نسخ ألم يك بهمزة الاستفهام الانكاري وعليها الجواب لو محذوف أي لا يضر ذلك أو كان في غنية عنه لكن حذف الهمزة أولى لان ذكرها لا يحصل المقصود من الزامهم الحجة وقد يقال بل يحصله بضميمة قوله (وفي تركهم جحد ذلك وانكاره) بالنصب (وهو يقرعهم) يذمهم ويوبخهم (به

قوله فالعطف على مقدر لعل الانسب بسياقه أن يقول فالفاء واقعة في جواب شرط مقدر تأمل اه مصححه

دليل على اعترافهم له فانه يقول الذين يتبعون الرسول النبى الامى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل) باسمه وصفته (ويقول حكاية عن المسيح) واذ قال عيسى ابن مريم يا بنى اسرائيل (انى رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدى من التوراة ومبشرا) فى حال تصديقى لما تقدمنى من التوراة وبتذكيرى (برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد) والعامل فى الحالين ما فى الرسول من معنى الارسال لا الجار لانه لغو اذ هو صلة الرسول فلا يعمل قاله البيضاوى (ويقول يا أهل الكتاب لم تلبسون) تخلطون (الحق بالباطل) بالتحريف والتزوير (وتكتمون الحق) أى نعت النبى صلى الله عليه وسلم (وأنتم تعلمون) انه حق (ويقول الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه) أى محمدا عليه السلام (كما يعرفون أبناءهم) بنعته فى كتبهم قال ابن سلام بل معرفتى لمحمد أشد (وكانوا يقولون لمخالفيهم عند القتال هذا نبى قد أظل) أى قرب (مولده ويذكرون من صفته ما يجدون فى كتابهم) أخرج ابن أبى حاتم عن ابن عباس ان يهود كانوا يستفتحون على الاوس والخزرج برسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه فلما بعثه الله من العرب كفروا به وجحدوا ما كانوا يقولون فيه فقال لهم معاذ بن جبل وبشر بن البراء وداود بن سلمة يا معشر يهود اتقوا الله وأسلموا فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد ونحن أهل شرك وتخبرونا بأنه مبعوث وتصفونه بصفته فقال سلام بن مشكم أحد بنى النضير ما جاءنا بشئ نعرفه وما هو الذى كنا نذكر لكم فأنزل الله ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا (فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به حسدا وخوفا على الرياسة) وجواب لما الاولى دل عليه جواب الثانية (ويحتمل انهم كانوا يظنون انه من بنى اسرائيل فلما بعثه الله من العرب من نسل اسمعيل عظم) شق (ذلك عليهم وأظهروا التكذيب) بغيا أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده (فلعنة الله على الكافرين) أى عليهم وأتى بالمظهر للدلالة على انهم لعنوا لكفرهم فاللام للعهد ويجوز انها للجنس ويدخلون فيه دخولا أوليا لان الكلام فيهم (وقد كان صلى الله عليه وسلم يدعوهم الى اتباعه وتصديقه فكيف يجوز أن يحتج بباطل من الحجج ثم يحيل ذلك على ما عندهم وما فى أيديهم ويقول من علامة نبوتى وصدقى انكم تجدونى عندكم مكتوبا) باسمى وصفتى (وهم لا يجدونه كما ذكر) فى كتبهم (أوليس ذلك مما يزيدهم منه بعدا) استفهام انكارى (وقد كان غنيا) عن (أن يدعوهم بما ينفرهم) عن اتباعه (و) عن (أن يستميلهم بما يوحشهم وقد أسلم من علمائهم كعبد الله بن سلام) بالتخفيف الاسرائيلى أبى يوسف حليف بنى الخزرج قيل كان اسمه الحصين فسماه النبى صلى الله عليه وسلم عبد الله له أحاديث وفضل مات بالمدينة سنة ثلاث وأربعين (وتميم) بن أوس بن خارجة (الدارى) أبى رقية بقاف مصغر صحابى مشهور سكن بيت المقدس بعد عثمان مات سنة أربعين (وكعب) بن ماتع الحميرى المعروف بكعب الاحبار كان يهوديا من أحبارهم من أهل اليمن وأدرك الزمن النبوى قيل وأسلم فيه وقيل فى خلافة أبى بكر وقيل عمر وهو الراجح وسكن الشام ومات فى خلافة عثمان وقد زاد على المائة وفى نسخة وكم أسلم

هكذا بياض بالاصل

ومعناها التكثير لكن الثلاثة الذين ذكرهم قليل فالمراد أن المسلمين من علمائهم كثير لكن ليسوا من أضراب ابن سلام فلم يذكرهم واقتصر على عظمائهم (وقد وقفوا منه على مثل هذه الدعاوى) واعترفوا بثبوتها في كتبهم (وقد روى ابن عساكر في تاريخ دمشق) والطبراني وأبو نعيم في الدلائل كلهم (من طريق محمد بن حمزة بن يوسف بن عبد الله بن سلام) صدوق من السادسة ومنهم من زاد بين حمزة ويوسف محمدا روى له ابن ماجه (عن أبيه) حمزة بن يوسف ويقال ان يوسف جده واسم أبيه محمد مقبول من السابعة روى له ابن ماجه كما في التقريب (عن جده) يوسف بن عبد الله بن سلام الاسرائيلي المدني أبي يعقوب صحابي صغير وقد ذكره العجلي في ثقات التابعين وقوله (عبد الله بن سلام انه) يقتضي أن المراد جده الاعلى فيكون منقطعا لانه لم يدركه وفي رواية الطبراني وأبي نعيم عن أبيه ان عبد الله بن سلام وهو منقطع أيضا (لما سمع بمخرج النبي صلى الله عليه وسلم بمكة بخروج خلقيه) ولابي نعيم والطبراني انه قال لاحبار يهود اني أردت أن أحدث بمسجد أبينا ابراهيم عهدا فانطلق الى رسول الله وهو بمكة فوافاه بمنى والناس حوله فقام مع النبي (فقال له النبي صلى الله عليه وسلم) لما نظر اليه (أنت) عبد الله (بن سلام عالم أهل يثرب) فهو من معجزاته حيث أخبره بذلك بمجرد رؤيته له (قال نعم قال صلى الله عليه وسلم) ادن فدنا منه كما في الطبراني وأبي نعيم فقال (ناشدتك بالله الذي أنزل التوراة على موسى هل تجد صفتي في كتاب الله) التوراة وفي رواية أنشدك بالله أما تجدوني في التوراة رسول الله (قال انسب ربك يا محمد) وفي رواية انعت لنا ربك (فارتج) بالبناء للمفعول مخففا أي لم ينطق (النبي صلى الله عليه وسلم) بجواب ويقال ارتج بهمزة وصل وتثقيل الجيم وبعضهم يمنعها وربما قيل ارتتج وزان اقتتل بالبناء للمفعول أيضا كما في المصباح وفي رواية فارتعد صلى الله عليه وسلم حتى خر مغشيا عليه (فقال له جبريل قل هو الله أحد) خبر ثان (الله الصمد) المقصود في الحوائج على الدوام أو الذي لا جوف له كما للطبراني عن بريدة وبه قال كثير من المفسرين قال ابن عطية كأنه بمعنى المصمت وقال الشعبي هو الذي لا يأكل ولا يشرب وفي هذا التفسير كله نظر لان الجسم في غاية البعد عن صفات الله تعالى فما الذي تعطينا هذه العبارات قال والصمد في كلام العرب السيد الذي يصمد اليه في الامور ويستقل بها وأنشدوا

ألا بكر الناعي بخير بني أسد * بعمرو بن مسعود وبالسيد الصمد

وبهذا تفسر هذه الآية لان الله موجد الموجودات واليه يصمد وبه قوامها ولا غني بنفسه الا هو تبارك وتعالى انتهى (لم يلد) لانه لم يجانس ولم يفتقر الى ما يعينه أو يخلف عنه لامتناع الحاجة والفناء عليه (ولم يولد) لانه لا يفتقر الى شيء ولا يسبقه عدم (ولم يكن له كفوا أحد) مكافئا ومماثلا فله متعلق بكفوا قدم عليه لانه محط القصد بالنفي وأخر أحد وهو اسم يكن عن خبرها رعاية للفاصلة (فقال له ابن سلام أشهد أنك رسول الله وأن الله مظهرك ومظهر دينك على الاديان) كلها بابطال باطلها ونسخ حقها وفي رواية الطبراني وأبي نعيم فقال ابن سلام أشهد أن لا اله الا الله وأنك رسول الله ثم انصرف الى المدينة وكتم اسلامه وقضية هذا انه أسلم بمكة قبل الهجرة لكن هذا حديث

ضعيف متكلم فيه معارض بما في البخاري ان النبي صلى الله عليه وسلم لما هاجر أتاه ابن سلام وقال انى سائلك عن ثلاث لا يعلمهن الا نبي فسأله وأجابه النبي صلى الله عليه وسلم عن مسائله فقال أشهد أنك رسول الله الحديث وفيه قد علمت اليهود أنى سيدهم وابن سيدهم وأعلمهم وابن أعلمهم فسلهم عنى قبل أن يعلموا باسلامى فأنه سألهم عنه فاعترفوا بما قال فلما قال لهم انى أسلمت كذبوه وقالوا فيه ما ليس فيه ومن ثم لم يعرج الحافظ على رواية ابن عساكر ومن معه هذه بل جزم فى الفتح والاصابة بأنه أسلم أول ما دخل النبي صلى الله عليه وسلم المدينة وغلط من قال أسلم قبل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بعامين وقد أخرج أحمد وأصحاب السنن عن عبد الله بن سلام قال لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة انجفل الناس لقدومه فكنت فيمن انجفل فلما تبينت وجهه عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب فسمعته يقول أفشوا السلام وأطعموا الطعام الحديث ومحال على من أسلم قبل ذلك أن يشك بعد ذلك وأنه يسأله امتحانا ليعلم أهو نبي أم لا وقد اختلف فى أن سورة الاخلاص مكية أو مدنية وأخرج الترمذي والحاكم وابن خزيمة عن أبي بن كعب ان المشركين قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم انسب لنا ربك فأنزل الله قل هو الله أحد الى آخرها وأخرج الطبراني وابن جرير مثله من حديث جابر فاستدل به على انها مكية وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس ان اليهود جاءت الى النبي صلى الله عليه وسلم منهم كعب بن الاشرف وحيي بن أخطب فقالوا يا محمد صف لنا ربك الذى بعثك فأنزل الله قل هو الله أحد وروى ابن جرير عن قتادة وابن المنذر عن سعيد بن جبير مثله فاستدل بهذا على انها مدنية ولابن جرير عن أبي العالية قال قال قادة الاحزاب انسب لنا ربك فأتاه جبريل بهذه السورة قال فى اللباب وهذا يبين المراد بالمشركين فى حديث أبي فتكون السورة مدنية كما دل عليه حديث ابن عباس وينتفى التعارض بين الحديثين لكن روى أبو الشيخ فى العظمة عن أنس أتت يهود خيبر الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا يا أبا القاسم خلق الله الملائكة من نور الحجاب وآدم من حما مسنون وابليس من لهب النار والسماء من دخان والارض من زبد الماء فأخبرنا عن ربك فلم يجبهم فأتاه جبريل بهذه السورة قل هو الله أحد انتهى نعم بقية الحديث ثابتة عن ابن سلام علقها البخاري تلو حديث ابن عمرو الآتي وأخرجها الدارمى ويعقوب بن سفيان والطبراني وهي قوله (وانى لأجد صفتك فى كتاب الله) يعنى التوراة ففى رواية الجماعة عنه انه لموصوف فى التوراة ببعض صفته فى القرآن (يا أيها النبي انا أرسلناك شاهدا) على أمتك بما يفعلون لهم وعليهم مقبولا عند الله (ومبشرا) لمن أجابك بالثواب (ونذيرا) مخوفا لمن عصاك بالعذاب (أنت عبدى ورسولى سميتك المتوكل) أى على الله لقناعته باليسير من الرزق واعتماده على الله فى السر والجهر والصبر على انتظار الفرج والاخذ بمحاسن الاخلاق واليقين بتمام وعد الله فتوكل على الله فسماه الله المتوكل (ليس بفظ) سيء الخلق جاف وفيه التفات من الخطاب الى الغيبة اذ لو جرى على نسق الاول لقال لست بفظ (ولا غليظ) قاسى القلب (ولا سخاب) بسين مهملة وخاء معجمة ثقيلة لغة أثبتها الفراء وغيره وبالصاد أشهر من السين بل ضعفها الخليل أى

لا يرفع صوته على الناس لسوء خلقه ولا يكثر الصياح عليهم (فى الاسواق) بل يلين جانبه ويرفق بهم وفيه ذم أهل السوق الذين يكونون بالصفة المذمومة من صخب ولغط وزيادة مدحة لما يبيعونه وذم لما يشترونه والايمان الحانثة ولذا كانت شر البقاع لما يغلب على أهلها من هذه الاحوال المذمومة وقيد بالاسواق والمراد نفيه عنه مطلقا لانه اذا انتفى فى المحل المعتاد فيه انتفى فى غيره بالطريق الاولى وهو أبلغ وأفصح من الاطلاق لانه فى دليل نحو قوله لاترى الضب بها ينجحر فهو من نفى المقيد دون قيده (ولا يجزى بالسيئة مثلها) أى السيئة (ولكن يعفو ويصفح) يعرض مالم تنتهك حرمات الله (ولن يقبضه بيته (الله حتى يقيم به الملة العوجاء) ملة ابراهيم فانها اعوجت فى الفترة فزيدت ونقصت وغيرت عن استقامتها وأميلت بعد قوامها ومازالت كذلك حتى أقامها صلى الله عليه وسلم بنفى الشرك واثبات التوحيد كما قال (حتى يقولوا لا اله الا الله) أى ومحمد رسول الله فالمراد كلمة التوحيد هكذا فسر شراح الحديث قاطبة الملة العوجاء ملة ابراهيم وكذا ابن الاثير فى النهاية قائلا ان العرب كانوا يزعمون أنهم على ملته وأبعد من قال انها الملة التى رآها خارجة عن الحق فأزال اعوجاجها وان لم تنسب الى ابراهيم كملة اليهود والنصارى فانهم حرفوا وبدلوا ولم يتركوا مانسخ من شرعهم فجاهدهم حتى اهتدى من اهتدى وقتل من قتل (ويفتح به) بالنبى وفى رواية البخارى بها أى بكلمة التوحيد (أعينا عميا) بضم العين وسكون الميم صفة لاعين أى عن الحق (وآذانا صما) عن استماع الحق (وقلوبا غلفا) بضم المعجمة وسكون اللام صفة قلوبا جمع أغلف أى مغطى ومغشى (وقوله ليس بفظ ولا غليظ موافق لقوله تعالى فبما) زائدة أى فبـ(رحمة من الله لنت لهم) أى سهلت اخلاقك حيث خالفوك (ولو كنت فظا غليظ القلب) جافيا فأغلظت لهم (لانفضوا) تفرقوا (من حولك ولا يعارض) هذا (قوله تعالى يا أيها النبى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم لان النفى محمول على طبعه الكريم الذى جبل عليه والامر محمول على المعالجة) لنفسه على خلاف ماطبع عليه (أو النفى بالنسبة الى المؤمنين والامر بالنسبة الى الكفار والمنافقين كما هو مصرح به فى نفس الآية) ذكر الجوابين الحافظ والثانى كما قال شيخنا أظهر لموافقة الآية وان كان الاول من حيث عمومه شاملا لعصاة المؤمنين اذا فعلوا منكرا ولاسيما اذا ظهر منهم التصميم عليه (وقلوبا غلفا أى مغشاة مغطاة واحدها أغلف ومنه غلاف السيف وغيره) والمعنى ان قلوبهم كانت محجوبة عن الهداية فأزال صلى الله عليه وسلم حجابها وكشف غطاءها (وأخرج البيهقى وأبو نعيم عن أم الدرداء أو امرأة أبى الدرداء) شك من الراوى فى اللفظ الذى قاله شيخه وان اتحد المعنى ولابى الدرداء زوجتان تكنى كل منهما بذلك احداهما الكبرى واسمها خيرة بنت أبى حدرد صحابية من فضلاء النساء وعقلائهن وذوات الرأى منهن مع العبادة والنسك ماتت قبل زوجها بالشام فى خلافة عثمان والثانية الصغرى اسمها هجيمة أو جهيمة ثقة فقيهة ماتت سنة احدى وثمانين وهى التى روى لها أصحاب الكتب الستة لا صحبة لها ولا رؤية وذكر فى الاصابة للكبرى حديثين سمعتهما من النبى صلى الله عليه وسلم وكل منهما

يحتمل انها التي (قالت قلت لكعب) بن ماتع الحميري المعروف بكعب الاحبار (كيف تجدون صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة قال كما نجده موصوفا فيها محمد رسول الله) كما في القرآن (اسمه المتوكل) الذي يكل أمره الى الله فاذا أمره بشيء نهض بلا جزع وفي التنزيل وتوكل على الله وتوكل على الحي الذي لا يموت (ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الاسواق) التي هي محل السخب وارتفاع الاصوات ففي غيرها أولى (وأعطي المفاتيح ليبصر الله به أعينا عورا) وهو الفاقد بصر احدى عينيه ولكون الفتح والابصار مجازا عن الهداية عبر تارة بعميا وأخرى بعورا جمع أعور وصفة أعينا (ويسمع به آذانا صما) عن سماع الحق (ويقيم به ألسنة معوجة) جمع لسان (حتى يشهدوا أن لا اله الا الله وحده لا شريك له) أي وأن محمدا رسول الله فحذفها اكتفاء نحو سرابيل تقيكم الحر أي والبرد (يعين المظلوم) على الظالم (ويمنعه من أن يستضعف) بأن ينصره بحيث يصير فيه قوة تحمله على أن يدفع عن نفسه (وفي البخاري) في البيوع ثم في تفسير الفتح (عن عطاء بن يسار) الهلالي أبي محمد المدني مولى ميمونة ثقة فاضل صاحب مواعظ وعبادة مات سنة أربع وتسعين وقيل بعدها روى له الستة (قال لقيت عبد الله ابن عمرو بن العاصي) الصحابي ابن الصحابي رضي الله عنهما (فقلت أخبرني عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم) أي في التوراة بدليل الجواب فان السؤال يعاد في الجواب صراحة أو ضمنا وهو من القواعد الاصولية (قال) عبد الله (أجل) بفتح الهمزة والجيم وباللام حرف جواب كنعم فيكون تصديقا للمخبر واعلاما للمستخبر ووعدا للطالب فيقع بعد نحو قام زيد ونحو أقام زيد واضرب زيدا فيكون بعد الخبر وبعد الاستفهام والطلب وقيل يختص بالخبر وهو قول الزمخشري وابن مالك وقيد المالقي الخبر بالمثبت والطلب بغير النهي وفي القاموس أجل كنعم الا انه أحسن منه في التصديق ونعم أحسن منه في الاستفهام وهذا قاله الاخفش كما في المغني وغيره قال الطيبي أجل في الحديث جوابا للامر على تأويل قرأت التوراة هل وجدت صفة رسول الله فيها فأخبرني قال أجل (والله انه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن) أكده بمؤكدات الحلف بالله والجملة الاسمية ودخول ان عليها ودخول لام التأكيد على الخبر وانما سأله عما في التوراة لانه كان يحفظها وقد روى البزار من حديث ابن لهيعة عن وهب ان عبد الله بن عمرو بن العاصي رأى في المنام في احدى يديه عسلا وفي الاخرى سمنا وهو يلعقهما فلما أصبح ذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال له تقرأ الكتابين التوراة والقرآن فكان يقرؤهما فالنهي عن قراءتها ليس على اطلاقه لوقوعه في الزمن النبوي لكثير من الصحابة بلا انكار فهو مقيد بمن لم يميز المنسوخ والمحرف منها ويضيع وقته في الاشتغال بها أما غيره فلا يمنع بل قد يطلب لالزامهم فيما أنكروه منها وقد أخرج الدارمي ويعقوب بن سفيان في تاريخه والطبراني عن عطاء بن يسار عن ابن سلام مثله وعلقه البخاري قال الحافظ ولا مانع أن يكون عطاء حمله عن كل منهما فقد أخرجه ابن سعد عن زيد بن أسلم قال بلغنا أن عبد الله ابن سلام كان يقول انه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن (يا أيها النبي) بدل من

بعض أو بيان له (انا أرسلناك شاهدا) لامتك المؤمنين بتصديقهم وعلى الكافرين بتكذيبهم وانتصاب شاهدا على الحال المقدرة من الكاف أو من الفاعل أى مقدرا أو مقدرين شهادتك على من بعثت اليهم وعلى تكذيبهم وتصديقهم أى مقبولا عند الله لهم وعليهم أو شاهدا للرسل قبله بالبلاغ (ومبشرا) للمؤمنين (ونذيرا) للكافرين أو مبشرا للمطيعين بالجنة ونذيرا للعصاة بالنار (وحرزا) بكسر المهملة واسكان الراء ثم زاى أى حصنا (للاميين) أى العرب لان أكثرهم لا يقرأون ولا يكتبون يتحصنون به عن غوائل الدهر أو سطوة العجم وتغلبهم تخصهم لذلك أو لارساله بين أظهرهم أو لشرفهم أو من مطلق العذاب مادام فيهم وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم أو من عذاب الاستئصال فلا يرد أن دعوته عامة وجعله نفسه حرزا مبالغة لحفظه لهم فى الدارين (أنت عبدى) الكامل فى العبودية (ورسولى) فقدم العبودية لشرفها فان له بها مزيد اختصاص ولذا اقتصر عليها فى الاسراء وانزال الكتاب وليست بالمعنى العام الذى يتصف به كل مخلوق بل بالخاص الذى رضيه له حتى أطلعه على حظائر قدسه وجعله رسولا مبلغا عنه وكفاه جميع مؤناته فقال أليس الله بكاف عبده فان الملك لا يرضى بوقوف عبده بباب غيره واحتياجه لسواه واهانة أحد له فانه هو الذى يؤدبه كما قال أدبنى ربى فأحسن تأديبى فلذا قال (سميتك المتوكل) دون جعلتك أو وصفتك المنادى بشدة توكله الذى صيره علما له ففيه اشعار بشدة توكله السارى فى أمته صلى الله عليه وسلم وخطابه بما فى التوراة خطاب للحاضر فى العلم وبالماضى فى أرسلناك لتحققه أو حكاية لما يقال فى المستقبل أو لاستحضار الآتى وعبر بما يعبر به عنه فى الآتى (ليس بفظ) سيء الخلق جاف (ولا غليظ) قاسى القلب بل ملته سمحة ولا ينافيه وقوع الغلظة اللائقة أو الواجبة أحيانا لانها لا تنافى حسن الخلق أو المراد نفيهما بحسب الخلقة أو فى غير محلهما وقول النسوة لعمر أنت أفظ وأغلظ من رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس القصد به التفضيل بل أصل الفعل أو من قبيل العسل أحلى من الخل أى غلظتك يا عمر أشد من رقته صلى الله عليه وسلم واختاره فى المصابيح ثم يحتمل أن تكون هذه آية أخرى فى التوراة لبيان صفته وأن تكون حالا من المتوكل أو من الكاف فى سميتك ففيه التفات من الخطاب الى الغيبة حتى لا يواجهه بمثله وان كان منفيا (ولا سخاب) بشد الخاء بعد السين ويقال بالصاد وهو أفصح وادعى بعض انه روى بهما أى لا يرفع صوته على الناس لسوء خلقه ولا يكثر الصياح عليهم (فى الاسواق) بل يلين جانبه ويرفق بهم وهو من نفى المقيد بدون قيده ففيه دخوله صلى الله عليه وسلم الاسواق تواضعا وتركا لعادة الجبارين من الملوك وردا لقول الكفرة ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الاسواق ويحتمل انه من نفى القيد والمقيد معا كما قال الطيبى المراد نفى السخابية وكونه فى الاسواق انتهى على معنى نفى اعتياد دخوله فى الاسواق كأرباب الدنيا بل انما يدخلها للحاجة فلا يشكل ما قاله بأنه خلاف الواقع والمبالغة للنسبة كخياط أو بذى صخب كما فى وما ربك بظلام فى أحد الوجوه او على بابها للثبوت أصل الصخب له فى محله كخطبة وتلبية ونحوهما (ولا يدفع) هكذا الرواية فى البخارى فى المحلين فنسخة ولا يجزى تصحيف

قوله من الفاعل الخ الاولى حذفه والاقتصار على الاول لعدم المطابقة حينئذ بين الحال وصاحبها كما لا يخفى اه مصححه

(بالسيئة السيئة) هو كقوله تعالى ادفع بالتي هي أحسن السيئة وخلقه القرآن وقد قال تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله ولذا قال (ولكن يعفو) يمحو ويزيل السيئة من ظاهره وخاطره (ويغفر) يستر السيئة ولا يلزم منه ازالتها أو يعفو تارة ويستر أخرى فلا يفضح فيقول في خطبته ما بال أقوام يفعلون كذا أو هما متساويان فالثاني تأكيد ونقل القرطبي عن بعضهم ان الغفر ستر لا يقع معه عقاب ولا عتاب والعفو انما يكون بعد عقاب أو عتاب فان استعمل في غيره فهو مجاز وفي نسخة ويصفح (ولن يقبضه) يميته (الله) وأصله أخذ المال واستيفاؤه فأطلق على الموت بتشبيه الحياة والروح بالمال كما قيل

اذا كان رأس المال عمرك فاحترس * عليه من الانفاق في غير واجب

أو هو من استعمال المقيد في المطلق ثم شاع حتى صار حقيقة فيه (حتى يقيم به الملة العوجاء) ملة ابراهيم التي غيرتها العرب عن استقامتها لانهم ذرية اسمعيل بن ابراهيم وكانوا يزعمون انهم على ملته الحنيفية والحنيف من يوحد الله تعالى ويعبده لان الحنف في اللغة الاستقامة قاله ابن الاثير (بأن يقولوا) أي أهلها (لا اله الا الله) اقتصر عليها وجعلها اقامة الملة لان العوج الواقع عمود الشرك وعبادة الاصنام يستقيم بها أو انهم يأتون بكلمة التوحيد التي هي عبارة عن لا اله الا الله محمد رسول الله لان الكلمتين صارتا كالكلمة الواحدة أو اكتفاء كسرابيل تقيكم الحر (ويفتح به) أي بالنبي كذا وقع بتذكير الضمير هنا تبعا للشفاء مع عزوكليهما للبخاري والذي فيه في الموضعين بها أي كلمة التوحيد (أعينا عميا) بضم فسكون وفي رواية القابسي أعين عمى بالاضافة ولا تنافي بين هذا وبين قوله وما أنت بهادي العمي عن ضلالتهم لانه دل ايلاء الفاعل المعنوي حرف النفي على ان الكلام في الفاعل وذلك انه تعالى نزله لحرصه على ايمانهم منزلة من يدعي استقلاله بالهداية فقال له أنت لست بمستقل بها بل انك لتهدي الى صراط مستقيم باذن الله وتيسيره وعلى هذا فيفتح معطوف على يقيم اي يقيم الله بواسطته الملة العوجاء بأن يقولوا لا اله الا الله ويفتح بواسطة هذه الكلمة أعينا عميا (وآذانا صما وقلوبا غلفا) بضم وسكون وفي رواية أبي ذر ويفتح بها أعين عمي وآذان صم وقلوب غلف بضم أوله مبني للمفعول ورفع أعين وآذان وقلوب على النيابة (وعند) محمد (بن اسحق) بن يسار بدل قوله ولا سخاب (ولا صخب) بكسر الخاء صفة مشبهة تفيد المبالغة باعتبار افادة الثبوت هكذا في عدة نسخ صحيحة موافقة لما عند ابن اسحق والشفاء عنه فلا عبرة بنسخ ولا صخاب (في الاسواق) وعنده زيادة هي (ولا متزين) بزاي منقوطة من الزينة وروى بدال من الدين وروى متزي بلا نون من الزي والهيئة (بالفحش) القبيح وزنا ومعنى فعلا كان او قولا أي لا يتجمل أو لا يتدين أو لا يتلبس به ولا يرد أن ظاهره يوهم انه قد يأتي به غير متجمل وزأ وغير متزين به لانه لا مفهوم له بل هو به على عادة أرباب الفحش في المباهاة به أو هو استعارة تهكمية أو التزين بمعنى الاتصاف تجريدا أو المراد لا يرى الفحش زينة فهي مكنية وهذا من آياته لانه نشأ بين قوم يتزينون بالفواحش كالقتل والزنا والطواف

عراة فأتى بما يخالف عادتهم (ولاقوال) فعال صيغة مبالغة أي كثير القول (للخنا) بمعجمة ونون مقصور قبيح الكلام وهذا مع ماقبله يفيد أنه لا يصدر عنه صلى الله عليه وسلم شيء منه قليل ولا كثير لان الفحش بمعناه أو فعال للنسبة كتمار أي ليس بذي قول للخنا ولما ذكر صفات التخلية بقوله ليس بفظ الى هنا ذكر صفات التحلية بطريق وعد من لا يخلف وعده مستأنفا لمقصد أعلى مما قبله وإذا لم يعطفه أو في جواب سؤال هو مما يفعل به بعد أن صنته عن النقائص فقال (أسدده) أوفقه للسداد وهو الصواب والقصد من القول والعمل (بكل جميل) حسن صورة كان أو معنى يليق به (وأهب) بفتحتين أعطى (له كل خلق) بضمتين وتسكن اللام السجية والطبيعة (كريم) عزيز نفيس (ثم أجعل) مضارع المتكلم وهو الله (السكينة) بالفتح والتخفيف الوقار والطمانينة وفيها لغة بالكسر والتشديد حكاها في المشارق وبها قرئ شاذا (لباسه) أي ما يظهر عليه من الخشوع والتثبت فشبه المعقول بالمحسوس تقريبا للفهم ومبدأ هذا الوقار يلوح للقلب في مراقبته فلذا قال تعالى أنزل السكينة في قلوب المؤمنين فلكل وجهة (و) اجعل (البر) الطاعة والاحسان أي زيادته والخير والرحمة (شعاره) لباسه الذي يلي جسده سمي به لانه لابس شعره وبدنه ويقابله الدثار وهو ما يتغطى به ولما كانت السكينة ظاهرة فيه صلى الله عليه وسلم في سائر أحواله ويراها كل أحد برا وفاجرا جعلها لباسا والبر والخير والرحمة وإن لازمه أيضا وعم أحواله انما يقف عليه المؤمنون ببصائرهم جعله شعارا فانظر حسن موقعه مع ما قبله وما بعده أيضا وهو (والتقوى ضميره) لان الضمير ما يضمر في القلب وينوى في الخاطر بحيث لا ينسى فتأمل كيف انتقل من الظاهر للخفي ثم الاخفى مع ما فيه من شبه اللف والنشر مع الامور السلبية والتقوى ما يقي العذاب في الآخرة ولها مراتب أولها التبري عن الكفر والثاني التنزه عن كل ما يؤثم والثالث التنزه عما يشغل السر عن الله وبهذا علم التئامها مع الضمير (والحكمة) كل كلام جامع لما يرشد الى الحق فيشمل المواعظ والامثال لانتفاع الناس بها ويطلق على القرآن والعلوم الشرعية والقضاء بالعدل وبه فسر ادع الى سبيل ربك بالحكمة (معقوله) مصدر أو اسم مفعول فالمراد أنها تعقله وادراكه أو ما يعقله كله حكم ومواعظ وعلوم نافعة لانه لا ينطق عن الهوى (و) أجعل (الصدق والوفاء طبيعته) أي ان الله جبله انه لا ينطق بغير ما وافق الواقع واذا عاقد أحدا أو وعد لا يخلفه (والعفو والمعروف) ما يعرفه ويألفه العقلاء ولذا قيل المعروف كاسمه (خلقه) وفي المصباح المعروف الخير والرفق والاحسان ومنه قولهم من كان آمرا بالمعروف فليأمر بالمعروف أي من أمر بخير فليأمر برفق (والعدل) القصد في الامر ضد الجور (سيرته) طريقته الجيدة وفي التنزيل ان الله يأمر بالعدل والاحسان قال ابن عطية العدل فعل كل مفروض من العقائد والعبادة وأداء الامانات والانصاف والاحسان فعل المندوب وفي البغوي العدل بين العبد وربه ايثار حقه على حظ نفسه واجتناب الزواجر وامتثال الاوامر وبينه وبين نفسه منعها عما فيه هلاكها والتصبر وبينه وبين غيره بذل النصيحة وترك الخيانة وانصافهم من نفسه والصبر على

أذاهم وجعل العدل سيرته صلى الله عليه وسلم لا ينافي ان يكون الاحسان سيرته في محل يليق به ولا ان يكون العفو طبيعة له أيضا لمصلحة تليق بالمقام (والحق شريعته) بنصبهما عطف على مفعول اجعل كما هو في نسخ الشفاء الصحيحة المقروءة لا برفعهما لاقتضاء تعريف الطرفين الحصر فيفهم ان شرائع غيره باطلة وليس كذلك وان وجه بأن المراد الحق الكامل الذي لا ينسخ أو في زمانه لا غيرها لنسخها بشريعته وبغير ذلك لان هذا انما يحتاج اليه لو ثبت رواية (والهدى امامه) بكسر الهمزة كما ضبطه الحافظ البرهان أي مقتداه ومتبعه وهو كناية عن ملازمته له وعدم انفكاكه عنه ويجوز أن يراد بالامام الطريق كما قيل في قوله وانهما لبامام مبين وضبطه بعضهم بفتح الهمزة بمعنى قدام فالمراد بطريق الكناية انه ملاحظ له كما يقال في ضده انه ظهري وخلف ظهري والهدى الدلالة بلطف واذا اختصت بالخير وقيل تعريفه للعهد أي هدى الانبياء لقوله أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده أي ما اتفقوا عليه من التوحيد والاصول لا الفروع (والاسلام ملته) بنصبهما على الصحيح أي انه اسم لملته أي دينه خاصة دون الامم على أحد القولين وعلى الآخر بالعموم لكل دين حق فالمراد الكامل ليكون من خصائصه التي تميزها عن غيره وكماله بنسخ غيره وكونه سمحا بين اللين والشدة وغير ذلك وفي التنزيل هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا (و) أجعل (أحمد اسمه) وبه سماه في الكتب قبل وجوده ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد ولما ذكر صفاته الموصوف بها في نفسه ذكر صفاته التي لوحظ فيها غيره جوابا بالسؤال هل تنفع بهذا الطاهر المطهر الكامل في نفسه غيره فقال (أهدى) بفتح الهمزة مضارع هدى (به) بسببه أو هديه (بعد الضلالة) بمعنى الضلال سلوك غير الطريق الموصلة وقيل انما فصله لعلو رتبة الهداية سواء كانت الايصال أو الدلالة الموصلة وفيه تقوية لمدحه السابق والمراد الهداية الى ما به النجاة والى ما به يكمل الناجي فلذا قال (وأعلم) بضم الهمزة وشد اللام كما في المقتفى (به بعد الجهالة) بفتح الجيم مصدر كالجهل ضد العلم وهو الاعتقاد الذي لا يطابق الواقع (وأرفع به بعد الخمالة) بفتح الخاء المعجمة والميم أي الخفاء وادعى بعض انه لا يقال خمالة بل خمولة وفي الصحاح الخامل الساقط الذي لا نباهة له وقد خمل يخمل خمولا وفي الجمهرة رجل خامل الذكر بين الخمول والخمولة وهو ضد النبيه والنابه وفي القاموس خمل ذكره وصوته خمولا خفي وأخمله الله فهو خامل ساقط لا نباهة له جمعه خمل محركة وأجيب بأن ثبوت الخمالة في هذا الحديث الصحيح شاهد لصحتها وان كانت على غير قياس أو للمشاكلة الضلالة والازدواج معها والمراد برفعه جعل الدين والتوحيد بعد ما ترك في الفترة لغلبة الجهل مشهورا واشاعته فهو مجاز كقوله ورفعنا لك ذكرك (واسمي) روى بضم الهمزة وفتح السين والتشديد وبه ضبطه في المقتفى وروى بضم الهمزة وسكون السين (به) بسببه (بعد النكرة) بضم فسكون وبفتح فكسر خلاف المعرفة وتطلق بمعنى المجهول أي أعرف الناس بسببه أو بما أوحيه اليه الناس المجهولين أو أعرفهم ما جهلوه من التوحيد أو أعرف الناس ما لم يعرفوه من الانبياء وقصصهم والاولى التعميم كما قيل (وأكثر) بضم الهمزة وسكون الكاف وكسر المثلثة مخففة وبفتح الكاف وشد المثلثة يتعدى بالهمزة

والتضعيف

والتضعيف (به بعد القلة) أى أكثر به الارزاق مطلقا أو على من اتبعه أو أكثر أمته بعد قلتها أو بعد عدمها والورود القلة بمعنى العدم لكنه بعيد هنا او المراد قواعد الملة بعد اعوجاجها فانه أعاد منها ما نقص بكلمة التوحيد وهو تكلف مستغنى عنه لتقدم معناه (وأغنى) أعطى الغنى (به بعد العيلة) بفتح فسكون الفقر أى ما كانوا عليه فى الابتداء ففتح لهم الفتوحات والممالك وأحل لهم الغنائم (وأجمع به) الناس (بعد الفرقة) الافتراق وتنافر القلوب والعداوة المؤدية للحروب وترك الديار كما كان بين الاوس والخزرج من الحروب قبل الاسلام فلما جاء الله به ألف بين قلوبهم وسل احقادهم وضغائنهم وصيرهم اخوة (وألف) أجمع (به بين قلوب مختلفة) وذلك يستلزم التأليف بين الذوات وكونه بسبب المصطفى لانه السبب الظاهرى والمؤلف الحقيقى هو الله فلا ينافى اسناد التأليف اليه سبحانه فى قوله تعالى واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا (وأهواء) جمع هوى وهو ميل النفس لما تحبه وتشتهيه (متشتتة) متفرقة أى أجعل مهويهم واحدا متفقا محمودا وان غلب اطلاقه على المذموم كما قال ولئن اتبعت أهواءهم (وأمم) جمع أمة فرقة من الناس (متفرقة) بتقديم التاء على الفاء من التفرق وبتقديم الفاء على التاء من الافتراق روايتان يعنى ان كل أمة كانت على دين واعتقاد وطريقة منهم من يعبد الاصنام ومنهم من يعبد الكواكب ومنهم يهودى ونصرانى ومنهم غير ذلك فنسخ الله بشرعه صلى الله عليه وسلم جميع الشرائع وجعل الدين دينا واحدا قيما من حاد عنه هلك وشقى فى الدارين وان حمل قوله وأجمع به بعد الفرقة على جمع العقائد والملل على التوحيد أو الاعم كان ما بعده عطف تفسير له (واجعل أمته) الذين أجابوه (خير أمة أخرجت) أوجدت وخلقت أو أخرجت من العدم (للناس) وفى التنزيل كنتم خير أمة الآية أى انه تعالى قضى بذلك وقدره أزلا وفى عالم الذر وقيل المراد كنتم مذكورين فى الامم الذين قبلكم موصوفين بذلك الخيرية بنبيكم ودينكم أو لما بينه بقوله تأمرون الخ ومر الكلام فيه (وأخرج البيهقى عن ابن عباس قال قدم الجارود) بن المعلى ويقال ابن عمرو بن المعلى العبدى أبو المنذر ويقال أبو غياث بمعجمة ومثلثة على الاصح ويقال بمهملة وموحدة اسمه بشر بن حنش بمهملة ونون مفتوحتين ثم معجمة وقيل مطرف وقيل غير ذلك لقب الجارود لانه غزا بكر بن وائل فاستأصلهم قال الشاعر

فدسناهم بالخيل من كل جانب * كما جرد الجارود بكر بن وائل

وحكى ابن السكن ان سبب تلقيبه بذلك ان ابل عبد القيس جربت وبقيت للجارود بقية من ابله فتوجه بها الى قديد بن سنان وهم اخواله فجربت ابل اخواله فقال الناس جردهم بشر فلقب الجارود (فأسلم) قال ابن اسحق وكان نصرانيا وحسن اسلامه وكان صلبا على دينه قال فى الاصابة قدم الجارود سنة عشر فى وفد عبد القيس الاخير وسر النبى صلى الله عليه وسلم باسلامه وروى الطبرانى عن أنس لما قدم الجارود وافدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فرح به وقربه وأدناه وروى الطبرانى أيضا عن الجارود قال أتيت النبى صلى الله

٢ قوله جربت وقوله فجربت كذا فى النسخ والمناسب لقوله جردهم بشر جردت فجردت وعبارة القاموس والجرد بالتحريك عيب معروف فى الدواب أو هو بالذال والجارود المشؤم ولقب بشر بن عمرو العبدى الصحابى لانه فر بابله الجرد الى أخواله ففشا الداء فى ابلهم فأهلكها اه

عليه وسلم فقلت انّ لى دينا فلى ان تركت دينى ودخلت فى دينك ان لا يعذبنى الله قال نعم (وقال) الجارود (والذى بعثك بالحق لقد وجدت صفتك فى الانجيل ولقد بشر بك ابن البتول) عيسى ابن مريم وقتل الجارود بأرض فارس بعقبة الطير فصار يقال لها عقبة الجارود وذلك سنة احدى وعشرين فى خلافة عمر وقيل قتل بنهاوند مع النعمان بن مقرن وقيل بقى الى خلافة عثمان قال أبو عمر من محاسن شعره

شهدت بأن الله حق وشابى * ثبات فؤادى بالشهادة والنهض
فأبلغ رسول الله عنى رسالة * بأنى حنيف حيث كنت من الارض
فان لا تكن دارى يثرب فيكم * فانى بكم عند الاقامة والخفض
وأجعل نفسى عند كل ملمة * لكم جنة من دون عرضكم عرضى

وابنه المنذر كان من رؤساء عبد القيس بالبصرة مدحه الاعشى وغيره وحفيده الحكم هو الذى يقول فيه الاعشى

يا حكم بن المنذر بن الجارود * سرادق المجد عليك ممدود
أنت الجواد ابن الجواد المحمود * نبت فى الجود وفى بيت الجود
والعود قد ينبت فى أصل العود

قال وكان الحجاج يحسد الحكم على هذه الابيات (وأخرج ابن سعد قال لما أمر ابراهيم الخليل باخراج هاجر) بالهاء ويقال بالالف والجيم من أرض الشام حين غارت منها سارة زوجه (حمل على البراق فكان لا يمر ابراهيم بأرض عذبة) أى عذب ماؤها (سهلة) لينة يمكن زرعها (الا قال أنزل) بصيغة المضارع وحذف همزة الاستفهام أى أأنزل (ههنا يا جبريل فيقول لا) ولم يزل كذلك (حتى أتى مكة) فالغاية لمقدر (فقال جبريل انزل يا ابراهيم قال حيث لا ضرع) بفتح الضاد وسكون الراء وهو لذات الظلف كالثدى للمرأة (ولا زرع) قال ذلك تعجبا من أمره له بنزوله فى موضع قفر أى كيف أنزل فى أرض لا أنيس بها ولا ما يتأتى به المعيشة (قال) جبريل (نعم ههنا يخرج النبى الذى من ذرية ابنك) اسمعيل (الذى تتم به الكلمة العليا) وهى كلمة الله وفى ذلك تسلية له وترغيب بنزول تلك الارض (وفى التوراة مما اختاروه) أى العلماء (بعد الحذف والتحريف والتبديل) الواقع من اليهود يحرّفون الكلم عن مواضعه (مما ذكره) العلامة محمد (بن ظفر) بفتح الظاء المعجمة والفاء (فى) كتاب (البشر) بكسر ففتح جمع البشر بفتحتين (وابن قتيبة فى) كتاب (أعلام النبوة تجلى) ظهر (الله من سينا) بالقصر جبل بالشام كذا فى القاموس (وأشرق) بالقاف (من ساعير) قال ابن ظفر كناية عن ظهور أنوار كلامه (واستعلن من جبال فاران) بفاء فألف فراء فألف فنون قال ابن ظفر أى ظهر أمره وكتابه وتوحيده وحمده وما شرعه رسوله من الاذان والتلبية (فسينا هو الجبل الذى كلم الله فيه موسى) واصطفاه وأرسله (وساعير هو الجبل الذى كلم الله فيه عيسى) يعنى أنزل عليه الانجيل ونبأه فيه كما يأتى عن ابن قتيبة لا أنه كلمه فيه كتكلامه لموسى فى الجبل كما يوهمه هذا الكلام وعبارة البشر وساعير جبل

بالشام

بالشام منه ظهرت نبوة المسيح واليه يشير قوله (فظهرت فيه نبوته وجبال فاران) الاضافة من اضافة الكل الى الجزء كأن هذه الجبال اشتهرت بذلك والا فلا معنى للاضافة هنا مع ان فاران أحدها (وهو اسم عبرانى) بكسر العين المهملة نسبة الى العبرانية وهو لغة اليهود (وليست ألفه الاولى) التالية للفاء (همزة هى جبال بنى هاشم التى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتحنث) بفتح التحتية والفوقية والحاء المهملة والنون الثقيلة ثم مثلثة يتعبد الليالى ذوات العدد (فى أحدها وفيه فاتحة الوحى) ابتداء انزاله عليه فهو جبل حراء (وهو أحد ثلاثة جبال أحدها أبو قبيس) بضم القاف وفتح الباء (والمقابل له قعيقعان) بقافين بعد كل عين مهملة وبعد الاولى تحتية آخره نون بعد ألف بصيغة التصغير جبل يشرف على الحرم من جهة الغرب (الى بطن الوادى والثالث الشرقى فاران) المعروف بحراء (ومنفضه) بميم فنون ففاء ففوقية فهملة فهاء أى المحل الذى يصعد منه اليه ويهبط (الذى يلى قعيقعان الى بطن الوادى وهو شعب بنى هاشم وفيه مولده صلى الله عليه وسلم على أحد الاقوال) والثانى بردم بنى جمح بمكة والثالث بزقاق المدك بمكة والرابع وهو شاذ أنه ولد بعسفان والصحيح الذى عليه الجمهور انه ولد بمكة واختلف فى عين المحل على الاقوال الثلاثة (قال ابن قتيبة وليس بهذا غموض) بمعجمتين أوله وآخره أى خفاء (لأن تجلى الله من سينا انزاله التوراة على موسى بطور سينا) قال فى الانوار جبل موسى بين مصر وأيلة وقيل بفلسطين وقد يقال له طور سينين ولا يخلو أن يكون الطور اسما للجبل وسينا اسم بقعة أضيف اليها أو المركب منهما علم له كامرئ القيس ومنع صرفه للتعريف والعجمة أو التأنيث على تأويل البقعة لا للألف لانه فيعال كديماس من السنا بالمد وهو الرفعة وبالقصر وهو النور (ويجب أن يكون اشراقه من ساعير انزاله على المسيح الانجيل وكان المسيح يسكن من ساعير أرض الخليل) ابراهيم (بقرية تدعى) تسمى (ناصرة) وبها ولد على ما فى البشر (باسمها تسمى من اتبعه نصارى) جمع نصران كندامى جمع ندمان (فكما وجب أن يكون اشراقه من ساعير انزاله على المسيح) الانجيل والنبوة (فكذلك يجب ان يكون استعلانه من جبال فاران انزاله القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم وهى جبال مكة) الثلاثة المتقدمة (وليس بين المسلمين وأهل الكتاب فى ذلك اختلاف فى أن فاران هى مكة) بدل من قوله فى ذلك لبيان اسم الاشارة لكن هذا يخالف ما قدمه ان فاران ليس مكة بل جبل من جبالها الا أن يقال هو اسم للجبل وسميت مكة باسمه لقربها منه وفى البشر وفاران هى مكة لا يخالف فى ذلك أحد من أهل الكتاب وفى التوراة وربى أى اسمعيل فى برية فاران فمكة هى منشأ اسمعيل وحيث ربى وفى جبال فاران أوحى الله الى محمد صلى الله عليه وسلم (وان ادعى) عن معاند (انها غير مكة قلنا أليس فى التوراة ان الله أسكن هاجر واسمعيل فاران) فان قالوا بلى طلبنا منهم تعيين ذلك المحل (وقلنا) لهم (دلونا على الموضع الذى استعلن الله) أى أظهر النبوة (منه واسمه فاران والنبى الذى أنزل عليه كتاب بعد المسيح) ابن مريم (أوليس استعلن وعلن بمعنى واحد) وبين الاول للتأكيد (وهو ما ظهر وانكشف فهل

تعلمون دينا ظهور ظهور الاسلام وفشا فى مشارق الارض ومغاربها فشوه) أى انتشر واتسع وبهذا غاير ظهر (وفى التوراة أيضا مما ذكره ابن ظفر) فى الصنف الذى لا ينكر أهل الكتاب مجيئه فى التوراة (خطابا لموسى والمراد به) أى الخطاب (الذين اختارهم) موسى ممن لم يعبد العجل (لميقات ربه) بأمره أى للوقت الذى وعده باتيانهم فيه ليعتذروا من عبادة أصحابهم العجل (الذين أخذتهم الرجفة) الزلزلة الشديدة قال ابن عباس لانهم لم يزايلوا قومهم حين عبدوا العجل قال وهم غير الذين سألوا الرؤية وأخذتهم الصاعقة (خصوصا ثم) خاطب (بنى اسرائيل عموما والله ربك يقيم نبيا من اخوتك فاستمع له) ما يخاطبه قومه تعنتا كما قال تعالى اخبارا عنهم وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله أو تأتينا آية أى هلا يكلمنا كما يكلم الملائكة أو يوحى الينا أنك رسوله أو تأتينا آية حجة على صدقه والاول استكبار والثانى جحود كما فى الانوار فهو تسلية لموسى عليه السلام (كالذى سمعت ربك فى حوريت) بحاء مهملة أوله وفوقية آخره قال فى القاموس موضع ولا نظير لها أى لهذه الكلمة (يوم الاجتماع حين قلت لا أعود أسمع صوت الله ربى لئلا أموت فقال الله تعالى نعم ما قالوا وسأقيم لهم نبيا مثلك من أخوتهم وأجعل كلامى فى فمه فيقول لهم كل شئ أمرته) وفى نسخة آمره (به وأيما رجل لم يطع من تكلم باسمى فأنى انتقم منه) وجوز شيخنا فى التقرير أن يكون هذا من باب واذ أخذ الله ميثاق النبيين أى استمع له اذا وجد وأنت حى كسماعك لربك وهذا بعيد جدا ولذا لم يذكره فى الشرح (قال) ابن ظفر (وفى هذا الكلام أدلة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم) من ثلاثة أوجه بينها فقال (فقوله) لفظه منها قوله (نبيا من اخوتهم وموسى وقومه من بنى اسحق واخوتهم من بنى اسمعيل ولو كان هذا النبى الموعود به من بنى اسحق لكان من أنفسهم لا من اخوتهم) كما قال عز وجل اخبارا بدعوة ابراهيم لولد اسمعيل ربنا وابعث فيهم رسولا منهم وكما قال سبحانه مخاطبا للعرب لقد جاءكم رسول من أنفسكم هذا تركه المصنف من كلام ابن ظفر (وأما) لفظه ومنها (قوله نبيا مثلك وقد قال فى التوراة لا يقوم فى بنى اسرائيل أحد مثل موسى) من أنفسهم فلا ينافى انه قام فيهم مثل موسى بل أجل وهو محمد عليه السلام لعموم دعوته لانه من بنى اسمعيل اخوتهم لا من أنفسهم فلا خلف بين هذا وقول التوراة السابق وسأقيم لهم نبيا مثلك (وفى ترجمة أخرى مثل موسى لا يقوم فى بنى اسرائيل أبدا) من أنفسهم (فذهبت اليهود الى ان هذا النبى الموعود به هو يوشع بن نون وذلك باطل لان يوشع لم يكن كفؤا لموسى عليه السلام بل كان خادما له فى حياته ومؤكدا الدعوته) وداعيا اليها (بعد وفاته فتعين ان يكون المراد به محمدا صلى الله عليه وسلم فانه كفؤ موسى لانه مماثله فى نصب الدعوة والتحدى بالمعجزة وشرع الاحكام) أى اظهارها والمجىء بها وان كان أصلها من الله (واجراء النسخ على الشرائع السالفة و) منها (قوله تعالى اجعل كلامى فى فمه فانه واضح فى ان المقصود به محمد صلى الله عليه وسلم لان معناه أوحى اليه بكلامى فينطق به على نحو) زائدة ولم تقع فى ابن ظفر انما قال على (ما سمعه ولا أنزل عليه صحفا ولا ألواحا) كما أنزلت عليك يا موسى (لانه أمى لا يحسن ان يقرأ المكتوب) مدة حياته وبقية كلام ابن ظفر وقوله ايما رجل لم

يطع

يطع من تكلم باسمي فاني انتقم منه دليل على كذب اليهود في قولهم ان الله أمرنا بمعصية كل نبي دعانا الى دين ينقض نسخا لبعض ما شرعه موسى هكذا مع قطعنا أنهم يكتمون الحق وهم يعلمون وانهم يحرفون الكلم عن مواضعه فان أهل الكتابين عرفوا محمدا صلى الله عليه وسلم كما عرفوا أبناءهم ووجدوه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل وتفاسيركم ما أظهروه ورضوا التفسير له بما حكيناه عن تراجمهم بلفظهم الذي اختاروه وأثبتوه في كتبهم ليكون ذلك أقطع لعذرهم وأحسم لروغانهم وقد صح انه صلى الله عليه وسلم أتى اليهود فقال اخرجوا الى أعلمكم فأخرجوا اليه عبدالله بن صوريا الاعور فقال له صلى الله عليه وسلم أنشدك الله الذي أطعم أسباطكم المن والسلوى وظلل عليهم الغمام أتعلم اني رسول الله فقال ابن صوريا اللهم نعم وان القوم ليعرفون من هذا ما أعرف وان نعتك لبين عندهم ولكن القوم حسدوك لانك عربي قال فأسلم قال اني أكره خلاف قومي وعسى ان يسلموا فأسلم انتهى (وفي الانجيل مما ذكره ابن طغربك) بضم الطاء المهملة وسكون المعجمة وضم الراء وفتح الموحدة ثم كاف علم مركب من طغر وبك للامام العلامة المحدث سيف الدين عمر بن أيوب الحميري التركماني الدمشقي الحنفي (في) كتاب (الدر المنتظم) في مولد النبي صلى الله عليه وسلم (قال يوحنا في انجيله) أضافه اليه لان عيسى لم تظهر دعوته في عصره وانما أخذ الانجيل عنه أربعة من الحواريين متى ويوحنا وقيسر ولوقا فتكلم كل واحد من هؤلاء بعبارة للائمة الذين تبعوا دعاءهم ولذا اختلفت الاناجيل الاربعة اختلافا شديدا قاله في المنتقى (عن المسيح انه قال أنا أطلب لكم من الاب ان يعطيكم فارقليط) قال المصنف في المقصد الثاني وأما البارقليط والفارقليط بالموحدة وبالفاء بدلها وفتح الراء والقاف وبسكون الراء مع فتح القاف وبفتح الراء مع سكون القاف وبكسر الراء وسكون القاف غير منصرف للعلمية والعجمة (آخر يثبت معكم الى الابد) آخر الدهر ببقاء دينه الى القيامة (روح الحق) اضافه اليه ليميزوه عن سائر المخلوقات بما خصه الله به من الكمالات (الذي لن يطيق العالم ان يقتلوه) وان أراد بعضهم ذلك (وهو عند ابن ظفر) في البشر (بلفظ ومما ترجموه في الانجيل أن عيسى قال (ان أحببتموني فاحفظوا وصيتي وأنا أطلب الى أبي) أي ربي كما يأتي (فيعطيكم فارقليط آخر يكون معكم الدهر كله) يبقى شريعته الى انقضاء الدهر (قال) ابن ظفر (فهذا تصريح بأن الله سيبعث اليهم من يقوم مقامه) أي عيسى (وينوب عنه في تبليغ رسالة ربه وسياسة خلقه منابه وتكون شريعته باقية مخلدة أبدا) الى يوم القيامة كما هو مفاد قوله الدهر كله (فهل هذا الا محمد صلى الله عليه وسلم) صاحب النبوة الخاتمة (انتهى ولم يذكر فصول) أي أنواع المسائل التي ذكر فيها (الفارقليط كما أفاده ابن طغربك سوى يوحنا دون غيره من نقلة الانجيل) ومن حفظ حجة (وقد اختلف النصارى في تفسير الفارقليط) قال ابن ظفر والذي صح عندي من ذلك عنهم انه الحكيم الذي يعرف السر (فقيل هو الحامد وقيل هو المخلص) بشد اللام اسم فاعل (فان وافقناهم على انه المخلص أفضى بنا الامر الى ان المخلص رسول يأتي لخلاص العالم) من الهلاك باخراجهم من الكفر الى الايمان (وذلك من غرضنا لان كل نبي مخلص لامته من الكفر ويشهد

أنه قول المسيح في الانجيل انى جئت لخلاص العالم فاذا ثبت ان المسيح هو الذى وصف نفسه بأنه مخلص العالم وهو الذى سأل الأب ان يعطيهم فارقليط آخر ففي مقتضى اللفظ مايدل على انه قد تقدم فارقليط أول حتى يأتى فارقليط آخر) وهو محمد صلى الله عليه وسلم (وان) بكسر فسكون شرطية (تنزلنا معهم) ووافقناهم (على القول بأنه الحامد) وجواب الشرط هو (فأى لفظ أقرب الى أحمد ومحمد من هذا) الذى هو الحامد (قال ابن ظفر) محمد في البشر (وفي الانجيل مما ترجموه مايدل على ان الفارقليط الرسول فانه قال ان هذا الكلام الذى يسمعونه ليس هو لى بل الاب) أى الرب (الذى أرسلنى بهذا الكلام لكم) لفظ ابن ظفر كلمتكم بهذا وأنا معكم (وأما البارقليط روح القدس الذى يرسله أبى باسمى فهو يعلمكم كل شئ وهو يذكركم) بالتثقيل (كل ماقلته لكم) لفظه جميع ما أقول لكم فهذا يفهم منه ان الفارقليط الرسول (فهل بعد هذا بيان أليس هذا صريحا فى أن الفارقليط رسول يرسله الله تعالى وهو روح القدس وهو يصدق) بشد الدال المكسورة (بالمسيح ويظهر اسمه انه رسول حق من الله) وعبده (وليس باله) كما زعموا فضلوا (وهو يعلم الخلق كل شئ ويذكرهم كل ما) أى شئ (قاله) لهم (المسيح عليه السلام وكل ما أمرهم به المسيح (من توحيد الله) بنحو قوله اعبدوا الله ربى وربكم انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار فهل جاء بهذا الا محمد صلى الله عليه وسلم (وأما قوله أبى فهذه اللفظة مبدلة محرفة و) مع ذلك (ليست منكرة الاستعمال عند أهل الكتابين) يقولها المتكلم (اشارة الى الرب سبحانه وتعالى لانها عندهم لفظة تعظيم يخاطب بها المتعلم معلمه الذى يستمد منه العلم) وهو شيخه (ومن المشهور مخاطبة النصارى عظماء دينهم بالآباء الروحانية) بضم الراء (ولم تزل بنو اسرائيل) يعقوب (وبنو) أخيه (عيصو) بكسر العين المهملة واسكان الياء ومهملة (يقولون نحن أبناء الله بسوء فهمهم عن الله تعالى) زاد ابن ظفر واختلال بصائرهم فى التلقى عن أنبيائه وقد قرأت فى التوراة مما أساؤا الترجمة عنه فنظر الرب وسخط حين أغضبه بنوه وبناته وقال سأعرض بوجهى عنهم وأنظر الى مايصير عاقبتهم لانهم خلف أعوج أبناء ليس لهم ايمان (وأما قوله يرسله أبى باسمى فهو اشارة الى شهادة المصطفى له) لعيسى (بالصدق والرسالة وما تضمنه القرآن من مدحه) وتنزيهه (عما افترى فى أمره) لفظ ابن ظفر عما افتراه فى أمره اليهود وعبارة المصنف أشمل (وفى ترجمة أخرى للانجيل انه قال البارقليط اذا جاء وبخ العالم على الخطيئة ولا يقول من تلقاء نفسه) واستأنف قوله (ما) أى الذى (يسمع) من ربه بواسطة الوحى فى أغلب الاحوال هو الذى (يكلمهم به ويسوسهم) يدبرهم ويقوم بأمرهم (بالحق ويخبرهم بالحوادث) والغيوب التى كانت وتكون الى يوم القيامة (وهو عند ابن ظفر بلفظ فاذا جاء روح الحق ليس ينطق من عنده) بجر الظرف بمن (بل يتكلم بكل مايسمع) أى يسمعه (من الله) بالوحى (ويخبرهم عما يأتى وهو يمجدنى لانه يأخذ مما هو لى ويخبركم فقوله ليس ينطق من عنده) مبتدأ وعطف عليه قوله (وفى الرواية الاخرى) التى فوق هذه (ولا يقول من تلقاء نفسه بل يتكلم بكل مايسمع من الله الذى

ارسله

أرسله وهذا كما قال تعالى) في القرآن (في صفته صلى الله عليه وسلم وما ينطق عن الهوى) هوى نفسه (ان هو الا وحي يوحى) جملة معترضة لبيان ان ما في الانجيل موافق للقرآن وعطف على المبتدأ أيضا فقال (وقوله وهو يمجدني) وحذف الخبر وهو دليل على ان المقول فيه ذلك هو محمد صلى الله عليه وسلم وعلل هذا الخبر المقدر بقوله (فلم يمجده حق تمجيده الا) بمعنى غير (محمد صلى الله عليه وسلم لانه وصفه بأنه رسول الله وبرأ أمه وبرأ آمنه) مريم (عليهما السلام مما نسب اليهما وأمر أمته بذلك قال ابن ظفر) محمد في البشر (فمن ذا الذي وبخ العلماء على كتمان الحق وتحريف الكلم عن مواضعه وبيع الدين بالثمن البخس) من عرض الدنيا واتخاذهم أربابا من دون الله (ومن ذا الذي أنذر بالحوادث وأخبر بالغيوب الا محمد صلى الله عليه وسلم) فوقعت كما قال ومالم يقع لابد من وقوعه كما قال (ولله در أبي محمد عبد الله الشقراطسي حيث قال في قصيدته) اللامية المشهورة

(توراة موسى أتت عنه فصدقها * انجيل عيسى بحق غير مفتعل
أخبار أحبار تلك الكتب قد وردت * عما رأوا ورووا في الاعصر الاول

ويعجبني قول العارف الرباني أبي عبد الله بن النعمان حيث قال

هذا النبي محمد جاءت له * توراة موسى للانام تبشر
وكذا انجيل المسيح موافق * ذكر الاحمد معرب ومذكر

ويرحم الله ابن جابر محمدا حيث قال

لبعثه في كل جيل علامة * على ما جلته الكتب من أمره الجلي
فجاء به انجيل عيسى بآخر * كما قد مضت توراة موسى بأول)

والابيات الستة غنية عن الشرح وقد اعترض على المصنف وغيره ممن أكثر النقل عن التوراة والانجيل وغيرهما من الكتب المنسوخة فالاشتغال بها ينافي الغرض من نسخها وقد حرم الفقهاء قراءتها والنظر فيها وأنها محرفة مبدلة ثم اختلفوا هل التحريف بالزيادة والنقص أو بتأويلها وتفسيرها بغير المراد منها وأجيب بأنه لا مانع من قراءتها للعارف الفطن لمعرفة النبي صلى الله عليه وسلم فيها ولالزامهم بما أنكروه وكيف يحرم لمثل هذا وقد قال تعالى قل فأتوا بالتوراة فاتلوها ووقع في أحاديث النقل عنها وقال التجاني في شرح الشفاء اذا وجد فيها ما يقوم النظر على عدم تبديله وأفاد النظر فيه مقصدا شرعيا فلا يبعد أن يباح النظر فيه والاشتغال به (وفي الدلائل للبيهقي عن) شيخه (الحاكم) أبي عبد الله المشهور (بسند لا بأس به عن أبي امامة الباهلي) صدى بالتصغير ابن عجلان الصحابي المشهور سكن الشام ومات بها سنة ست وثمانين (عن هشام بن العاصي الاموي) بضم الهمزة نسبة الى أمية على القياس وبفتحها على خلافه وهو الاشهر عندهم تقدم مرارا (قال بعثت أنا ورجل آخر) من قريش كما في نفس رواية البيهقي أي في زمن الصديق (الى هرقل) بكسر الهاء واسكان الراء وفتح القاف على المشهور (صاحب الروم ندعوه الى الاسلام فذكر الحديث) وهو فنزلنا على جبلة فدعوناه الى الاسلام فاذا عليه ثياب سود فسألناه عن ذلك قال حلفت أن لا أنزعها حتى أخرجكم من الشام فقلنا له والله لنأخذن

يخيفك هذا اولنا خذتن ملك الملك الاعظم أخبرنا بهذا نبينا قال لستم بهم ثم ذكر قصة دخولهم على هرقل (وأنه أرسل اليهم ليلا) واستخلى بهم (قال فدخلنا عليه فدعا بشئ كهيئة الربعة العظيمة مذهبة فيها بيوت صغار عليها أبواب ففتح واستخرج) أى أخرج (حريرة سوداء فنشرها فاذا فيها صورة حمراء واذا رجل) أى واذا تلك الصورة صورة رجل (ضخم العينين عظيم الاليتين لم أر مثل طول عنقه واذا له ضفيرتان) بالضاد المعجمة خصلتان من الشعر (أحسن ما خلق الله تعالى قال أتعرفون هذا قلنا لا قال هذا آدم عليه السلام ثم فتح بابا آخر فاستخرج حريرة سوداء واذا فيها صورة بيضاء فاذا رجل أحمر العينين ضخم الهامة) عظيم الرأس (حسن اللحية فقال أتعرفون هذا قلنا لا قال هذا نوح عليه السلام ثم فتح بابا آخر وأخرج حريرة فاذا فيها صورة بيضاء واذا فيها والله رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أتعرفون هذا) أسقط من رواية البيهقى فبكينا و (قلنا نعم محمد رسول الله ونبينا والله انه) أى هرقل (قام قائما ثم جلس) تعظيما لصورته (وقال انه لهو قلنا نعم انه لهو كأنك تنظر اليه فأمسك ساعة) مدة من الزمن (ينظر اليها ثم قال أما) بالفتح والتخفيف (والله انه لآخر البيوت ولكن عجلته لكم لانظر ما عندكم) من العلم بنبيكم (الحديث وفيه ذكر صور الانبياء ابراهيم وموسى وعيسى وسليمان وغيرهم قال فقلنا له من أين لك هذه الصور فقال ان آدم سأل ربه ان يريه الانبياء من ولده فأنزل عليه صورهم) اجابة لسؤاله (فكان فى خزانة آدم) أى ذلك المنزل من صورهم مع صورة آدم (عند مغرب الشمس فاستخرجها ذو القرنين من مغرب الشمس فدفعها الى دانيال) النبى عليه السلام ثم تنقلت الى ان وصلت الى هرقل وفى بقية خبر البيهقى ثم قال هرقل لو طابت نفسى بالخروج من ملكى لوددت انى كنت عبد الاميركم حتى أموت قال فلما رجعنا حدثنا أبا بكر فبكى ثم قال لو أراد الله به خيرا لفعل ثم قال أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم انهم واليهود يعرفون نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى الاصابة وقد تقدم فى ترجمة عدى بن كعب نحو هذه القصة لكن فيها انه هشام بن العاصى السهمى فالله أعلم وقال فيما تقدم لا أعرف نسب عدى بن كعب وروى المعافى فى الجليس عن عبادة بن الصامت قال بعثنى أبو بكر ومعى عمرو بن العاصى وأخوه هشام بن العاصى وعدى بن كعب ونعيم بن عبد الله الى ملك الروم فدخلنا على جبلة فذكر قصة طويلة نحو ورقتين واسناده ضعيف وقد أخرجها البيهقى عن هشام بن العاصى الاموى (وفى زبور داود عليه السلام من مزمور) مفرد مزامير كمزمار (أربعة وأربعين) أى المتمم لها وهى ما كان يتغنى به من الزبور وضروب الدعاء (فاضت النعمة من شفتيك من أجل هذا باركك) أى جعلك (الله) مباركا وفى ابن ظفر عن الزبور مخاطبا المصطفى لتنزيله منزلة الموجود لتحققه عنده فاضت الرحمة على شفتيك من أجل ذلك أبارك عليك الى الابد (تقلد) أمر (أيها الجبار) من أسمائه صلى الله عليه وسلم لجبره الخلق على الحق وصرفهم عن الكفر أولا صلاحه أمته بالهداية والتعليم أو لقهر أعدائه أو لعلو منزلته على الخلق وعظيم خطره ونفى تعالى عنه جبرية التكبر فقال وما أنت عليهم بجبار (سيفك) أى اجعل حمائله على عاتقك واجعله كالقلادة وفيه اشارة الى انه سيؤمر بالجهاد (فان

شرائعك) جمع شريعة (وسنتك) كذا في النسخ والذي قدمه المصنف في الاسماء ومثله في الشفاء وابن ظفر وابن دحية فان ناموسك وشرائعك والمراد بالناموس الوحي النازل عليك ويحتمل ان شرائع عطف تفسير ولذا وحد الخبر في قوله (مقرونة بهيبة يمينك) أي بالخوف من سيفك فكنى عنه بذلك أو تجوز باليمين عما فيه (وسهامك مسنونة وجميع الامم يخزون تحتك) بالمعجمة من الخزو وهو السقوط أي يخضعون ويذلون لك (فهذا المزمور ينوه) يرفع (بمحمد صلى الله عليه وسلم فالنعمة التي فاضت من شفتيه هو القول الذي يقوله وهو الكتاب الذي أنزل عليه) أي القرآن (والسنة التي سنها) اذ لا ينطق عن الهوى (وفي قوله تقلد سيفك أيها الجبار دلالة على انه النبي العربي اذ ليس يتقلد السيف أمة من الامم الا العرب وكلهم يتقلدونها على عواتقهم) بخلاف غيرهم فيجعلونها في أوساطهم (وفي قوله فان شرائعك وسنتك نص صريح على انه صاحب شريعة وسنة وأنها تقوم بسيفه) قهرا على من خالف (والجبار الذي يجبر الخلق بالسيف على الحق) وهو التوحيد (ويصرفهم عن الكفر) وهو ما خالف الايمان والتوحيد (جبرا) عليهم كما قال أمرت ان أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله (وعن وهب بن منبه) بضم الميم وفتح النون وكسر الموحدة الثقيلة ابن كامل اليماني أبي عبد الله الابناوي بفتح الهمزة وسكون الباء بعدها نون تابعي ثقة روى له الشيخان وغيرهما مات سنة بضع عشرة ومائة (قال قرأت في بعض الكتب القديمة قال الله تبارك وتعالى وعزتي وجلالي لأنزلن على جبال العرب) أهل مكة وما حولها (نورا املأ ما بين المشرق والمغرب ولأخرجن من ولد اسمعيل) بن ابراهيم (نبيا) رسولا (عربيا أميا) لا يقرأ ولا يكتب (يؤمن به عدد نجوم السماء ونبات الارض كلهم يؤمن بي ربا وبه رسولا ويكفرون بملل) بلا مين جمع ملة (آبائهم ويفرون منها) من الفرار أي يهربون (قال موسى) بن عمران عليه السلام (سبحانك) تنزيها لك عما لا يليق بك (وتقدست أسماؤك ولقد كرمت) فضلت (هذا النبي وشرفته) على من سواه (قال الله ياموسى اني أنتقم من عدوه) الكفار (في الدنيا) بالقتل والاسر والاجلاء والقحط والسنين وغير ذلك (و) في (الآخرة) بالعذاب المخلد (وأظهر دعوته على كل دعوة) وسلطانه ومن اتبعه على البر والبحر وأخرج لهم من كنوز الارض هذا تركه المصنف من البشر قبل قوله (وأذل من خالف شريعته) ولو كان له سلطان فهو أبدا ذليل خائف من سطوة الاسلام وعزه (وبالعدل الانصاف (زينته والقسط) أي العدل (أخرجته) فلا يحكم ولا يأمر الا به (وعزتي لاستنقذن به أمما من النار فتحت الدنيا بابراهيم وختمتها بمحمد) مثل كتابه الذي يجيء به فاعقلوه يأتي أمر اسرائيل كمثل السقاء المملوء لبنا يمخض فيخرج زبدا بكتابه أختم الكتب وبشريعته أختم الشرائع هذا أسقطه المصنف من كتاب البشر قبل قوله (فمن أدركه ولم يؤمن) يصدق (به) باطنا (ولم يدخل في شريعته) ظاهرا (فهو من الله بريء) ذكره ابن ظفر في البشر (وغيره) وبقيته أجعل أمته يبنون في مشارق الارض ومغاربها مساجد اذا ذكر اسمي فيها ذكر اسم ذلك النبي معي لا يزول ذكره من الدنيا حتى تزول

(* النوع الخامس في آيات تتضمن اقسامه تعالى على تحقيق رسالته) ثبوتها (وثبوت ما أوحى اليه) مستفاد من سابقه لانه متى تحققت رسالته قطع بصدقه في كل ما يقول وقد أخبر بأن القرآن من الله فيكون حقا لكنه أراد التنبيه على انه أقسم عليه بخصوصه اعتناء بشأنه وسئل ما معنى القسم منه سبحانه مع ان القصد به تحقيق الخبر وتوكيده فان كان لاجل المؤمن فهو مصدق بمجرد الاخبار بلا قسم وان كان للكافر فلا يفيد فيه وأجيب بأن القرآن نزل بلغة العرب ومن عادتها القسم اذا أرادت توكيد أمر وأجاب القشيري بأن الله أقسم لكمال الحجة وتوكيدها لان الحاكم يفصل اما بالشهادة واما بالقسم فذكر الله تعالى في كتابه النوعين حتى لا يبقى لهم حجة فقال شهد الله الآية وقال قل اي وربي انه لحق (من آياته) القرآن وهو الظاهر من استدلاله عليه بقوله الآتي انه لقرآن كريم ويحتمل ما هو أعم ودليله والنجم الى قوله ان هو الا وحي (وعلو) أي ارتفاع (رتبته) منزلته (الرفيعة) العلية الشريفة فهو من الوصف بالمساوي حسنه اختلاف اللفظ وهو سائغ شائع كقوله تعالى صلوات من ربهم ورحمة (ومكانته) أي مرتبته المعنوية وهي الرفعة فهو عطف تفسير والمكان معروف اذا زيدت فيه الهاء أريد به المرتبة المعنوية كالمنزل والمنزلة (وهذا النوع أعزك الله) جملة معترضة دعائية (لخصت أكثره من كتاب أقسام القرآن للامام العلامة ابن القيم) محمد بن أبي بكر (مع زيادات من فرائد) أي نفائس (الفوائد) وغرائبها وهي الجواهر النفيسة فهي من اضافة الصفة للموصوف أي الفرائد النفيسة كالجواهر أو حقيقية * واذا أردت ذلك (فاعلم ان الله تعالى أقسم بأمور على أمور وانما أقسم بنفسه) أي بالالفاظ الدالة على ذاته (الموصوفة بصفاته) وذلك في سبعة مواضع من القرآن قل اي وربي انه لحق وقوله قل بلى وربي فوربك لنحشرنهم فوربك لنسألنهم فلا وربك لا يؤمنون فورب السماء والارض انه لحق فلا أقسم برب المشارق والمغارب والباقي كله أقسم بمخلوقاته كما قال (و) أقسم (بآياته المستلزمة لذاته وصفاته) لدلالة الآيات على الصانع وأورد كيف أقسم بالخلق وقد ورد النهي عن القسم بغير الله أجيب بأن المراد بنحو قوله والقلم ورب القلم وكذا الباقي وبأن العرب كانت تعظم هذه الاشياء وتقسم بها فنزل القرآن على ما تعرفه وبأن الاقسام انما يكون بما يعظمه المقسم ويجله وهو فوقه والله تعالى ليس فوقه شئ فأقسم تارة بنفسه وتارة بمصنوعاته لانها تدل على بارئ وصانع (واقسامه ببعض مخلوقاته دليل على انه) أي ذلك البعض (من عظيم آياته) من اضافة الصفة للموصوف قال ابن القيم والقسم اما على جملة خبرية وهو الغالب كقوله فورب السماء والارض انه لحق واما على جملة طلبية كقوله فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون مع ان هذا القسم قد يراد به تحقيق المقسم عليه فيكون من باب الخبر وقد يراد به تحقيق المقسم به والمقسم عليه ويراد بالقسم توكيده وتحقيقه (ثم تعالى تارة يذكر جواب القسم وهو الغالب وتارة يحذفه وتارة يقسم على ان القرآن حق وتارة على ان الرسول حق وتارة على ان الجزاء والوعد) بالخير (والوعيد) بالشر (حق فالاول) وهو أن القرآن حق (كقوله تعالى فلا أقسم) بزيادة لا (بمواقع النجوم) بمساقطها لغروبها

(وانه) أى القسم بها (لقسم لو تعلمون عظيم) أى لو كنتم من ذوى العلم لعلمتم عظم هذا القسم (انه) أى المتلو عليكم (لقرآن كريم) كثير النفع لاشتماله على أصول العلوم المهمة فى اصلاح المعاش والمعاد أو حسن مرضى فى جنسه (فى كتاب) مكتوب (مكنون) مصون وهو المصحف (لا يمسه) خبر بمعنى النهى (الا المطهرون) أى الذين طهروا أنفسهم من الاحداث ويأتى بسط هذا (والثانى كقوله تعالى يس والقرآن الحكيم) المحكم بعجيب النظم وبديع المعانى (انك لمن المرسلين على صراط مستقيم) أى طريق الانبياء قبلك التوحيد والهدى والتأكيد بالقسم وغيره رد لقول الكفار لست مرسلا (والثالث كقوله والذاريات) الرياح تذرو التراب وغيره (ذروا الى قوله وان الدين) الجزاء بعد الحساب (لواقع) لا محالة (وهذه الامور الثلاثة) القرآن والرسول والمعاد المعبر عنه أولا بالجزاء والوعد والوعيد (متلازمة فمتى ثبت ان الرسول حق ثبت ان القرآن حق) لان الرسول أخبر بأنه من عند الله ومحال على الرسول الكذب (وثبت المعاد) الرجوع يوم القيامة الذى أخبر به (ومتى ثبت أن القرآن حق ثبت صدق الرسول الذى جاء به ومتى ثبت ان الوعد والوعيد حق ثبت صدق الرسول الذى جاء به) لاستحالة خلاف صدقه مع حقيتهما (وفى هذا النوع خمسة فصول)

(* الفصل الاول فى قسمه تعالى على ما خصه به من الخلق العظيم وحباه) بموحدة أعطاه بلا أجر فلم يحتج الى ان يقول به ولا الى تبيينه وأما قوله (من الفضل العميم) فبيان لما المستفادة من العطف (قال الله تعالى ن والقلم وما يسطرون) قال ابن عطية معناه يكتبون سطورا فان أراد الملائكة فهو كتب الاعمال وما يوزن به وان أراد بنى آدم فهى الكتب المنزلة والعلوم وما يجرى مجراها (ما أنت بنعمة ربك بمجنون) أى انتفى الجنون عنك بسبب انعام ربك عليك بالنبوة وغيرها وهذا رد لقولهم انه مجنون (وان لك لاجرا) ثوابا (غير ممنون) منقطع (وانك لعلى خلق عظيم) أتى بعلى اشارة لاستعلائه عليه لكونه مجبولا عليه بغير تكلف (ن من أسماء الحروف كالم والمص وق واختلف فيها فقيل هى أسماء للقرآن) قاله مجاهد رواه ابن جرير وقتادة ورواه عبد بن حميد أى ان فاتحة كل سورة ابتدئت بنحو هذه الاحرف اسم للقرآن بتمامه ولذا أخبر عنها بالكتاب فى قوله الر كتاب أنزلناه والقرآن فى قوله الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين (وقيل أسماء للسور) وهو قول أكثر المتكلمين واختيار الخليل وسيبويه قاله الامام الرازى وقد نقض هذا القول بأمور أحسنها ان أسماء السور توقيفية ولم يرد مرفوعا ولا موقوفا عن أحد من الصحابة ولا التابعين ان هذه أسماء للسور فوجب الغاء هذا القول ونقضه الرازى بأنها لو كانت أسماء لها لوجب اشتهارها بها وقد اشتهرت بغيرها كسورة البقرة وآل عمران (وقيل اسماء الله) قاله ابن عباس أخرجه ابن المنذر وابن جرير وابن أبى حاتم وابن مردوية والبيهقى باسناد صحيح (ويدل عليه ان عليا رضى الله عنه كان يقول يا كهيعص يا حمعسق) أخرجه ابن ماجه فى تفسيره عن فاطمة بنت على بن أبى طالب انها سمعته يقول يا كهيعص اغفر لى (كما قيل) ان قول على

فلا يدل على انها أسماء الله (ولعله أرادبا منزلهما) كما قال البيضاوى فلايدل على ذلك قال السيوطى يرده ما أخرجه ابن أبى حاتم عن الربيع بن أنس فى قوله كهيعص ان معناه يامن يجير ولا يجار عليه ومثله ما أخرجه عن أشهب قال سألت مالكا أينبغى لاحد أن يسمى يس قال لا يقول الله يس والقرآن الحكيم يقول هذا اسمى قسميت به وكذا حديث ان بيتم الليلة فقولوا حم لا ينصرون (وقيل انه سر) أى أمر خفى (أستأثر الله بعلمه) أخرجه أبو الشيخ وابن المنذر عن داود بن أبى هند قال كنت أسأل الشعبى عن فواتح السور فقال ياداود ان لكل كتاب سرا وان سر هذا القرآن فواتحه فدعها وسل عما بدا لك (وقد روى عن الخلفاء الاربعة وغيرهم من الصحابة) فحكاه الثعلبى وغيره عن أبى بكر وعلى وكثير وحكاه السمرقندى عن عمر وعثمان وابن مسعود ونقله الرازى عن ابن عباس (ما يقرب منه) وحكاه القرطبى عن الثورى والربيع بن خيثمة وابن الانبارى وأبى حاتم وجماعة من المحدثين واختاره ومال اليه الرازى (ولعلهم أرادوا أنها اسرار بين الله ورسوله لم يقصد بها افهام غيره) لأنه أمر انفرد بعلمه تعالى كما قد يقتضيه لفظ استأثر (اذ يبعد الخطاب من الله) لرسوله (بما لا يفيد) وهذه عبارة البيضاوى فى أول البقرة وما ترجاه جزم به العلم السخاوى فقال المروى عن الصدر الاول فى التهجى انها أسرار بين الله وبين نبيه صلوات الله عليه وقد يجرى بين المحترمين كلمات معميات تشير الى سر بينهما وتفيد تحريض الحاضرين على استماع ما بعد ذلك وهذا معنى قول السلف حروف التهجى ابتلاء لتصديق المؤمنين وتكذيب الكافرين هذا وهى أعلام توقظ من رقدة الغفلة بنصح التعليم وتنشط فى القاء السمع على شهود القلب للتعظيم انتهى (وهل المراد بقوله هنا ن اسم الحوت) أوغيره فيه خلاف فحذف عديل هل اعلمه من قوله الآتى وقيل المراد الدواة (و) على القول بأنه الحوت (هل المراد به الجنس) يعنى أى حوت كان (أو البهموت وهو الذى عليه الارض) وبهذا علم سقوط دعوى زيادة هل الثانية (وقيل المراد به الدواة) علله البيضاوى بأن بعض الحيتان يستخرج منه شئ أشد سوادا من الحبر يكتب به (وهو مروى عن ابن عباس) وقتادة والضحاك قال ابن عطية فهذا اما ان يكون لغة لبعض العرب أو تكون لفظة أعجمية عربت وقال الشاعر

اذا ما الشوق برح بى اليهم * ألقت النون بالدمع السجوم

فمن قال انه اسم الحوت جعل القلم القلم الذى خلقه الله وأمره بكتب الكائنات وجعل ضمير يسطرون للملائكة ومن قال اسم للدواة جعل القلم هذا المتعارف بين الناس ونصر ذلك ابن عباس وجعل الضمير فى يسطرون للناس (ويكون هذا قسما بالدواة والقلم) الذى يكتب به (فان المنفعة بهما بسبب الكتابة عظيمة فان التفاهم تارة يحصل بالنطق وتارة بالكتابة) وفى ابن عطية فجاء القسم على هذا بمجموع أمر الكتاب الذى هو قوام للعلوم والمعارف وأمور الدنيا والآخرة فان القلم أخو اللسان وفطنة الفطنة ونعمة من الله عامة انتهى (وقيل ان نون) بالفتح بلا تنوين اسم ان أو بالسكون على الحكاية وقرئ ن بالفتح والكسر كص (لوح من نور تكتب فيه الملائكة ما يأمرهم به الله رواه معاوية بن قرة) بضم

القاف وشد الراء ابن اياس بن هلال المزني أبو اياس البصري التابعي الثقة من رجال الجميع مات سنة ثلاث عشرة ومائة وهو ابن ست وسبعين سنة (مرفوعا) مرسلا (و) على المروي عن ابن عباس ان المراد به الدواة فقد (أقسم تعالى بالكتاب) أي بمجموع أمر الكتاب كما مرّ عن ابن عطية وهو الدواة (وآلته) أي الكتاب بمعنى المكتوب (وهو القلم) وأبعد من قال أي في قوله حم والكتاب المبين وفي قوله يس والقرآن الحكيم لانّ بقية السياق تردّه وأقواه قوله على تنزيه نبيه بقوله ما أنت (الذي هو أحد آياته) هذا لا يظهر على قوله السابق بالدواة والقلم الخ ثم هو ظاهر على انه الذي خط في اللوح لكن قد علمت ان ابن عطية اقتصر على أن ن اسم للحوت وان من قال اسم للدواة يجعل القلم هذا المتعارف (وأول مخلوقاته) في أحد القولين والاصح ان العرش خلق قبله كما مرّ (الذي جرى به قدره وشرعه وكتب به الوحي) أي بالقلم لا بالمعنى السابق الذي هو أول المخلوقات بل القلم الذي كتب به الوحي بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم ففيه استخدام ويحتمل رجوعه اليه بالمعنى الاول على ضرب من المجاز بأن يراد بالوحي الموحى أي كتب به الموحى ويؤيد الاستخدام قوله (وقيد به الدين) أي حفظه بكتابة ما يدل عليه (وأثبت به الشريعة وحفظت به العلوم وقامت به مصالح العباد في المعاش) والمعاد فان هذه كلها صفات للقلم الذي يخط به الناس لاسيما قوله (وأقام به في الناس أبلغ خطيب) بكتابة ما حصل للخطيب به الرفعة على غيره واتصافه بقوله (وأفصحه وأنفعه لهم وأنصحه وواعظا تشفي مواعظه القلوب من السقم) وبالجملة فقد لفق المصنف بين القولين في القلم (وطبيبا يبرئ) بضم التحتية وبالهمز من أبرأه الله من المرض (باريه) أي الذي يبري القلم للكتابة به والياء أصلية أو منقلبة عن واو ولانّ في المصباح بريت القلم بريا من باب رمى فهو مبري وبروته لغة (من أنواع الالم) أي المرض وذكر صلة قوله وأقسم الله (على تنزيه نبيه ورسوله محمد المحمود) الممدوح (في كل أقواله وأفعاله) وهو من أسمائه صلى الله عليه وسلم (عما غمصته) بفتح الغين المعجمة وكسر الميم وفتحها وفتح الصاد مهملة ومعجمة احتقرته وعابته (أعداؤه الكفرة) قال ابن حبيب في غريب الموطا الغمص بضاد معجمة تصغير النعمة وتحقيرها وبصاد مهملة اذا اصغر الناس وازدرى بهم واستحسن هذا الفرق بعد أن قال انهما سواء (وتكذيبهم له) بالجر عطف على ما أي نزهه عن تكذيبهم له وهو واقع (بقوله تعالى ما أنت بنعمة ربك بمجنون) لانّ معنى الآية بسبب انه تعالى أنعم عليك بكمال العقل والمعرفة فأفادت تنزيهه عن الكذب وان تكذيبهم له كلا تكذيب لعدم الاعتداد به مع قيام الدليل على خلافه (وكيف يرمى بالجنون) استفهام انكاري وهو أن يكون ما بعد أداته غير واقع ومدعيه كاذبا (من أتى بما عجزت العقلاء قاطبة) أي جميعا (عن معارضته وكلت) أعيت وعجزت (عن مماثلته وعرّفهم عن الحق) سبحانه (بما لا تهتدي اليه عقولهم بحيث اذعنت) انقادت (له عقول العقلاء) ولم تستعص عليه (وخضعت) ذلت (له ألباب) جمع لب بزنة قفل وأقفال (الالباء) جمع لبيب بزنة أشحاء وشحيح أي عقول أصحاب العقول الراجحة (وتلاشت) أي خست حتى صارت

بالجزرة الصدم (فى جنب ما باء به بحيث لم يسعها الا التسليم والانقياد والاذعان) عطف خاص على عام لانه انقياد بلا استعصاء بخلاف مطلق الانقياد فقد يكون معه استعصاء
(طائعة مختارة فهو الذى يكمل) بشد الميم المكسورة (عقولها تكمل الطفل برضاع
قوله تكمل الطفل فى نسخة المتن كما يكمل الطفل اهـ
الثدى ثم) بعد أن نزهه وبرأه (أخبر تعالى عن كمال شريعة نبيه فى دنياه وآخرته) لفظ الشفاء ثم أعلمه سبحانه بما له عنده من نعيم دائم وثواب غير منقطع لا يأخذه العد ولا يمتن به عليه (فقال) بالفاء لتفرعه على ما قبله من الاخبار أو تفصيل له فى الجملة (وان لك لأجرا غير ممنون) وعطفه أولا بثم اشارة الى بعد ما بين الامرين تعبه السريع الانقطاع ونعيمه الدائم الواقع فى مقابلة تكذيبهم له والاجر المضاعف على عمله وصبره على طعنهم ورميهم له بما لا يليق ففيه تسلية له صلى الله عليه وسلم كأنه قيل لا تحزن فقد تبين كذبهم بداهة فلا نقص يعود عليك مما قالوه فلك نعيم مؤبد فى مقابلته والصبر على الشدائد والمقاساة فى التبليغ ففيه تثبيت وتحضيض (أى ثوابا) تفسير لاجرا (غير منقطع بل هو دائم) تفسير لقوله غير ممنون وفى ابن عطية اختلف فى معنى ممنون فأكثر المفسرين انه الواهن المنقطع وقيل ضعيف وقيل غير ممنون عليك أى لا يكدره من به وقال مجاهد معناه غير محصور ولا محسوب أى بغير حساب انتهى (ونكر الاجر للتعظيم أى أجرا عظيما لا يدركه الوصف ولا يناله التعبير) المتعارف للناس أى يقصر عن أدائه لكثرته وأتى بتأكيدات أربع للاهتمام والتقرير والانكار وزيادته فأكد المجموع بالمجموع أو هى موزعة على ما ذكر وان لم يكن صلى الله عليه وسلم منكرا الا انه قد يراعى حال السامع كما فى التعريض (ثم أثنى عليه) مدحه (بما منحه) أعطاه من مواهبه السنية (فقال وانك لعلى خلق عظيم) مؤكدا بان مع القسم واللام واسمية الجملة تتميما للتعظيم (وهذه من أعظم آيات نبوته ورسالته ولقد سئلت عائشة رضى الله عنها عن خلقه صلى الله عليه وسلم فقالت كان) أحسن الناس خلقا كان (خلقه القرآن) يرضى لرضاه ويغضب لغضبه لم يكن فاحشا ولا متفحشا ولا صخابا فى الاسواق ولا يجزى بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح ثم قالت اقرأ قد أفلح المؤمنون الى العشر فقرأ السائل فقالت هكذا كان خلقه صلى الله عليه وسلم أخرجه ابن أبى شيبة وغيره مطولا ورواه أحمد ومسلم وأبو داود عنها بلفظ كان خلقه القرآن يغضب لغضبه ويرضى لرضاه (ومن ثم قال ابن عباس وغيره) تفسيرا لقوله على خلق (أى على دين عظيم وسمى الدين خلقا لان الخلق) الحسن (هيئة مركبة من علوم صادقة وارادات زاكية) صالحة نامية (وأعمال ظاهرة وباطنة موافقة للعدل) الانصاف (والحكمة) وهى تحقيق العلم واتقان العمل وتطلق على أمور (والمصلحة) التى يقتضيها (وأقوال مطابقة للحق) لا كذب فيها أصلا (تصدر تلك الاقوال والاعمال عن تلك العلوم والارادات فتكتسب النفس بها أخلاقا حسنة هى أزكى) أنمى (الاخلاق وأشرفها وأفضلها) عطف تفسير وهذا كله بيان للمراد بالخلق الحسن فى استعمالهم وهى آثار تترتب عليه اذ الخلق الطبيعة وهذه الكمالات ليست نفس الطبيعة وتكون حسنة وقبيحة قال ابن الاثير الخلق بضم اللام وسكونها الدين والطبع والسجية

وحقيقته انه لصورة الانسان الباطنة وهى نفسه وأوصافه ومعانيها المختصة بها بمنزلة الخلق لصورته الظاهرة وأوصافها ومعانيها ولهما أوصاف حسنة وقبيحة والثواب والعقاب يتعلقان بأوصاف الصورة الباطنة أكثر مما يتعلقان بأوصاف الصورة الظاهرة (وهذه) الاخلاق الحميدة (كانت اخلاقه صلى الله عليه وسلم المقتبسة) أى المأخوذة (من القرآن فكان كلامه مطابقا للقرآن تفصيلا وتبيينا) تفسيرى (وعلومه علوم القرآن و) كانت (ارادته وأعماله ماأوجبه) طلبه طلبا جازما (وندبه) طلبه طلبا غير جازم (اليه القرآن واعراضه وتركه لما منع القرآن) منه (ورغبته فيما رغب فيه وزهده فيما زهد فيه وكراهته فيما كرهه) بفتح الراء ليناسب قوله بعد أحبه (فيه ومحبته فيما أحبه وسعيه فى تنفيذ أوامره فترجمت أم المؤمنين عائشة لكمال معرفتها بالقرآن وبالرسول وحسن) فعل ماض عطف على فترجمت (تعبيرها) أوهو بضم الحاء وسكون السين والجر عطف على لكمال والاول أظهر (عن هذا كله بقولها كان خلقه القرآن وفهم السائل عنها هذا المعنى فاكتفى به واشتفى) من داء الجهل بمعنى انه زال ما كان عنده من التوقف الحامل على السؤال حتى كانه برئ من دائه ومن يريد لشرح هذا فى الفصل الثانى من المقصد الثالث (ولما وصفه تعالى بأنه على خلق عظيم قال) مسليا له عما قالوه فى حقه بما وعده من عقابهم وتوعدهم (فستبصر ويبصرون) قال أبو عثمان المازنى هنا تم الكلام واستأنف قوله (بأيكم المفتون) وقال الاخفش بل هو عامل فى الجملة المستفهم عنها فى معناها أى أيكم الذى فتن بالجنون والباء زائدة قاله قتادة وأبو عبيدة معمر وقال الحسن والضحاك المفتون بمعنى الفتنة فالمعنى بأيكم الجنون على ان المفتون مصدر كالمعقول أى العقل وقيل المعنى بأى الفريقين منكم الجنون أبفريق المؤمنين أو بفريق الكافرين أى فى أيهما يوجد من يستحق هذا الاسم وهذا معنى قول الاخفش المعنى بأيكم فتنة المفتون قال ابن عطية وهذا قول حسن قليل التكلف (أى فسترى يا محمد ويرى المشركون كيف عاقبة أمرك فانك تصير معظما فى القلوب ويصيرون اذلاء) جمع ذليل (مغلوبين وتستولى عليهم بالقتل والنهب) تفسير لقوله فستبصر ويبصرون

(* الفصل الثانى فى قسمه تعالى على ما أنعم به عليه) الاظهر على انعامه كما عبر به قريبا لان ما فعله الله مع رسوله هو حقيقة الانعام وما قام به صلى الله عليه وسلم هو المنعم به الا أن يقال انه من حيث صدوره عن الله تعالى فيساوى ما بعده (وأظهره من قدره العلى لديه) عنده (* قال الله تعالى والضحى والليل اذا سجى) معناه سكن واستقر ليلا تاما وقيل معناه أقبل وقيل أدبر وأقبل والاول أصح يقال بحر ساج أى ساكن ومنه قول الاعشى

وماذنبنا أن جاش بحر ابن عمكم * وبحرك ساج لايوارى الدعامصا

وطرف ساج اذا كان ساكنا غير مضطرب النظر قاله ابن عطية والمراد سكون الاصوات أو أصحابه (ماودعك) قرأ الجمهور بشد الدال من التوديع وقرأ عروة بن الزبير وابنه

الختام بتخفيف الدال بمعنى تركك وكذا قرأ مقاتل وابن أبي عبلة وفي الحديث لينتهين قوم عن ودعهم الجمعات أو ليختمن الله على قلوبهم ثم ليكونن من الغافلين أخرجه مسلم وغيره ولينتهن بضم الياء التحتية وفتح الفوقية والهاء ليدل على واو الضمير المحذوفة اذ أصله لينتهونن وفي الحديث أيضا شر الناس من ودعه الناس اتقاء شره وقال الشاعر

فكان ما قدموا لأنفسهم * أعظم نفعا من الذى ودعوا

فلا عبرة بزعم النحاة ان العرب أماتت ماضى يدع ومصدره واسم الفاعل استغناء بترك لوروده عن سيد الفصحاء قراءة وحديثا الماضى ومصدرا في الحديث الصحيح وفي شعر العرب وما هذا سبيله يجوز القول بقلة استعماله ولا يجوز القول بالاماتة وقال الطيبى يحمل كلام النحاة على قلة استعماله مع صحته قياسا لكن قال السيوطى روى الطبرانى الحديث باسناد حسن بلفظ لينتهين أقوام يسمعون النداء يوم الجمعة ثم لا يأتونها أو ليطبعن الله على قلوبهم فعلم ان الرواية الاولى من تغيير الرواة لا من لفظ النبوة انتهى فان سلم له ذلك فكيف يصنع في القراءة والبيت العربى مع ان أصل هذا الكلام التابع فيه لابى حيان مردود بأنه يرفع الوثوق بالحديث أصلا اذ كل لفظة يحتمل انها من تغيير الرواة فالوجه الجمع بأن يكون صلى الله عليه وسلم نطق باللفظين ويؤيده اختلاف المخرج (ربك وما قلى) أى ما أبغضك (السورة) بالنصب بتقدير اقرأ أو اذكر (أقسم الله تعالى على انعامه على رسوله صلى الله عليه وسلم واكرامه له) أى توقيره واللطف به (واعطائه ما يرضيه) في الدارين (وذلك متضمن لتصديقه له) في دعواه الرسالة (فهو قسم على صحة نبوته وعلى جزائه في الآخرة فهو قسم على النبوة والمعاد) جمعا من قوله وللآخرة خير بناء على ان المراد بها القيامة قال ابن عطية يحتمل ان يريد الدنيا والآخرة وهذا تأويل ابن اسحق وغيره ويحتمل أن يريد حالته في الدنيا قبل نزول السورة وبعدها فوعده الله على هذا التأويل بالنصر والظهور انتهى وقيل أحوالك الآتية خير من السابقة في الدارين (وأقسم الله تعالى بآيتين عظيمتين من آياته) كما قال ومن آياته الليل والنهار (دالتين على ربوبيته ووحدانيته وحكمته ورحمته) بيان لكونهما من الآيات (وهما الليل) بقوله والليل اذا سجى (والنهار) بقوله والضحى ففسره بقول قتادة الضحى هنا النهار كله وأيد بقوله أن يأتيهم بأسنا ضحى في مقابلة بياتا وهو مجاز اذ الضحى ارتفاع الضوء وكماله وبه فسر مجاهد نخصه لان النهار يقوى فيه أو كلم الله موسى فيه وألقى السحرة سجدا (وفسر بعضهم كما حكاه الامام فخر الدين الضحى بوجهه صلى الله عليه وسلم والليل بشعره) وعليه فمعنى اذا سجى اشتد سواده وظهر بزوال غبار نحو السفر عنه ففيه استعارة (وقال) الرازى (ولا استبعاد فيه) لان وجهه صلى الله عليه وسلم كان شديد النور بحيث يقع نوره على الجدر اذا قابلها وكان الشمس تجرى في وجهه وكان شعره شديد السواد فلا يبعد اطلاق الضحى والليل عليهما لكن حيث كان ذلك مجازا احتاج الى قرينة تصرف معناهما عن الحقيقة الا أن يقال ان قائل ذلك استند الى قرينة حالية وقت نزول الآية (وتأمل مطابقة هذا القسم فيه وهو نور الضحى) مشعر بأنه آثره لشدة ضوئه فهو اشارة للقول الآخر

قوله بضم الياء الخ لا يخفى ما في هذا الضبط وعدم ملاءمته التعليل بقوله ليدل فالصواب انه لينتهن بفتح المثناة التحتية والفوقية وكسر الهاء مبنيا على الفتح لانه مسند الى ظاهر وهو قوم فتنبه اه مصححه

(الذى يوافى) يأتى (بعد ظلام الليل المقسم عليه وهو نور الوحى الذى وافاه) أى أتاه (بعد احتباسه عنه) مدة خمسة عشر يوما لما قال أخبركم غدا ولم يقل ان شاء الله حتى أرجف أهل مكة وقالوا قد قلاه ربه وتركه قاله ابن عباس عند ابن اسحق وقال مجاهد اثنا عشر وقال الشعبى وابن عطية انما أبطأ عليه ثلاثة أيام وقيل أربعة وقيل أربعين (حتى قال أعداؤه) المشركون (ودع محمدا ربه) والصحيح فى سبب نزولها ما فى الصحيحين وغيرهما عن جندب بن عبد الله قال اشتكى النبى صلى الله عليه وسلم فلم يقم ليلة أو ليلتين فأتته امرأة فقالت يا محمد ما أرى شيطانك الا قد تركك فأنزل الله تعالى والضحى والليل اذا سجى ما ودعك ربك وما قلى وهذه المرأة هى العوراء بنت حرب امرأة أبى لهب رواه الحاكم برجال ثقات عن زيد بن أرقم وفى الصحيح أيضا عن جندب قالت امرأة يا رسول الله ما أرى صاحبك الا أبطأ عنك فنزلت ما ودعك ربك وما قلى قال الحافظ هى زوجته خديجة كما فى المستدرك وغيره فخاطبته كل واحدة منهما بما يليق بها والعوراء قالته شماتة وخديجة توجعا وقصة ابطاء الوحى بسبب الجرو مشهورة لكن كونها سبب نزول الآية غريب بل شاذ مردود بما فى الصحيح وتقدم لهذا مزيد قريبا (فأقسم بضوء النهار بعد ظلمة الليل على ضوء الوحى ونوره بعد ظلمة احتباسه واحتجابه) فهذه مناسبة بين القسم والمقسم عليه (وأيضا) مناسبة أخرى (فان الذى اقتضته رحمته) الذى أمتن بها فى قوله ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه (ان لا يترك عباده فى ظلمة الليل سرمدا) الى يوم القيامة (بل هداهم بضوء النهار الى مصالحهم ومعايشهم) كما قال ولتبتغوا من فضله (لا يتركهم فى ظلمة الغى والجهل بل يهديهم بنور الوحى والنبوة الى مصالح دنياهم وأخراهم فتأمل حسن ارتباط القسم بالمقسم عليه) بكل من المناسبتين (وتأمل هذه الجزالة) العظمة والحسن (والرونق) الحسن فهو مساو وحسنه اختلاف اللفظ ولذا قال (الذى على هذه الالفاظ) اقتصارا على وصف الرونق المساوى لما قبله معنى حتى كأنهما اسم واحد (والجلالة) العظمة (التى فى معانيها) لكثرتها مع وجازة لفظها (ونفى سبحانه أن يكون ودع نبيه) أى قطعه قطع المودع وقرئ بالتخفيف أى تركك كما فى الانوار (أو قلاه) أبغضه (فالتوديع الترك) لعله بيان المراد من الآية اذ الترك معنى الوداع مخففا وأما بالتثقيل فتشييع المسافر كما فى اللغة ولذا غاير البيضاوى فى تفسير القراءتين كما رأيت لكن فى النسيم الوداع له معنيان فى اللغة الترك وتشييع المسافر وكلهم فسروه بالترك ولما رأوا صيغة التفعيل تفيد زيادة المعنى والمبالغة فيه تقتضى الانقطاع التام قالوا المبالغة فى النفى لا فى المنفى أو لنفى القيد والمقيد ويجوز أن يفسر بتشييع المسافر على طريق الاستعارة ففيه ايماء الى ان الله تعالى لم يتركه أصلا فانه معه أينما كان وايماء الترك لو تصور من جانبه ظاهر مع دلالته بهذا المعنى على الرجوع والتوديع انما يكون لمن يحب ويرجى عوده واليه أشار الجرجانى بقوله

اذا رأيت الوداع فاصبر * ولا يهمنك البعاد
وانتظر العود عن قريب * فان قلب الوداع عادوا

قوله وابن عطية فى نسخة وابن عقبة اه

فقوله وماقلى مؤكدله وهذا لم أرمن ذكره مع غاية لطفه (والقلا) بكسر القاف والقصر وقد يمد (البغض) مصدر قلى بوزن رمى (أى ماترك منذ اعتنى بك) وهو من أول أمره تفسير ماودعك (وما أبغضك منذ أحبك) تفسير للقلا وفى الشفاء أى ماترك وما أبغضك وقيل ما أهملك بعد أن اصطفاك وزعم شارحه ان المشهور والثانى واختار الاول لمناسبته لماقبله والاهمال عدم التقيد مع الترك فهو ترك مخصوص (وحذف الكاف من قلى اكتفاء بكاف ودعك) فهو اختصار للعلم به (ولان رؤس الاى بالياء فأوجب اتفاق الفواصل حذفها) ولئلا يخاطبه بالبغض وان كان منفيا أو ليعممه وأصحابه وأمته واستحسن (وهذا يعم كل أحواله وان كل حالة يرقيه اليها هى خير له مما قبلها) اذ كأنه قيل ماودعك لبغض وسترى منزلتك ففيه افادة الترقى فى الاحوال فى الدنيا (كما ان الدار الآخرة هى خير له مما قبلها) كما قال وللآخرة خير لك من الاولى واللام للابتداء مؤكدة أو جواب قسم ففيه تعظيم آخر أى كما أعطاك فى الدنيا يعطيك فى الآخرة ما هو أعلى وأكثر فلا تبال بما قالوه فهو وعد فيه تسلية بعد مانفى عنه ما يكره فهو تحلية بعد تخلية (ثم وعده) بقوله ولسوف يعطيك ربك فترضى (بما تقر) بفتح القاف والفوقية (به عينه) أى تسكن وبتحتية أوله وشد القاف مكسورة ونصب عينه يقال قرت العين وأقر الله العين قال فى فتح البارى قرت العين يعبر بها عن المسرة ورؤية ما يحبه الانسان ويوافقه لان عينه قرت أى سكنت حركاتها عن التلفت لحصول غرضها فلا تتشوف لشئ آخر فكأنه مأخوذ من القرار وقيل معناه أنام الله عينك وهو يرجع الى هذا وقيل بل هو مأخوذ من القر وهو البرد أى ان عينه باردة لسروره ولذا قيل دمعة السرور باردة ودمعة الحزن حارة ومن ثم قيل فى ضده أسخن الله عينه (وتفرح) بفتح الراء مع فتح أوله فوقية وبضمه تحتية مع كسر الراء (به نفسه) يسرها ويرضيها والفرح لذة القلب بنيل ما يشتهى ويتعدى بالهمزة والتضعيف (ويشرح به صدره) يوسعه ويملأه نورا (وهو أن يعطيه فيرضى وهذا يعم ما يعطيه من القرآن) النازل عليه بعد هذه الآية (والهدى والنصر) العون والتقوية (والظفر بأعدائه) يقال ظفر بعدوه وأظفرته به وأظفرته عليه بمعنى وأصله الفوز والفلاح (يوم بدر) بقتل سبعين وأسر سبعين (وفتح مكة) وحل القتال له فيها ساعة من نهار وصار أعظم أهلها عليه أحوجهم اليه (ودخول الناس فى الدين) دين الله (أفواجا) جماعات بعد ما كان يدخل فيه واحدا بعد واحد وذلك بعد فتح مكة جاءه العرب من أقطار الارض طائعين (والغلبة على بنى قريظة) بقتل رجالهم وسبى ذريتهم ونسائهم (والنضير) باجلائهم وجعلها خالصة له (وبث عساكره وسراياه فى بلاد العرب) وفى غيرها كبعث زيد والامراء الى موتة من أرض الشام وبعث أسامة ابنه بعد ذلك الى محل قتل أبيه فخرج بعد الوفاة النبوية فنصره الله وقتل قاتل أبيه فاقتصر على العرب لكثرتها فيها (وما فتح على خلفائه الراشدين فى أقطار الارض من المدائن) ففتح فى أيام الصديق بصرى ودمشق وبلاد حوران وما والاها ثم فى أيام عمر البلاد الشامية كلها ومصر وأكثر اقليم فارس وكسر كسرى وفر الى أقصى مملكته وفر هرقل الى القسطنطينية

ثم في زمن عثمان مدائن العراق وخراسان والاهواز وبلاد المغرب كلها ومن المشرق الى أقصى بلاد الصين وقتل كسرى ومزق ملكه بالكلية ثم امتدت الفتوحات بعده الى الروم وغيرها ولم تزل تتجدد الى الآن ولله الحمد وقد فتح صلى الله عليه وسلم المدينة بالقرآن وخيبر ومكة والبحرين وسائر جزيرة العرب وأرض اليمن بكمالها وأخذ الجزية من مجوس هجر ومن بعض أطراف الشام وهاداه هرقل والمقوقس وملوك عمان والنجاشي الذي ملك بعد أصحمة (وما قذف في قلوب أعدائه من الرعب) مسيرة شهر من كل جهة لانه لم يكن بينه وبين أعدائه أكثر من شهر (ونشر الدعوة) تفرقها وعمومها الخلق (ورفع ذكره) فلا يذكر الله الا ويذكر معه صلى الله عليه وسلم (واعلاء كلمته) على كل كلام فهذا كله مما أعطاه له في الدنيا (وما يعطيه بعد مماته) من الرحمات النازلات على قبره والرضوان الذي لا يتناهى لدوام ترقياته ومضاعفة أعماله فيه فانه حي يصلي في قبره بأذان واقامة وله ثواب أعمال أمته مضاعفا (وما يعطيه في موقف القيامة من الشفاعة) أي جنسها فيشمل الشفاعات الخاصة به كلها (والمقام المحمود) هو مقام الشفاعة العظمى الذي يحمده فيه الاولون والآخرون أو كل مقام يتضمن كرامة محمودة وعلى هذا يكون بمعنى ما قبله (وما يعطيه في الجنة من الوسيلة) أعلى منزلة في الجنة فقوله (والدرجة الرفيعة) عطف تفسير (والكوثر) نهر في الجنة أعطانيه ربي كما صح عنه صلى الله عليه وسلم فلا معدل عنه (قال ابن عباس) في تفسير هذه الآية (يعطيه في الجنة ألف قصر من لؤلؤ أبيض ترابها المسك وفيها ما يليق بها) من الازواج والخدم رواه ابن جرير وغيره ومثله لا يقال الا عن توقيف فهو في حكم المرفوع وهذا تفصيل بعض ما أعطاه (وبالجملة فقد دلت هذه الآية على انه تعالى يعطيه عليه الصلاة والسلام كل ما يرضيه) مما لا يعلمه على الحقيقة الا هو (وأما ما يفتريه) بفاء من الافتراء أي الكذب أو بالغين المعجمة وبعد الراء سوحدة من الغرور وهذا أولى وان كان ظاهر سياقه الاول (الجهال من انه لا يرضى وواحد من أمته في النار) روى الديلمي في الفردوس عن علي قال لما نزلت قال صلى الله عليه وسلم اذن لا أرضى وواحد من أمتي في النار وأخرجه أبو نعيم في حليته موقوفا على علي قال في قوله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى قال ليس في القرآن أرجى منها ولا يرضى صلى الله عليه وسلم ان يدخل أحد من أمته النار وقوله ولا يرضى موقوف لفظا مرفوع حكما اذ لا مدخل للرأي فيه (أو لا يرضى ان يدخل أحد من أمته النار) كما روى عن علي موقوفا وحكمه الرفع كما علم (فهو من غرور الشيطان) أي خداعه (لهم ولعبه بهم) حيث حملهم على الافتراء أو على الغرور بما لم يفهموا معناه (فانه صلوات الله عليه يرضى بما يرضى به ربه تبارك وتعالى) اذ رضاه تابع لرضاه (وهو سبحانه وتعالى يدخل النار من يستحقها من الكفار والعصاة) المسلمين (ثم يحد) بضم الحاء (لرسوله صلى الله عليه وسلم حدا) أي يقدر له جماعة ويميزهم عن غيرهم (يشفع فيهم كما يأتي ان شاء الله تعالى في المقصد الاخير) فلا يدع أحدا منهم ولا يزيد على من أذن له في الشفاعة فيه (ورسوله عليه السلام أعرف به وبحقه من ان يقول لا أرضى أن تدخل أحدا من أمتي النار أو تدعه فيها) هذا ظاهر جدا في انه أراد أنه من

الافتراء الكذب لا الغرور (بل ربه تبارك وتعالى يأذن له فيشفع فيمن شاء الله ان يشفع فيه ولا يشفع فى غير من أذن له ورضيه) ومقام الرضا بما يريده الله والتسليم مقام عظيم للسالكين فكيف لا يكون لسيد المرسلين وقدوة العلامة الشريف الصفوى فى شرح الشفاء وتبعه فى النسيم على المصنف التابع لابن القيم بأنه جراءة وسوء أدب والوجه توجيه الحديث لوروده بطرق وان ضعفت ولا يبعد أن يكون عذاب العصاة غير مرضى لله تعالى فلا يرضى به رسوله أيضا لان رضاه على وفق رضا ربه والرضا بالمقضى قد يكون مذموما فاذا لم يرض بعصيانهم ودخولهم النار لعدم رضا ربه به يدخلهم الله الجنة ولو بالآخرة للوعد به والرضا بفعل الله انما يجب من حيث انه فعل المولى الحكيم لا من حيث هو فى ذاته والمنفى فى الحديث الثانى فهو لا يرضى بدخول أحد من أمته النار من حيث هو فى ذاته لا من حيث انه مراد الله فلا اشكال أو الرضا مجاز عن ترك الطلب أى لا أترك طلب العفو وواحد من أمتى فى النار ولا يلزم منه عدم الرضا حقيقة وكم طلب صلى الله عليه وسلم لامته أمورا وهو فى مقام الرضا دائما واذا وعد بالرضا فلا بد من ادخالهم الجنة لا ترك الطلب فافهمه فانه دقيق فلا ينبغى ان يجترئ أحد على ابطال الروايات بأوهام الشبهات وهذا محصل ما فى شرح المواقف من ان للكفر نسبة الى الله باعتبار فاعليته له وايجاده ونسبة الى العبد باعتبار محليته واتصافه به وانكاره باعتبار النسبة الثانية والرضا باعتبار النسبة الاولى وقال بعض الشراح يجوز أن المراد نفى الرضا بالدخول على وجه الخلود وانما قال ان يدخل دون أن يخلد قصد الارادة نفى الرضا بالخلود على نهج المبالغة والاستدلال أو أن المراد ولا يرضى أن يعصى الله أحد من أمته فعبر بالمسبب عن السبب الا ان السياق يأباه انتهى أو لا يرضى دخولهم النار دخولا يشدد عليهم العذاب بل يكون خفيفا لا تسود وجوههم ولا تزرق أعينهم كما وردت به الاحاديث فهو تعذيب كتاديب الحشمة بل قال صلى الله عليه وسلم انما حر جهنم على أمتى كحر الحمام أخرجه الطبرانى برجال ثقات عن الصديق وللدارقطنى فى الافراد عن ابن عباس رفعه ان حظ أمتى من النار طول بلائها تحت التراب وفى تفسير السبكى أطلقت الائمة وجوب الرضا بالقضاء وشاع على ألسنة العلماء والعوام وورد مرفوعا يقول الله من لم يرض بقضائى فليطلب ربا سواى وفى شامل امام الحرمين لم يثبت عندنا وجوب الرضا بالقضاء فان الانسان اذا اعترته الآلام واكتنفته الاسقام لا يجب عليه فى الدين ان يطمئن اليها ويرضى بها ولا عليه أن يكرهها ويبدى قلقا منها يقول لا ينطوى على اعتراض قال والخبر من الآحاد لا تقوم به الحجة فى القطعيات ثم يعارضه استعاذة النبى صلى الله عليه وسلم من قضاء السوء انتهى (ثم ذكره) بشد الكاف أى جعله (سبحانه) متذكرا (بنعمه عليه) أى ذكره بتفصيلها أو تفضيلها بالضاد وان كان ذاكرا لها وكيف ينسى مثله وقد قام حتى تورمت قدماه وقال أفلا أكون عبدا شكورا وقال بعض الشراح المراد اعلامه بما أنعم به عليه أو لاشتغاله بتذكر النعم العظيمة المتجددة أو النعم كلها على الاجمال قد يغفل عن تفصيلها أو التذكير بعض الوعظ لئلا يغفل نحو فذكر بالقرآن (من ايوائه) الى عمه أبى طالب حتى كان عنده

أعز من بنيه (بعد يتمه) بموت أبيه وأمه حبلى به على الصحيح وقيل بعد أن ولد بقليل (فقال ألم يجدك) من الوجود بمعنى العلم (يتيما) مفعوله الثانى أو المصادفة ويتيما حال (فآوى) بالمد وقرئ بالقصر بمعنى رحم تقول اويت فلانا أى رحمته قاله ابن عطية وقيل معنى الآية اواه الله الى نفسه ولم يحوجه لحماية أحد وايوائه وهو بمعنى قول جعفر الصادق يتم صلى الله عليه وسلم لئلا يكون عليه حق لمخلوق (وذهب بعضهم الى أن معنى اليتيم) عديم النظير (من قولهم درة يتيمة) أى لا نظير له وتسمى فريدة أيضا لانفرادها عن نظائرها (أى ألم يجدك واحدا فى أرض قريش) بل فى جميع الخلق (عديم النظير فآواك اليه) لانتفاء من يكافئك أو يدانيك بحيث تركن اليه قال الحجازى وهذا قول ضعيف حكاه صاحب المشرع الروى وجعله فى الكشاف من بدع التفاسير (وأغناك بعد الفقر) قال ابن عطية قال مجاهد معناه بما أعطاك من الرزق وقيل فقيرا اليه فأغناك به والجمهور على انه فقر المال والمعنى فيه صلى الله عليه وسلم انه أغناه بالقناعة والصبر وحببا اليه وقيل بالكفاف لتصرفه فى مال خديجة ولم يكن كثير المال ورفعه الله عن ذلك وقال ليس الغنى عن كثرة العرض ولكنه غنى النفس (ثم أمره سبحانه وتعالى أن يقابل هذه النعم الثلاث) التى لم يشر المصنف الى وسطاها لانه سيتكلم عليه فى ازالة الشبهات (بما يليق بها من الشكر فنهاه أن يقهر اليتيم) بقوله فأما اليتيم فلا تقهر فى مقابلة ألم يجدك يتيما فآوى (وأن ينهر السائل) بقوله وأما السائل فلا تنهر معناه أن يرده ردا جميلا اما بعطاء أو بقول حسن (وأن يكتم النعمة بل يحدث بها فان من شكر النعمة التحدث بها) وباظهار الملابس والمطاعم والمراكب ونحوها فلذا أتى بمن التبعيضية وفى ابن عطية قوله وأما السائل فلا تنهر بازاء أى مقابل ووجدك ضالا فهدى على قول أبى الدرداء والحسن وغيرهما ان السائل هنا السائل عن العلم والدين وبازاء قوله ووجدك عائلا فأغنى قوله وأما بنعمة ربك فحدث ومن قال السائل هو سائل المال المحتاج جعلها بازاء ووجدك عائلا فأغنى وجعل وأما بنعمة ربك فحدث بازاء ووجدك ضالا فهدى (وقيل المراد بالنعمة النبوة والتحدث) بالجر عطفا على النعمة أى والمراد بالتحدث (بها تبليغها) للناس وهذا قول مجاهد والكلبى وقال آخرون بل هو عام فى جميع النعم وكان بعض الصالحين يقول لقد أعطانى الله كذا وصليت البارحة كذا وذكرت الله كذا فقيل له مثلك لا يقول هذا فقال ان الله يقول وأما بنعمة ربك فحدث وأنتم تقولون لا تحدث وقال صلى الله عليه وسلم التحدث بالنعمة شكر وقال من أسديت اليه يد فذكرها فقد شكرها ومن سترها فقد كفرها ذكره ابن عطية

* (الفصل الثالث فى قسمه تعالى على تصديقه عليه الصلاة والسلام فيما أتى به من وحيه) مصدر بمعنى اسم المفعول فقوله (وكتابه) خاص على عام (وتنزيهه عن الهوى فى خطابه) أى نطقه (* قال الله تعالى والنجم اذا هوى) أقسم الله تعالى بهذا المخلوق تشريفا له وتنبيها للاعتبار به حتى تؤول العبرة الى معرفة الله تعالى وقيل المعنى ورب النجم وفيه قلق مع لفظ الآية (ما ضل صاحبكم وما غوى) والضلال يكون بلا قصد والغى كأنه شئ يكتسبه

قوله عليه هكذا فى النسخ والمناسب عليها كما لا يخفى اه مصححه

قوله بالجر عطفا الخ يلزم عليه عطف معمولين على معمولين لعاملين مختلفين والعاطف واحد وفى جوازه خلاف تأمل اه مصححه

ويريده (وما ينطق) صاحبكم (عن الهوى) أى بهواه وشهوته وقيل ماينطق القرآن المنزل عن هوى وشهوة ونسب النطق اليه من حيث انه يفهم منه الامور كما قال تعالى هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق وأسند النطق اليه وان لم يتقدم له ذكر لدلالة المعنى عليه ذكره ابن عطية (أقسم تعالى بالنجم على تنزيه رسوله وبراءته مما نسبه اليه أعداؤه (الكفار) من الضلال والغى) فنفى عنه أن يكون ضل فى هذه السبيل التى أسلكه اياها قال الرازى والنسفى أكثر المفسرين لافرق بين الضلال والغى وبعضهم قال الضلال فى مقابلة الهدى والغى فى مقابلة الرشد قال تعالى وان يروا سبيل الرشد لايتخذوه سبيلا وان يروا سبيل الغى يتخذوه سبيلا وتحقيق الفرق أن الضلال أعم استعمالا فى الوضع تقول ضل بعيرى ورحلى ولاتقول غوى والمراد من الضلال أن لايجد السالك الى مقصده طريقا مستقيما والغواية أن لايكون الى المقصد طريق مستقيم ويدل عليه انه يقال للمؤمن الذى ليس على طريق السداد سفيه غير رشيد ولايقال ضال فالضال كالكافر والغاوى كالفاسق وكأنه تعالى قال ماضل أى ماكفر ولا أقل من ذلك فما فسق ويؤيده فان آنستم منهم رشدا الآية اذ يقال الضلال كالعدم والغواية كالوجود الفاسد فى الدرجة والمرتبة ويحتمل أن معنى ماضل ماجن فان المجنون ضال وعلى هذا فهو كقوله ما أنت بنعمة ربك بمجنون وقيل معنى ماغوى ماخاب لماطلب قال

فمن يلق خيرا يحمد الناس أمره * ومن يغو لايعدم على الغى لائما

أى من خاب فى طلبه لامه الناس فيجوز أن هذا اخبار عما بعد الوحى وأن يكون اخبارا عن أحواله على التعميم أى كان أبدا موحدا لله تعالى وهو الصحيح (واختلف المفسرون فى المراد بالنجم بأقاويل معروفة) جمع أقوال جمع قول فهو جمع الجمع عبر به للدلالة على كثرتها والباء متعلقة بالمفسرين أو بعقد من جنسه لانه يقال فسره بكذا فيتعدى بالباء وهو وان كان بعيدا أظهر من تقدير اختلافا مصحوبا بأقاويل (منها النجم على ظاهره) سمى الكوكب نجما لطلوعه وكل طالع نجم يقال نجم السن والقرن والنبت اذا طلع قاله ابن عادل والقرطبى وزاد ونجم فلان ببلد كذا اذا خرج على السلطان (وتكون أل لتعريف العهد فى قول) والمعهود الثريا أو غيرها كما يأتى (ولتعريف الجنس فى آخر وهى النجوم التى يهتدى بها) فى ظلمات البر والبحر والى هذا ذهب أبو عبيدة قائلا بأنه من اطلاق الواحد على الجمع ونقله ابن عطية والماوردى عن الحسن ونقله غيرهما عن مجاهد وبه رد قول ابن جرير هذا التأويل له وجه ولكن لاأعلم أحدا من أهل التأويل قاله (فقيل الثريا) بالمثلثة تفريع على أن أل للعهد (اذا سقطت وغابت) تفسير لهوى وهو بها مغيبها (وهو مروى عن ابن عباس فى رواية على بن أبى طلحة) سالم مولى بنى العباس سكن حمص وأرسل عن ابن عباس ولم يره صدوق قد يخطئ مات سنة ثلاث وأربعين ومائة (وعطية) بن سعد العوفى الكوفى صدوق يخطئ كثيرا وكان شيعيا مدلسا مات سنة احدى عشرة ومائة (والعرب اذا أطلقت النجم تريد بها الثريا) قال الشاعر

قوله والباء متعلقة الخ لعل الاظهر انها متعلقة باختلف وتجعل للتصوير أو بمعنى على فتأمل اهـ مصححه

طلع النجم عشاء * فابتغى الراعي الكساء

وفي الحديث ما طلع نجم قط وفي الارض من العاهة شيء الا ارتفع رواه أحمد وأراد الثريا واختار هذا القول ابن جرير والزمخشري وقال السمين انه الصحيح لان هذا صار علما بالغلبة وقال عمر بن أبي ربيعة

أحسن النجم في السماء الثريا * والثريا في الارض زين النساء

(وعن ابن عباس في رواية عكرمة) بن عبد الله البربري أراد (النجوم التي ترمى بها الشياطين اذا سقطت في آثارها) لان الهوى السقوط من علو قاله الراغب (عند استراق السمع) وهذا قول الحسن البصري وهو تفريع على أن أل جنسية (وعن السدى) بضم السين وشد الدال المهملتين اسمعيل بن عبد الرحمن الكوفي صدوق يهم مات سنة سبع وعشرين ومائة (الزهرة) بزنة رطبة نجم في السماء الثالثة وكذا قال سفيان الثوري على أن أل عهدية (وعن الحسن) البصري (أيضا النجوم اذا سقطت يوم القيامة) فهو بمعنى قوله واذا الكواكب انتثرت على انها جنسية وقيل المراد الشعرى على أنها عهدية (وقيل المراد به النبت الذي لا ساق له) ومنه والنجم والشجر يسجدان (وهوى أي سقط على الارض) وهذا قول الاخفش (وقيل القرآن رواه الكلبي) محمد بن السائب (عن ابن عباس لانه نزل نجوما) أي أجزاء مقدرة في أوقات قاله ابن عطية وفي ابن القيم اربع آيات وثلاث آيات والسورة (على رسول الله صلى الله عليه وسلم) في ثلاث وعشرين سنة أو عشرين بالغاء مدة الفترة (وهو قول مجاهد ومقاتل والضحاك) وهوى بمعنى نزل وفي هذا القول بعد وتحامل على اللغة قاله ابن عطية (وقال جعفر) الصادق لصدقه في مقاله (ابن محمد) الباقر لبقره العلم (ابن علي) زين العابدين (ابن الحسين) السبط (هو محمد صلى الله عليه وسلم اذا هوى اي نزل من السماء ليلة المعراج) قال النعماني ويعجبني هذا التفسير للاءمته من وجوه فانه صلى الله عليه وسلم نجم هداية خصوصا لما هدى اليه من فرض الصلاة تلك الليلة وقد علمت منزلة الصلاة من الدين ومنها انه أضاء في السماء والارض ومنها التشبيه بسرعة السير ومنها انه كان ليلا وهو وقت ظهور النجم فهو لا يخفى على ذي بصر وأما أرباب البصائر فلا يمترون كالصديق رضي الله عنه وعن جعفر أيضا انه قلب محمد صلى الله عليه وسلم كما في الشفاء أي لاشراقه بالانوار الالهية وهو منبعها ومنبع الهداية وان كان فيه خفاء وأبعد منه انه الصحابة لحديث أصحابي كالنجوم حكاه الجباني وهو بهم موهم (وأظهر الاقوال كما قاله ابن القيم انها النجوم التي ترمى بها الشياطين) لانها تبعد الشياطين عن أهل السماء والانبياء يبعدون الشياطين عن أهل الارض فناسب أن يقسم برجمها عند البعثة (ويكون سبحانه قد أقسم بهذه الآية الظاهرة المشاهدة) بالبصر (التي نصبها الله تعالى آية وحفظا للوحي من استراق الشياطين) السمع فيزيدون فيه فيكون ما زادوه باطلا (على أن ما أتى به رسوله حق وصدق لا سبيل للشيطان ولا طريق له اليه) عطف مساو (بل قد حرس بالنجم اذا هوى رصدا) أي راصدا له (بين يدي الوحي) يمنعهم عن استماعه (وحرساله) منهم عطف تفسير لرصدا (وعلى هذا فالارتباط بين

المقسم به والمقسم عليه فى غاية الظهور) لان المقسم به هو النجم الذى قصد بسقوطه حفظ الوحى والمقسم عليه هو نفس الوحى (وفى المقسم به دليل على المقسم عليه) فان النجوم التى ترمى بها الشياطين آيات من آيات الله يحفظ بها دينه ووحيه وآياته المنزلة على رسوله بها ظهر دينه وشرعه وأسماؤه وصفاته وجعلت هذه النجوم المشاهدة حرسا لهذه النجوم الهاوية هذا أسقطه من ابن القيم قبل قوله مبينا للخفاء ما عدا القول الذى استظهره (وليس بالبين تسمية القرآن عند نزوله بالنجم اذا هوى ولا تسمية نزوله هويا) بضم الهاء وفتحها (ولا عهد فى القرآن بذلك) أى تسميته بالنجم (فيحمل) بالنصب (هذا اللفظ عليه) بل قال ابن عطية انه تحامل على اللغة مع بعده (وليس بالبين) أيضا (تخصيص هذا القسم بالثريا وحدها اذا غابت) لانه تخصيص بلا مخصص لكن فيه أن العرب اذا أطلقت النجم تعنى الثريا والقرآن وارد بلغتهم فهو وجه التخصيص (وليس بالبين أيضا القسم بالنجوم عند انتشارها) تساقطها متفرقة (يوم القيامة بل هذا مما يقسم الرب عليه) لانه (ويدل عليه بآياته فلا يجعله نفسه دليلا لعدم ظهوره للمخاطبين ولا سيما منكر والبعث فانه تعالى انما يستدل بما لا يمكن جحده ولا المكابرة فيه) فيذكر الدليل لمن هو بصدد الانكار قال ابن كثير وهذا القول له اتجاه (ثم انه بين المقسم به والمقسم عليه من المناسبة ما لا يخفى) كلام مستأنف غرضه به توجيه الاقوال التى أسلفها وان استظهر واحدا منها واستبعد غيره (فان قلنا ان المراد النجوم التى للاهتداء فالمناسبة ظاهرة) لانه يهتدى بها فى معرفة الطرقات وغيرها وبالمصطفى من ظلمات الجهل ومعرفة الحق من الباطل فأقسم بها لما بينهما من المناسبة والمشابهة قاله الرازى (وان قلنا ان المراد الثريا فلانه أظهر النجوم عند الرائى لانه) لكونه له علامة (لا يشتبه بغيره فى السماء وهو ظاهر لكل أحد والنبى صلى الله عليه وسلم تميز عن الكل بما منح) أى أعطى (من الآيات البينات) فأقسم به (ولان الثريا اذا ظهرت من) جهة (المشرق) وقت الفجر (حان) أى قرب (ادراك الثمار) أى طيبها واذا ظهرت من المغرب قرب أوان الخريف فتقل الامراض معناه انها تظهر بعيد الغروب بحيث يكون ابتداء ظهورها بين المغرب والعشاء وتستمر ظاهرة الى الفجر (والنبى صلى الله عليه وسلم لما ظهر قل الشرك والامراض القلبية) وأدركت الثمار الحكمية والحكمية هذا بقية المناسبة التى أبداها الامام الرازى (وان قلنا ان المراد بها القرآن فهو استدلال بمجزته صلى الله عليه وسلم على صدقه وبراءته وأنه ما ضل ولا غوى) زاد الرازى فهو كقوله يس والقرآن الحكيم انك لمن المرسلين (وان قلنا المراد به النبات فالنبات به نبات القوى الجسمانية) أى المتعلقة بالجسم بكسر الجيم وهو كل شخص مدرك وقال أبو زيد الجسم الجسد (و) به (صلاحها والقوى العقلية) وهى الصفة التى يميز بها الانسان الحسن من القبيح (أولى) أحق (بالصلاح وذلك بالرسل وايضاح السبل) وبعد أن أبدى الرازى هذه المناسبات قال ومن هذا يظهر أن المختار هو النجوم التى فى السماء لانه أظهر عند السامع وقوله اذا هوى دال عليه ثم بعده القرآن لما فيه من الظهور ثم الثريا (وتأمل كيف قال الله تعالى ما ضل صاحبكم ولم يقل محمد تأكيدا لاقامة الحجة عليهم بأنه صاحبهم) الذى نشأ بين

ظهرانيهم (وهم أعلم الخلق به وبحاله وأقواله وأعماله وأنهم لا يعرفونه بكذب ولا غى ولا ضلال ولا ينقمون) بكسر القاف وفتحها لا يعيبون (عليه أمرا واحدا قط وقد نبه تعالى على هذا المعنى بقوله عز وجل) أفلم يدبروا القول أم جاءهم ما لم يأت آباءهم الاولين (أم لم يعرفوا رسولهم) بالامانة والصدق وحسن الخلق وكمال العلم مع عدم التعلم والاستفهام للتقرير بالحق من صدق النبى ومجى الرسل للامم الماضية ومعرفة رسولهم بما ذكر فهم له منكرون دعواه لاحد هذه الوجوه اذ لا وجه له غيرها فان انكار الشئ قطعا أو ظنا انما يتجه اذا ظهر امتناعه بحسب النوع او الشخص أو بحسب ما يدل عليه أقصى ما يمكن فلم يوجد (ثم نزه نطق رسوله صلى الله عليه وسلم عن أن يصدر عن هوى) بالقصر المحبة فى الاصل ثم أطلق على ميل النفس وانحرافها نحو الشئ ثم استعمل فى ميل مذموم نحو اتبع هواه قال الرازى وأحسن ما يقال فى تفسيره أنه المحبة لكن من النفس الامارة وحروفه تدل على الدنو والنزول والسقوط ومنه الهاوية فالنفس اذا كانت دنية وتركت المعالى وتعلقت بالسفاسف فقد هوت فاختص الهوى بالنفس الامارة بالسوء قال الشعبى انما سمى هوى لانه يهوى بصاحبه (فقال تعالى وما ينطق عن الهوى) وهذا ترتيب فى غاية الحسن عبر أولا بالماضى وهنا بالآتى أى ما ضل حين اعتزلكم وما تعبدون وما غوى حين اختلى بنفسه وما ينطق عن الهوى الآن حين أرسل اليكم وجعل شاهدا عليكم فلم يكن أولا ضالا ولا غاويا وصار الآن منقذا من الضلال ومرشدا وهاديا (ولم يقل وما ينطق بالهوى لان نفى نطقه عن الهوى أبلغ) من نفى نطقه به (فانه يتضمن أن نطقه لا يصدر عن هوى واذا لم يصدر عن هوى فكيف ينطق به فيتضمن هو) أى نفى صدوره عن الهوى (الامرين) بالنصب مفعول (نفى الهوى) بالنصب أيضا بدل مفصل من مجمل أو الرفع بتقدير وهما نفى ولا يصح جره بدلا من الامرين لانهما منفيان لا نفيان (عن مصدر النطق ونفيه عن النطق نفسه فنطقه بالحق ومصدره) أى محله الذى يصدر عنه هو (الهدى والرشاد لا الغى والضلال) فعن على بابها قال النحاس وهو أولى أى ما يخرج نطقه عن رأيه بدليل ان هو الخ وقيل بمعنى الباء أى ما ينطق بالهوى وما يتكلم بالباطل وذلك انهم قالوا انه تقول القرآن من تلقاء نفسه قال ابن القيم نفى الله عن رسوله الضلال المنافى للهدى والغى المنافى للرشاد ففى ضمن هذا النفى الشهادة له صلى الله عليه وسلم بأنه على الهدى والرشد فالهدى فى علمه والرشد فى عمله وهذان الاصلان هما غاية كمال العبد وبهما سعادته وصلاحه الى أن قال فالناس أقسام ضال فى علمه غاو فى قصده وعمله وهو لاشرار الخلق وهم مخالفو الرسل ومهتد فى علمه غاو فى قصده وعمله وهؤلاء هم الامة الغضبية ومن تشبه بهم وهو حال كل من عرف الحق ولم يعمل به وضال فى علمه ولكن قصده الخير وهو لا يشعر ومهتد فى علمه راشد فى قصده وهم ورثة الانبياء وان كانوا أقل عددا فهم الاكثرون عند الله قدرا وصفوته من خلقه (ثم قال تعالى ان هو الا وحى يوحى) قال الرازى هذا تكملة للبيان لانه لما قيل وما ينطق عن الهوى كأن قائلا قال نعم ما ذا ينطق أعن الدليل والاجتهاد فقال لا انما ينطق عن الله بالوحى وهذا أبلغ مما لو قيل هو وحى يوحى

قوله ولا يصح جره بدلا الخ فيه أن لفظ الامرين منصوب على المفعولية ليتضمن فلا يتأتى الجر وما ذكره من التعليل غير ظاهر اذ الامران نفيان لا منفيان كما يدل على ذلك البدل المفصل لاجمال المبدل منه على أن هذا التعليل على فرض صحته وارد على النصب الذى نص عليه فكان الاولى حذف قوله ولا يصح الجر الخ لانه يرد عليه ما ذكرنا فتأمل اه مصححه

وكلمة ان استعملت مكان ما للنفي كما استعملت ما للشرط مكان ان (فأعاد الضمير على المصدر المفهوم من الفعل أى ما نطقه الا وحى يوحى) صفة لنفي المجاز أى هو وحى حقيقة لا مجرد تسمية كقولك هذا قول يقال قاله في الباب (وهذا أحسن من جعل الضمير عائدا على القرآن) ووجه الاحسنية بقوله (فان نطقه بالقرآن والسنة وان كليهما وحى يوحى) أى لافادته أن السنة من الوحى بخلاف عوده على القرآن فلا يفيد ذلك (قال الله تعالى وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وهما القرآن والسنة) تفسير الحكمة في أحد الاقوال ومنه أخذ منع اجتهاده وأجيب بأنه اذا اجتهد وافق الواقع ولا يقع منه خطأ ويقر عليه وينبه على أنه حق فصار بمنزلة الوحى (وذكر الاوزاعى) عبد الرحمن بن عمرو الفقيه الثقة الجليل المتوفى سنة سبع وخمسين ومائة (عن حسان بن عطية) المحاربى مولاهم الدمشقى ثقة فقيه عابد مات بعد العشرين ومائة (قال كان جبريل ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسنة كما ينزل عليه بالقرآن يعلمه اياها) أخرجه الدارمى باسناد صحيح عنه وهو مرسل لان حسان بن عطية من صغار التابعين وله شواهد كثيرة منها ما أخرجه أحمد عن أبى امامة رفعه ليدخلن الجنة بشفاعة رجل من أمتى مثل الحيين ربيعة ومضر فقال رجل يا رسول الله وما ربيعة من مضر فقال انما أقول ما أقول واسناده حسن وروى أبو داود وابن حبان مرفوعا الا انى أوتيت الكتاب وما يعدله فرب شبعان على أريكته يحدث بحديثى فيقول بيننا وبينكم كتاب الله ما كان فيه من حلال استحللناه وما كان فيه من حرام حرمناه الا وان ما حرمه رسول الله مثل ما حرم الله (ثم أخبر تعالى عن وصف من علمه الوحى والقرآن بما يعلم) بضم الياء وكسر اللام (انه مضاد لاوصاف الشياطين معلمى الضلال والغواية) بفتح الغين وفى لغة بكسرها على ما فى المصباح ونفاها فى القاموس (فقال علمه أى صاحبكم (شديد القوى وهو جبريل أى قواه العلمية والعملية كلها شديدة ولا شك أن مدح المعلم مدح للمتعلم فلو قال علمه جبريل ولم يصفه لم يحصل للنبى صلى الله عليه وسلم به فضيلة ظاهرة) وأيضا ففيه الوثوق بقول جبريل لان قوة الادراك شرط فى الوثوق بقول القائل وكذا قوة الحفظ والامانة فقال ذلك ليجمع هذه الشروط (وهذا نظير قوله تعالى ذى قوة عند ذى العرش مكين كما سيأتى البحث فيه ان شاء الله تعالى) قريبا (ثم أخبر سبحانه وتعالى عن تصديق فؤاده) صلى الله عليه وسلم (لما رأته) أبصرته (عيناه وأن القلب المعبر عنه بالفؤاد (صدق العين وليس كمن رأى شيأ على خلاف ما هو به فكذب فؤاده بصره بل ما رآه ببصره صدقه الفؤاد وعلم انه كذلك وفى حديث الاسراء مزيد لما ذكرته هنا والله الموفق والمعين) لا غيره (وقال تعالى فلا أقسم بالخنس الجوار) بدون ياء لجميع القراء الا يعقوب فأثبتها (الكنس الى قوله وما هو) أى القرآن (بقول شيطان رجيم) مرجوم بالكواكب واللعنة وغير ذلك نفى لقول قريش ان محمدا كاهن (أى لا أقسم اذ الامر أوضح من أن يحتاج الى قسم) فلا ليست بزائدة عند كثير من المفسرين لان الاصل عدم الزيادة (أو فأقسم ولا مزيدة للتأكيد) والتقوية (وهذا قول أكثر المفسرين) وهو أنسب بالمقام وبما عقد له الفصل (بدليل قوله تعالى وانه لقسم لو تعلمون عظيم) اذ الآيتان فى بيان

شان

شأن القرآن فهما متوافقتان فى المعنى (قال الزمخشرى والوجه) أى المتجه (أن يقال هى للنفى) لا زائدة (أى انه لا يقسم بالشئ الا اعظاما له فكأنه بادخال حرف النفى يقول ان اعظامى باقسامى به كلا اعظام) ولما أوهم اللفظ ما ليس بمراد دفعه بقوله (يعنى انه يستأهل أى يستحق (فوق ذلك) وفى ابن عطية لا اما زائدة واما رد لقول قريش ساحر كاهن ونحوه وتكذيبهم نبوته صلى الله عليه وسلم ثم ابتدأ ما بعده (أقسم سبحانه وتعالى بالنجوم فى أحوالها الثلاثة من طلوعها) المفهوم من الخنس لانها الكواكب التى تظهر ليلا (وجريانها) فى سيرها بقوله الجوار (وغروبها) المفهوم من قوله الكنس أى السيارات التى تختفى تحت ضوء الشمس من كنس الوحش اذا دخل كناسه وهو بيته المتخذ من أغصان الشجر كما فى الانوار وفى ابن عطية جمهور المفسرين أن الجوار الدرارى السبعة الشمس والقمر وزحل وعطارد والمريخ والزهرة والمشترى وقال على بن أبى طالب المراد الخمسة دون الشمس والقمر وذلك لان هذه الخمسة تخنس فى جريانها أى تتقهقر وترجع فيما ترى العين وهى جوار فى السماء وهى تكنس فى ابراجها أى تستتر وقال على أيضا والحسن وقتادة المراد النجوم كلها لانها تخنس وتكنس بالنهار حتى تختفى وقال ابن مسعود والنخعى وجابر بن زيد وجماعة المراد بالخنس الجوار الكنس بقر الوحش لانها تفعل هذه الافعال فى كناسها وهى المواضع التى تأوى اليها من الشجر والغيران ونحوه وقال ابن عباس والحسن أيضا والضحاك هى الظباء وذهب هؤلاء فى الخنس الى انه صفة لازمة لانه يلزمها الخنس وكذا فى بقر الوحش أيضا انتهى (وبانصرام الليل) أى ذهابه المفهوم من قوله اذا عسعس (وباقبال النهار عقيبه) بالياء لغة فى عقب (من غير فصل) المفهوم من قوله والصبح اذا تنفس قال ابن عطية عسعس الليل فى اللغة اذا كان غير مستحكم الظلام فقال الحسن ذلك وقت اقباله وبه وقع القسم وقال زيد بن أسلم وابن عباس وعلى ومجاهد وقتادة ذلك عند ادباره وبه وقع القسم ويرجح هذا قوله بعد والصبح اذا تنفس فكأنهما حالان ويشهد له قول علقمة

حتى اذا الصبح لها تنفسا * وانجاب عنها ليلها وعسعسا

وقال المبرد أقسم باقبال الليل وادباره معا قال الخليل يقال عسعس الليل وسعسع اذا أقبل وأدبر وتنفس الصبح استطار واتسع ضوؤه قال علوان بن قيس

وليل دجوجى تنفس فجره * لهم بعد ما خالوه لن يتنفسا

(فذكر سبحانه حالة ضعف هذا) أى الليل (وادباره) من حيث انه لا يهتدى فيه الى المصالح الدنيوية وليس محلا للسعى والتردد (وحالة قوة هذا) أى الصبح (واقباله يطرد ظلمة الليل بتنفسه فكلما تنفس) أى ازداد نوره (هرب الليل وأدبر بين يديه) وفى تنفسه قولان أحدهما أن فى اقبال الصبح روحا ونسيما فجعل ذلك نفسا على المجاز الثانى انه شبه الليل بالمكروب المحزون فاذا جعل له التنفس وجد راحة فكأنه تخلص من الحزن فعبر عنه بالنفس فهو استعارة لطيفة كما فى الخازن (وذلك من آياته ودلائل ربوبيته) ولذا أقسم به (ان القرآن قول) معمول أقسم تفسير للضمير فى انه لقول (رسول كريم) وقول بمعنى مقول

ورسول بمعنى مرسل قال ابن عطية وكريم صفة تقتضى وقع المرام (وهوهنا جبريل) عند جمهور المتأولين وقال آخرون هو محمد صلى الله عليه وسلم فى الآية كلها والاول أصح (لانه ذكر صفته قطعا بعد ذلك بما يعينه به) على وجه لا يحتمل أن المراد غيره (وأما الرسول الكريم فى سورة الحاقة فهو محمد صلى الله عليه وسلم) لا جبريل لانه قال وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون ولا بقول كاهن والمشركون ما كانوا يصفون جبريل بالشعر والكهانة على ما يأتى (فأضافه) أى القول (الى الرسول الملكى تارة والى البشرى أخرى واضافته اليهما) غير حقيقية بل (اضافة تبليغ لا اضافة انشاء من عندهما ولفظ الرسول يدل على ذلك فان الرسول هو الذى يبلغ كلام من أرسله فهذا صريح فى انه كلام من أرسل جبريل ومحمدا صلى الله عليه وسلم فجبريل تلقاه عن الله) تلقيا روحانيا بنسم الراء لا يكيف (ومحمد صلى الله عليه وسلم تلقاه عن جبريل وقد وصف الله تعالى رسوله الملكى فى هذه السورة) أى التكوير (بأنه كريم يعطى أفضل العطايا وهى العلم والمعرفة والهدى والبر والارشاد وهذا غاية الكرم) نهايته التى ما بعدها غاية (وذى قوة كما قال فى النجم علمه) أى صاحبكم (شديد القوى) العلمية والعملية (فيمتنع بقوته الشياطين أن يدنوا منه) أى من القول بأن يريدوا منع جبريل من ايصاله الى الرسول أو منع الرسول من تبليغه للخلق (أو يزيدوا فيه أو ينقصوا منه) شيأ ولو قل بل اذا رآه الشيطان هرب منه ولم يقربه (وروى) مما يدل على قوته (انه رفع قريات) بفتح الراء جمع تصحيح لقرية بسكون الراء قياسا لان ما كان اسما يجمع على فعلات بالفتح كجفنة وجفنات وما كان صفة يجمع بالسكون كصعبة وصعبات والمتبادر من المصباح انها اسم لانه قال القرية كل مكان اتصلت به الابنية واتخذ قرارا ويقع على المدن وغيرها والجمع قرى على غير قياس أى جمع التكسير والتصحيح قريات (قوم لوط على قوادم جناحه) وهى أربع أو عشر ريشات فى مقدم الجناح الواحدة قادمة كما فى القاموس (حتى سمع أهل السماء نباح كلابها) بضم النون أصواتها (وأصوات بنيها) وصياح ديكتها ثم قلبها عليهم روى ابن عساكر عن معاوية بن قرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل ما أحسن ما أثنى عليك ربك ذى قوة عند ذى العرش مكين مطاع ثم أمين ما كانت قوتك وما كانت أمانتك قال أما قوتى فانى بعثت الى مدائن قوم لوط وهى أربع مدائن وفى كل مدينة أربعمائة ألف مقاتل سوى الذرارى فحملتها من الارض السفلى حتى سمع أهل السماء أصوات الدجاج ونباح الكلاب ثم هويت بهن فقلبتهن وأما أمانتى فلم أومر بشئ فعدوته الى غيره وقال محمد بن السائب الكلبى من قوة جبريل انه اقتلع مدائن قوم لوط من الماء الاسود فحملها على جناحه حتى رفعها الى السماء حتى سمع أهل السماء نباح كلابهم وصياح ديكتهم ثم قلبها ومن قوته أيضا انه أبصر ابليس يكلم عيسى ابن مريم على بعض عقاب الارض المقدسة فنفحه بجناحه نفحة ألقاه بأقصى جبل الهند ومن قوته أيضا صيحته بثمود فى عددهم وكثرتهم فأصبحوا جاثمين خامدين ومن قوته أيضا هبوطه من السماء على الانبياء وصعوده فى أسرع من طرفة عين (ذى قوة عند ذى العرش مكين) اختلف فى تعلق عند ذى العرش فقيل

قوله وقع المرام هكذا فى النسخ ولعله محرف عن رفع أو دفع المذام تأمل اه مصححه

متعلق بما قبله وقيل متعلق بمكين (أي متمكن المنزلة) أي عظيم مبجل رفيع المقدار عنده (وهذه العندية عندية الاكرام والتشريف والتعظيم) لاستحالة الحقيقة في الله تعالى (مطاع في ملائكة الله تعالى المقربين يصدرون عن أمره ويرجعون الى رأيه ثم) بفتح المثلثة وشد الميم اسم اشارة للمكان بمعنى هنالك أي في السماء كما دل عليه قوله عند ذي العرش واشارة البعيد والمقام ونحوه قول الكشاف مطاع عند ذي العرش في ملائكته ويجوز تعلقه بقوله (أمين) أو بهما (على وحي الله ورسالته) وخصه بذلك لان المقام يقتضيه وهو مؤتمن عليه وعلى غيره واذا فسر بقبول القول مصدق فيما يقول (فقد عصمه الله من الخيانة والزلل فهذه خمس صفات) بناء على ان العندية والمكان ليسا بصفتين حقيقيتين فلم يعدهما هنا ولحظ الزمخشري ان كلا منهما دال على صفة كمال فعدها سبعا وتبعه المصنف في موضعين تقدما وعدها الرازي ستة فجعل قوله عند ذي العرش متعلقا بقوله ذي قوة (تتضمن تزكية سند القرآن وأنه سماع محمد صلى الله عليه وسلم من جبريل وسماع جبريل من رب العالمين فناهيك بهذا السند علوا وجلالة فقد تولى الله تزكيته بنفسه) أي ذاته وفي اطلاق النفس على الله تعالى مقال (ثم نزه رسوله البشري وزكاه مما يقول فيه أعداؤه) الكفرة (فقال وما صاحبكم بمجنون وهذا أمر يعلمونه ولا يشكون فيه وان قالوا بألسنتهم خلافه) استكبارا وعنادا (فهم يعلمون) تحقيقا (انهم كاذبون) وانما حملهم عليه البغي والعناد (ثم أخبر عن رؤيته صلى الله عليه وسلم لجبريل عليه الصلاة والسلام) بقوله ولقد رآه بالافق المبين قال ابن عطية ضمير رآه لجبريل وهذه الرؤية كانت بعد أمر غار حراء حين رآه على كرسي بين السماء والارض وقيل هي رؤيته عند سدرة المنتهى في الاسراء وسمى ذلك الموضع أفقا تجوزا وقد كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم رؤية ثالثة بالمدينة وليست هذه ووصفه بالمبين لانه روى انه كان في المشرق من حيث تطلع الشمس قاله قتادة وأيضا فكل أفق فهو في غاية البيان (وهذا يتضمن انه ملك موجود في الخارج يرى بالعيان) بكسر العين (ويدرك بالبصر خلافا للقوم حقيقته عندهم انه خيال موجود في الاذهان لا في العيان وهذا مما خالفوا فيه جميع الرسل وأتباعهم وخرجوا به عن جميع الملل ولهذا كان تقريره) اثبات وبيان (رؤية النبي صلى الله عليه وسلم لجبريل أهم من تقريره لرؤية ربه تبارك وتعالى فان رؤيته عليه الصلاة والسلام لجبريل هي أصل الايمان لا يتم الا باعتقادها ومن أنكرها كفر قطعا) لجحده ما انبنى عليه الايمان (وأما رؤيته لربه تعالى فغايتها أن تكون مسئلة نزاع) خلاف بين العلماء من الصحابة فمن بعدهم (لا يكفر جاحدها بالاتفاق وقد صرح جماعة من الصحابة بأنه لم يره فنحن الى تقرير) اثبات (رؤيته لجبريل أحوج منا الى تقرير رؤيته لربه تعالى وان كانت رؤية الرب سبحانه وتعالى أعظم من رؤية جبريل فان النبوة لا تتوقف عليها البتة) بقطع الهمزة وقد ضعف أيضا كون ضمير رآه لله تعالى بأنه قول غريب لم ينقل عن أحد ممن يعتمد عليه ويأباه كل الاباء قوله بالافق المبين سواء كان نواحي السماء أو حيث تطلع الشمس اذ لم يقل أحد انه رأى ربه بالافق وأجيب بأن رؤيته بالافق كاستوى على العرش والمراد بالافق الذي فوق السماء

السابعة أو المراد به المنزلة العالية كما أشار اليه الامام الرازى وقولهم لم يقل به أحد يرده انه روى عن ابن مسعود (ثم نزه سبحانه وتعالى رسوليه كليهما صلى الله عليهما وسلم أحدهما بطريق النطق والثانى بطريق اللزوم) اذ يلزم من نفيه عن أحدهما صريحا نفيه عن الآخر لانه تلقاه منه أو عنه (عما يضاد) يخالف (مقصود الرسالة من الكتمان الذى هو الضنة) بكسر المعجمة وشد النون (والبخل) تفسير (والتبديل والتغيير الذى يوجب التهمة فقال وما هو على الغيب بضنين) أى ما غاب عن الحس الذى أخبر به أو ما هو وسائر الانبياء على أخبار الغيب فيشمل الذات والصفات والقرآن ويستدل به على غيره أو المراد ما غاب عن علمكم فيشمل اخباره عن المشاهد والغائب (فان الرسالة لا يتم مقصودها الا بأمرين اذاعتها من غير كتمان وأدائها على وجهها من غير زيادة ولا نقصان) اذ لو فرض زيادة أو نقص أو كتم ما حصل المقصود (والقراءتان كالآيتين فتضمنت احداهما وهى قراءة الضاد) قراءة نافع وعاصم وحمزة وابن عامر (تنزهه عن البخل فان الضنين البخيل يقال ضننت به أضن) بفتح الضاد (بوزن بخلت به أبخل ومعناه) عطف على بوزن فبابه فرح زاد المصباح وفى لغة من باب ضرب (وقال ابن عباس ليس ببخيل بما أنزل الله) بل يبلغه (وقال مجاهد لا يضن عليهم بما يعلم) وهو قريب من تفسير ابن عباس أو أعم ان خص ما أنزل بالقرآن (وأجمع المفسرون على أن الغيب ههنا القرآن والوحى قال الفراء) يحيى ابن زياد بن عبد الله الاسدى أبو زكريا الكوفى نزيل بغداد النحوى المشهور مات سنة سبع ومائتين قيل له الفراء لانه كان يفرى الكلام وهو صدوق فى الحديث علق عنه البخارى (يقول تعالى يأتيه غيب من السماء وهو منفوس) اى مرغوب (فيه فلا يضن) بفتح الضاد وتكسر لا يبخل به (عليكم وهذا معنى حسن جدا فان عادة النفوس الشح بالشئ النفيس ولا سيما عمن لا يعرف قدره ومع هذا فالرسول صلى الله عليه وسلم لا يبخل عليكم بالوحى الذى هو أنفس شئ وأجله وقال أبو على) الحسن بن أحمد (الفارسى) الامام المشهور المتوفى سنة سبع وسبعين وثلثمائة (المعنى يأتيه الغيب فيبينه ويخبر به ويظهره ولا يكتمه كما يكتم الكاهن ما عنده ويخفيه حتى يأخذ عليه حلوانا) بضم فسكون عطاء اسم من حلوته أحلوه (وأما قراءة من قرأ بظنين بالظاء) كأبى عمرو والكسائى وابن كثير (فمعناه المتهم يقال ظننت زيدا بمعنى اتهمته) فيتعدى الى مفعول واحد (وليس هو من الظن الذى هو الشعور والادراك فان ذلك يتعدى الى مفعولين) كظننت زيدا قائما (والمعنى وما هذا الرسول على القرآن بمتهم) فالنفى فيه كالنفى فى لا ريب فيه (بل هو أمين فيه لا يزيد فيه ولا ينقص منه وهذا يدل على أن الضمير فيه) أى قوله هو (يرجع الى محمد صلى الله عليه وسلم لانه قد تقدم وصف الرسول الملكى) (جبريل) بالامانة ثم قال وما صاحبكم بمجنون) يعنى محمدا باجماع (ثم قال وما هو أى وما صاحبكم بمتهم ولا بخيل) على القراءتين ورجح أبو عبيدة قراءة الظاء مشالة بأن قريشا لم تبخل محمدا صلى الله عليه وسلم وانما كذبته (فنفى سبحانه عن رسوله صلى الله عليه وسلم ذلك كله وزكى سنده القرآن أعظم تزكية) فلا يطلب بعد تزكية الله تزكية لانها أعظمها (والله يقول الحق) ماله

حقيقة

قوله وقولهم لم يقل به أحد أى فيه تقدم قريبا فى قوله بأنه قول غريب لم يقل عن احد ممن يعتمد عليه الا انه ذكر ذلك هنا بالمعنى فتنبه اه مصححه

حقيقة عينية مطابقة له (وهو يهدي السبيل) سبيل الحق (وقال تعالى فلا أقسم بما تبصرون) تشاهدون بالبصر (وما لا تبصرون) المغيبات (انه لقول رسول كريم أقسم تعالى) تصريح بأن لا زائدة للتأكيد وقيل نافية أي لا أقسم بذلك وان كان يستحق أن يقسم به لوضوح الامر عن الاحتياج الى قسم واستغنائه عن التحقيق بالقسم وقيل فلا رد لما تقدم من أقوال الكفار واستأنف أقسم وقرأ الحسن فلا قسم بلام القسم (بالاشياء كلها ما يبصر منها وما لا يبصر وهذا أعم قسم وقع في القرآن فانه يعم العلويات والسفليات والدنيا والآخرة وما يرى وما لا يرى) دخل فيه الخالق وصفاته تعالى كما في الخازن وغيره (ويدخل في ذلك الملائكة كلهم والجن والانس والعرش والكرسي واللوح والقلم وكل مخلوق) وحيث شمل ذلك كله فالحمل عليه أولى من الحمل على بعضه فقيل الدنيا والآخرة أو ما على ظهر الارض وبطنها أو الاجساد والارواح او الانس والجن أو الخلق والخالق أو النعم الظاهرة والباطنة أو ما أظهره الله من مكنون غيبه واللوح والقلم وجميع خلقه وما لا تبصرون ما استأثر بعلمه فلم يطلع عليه أحدا من خلقه (وذلك كله من آيات قدرته وربوبيته ففي ضمن هذا القسم أن كل ما يرى وما لا يرى آية ودليل على صدق رسوله صلى الله عليه وسلم) قد يتوقف فيه بأن كثيرا من المخلوقات ليس فيه دلالة على ذلك كذات السماء مثلا اللهم الا أن يقال الاقسام بها دليل عظمتها وكمالها فقيها دلالة على صدق المصطفى من حيث الاخبار عن الله انه انما خلق السموات وغيرها لاجله صلى الله عليه وسلم أو أن الاقسام بكل واحد منها من حيث تعلق الاقسام به يثبت صدقه فيما جاء به (وأن ما جاء به هو من عند الله تعالى وهو كلامه تعالى لا كلام شاعر ولا مجنون ولا كاهن كما زعموا (وأنه حق ثابت كما أن سائر الموجودات ما يرى منها وما لا يرى حق كما قال) أي ونظير ذلك قوله (تعالى فورب السماء والارض انه) أي ما توعدونه (لحق مثل ما أنكم تنطقون) برفع مثل صفة وما زائدة وبفتح اللام مركبة مع ما المعنى مثل نطقكم في حقيته أي معلوميته عندكم ضرورة صدوره عنكم فوجه التنظير بهذه الآية أنه أقسم برب السماء والارض على أن ما توعدونه حق كما أن نطقكم الذي تأتون به حق لا تشكون فيه (فكأنه سبحانه وتعالى يقول انه) أي القرآن الذي رجع اليه ضمير انه لقول رسول كريم (حق كما أن ما تشاهدونه من الخلق وما لا تشاهدونه حق موجود) فلا وجه للانكار (ويكفي الانسان من) كذا في بعض النسخ الصحيحة من التي للبدل وهو الصواب الواقع في أصله لابن القيم وفي غالب النسخ مع ولا معنى لها اذ المعنى بدل (جميع ما يبصره وما لا يبصره نفسه) كما قال تعالى وفي انفسكم أفلا تبصرون أي وفي أنفسكم أيضا آيات من مبدا خلقكم الى منتهاه وما في تركيب خلقكم من العجائب أفلا تبصرون ذلك فتستدلون به على صانعه وقدرته (ومبدأ خلقه ونشأته وما يشاهده من أحواله ظاهرا وباطنا) اذ ما في العالم شئ الا وفي الانسان له نظير تدل ذاته على ما انفرد به من الهيئات النافعة والمناظر البهية والتركيبات العجيبة والتمكن من الافعال الغريبة واستنباط الصنائع المختلفة واستجماع الكمالات المتنوعة كما في البيضاوي (ففي ذلك أبين دلالة على وحدانية

الرب) كذا في نسخ صحيحة متعددة وهو الذي في أصله ابن القيم خلاف ما في بعضها أبين دلالة الرب فانه خطأ نشأ عن سقط (وثبوت صفاته وصدق ما أخبر به رسوله صلى الله عليه وسلم ومن لم يباشر قلبه ذلك حقيقة لم تخالط بشاشة الايمان) أي طلاقة الوجه والتلطف بالضعفاء وحسن السيرة مع المؤمنين (قلبه) من اضافة المسبب الى السبب أي لم تخالط البشاشة الناشئة عن الايمان قلبه أو شبه الايمان بانسان حسن الاخلاق كامل التودد والصداقة لاخوانه وأثبت له ما هو من خواصه وهو البشاشة تخييلا (ثم) بعد أن أثبت بالقسم أنه قول رسول كريم ونفى عنه أقوال الكفرة بقوله وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون تنزيل من رب العالمين (أقام سبحانه البرهان) الدليل (القاطع على صدق رسوله صلى الله عليه وسلم وأنه لم يتقول عليه فيما قاله) بقوله تعالى ولو تقول علينا بعض الاقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين فما منكم من أحد عنه حاجزين قال الكشاف سمي الافتراء تقولا لانه قول متكلف والاقوال المفتراة أقاويل تحقيرا لها كأنها جمع أفعولة من القول كالاضاحيك (وانه لو تقول عليه وافترى) عطف تفسير (لما أقره ولعاجله بالاهلاك) أي عجل اهلاكه (فان كمال علمه وقدرته وحكمته يأبى أن يقر من تقول عليه) ما لم يقل (وافترى عليه وأضل عباده واستباح دماء من كذبه وحريمهم) نساءهم (وأموالهم فكيف يليق بأحكم الحاكمين وأقدر القادرين أن يقر على ذلك) لا فهو استفهام بمعنى النفي (بل) اضراب انتقالي لا ابطالي (كيف يليق به أن يؤيده وينصره ويعليه ويظهره ويظفره بهم) أي المكذبين له (يسفك دماءهم ويستبيح أموالهم وأولادهم ونساءهم قائلا ان الله أمرني بذلك وأباحه لي) استفهام بمعنى النفي أيضا أي لا يكون ذلك (بل) للاضراب الانتقالي أيضا (كيف يليق به أن يصدقه بأنواع التصديق كلها فيصدقه باقراره) على ما فعله فيهم من سفك دمهم وغيره (وبالآيات) المعجزات (المستلزمة لصدقه ثم يصدقه بأنواعها كلها على اختلافها فكل آية) علامة ومعجزة (على انفرادها مصدقة له ثم يقيم الدلالة القاطعة على أن هذا قوله وكلامه فيشهد له باقراره وفعله وقوله فمن أعظم المحال وأبطل الباطل وأبين البهتان) أي افتراء الكذب (أن يجوز على أحكم الحاكمين أن يفعل ذلك) ففي ذلك كله أبين الدلالة على صدقه صلى الله عليه وسلم (والمراد بالرسول الكريم هنا محمد صلى الله عليه وسلم) في قول جماعة من أهل التفسير (كما قدمته) في الآية التي قبل هذه وأضيف اليه لانه بلغه وقال جماعة منهم هو جبريل والاول أصح (لانه لما قال انه لقول رسول كريم ذكر بعده انه ليس بقول شاعر ولا كاهن والمشركون ما كانوا يصفون جبريل عليه السلام بالشعر والكهانة) وأجيب بأنه يصح ارادة جبريل من حيث ان المشركين كانوا يصفون القول نفسه بانه شعر وكهانة وان لم يلحظوا قائله قيل ذكر الايمان مع نفي الشاعرية والتذكر مع نفي الكاهنية لان عدم مشابهة القرآن الشعر لا ينكره الا معاند بخلاف مباينته الكهانة فتتوقف على تذكر أحواله صلى الله عليه وسلم ومعاني القرآن النافية لطريقة الكهنة ومعاني أقوالهم وأنت خبير بأن ذلك أيضا مما يتوقف على تأمل قطعا كذا في بعض التفاسير والله أعلم

(ومن

(ومن ذلك قوله تعالى فلا أقسم) قيل لا زائدة والمعنى فأقسم وزيادتها في بعض المواضع معروفة نحو لئلا يعلم أهل الكتاب فهي مؤكدة تعطي في القسم مبالغة ما وهي كاستفتاح كلام مشبهة في القسم ألا في سائر الكلام القسم وغيره ومنه قوله فلا وأبي أعدائها لا أخونها المعنى وأبي أعدائها وله نظائر وقرأ الحسن فلأقسم بلا ألف أي فلأنا أقسم وقال سعيد بن جبير وبعض النحاة نافية كأنه قال لا صحة لما يقوله الكفرة ثم ابتدأ أقسم (بمواقع) بالجمع قراءة الجمهور وقرأ عمر وابن مسعود وابن عباس وأهل الكوفة وحمزة والكسائي بموقع بالافراد ومرادهم به الجمع ونظيره كثير ومنه ان أنكر الاصوات لصوت الحمير جمع من حيث ان لكل حمار صوتا مختصا وأفرد من حيث ان الاصوات كلها نوع (النجوم) قال ابن عباس وعكرمة ومجاهد وغيرهم هي نجوم القرآن التي نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم وذلك لانه نزل في ليلة القدر الى سماء الدنيا وقيل الى البيت المعمور جملة واحدة ثم نزل بعد ذلك على المصطفى نجوما مقطعة في عشرين سنة قال ابن عطية ويؤيده عود الضمير في انه الى القرآن فانه لم يتقدم ذكره الا على هذا التأويل ومن قال بغيره قال الضمير عائد على القرآن وان لم يتقدم ذكره لشهرة الامر ووضوح الحق كقوله حتى توارت وكل من عليها وقال جمهور المفسرين النجوم هنا الكواكب المعروفة واختلف في مواقعها فقال مجاهد وأبو عبيدة مواقعها عند غروبها وطلوعها وقال قتادة مواضعها من السماء وقيل مواضعها عند الانقضاض اثر الجن وقال الحسن مواقعها عند الانكدار يوم القيامة انتهى وهو ظاهر في أن الاضافة على بابها وأن الاقسام انما هو بمواقعها لا بذواتها وتجويز أنه من اضافة الصفة للموصوف أي بالنجوم حين سقوطها خلاف الاصل وظاهر اللفظ وكلام المفسرين (وانه لقسم) تأكيد للامر وتقييد من المقسم به لا اعتراض بل معنى قصد التفهيم به وانما الاعتراض (لو تعلمون) وقيل انه اعتراض وان لو تعلمون اعتراض في اعتراض والتحرير ما ذكرناه قاله ابن عطية (عظيم) أي لو كنتم تعلمون أي من ذوي العلم لعلمتم عظم هذا القسم (انه) أي المتلو عليكم (لقرآن كريم) هو الذي وقع القسم عليه ووصفه بالكرم اثباتا للصفة المدح له ودفعا للصفات المحطة عنه (في كتاب) مكتوب (مكنون) مصون (لا يمسه الا المطهرون) تنزيل من رب العالمين واختلف في الكتاب بعد الاتفاق على أن المكنون المصون كما قال ابن عطية (فقيل المراد بالكتاب اللوح المحفوظ قال ابن القيم والصحيح انه الكتاب الذي بأيدي الملائكة وهو المذكور في قوله) كلا انها تذكرة فمن شاء ذكره (في صحف) خبر ثان لانها وما قبله اعتراض (مكرمة) عند الله (مرفوعة) في السماء (مطهرة) منزهة عن مس الشياطين (بأيدي سفرة) كتبة ينسخونها من اللوح المحفوظ (كرام بررة) مطيعين لله وهم الملائكة (قال مالك) الامام (أحسن ما سمعت في هذه الآية أي في كتاب مكنون (أنها مثل الذي في) سورة عبس استدلالا لما صححه (قال) ابن القيم (ومن المفسرين من قال ان المراد أن المصحف لا يمسه الا طاهر) من الحدث (والاول أرجح) عند غيره يعني اللوح المحفوظ اذ هو الاول في كلامه ولا يخالفه قوله في الثاني انه الصحيح لانه عند نفسه ويؤيد ذلك قول ابن القيم الخامس أي من التراجيح أن وصفه بكونه

مكنونا فظير وصفه بكونه محفوظا فقوله لقرآن كريم فى كتاب مكنون كقوله بل هو قرآن مجيد فى لوح محفوظ (لان الآية سيقت تنزيها للقرآن أن تنزل به الشياطين وأن محله لا تصل اليه كما قال تعالى وما تنزلت به) بالقرآن (الشياطين وما ينبغى) يصلح (لهم) أن ينزلوا به (وما يستطيعون) ذلك والقرآن يفسر بعضه بعضا فترجح كون المراد ما بأيدى الملائكة (وأيضا فان قوله لا يمسه بالرفع فهذا خبر لفظا ومعنى ولو كان نهيا لكان مفتوحا ومن حمل الآية على النهى احتاج الى صرف الخبر عن ظاهره الى معنى النهى) فقال انه خبر بمعنى النهى وضمة السين ضمة اعراب وقيل هو نهى وضمة السين ضمة بناء لا اعراب (والاصل فى الخبر والنهى حمل كل منهما على حقيقته وليس ههنا موجب يوجب صرف الكلام عن الخبر الى النهى) بل الموجب موجود وهو اجتماع النفى والاثبات (انتهى) ما أراد نقله من كلام ابن القيم حال كونه (ملخصا) بمعنى محذوفا منه مالم يرد نقله والا فهو قد ذكر كلاما طويلا من جملته عشرة أوجه فى ترجيح انه الذى بأيدى الملائكة منها الوجهان المذكوران فى المصنف (وهذا الذى قاله ابن القيم قد تمسك به جماعة منهم داود بن على) بن خلف الحافظ المجتهد أبو سليمان الاصفهانى البغدادى فقيه أهل الظاهر ولد سنة اثنتين ومائتين وأخذ عن اسحق وأبى ثور وسمع القعنبى وحدث عنه ابنه محمد وزكريا الساجى وصنف التصانيف وكان بصيرا بالحديث صحيحه وسقيمه اماما ورعا ناسكا زاهدا كان فى مجلسه أربعمائة طيلسان مات فى رمضان سنة ثمانين ومائتين (بأنه يجوز مس المصحف للمحدث) لان الآية لم ترد فيه انما وردت فى اللوح أو الذى بأيدى الملائكة لكن ولو قلنا بذلك لا دلالة فيها على جواز مس المصحف للمحدث اذ هو مسكوت عنه (وأجاب ابن الرفعة فى الكفاية) شرح التنبيه للشيخ أبى اسحق الشيرازى كتاب واسع كبير (عن أدلتهم المزخرفة) أى المزينة بعبارتها (فقال ما نصه القرآن لا يصح مسه) وانما يمكن مس النقوش الدالة عليه (فعلم أن المراد به الكتاب الذى هو أقرب المذكورين) وهما القرآن الكريم والكتاب المكنون (ولا يتوجه النهى الى اللوح المحفوظ) ولا الى صحف الملائكة (لانه غير منزل ومسه غير ممكن ولا يمكن أن يكون المراد بالمطهرون الملائكة لانه قد نفى) بقوله لا يمسه (وأثبت) بقوله الا المطهرون (وكأنه قال يمسه المطهرون ولا يمسه غير المطهرين والسماء ليس فيها غير مطهر بالاجماع) فحمله على الملائكة يلزم منه انقسامهم لمطهر وغيره وهو خلاف الاجماع (فعلم) بذلك (انه أراد بالمطهر بن الآدميين) وتعين انه أراد بكتاب المصحف (ويبين ذلك) ويزيده وضوحا (ما روى انه عليه الصلاة والسلام قال فى كتاب عمرو) بفتح العين (ابن حزم) بن زيد بن لوذان الانصارى يكنى أبا الضحا لشهد الخندق وما بعدها واستعمله النبى صلى الله عليه وسلم على نجران وروى عنه كتابا كتبه له فيه الفرائض والزكاة والديات وغير ذلك وعنه ابنه محمد وجماعة قال أبو نعيم مات فى خلافة عمر وكذا قال ابراهيم بن المنذر ويقال بعد الخمسين قال فى الاصابة وهو أشبه بالصواب ففى مسند أبى يعلى برجال ثقات انه كلم معاوية فى أمر بيعته ليزيد بكلام قوى وفى الطبرانى وغيره انه روى لمعاوية ولعمرو بن العاصى حديث

يقتل عمارا الفئة الباغية (المروى فى الدارقطنى وغيره) كأبى داود والنسائى وابن حبان والدارمى (ولا تمس القرآن الا وأنت على طهر) فهذا نص صريح فى المطلوب وان احتملت الآية (ثم قال) ابن الرفعة (فان قيل قد قال الواحدى ان أكثر أهل التفسير على أن المراد اللوح المحفوظ وأن المطهرين الملائكة ثم لو صح ما قلتم) ان المراد المصحف والمطهرون بنو آدم (لم يكن فيها دليل) على حرمة مسه للمحدث (لان قوله لا يمسه بضم السين ليس نهيا عن المراد ولو كان نهيا لكان بفتح السين فهو اذا خبر) لا دلالة فيه على الحرمة (قلنا أما قول أكثر المفسرين فهو معارض بقول الباقين والمرجع الى الدليل) وهو انما دل على أن المراد المصحف فلا نظر الى كثرة القائلين بخلافه (وأما كون المراد بالآية الخبر فجوابه أنا نقول اللفظ لفظ الخبر ومعناه النهى) وهو أبلغ فى النهى من النهى الصريح (وهو كثير فى القرآن) وكذا السنة (قال الله تعالى لا تضار والدة بولدها) بسببه بأن تكره على ارضاعه اذا امتنعت فلفظه خبر ومعناه النهى (والمطلقات يتربصن) اذ معناه لتتربص المطلقات ولا تبادر بالنكاح قبل انقضاء الاقراء (انتهى) كلام ابن الرفعة (وأجاب العلامة البساطى) قاضى القضاة المالكية شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان شيخ الاسلام ولد سنة ستين وسبعمائة وبرز فى الفنون ودرس فى الشيخونية وغيرها وصنف تصانيف ومات فى رمضان سنة اثنتين وأربعين وثمانمائة (فى شرحه لمختصر الشيخ خليل) بن اسحق العلم الشهير فى الآفاق (بأن يمسه مجزوم وضم السين لاجل الضمير كما صرح به جماعة وقالوا انه مذهب البصريين ومنهم) أى الجماعة (ابن الحاجب فى شافيته انتهى) كلام البساطى (وقد ذكر هذا العلامة شهاب الدين أحمد بن يوسف بن محمد بن مسعود الحلبى الشهير بالسمين) صاحب اعراب القرآن وله أيضا تفسير كبير تقدم بعض ترجمته (مع زيادة ايضاح وفوائد فقال فى لا هذه) فى لا يمسه (وجهان) الاول أنها نافية (الثانى أنها ناهية والفعل بعدها مجزوم لانه لو فك عن الادغام لظهر ذلك) الجزم (فيه كقوله تعالى لم يمسسهم سوء) حيث ظهر الجزم فيه بفك الادغام (ولكنه أدغم) فى لا يمسه (ولما أدغم حرك آخره بالضم لاجل هاء ضمير المذكر الغائب ولم يحفظ سيبويه فى هذا الا الضم وفى الحديث) الذى أخرجه الشيخان وغيرهما عن الصعب بن جثامة الليثى انه أهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم حمارا وحشيا وهو بالابواء أو بودان فرده عليه فلما رأى ما فى وجهه قال (انا) بكسر الهمزة (لم نرده عليك) لعلة من العلل (الا أنا) بفتح الهمزة (حرم) بضم الحاء والراء أى محرمون زاد فى رواية للنسائى لانا كل الصيد قال المصنف نرده بفتح الدال رواية المحدثين وذكره ثعلب فى الفصيح لكن قال المحققون من النحاة انه غلط والصواب ضم الدال كآخر المضاعف من كل مضاعف مجزوم اتصل به ضمير المذكر مراعاة للواو التى توجبها ضمة الهاء بعدها لخفاء الهاء فكأن ما قبلها ولى الواو ولا يكون ما قبل الواو الا مضموما كما فتحوها مع المؤنث نحو نردها مراعاة للالف وجوز الكسر أيضا وهو أضعفها ففيها ثلاثة أوجه وللحموى والكشميهنى لم نردده بفك الادغام فالدال الاولى مضمومة والثانية مجزومة وهو واضح انتهى (وان كان القياس جواز فتحه

تخفيفا) وبه جاءت الرواية فهي صحيحة للتخفيف وليست بغلط (قال) السمين (وبهذا الذي ذكرته يظهر فساد رد من رد بأنه لو كان نهيا لكان يقال لايعسه بالفتح لانه خفي عليه جواز ضم ماقبل الهاء في هذا النحو) أي مافي هذا ونحوه من آخر كل مضاعف مجزوم اتصل به ضمير المذكر (لاسيما على رأي سيبويه فانه لايجيز غيره) بقي أن ابن عطية قال القول بان لايعسه نهي قول فيه ضعف لانه اذا كان خبرا فهو في موضع الصفة وقوله تنزيل صفة أيضا فاذا جعلناه نهيا جاء بمعنى أجنبي معترض بين الصفات وذلك لايحسن في وصف الكلام فتدبر وفي مصحف ابن مسعود مايعسه وهو مما يقوي مارجحته من الخبر الذي معناه حقه وقدره أن لايعسه الا طاهر انتهى وأجاب شيخنا المذكور عنه بأن تضعيفه بماذكر انما هو في سياق قصد به كله معنى واحد أما اذا قصد به معنيان أو أكثر فلا يضر ماقاله (والله أعلم) بما أراد

* (* الفصل الرابع في قسمه تعالى على تحقيق) أي اثبات (رسالته) صلى الله عليه وسلم (قال الله تعالى يس) أمال حمزة والكسائي الياء غير مفرطين والجمهور يفخمونها ونافع وسط في ذلك (والقرآن الحكيم) المحكم فعيل بمعنى مفعل أي أحكم في مواعظه وأوامره ونواهيه ويحتمل انه بناء فاعل أي ذي الحكمة او الحكيم صاحبه * (اعلم أن كل سورة بدأ الله تعالى فيها بحروف التهجي كان في أوائلها الذكر) كقوله ص والقرآن ذي الذكر وينبغي أن المراد به مايعم لفظه وماتضمن معناه نحو الم أحسب الناس أن يتركوا و الم غلبت الروم ونحوهما (أو الكتاب) الم ذلك الكتاب (أو القرآن) أو هما الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين (الا) سورة (ن) فليس في أوائلها ذلك صريحا لكن تقدم من جملة الاقوال أن معنى يسطرون يكتبون القرآن وغيره فعليه تكون ن كغيرها (ثم ان في ذكر هذه الحروف في أوائل السور أمورا تدل على انها غير خالية عن الحكمة لكن علم الانسان لايصل اليها الا ان كشف الله له سر ذلك) بأن يطلعه عليه وهذا بناء على انه أريد بها ماخفي لا مااستأثر الله بعلمه اذ لايطلع عليه أحدا (واختلف المفسرون في معنى يس على أقوال أحدها انه يا انسان بلغة طيئ) لانهم يقولون يا ايسان بمعنى يا انسان ويجمعونه على أياسين فهذا منه وقالت فرقة قوله يا حرف نداء والسين مقامة مقام انسان انتزع منه حرف فاقيم مقامه قاله ابن عطية (وهو قول ابن عباس) عند ابن أبي حاتم والثعلبي (والحسن) البصري (وعكرمة) البربري (والضحاك وسعيد ابن جبير وقيل بلغة الحبشة) حكي عن ابن عباس أيضا ومقاتل (وقيل بلغة كلب وحكى الكلبي) محمد بن السائب (انها بالسريانية قال الامام فخر الدين) الرازي (وتقريره) أي هذا القول ان معناه يا انسان بأي لغة مماذكر (هو أن تصغير انسان أنيسين وكأنه حذف الصدر وأخذ العجز) لكثرة النداء به (وقال يس وعلى هذا) أي يا انسان بسائر ماقيل فيه (فيكون الخطاب مع محمد صلى الله عليه وسلم) ويؤيده حديث لي عند ربي عشرة أسماء وعد منها طه ويس (ويدل عليه قوله تعالى انك لمن المرسلين) لانه خطاب له صلى الله عليه وسلم بلا نزاع فيقوى كون يس كذلك وتبع الزمخشري

الامام

الامام على هذا (وتعقبه أبو حيان بأن الذي نقل عن العرب في تصغير انسان أنيسيان بياء) بعد السين و (بعدها ألف فدل على أن أصله انسيان لان التصغير يرد الاشياء الى أصولها) فيعرف به كما يعرف بالجمع (ولا نعلم أنهم قالوا في تصغيره أنيسين وعلى تقدير أنه يصغر كذلك) ورودا عن العرب (فلا يجوز ذلك الا أن يبنى على الضم لانه منادى مقبل عليه) فكان قياسه ضم النون وقرأه الجمهور بسكون النون واظهارها وان كانت النون الساكنة تخفى مع الحروف واتماهي مع الانفصال وحق هذه الحروف المقطعة أن تظهر وقرأ عاصم وابن عامر بخلاف عنهما يس والقرآن بادغام النون في الواو وقرئ بنصب النون وبضمها (ومع ذلك) وجه ثالث (فلا يجوز لانه تحقير ويمتنع ذلك في حق النبوة انتهى) كلام أبي حيان واعتراضه الاول معارض بنقل الرازي وتبعه الزمخشري والبيضاوي والمثبت مقدم على النافي ولا يرد بقوله المنقول عن العرب لانه باعتبار علمه وجواب الثاني أنه ينوي ضمه كما في الاسماء المبنية على الكسر كسيبويه فنطق به بالسكون مع انه منادى نظرا الى انه لما كان بصورة الحرف أبقى على ما يلفظ به الحرف (قال الشيخ شهاب الدين السمين وهذا الاعتراض الاخير) الثالث (صحيح) فقد نصوا على أن التصغير لا يدخل في الاسماء المعظمة شرعا كأسماء الله تعالى وأنبيائه لايهامه التحقير وان جاء للتعظيم في قوله دويهية لانه انما جاء فيما يجوز تصغيره تلطفا منهم كما قيل

ماقلت حبيبي من التحقير * بل يعذب اسم الشئ بالتصغير

وأجاب شيخنا عنه بأن التصغير يرد لغير التحقير كالشفقة والمحبة فيحمل اللفظ عليه سيما مع وجود القرينة الدالة على ذلك وقد يرد بأنه انما ورد لغيره فيما يجوز تصغيره الا أن يقال المنع انما هو اذا وقع من غير الله أما منه بقصد الملاطفة ونحوها فلا يمتنع لكن يرد بأنه ليس نصا منه تعالى على ذلك انما هو على هذا التفسير وليس بمتعين خصوصا والمذهب المنصور في أسماء الحروف التي في أوائل السور أنها مما استأثر الله بعلمه (ولذلك يحكى أن) عبد الله بن مسلم (بن قتيبة) الدينوري (لما قال في المهيمن) بكسر الميم الثانية وفتحها أي المراقب (انه مصغر من مؤمن والاصل مؤيمن فأبدلت الهمزة هاء) كراهة اجتماع همزتين في كلمة لان أصله مؤأمن وقلبت الاولى هاء لاتحاد مخرجهما (قيل له هذا يقرب من الكفر) لان أسماء الله وما في معناها من الاسماء العظيمة لا يناسبها التصغير لانه ينافي التعظيم (فليتق الله قائله انتهى) ومع ذلك فهو تكلف لا حاجة اليه مع سماع ابنية يلتحق بها والياء أصلية لا مبدلة (وقيل معنى يس يا محمد) لانه وضع له ابتداء أو بواسطة (قاله ابن الحنفية) محمد بن علي بن أبي طالب الهاشمي أبو القاسم المدني ثقة روى له الجميع اشتهر بامه مات بعد الثمانين (والضحاك) بن مزاحم (وقيل يا رجل قاله أبو العالية) رفيع بن مهران التابعي (وقيل هو اسم من أسماء القرآن قاله قتادة) وقيل من أسماء السور وهما من الاقوال المشتركة في أوائل جميع السور (وعن أبي بكر الوراق) محمود بن الحسن (يا سيد البشر وعن جعفر الصادق) لصدقه في مقاله ابن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (انه أراد يا سيد مخاطبة للنبي صلى الله عليه وسلم) بفتح

قوله كراهة اجتماع الخ ظاهره انه علة لابدال الهمزة هاء مع أن مؤيمن لم يجتمع فيه همزتان نعم الاصل مؤأمن كما قال الا ان الاولى حذفت كما حذفت في مؤكرم فصار مكرم تأمل اه مصححه

الطاء منصوب بدل مما قبله أو مصدر فعل مقدر أى خاطبه به مخاطبة مخصوصة به قيل فعلى هذا فهو اكتفاء ببعض الكلمة عن باقيها وهو مذهب للعرب حكاه سيبويه وغيره يقولون ألا تا بمعنى تفعل فيقول بلى فا أى أفعل فيكتفون عن الكلمة ببعض حروفها وفى الحديث كفى بالسيف شا أى شاهدا وقال التجانى التحقيق انهم يكتفون ببعض حروف الكلمة معبرين باسم بعض حروفها كقولهم قلت لها قفى فقالت ق أى وقفت فيحتمل يس أن يكون عبر عنه باسمين من أسماء حروفه لا بمسماه كما قال الرازى وان كانت العرب قد تكتفى ببعض الكلمة كقوله كانت منا هابأرض لا يبلغها أى منا ياها وقوله درس المنا بمتالع فأبان أى المنازل ونظائره كثيرة وفى بديع الاكتفاء للتواجى قال علماء البديع الاكتفاء أن يدل موجود الكلام على محذوفه وهذا الحد صادق على نحو واسأل القرية على أحد القولين فيه ثم قسمه الى الاكتفاء بكلمة نحو سرابيل تقيكم الحر أى والبرد والى الاكتفاء ببعض الكلمة وهذا الثانى مما اخترعه المتأخرون من أهل البديع وأكثر منه الشعراء المتأخرون والتزموا فيه التورية كقول الدماميني

يقول مصاحبى والروض زاه * وقد بسط الربيع بساط زهر
تعال بنا كالروض المفدى * وقم نسعى الى روض ونسر أى نسرين

وقول الحافظ ابن حجر

دع يا عذول رقى الملام فذسرى * عن الحبيب فنيت دام له البقا
والطرف مذ فقد الرقاد بكى بما * يحكى الغمام فليس يهدى بالرقا أى الرقاد

واستشكل بأنه لا يجوز الترخيم فى غير المنادى لمخالفة القياس فكيف بعد تحسينا مع اخلاله بالفصاحة فلا يخرج القرآن عليه وان كان فيه تورية اللهم الا أن يقولوا انه مقيس مغتفر فى الشعر وما فى القرآن ليس منه بل من ذكر حرف من كلمة ايماء الى بقيتها لا من الترخيم وهو ما أشار اليه المفسرون (وفيه من مزيد تمجيده) اعزازه وتشريفه (وتعظيمه) اجلاله (ما لا يخفى) لوصفه بالسيادة المفيدة للعموم فى المقام الخطابى فيفيد تفوقه على من سواه لانه صلى الله عليه وسلم واسطة كل خير (و) روى ابن جرير (عن طلحة عن ابن عباس انه) أى يس (قسم) بمعنى مقسم به أو جعله قسما لتضمنه له أو مبالغة (أقسم الله به وهو من أسمائه) أى الله تعالى (وعن كعب) بن ماتع المعروف بكعب الاحبار يس قسم (أقسم الله به قبل أن يخلق السموات والارض بألفى عام) أى بمقدار ألفى عام اذ قبل خلقهما لا أعوام لان الزمان مقدار حركة الفلك أو المراد مجرد الكثرة او عدم النهاية مجازا أو باعتبار أن الفلك الاعظم وهو العرش مخلوق قبلهما لقوله تعالى وكان عرشه على الماء ونظر فى هذا بأن مجرد تقدم العرش لا يقتضى تقدم الزمان بالمعنى المتعارف واستشكل أيضا بأن كلام الله قديم فلا قبلية فيه ولا بعدية وخلقهما محدث وأجيب بأن المراد ابرازه فى اللوح المحفوظ المكتوب فيه جميع الكائنات أو أنه أطلع عليه ملائكته قبلهما بهذا المقدار وهو مناسب هنا لافادة اظهار علم قدره فى الملا الاعلى ومثل هذا ورد كثيرا فى الحديث فتضعيف ما هنا بمجرد الايراد وانه ان صح ترك علمه الى الله اذ مثله لا يقال بالرأى

قوله باسمين الخ هكذا فى النسخ ولعل الاظهر باسم وهو سين وأما يا فهى حرف النداء كما يدل على ذلك سابق الكلام ولاحقه تأمل اه مصححه

قوله علم قدره هكذا فى النسخ ولعله عظم قدره تأمل اه مصححه

لا يسمع فالتضعيف انما هو من جهة الاسناد (يا محمد انك لمن المرسلين) بيان للمخاطب وليس تفسيرا ليس لانه لا يناسب أن الله أقسم به ولذا ذكر جواب القسم توضيحا المراده وليس مراده انه جواب مقدر للقسم بيس حتى يلزم عليه اجتماع قسمين من غير عطف على جواب وقد أباه النحاة كما فى الكشاف وقال ان العرب تكرهه (ثم قال) والقرآن الحكيم (انك لمن المرسلين وهو رد على الكفار حيث قالوا) للنبى صلى الله عليه وسلم (لست مرسلا فأقسم الله باسمه وكتابه انه لمن المرسلين بوحيه الى عباده) بكسر ان لتقدير القول والحكاية بالمعنى أى قائلا انه ولذا لم يقل انك (وعلى طريق مستقيم من ايمانه) بيان للطريق وأن المراد بها التوحيد أوهى تعليلية وزاد الواو اشارة الى انه خبر ثان مقصود مقسم عليه لا متعلق بالمرسلين أى من أرسل على هذه الطريقة فالقسم على أمرين كما قال قبله ان الارسال على أمرين رسالته والشهادة بهدايته لا على أمر واحد هو أنه صلى الله عليه وسلم رسول مهدى على طريقة مستقيمة ولا حال كما قيل لانه قريب من هذا وان كان جعله قيدا ينافى القصد لان هذا أوضح وأتم فى المدح (أى طريق لا اعوجاج فيه ولا عدول عن الحق) بفتح همزة أى وسكون الياء مخففة تفسير للطريق المستقيم وهذا أعم من الايمان فهو تفسير ثان وشد الياء على أن معناه طريق وأى طريق لانه لا اعوجاج ولا عدول الخ تفسير لعدم الاعوجاج مخالف للرواية والظاهر وان جاز (قال النقاش) الحافظ أبو بكر محمد بن الحسن بن أحمد الموصلى البغدادى المقرى المفسر ضعيف فى الحديث وحاله فى القرآآت أمثل وأثنى عليه أبو عمرو الدانى وزعم الجعبرى أن المضعف له غالط وتقدم قبل هذا بعض ترجمته (لم يقسم الله تعالى لاحد من أنبيائه بالرسالة) أى بسببها أو الباء بمعنى على (فى كتابه الا له صلى الله عليه وسلم) كما فى هذه الآية وان دلت على أن غيره مرسل أيضا لكن المقسم عليه بالقصد الذاتى رسالته عليه الصلاة والسلام ولم يقل رسول أو مرسل وهو أخصر لتثبيت رسالته وأنه عريق فيها على نهج قوله كانت من القانتين لان فلانا من العلماء أبلغ من العالم أى لم يذكر هذا القسم فى القرآن لغيره تشريفا له صلى الله عليه وسلم وتعظيما ولشدة انكار قومه لرسالته فلذا أكد بتأكيدات

قوله ان الارسال الخ لعل صوابه الاقسام ولينظر فى أى محل قال ذلك تأمل اه مصححه

* (* الفصل الخامس فى قسمه تعالى) بمعنى الاقسام وهو الاتيان بالقسم ويكون بمعنى المقسم به والمراد الاول (بمدة حياته) صلى الله عليه وسلم فيه تسمح اذ القسم انما وقع بنفس الحياة ولا يصح أن تكون الاضافة بيانية لان المدة ليست نفس الحياة وأجاب شيخنا بأنه من اضافة الصفة للموصوف أى بحياته القائمة به فى الزمن الذى كان فيه أو بقائه حقيقة أو حكما فشمل هذا الزمن (وعصره وبلده) قدم العصر لان المواهب الحاصلة وأنواع الاهتداء انما نشأت عن عصره لا عن خصوص البلد ولان زيادة تشريف البلد انما حصلت فى عصره فالاعتناء به أهم وأخره فى الترتيب رعاية لترتيب المصحف اذ سورة البلد مقدمة على العصر فزعم بعض أن الصواب تقديم البلد على العصر لتقدمه عليه فى الترتيب ساقط وأيضا الواو لا تقتضى ترتيبا ولا شرفا فلا يقال فى مثله الصواب بل ولا الانسب (قال الله

تعالى لعمرك انهم) أى قوم لوط (لفى سكرتهم) غفلتهم وغلبة الهوى والشهوة عليهم حتى صاروا سكارى لا يميزون الخطأ من الصواب (يعمهون) يتحيرون لعمى بصائرهم (العمر) بالفتح (والعمر) بالضم (واحد ولكنه فى القسم بفتح) أى يلزم الفتح والاحسن لو عبر به (لكثرة الاستعمال) علة للفتح أى بمعنى أن الكثرة يطلب لها التخفيف والفتح خفيف فخصوه بالقسم وان استعمل فى غيره قليلا والضم أكثر (فاذا أقسموا قالوا لعمرك) لأفعلن ومنه الآية وقوله (القسم) خبر مبتدا محذوف أى هو القسم أو منصوب بفعل مقدرا وليس من جملة اليمين والاظهر لو استغنى عنه بقوله (قال النحويون ارتفع قوله لعمرك بالابتداء والخبر محذوف والمعنى قسمى) فسد جواب القسم مسد الخبر (حذف الخبر لان فى الكلام دليلا عليه) لسد جواب القسم مسده (وباب القسم يحذف منه الفعل نحو تالله لافعلن والمعنى أحلف بالله فتحذف أحلف لعلم المخاطب بأنك حالف) من ذكر القسم (قال الزجاجى) بفتح الزاى وشد الجيم أبو القاسم عبد الرحمن بن اسحق صاحب الجمل والامالى وغير ذلك مات بطبرية سنة تسع وثلاثين وقيل سنة أربعين وثلثمائة نسبة الى شيخه الزجاج ابراهيم بن محمد البغدادى (من قال لعمر الله كأنه حلف ببقاء الله فيحذف أحلف) جواب سؤال حاصله الحلف بالعمر ظاهر فى غيره تعالى لان الحياة القائمة به صفة لها غاية يعبر عنها بمدة العمر وأما هو سبحانه فهو حى أزلا وأبدا لا يقال فى مدة حياته انها مقدرة بمدة حلف بها فأجاب بصرف العمر فى حقه تعالى للبقاء وهو صفة له لا نهاية لها (ومن ثم قال المالكية والحنفية تنعقد بها اليمين لان بقاء الله من صفات ذاته) الثمانية المنظومة فى قوله

حياة وعلم قدرة وارادة * وسمع وابصار كلام مع البقا

(وعن مالك) رواية (لا يعجبنى الحلف بذلك) لظاهر حديث من كان حالفا فليحلف بالله (وقال الامام الشافعى واسحق) بن راهويه (لا يكون يمينا الا بالنية) لاستعمال الحياة فى غيره كثيرا ورد بأنه مضاف لله تعالى وتعقب هذا شيخنا بأن صريح متن البهجة وشرحها أن صفاته تعالى تنعقد بها اليمين نوى بها اليمين أو أطلق (وعن أحمد) روايتان (كالمذهبين والراجح عنه كالشافعى) تنعقد ان نواها (واختلف فى المخاطب فى الآية على قولين * أحدهما أن الملائكة قالت للوط عليه السلام لما وعظ) ذكر وخوف (قومه وقال هؤلاء بناتى ان كنتم فاعلين) ما تريدون من قضاء الشهوة فتزوجوهن (لعمرك انهم لفى سكرتهم يعمهون أى يتحيرون) لعمى بصائرهم والعمه فى البصيرة والعمى فى البصر (فكيف يعقلون قولك ويلتفتون الى نصيحتك) وقدم الكشاف ذا القول لانه المناسب عنده للسياق (* والثانى أن الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأنه تعالى أقسم بحياته) وقدمه البيضاوى وقال عياض اتفق عليه أهل التفسير ومراده أهله الذين هم أهله وهم مفسرو السلف قال ابن القيم أكثر المفسرين عن السلف والخلف بل لا يعرف فى السلف فيه نزاع أن هذا قسم من الله بحياة رسوله عليه الصلاة والسلام وهذا من أعظم فضائله أن يقسم الرب بحياته وهذه مزية لا تعرف لغيره ولم يوفق

الزمخشرى

الزمخشري لذلك فصرف القسم الى أنه بحياة لوط وأنه من قول الملائكة له فقال هو على ارادة القول أي قالت الملائكة للوط لعمرك انهم لفي سكرتهم وليس في اللفظ ما يدل على واحد من الامرين بل ظاهر اللفظ وسياقه انما يدل على ما فهمه السلف الطيب لا أهل التعطيل والاعتزال انتهى فما أوهمه المصنف من تساوي القولين مخالف لكلام أصله الا أن يقال لما رأى قوله وليس في اللفظ الخ اقتصر على مجرد حكايتهما بلا ترجيح لكن قد علم اضراب أصله بقوله بل ظاهر اللفظ الخ وعليه فقيل ضمير انهم لقريش والجملة اعتراض كما في البيضاوي وقال الحجازي انه بعيد لانقطاع الآية به عما بعدها وما قبلها (وفي هذا تشريف عظيم ومقام رفيع وجاه) أي منزلة وقدر (عريض) مجاز بمعنى عظيم كدعاء عريض قال البيضاوي أي كبير مستعار مما له عرض متسع للاشعار بكثرته واستمراره وهو أبلغ من الطول لانه أطول الامتدادين فاذا كان عرضه كذلك فما ظنك بطوله (قال ابن عباس ما خلق) أوجد (الله وما ذرأ وما برأ) بالهمز فيهما وذكرهما للتأكيد لانهما بمعنى وقد يفرق بينهما بالاعتبار بأن يكون ذرأ من الذرية وبرأ بمعنى صور أي لم يوجد (نفسا أكرم عليه من محمد صلى الله عليه وسلم) أشرف منه ذاتا ونسبا وصورة ومثل هذه العبارة تفيد عدم المساواة عرفا (وما سمعت الله أقسم) أي ما علمت من اطلاق السبب على مسببه وقيل انه هنا من النواسخ الداخلة على المبتدا والخبر على أن المفعول الاول مصدر الخبر المضاف الى المبتدا واليه ذهب الرضي وغيره في فعل السماع الداخل على الذوات كسمعت زيدا يقول كذا بشرط كون الخبر مما يسمع والتقدير ما سمعت اقسام الله (بحياة أحد) والجملة مبينة للمقدر لكن فيه أنهم شرطوا كون السماع بلا واسطة (غيره) بالجر صفة أحد أو بدل منه وبالنصب على الاستثناء قيل وهو أحسن للصراحة في أنه أقسم بالنبي ولم يقسم بغيره بخلاف الخفض فانما يفيد أنه لم يقسم بغيره وليس فيه انه أقسم به ولا وجه له فانه يفيدهما على الوجهين بقرينة السياق وتلاوة الآية (قال الله تعالى لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون يقول وحياتك وعمرك وبقائك في الدنيا) وفي الشفاء معناه وبقائك يا محمد وقيل وعيشك وقيل وحياتك (انهم لفي سكرتهم يعمهون رواه) محمد (بن جرير) الحافظ الشهير (ومراده بقوله سمعت الله سمعت كلامه المتلو في الكتب المنزلة) وعلى لسان نبيه (ورواه البغوي في تفسيره) من طريق أبي الجوزاء عن ابن عباس (بلفظ وما أقسم الله بحياة أحد الا بحياته صلى الله عليه وسلم وما أقسم بحياة أحد غيره) أتى به مع استفادته مما قبله لاشتماله على النفي والاستثناء فكأنه قال أقسم بحياته لا بحياة غيره لان دلالته على النفي بالمفهوم وبعض الائمة كالحنفية يجعله مسكوتا عنه فنفى ذلك بالتصريح به (وذلك يدل على انه أكرم خلق الله على الله) وذلك باجماع والكرم صفة جامعة لكل خير وان خصه العرف الطارئ الآن بالجود فليس بمراد هنا وحده (وعلى هذا فيكون قسمه تعالى بحياة محمد صلى الله عليه وسلم كلاما معترضا في قصة لوط) تسلية للمصطفى عن أذية قومه له وهو واضح بجعل ضمير انهم لقريش أما على أنه لقوم لوط فلا يظهر جعله اعتراضا اذ هو من جملة ما يتعلق بقوم لوط

ثم لا يمنع ذلك أن القسم بحياة المصطفى فغايته انه تأكيد لحيرة قوم لوط وعبر بالمضارع حكاية للحال الماضية أو لتشبيه الماضي بالحال (وقال القرطبي وإذا أقسم الله بحياة نبيه فانما أراد بيان التصريح لنا أنه يجوز لنا أن نحلف بحياته) ولا دلالة فيه على ذلك فانما المراد التعظيم والله تعالى له أن يقسم بما شاء والشمس وضحاها والضحى والليل والمقرر في مذهب القرطبي قولان مشهوران فذهب الاكثرون الى حرمة الحلف بالنبي والكعبة وكل معظم شرعا وشهره بهرام في شامله والاقلون الى كراهة الحلف بذلك وشهره التاج الفاكهاني وحجة كل قوله صلى الله عليه وسلم فمن كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت رواه الشيخان ومحل الخلاف اذا كان الحالف صادقا والا حرم اتفاقا بل ربما يكون بالنبي كفرا (وقد قال الامام أحمد بن حنبل فيمن أقسم بالنبي صلى الله عليه وسلم تنعقد يمينه وتجب الكفارة بالحنث) ومذهب مالك والشافعي والجمهور لا تنعقد ولا كفارة (واحتج أحمد بكونه صلى الله عليه وسلم أحد ركني الشهادة) ولا حجة فيه اذ لا يلزم من ذلك انعقاد اليمين به بل ولا جواز الحلف به لا سيما مع النهي الصريح عنه صلى الله عليه وسلم عليه (قال) أبو بكر محمد بن أحمد المعروف بانه (ابن خويزمنداد) بضم الخاء وكسر الزاي وفتح الميم وسكون النون ودال بينهما ألف ويقال خوازمنداد تفقه على الابهري وله كتاب كبير في الخلاف وكتاب في أصول الفقه وكتاب في أحكام القرآن وعنده شواذ عن مالك وله اختيارات مخالفة للمذهب ولم يكن بالجيد النظر ولا قوي الفقه قال الباجي لم أسمع له في علماء العراق ذكرا وكان يجانب الكلام وينافر أهله حتى يؤدي ذلك الى منافرة المتكلمين من أهل السنة ويحكم على جميعهم بأنهم من أهل الاهواء قاله في الديباج (واستدل من جوز الحلف به عليه الصلاة والسلام بأن أيمان المسلمين جرت من عهده صلى الله عليه وسلم أن يحلفوا به) وهذا بفرض تسليمه لا دلالة فيه على الجواز اذ المختلف فيه لا يجب انكاره (حتى ان أهل المدينة الى يومنا هذا اذا جاء) من يريد التحليف (صاحبه) الذي يريد تحليفه (وقال له احلف) لي (بحق صاحب هذا القبر أو بحق ساكن هذا القبر يعني النبي صلى الله عليه وسلم) كان ذلك عنده غاية في تغليظ اليمين (وقال تعالى لا أقسم بهذا البلد وأنت حل بهذا البلد) من اقامة الظاهر مقام المضمر فلم يقل به استعظاما لحلوله فيه (الآية) اتلها (أقسم تعالى بالبلد الامين) فلا زائدة لافادة التأكيد والتحسين وان كان حذفها لا يغير أصل المعنى فاندفع قول الامام الرازي انه مانع من الانتظام وموهم جعل الاثبات نفيا ويلزمه عدم الاعتماد على القرآن مع أن لا تأتي زائدة مع القسم كثيرا وقد تزاد في غيره أيضا وقد ذهب بعض المفسرين والنحاة الى انه لا يطلق على مثله زائد بل يقال صلة تأدبا وهو حسن ويحتمل كلام المصنف انه حمل لا على انها واقعة جواب قسم مقدر أي والله لانا أقسم ويؤيده القراءة الشاذة لأقسم بلام الابتداء (وهو مكة أم القرى وهو بلده عليه الصلاة والسلام وقيده بحلوله فيه اظهارا لمزيد فضله) فالمعنى أقسم به والحال انك مقيم به لشرفك وعظمتك عندي (واشعارا بأن شرف المكان بشرف أهله) وفيه ايماء الى أن القسم بقوله وهذا البلد الامين لكونه فيه فلا تنافي

قوله اذا جاء صاحبه الخ في بعض نسخ المتن اذا خاصم صاحبه الخ اهـ

بين

بين الآيتين فاذا كان فيه فهو حقيق بالاقسام به كما قيل

وما حب الديار شغفن قلبى * ولكن حب من سكن الديارا

(قاله البيضاوى) غير مقتصر عليه بل حكى بعده ما يأتى للمصنف لكنه لم ينقله عنه لوجوده فى كلام من تقدمه (ثم أقسم بالوالد وما ولد) آثر ما على من لمعنى التعجب كقوله والله أعلم بما وضعت أولان كثيرا من النحاة جوزوه أو لتأويله بالمبهم أى الولد الكامل الذى لا يدرك كنه ذاته أو لاطراده فيما قصد به المعنى الوصفى كالمولود هنا نظرا للصفة فانها ليست من جنس العقلاء قال فى حواشى الكشاف التفرقة بين من وما انما هى اذا أريد الذات وأما اذا أريد الوصف فيجوزذهابا الى الوصف وقد خفى هذا على بعض الافاضل (وهو فيما قيل ابراهيم واسمعيل وما ولد محمد صلى الله عليه وسلم وعلى هذا تتضمن السورة الاقسام به فى موضعين) أحدهما فى البلد التى هى محله فان القسم بمكانه قسم به صلى الله عليه وسلم أبلغ من القسم بذاته وحياته والثانى قوله وما ولد وزعم أنه لما أقسم بوالده وهو فى أصله فكأنه أقسم به فى غاية البعد اللهم الا أن يقال لما قصد تعظيمه بالقسم بوالده كأنه أقسم بصفة من صفاته وهى شرف حسبه (وقيل المراد به) أى بوالد (آدم و) بما ولد (ذريته وهو قول الجمهور من المفسرين) فما ولد عام شامل لجميع أولاده لا يختص بفرد منهم فالقسم على هذا بنوع الانسان (وانما أقسم تعالى بهم) وان كان فيهم فسقة وكفار للتعليل المذكور بقوله (لانهم أعجب خلق الله على وجه الارض) اذ خلقهم فى أحسن تقويم (لما فيهم من البيان) النطق المبين عن المقاصد (والنظر) الاستدلال (واستخراج العلوم وفيهم الانبياء) أريد بهم ما يشمل المرسلين (والدعاة) جمع داع كالعلماء والاولياء والصلحاء فالكل يدعون (الى الله تعالى والانصار لدينه) بالسيف والحجة (وكل ما فى الارض من مخلوق خلق لاجلهم) كما قال تعالى خلق لكم ما فى الارض جميعا (وعلى هذا فقد تضمن القسم أصل المكان وأصل السكان) آدم خصه لشرفه وكونه أصلهم (فمرجع البلاد الى مكة) لانها أمها (ومرجع العباد الى آدم) لانه أصلهم ولو قال ومرجع غير بنى آدم اليهم وفسر أصل السكان بآدم وذريته كان أوفق بتفسير الولد والوالد بأنهما آدم وذريته ثم ظاهر هذا التفسير ولو كان فيهم فسقة وكفار من حيث تعليله بما ذكر ولا ضير فيه وفى الخازن أقسم بآدم وبالانبياء والصالحين من ذريته لان الكافر وان كان فى ذريته فلا حرمة له حتى يقسم به انتهى وفيه نظر لان الاقسام لم يلاحظ فيه الحرمة فقط بل كونه أعجب الخلق على الارض كيف وقد قال ابن عباس الوالد والولد هنا على العموم فهى أسماء جنس يدخل فيها جميع الحيوان وقال ابن عباس وابن جبير وعكرمة والد معناه كل من ولد وأنسل وما ولد لم يبق منه الا العاقر الذى لم يلد البتة وقيل المراد نوح وجميع ولده وقيل ابراهيم وجميع ولده حكى ذلك ابن عطية وغيره وقيل الوالد محمد صلى الله عليه وسلم لحديث انما أنا لكم بمنزلة الوالد والولد أمته أو ذريته (وقوله) تعالى (وأنت حل هو من الحلول) الاقامة (ضد الظعن) أى الارتحال وهو أحد مصادر حل وفى الاخبار به المذاهب الثلاثة اما أن يؤول بالمشتق أو بتقدير

مضاف أى ذو حل أو مبالغة كزيد عدل وفى القاموس حل المكان وبه يحل ويحل حلا وحلولا وحللا محركة نادر نزل به (فيتضمن اقسامه تعالى ببلده المشتمل على عبده ورسوله فهو خير البقاع) حتى المدينة أو الا المدينة الخلاف الشهير (واشتمل على خير العباد) بالاجماع (فقد جعل الله تعالى بيته) الكعبة (هدى للناس ونبيه صلى الله عليه وسلم اماما قدوة (وهاديا لهم) الى صراط مستقيم (وذلك من أعظم نعمه واحسانه الى خلقه) وفى الشفاء قيل لا أقسم به اذا لم تكن فيه أى بعد خروجك منه حكاه مكى وقيل لا زائدة أى أقسم به وأنت به يا محمد حلال أو حل لك ما فعلته فيه على التفسيرين (وقيل المعنى وأنت مستحل قتلك واخراجك من هذا البلد الامين الذى يأمن فيه الطير والوحش) تفسير للامين فهو اسناد مجازى كعيشة راضية (وقد استحل فيه قومك حرمتك) وفيه تثبيت له وتعجيب مما جرى عليه واشارة الى علة عدم القسم فسقط الاعتراض بأن الحال يقتضى عدم القسم بعد الخروج فيتنافيان وهذا كما قال ابن عطية يتجه على انه قسم وعلى نفيه أى لا أقسم ببلد أنت سا كنه على أذى هؤلاء وكفرهم (وهذا مروى) عند الثعلبى وغيره (عن شرحبيل) بضم الشين المعجمة وفتح الراء وسكون المهملة (ابن سعد) المدنى مولى الانصار تابعى صدوق اختلط بآخره مات سنة ثلاث وعشرين ومائة وقد قارب المائة روى له أبو داود وابن ماجه (وعن قتادة) بن دعامة الاكمه المفسر التابعى (وأنت حل أى لست بآثم) بالمد لان حل له معان ضد الحرمة والاقامة بالمكان والاسم منهما حل بالكسر وحلال بمعنى جائز ومقيم (وحلال لك أن تقتل بمكة من شئت وذلك أن الله تعالى) وعده بأنه (يفتح عليه مكة وأهلها) أى ويطيعه أهلها (وما فتحت على أحد قبله فأحل ما شاء وحرم ما شاء فقتل) أى أمر بقتل (ابن خطل) بفتح المعجمة والمهملة هلال أو عبد الله (وهو متعلق بأستار الكعبة و) قتل (غيره) كما تقدم فى فتح مكة (وحرم دار أبى سفيان) صخر بن حرب أى جعل لها حرمة بأن أعطى الامان من دخلها بقوله من دخل دار أبى سفيان فهو آمن أو حرم قتل من دخلها وعلى هذا فى الآية تسلية له صلى الله عليه وسلم أى ان اخرجوك منها فستعود لها وتفعل فيها ما تريد وتثبيت ووعد بالنصر والاول على انه قسم والثانى على انتفائه أوكل منهما جار على التفسيرين وقيل المعنى وأنت حلال أى غير محرم بها اشارة الى دخولها يوم الفتح حلالا (فان قلت هذه السورة مكية) عند جمهور المفسرين وبالغ النسفى فحكى عليه الاتفاق وينقضه قول ابن عطية وقال قوم هى مدنية (وأنت حل بهذا البلد اخبار عن الحال و) عن (الواقعة) بالجر عطفا ويحتمل الرفع أى والحال الواقعة (التى ذكرت فى آخر مدة هجرته الى المدينة فكيف الجمع بين الامرين) المتنافيين بحسب الظاهر (أجيب بأنه قد يكون اللفظ للحال والمعنى) بالحال (مستقبل كقوله تعالى انك ميت وانهم ميتون) أى ستموت ويموتون فلا شماتة بالموت فأطلق الحال وأراد الاستقبال لكن استشكل هذا بأنه يلزمه اختلاف زمنى الحال وعاملها الا أن يقال الجملة معترضة لا حالية فتضمن وعدا فيه مبالغة بتنزيل المستقبل المحقق منزلة الحال لا الماضى كما يدل له قول عياض أو حل لك ما فعلت فيه (وعلى كل حال فهذا متضمن للقسم ببلد رسول الله

صلى الله عليه وسلم) بجعل لا زائدة (ولا يخفى ما فيه من زيادة التعظيم) حيث أقسم ببلده
بقيد كونه فيه دفعا لتوهم أن المكان أشرف أو أن شرفه مكتسب منه (وقد روى أن عمر
ابن الخطاب رضى الله عنه قال للنبى صلى الله عليه وسلم) وأقره عليه (بأبى أنت وأمى
يارسول الله لقد بلغ من فضيلتك عند الله أن أقسم بحياتك دون سائر الانبياء) فى قوله
لعمرك انهم لفى سكرتهم يعمهون وهذا ان صح دليل لقول الجمهور انه قسم بالمصطفى لا بلوط
لان عمر قاله للنبى صلى الله عليه وسلم وأقره عليه فهو نص فى محل النزاع (ولقد بلغ من
فضيلتك عنده أن أقسم بتراب قدميك فقال لا أقسم بهذا البلد) ففيه اشارة الى أن هذا
القسم أدخل فى تعظيمه من القسم بذاته وبحياته قال عياض فى الشفاء والمراد بالبلد عند
هؤلاء مكة وقال الواسطى أى يحلف بهذا البلد الذى شرفته بمكانك فيه حيا وبركتك ميتا
يعنى المدينة والاول أصح لان السورة مكية وما بعده يصححه قوله حل بهذا البلد ونحوه
قول ابن عطاء فى تفسير قوله وهذا البلد الامين قال أمنها الله لمقامه فيها وكونه بها فان كونه
أمان حيث كان انتهى لكن تعقبه الدلجى وغيره بأن القائل لا يسلم أن السورة مكية والبلد
عنده فى الموضعين المدينة والاشارة فيهما لها وحل بمعنى حال مقيم فكيف يقام عليه
الدليل بما لا يسلمه (وقال تعالى والعصر ان الانسان) اسم جنس (لفى خسر) نقصان
وسوء حال وذلك بين غاية البيان فى الكافر لانه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران
المبين وأما المؤمن وان كان فى خسر فى دنياه فى هرمه وما يقاسيه من شقاء هذه الدار فذلك
معفو عنه فى جنب فلاحه فى الآخرة وربحه الذى لا يفنى ومن كان فى مدة عمره فى التوصى
بالحق والصبر والعمل بحسب الوصاة فلا خسر معه وقد جمع له الخير كله وقرأ على والعصر
ونوائب الدهر ان الانسان وفى مصحف عبد الله والعصر لقد خلقنا الانسان وعن على لفى
خسر وانه فيه الى آخر الدهر الا الذين وقرأ عاصم والاعرج لفى خسر بضم السين وقرأ سلام
أبو المنذر والعصر بكسر الصاد والصبر بكسر الباء وهذا لا يجوز الا فى الوقف على نقل الحركة
وعن أبى عمرو بالصبر بكسر الباء اشماما وهذا أيضا لا يكون الا فى الوقف قاله ابن عطية
رحمه الله (اختلف فى تفسير العصر على أقوال فقيل) عن ابن عباس (هو الدهر) يقال
فيه عصر وعصر بضم العين والصاد قال امرؤ القيس وهل يعمن من كان فى العصر الخالى
(لانه مشتمل على الاعاجيب) المختلفة (لانه يحصل فيه السراء) بالفتح والمد الخير والفضل
(والضراء) بفتح المعجمة والمد نقيض السراء (والصحة) فى البدن حالة طبيعية تجرى
أفعاله معها على المجرى الطبيعى واستعيرت للمعانى كصحة الصلاة اذا أسقطت القضاء
وصح العقد اذا ترتب عليه أثره وصح اذا طابق الواقع (والسقم) بضم فسكون مصدر سقم
كقرب وبفتحتين مصدر سقم كفرح طال مرضه (وغير ذلك
وقيل ذكر العصر) مبنى للمجهول اشارة الى قول آخر فى العصر أى قال بعضهم المراد
بالعصر هنا هو (الذى بمضيه) أى انقضائه (ينقضى عمرك) أيها الانسان (فاذا لم يكن
فى مقابلته كسب) للطاعات (صار ذلك عين الخسران ولله در القائل

انا لنفرح بالايام نقطعها * وكل يوم مضى نقص من الاجل)

مقابلة على الاصل

يعني انه لا فرح بانقضاء الايام حقيقة وان كانت في شدة لانها نقص من أجل الانسان وقال قتادة العصر العشي وقال أبي بن كعب سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن العصر فقال أقسم ربك بآخر النهار وقيل اليوم والليلة ومنه قول حميد

ولن يلبث العصران يوم وليلة * اذا طلبا أن يدركا ما تيمما أي قصدا

وقيل بكرة وعشية وهما الابرادان وقال مقاتل العصر الصلاة الوسطى أقسم بها حكاه ابن عطية (وفي تفسير الامام فخر الدين الرازي والبيضاوي وغيرهما انه تعالى أقسم بزمان الرسول صلى الله عليه وسلم) وهذا الموافق للترجمة أنه أقسم بمدة حياته وعصره وبلده (قال الامام الرازي واحتجوا له) أي لهذا القول (بقوله صلى الله عليه وسلم انما مثلكم ومثل من كان قبلكم) من اليهود والنصارى والمثل في الاصل بمعنى النظير ثم استعمل لكل حال أو قصة أو صفة لها شأن وفيها غرابة لارادة زيادة التوضيح والتقرير فانه أوقع في القلب وأقمع للخصم ليرى المتخيل محققا والمعقول محسوسا ولذا أكثر الله في كتابه الامثال وفشت في كلام الانبياء والمعنى مثلكم مع نبيكم ومثل من قبلكم مع أنبيائهم (مثل رجل استأجر أجراء) بضم الهمزة وفتح الراء جمع أجير وفي رواية كرجل استأجر عمالا جمع عامل (فقال من يعمل من الفجر الى الظهر بقيراط) زاد في رواية قيراط فذكره مرتين ليدل على تقسيم القراريط على جميعهم لان العرب اذا أرادت تقسيم الشيء على متعدد كررته كما يقال اقسم هذا المال على بني فلان درهما درهما كما في الفتح (فعملت اليهود ثم قال من يعمل من الظهر الى العصر بقيراط) قيراط بالتكرير أيضا كما في رواية وهو نصف دانق والمراد هنا النصيب (فعملت النصارى ثم قال من يعمل من العصر الى المغرب بقيراطين فعملتم) أيتها الامة المحمدية (فغضبت اليهود والنصارى) أي الكفار منهم (وقالوا نحن أكثر عملا) لان الوقت من الفجر الى الظهر أكثر من وقت العصر الى الغروب وتمسك به بعض الحنفية على أن وقت العصر من مصير ظل كل شيء مثليه لانه لو كان من مصير مثله لكان مساويا لوقت الظهر وقد قالوا نحن أكثر عملا فدل على أنه دون وقت الظهر وأجيب بمنع المساواة وذلك معروف عند علماء هذا الفن أن مدة بين الظهر والعصر أطول من مدة بين العصر والمغرب وما نقله بعض الحنابلة من الاجماع على أن وقت العصر ربع النهار محمول على التقريب اذا فرعنا على أن وقت العصر مصير الظل مثله كما قال الجمهور وأما على قول الحنفية فالذي من الظهر الى العصر أطول قطعا وعلى التنزل لا يلزم من التمثيل والتشبيه التسوية من كل جهة وبأن الخبر اذا ورد في معنى مقصود لا يؤخذ منه المعارضة لما ورد في ذلك المعنى بعينه مقصودا في أمر آخر وبأنه ليس في الخبر نص على أن كلا من الطائفتين أكثر عملا لصدق أن كلهم مجتمعين أكثر عملا من المسلمين وباحتمال انه أطلق ذلك تغليبا وباحتمال أن ذلك قول اليهود خاصة فيندفع الاعتراض من أصله كما جزم به بعضهم وتكون نسبة ذلك للجميع في الظاهر غير مرادة بل هو عموم أريد به الخصوص وبأنه لا يلزم من كونهم أكثر عملا أن يكونوا أكثر زمنا لاحتمال أن عمل زمنهم أشق ويؤيده قوله تعالى ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا ومما يؤيد أن

المراد كثرة العمل وقلته لا بالنسبة الى طول الزمن وقصره اتفاق أهل الاخبار على أن المدة التى بين عيسى ونبينا دون المدة التى بين نبينا وقيام الساعة لان جمهور أهل الاخبار قالوا مدة الفترة بين عيسى ونبينا ستمائة سنة وثبت ذلك فى البخارى عن سلمان وقيل انها دون ذلك حتى قال بعضهم انها مائة وخمس وعشرون سنة ومدة المسلمين بالمشاهدة أكثر من ذلك فلو تمسكنا بأن المراد التمثيل بطول الزمانين وقصرهما لزم أن وقت العصر أطول من وقت الظهر ولا قائل به فدل على أن المراد كثرة العمل وقلته كما قاله فى الفتح (وأقل أجرا فقال الله تعالى وهل نقصتكم من أجركم) الذى شرطته لكم شيأ وفى رواية هل ظلمتكم من حقكم (شيأ قالوا لا) لم تنقصنا شيأ وانما لم يكن ظلما لانه تعالى شرط معهم شرطا وقبلوا أن يعملوا به (قال فذلك فضلى أوتيه من أشاء) من عبادى قال الطيبى ماذكر من المقاولة والمكالمة لعله تخييل وتصوير ولم يكن حقيقة لانه لم يكن ثمة هذه الامة اللهم الا أن يحمل ذلك على حصوله عند اخراج الذر فيكون حقيقة قال صلى الله عليه وسلم (فكنتم أقل عملا وأكثر أجرا) ممن كان قبلكم (رواه البخارى) من حديث ابن عمر فى الصلاة والاجارة وفضل القرآن وفى ذكر بنى اسرائيل وفى التوحيد بألفاظ متقاربة ليس فى محل منها بهذا اللفظ وانما هو لفظ مسلم وأخرجه البخارى بنحوه من حديث أبى موسى لكن ظاهر سياقهما أنهما قضيتان وحاول بعضهم الجمع بينهما فتعسف كما فى الفتح (قالوا فهذا الحديث دل على أن العصر هو عمره صلى الله عليه وسلم الذى هو فيه فيكون على هذا أقسم الله تعالى بزمانه فى هذه الآية وبمكانه فى قوله تعالى وأنت حل بهذا البلد) سواء قلنا انه مكة أو المدينة اذ كل مكانه (وبعمره فى قوله لعمرك الآية وذلك كله كالظرف له فاذا وجب) ثبت وحق (تعظيم الظرف) بالاقسام به (فكيف حال المظروف) استفهام تعجيب (قال) الرازى (ووجه القسم كأنه تعالى قال ما أعظم خسرانهم اذ أعرضوا عنك انتهى) كلام الرازى وهو وجيه

(النوع السادس فى وصفه تعالى له عليه الصلاة والسلام بالنور والسراج) المصباح جمعه سرج ككتاب وكتب (المنير) وصف به للتأكيد أولان بعض السرج لا يضىء اذا رق فتيله وقل زيته وقد قيل ثلاثة تضنى رسول بطىء وسراج لا يضىء ومائدة ينتظر لها من يجىء

(اعلم أن الله تعالى قد وصف رسوله صلى الله عليه وسلم بالنور) أى أخبر عنه بانه نور (فى قوله تعالى قد جاءكم) الخطاب لاهل الكتاب فى قوله يا أهل الكتاب وهو شامل للتوراة والانجيل وكانوا يخفون ما فيهما من صفات النبى صلى الله عليه وسلم (من الله نور) هو محمد صلى الله عليه وسلم (وكتاب مبين) قرآن بين ظاهر (وقيل المراد) بالنور (القرآن) وعليه فالعطف للتفسير وقوله يهدى به الله فى موقعه وعلى الاول أفرده مع تغايرهما وعطفهما بالواو لرجوعه لهما معا باعتبار المذكور أولانهما معا كالشئ الواحد وهداية أحدهما عين هداية الآخر فان خلقه القرآن وما أفاده المصنف من ترجيح الاول هو الصحيح فقد اقتصر عليه الجلال وقد التزم الاقتصار على أرجح الاقوال وبه جزم عياض فى محل وساوى بينهما فى آخر وتبعه المصنف فى الاسماء

قوله وذلك كله يوجد قبله فى بعض نسخ المتن ما نصه فكأنه قال وعصرك وبلدك وعمرك وذلك الخ اه

الشريفة وفسر النور أيضا بالاسلام (ووصفه عليه الصلاة والسلام أيضا بالسراج المنير في قوله تعالى يا أيها النبي انا أرسلناك شاهدا) على من أرسلت اليهم (ومبشرا) من صدقك بالجنة (ونذيرا) منذرا من كذبك بالنار (وداعيا الى الله) الى طاعته (باذنه) أي امره فهو على ظاهره لان أمره اذن له أو المراد به الارادة فانه كثيرا ما يتجوز به عنها وعن الامر كما في مجاز القرآن لابن عبد السلام وفسر أيضا بتوفيقه وتيسيره (وسراجا منيرا) يستضاء به من ظلمات الجهالة ويقتبس من نوره أنوار البصائر (والمراد كونه هاديا مبينا كالسراج يرى الطريق) أي يكون سببا في اراءتها فالاسناد مجازي (ويبين الهدى والرشاد) الصلاح وهو خلاف الغي والضلال وهو اصابة الصواب (فبيانه أقوى وأتم وأنفع من نور الشمس) لانه يفرق بين الحق والباطل والشمس انما يتبين بها ما يدرك بحاسة البصر من الالوان ونحوها فهو تفريع على قوله يبين الهدى (واذا كان كذلك وجب أن تكون نفسه القدسية أعظم في النورانية من الشمس فكما أن الشمس في عالم الاجسام تفيد النور لغيرها ولا تستفيد من غيرها فكذا نفس النبي صلى الله عليه وسلم تفيد الانوار العقلية لسائر) أي لجميع (الانفس البشرية) ولم يقل ولا تستفيد من غيرها كما قال في الشمس لانه صلى الله عليه وسلم يستفيد الوحي من جبريل ولذا وقع تشبيهه بالسراج لانه في غاية الوضوح والبلاغة لانه يستضيء من الوحي ويضيء للناس بما آتاهم به ففيه من البلاغة ما ليس في قوله شمسا وقمرا قال القاضي أبو بكر بن العربي قال علماؤنا سمي سراجا لان السراج الواحد يؤخذ منه السرج الكثيرة ولا ينقص من ضوئه شيء وكذلك سرج الطاعات أخذت من سراجه صلى الله عليه وسلم ولم ينقص من أجره شيء (وكذلك وصف الله تعالى الشمس بأنها سراج حيث قال وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا) وفي قراءة سرجا بالجمع أي نيرات وخص القمر منها بالذكر لنوع فضيلة (وكما وصف الله تعالى رسوله بأنه نور وصف نفسه المقدسة بذلك فقال الله نور السموات والارض) قال ابن عباس وغيره أي هادي أهلهما قال الرازي في شرح الاسماء وهو حسن الا أن تفسيره به في الاسماء التسعة والتسعين لا يجوز لانه يصير محض تكرار وأجيب بجواز أن الهادي أعم كما قالوه في الرؤف الرحيم أو يعتبر به هداية بالغة الى حد لا يتناهى فتحصل به المغايرة في الجملة كالرحمن الرحيم فلا وجه لقوله لا يجوز لان له نظائر في الاسماء وفي حواشي الكشاف معنى نور السموات والارض هادي العالمين مبين ما يهتدون به ويتخلصون من ظلمات الكفر والضلال بوحي منزل ونبي مرسل (فليس فيهما الا الله ونوره المقدس) أي المراد به (هو سر الوجود) أي ايجاده العالم (والحياة والجمال والكمال) وفي الانوار أصل الظهور وهو الوجود كما أن أصل الخفاء هو العدم والله موجود بذاته موجد لما عداه (وهو الذي أشرق على العالم) كله وهو ما سوى الله لكن وقع ذلك الاشراق على وجوه متنوعة (فأشرق على العوالم) بكسر اللام جمع عالم (الروحانية) بضم الراء فهو من عطف المفصل على المجمل نحو توضأ فغسل وجهه (وهم الملائكة فصارت سرجا) بضمتين (منيرة يستمد) بفتح أوله (منها من دونها) فاعل (بوجود الله ثم سرى النور الى عالم

النفوس الانسانية ثم طرحته النفوس على صفحات الجسوم) أى جوانبها جمع جسم (فليس فى الوجود الا نور الله السارى الى الشئ منه بقدر قبوله ووسع استعداده ورحب تلقيه) بضم الراء وفتحها وعطفه على ما قبله كالمسبب على السبب فالاستعداد هو الاسباب التى يكون اجتماعها فيه سببا لحصول المعرفة وقبول ما يلقى اليه ورحب التلقى قوة قبوله لما يلقى اليه وحسن استماعه له (والنور فى الاصل) عند الحكماء لا اللغة فانه الضوء وأصله من نار ينور اذا نفر ومنه نوار للظبية وبه سميت المرأة فوضع للضوء لانتشاره أو لازالته الظلام فكأنه ينفر منه (كيفية) أى صفة لكن لفظ كيفية لم يسمع من العرب كما صرح به أهل اللغة (يدركها الباصر أولا و) يدرك (بواسطتها سائر المبصرات كالكيفية الفائضة من النيرين الشمس والقمر على الاجرام الكثيفة المحاذية لهما) وبعضهم زعم أنه أجرام صغار تنفصل من المضئ وتتصل بالمستضئ (وهو بهذا المعنى لا يصح اطلاقه على الله) لاستحالته اذ هو عرض أو جسم وكلاهما محال عليه (الا بتقدير مضاف كقولك زيد كرم بمعنى ذو كرم) فمعنى الله نور أى ذو نور (أو بمعنى منور السموات والارض) فهو من اطلاق المصدر وارادة اسم الفاعل (فانه تعالى نورهما بالكواكب وما يفيض عنهما من الانوار وبالملائكة والانبياء) وذلك مأخوذ (من قولهم للرئيس الفائق فى التدبير) وهو فعل الامر عن فكر وروية (نور القوم لانهم يهتدون به فى الامور ويؤيد هذا التأويل قراءة على بن أبى طالب وزيد بن على) بن الحسين بن على (وغيرهما نور فعلا ماضيا) مفتوح النون والواو مشددة (والارض بالنصب) مفعول وادعى الغزالى أنه حقيقة لان النور معناه الظاهر بنفسه المظهر لغيره وهو ميل لقول الاشراقيين قال شارح حكمة الاشراق الله نور السموات والارض لا بمعنى منورهما على ما يقوله بعض المفسرين هربا من اطلاق اسم النور عليه بل بمعنى انه محض النور البحت وأن سائر الانوار تشرق من نوره كذا قال (وقوله تعالى مثل نوره أى مثل هداه سبحانه وتعالى) وفسره البيضاوى بالصفة العجيبة (وأضاف النور الى السموات والارض اما دلالة على سعة اشراقه وفشو اضاءته حتى تضئ له السموات والارض واما لارادة أهل السموات والارض) وأضاف النور اليهم لاجل (انهم يستضيئون به) والاضافة تجئ لادنى ملابسة (وعن مقاتل أى مثل الايمان فى قلب محمد صلى الله عليه وسلم كمشكاة) كوة غير نافذة والكوة بفتح الكاف وضمها اسم ما لا ينفذ قيل معربة من الحبشية وقيل هى القنديل وقيل موضع الفتيلة منه وقيل معلاقه (فيها مصباح) قنديل أو الفتيلة مأخوذ من الصباح أو الصباحة (فالمشكاة نظير صدر) كذا فى جميع النسخ والاولى صلب (عبد الله والزجاجة) مثلثة الزاى والضم أعرفها وأفصحها (نظير جسد محمد صلى الله عليه وسلم والمصباح نظير الايمان والنبوة فى قلب محمد صلى الله عليه وسلم وعن غيره) أى غير مقاتل (المشكاة نظير ابراهيم والزجاجة نظير اسمعيل عليهما السلام والمصباح جسد محمد صلى الله عليه وسلم والشجرة النبوة والرسالة) التى يتوقد منها المصباح ونحوه قول من قال المشكاة أبدان آبائه والزجاجة أصلابهم والمصباح نوره المستودع

كذا بنسخ الاصل

فيهم (وعن أبي سعيد الخراز) ابراهيم وقيل أحمد بن عيسى البغدادي قال الخطيب كان أحد المشهورين بالورع والمراقبة وحسن الرعاية وحدث يسيرا صحب السقطي وذا النون وغيرهما قال الجنيد لو طالبنا الله بحقيقة ما عليه أبو سعيد لهلكنا أقام كذا كذا سنة مافاته ذكر الحق تعالى بين الخرزتين وقال السلمي الخراز امام القوم في كل فن من علومهم وأحسنهم كلهم ما خلا الجنيد فانه الامام لذلك فان جماعة يقولون الخراز قمر الصوفية فأفاد أن أمثلهم مطلقا الجنيد فهو الشمس والخراز القمر مات سنة سبع وسبعين ومائتين وقيل غير ذلك (المشكاة جوف محمد صلى الله عليه وسلم والزجاجة قلبه والمصباح النور الذي جعل الله في قلب محمد صلى الله عليه وسلم وعن كعب) بن ماتع بفوقية المعروف بكعب الاحبار (وابن جبير) معبد أحد الاعلام (النور الثاني هنا) في قوله مثل نوره (محمد صلى الله عليه وسلم) بطريق المجاز والاول هو الله أضيف لجميع مخلوقاته للتعميم والثاني مضاف لله تعالى للتشريف والتعظيم والثالث في قوله يهدي الله لنوره من يشاء اضافته كالعين الماء أتى به بيانا للتشبيه الذي بنيت عليه الاستعارة فالمعنى انه نوره عم نوره جميع مخلوقاته وخص نبيه صلى الله عليه وسلم بأوفر اسم منه فسماه باسمه وألبسه حليه كما ألبسه الرأفة والرحمة (وعن سهل بن عبد الله) بن يونس بن عيسى التستري بفوقيتين أولاهما مضمومة وفتح الثانية بينهما مهملة ساكنة مدينة معروفة الصالح المشهور الذي لم يسمح الدهر بمثله علما وورعا وله كرامات مات سنة ثلاث وثمانين ومائتين وقيل غير ذلك (مثل نور نبوة محمد اذ كان مستودعا) بفتح الدال (في الاصلاب) أي أصلاب آبائه وضمير كان راجع لنور أو لمحمد نفسه ورجح بأنه كان في صلب آبائه لا نوره ورد بأن نوره كان ظاهرا في جباههم من آدم لابيه عبد الله كالقمر ليلة البدر والمستودع في الاصلاب مادة جسمه والنور تابع لتلك المادة (كمشكاة صفتها كذا وكذا) كناية عن قوله فيها مصباح الخ فانها استعملت كذلك أي صفة نوره كصفة نور مشكاة فيها مصباح (وأراد بالمصباح قلبه وبالزجاجة صدره) والمشكاة جسده الشريف (أي كأنه) أي صدره الشريف (كوكب دري) أي مضيء بضم الدال وكسرها وفتحها مع الهمزة وبدونها مشددا الياء قيل انه منسوب الى الدر لحسنه وصفائه (لما فيه) أي الصدر (من الايمان والحكمة) وجعل ذلك في الصدر بواسطة القلب ولا يبعد عود الضمير للقلب والحكمة العلم النافع وقيل المراد بها هنا النبوة كقوله ادع الى سبيل ربك بالحكمة (توقد) المصباح بالماضي وفي قراءة بمضارع أوقد مبنيا للمفعول بالتحتانية وفي أخرى بالفوقانية أي الزجاجة (من شجرة مباركة أي من نور ابراهيم) لان النسب شبيه بالشجرة وابراهيم جده صلى الله عليه وسلم وهو دعوته (وضرب المثل) وهو كلام شبه مضربه بمورده وضرب به ذكره كذلك بمعنى نباته (بالشجرة المباركة) على الاستعارة التمثيلية لانه شبه ظهور نبوته المتصلة بأبيه ابراهيم وشبه المتصل به بمصباح أضاء بزيت من شجرة مباركة واقتصر على بعض أجزاء التمثيل لظهور ما فيه وفائدة التمثيل كما في الكشاف ابراز المعقول في هيئة المحسوس ليتضح ويرسخ في الاذهان ولذا كثر في الاحاديث والكتب الالهية (وقوله تعالى يكاد زيتها

قوله نباته هكذا في بعض النسخ وفي بعضها اثباته بالمثلثة ولينظر اهـ

يضئ *) ولو لم تمسسه نار (أى تكاد نبوة محمد صلى الله عليه وسلم تبين) مضارع بان أى اتضح (للناس قبل كلامه) أى تكلمه ودعواه النبوة وتحديه كهذا الزيت والكلام يأتى مصدرا بمعنى التكليم كقوله فان كلاميها شفاء لما بيا أو المراد ما يتكلم به فيقدر مضاف أى قبل ايراد كلامه الذى يتكلم به وقبل أن يوحى اليه (حكى هذا الاخير) من قوله وعن سهل (القاضى أبو الفضل) عياض (اليحصبى) بفتح التحتية وسكون المهملة وتثليث الصاد مهملة نسبة الى يحصب بن مالك أبى قبيلة باليمن (والفخر الرازى لكنه) أى الرازى انما حكاه (عن كعب الاحبار) لا عن سهل بن عبد الله فان صح النقلان فيكونان معا قالاه وفى شرح الشفاء للتجانى انه تأويل بعيد عن ظاهر القرآن والصحيح ما عليه جمهور المفسرين انه تعالى ضرب هذا مثلا لنوره وتمثالا لتصور أفهام الخلق اذ لولاه ما عرف الله قال وما أشبه هذا بتأويل الفضل قول الفرزدق

أخذنا بأطراف السماء عليكم * لنا قمراها والنجوم الطوالع

لما سأله الرشيد عنه فقال أراد بالقمرين ابراهيم ومحمدا صلى الله وسلم عليهما وبالنجوم الطوالع أنت وآباؤك فقال له الرشيد أحسنت انتهى (وعن الضحاك يكاد محمد يتكلم بالحكمة) العلم النافع (قبل الوحى) به اليه (قال عبد الله بن رواحة) الخزرجى الامير الشهيد بمؤتة

(لو لم تكن فيه آيات مبينة * كانت بديهته تنبيك بالخبر)

وقال نفطويه يكاد زيتها يضئ هذا مثل ضربه الله لنبيه يقول يكاد نظره يدل على نبوته وان لم يتل قرآنا كما قال ابن رواحة وذكر هذا البيت (لكن التفسير الاول فى هذه الآية هو المختار لانه تعالى ذكر قبل هذه الآية ولقد أنزلنا اليكم آيات مبينات) بفتح الياء وكسرها فى هذه السورة بين فيها ما ذكر أو بينته (فاذا كان المراد بقوله مثل نوره أى مثل هداه كان مطابقا لما قبله) بخلافه على ما بعده من التفاسير فلا يطابق ما قبله ونحن فى غنية عن ذلك فقد سماه الله نورا فى قوله قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين وسماه سراجا منيرا فى آية الاحزاب كما أشار الى ذلك عياض بذكرهاتين الآيتين بعد آية النور وبعض تلك التفاسير والله أعلم

(* النوع السابع فى) ذكر (آيات تتضمن) أى تدل لا التضمن المنطقى (وجوب طاعته) اى الانقياد له بامتثال أوامره واجتناب نواهيه فطاعة اسم مصدر طاعه اذا انقاد له فيما أمر به قولا أو فعلا اذا كان الامر بصيغة افعل وأما مادة أمر فتحتمل الوجوب والندب فتكون طاعته فى المندوب مندوبة فوجوبه على هذا الانقياد الى أمره ولو مندوبا والعمل به فقوله (واتباع سنته) بالجر عطفا على طاعته والنصب على وجوب من عطف الخاص على العام (قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله) قال عطاء باتباع الكتاب والسنة رواه ابن أبى حاتم وقدم طاعة الله تمهيدا لوجوب طاعة رسوله واشارة الى أن طاعته تعالى بطاعة رسوله وهما شئ واحد ولذا أفرد الضمير فى قوله ولا تولوا عنه (وقال وأطيعوا الله والرسول) أتبع الوعيد بقوله واتقوا النار التى

أعدت للكافرين بالوعد بقوله (لعلكم ترحمون) ترهيبا عن المخالفة وترغيبا في الطاعة ولعل وعسى في أمثال ذلك دليل على عزة المطلوب وأن العبد دائر بين الرجاء والخوف (وقال تعالى قل أطيعوا الله والرسول) فيما يأمركم به من التوحيد (فان تولوا) أعرضوا عن الطاعات (فان الله لا يحب الكافرين) من اقامة الظاهر مقام المضمر أي لا يحبهم يعني انه يعاقبهم (قال القاضي عياض فجعل طاعته طاعة رسوله) تشبيه بليغ وجعل عينه ادعاء فلا ينافي الآية لان الشرط والجزاء متغايران نظرا الى ما في نفس الامر ولكل مقام مقال والاولى تأخير هذا عن الآية لانها التي صرح فيها بأن طاعته طاعته واللفظ عياض وجعل طاعته طاعته وموافقته موافقته فقال تعالى من يطع الرسول فقد أطاع الله (وقرن طاعته بطاعته) في قوله أطيعوا الله ورسوله ونحوه مما أمر فيه بطاعة الله ورسوله معا (ووعد على ذلك بجزيل) أي عظيم أو كثير (الثواب) بنحو قوله لعلكم ترحمون (وأوعد على مخالفته بسوء العقاب) أي أشده (وقال تعالى من يطع الرسول فقد أطاع الله) روى انه عليه الصلاة والسلام قال من أحبني فقد أحب الله ومن أطاعني فقد أطاع الله فقال المنافقون لقد قارف الشرك وهو ينهى عنه ما يريد الا أن نتخذه ربا كما اتخذت النصارى عيسى ابن مريم فنزلت هكذا في الكشاف قال الحافظ ولي الدين العراقي في حواشيه لم أقف عليه هكذا ونقله السيوطي عن البيضاوي ولم يزد عليه (يعني من أطاع الرسول لكونه رسولا مبلغا) علة غائية أي وغاية أمر الرسول كونه مبلغا (الى الخلق أحكام الله) لانه لا ينطق عن الهوى فلامفهوم لهذه العبارة (فهو في الحقيقة ما أطاع الا الله) أي هو مبلغ حقيقة والآمر هو الله كما في الكشاف قال الطيبي هذا التعليل يفيده لفظ الرسول لانه من وضع المظهر موضع المضمر للاشعار بعلية ايجاب الطاعة له ويدل عليه السياق وهو قوله ومن تولى الآية وكان مقتضى الظاهر ومن تولى فقد عصى الله في مقابلة قوله فقد أطاع الله فوضع ذلك موضعه ليدل على المبالغة (وذلك) المذكور من الطاعة (في الحقيقة لا يكون الا بتوفيق الله) اذ لو خذله ما أطاع رسوله (ومن تولى) أعرض عن طاعته فلا يهمنك (فما أرسلناك عليهم حفيظا) حافظا لاعمالهم بل نذيرا والينا أمرهم فنجازيهم وهذا قبل الامر بالقتال كما في الجلال فأشار الى أن جواب الشرط محذوف والمذكور دليل عليه وهذا أحد وجهين الثاني انه المذكور باعتبار ما دل عليه (قال من أعماه الله عن الرشد وأضله عن الطريق) المستقيم (فان أحدا من خلق الله لا يقدر على ارشاده) جواب الشرط وجملة الشرط وجوابه علة لكونه ما جعل عليهم حفيظا في أعمالهم بحيث يلجئهم للطاعة ويمنعهم عن العصيان وأشار الى تحقق ذلك وعدم احتمال خلافه بالتأكيدات (وهذه الآية من أقوى الادلة على أن الرسول معصوم في جميع الاوامر والنواهي وفي كل ما يبلغه عن الله لانه لو أخطأ في شيء منها) وأقر عليه فأمر به أو نهى عنه ولم يكن كذلك في نفس الامر (لم تكن طاعته طاعة لله) بل مخالف لامره أو نهيه (وأيضا وجب أن يكون معصوما في جميع أحواله لانه تعالى أمر بمتابعته) الانسب أن يقول باتباعه ليطابق دليله (في قوله

واتبعوه) لكنه أشار الى أن المفاعلة قد ترد لاصل الفعل فقال (والمتابعة عبارة عن الاتيان بمثل فعل الغير) ومنه المتابعة فى علوم الحديث (فثبت ان الانقياد له فى جميع أقواله وأفعاله) وجودا أو عدما (الا ما خصه الدليل) به (طاعة له) بالآية منطوقا ومفهوما لان مفهوم من يطع الرسول من عصاه فقد عصى الله (وانقياد لحكم الله تعالى) عطف تفسير (وقال تعالى ومن يطع الله والرسول) فيما أمرا به (فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين) أفاضل أصحاب الانبياء لمبالغتهم فى الصدق والتصديق (والشهداء) القتلى فى سبيل الله (والصالحين) غير من ذكر (الآية) أى وحسن أولئك رفيقا أى رفقا فى الجنة بأن يستمتع فيها برؤيتهم وزيارتهم والحضور معهم وان كان مقرهم فى درجات عالية بالنسبة الى غيرهم قال البيضاوى قسمهم أربعة أقسام باعتبار منازلهم فى العلم والعمل وهم الانبياء الفائزون بكمال العلم والعمل المجاوزون حد الكمال الى درجة التكميل ثم صديقون صعدت نفوسهم تارة الى مراقى النظر فى الحجج والآيات وأخرى الى معارج القدس بالرياضة والتصفية حتى اطلعوا على ما لم يطلع عليه غيرهم ثم شهداء بذلوا نفوسهم فى اعلاء كلمة الله واظهار الحق ثم صالحون صرفوا أعمارهم فى طاعته وأموالهم فى مرضاته انتهى (وهذا عام فى المطيعين لله تعالى من أصحاب الرسول ومن بعدهم وعام فى المعية فى هذه الدار) الدنيا لعموم اللفظ (وان فاتت فيها معية الابدان) وذلك فيمن آمن فى زمنه صلى الله عليه وسلم ولم يره ومن آمن بعده الى يوم القيامة بقيد الطاعة (وقد ذكروا فى سبب نزول هذه الآية ان ثوبان) بفتح المثلثة والموحدة ابن بجيد بضم الموحدة وسكون الجيم وضم الدال المهملة الاولى وقيل ابن جحدر بفتح الجيم وسكون الحاء المهملة (مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم) قال فى الاصابة يقال انه من العرب من حكم بن سعد بن حمير وقيل من السراة اشتراه ثم أعتقه فخدمه الى أن مات ثم تحول الى الرملة ثم حمص ومات بها سنة أربع وخمسين قاله ابن سعد وغيره وروى ابن السكن عن يوسف بن عبد الحميد حدثنى ثوبان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا لاهله فقلت أنا من أهل البيت فقال فى الثالثة نعم ما لم تقم على باب سدة أو تأتى أميرا تسأله وروى أبو داود عن أبى العالية عن ثوبان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يتكفل لى ان لا يسأل الناس وأتكفل له بالجنة فقال ثوبان أنا وكان لا يسأل أحدا شيأ (كان شديد الحب لرسول الله صلى الله عليه وسلم قليل الصبر عنه) ولذا لزمه حضرا وسفرا (فأتاه يوما وقد تغير وجهه ونحل جسمه) بفتح الحاء وفى لغة بكسرها وأخرى بضمها مبنيا للفاعل فهو لازم أى قام بجسمه المرض ويعدى بالهمزة فيقال أنحله المرض وفى القاموس نحل كمنع وعلم ونصر وكرم نحولا ذهب من مرض أو سفر (فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حاله فقال يا رسول الله ما بى وجع) حصل به نحولى وتغير وجهى (غير أنى اذا لم أرك اشتقتك) ضمنه معنى طلب فعداه بنفسه والا فاشتاق انما يتعدى بحرف الجر وبالتضعيف على ان المنقول فى غيره عن ثوبان اشتقت اليك (واستوحشت وحشة عظيمة حتى ألقاك فذكرت الآخرة) أى فكرت فى أمرها

قوله ونحل جسمه فى نسخة المتن زيادة وعرف الحزن فى وجهه اه

(بحيث) الذى فى غيره نخفت (لا أراك هناك) لانه ظهر لى بالفكر اما عدم رؤيالك بالمرة
أو قلتها (لانى ان دخلت الجنة فأنت تكون فى درجات النبيين) فتتعذر رؤيتى لك أو تقل
(وان أنا لم أدخل الجنة فحينئذ لا أراك أبدا فنزلت هذه الآية) قال الشيخ ولى الدين
هذا ذكره الثعلبى فى تفسيره بلا اسناد ولا راو وحكاه الواحدى فى أسباب النزول عن
الكلبى وروى الطبرانى فى معجمه الصغير عن عائشة وابن مردويه عن ابن عباس والبيهقى
عن الشعبى وابن جرير عن سعيد بن جبير كل منهم يحكى عن رجل فذكر مثل قصة ثوبان
ونزول الآية فيه انتهى فان ثبت فالرجل المبهم ثوبان وذكر ابن ظفر عن مقاتل بن سليمان
ان المبهم عبد الله بن زيد بن عبد ربه الانصارى فان ثبتا فلعلهما معا ذكرا ذلك والعلم لله
(وذكر) أى روى (ابن أبى حاتم) الحافظ ابن الحافظ عبد الرحمن بن محمد بن ادريس الرازى
(عن أبى الضحى) مسلم بن صبيح بالتصغير الهمدانى الكوفى العطار مشهور بكنيته تابعى
ثقة فاضل من رجال الجميع مات سنة مائة (عن مسروق) بن الاجدع بن مالك الهمدانى
الوادعى أبى عائشة الكوفى ثقة فقيه عابد مخضرم مات سنة اثنتين ويقال سنة ثلاث
وستين من رجال الجميع قال (قال أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم يا رسول الله ما ينبغى
لنا أن نفارقك) اعتذارا عن كثرة ملازمتهم له المقتضية للملال عادة (فانك لو قد)
بفتح فسكون (مت) بضم الميم كما ضبطه بعض العلماء الموثوق بهم وتجويز ضم القاف
وشد الدال مكسورة وسكون الميم أى قدمت علينا أى سبقتنا تحاشيا عن خطابه بلفظ مت
أدبا وأنه أولى خلاف المتبادر (رفعت فوقنا ولم نرك فأنزل الله) ومن يطع الله والرسول
(الآية) وفى هذا ان قائل ذلك جمع كثير لقوله أصحاب محمد (وذكر) بالبناء للفاعل أى
ابن أبى حاتم أيضا بسنده (عن عكرمة) مولى ابن عباس (مرسلا قال أتى فتى) أى صغير
السن (رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا نبى الله ان لنا منك نظرة فى الدنيا) أى انا
نراك ونتمتع برؤيتك فيها وعبر بالوحدة لقصر المدة (ويوم القيامة لا نراك لانك فى الجنة
فى الدرجات العلى فانزل الله هذه الآية) وللطبرانى وابن مردويه بسند لا بأس به عن
عائشة قالت جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله انك لأحب الى
من نفسى وانك لاحب الى من ولدى وانى لاكون فى البيت فأذكرك فما أصبر حتى آتى
فأنظر اليك واذا ذكرت موتى وموتك عرفت انك اذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين وانى
اذا دخلت الجنة خشيت ان لا أراك فلم يرد عليه النبى صلى الله عليه وسلم شيأ حتى نزل
جبريل بهذه الآية ومن يطع الله والرسول (فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أنت معى
فى الجنة) ان شاء الله كما هو بقية رواية عكرمة وأخرج ابن جرير نحوه من مرسل سعيد بن
المسيب ومسروق والربيع وقتادة والسدى (وفيها أيضا روايات أخر) بنحوها (ستأتى
ان شاء الله تعالى فى مقصد محبته عليه الصلاة والسلام) وهو السابع التالى لهذا (لكن قال
المحققون لا تنكر صحة هذه الروايات الا أن سبب نزول هذه الآية يجب أن يكون شيأ أعظم
من ذلك) أى انه لا ينحصر فى تسلية المحبين له والتخفيف عنهم بل يشمل ذلك وغيره (وهو
الحث على الطاعة والترغيب فيها فانا نعلم ان خصوص السبب لا يقدح فى عموم اللفظ)

أى لا يكون قاصرا عليه خلافا لزاعمه (فهذه الآية عامة فى حق جميع المكلفين) خصهم لوقوع الثواب بعد الامر المستفاد من قوله من يطع اذ الاطاعة فرع الامر أو النهى وكلاهما خاص بالمكلف اذ لا خطاب يتعلق بفعل غيره وصحة عبادة الصبى واثابته عليها لا لامره بها بل ليعتادها فلا يتركها ان شاء الله ذلك (وهو) أى الامر الاعظم (ان كل من أطاع الله وأطاع الرسول فقد فاز) ظفر (بالدرجات العالية والمراتب) المنازل (الشريفة عنده تعالى ثم ان ظاهر قوله تعالى ومن يطع الله والرسول أنه يكتفى بالطاعة الواحدة لان اللفظ الدال على الصفة يكفى فى جانب الثبوت حصول ذلك المسمى مرة واحدة) فاذا قيل صل مثلا برئ من عهدة الطلب بصلاة واحدة لان الامر بالشئ لا يقتضى فورا ولا تكرارا وخرج بالثبوت النهى فامتثاله انما يحصل بترك جميع المنهيات (لكن لابد أن يحمل على غير ظاهره وأن تحمل الطاعة على فعل جميع المأمورات وترك جميع المنهيات اذ لو حملناه على الطاعة الواحدة لدخل فيه الكفار والفساق لانهم قد يأتون بالطاعة الواحدة) وذلك غير مراد فوجب حمله على غير ظاهره (قال الرازى) الامام فخر الدين (قد ثبت فى أصول الفقه أن الحكم المذكور عقب الصفة) كقوله هنا فأولئك مع الذين الخ بعد قوله ومن يطع (مشعر بكون ذلك الحكم معللا بذلك الوصف واذا) أى حيث (ثبت هذا) وتقرر فى الاصول (فنقول قوله من يطع الله أى فى كونه الها وطاعة الله فى كونه الها هى معرفته) بالآيات الدالة عليه (والاقرار) الاعتراف (بجلاله) عظمته (وعزته) غلبته (وكبريائه) عظمته قال تعالى وله الكبرياء فى السموات والارض (وصمديته) احتياج الخلق اليه على الدوام (فصارت هذه الآية تنبيها) أى منبهة (على أمرين عظيمين من أحوال المعاد فالاول ان منشأ جميع السعادات يوم القيامة اشراق الروح بأنوار معرفة الله) المؤدية الى الايمان به وطاعة أمره (فكل من كانت هذه الانوار فى قلبه أكثر وصفاؤها أقوى كان الى السعادة أقرب والى الفوز بالنجاة أوصل) أكثر وصولا (والثانى ان الله تعالى ذكر فى الآية السابقة) على هذه الآية (وعد) مصدر (أهل الطاعة بالاجر العظيم والثواب الجسيم) وفى نسخة الجزيل بقوله ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيرا لهم وأشد تثبيتا واذا لآتيناهم الآية (ثم ذكر فى هذه الآية وعدهم بكونهم مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وليس المراد بكون من أطاع الله وأطاع الرسول مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين كون الكل فى درجة واحدة لان هذا يقتضى التسوية فى الدرجة بين الفاضل والمفضول وذلك لا يجوز) بدلالة النصوص الكثيرة (فالمراد كونهم فى الجنة بحيث يتمكن كل واحد منهم من رؤية الآخر وان بعد المكان لان الحجاب اذا زال شاهد بعضهم بعضا واذا أراد والرؤية والتلاقى قدروا على ذلك) اذ لو عجزوا عنه لتحسروا ولا حسرة فى الجنة (فهذا هو المراد من هذه المعية) لا المساواة فى المنزلة (وقد ثبت وصح) أتى به ليبين ان مراده بالثبوت الصحة للخلاف فى علوم الحديث هل لفظ ثبت يختص بالصحيح أو يشمل الحسن قال السيوطى

وهل يخص بالصحيح الثابت * أو يشمل الحسن نزاع ثابت

وزعم أن الثبوت لا يستلزم الصحة لجواز أنه مع ثبوته ضعيف أو حسن عقلي لم يقله أحد (عنه صلى الله عليه وسلم انه قال) كما أخرجه الشيخان من حديث أنس وابن مسعود وأبي موسى جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال كيف تقول في رجل أحب قوما ولما يلحق بهم فقال صلى الله عليه وسلم (المرء مع من أحب) زاد الترمذي من حديث أنس وله ما اكتسب وفي لفظ قال رجل يا رسول الله متى قيام الساعة قال انها قائمة فما أعددت لها قال ما أعددت لها من كثير الا أني أحب الله ورسوله قال فأنت مع من أحببت ولك ما اكتسبت قال أنس فما فرح المسلمون بشيء بعد الاسلام ما فرحوا به فقيل المراد من أحب قوما باخلاص فهو في زمرتهم وان لم يعمل عملهم لثبوت التقارب مع قلوبهم وقيل بشرط عمله بمثل أعمالهم لحديث من أحب قوما على أعمالهم حشر معهم يوم القيامة وروى العسكري عن الحسن لا تغتر يا ابن آدم بقوله أنت مع من أحببت فمن أحب قوما اتبع آثارهم واعلم أنك لن تلحق بالاخيار حتى تتبع آثارهم وحتى تأخذ بهديهم وتقتدي بسنتهم وتصبح وتمسي على مناهجهم حرصا على ان تكون منهم وقال ابن العربي يريد صلى الله عليه وسلم المرء مع من أحب في الدنيا والآخرة في الدنيا بالطاعة والادب الشرعي وفي الآخرة بالمعاينة والقرب الشهودي فمن لم يتحقق بهذا وادعى المحبة فهو كاذب (وثبت أيضا في البخاري عن أنس (انه) صلى الله عليه وسلم (قال) حين رجع من غزوة تبوك فدنا من المدينة (ان بالمدينة أقواما ما سرتم مسيرا ولا نزلتم منزلا) وفي رواية ولا قطعتم واديا (الا وهم معكم) بالقلوب والنيات قالوا يا رسول الله وهم بالمدينة قال وهم بالمدينة (حبسهم العذر) عن الغزو معكم (فالمعية والصحبة الحقيقية انما هي بالسر والروح) وفي شرحه للبخاري بالسر بالروح (لا بمجرد البدن فهي بالقلب لا بالقالب) ونية المؤمن خير من عمله فتأمل هؤلاء كيف بلغت بهم نيتهم مبلغ أولئك العاملين بأبدانهم وهم على فرشهم في بيوتهم فالمسابقة الى الله تعالى والى الدرجات العوالي بالنيات والهمم لا بمجرد الاعمال (ولهذا كان النجاشي) بفتح النون والجيم أصحمة ملك الحبشة (معه صلى الله عليه وسلم وهو من أقرب الناس اليه وهو) أي النجاشي (بين النصارى بأرض الحبشة وعبد الله بن أبي) ابن سلول رأس المنافقين (من أبعد الخلق عنه وهو معه بالمسجد) النبوي لكونه معه قالبا لا قلبا (وذلك ان العبد اذا أراد بقلبه أمرا من طاعة أو معصية أو) أراد أمرا من (شخص من الاشخاص فهو بارادته ومحبته معه لا يفارقه) اذ كل مهتم بشيء منجذب اليه بطبعه شاء أو أبى وكل امرئ يصبو الى مناسبه رضا أم سخط فالنفوس العلية تنجذب بذاتها وهمها وعملها الى أعلى والنفوس الدنية تنجذب بذاتها الى أسفل ومن أراد أن يعلم هل هو مع الرفيق الاعلى أو الاسفل فلينظر أين هو ومع من هو في هذا العالم فان الروح اذا فارقت البدن تكون مع الرفيق الذي كانت تنجذب اليه (فالارواح العلية كلها (تكون) يوم القيامة وفي الدنيا (مع الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم وبينها وبينهم من المسافة الزمانية) بتأخر وجودها عن وجودهم (والمكانية) بطول المسافة (بعد عظيم) في الزمان والمكان ولا يكون ذلك مانعا من

كمال الانسان

المحبة في الدارين والله أعلم (وقال تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) أي يثبكم (ويغفر لكم ذنوبكم) والله غفور رحيم (وهذه الآية الشريفة تسمى آية المحبة) بدليل أنه (قال بعض السلف) زعم انه الحسن البصري لقوله قال أقوام على عهد نبينا والله يا محمد انا لنحب ربنا فأنزل الله الآية رواه ابن المنذر وليس فيه فأنزل آية المحبة فلا يصح انه المراد (ادعى قوم محبة الله) قيل هم وفد نجران لما قالوا انما نعبد المسيح حبا لله رواه ابن اسحق وابن جرير عن محمد بن جعفر بن الزبير وقيل هم اليهود لما قالوا نحن أبناء الله وأحباؤه وقيل قريش لما قالوا انما نعبدهم ليقربونا الى الله زلفى وبه يجزم الجلال وروى ابن جرير وابن المنذر عن الحسن مرسلا انهم أقوام زعموا على عهد نبينا حب الله فأمروا ان يجعلوا لقولهم تصديقا من العمل (فأنزل الله آية المحبة قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني وقال يحببكم الله) بالجزم في جواب الطلب والراجح فيه أنه في جواب شرط مقدر تقديره هنا ان اتبعتموني يحببكم الله (اشارة الى دليل المحبة وثمرتها وفائدتها) أي باتباع الرسول فان اتباعه علامة على حبه لله تعالى وثمرة محبة الله للعبد مغفرته له كما أفاده قوله (فدليلها وعلامتها اتباع الرسول وفائدتها وثمرتها محبة المرسل) بكسر السين أي الله تعالى نبيه ليبلغ الخلق (لكم) متعلق بمحبة (فما) مصدرية ظرفية (لم تحصل المتابعة) أي مدة انتفاء حصولها (فلا محبة لكم حاصلة) منكم لله (ومحبته لكم منتفية) أي لا يحبكم بمعنى لا يثيبكم (فجعل سبحانه اتباع الرسول عليه الصلاة والسلام مشروطا بمحبتهم لله وشرطا لمحبة الله لهم ووجود المشروط ممتنع بدون وجود تحقق شرطه) وهو اتباع الرسول (فعلم انتفاء المحبة عند انتفاء المتابعة) لانها مشروطة بمتابعة رسوله فانتفاء محبتهم لله لازم لانتفاء المتابعة لرسوله وانتفاء المتابعة ملزوم لانتفاء محبة الله لهم (فيستحيل حينئذ ثبوت محبتهم لله وثبوت محبة الله لهم بدون المتابعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم) لاستحالة وجود المشروط بدون شرطه (ودل) جعله اتباع الرسول مشروطا بمحبتهم (على أن متابعة الرسول هي حب الله ورسوله وطاعة أمره) أي علامة عليه أو جعلها نفس المحبة مبالغة (ولا يكفي ذلك في العبودية حتى يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما) كما في الحديث (فلا يكون شئ أحب اليه من الله ورسوله) قال الطيبي فسر المتكلمون محبة العبد لله بأنها محبة طاعته أو ثوابه واحسانه وأما العارفون فقالوا العبد يحب الله لذاته وأما حب طاعته وثوابه فدرجة نازلة والقول الاول ضعيف وذلك لا يمكن ان يقال في كل شئ انه انما كان محبوبا لاجل معنى آخر فلا بد من الانتهاء الى شئ يكون محبوبا بالذات فكما يعلم ان اللذة محبوبة لذاتها كذلك يعلم ان الكمال محبوب لذاته وأكمل الكمالات لله تعالى فيقتضي كونه محبوبا لذاته من ذاته قال صاحب القرائد وهذا أبلغ أنواع الحب فعلى هذا احب العبد لله حقيقة بل المحبة الحقيقية مستحقة لله اذ كل ما يحب من المخلوقات فانما يحب لخصوص أثر من آثار وجوده وفي الاحياء الحب ميل الطبع الى الشئ المستلذ فان قوي سمي عشقا ولا يظن قصره على مدركات الحواس الخمس حتى يقال ان الله تعالى لا يدرك بها ولا يتمثل في الخيال فلا يحب لانه صلى

الله عليه وسلم سمى الصلاة قرة عين وجعلها أبلغ المحبوبات ومعلوم انه ليس للحواس الخمس فيها حظ والبصيرة الباطنة أقوى من البصر الظاهر والقلب أشد ادراكاً من العين وجمال المعانى المدركة بالعقل أعظم من جمال الصور الظاهرة للابصار فيكون لا محالة لذة القلب بما يدركه من الامور الشريفة الالهية التى تجل عن ان تدركها الحواس أتم وأبلغ فيكون ميل الطبع السليم والعقل الصحيح اليه أقوى ولا معنى للحب الا الميل الى ما فى ادراكه لذة فلا ينكر اذن حب الله الا من قعد به القصور فى درجة البهائم انتهى وأما محبة الله للمتبعين فهى رضاه عنهم واثابتهم وكشف الحجب عن قلوبهم والتجاوز عما فرط منهم كما اشار اليه بقوله والله غفور رحيم وعبر عن ذلك بالمحبة استعارة أو مشاكلة لاستحالة المعنى الحقيقى عليه (ومتى كان عنده شئ أحب اليه منهما فهذا هو الشرك الذى لا يغفر لصاحبه البتة ولا يهديه الله) واستدل على هذا بقوله (قال تعالى قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم) أقرباؤكم وفى قراءة وعشيراتكم (وأموال اقترفتموها) اكتسبتموها (وتجارة تخشون كسادها) عدم نفاقها (ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله) فقعدتم لاجله عن الهجرة والجهاد (فتربصوا) انتظروا (حتى يأتى الله بأمره) تهديد لهم (والله لا يهدى القوم الفاسقين) (فكل من قدم طاعة أحد من هؤلاء) غلب العقلاء على غيرهم وسمى من اقترن بالعاقل باسمه تجوزا لان احدا انما يستعمل فى العاقل (على طاعة الله ورسوله أو قول أحد منهم على قول الله ورسوله أو مرضاة أحد منهم على مرضاة الله ورسوله أو خوف أحد منهم أو رجاءه والتوكل) الاعتماد (عليه على خوف الله ورجائه والتوكل عليه أو معاملة أحد منهم على معاملة الله ورسوله فهو ممن ليس الله ورسوله أحب اليه مما سواهما وان قال بلسانه) انهما أحب (فهو كذب منه واخبار بما ليس هو عليه) عطف تفسير وفيه اشارة الى ان محبة غيرهما المنهى عنها هى المحبة الاختيارية دون الطبيعية فانها لا تدخل تحت التكليف (انتهى ملخصا من كتاب المدارج) أى مدارج السالكين لابن القيم الى منازل السائرين لشيخ الاسلام الانصارى الهروى (وسيأتى مزيد لذلك ان شاء الله تعالى فى مقصد محبته عليه الصلاة والسلام) فذكر الحديث وتكلم عليه مبسوطا هنالك (وقال تعالى فآمنوا بالله ورسوله النبى الامى الذى يؤمن بالله وكلماته) القرآن (واتبعوه لعلكم تهتدون) ترشدون (أى الى الصراط المستقيم) صراط الله (بجعل رجاء الاهتداء) من العباد لان صيغ الرجاء الواقعة فى القرآن مصروفة الى العباد يعنى ان المؤمن يرجو أنه من المهتدين (اثر) عقب (الامرين الايمان بالرسول واتباعه تنبيها على ان من صدقه ولم يتابعه بالتزام شرعه فهو فى الضلالة فكل ما أتى به الرسول عليه الصلاة والسلام) من قول أو فعل أو غيرهما (يجب علينا اتباعه الا ما خصه الدليل) به فلا يجب بل يحرم تارة كالزيادة على أربع وتارة يكره كالوصال (وقال تعالى فآمنوا بالله ورسوله والنور الذى أنزلنا) يعنى القرآن) سماه نورا لانه باعجازه ظاهر بنفسه مظهر لغيره مما فيه شرحه وبيانه فيستضاء به

فصل فى الامر بطاعته ﷺ

فصل فى اتباع الرسول

من ظلمات الجهل ويقتبس منه أنوار الهداية والفضل (فالايمان به صلى الله عليه وسلم واجب متعين على كل أحد لا يتم ايمان الا به ولا يصح اسلام الا معه) لاستحالة وجود ايمان أو اسلام بدون ذلك شرعا (قال الله تعالى ومن لم يؤمن بالله ورسوله فانا أعتدنا) أعددنا وهيأنا (للكافرين سعيرا) نارا شديدة (أى ومن لم يؤمن بالله ورسوله فهو من الكافرين وانا أعتدنا للكافرين سعيرا) اشارة الى ان جواب الشرط محذوف والمذكور علة له لان الاعتاد لا يترتب على عدم الايمان بهما بل الكفر وجزاؤه السعير (وقال تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم الآية) روى الشيخان وأصحاب السنن عن عبد الله بن الزبير قال خاصم الزبير رجلا فى شراج الحرة فقال صلى الله عليه وسلم اسق يا زبير ثم أرسل الماء الى جارك فقال الانصارى يا رسول الله أن كان ابن عمتك فتلون وجهه ثم قال اسق يا زبير ثم احبس الماء حتى يرجع الى الجدر ثم أرسل الماء الى جارك واستوعى للزبير حقه وكان أشار اليهما بأمر لهما فيه سعة قال الزبير فما أحسب هذه الآية الا نزلت فى ذلك فلا وربك الخ (معناه فوربك كقوله تعالى فوربك لنسألنهم أجمعين ولا مزيدة للتأكيد لمعنى القسم كما فى لئلا يعلم) أهل الكتاب أى ليعلم لا لتظاهر لا فى قوله لا يؤمنون لانها تزاد أيضا فى الاثبات كقوله لا أقسم بهذا البلد قاله فى الكشاف قال التفتازانى ان قيل لم لا يجوز أن تكون مزيدة لمظاهرة لا فى لا يؤمنون ومعاونتها والتنبيه من أول الامر على أن المقسم به نفى فالجواب ان مجيئها قبل القسم سواء كان الجواب نفيا أو اثباتا يدل على انها للتأكيد القسم لا لمظاهرة النفى فى الجواب وذلك لان الاصل اجراء المحتمل على المحقق والمشكوك على المقطوع واتحاد منهج اللفظ على اتحاد منهج المعنى وترك التصرف فى الحرف وبهذا يندفع اعتراض صاحب التقريب بجواز أن يكون فى النفى لمظاهرة النفى وفى المثبت لتأكيد معنى القسم وتجويزه انه فى النفى لتأكيده وفى الاثبات لتأكيده ليس على ما ينبغى انتهى (ولا يؤمنون جواب) للقسم (أقسم الله تعالى بنفسه الكريمة المقدسة أنه لا يؤمن أحد حتى يحكم الرسول صلى الله عليه وسلم فى جميع أموره) لانه عبر بما شجر وما من صيغ العموم (ويرضى بجميع ما حكم به) بقوله ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت (وينقاد له ظاهرا وباطنا سواء كان الحكم بما يوافق أهواءهم أو يخالفها) هذا المقصود وذكر الموافق للتعميم (كما ورد فى الحديث (والذى نفسى بيده) قسم كان صلى الله عليه وسلم يقسم به كثيرا (لا يؤمن أحدكم) ايمانا كاملا ونفى اسم الشئ بمعنى الكمال مستفيض فى كلامهم فالمراد نفى بلوغ حقيقته ونهايته وخصوا بالخطاب لانهم الموجودون حينئذ والحكم عام (حتى يكون هواه تبعا لما جئت به) الهوى بالقصر ما يهواه العبد ويحبه ويميل اليه فحقيقته شهوة النفس وهو ميلها لملائمها ويستعمل فى عرف الشرع فى الميل الى خلاف الحق كقوله ولا تتبع الهوى فيضلك (وهذا) الحديث (يدل على أن من لم يرض بحكم الرسول صلى الله عليه وسلم لا يكون مؤمنا) أصلا بل كافرا ان اعتقد بطلانه أو أنه ليس من الله أما ان اعتقد حقيته وتألم منه فى نفسه لمشقته

فؤمن ناقص (وعلى انه لابد من حصول الرضا بحكمه فى القلب وذلك بأن يحصل الجزم والتيقن فى القلب بأن الذى يحكم به عليه الصلاة والسلام هو الحق والصدق فلابد من الانقياد باطنا وظاهرا) ذكر هذا وان تقدم معناه قريبا لانه شرح الحديث فراده انه دل على مادلت عليه الآية (وسيأتى مزيد بيان لذلك ان شاء الله تعالى فى مقصد محبته عليه الصلاة والسلام) وهو السابع (ثم ان ظاهر هذه الآية يدل على انه لا يجوز تخصيص النص بالقياس) سواء كان جليا أو خفيا كما أجازه الرازى وقيل المنع فى الخفى لضعفه بخلاف الجلى (لانه يدل على انه يجب متابعة قوله وحكمه) بالخفض (وأنه لا يجوز العدول عنه الى غيره وقوله ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا) ضيقا أو شكا (مما قضيت) به (مشعر بذلك لانه متى خطر بقلبه قياس يقتضى ضد مدلول النص فهناك يحصل الحرج فى النفس فبين الله تعالى انه لا يكمل ايمانه الا بعد أن لا يلتفت الى ذلك الحرج ويسلم الى النص) ينقاد لحكمه (تسليما كليا) من غير معارضة (قاله الامام فخر الدين) الرازى بعد ما كان يقول بالجواز (وجوز غيره تخصيص الكتاب والسنة بالقياس) المستند الى نص خاص ولو خبر واحد سواء كان القياس جليا أو خفيا على المختار (وبه صرح العلامة التاج) عبد الوهاب (بن) على (السبكى فى جمع الجوامع) فى مبحث التخصيص وأجاب شيخنا فى التقرير عن استدلال الرازى بهذه الآية بأنا لا نسلم ان معارضته بالقياس حرج كما ادعى وانما هو تردد فى فهمه هل هو موافق أم لا

(* النوع الثامن فيما) موصول أو نكرة موصوف أى الآيات التى تتضمن أو فى آيات (تتضمن) أى تدل أو تستلزم لا خصوص دلالة التضمن الاصطلاحية (الادب) بحذف مضاف أى طلب الادب (معه صلى الله عليه وسلم) فى جميع الاقوال والافعال (* قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدى الله ورسوله) وجه تضمنها الادب ان النهى عن الشئ أمر بضده وهو طلب التأخر وهو أدب روى البخارى عن ابن الزبير قدم ركب من تميم على النبى صلى الله عليه وسلم فقال أبو بكر أمر القعقاع بن معبد وقال عمر بل أمر الاقرع بن حابس فقال أبو بكر ما أردت الا خلافى فقال عمر ما أردت خلافك فتماريا حتى ارتفعت أصواتهما فنزل فى ذلك يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدى الله ورسوله حتى انقضت الآية وروى ابن المنذر عن الحسن أن ناسا ذبحوا قبله صلى الله عليه وسلم يوم النحر فأمرهم ان يعيدوا ونزلت الآية وأخرج الطبرانى عن عائشة ان ناسا كانوا يتقدمون الشهر فيصومون فنزلت وأخرج ابن جرير عن قتادة قال ذكر لنا أن ناسا كانوا يقولون لو أنزل فى كذا فنزلت ولا شك ان الاصح الاول لانه مروى البخارى ويحتمل تعدد الاسباب وقد قال الرازى الاصح انه ارشاد عام يشمل الكل ومنع مطلق يدخل فيه كل افتيات وتقدم واستبداد بالامر واقدام على فعل غير ضرورى بلا مشاورة (فمن الادب أن لا يتقدم بين يديه) أى عنده سواء كان تجاهه أو عن يمينه او يساره أو خلفه (بأمر ولا نهى ولا اذن ولا تصرف) ويداوم على ذلك (حتى يأمر هو وينهى ويأذن كما أمر الله بذلك فى هذه الآية) وظاهر هذا انه من قدم لازما بمعنى تقدم وفى الانوار أى لا تقدموا أمرا فحذف المفعول ليذهب الوهم الى كل ما يمكن أو تركه لان المقصود نفى

التقدم رأساً أولا تتقدموا ومنه مقدمة الجيش لتقدمهم ويؤيده قراءة يعقوب لاتقدموا
وفى ابن عطية قال ابن زيد معنى لاتقدموا الاتمشوا بين يدى رسول الله وكذلك بين يدى
العلماء فانهم ورثة الانبياء وهذا ظاهر فى أن معناه التقدم الحسى (وهذا) النهى عن
التقدم (باق الى يوم القيامة لم ينسخ) سواء كان التقدم حقيقة أو حكما (فالتقدم بين
يدى سنته) الواردة عنه باسناد صحيح أو حسن ولا معارض راجح (بعد وفاته كالتقدم
بين يديه فى حياته) لقوله تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا (لافرق
بينهما عند ذى عقل سليم) وقد علم ان التقدم أعم من كونه حقيقة أو حكما فلا يرد أنه
ينتهى بوفاته صلى الله عليه وسلم فيتعذر النسخ بوفاته لانقطاع الوحى فلا يحسن بل لايصح
تفريعه على ماقبله (قال مجاهد) عند البخارى فى تفسير لاتقدموا (لاتفتاتوا) أى
لاتسبقوا (بشئ على رسول الله صلى الله عليه وسلم) بل أمهلوا وامتنعوا عن العمل
فيه بشئ (حتى يقضيه الله على لسانه) فاعملوا به فالغاية لمقدر قال الزركشى الظاهر
ان هذا التفسير على قراءة ابن عباس ويعقوب بفتح التاء والدال والاصل لاتتقدموا
فحذف احدى التاءين قال الدماميني بل هو متأت على القراءة المشهورة أيضا فان قدم بمعنى
تقدم قال الجوهرى وقدم بين يديه أى تقدم (وقال الضحاك) أى (لاتقضوا أمرا دون
رسول الله) أى دون أمره (صلى الله عليه وسلم) بل انتظروا أمره (وقال غيره
لاتأمروا حتى يأمر ولاتنهوا حتى ينهى) فأمروا حينئذ بأمره ونهيه (وانظر أدب
الصديق رضى الله عنه معه عليه الصلاة والسلام فى الصلاة) أى فيما فعله فيها (أن تقدم
بين يديه) ان مصدرية بفتح الهمزة وتقدير اللام أى لان تقدم علة لقوله (كيف تأخر)
مقدم عليه أى انظر كيف تأخر لتقدمه الحاصل بين يديه أى فى غيبته صلى الله عليه وسلم
فقدم بعد احرام أبى بكر وفى نسخة اذ لكن اصلاحا ولا حاجة اليه فأن بهذا التقدير كاذ
روى مالك والشيخان من طريقه عن أبى حازم عن سهل بن سعد أنه صلى الله عليه وسلم
ذهب الى بنى عمرو بن عوف وحانت الصلاة فجاء المؤذن الى أبى بكر فقال أتصلى للناس
فأقيم قال نعم فصلى أبو بكر فجاء رسول الله والناس فى الصلاة فتخلص حتى وقف فى الصف
فصفق الناس وكان أبو بكر لا يلتفت فى صلاته فلما أكثر الناس من التصفيق التفت أبو بكر
فرأى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأشار اليه أن امكث مكانك فرفع أبو بكر يديه وحمد
الله على ما أمر به صلى الله عليه وسلم من ذلك ثم استأخر حتى استوى فى الصف وتقدم صلى
الله عليه وسلم فصلى بالناس ثم انصرف فقال يا أبا بكر مامنعك ان تثبت اذ أمرتك (فقال)
أبو بكر (ما كان لابن أبى قحافة) بضم القاف وخفة الحاء المهملة عثمان بن عامر أسلم
فى الفتح ومات سنة أربع عشرة فى خلافة عمر وعبر بذلك دون ان يقول ما كان لى أو لابى
بكر تحقيرا لنفسه (ان يتقدم) وفى رواية ان يصلى (بين يدى رسول الله) وفى رواية
أن يؤم النبى (صلى الله عليه وسلم) ففيه ان من أكرم بكرامة تخير بين القبول والترك
اذ فهم أن الامر ليس على اللزوم وكانت القرينة التى بينت ذلك لابى بكر أنه صلى الله عليه
وسلم شق الصفوف حتى انتهى اليه ففهم ان مراده ان يؤم الناس وأن أمره اياه بالاستمرار

فى الامامة من باب الاكرام والتنويه بقدره فسلك هو طريق الادب ولذا لم يرد صلى الله عليه وسلم اعتذاره (كيف أورثه مقامه والامامة) الخلافة (بعده فكان) بمعنى صار (ذلك التأخر الى خلفه و) الحال انه (قد أومأ) أشار (اليه أن اثبت مكانك) وفى رواية فأشار اليه يأمره أن يصلى وأخرى فدفع فى صدره ليتقدم فأبى (سعيا) خبر كان (الى قدام) أى كان فى المعنى شروعا وعملا فى طلب التقدم عند الله بسبب أدبه مع نبيه فنال (بكل خطوة الى وراء) فهو متعلق بمقدر (مراحل) مفعول المقدر (الى قدام تنقطع فيها أعناق المطى) ولا توصل اليها (ومن الادب معه صلى الله عليه وسلم ان لا ترفع الاصوات فوق صوته) لانه يدل على قلة الاحتشام وترك الاحترام ومن خشى قلبه ارتجف وضعفت حركته الدافعة فلا يخرج منه الصوت بقوة ومن لم يخف بالعكس (كما قال تعالى يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم) اذا نطقتم (فوق صوت النبى) اذا نطق (ولا تجهروا له بالقول) اذا ناجيتموه (كجهر بعضكم لبعض) بل دون ذلك اجلالا له قال المصنف وليس المراد بنهى الصحابة عن ذلك أنهم كانوا مباشرين ما يلزم منه الاستخفاف والاستهانة فكيف وهم خير الناس بل المراد أن التصويت بحضرته مباين لتوقيره وتعزيره (قال الرازى أفاد انه ينبغى ان لا يتكلم المؤمن عنده صلى الله عليه وسلم كما يتكلم العبد عند سيده) بل يكون صوته دون صوته مع سيده (لان العبد داخل فى قوله كجهر بعضكم لبعض لانه للعموم) فيشمل ذلك (فلا ينبغى ان يجهر المؤمن للنبى صلى الله عليه وسلم كما يجهر العبد للسيد والا كان قد جهر له كما يجهر بعضكم لبعض) فيدخل فى النهى (قال ويؤيد ما ذكرناه قوله تعالى النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم والسيد ليس أولى عند عبده من نفسه حتى لو كانا فى مخمصة) مجاعة (ووجد العبد ما لو لم يأكله لمات لا يجب عليه بذله لسيده ويجب البذل للنبى صلى الله عليه وسلم ولو علم العبد أن بموته ينجو سيده لا يلزمه ان يلقى نفسه فى التهلكة) أى الهلاك لانجاء سيده (ويجب لانجاء النبى صلى الله عليه وسلم) على كل أحد (فكما ان العضو الرئيس أولى بالرعاية من غيره) بفاء الاستئناف وعلل الاولوية بقوله (لان عند خلل القلب مثلا لا يبقى لليدين والرجلين استقامة) حذف المشبه أى كذلك تجب رعايته صلى الله عليه وسلم وفداؤه على المؤمنين بأنفسهم اذ لو لم يدفع الهلاك عنه وقدم غيره لهلك ذلك الغير وأشار الى هذا المعنى بفاء التعليل فقال (فلو حفظ الانسان نفسه وترك النبى صلى الله عليه وسلم لهلك هو أيضا) ويحتمل أن الفاء زائدة والمعنى ان رعايته وتقديمه على النفس مشبهة بالعضو الرئيس فى رعايته وتقديمه على بقية الاعضاء (بخلاف العبد والسيد انتهى) كلام الرازى (واذا كان رفع الاصوات فوق صوته موجبا لحبوط الاعمال) أى فسادها وهدرها مصدر حبط من باب فرح وفى لغة من باب ضرب وبها قرئ شاذا كما قال تعالى ان تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون أى خشية ذلك بالرفع والجهر المذكورين (فما الظن برفع الآراء) جمع رأى (ونتائج الافكار) ما يظهر لها تشبيها بنتائج الحيوان وهو ما يلده (على سنته وما جاء به) (واعلم أن فى الرفع والجهر استخفافا) بحسب الصورة

(قد

يكفل بانكل الاول

(قد يؤدي الى الكفر المحبط وذلك اذا انضم اليه قصد الاهانة وعدم المبالاة) والاقالرفع والجهر لا يلزمهما الاستخفاف (وروى ان أبا بكر رضي الله عنه لما نزلت هذه الآية قال والله يارسول الله لا أكلمك الا كأخي) أي صاحب (السرار) بكسر السين مصدر سارة أي الكلام الخفي الذي يراد كتمه وفي البخاري عن ابن أبي مليكة كاد الخيران أن يهلكا أبو بكر وعمر رفعا أصواتهما عند النبي صلى الله عليه وسلم حين قدم عليه ركب بني تميم فأنزل الله يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم الآية قال ابن الزبير فكان عمر لا يسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه الآية حتى يستفهمه ولم يذكر ذلك عن أبيه يعني أبا بكر (و) روى (ان عمر كان اذا حدثه حدثه كأخي السرار ما كان يسمع النبي صلى الله عليه وسلم حديثه بعد) نزول (هذه الآية حتى يستفهمه) وفي الاعتصام من البخاري فكان عمر بعد ذلك اذا حدثه يحدثه كأخي السرار لا يسمعه حتى يستفهمه ففي تعبيره بروى في هذا شيء وفيهما وفي غيرهما نزل ان الذين يغضون الآية (وقد روى) فيما أسنده القاضي عياض من طريق أبي الحسن علي بن فهر أي مؤلف فضائل مالك بسنده (ان أبا جعفر) المنصور عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس (أمير المؤمنين) ثاني الخلفاء من بني العباس ولي الخلافة اثنتين وعشرين سنة وكان محدثا فقيها بليغا حافظا للقران والسنة جماعا للاموال فلذا لقب أبا الدوانيق مات سنة ثمان وخمسين ومائة بقرب مكة محرما بالحج وله ثلاث وستون سنة (ناظر) مفاعلة من النظر بمعنى الفكر لان كلا منهما ينظر في كلام من يجادله (مالكا) الامام في مسئلة فرفع صوته (في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم) ولم يذكروا ما ناظره فيه لانه لا يترتب عليه فائدة هنا (فقال له مالك يا أمير المؤمنين لا ترفع صوتك في هذا المسجد فان الله عز وجل أدب قوما فقال لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي الآية) وروى ابن جرير عن قتادة قال كانوا يجهرون له بالكلام ويرفعون أصواتهم فنزلت (ومدح قوما) كالعمرين وثابت بن قيس وغيرهم (فقال ان الذين يغضون أصواتهم الآية وذم قوما) أي بني تميم (فقال ان الذين ينادونك من وراء الحجرات) أي حجرات نسائه بأن أتوها حجرة حجرة فنادوه أو تفرقوا عليها متطلبين له لانهم لم يعلموه بأيها مناداة الاعراب بغلظة وجفاء أكثرهم لا يعقلون محلك الرفيع وما يناسبه من التعظيم اذ العقل يقتضي حسن الادب وفيه تسلية وتلميح بالصفح عنهم (الآية وأن حرمته ميتا كحرمته حيا) اذ هو حي في قبره فيجب ان يراعى بعد مماته ما كان له في حياته (فاستكان) خضع وذل (لها) لهذه المقالة والموعظة وفي نسخة له أي لمالك أي لقوله (أبو جعفر) المنصور لوضوح استدلاله (ومن الادب معه ان لا يجعل دعاؤه كدعاء بعضنا بعضا قال تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا) بأن تنادوه باسمه بل قولوا يا نبي الله يارسول الله بلين وتواضع وخفض صوت روى أبو نعيم في الدلائل عن ابن عباس قال كانوا يقولون يا محمد يا أبا القاسم فأنزل الله لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا فقالوا يا نبي الله يارسول الله (وفيه قولان للمفسرين أحدهما لا تدعوه) وفي نسخة تدعونه على انه خبر بمعنى النهي (باسمه

كما يدعو) ينادي (بعضكم بعضا بل قولوا يا نبي الله يا رسول الله) وهذا ما دل عليه سبب النزول المذكور (مع التوقير) الاجلال (والتواضع) وخفض الصوت لآية الحجرات (فعلى هذا) القول (المصدر مضاف الى المفعول أي دعاءكم الرسول) أي نداءكم له (والثاني ان المعنى لا تجعلوا دعاءه لكم بمنزلة دعاء بعضكم بعضا ان شاء أجاب وان شاء ترك بل اذا دعاكم لم يكن لكم بد) فراق ومحالة (من اجابته ولم يسعكم التخلف عنها ألبتة) بقطع الهمزة (فان المبادرة الى اجابته واجبة والمراجعة بغير اذنه محرمة) أي الرجوع عن تمام ما ندب اليه لقوله تعالى استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم (فعلى هذا المصدر) في دعاء الرسول (مضاف الى الفاعل أي دعاءه اياكم) ولو في الصلاة (وقد تقدم في الخصائص من المقصد الرابع عن مذهب الشافعي) وهو المعتقد في مذهب مالك (أن الصلاة لا تبطل باجابته صلى الله عليه وسلم) وقال جماعة تجب الاجابة وتبطل الصلاة (ومن الادب معه صلى الله عليه وسلم انهم اذا كانوا معه على أمر جامع من خطبة أو جهاد أو رباط) وفي الاكليل قال ابن أبي مليكة الآية في الجهاد والجمعة والعيدين وقال عطاء أمر عام وقال مقاتل طاعة يجتمعون عليها أخرجها ابن أبي حاتم (لم يذهب أحد مذهبا في حاجة) عرضت (له حتى يستأذنه كما قال الله تعالى انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله واذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه) ففيه وجوب استئذانه قبل الانصراف عنه في كل أمر يجتمعون عليه قال الحسن وغيره صلى الله عليه وسلم من الائمة مثله في ذلك لما فيه من أدب الدين وأدب النفس قال ابن الفرس ولا خلاف في الغزو أنه يستأذن امامه اذا كان له عذر يدعوه الى الانصراف واختلف في صلاة الجمعة اذا كان له عذر كالراعف وغيره وقيل يلزمه الاستئذان سواء كان امامه الامير أم غيره أخذا من الآية (فاذا كان هذا مذهبا) أي سببا يقصد (مقيد الحاجة عارضة لم يوسع لهم فيه الا باذنه فكيف بمذهب مطلق في تفاصيل الدين أصوله وفروعه ودقيقه) قليله (وجليله) كثيره (هل يشرع الذهاب اليه بدون استئذانه فاسئلوا أهل الذكر) العلماء (ان كنتم لا تعلمون) ذلك فانهم يعلمونه (ومن الادب معه صلى الله عليه وسلم ان لا يستشكل قوله) الثابت عنه بلا معارض راجح بقوله أيضا ونحوه (بل تستشكل الآراء بقوله ولا يعارض نصه بقياس) لانه فاسد الاعتبار مع وجود النص (بل تهدر) تطرح (الاقيسة وتلقى) عطف تفسير لتهدر (لنصوصه ولا يحرف كلامه عن حقيقته لخيال) أي ظن (مخالف يسميه أصحابه معقولا نعم هو مجهول وعن الصواب معزول) أي مصروف الى غيره (ولا يوقف قبول ما جاء به على موافقة أحد) بل يقبل ثم تارة يعمل به وتارة لا لقيام دليل غيره على عدم العمل به (فكل هذا من قلة الادب معه صلى الله عليه وسلم وهو عين الجرأة) بزنة غرفة وضخامة أي الهجوم بلا توقف وذلك مذموم (ورأس الادب معه صلى الله عليه وسلم كمال التسليم له والانقياد) الاذعان (لامره وتلقي خبره بالقبول والتصديق دون أن يحمله خيال) ظن (باطل يسميه) صاحبه معقولا أو يسميه شبهة أو شكا أو يقدم عليه اراء الرجال وزبالات) أوساخ (أذهانهم) جمع ذهن وهو الذكاء والفطنة كما في المصباح (فيوحد التحكيم) أي يجب على كل أحد

أن يجعل الحاكم هو النبى صلى الله عليه وسلم (والتسليم والانقياد والاذعان) من أذعن انقاد فهو عطف مساو (كما وحد المرسل) بكسر السين وهو الله سبحانه (بالعبادة) بجعله مستحقا لها دون غيره (والخضوع والذل) عطف تفسير (والانابة) الرجوع (والتوكل) عليه فى جميع الامور (فهما توحيدان لا نجاة للعبد من عذاب الله الا بهما توحيد المرسل) وهو الله عز وجل (وتوحيد متابعة الرسول فلا يحاكم الى غيره) بالعدول عنه وطلب الحكم من غيره (ولا يرضى بحكم غيره انتهى ملخصا من المدارج) للعلامة ابن القيم (والقرآن مملوء بالآيات المرشدة الى الادب معه صلى الله عليه وسلم فليراجع) وفيما ذكر كفاية

* (* النوع التاسع فى آيات تتضمن رده تعالى بنفسه المقدسة) أطلق النفس عليه تبعا لقول امام الحرمين انه الصحيح وقيل انما يجوز للمشاكلة نحو تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك ورد بقوله كتب ربكم على نفسه الرحمة وخبر أنت كما أثنيت على نفسك وتقدير كتب رب نفوسكم ولا نحصى نفسى بعيد (على عدوه) يحتمل أن يريد المفرد وعمومه من الاضافة اذ استغراق المفرد أشمل عند أهل البيان ويحتمل أن يريد الجمع فان لفظ عدو يقع لغة على الواحد المذكر والمؤنث والمجموع (صلى الله عليه وسلم ترفيعا) مفعول لاجله وتضعيفه للمبالغة اذ هو متعد بدونه (لشأنه) أمره وخطبه (قال تعالى ن والقلم وما يسطرون) أى الملائكة ومر الكلام فيه مبسوطا (ما أنت بنعمة ربك بمجنون) أى انتفى عنك الجنون بسبب انعامه عليك بالنبوة وغيرها (لما) حين (قال المشركون يا أيها الذى نزل عليه الذكر) القرآن فى زعمه (انك لمجنون) أى لتقول قولهم بدعواك أنه نزل عليك لا الجنون الحقيقى للقطع بعدمه فلا يريدونه لئلا يكذب من قاله (أجاب تعالى) الاولى فأجاب بالفاء اذ الجملة الاولى كافية وكأنه تركها لانه بيان لتعظيمه بأنه أجاب (عنه عدوه بنفسه من غير واسطة) وتوطئة لقوله (وهكذا سنة الاحباب) أى عادتهم (فان الحبيب اذا سمع من سب حبيبه تولى بنفسه جوابه) وفرع على هذا قوله (فههنا تولى الحق سبحانه جوابهم بنفسه منتصرا له لان نصرته تعالى) التى تولاها بنفسه (له أتم من نصرته) عليه الصلاة والسلام لنفسه كقتال العدو وان كان لله أو المعنى لو فعل وروى ابن أبى حاتم عن وهيب بن الورد قال يقول الله تعالى ابن آدم اذا ظلمت فاصبر وارض بنصرتى فان نصرتى لك خير من نصرتك لنفسك ورواه عبد الله بن أحمد فى زوائد الزهد عن وهيب قال بلغنى انه مكتوب فى التوراة فذكره (وأرفع لمنزلته) مقداره العلى (ورده) تعالى على عدوه بتكذيبهم (أبلغ من رده) لنفسه صلى الله عليه وسلم باقامة الحجة وان كانت ليست لنفسه بل لله أو المراد لو كان له رد ونصرة كما مر (وأثبت) أعظم وأقوى ثباتا (فى ديوان مجده) شرفه من أن يثبته هو بنفسه فما أمضاه الله لا نقض له فاستعار لمجده ديوانا يثبت فيه فاذا أثبته الله كان أتم وأكبر ثباتا وهكذا هو باق الى الابد (فأقسم تعالى بما أقسم به من عظيم آياته) اجله ليأتى على الخلاف السابق فى تفسيره (على تنزيه رسوله وحبيبه وخليله مما غمصته) بفتح الغين المعجمة والميم وبكسر الميم أيضا وصاد مهملة أى احتقرته وعابته (أعداؤه

الكفرة به وتكذيبهم له بقوله ما أنت بنعمة ربك بمجنون) بدل من قوله من عظيم آياته بدل بعض من كل أو متعلق بتنزيه (وسيعلم أعداؤه المكذبون له أيهم المفتون) فيه اشارة الى أن الباء زائدة وهو أحد وجوه سبقت (هو أوهم) واقتصر على الاعداء مع ان الآية فستبصر ويبصرون لان القصد اخباره بأنهم سيعلمون ذلك وأما ذكره عليه السلام فيها فلانه ادعى للقبول فى مقام المحاجة نحو وانا أو اياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين وقول حسان

أتهجوه ولست له بكفء * فشركما لخيركما فداء

(وقد علموا هم والعقلاء) من غيرهم (ذلك) أى أنهم المفتونون لا هو (فى الدنيا) متعلق بعلموا (ويزداد علمهم به فى البرزخ) القبر (وينكشف ويظهر كل الظهور فى الآخرة بحيث تتساوى الخلق كلهم فى العلم به وقال تعالى) عطف على بقوله ما أنت من عطف الفعل على اسم يشبه الفعل وهو المصدر والمعنى أقسم بقوله ما أنت بنعمة ربك بمجنون وبقوله (وما صاحبكم بمجنون) فقال فلا أقسم بالخنس الخ (ولما رأى العاصى بن وائل السهمى) أحد المستهزئين الميت على كفره (النبى صلى الله عليه وسلم يخرج من المسجد وهو) أى العاصى (يدخل فالتقيا عند باب بنى سهم) بطن من قريش (وتحدثا وأناس من صناديد) جمع صنديد وهو السيد الشجاع أو الحليم أو الجواد أو الشريف كما فى القاموس (قريش جلوس فى المسجد فلما دخل العاصى قالوا له من ذا الذى كنت تحدث) بحذف احدى التاءين (معه قال ذلك الابتر يعنى النبى صلى الله عليه وسلم وكان قد توفى ابن لرسول الله صلى الله عليه وسلم من خديجة) وهو القاسم أول من مات من ولده أو عبد الله روايتان (فرد الله تعالى عليه وتولى جوابه بقوله ان شانئك هو الابتر أى عدوك ومبغضك هو الذليل الحقير) الذى لا عقب له ولا حسن ذكر وأما أنت فتبقى ذريتك وحسن صيتك وآثار فضلك الى يوم القيامة ولك فيها ما لا يدخل تحت الوصف ولا يرد أن العاصى أعقب عمرا وهشاما لانهما لما أسلما انقطع عقبه منهما فصارا من أتباع المصطفى وأزواجه أمهاتهما (ولما قالوا) أى الذين كفروا على جهة التعجب لبعض هل ندلكم على رجل ينبئكم اذا مزقتم كل ممزق انكم لفى خلق جديد (أفترى) بفتح الهمزة للاستفهام واستغنى بها عن همزة الوصل (على الله كذبا) فى ذلك (أم به جنة) جنون تخيل ذلك به (قال الله تعالى) ردا عليهم (بل الذين لا يؤمنون بالآخرة) المشتملة على البعث والعذاب (فى العذاب والضلال البعيد) من الحق فى الدنيا قال البيضاوى رد الله عليهم ترديدهم وأثبت لهم ما هو أفظع من القسمين وهو الضلال البعيد عن الصواب بحيث لا يرجى الخلاص منه وما هو مؤداه من العذاب (ولما قالوا لست مرسلا أجاب الله تعالى عنه) بالاقسام (فقال يس والقرآن الحكيم انك لمن المرسلين) ومرت مباحث ذلك ولم يجعل الجواب من بقية الآية وهى قل كفى بالله شهيدا بينى وبينكم ومن عنده علم الكتاب أى على صدقى لعدم صراحتها فى الرد (ولما قالوا أئنا) بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية وادخال ألف بينهما على الوجهين (لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون) أى لاجل قول محمد (رد الله تعالى عليهم فقال بل جاء بالحق وصدق المرسلين) الجائين به وهو لا اله الا الله (فصدقه ثم ذكر وعيد خصمائه فقال انكم لذائقو العذاب

قوله لست مرسلا أجاب الخ فى بعض نسخ المتن بعد قوله مرسلا زيادة قوله يعنى اليهود اهـ

الاليم

الاليم) وما تجزون الا ما كنتم تعملون (ولما قالوا) ما حكى الله عنهم بقوله (أم يقولون هو (شاعر نتربص به ريب المنون) حوادث الدهر فيهلك كغيره من الشعراء وقيل المنون الموت (ردّ الله عليهم بقوله وما علمناه الشعر وما ينبغي) يسهل (له) الشعر (ان هو) أي الذي أتى به (الا ذكر) عظة (وقرآن مبين) مظهر للاحكام وغيرها وذكر وعيدهم بقوله لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين (ولما حكى الله عنهم قولهم ان هذا الا افك) كذب (افتراه) محمد (وأعانه عليه قوم آخرون) من أهل الكتاب (سماهم الله تعالى كاذبين بقوله فقد جاؤا ظلما وزورا) كفرا وكذبا أي بهما (وقال رادّا قولهم أساطير الاولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا (قل أنزله الذي يعلم السر) الغيب (في السموات والارض) انه كان حليما غفورا (ولما قالوا يلقيه اليه الشيطان قال الله تعالى) لهم (وما تنزلت به الشياطين) كما زعم المشركون انه من قبيل ما يلقي الشياطين على الكهنة (وما ينبغي) يصلح (لهم) أن ينزلوا به (وما يستطيعون) ذلك انهم عن السمع لكلام الملائكة لمعزولون أي محجوبون بالشهب (ولما تلا عليهم نبأ) خبر (الاولين قال النضر بن الحرث) الكافر المقتول بعد بدر المشترى لهو الحديث (لو نشاء لقلنا مثل هذا) لانه كان يأتي الحيرة يتجر فيشترى كتب أخبار الاعاجم ويحدث بها أهل مكة ويقول ان محمدا يحدثكم أحاديث عاد وثمود وأنا أحدثكم حديث فارس والروم فيستملحون حديثه ويتركون استماع القرآن (ان) ما (هذا) القرآن (الا أساطير) أكاذيب (الاولين قال الله تعالى تكذيبا لهم قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن) في الفصاحة والبلاغة (لا يأتون بمثله) ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا أي معينا (ولما قال الوليد بن المغيرة) المخزومي الميت على كفره (ان) ما (هذا) القرآن (الا سحر يؤثر) ينقل عن السحرة (ان هذا الا قول البشر) كما قالوا انما يعلمه بشر (قال الله تعالى كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا) هو (ساحر أو مجنون تسلية له عليه الصلاة والسلام) لان المعنى مثل تكذيبهم لك بقولهم انك ساحر أو مجنون تكذيب الامم قبلهم لرسلهم بقولهم ذلك (ولما قالوا محمد قلاه ربه) أبغضه (فردّ) بالقاء في جواب لمبالغة قليلة (الله عليهم بقوله ما ودّعك ربك وما قلى) ما أبغضك (ولما قالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الاسواق) لولا أنزل اليه ملك فيكون معه نذيرا أو يلقى اليه كنز أي من السماء ينفقه ولا يحتاج الى المشي في الاسواق لطلب المعاش أو تكون له جنة يأكل منها أي من ثمارها فيكتفي بها (قال الله تعالى وما أرسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام ويمشون في الاسواق) فأنت مثلهم في ذلك وقد قيل لهم كما قيل لك وكسرت ان لان المستثنى محذوف أي الا رسلا انهم أو جملة انهم حالية اكتفي فيها بالضمير (ولما حسد ثنه أعداء الله اليهود على كثرة النكاح والزوجات) لانه صفة كمال لا يقدرون عليها وعبروا عن هذا (وقالوا ما همته الا النكاح) لايهام الاعتراض والتوبيخ خلاف ما أبطنوه من الحسد الذي هو تمني زوال نعمة المحسود (ردّ الله عليهم عن رسوله ونافح) بالفاء

والحاء المهملة أى منع ودافع (عنه فقال أم يحسدون الناس) أى محمدا صلى الله عليه وسلم (على ما آتاهم الله من فضله) من النبوة وكثرة النساء أى يتمنون زواله عنه ويقولون لو كان نبيا لاشتغل عن النساء (فقد آتينا آل ابراهيم) جد محمد صلى الله عليه وسلم كموسى وداود وسليمان (الكتاب والحكمة) النبوة (وآتيناهم ملكا عظيما) فكان لداود تسع وتسعون امرأة ولسليمان ألف ما بين حرة الى سرية (ولما استبعدوا أن يبعث الله رسولا من البشر بقولهم الذى حكاه الله عنهم وما منع الناس أن يؤمنوا اذ جاءهم الهدى الا أن قالوا) أى قولهم منكرين (أبعث الله بشرا رسولا وجهلوا أن التجانس يورث التوانس) فيمكن مخاطبته والفهم عنه (وأن التخالف) فى الجنس (يورث التباين) فلا يمكن ذلك فمن حكمة الله جعل الرسول بشرا لا ملكا (قال الله تعالى قل لو كان فى الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا) يحتمل انه حال من رسولا وأنه مفعول وكذلك بشرا والاول أوفق (أى لو كانوا ملائكة لوجب أن يكون رسولهم من الملائكة لكن لما كان أهل الارض من البشر وجب أن يكون رسولهم من البشر) لتمكنهم من الاجتماع به والتلقى منه وأما الانس فعامتهم عماة عن ادراك الملك والتلقف منه فان ذلك مشروط بنوع من التناسب والتجانس قاله البيضاوى وفى الشفاء أى لا يمكن فى سنة الله ارسال الملك الا لمن هو من جنسه أو من خصه الله واصطفاه وقواه على مقاومته كالانبياء والرسل وفى الآية الاخرى ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون أى جعلناه على صورة رجل ليتمكنوا من رؤيته اذ لا قدرة للبشر على رؤية الملك (فما أجل هذه الكرامة) أى الاكرام من الله لنبيه حيث كان هو الراد عنه لا الامر الخارق للعادة (وقد كان الانبياء انما يدافعون عن أنفسهم ويردون على أعدائهم كقول نوح عليه السلام) رادا لقولهم له انا لنراك فى ضلال مبين قال (يا قوم ليس بى ضلالة) هى أعم من الضلال فنفيها أبلغ من نفيه (وقول هود) دفعا لقولهم انا لنراك فى سفاهة وانا لنظنك من الكاذبين قال (يا قوم ليس بى سفاهة) جهالة (وأشباه ذلك) من دفعهم عن أنفسهم

(* النوع العاشر فى ازالة الشبهات) جمع شبهة وهى ما يرى دليلا وليست بدليل لفساد القياس أو لغير ذلك (عن آيات وردت فى حقه عليه الصلاة والسلام متشابهات) محتملات لا يتضح مقصودها لاجمال أو مخالفة ظاهر الا بالفحص والنظر أو دل القاطع على أن ظاهرها غير مراد ولم يدل على المراد وتطلق المتشابهات أيضا على ما استأثر الله بعلمه وليس بمراد هنا (* قال الله تعالى ووجدك ضالا فهدى) أى منها هذه الآية لان القواطع دلت على أن ظاهرها ليس بمراد وأفاد هذا بنقل الاجماع بقوله (اعلم أنه قد اتفق العلماء على انه صلى الله عليه وسلم ما ضل لحظة) واحدة (قط) بأن ظن بالله ما هو محال عليه (وهل هو) أى الضلال المفهوم من قوله ما ضل (جائز عقلا على الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين قبل النبوة قالت المعتزلة هو غير جائز عقلا لما فيه) أى تجويز

تلبسهم به وظهوره عليهم (من التنفير) عن اتباعهم بعد الوحي واجابتهم للايمان والطاعة ولا يخفى أن هذه علة باردة فالتنفير فعل المنفر وأى فعل في تجويز العقل فالتجويزات العقلية لا يلزم منها شئ البتة فالعقل يجوز انقلاب الصخر دما والحجر ذهبا ونحو ذلك قرره شيخنا (وعند أصحابنا) أهل السنة (انه جائز في العقول) وهو أبلغ في اتباعهم لانه حيث جاز عقلا ولم يقع علم انهم مصطفون عند الله صادقون فيما أخبروا به عنه (ثم يكرم الله من أراده بالنبوة) بالعصمة من ابتدائه الى منتهاه فحذف صلة يكرم ولذا عدل عن أن يقول ثم يكرمهم (الا أن الدليل السمعي قام على أن هذا الخبر لم يقع) لنبي من الانبياء أصلا (قال الله تعالى ما ضل صاحبكم وما غوى قاله الامام فخر الدين) الرازي ويقال عليه الآية في حق نبينا فكيف صح جعلها دليلا على جميع الانبياء اذ لا يلزم من نفي ذلك عنه نفيه عنهم ثم هي انما سيقت في مقام نفي ما نسبه المشركون اليه وكان بعد النبوة والجواب أما الاول فالدليل في نفي الضلال العصمة لاكرام الله تعالى له بالنبوة وهذه العلة يشاركه فيها جميع الانبياء فالآية نص فيه وقياس في باقيهم وأما الثاني فالافعال بمنزلة النكرات والنكرة تعم فكأنه قال ما صدر منه ضلال لا قبل النبوة ولا بعدها (وقال الامام أبو الفضل) عياض (اليحصبي) العلم الشهير (في الشفاء) وأما عصمتهم من هذا الشئ قبل النبوة فللناس فيه خلاف (والصواب) أي القول الموافق للواقع وللادلة الدالة على ان خلافه خطأ من قائله (انهم معصومون) محفوظون مصونون (قبل النبوة من الجهل بالله تعالى) أي بوجود ذاته (وصفاته) فلا يجهلون شيأ منها (و) معصومون أيضا من (التشكيك) لانفسهم (في شئ من ذلك) وفي نسخة أو التشكيك بالعطف بأو الفاصلة أي لا يقع في نفسهم شك في الذات ولا في صفة من صفاتها لان فطرتهم جبلت على التوحيد والايمان وأما قوله ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان فالمراد به ما لا يعلم الا بالوحي كوجوب الصلاة ونحوه من فروع الشريعة (وقد تعاضدت) أي تقوت مأخوذ من العضد وهو ما بين المرفق الى الكتف ولكون عمل الانسان واعتماده بذلك قيل عضدته بمعنى قويته قاله الراغب وقال التلمساني أي قوى بعضها بعضا تفاعل من اثنين لقيام كل واحد من الاخبار مع صاحبه حتى حصلت القوة التامة بذلك (الاخبار والآثار) بمعنى وقيل الخبر المرفوع والاثر قول الصحابي ومن دونه والمراد بهما ما اشتهر من أحوالهم وصفاتهم المأثورة المعروفة عند كل أحد (عن الانبياء) كلهم والمرسلين بأسرهم وليس المراد أنه نقل عنهم بل عرف عنهم وفي حقهم فلم يصب من قدره عن غيرهم (بتنزيههم) أي تبرئتهم (عن هذه النقيصة) بصاد مهملة أي الصفة المنقصة لمن اتصف بها (منذ ولدوا) الى آخر عمرهم (ونشأتهم) بالجر عطف على تنزيههم أي وبنشأتهم أي ابتداء خلقهم لا زمن شبابهم كما توهم (على التوحيد) وهو عدم الشرك (والايمان) بالله وبكل ما يجب الايمان به (بل) للانتقال على سبيل الترقي (على اشراق) أي شدة ظهور (أنوار المعارف) في أحوالهم وأقوالهم أي معرفة ذات الله وصفاته وكل ما يتعلق به (ونفحات) جمع نفحة وهي الروائح الطيبة التي تفوح (ألطاف السعادة)

أى كونهم سعداء الدارين فشبه مايلوح منهم من اماراتها برائحة طيب يعبق فيملأ الكون (ولم ينقل أحد من أهل الاخبار) عن أحد غيره (ان أحدا نبئ) بهمز آخره أى صيره الله نبيا (واصطفى) أى اصطفاه الله واختاره (ممن عرف بكفر واشراك) عطف خاص على عام (قبل ذلك) أى نبوته واصطفائه (ومستند) اسم مفعول أى مايستند اليه ويعلم به (هذا الباب) أى باب معرفة أحوال الانبياء (النقل) عن الاخبار والآثار ويؤيده العقل الدال على انه تعالى لايختار من خلقه لنبوته الامن كان كذلك فليس المراد الحصر وقد عقبه عياض بما يدل على موافقة العقل للنقل ثم قال بعد كلام طويل فى الاجوبة عن آيات وأحاديث ليس المراد ظاهرها (وقد استبان) أى تبين والسين للتأكيد لا الطلب ولان ماينبت من شأنه ان يناقش فيه (بما قررناه) الباء للسببية فاذا تأملته بان لك (ماهو الحق من عصمته صلى الله عليه وسلم عن الجهل بالله وصفاته) بأن ينفى وجود ذاته أو يتردد فيه أو ينفى شيأ من صفاته أو يعتقد شيأ منها على خلاف حقيقته وكذا سائر الانبياء (أو) استبان لك عصمته من (كونه) أى وجوده وخلقه كسائر الانبياء (على حالة تنافى العلم بشئ من ذلك) أى ذاته وصفاته (كله جملة) فلا يجهل شيأ من ذلك أصلا لاسيما (بعد النبوة عقلا) وشرعا لقضائه بحيازته جميع الشرف والكمال لانه تعالى لايصطفى الامن هو كذلك (واجماعا) من كل المسلمين (وقبلها سمعا ونقلا) فى الاحاديث الصحيحة والجمع بينهما للتوكيد والمنصوبات تمييز (ولا بشئ) عطف على قوله بشئ قبله أى ولا كونه على حالة تنافى العلم بشئ (مما قرره من أمور الشرع) الذى أمر بتبليغه (وأداه) أوصله وبلغه (عن ربه من الوحى قطعا) مقطوعا به متيقنا بلا خلاف (عقلا وشرعا) لانه مناف لارساله به وأمره بتبليغه فكيف يجوز عليه جهل شئ منه فالانبياء معصومون من ذلك لدلالة المعجزات على علمهم وصدقهم فيما بلغوه عن الله والا كان افتراء على الله وهو باطل عقلا وشرعا (وعصمته) بالجر عطف على عصمته الاولى (عن الكذب) لمنافاة المعجزة له (وخلف القول لئلا يتهم فى تبليغه (منذ نبأه الله وأرسله) فلم يصدر عنه شئ منه وهو مستحيل (قصدا) بأن يقول مايخالف ماأرسل به اختيارا (أو غير قصد) فلا يقع ذلك منه سهوا ونسيانا واليه ذهب أبو اسحق الاسفراينى وجوزه الباقلانى لعدم منافاته للمعجزة لانه لا يقر عليه (واستحالة ذلك) الكذب والخلف (عليه شرعا واجماعا ونظرا وبرهانا) وفى نسخة أو قبل قوله نظرا وهى أحسن لان المعنى ان استحالة ذلك شرعا واجماعا مما دل عليه النظر والدليل العقلى (وتنزيهه) أى تبرئته (عنه قبل النبوة قطعا) لتواتره فكان يسمى الامين لانه مأمون قولا وفعلا (وتنزيهه عن الكبائر اجماعا) لرفعة قدره عنها (وعن الصغائر تحقيقا) اثباتا بالدلائل المفيدة لذلك فالتحقيق اثبات المسئلة بدليلها أو أمرا محققا ولتجويز بعضهم لها لم يقل اجماعا أو قصدا بقرينة قوله (وعن استدامة السهو والغفلة) عطف تفسير لبعد ساحة التبليغ عنها فان وقع نبه عليه بسرعة ولله در القائل

يا سائلى

يا سائلي عن رسول الله كيف سها * والسهو من كل قلب غافل لاهي
قد غاب عن كل شيء سره فسها * عما سوى الله في التعظيم لله

(و) عن (استمرار الغلط والنسيان عليه) حفظا له بإيقاظ قلبه وتنبيهه (فيما شرعه للأمة) لأن استمراره مناف لتشريعه له (وعصمته) بالجر ويجوز رفعه خبره كائنة (في كل حالاته من رضا وغضب وجد) بكسر الجيم ضد الهزل (ومزح) فإن مزح لا يقول إلا حقا (ما يجب لك) بدل من قوله ما هو الحق ويجوز أن ما التأكيد القبله في الحالات الأربع ويجب مستأنف ولفظ الشفاء فيجب عليك (أن تتلقاه) أي تأخذه وتعمله (باليمين) أي بالقبول واليمن والبركة لأنه يؤخذ بها ما ينتفع به لسهولة العمل بها عادة والعرب تقول لما تمدح به أخذه باليمين قال الشماخ

اذا ما راية رفعت لمجد * تلقاها عرابة باليمين

(وتشد عليه يد الضنين) البخيل وزنا ومعنى من الضنة وهي شدة البخل أي تحرص على حفظ ما ذكر من تعزيه قدره عما ذكر كحرص البخيل على ما في يده لشدة بخله وخوفه من ذهابه وفيه مع اليمين مراعاة النظير وفسر بالقوة ولا يناسب هذا (فإن من يجهل ما يجب للنبي صلى الله عليه وسلم) اعتقاده (أو يجوز أو يستحيل عليه) أي يمتنع في حقه شرعا وعقلا وعادة (ولا يعرف صور أحكامه) أي الحكم المتصور في حقه من وجوب وجواز وحرمة (لا يأمن أن يعتقد في بعضها خلاف ما هي عليه) فيقع فيما لا يجوز اعتقاده (ولا ينزهه عما لا يجوز أن يضاف) أي ينسب (إليه) ويوصف به (فيهلك) أي يقع في أمر هو سبب هلاكه في الدارين (من حيث لا يدري) بجهله (ويسقط في هوة) بضم الهاء وشد الواو وهو العميق كالبئر (الدرك) بفتحتين وقد تسكن الراء ما ينزل به إلى (الأسفل) من دركات المنازل (من النار) أي نار جهنم فالتعريف للعهد وهي هنا مجاز عن محلها ويستعمل كثيرا بهذا المعنى وهو عبارة عن عقابه أشد العقاب في الآخرة بسبب ما ذكر وإذا علله بقوله (إذ ظن الباطل به) أي ما لا يصح في حقه (واعتقاده) على طريق الجزم (ما لا يجوز عليه) شرعا وعقلا (يحل) بضم الياء وكسر الحاء وشد اللام وفاعله ضمير ما ذكر من الظن والاعتقاد أي يحل (صاحبه) أي ذلك الاعتقاد (دار البوار) بفتح الموحدة الهلاك يعني جهنم وهو من أسمائها أي يجعله حالا فيها وضبط البرهان يحل بفتح أوله وضم ثانيه وصاحبه فاعل وهو جائز أيضا وطلب الرواية في مثل هذا عناء بلا طائل فنطق عياض بأحد الضبطين لا يمنع الثاني فهو كلام لا حديث يمنع بغير ما روي به قال في الشفاء ولهذا احتاط على الرجلين اللذين رأياه ليلا في المسجد مع صفية فقال لهما إنها صفية ثم قال إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما شيئا فتهلكا ثم قال بعد طول جوز جماعة من السلف وغيرهم من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين الصغائر على الأنبياء وذهب طائفة إلى الوقف وذهب المحققون من الفقهاء والمتكلمين إلى عصمتهم منها كالكبائر ثم قال بعد كلام قليل ما حكاه المصنف بقوله (وقد استدل بعض الأئمة على عصمتهم من الصغائر بالمصير إلى

امتثال أفعالهم) أي فعل مثلها اقتداء بهم فلو وقع ذلك منهم أو جاز فعله الناس وظنوه شرعا فلذا عصموا منها لان ذنب العظيم عظيم وان قل (واتباع آثارهم وسيرتهم مطلقا) سواء كانت ضرورية أم جبلية كالقيام والقعود والاكل والشرب فانا نتأسى بهم فيه وان كان مباحا لان الاصل في أفعالهم انها حسنة شرعية فيتبعون في كل ما صدر منهم لان الاصل أرجح من الظاهر (وجمهور الفقهاء على ذلك) أي اتباع آثارهم مطلقا ان لم يعلم انه خصوصية لهم (من أصحاب) أي كبار مذهب (مالك والشافعي وأبي حنيفة من غير التزام) قيام (قرينة) تدل على انه فعله للتشريع والاقتداء به فيه (بل) يقتدى بفعله (مطلقا) من غير التزام قرينة المشروعية (عند بعضهم وان اختلفوا) بعد القول باتباعه (في حكم ذلك) فذهب كثير من الفقهاء والمحدثين وأكثر الشافعية الى استحباب اتباعه في الامور الجبلية كغيرها وذهب جماعة الى انه مباح أحسن من غيره وحكى أبو الفرج وابن خويزمنداد عن مالك الوجوب وبه قال أكثر أصحابنا وأكثر أهل العراق وابن سريج والاصطخري وابن خيران من الشافعية هذا ملخص ما حذفه المصنف من الشفاء قبل قوله (فلو جوزنا عليهم) فعل (الصغائر لم يمكن الاقتداء بهم في أفعالهم) مطلقا كما أمرنا به (اذ ليس كل فعل من أفعاله) كغيره منهم (يتميز مقصده) أي ما قصده به (من القربة) بأن يكون واجبا أو مندوبا (والاباحة) بأن لا يترتب عليه ثواب ولا عقاب أو مدح أو ذم (والحظر) بالمشالة أي المنع شرعا لكونه محرما أو مكروها أو خلاف الاولى فقوله (والمعصية) تفسير أو يخص المعصية بالحرام والحظر بخلاف الاولى والمكروه (انتهى) ما نقله عن عياض وقال عقبة ولا يصح ان يؤمر المرء بامتثال أمر لعله معصية لاسيما على من يرى تقديم الفعل على القول اذا تعارضا وما كان ينبغي للمصنف حذف هذا لانه من جملة الدليل وما كان يزيد به الكتاب (واختلف في تفسير هذه الآية على وجوه كثيرة أحدها أي وجدك ضالا عن معالم النبوة) أي مظانها وهي ما أنزل عليه من القرآن وغيره وما ظهر عليه من الآيات فالمعالم جمع معلم مظنة الشيء وما يستدل به عليه كما في القاموس وزاد المصنف معالم على الشفاء لعله اشارة الى أن النبوة نفسها الاخبار بها كأن قيل له أنت نبي أو وجد ما يدل على اتصافه بالنبوة من غير وحي بشرع لا يفيد هداية وانما يفيدها الآثار الآتية من الشرع التي يعمل بها وان لم يؤمر بتبليغها قرره شيخنا (وهو مروي عن ابن عباس والحسن) البصري (والضحاك وشهر بن حوشب) وقال به ابن جرير لان الضلال لغة العدول عن الاستقامة وضده الهداية فكل عدول ضلال سواء كان عمدا أم لا فمعناه غير مهتد لما سبق لك من النبوة فهداك اليها كقوله فعلتها اذا وأنا من الضالين (ويؤيده قوله تعالى ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان أي ما كنت تدري قبل الوحي ان تقرأ القرآن) أي لا تعرف قراءته ولا دراسته (ولا كيف تدعو الخلق الى الايمان) قيل وهذا في غاية البعد لانه تقدير بلا قرينة تدل عليه ووجه بأن تعريف الايمان عهدي والمراد ايمان أمته أي لا تدري كيف يؤمن قومك وبأي طريق يدخلون في الايمان وبعده لا يخفى (قاله السمرقندي) الامام أبو الليث الحنفي (وقال بكر) بن

العلاء

العلاء (القاضى) القشيرى المالكى (ولا الايمان الذى هو الفرائض والاحكام) الشرعية التى كلف بها علما وعملا (فقد كان عليه الصلاة والسلام قبل) أى قبل النبوة (مؤمنا بتوحيده) اى بانه منفرد بالالوهية لا شريك له (ثم نزلت الفرائض التى لم يكن يدريها قبل فازداد بالتكليف) أى بسبب ما كلف به من الفرائض (ايمانا وسيأتى آخر هذا النوع من يد لذلك ان شاء الله) فانه ذكرهنا للتأكيد (الثانى من معنى قوله تعالى ضالا ماروى مرفوعا مما ذكره الامام فخر الدين الرازى) مما يفيد أنه على حقيقته فانه يقال ضل الرجل الطريق وضل عنه زال عنه فلم يهتد اليه فهو ضال وذلك (انه عليه الصلاة والسلام قال ضللت) بفتح اللام من باب ضرب لغة نجد وهى الفصحى وبها جاء القرآن فى قوله قل ان ضللت فانما أضل على نفسى وفى لغة لاهل العالية من باب تعب أى تهت وغبت (عن جدى عبد المطلب) وأصل الضلال الغيبة ومنه قيل للحيوان الضائع ضالة (وأنا صبى حتى كاد) قارب (الجوع يقتلنى فهدانى الله) وردنى اليه وفى سيرة ابن اسحق زعموا ان أمه السعدية لما قدمت به مكة ضل منها فى الناس فأتت جده فأخبرته فقام عند الكعبة فدعا الله ان يرده فوجده ورقة بن نوفل ورجل آخر من قريش فأتيا به الى عبد المطلب فأخذه على عنقه وطاف وعوذه ودعا له ثم أرسله الى آمنة وروى ان عبد المطلب تصدق بألف ناقة كوماء وخمسين رطلا من ذهب وجهز حليمة أفضل الجهاز (الثالث يقال ضل الماء فى اللبن اذا صار مغمورا) من تقديم الدليل على المدلول واذا كان كذلك (فمعنى الآية كنت مغمورا بين الكفار بمكة فقواك الله حتى أظهرت دينه الرابع ان العرب تسمى الشجرة الفريدة فى الفلاة) الارض لا ماء فيها والجمع فلا مثل حصى وحصاة وجمع الجمع أفلاء مثل سبب وأسباب (ضالة كأنه تعالى يقول كانت تلك البلاد) مكة وما حولها (كالمفازة) الموضع المهلك مأخوذ من فوز بالتشديد اذا مات لانها مظنة الموت وقيل من فاز اذا نجا وسلم سميت به تفاؤلا بالسلامة (ليس فيها شجرة تحمل ثمر الايمان بالله تعالى ومعرفته الا أنت فأنت شجرة فريدة فى مفازة الجهل) ولم يذكر الجوهرى وأتباعه هذا وما قبله من معانى ضل لكن اللغة واسعة (الخامس قد يخاطب السيد والمراد قومه) لاستحالة وصف السيد بذلك الوصف أو باستعمال اسمه فى اسم قومه مجازا (أى وجد قومك ضالين فهداهم بك وبشرعك) عطف تفسير لقوله بك المعبر به عن ذاته وأسند الهداية اليها مبالغة فى مدحه حتى كان ذاته نور يهتدى به بمجرد رؤيته صلى الله عليه وسلم وجعله شرعه لظهوره على يديه ومجيئه به (السادس) ضالا (أى محبا لمعرفتى) فهداك بأنوار الهداية والعناية (وهو مروى عن) أبى العباس أحمد (بن عطاء) الادمى بفتحتين الصوفى له لسان فى فهم القرآن يختص به ولما كان هذا خلاف المشهور لغة بينه ابن عطاء نفسه بقوله (والضال المحب كما قال تعالى) عن اخوة يوسف خطابا لابيهم (انك لفى ضلالك القديم أى محبتك القديمة) ليوسف لا تنساه وهذا منقول عن قتادة وسفيان فلا يضر عدم وجوده فى الصحاح واتباعه فاللغة واسعة (ولم يريدوا هنا) فى هذه الآية ضلالة (فى الدين) بأن يعتقد واخطأه فى دينه باعتقاده خلافه أواصراره على ما ينافيه (اذلو قالوا

ذلك فى نبى الله) يعقوب (لكفروا) بنسبته الى مالا يجوز عليه وتحقيره لكن عدم ارادة ذلك
لا يستلزم حمله على المحبة لجواز أن يريد والتى تحيرك عما يوصلك الى العلم بحال يوسف أو نحو
ذلك وفى الانوار انك لفى ذهابك عن الصواب قديما بالافراط فى محبة يوسف واكثار ذكره
والتوقع للقائه (السابع أى وجدك ناسيا فذكرك وذلك ليلة المعراج نسى ما يجب أن يقال
بسبب الهيبة) من الله تعالى (فهداه الله تعالى الى كيفية) أى صفة (الثناء)
الذى فضل به الانبياء (حتى قال لا أحصى ثناء) أى لا استوعب ولا أبلغ الواجب
فى الثناء (عليك) أنت كما أثنيت على نفسك (الثامن أى وجدك بين أهل الضلال
فعصمك) عن الانتظام فى سلكهم والتلبس بشئ من ضلالهم كعبادة الاصنام
(من ذلك) أى الضلال وموافقة أهله فيه (وهداك للايمان) به ومعرفته اذ جعله
فطرة لك وأودع فيك ما يرشدك له بعقلك السليم ثم أرشدك له بالوحى (والى ارشادهم)
افعال من الرشد ضد الغى وهو قريب من الهداية كما قاله الراغب وأفاد بقوله فعصمك انه
من قبل الشرع ولم يستفد هذا من الخامس فبهذا غايره ولا يرد أن قوله فيه فهداهم بشرعك
يفيد عصمته لاستحالة ان يهديهم مع مواقفتهم لان شرعه متأخر فقد كان بينهم قبله أربعين
سنة ثم هذا التأويل مروى عن السدى وغير واحد كما قال عياض فالضلال بمعناه
المشهور وليس متصفا به ولكونه بين أهله أطلق عليه مجاز العلاقة المجاورة (التاسع أى
وجدك متحيرا) واقعا فى الحيرة (فى بيان ما أنزل اليك) من القرآن (فهداك لبيانه)
باظهاره وبيان ما خص من معانيه فى حال تبليغه لامته (كقوله وأنزلنا اليك الذكر)
القرآن لما فيه من التذكير والمواعظ (لتبين للناس ما نزل اليهم) مما خفى عليهم فالضلال
التحير فيما شق عليه فى ابتداء أمره (وهذا مروى عن الجنيد) أبى القاسم بن محمد النهاوندى
شيخ المشايخ العلم المشهور رحمه الله (العاشر عن على) أمير المؤمنين (انه صلى الله
عليه وسلم قال ما هممت) بفتح الميم الاولى بابه نصر وهو أول العزم (بشئ مما كان
أهل الجاهلية يعملون) ضمنه معنى يتمسكون فعداه (به) أو الباء زائدة فى المفعول
(غير مرتين كل ذلك يحول) يحجز ويمنع (الله بينى وبين ما أريد) من ذلك (ثم ما هممت
بعدهما بشئ حتى أكرمنى الله برسالته) وبين المرتين فقال (قلت ليلة لغلام من قريش كان
يرعى غنما بأعلى مكة) لبعض قريش أو له (لو حفظت لى غنمى) فلو للتمنى ما لها جواب
أو محذوف أى لكان ذلك جميلا منك (حتى أدخل مكة) وصريحه انه رعاها قبل البعثة
ويؤيده حديث أبى هريرة عند البخارى مرفوعا ما بعث الله نبيا الا رعى الغنم فقال أصحابه
وأنت قال كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة وفى رواية ابن ماجه كنت أرعاها لأهل
مكة بالقراريط قال المصنف كغيره والحكمة فى الهامهم ذلك قبل النبوة ليحصل
لهم التمرن برعيها على ما يكلفونه من القيام بأمر أمتهم انتهى فزعم ان رعيهم لها انما كان
بعد البعثة تهور وتمسكه لذلك بالحديث المذكور أعجب منشؤه عدم الوقوف على شئ
(فأسمر بها) بضم الميم أى أتحدث قال المجد وسمر سمرا وسمورا لم ينم والسمر محركة الليل
وحديثه وفى خطبته اذا ذكر المصدر فالفعل بزنة كتب (كما يسمر) بفتح أوله وضم

الميم

الميم بعدها ذال (الشباب بنفرجت حتى أتيت أول دار من دور مكة سمعت عزفا) بمهملة وزاي وفاء بزنة فلس أي لعبا من باب التجريد استعمل العزف في مطلق اللعب من استعمال المطلق في مقيده فعلق به قوله (بالدفوف) جمع دف آلات يضرب بها والا فالعزف اللعب بالدف بضم الدال وفتحها (والمزامير) جمع مزمار بكسر الميم (فجلست أنظر اليهم فضرب الله على أذني) أي بعث عليهما النوم (فنمت) فلم أسمع شيئا (فما أيقظني الا مس الشمس) أي حرها (ثم قلت ليلة أخرى مثل ذلك فضرب الله على أذني فما أيقظني الا مس الشمس) فلم أسمع شيأ (ثم ما هممت بعدهما بسوء حتى أكرمني الله برسالته) فكأنه عبر بضالا عن هذا الهم مرتين وأنه هداه بصرفه عن ذلك بالقاء النوم عليه اشارة الى عنايته به من صغره ومنعه من سماع لغط الجاهلية ولعبهم وغنائهم وان لم يكن ذلك حينئذ ضلالا لانه صانه من قبل البعثة عما يخالف الشرع وقيل معناه وجدك ضالا لم يعرفك أحد بالنبوة حتى أظهرك الله فهدى بك السعداء وقيل وجدك ضالا بين مكة والمدينة فهداك الى المدينة وقيل وجدك قائما بأعباء الرسالة وتبليغها فهدى بك ضالا وعن جعفر بن محمد وجدك ضالا عن محبتي لك في الازل أي لا تعرفها فمننت عليك بمعرفتي وقيل ناسيا فهداك كقول موسى وأنا من الضالين وقوله تعالى أن تضل احداهما أي تنسى وقرأ الحسن ابن علي ووجدك ضال فهدى أي اهتدى بك حكاها في الشفاء ثم قال لا أعلم أحدا من المفسرين قال فيها ضالا عن الايمان وقد قال ابن عباس لم يكن له ضلالة معصية انتهى وفي الكشاف من قال انه كان على أمر قومه أربعين سنة ان أراد خلوه عن الامور السمعية فنعم وان أراد على كفرهم ودينهم فمعاذ الله فانه صلى الله عليه وسلم وسائر الانبياء معصومون قبل النبوة وبعدها عن الكبائر والصغائر البتة فما بالك بالكفر والجهل بالله ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء وكفى نقيصة عند الكفار أن يسبق منه كفر انتهى (وأما قوله تعالى) قسيم لمقدر أول النوع أي منها ما ذكره بقوله قال الله (ووضعنا) حططنا (عنك وزرك الذي أنقض) أثقل (ظهرك فقد احتج بها جماعة من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين) أي علماء الكلام الباحثين عن العقائد سموا بذلك لان مسئلة كلام الله من أجل مباحثه أو لكثرة دور الكلام فيه بين السلف (المجوزين) بلا واو في نسخ وهي ظاهرة وفي نسخة بالواو أي كأكثر الاصوليين (للصغائر على الانبياء عليهم الصلاة والسلام) حيث أبقوها على ظاهرها ان الوزر هو الاثم (وبظواهر كثيرة من القرآن والحديث) أتى بظواهر اشارة الى انها ليست بحجة في الباطن (ان التزموا ظواهرها) بأن قالوا بلزوم اعتقاد الظاهر منها (أفضت بهم) أوصلتهم (كما قال القاضي عياض الى تجويز الكبائر) عليهم عمدا (وخرق الاجماع) أي مخالفة ما أجمع عليه الناس من قولهم خرق المفازة اذا قطعها فأريد به لازمه وهو المجاوزة (وما لا يقول به مسلم) أي أفضت بهم الى رأي لم يقله أحد من المسلمين لان الآيات والاحاديث التي احتجوا بها كما تشمل الصغيرة تشمل الكبيرة من حيث انها اثم وذنب وتشمل كل ما أجمع على انه لا يقع منهم مع انهم لا يقولون بجواز وقوع الكبيرة منهم عمدا اذ لم يقله الا الحشوية ولا عبرة بهم ولا بجواز خرق

الاجماع وأماسهوا فأجازه بعضهم واختلف فى ان امتناعه سمعى أوعقلى كما مر (فكيف) يسوغ لهم الاحتجاج بتلك الظواهر (وكل ما احتجوا به منها مما اختلف المفسرون فى معناه) فطرقته الاحتمالات فسقطت به الدلالات (وتقابلت) تخالفت وتعارضت (الاحتمالات فى مقتضاه) من تجويز وقوع ماخرج به عن صلاحيته للحجة (وجاءت اقاويل) جمع أقوال جمع قول فهو جمع الجمع (فيها للسلف بخلاف ما التزموه فى ذلك) الذى استدلوا به (فاذا لم يكن مذهبهم) فى تجويزها عليهم (اجماعا) أى مجمعا عليه لكثرة من خالفهم (وكان الخلاف فيما احتجوا به قديما) لا حادثا بعد انعقاد الاجماع حتى يكون خلافا لا يعتد به (وقامت الدلائل على خطا قولهم) بتجويزها عليهم (وصحة غيره) فى عدم الجواز (وجب تركه والمصير الى ماصح) من عدم التجويز اذ العبرة بالادلة لا بكثرة القائلين (انتهى) كلام عياض متعه الله برؤيته فى الرياض (وقد اختلف فى هذه الآية فقال أهل اللغة الاصل فيه ان الظهر اذا أثقله الحمل سمع له نقيض أى صوت كصوت المحامل والرحال) وكلما حلته ثقيلا فانه ينتقض تحته قال عباس بن مرداس

وأنقض ظهرى ماتطوقت منهم * وكنت عليهم مشفقا متحننا

قاله ابن عطية وصدر بقوله أى هزيلا من الثقل (وهذا مثل لما كان يثقل على رسول الله صلى الله عليه وسلم من أقداره) أى من مقاديرما كلفه (وقيل المراد منه تخفيف اعباء) بالفتح اثقال (النبوة) جمع عب بالكسر ويفتح الثقل من كل شئ تنزيلا للمعقول منزلة المحسوسات (التى يثقل الظهر القيام بأمرها) فهو مجاز عن اتعاب صاحبه بحيث يصير كالحامل على ظهره ما يثقل عليه بحيث تناله مشقة عظيمة من ذلك وفسر القيام بقوله (وحفظ موجباتها والمحافظة على حقوقها فسهل الله تعالى ذلك عليه وحط) تفسير لوضع (عنه ثقلها) بفتح القاف (بأن يسرها عليه حتى تيسرت له) وهذا عزاه عياض للماوردى والسلمى (وقيل الوزر ما كان يكرههم من تغييرهم لسنة الخليل) لطريقة ابراهيم (وكان لا يقدر على منعهم الى ان قواه الله وقال له اتبع ملة ابراهيم) فى التوحيد والدعوة برفق ونحو ذلك فالوزر على هذه الاقوال الثلاثة مجاز بمعنى الثقل (وقيل معناه عصمناك) أى منعناك وحفظناك (عن) ملابسة (الوزر الذى أنقض ظهرك لو كان ذلك الذنب حاصلا فسمى العصمة وضعا مجازا) (ومن ذلك ما فى الحديث انه عليه الصلاة والسلام حضر وليمة فيها دف ومزامير قبل البعثة) ليلة احدى المرتين السابقتين لقوله هنا لك غير مرتين (فضرب الله على أذنه) بالافراد على ارادة الجنس (فما أيقظه) نبهه (الا حر الشمس من الغد وقيل) معناه (ثقل شغل سرك) أى قلبك اوخواطر قلبك (وحيرتك) تحيرك فى ابتداء أمرك (وطلب شريعتك) بالرفع أى طلبك من الله ما يثبت بالوحى لتعمل به (حتى شرعنا لك ذلك) بالوحى فاطمأن قلبك وذهبت حيرتك حكى معناه القشيرى كما فى الشفاء (وقيل معناه خففنا عنك ما حملت) أى كلفت حمل اثقاله من دعوة الخلق وتبليغ أمانة الرسالة التى لم تطق حملها الجبال (بحفظنا لما استحفظت) أى نحن حفظنا ما أمرناك بحفظه عليك مما عسر عليك القيام به وجعلنا

لك

لك قوة وصبرا صيرا أثقاله خفيفة (وحفظ عليك) أي منع عن الضياع منك فأديته على أتم وجه يمكن اداؤه به ودفع ماورد عليه انه اذا خففها لم تنقض ظهره بقوله تبعا لعياض (ومعنى أنقض) ظهره على هذا (أي كاد) أي قرب (ينقضه) أي يعييه ويثقله ولم ينقضه بالفعل ويجوز بقاؤه على ظاهره وأنه أنقضه بالفعل لكنه خفف عنه فكأنه لم ينقضه (قال القاضي عياض) مبينا وجه دفع ماذكر لما تمسكوا به (فيكون المعنى لوضعنا عنك الى آخره (على قول من جعل ذلك) الوضع مصروفا (لما قبل النبوة اهتمام النبي صلى الله عليه وسلم) خبر يكون (بأمور فعلها قبل نبوته) أي اعتناءه ببيان الله لحكمها حتى لا يكون عنده هم وغم (وحرمت عليه بعد النبوة) ولم يكن مكلفا بها قبلها (فعدها أوزارا) بعدما حرمت باعتبار مابعد النبوة (وثقلت عليه وأشفق) خاف (منها) من المؤاخذة بها الشدة مراقبته وخشيته لله فمعنى وضعها على هذا اعلامه بعدم المؤاخذة بها وأنها ليست وزرا عليه يخافه لانه لم يكن مكلفا بتركها (وقيل انها ذنوب أمته صارت عليه كالوزر) بجعل المعقول كالمحسوس (فأمنه الله من عذابهم في العاجل بقوله وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم ووعده الشفاعة في الآجل) بنحو قوله ولسوف يعطيك ربك فترضى وقيل حططنا عنك ثقل أيام الجاهلية حكاه مكي (وأما قوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال ابن عباس) في ازالة الشبهة عن ظاهره المقتضي وقوع ذنوب من عليه بغفرانها مع انه لا ذنب (أي انك مغفور لك غير مؤاخذ بذنب أن لو كان) أي وجد فهي تامة فهو على طريق الفرض تطمينا له فلم يرد أنه وقع ذنب غفر بل لو فرض وقوعه وقع مغفورا وأخرج ابن المنذر عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم لما أمر أن يقول وما أدري ما يفعل بي ولا بكم الآية سر بذلك الكفار فأنزل الله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر (وقال بعضهم أراد غفران ما وقع) قبل النبوة مما لا يؤاخذ به لانه لا شرع يلتزم أحكامه ولا يصح أن المراد من الصغائر عند مجوزها لان السياق في دفع شبهة من جعل هذه الآية دليلا على وقوع الصغائر (ومالم يقع) بفرض وقوعه (أي انك مغفور لك) في الحالين فغاير كلام ابن عباس لانه فرض وتقدير لا غير وهذا على تجويز الوقوع لكن ان وقع كان مغفورا فهو كغيره من الانبياء ان وقع منهم لم يؤاخذوا به قطعا بخلاف الامة فتحت المشيئة (وقيل المراد) بما تقدم (ماكان) وقع منه (عن سهو وغفلة و) المراد بما تأخر ما صدر عن (تأويل) أي بيان لمعنى يحتمله النص فيحمله عليه باجتهاده ثم تبين له ان الصواب أو الاولى خلافه لان التأويل بيان ما يؤول اليه فيناسب ما تأخر كما في شرح الشفاء فلا حاجة لجعل الواو بمعنى أو (حكاه الطبراني) محمد بن جرير (واختاره القشيري) عبد الكريم بن هوازن ولعل المراد بغفران الثلاثة مع ان آحاد الامة لا يؤاخذ بها عدم المؤاخذة باللوم على سبب الغفلة والسهو والنسبة الى التقصير بسبب التأويل المبني على شبهة لو فرض وقوعها بخلاف غيره فيؤاخذ بذلك (وقيل ما تقدم لأبيك آدم عليه السلام وما تأخر من ذنوب أمتك) فاللام للتعليل أي غفر لآدم لأجلك لما توسل بك ولكونك في صلبه ولأمتك لدعائك

ولا تملك رحمة لهم (حكاه السمرقندي والسلمي) بضم ففتح (عن) أحمد (بن عطاء) الأدمي
وحكاه الثعلبي عن عطاء الخراساني قال السيوطي وهو ضعيف أما أولا فلأن آدم نبي
معصوم لا ينسب اليه ذنب البتة فهو تأويل يحتاج الى تأويل انتهى وتأويله بأن المراد
بتقدير أنه ذنب أو سماه ذنبا مجازا وان كان في الحقيقة ليس بذنب من باب حسنات
الابرار سيئات المقربين قال وأما ثانيا فلأن نسبة ذنب الغير الى غير من صدر منه
بكاف الخطاب لا يليق وأما ثالثا فلأن ذنوب الامة كلها لم تغفر بل منهم من يغفر له ومنهم
من لا يغفر له انتهى والجواب عن الثاني ان اللام في الآية للتعليل كما قلنا لا للتعدية وعن
الثالث بأن من لا يغفر له يخفف عنه بالنسبة لما يؤاخذ به غيره على ذلك الذنب من بقية
الامم فكأنه غفر له (وقيل المراد أمته) أي يغفر الله لامتك ما صدر ويصدر فالمراد
بخطابه خطاب أمته واضافة الذنب له لادنى ملابسة لانه يسوءه ما يسوءهم وهو الشفيع
لهم قال شيخنا والمراد بالمغفرة على هذا اما رفع العذاب عنهم مطلقا بالعفو فلا يعاقبهم على
شيء او بتخفيفه عنهم وذلك في حق من عذب للتطهير عما اقترفه وقال غيره المراد أن رحمة الله
لهذه الامة أكثر من غيرها (وقيل المراد بالذنب ترك الاولى) وعد ذنبا لرفعة مقامه
ونزاهته فلا يفعله كما لا يفعل الذنب الحقيقي ثم ان كان القصد من فعل خلاف
الاولى أو المكروه بيان أنه جائز لا اثم فيه فعله وجوبا ان تعين طريقا للتعليم فيثاب عليه
ثواب الواجب (كما قيل) قائله سعيد الخراز ورواه عنه ابن عساكر في ترجمته (حسنات
الابرار سيئات المقربين) لانه كلما ارتقى درجة عد ما قبلها سيئة (وترك الاولى ليس بذنب
لان الاولى وما يقابله مشتركان في اباحة الفعل) وما أبيح ليس بذنب فأطلق عليه اسمه مجازا
وفي التحفة أستغفرك أطلب منك المغفرة أي ستر ما صدر مني من نقص ذنبا كان أو غير
ذنب فهي لا تستدعي سبق ذنب خلافا لمن زعمه قال شيخنا فلا حاجة الى الاعتذار عن
تسمية خلاف الاولى ذنبا تعلقت به المغفرة وفيه نظر لتصريح الآية بلفظ ذنب فحمله على
خلاف الاولى يحتاج للاعتذار ولفظ أستغفرك ليس فيه من ذنبي فانما يأتي ما قال لو قيل
ليغفر لك فقط (وقال السبكي) في تفسيره (قد تأملتها يعني الآية) بذهني (مع ما قبلها)
وهو انا فتحنا لك فتحا مبينا (وما بعدها) وهو ويتم نعمته عليك الى قوله نصرا عزيزا
(فوجدتها لا تحتمل الا وجها واحدا وهو تشريف النبي صلى الله عليه وسلم من غير
ان يكون هناك ذنب) حاش لله (ولكنه أريد أن يستوعب في الآية جميع أنواع النعم
من الله على عباده الاخروية) صفة النعم (وجميع النعم الاخروية) اظهار في مقام
الاضمار لتبين غاية البيان (شيئان سلبية وهي غفران الذنوب) أي من حيث هي
وان لم يكن للمخاطب ذنب لانه لو لم يذكر غفرانها لكان فيه ترك استيعاب بجميع أنواع النعم
(وثبوتية وهي لا تتناهى أشار اليها) الى الثبوتية (بقوله ويتم نعمته عليك وجميع
النعم الدنيوية شيئان دينية أشار اليها بقوله ويهديك صراطا) طريقا (مستقيما)
يثبتك عليه وهو دين الاسلام (ودنيوية) وان كانت هنا المقصود بها الدين هذا
أسقطه من السبكي قبل قوله (وهي قوله وينصرك الله نصرا عزيزا) لا ذل معه وقدم

الاخروية

الاخروية على الدنيوية وقدم فى الدنيوية الدينية على غيرها تقديما للاهم فالاهم هكذا فى تفسير السبكى قبل قوله (فانتظم بذلك تعظيم قدر النبى صلى الله عليه وسلم باتمام أنواع نعم الله تعالى عليه المتفرقة فى غيره) ثم يحتمل رجوع جوابه باخرة الامر الى قول ابن عباس ان لو كان ضرورة الخطاب والاضافة فى الآية والاظهر أن مراد السبكى ان المعنى منعك من الذنب فلا تواقعه اذ الغفر الستر والغطاء وعلى هذا فلا حاجة الى تقدير أن لو كان وقد قال العلامة البرماوى فى شرح البخارى المعنى والله أعلم أى حال بينك وبين الذنوب فلا تأتيها لان الغفر الستر وهو اما بين العبد والذنب واما بين الذنب وبين عقوبته فاللائق بالانبياء الاول وبأممهم الثانى انتهى ونحوه قول بعض المحققين المغفرة هنا كناية عن العصمة فمعنى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ليعصمك فيما تقدم من عمرك وفيما تأخر منه قال السيوطى وهذا القول فى غاية الحسن وقد عد البلغاء من أساليب البلاغة فى القرآن أنه يكنى عن التخفيفات بلفظ المغفرة والعفو والتوبة كقوله تعالى عند نسخ قيام الليل علم أن لن تحصوه فتاب عليكم فاقرؤا ما تيسر منه وعند نسخ تقديم الصدقة بين يدى النجوى فاذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم وعند نسخ تحريم الجماع ليلة الصيام فتاب عليكم وعفا عنكم (ولهذا جعل ذلك غاية للفتح المبين) وهو صلح الحديبية أو مكة نزلت مرجعه من الحديبية عدة له بفتحها وعبر عنه بالماضى لتحقق وقوعه أو فتح خيبر أو غير ذلك أقوال أرجحها عند قوم الاول وتقدم بسطه فى غزوة الحديبية (الذى عظمه وفخمه باسناده اليه تعالى بنون العظمة) بقوله انا فتحنا (وجعله خاصا بالنبى صلى الله عليه وسلم بقوله لك) كأنه قيل لا لغيرك وأشار بهذا الى جواب ان المغفرة ليست سببا للفتح اذ السبب ما يلزم من وجوده وجود غيره والمغفرة التى هى عدم المؤاخذة بالذنب لا تستدعى الفتح وحاصل الجواب ان اللام علة غائية أى ان الفتح لما فيه من مقاساة الاهوال مع الكفار جعل سببا للمغفرة واتماما للنعمة والنصر العزيز وفى البيضاوى علة للفتح من حيث انه تسبب عن الجهاد والسعى فى اعلاء الدين وازاحة الشرك وتكميل النفوس الناقصة قهرا ليصير ذلك بالتدريج اختيارا وتخليص الضعفة من أيدى الظلمة (وقد سبق الى نحو هذا ابن عطية) لفظ السبكى وبعد ان وقعت على هذا المعنى وجدت ابن عطية قد وقع عليه فقال بعد أن حكى قول سفيان الثورى ما تقدم قبل النبوة وما تأخر يريد كل شئ لم يعمله وهذا ضعيف (وانما المعنى التشريف بهذا الحكم) وهو استيعاب جميع أنواع النعم (ولم يكن) له (ذنوب البتة) وأجمع العلماء على عصمة الانبياء من الكبائر والصغائر التى هى رذائل وجوز بعضهم الصغائر التى ليست برذائل واختلفوا هل وقعت من محمد صلى الله عليه وسلم أو لم تقع وحكى الثعلبى عن عطاء الخراسانى ما تقدم من ذنب آدم وحواء أى ببركتك وما تأخر من ذنوب أمتك بدعائك وقال بعضهم ما تقدم قوله يوم بدر اللهم ان تهلك هذه العصابة لم تعبد وما تأخر قوله يوم حنين لن نغلب اليوم من قلة وهذا كله معترض هذا كلام ابن عطية برمته قال السبكى وقد وفق فيما قال فقول المتن (ثم قال) أى السبكى لا ابن عطية كما توهم فانه خلاف الواقع اذ ابن عطية ليس فيه كما رأيت قوله

(وعلى تقدير الجواز لا أشك ولا أرتاب انه لم يكن يقع منه صلى الله عليه وسلم) والذى أوقعه فى هذا الوهم ان السبكى لما نقل قول ابن عطية اختلفوا اهل وقع من محمد الخ عقبه بقوله قلت لا أشك فظن ان قلت من جملة نقله وليس كذلك بل زيادة فصلها بلفظ قلت (وكيف يتخيل خلاف ذلك) أسقط من قول السبكى وأحواله عليه السلام منقسمة الى قول وفعل أما القول فقال تعالى (وما ينطق عن الهوى) أى هوى نفسه (ان هو الا وحى يوحى وأما الفعل) قسيم قول السبكى أما القول وكأنه اسقط من المصنف سهوا أو من ناسخه (فاجماع الصحابة على اتباعه والتأسى) الاقتداء (به فى كل ما) أى شئ (يفعله من قليل أو كثير أو صغير أو كبير لم يكن عندهم فى ذلك توقف ولا بحث حتى أعماله) مجرور بحتى (فى السر والخلوة يحرصون على العلم بها وعلى اتباعها علم بهم أو لم يعلم) كابن عمر لما سأل بلالا هل صلى المصطفى لما دخل الكعبة ولما رآه يقضى الحاجة مستقبلا فأفتى بذلك وغير ذلك مما وقع له ولغيره (ومن تأمل أحوال الصحابة معه صلى الله عليه وسلم) وما عرفوه وشاهدوه منه فى جميع أحواله من أوله الى آخره (استحى من الله أن يخطر) بضم الضمية من أخطر ليكون من فعله (بباله خلاف ذلك) لا بفتحها من خطر لصدقه بخطوره دون فعله ومثله لا يؤاخذ به (انتهى) كلام السبكى وأداه قول الزمخشرى معنى الآية جميع ما فرط منك وقال مقاتل ما كان فى الجاهلية وقال سفيان الثورى ما عملت فى الجاهلية وما لم تعمل ورد هما السبكى بأنه صلى الله عليه وسلم ليست له جاهلية وقيل ما كان قبل النبوة ورده بأنه معصوم قبلها وبعدها وقيل ما تقدم حديث مارية وما تأخر امرأة زيد قال وهذا باطل ومن اعتقد أن فى قصتهما ذنبا فقد أخطأ وقيل غير ذلك مما زيف كله وللسيوطى فى ذلك وريقات سماها القول المحرر (وأما قوله تعالى يا أيها النبى اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين) روى جويبر عن الضحاك عن ابن عباس قال أن أهل مكة منهم الوليد بن المغيرة وشيبة بن ربيعة دعوا النبى صلى الله عليه وسلم الى ان يرجع عن قوله على أن يعطوه شطر أموالهم وخوفه المنافقون واليهود وان لم يرجع قتلوه فأنزل الله يا أيها النبى اتق الله الآية (فلا مرية) لاشك فى صرفها عن ظاهرها وذلك (انه صلى الله عليه وسلم أتقى الخلق) بالنصوص القطعية والاجماع (والامر بالشئ لا يكون الا عند عدم اشتغال المأمور بالمأمور به اذ لا يصلح ان يقال للجالس اجلس ولا للساكت اسكت) فأمره بالتقوى أمر بتحصيل الحاصل وهو محال (ولا يجوز عليه أن لا يبلغ) ما أوحى اليه (ولا أن يخالف أمر ربه ولا أن يشرك ولا أن يطيع الكافرين والمنافقين) لا عقلا ولا نقلا (حاشاه الله من ذلك) وهذا كله تصوير للاشكال (و) الجواب انه (انما أمره الله بتقوى توجب استدامة الحضور) فى مقام المشاهدة والقرب اللائق بكماله فأمره باستدامة ذلك أمر بما لم يكن حاصلا وأجاب عياض بأنه ليس فى الآية انه أطاعهم والله سبحانه ينهاه عما شاء ويأمره بما شاء كما قال تعالى ولا تطرد الذين يدعون ربهم وما كان طاردهم وما كان من الظالمين انتهى وهو منع للاشكال من أصله وأن ابتناءه انما هو على عرف أمر الخلق وخطابهم والله تعالى ليس كذلك فله أن ينهى من لم يقع منه خلافه

ويأمر

ويأمر بما لم يتصور منه المأمور خلافه وهذا جواب حسن ويأتي في المتن بمعناه (وأجاب بعضهم عن هذا) الاشكال (أيضا بأنه صلى الله عليه وسلم كان يزداد علمه بالله تعالى ومرتبته) منزلته العلية (حتى كان) بالتشديد (حاله عليه الصلاة والسلام فيما مضى بالنسبة الى ما هو فيه) الآن مما تجدد (ترك للافضل) خبر كان (فكان له في كل ساعة تقوى تجدد) فتوينه زيادة العلم وغيره من الكمالات فكأن معنى اتق الله دم على طلب الازدياد من العلوم والكمالات (وقيل المراد دم) واظب (على التقوى فانه يصح ان يقال للجالس اجلس ههنا الى أن آتيك وللساكت قد أصبت فاسكت تسلم أى دم على ما أنت عليه) قال ابن عطية معناه دم على التقوى ومتى أمر آخر بشئ وهو متلبس به فانما معناه الدوام في المستقبل على مثل الحال الماضية (وقيل الخطاب مع النبي صلى الله عليه وسلم والمراد أمته ويدل عليه قوله تعالى ان الله كان بما تعملون) بالتاء والياء (خبيرا ولم يقل بما تعمل) وعلى الاول فقال ابن عطية هو تسلية له صلى الله عليه وسلم أى لا عليك منهم ولا من ايمانهم فالله عليم بمن يتبعك حكيم في هدى من شاء واضلال من شاء ثم أمره باتباع ما يوحى اليه وهو القرآن الحكيم والاقتصار على ذلك وفي قوله ان الله كان بما تعملون خبيرا توعد مّا وقرأ أبو عمرو وحده تعملون بالتاء والتوعد على هذه القراءة للكافرين والمنافقين أبين (وأما قوله تعالى فلا تطع المكذبين) قال ابن عطية يريد قريشا لانهم قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم لو عبدت آلهتنا وعظمتها لعبدنا الهك وعظمناه وودّوا أن يداهنهم ويميل الى قولهم فيميلوا هم أيضا الى قوله ودينه والمداهنة الملاءمة فيما لا يحل والمداراة الملاينة فيما يحل (فاعلم انه تعالى لما ذكر ما عليه الكفار في أمره صلى الله عليه وسلم ونسبته الى ما نسبوه اليه) من الجنون نافيا ذلك عنه بالقسم بقوله ن والقلم وما يسطرون ما أنت بنعمة ربك بمجنون (مع ما أنعم الله به عليه من الكمال) الظاهر لكل أحد (في أمر الدين والخلق العظيم) بقوله وان لك لأجرا غير ممنون وانك لعلى خلق عظيم (أتبعه بما يقوى قلبه ويدعوه الى التشديد مع قومه) المكذبين بالدين (وقوى قلبه بذلك مع قلة العدد) الذين معه من المسلمين (وكثرة الكفار فان هذه السورة من أوائل ما نزل فقال فلا تطع المكذبين) فنهاه وان كان لم يقع منه طاعة لهم تقوية لقلبه ليذهب عنه خوفهم المضعف للقلب فيظهر دين الله بلا خوف (والمراد رؤساء الكفار من أهل مكة وذلك انهم دعوه الى دينهم) على أن يميلوا الى دينه فلم يفعل (فنهاه الله ان يطيعهم وهذا من الله تهييج للتشديد في مخالفتهم) لان النهى عما لم يقع يقوى تصويبه والمداومة على عدمه (وأما قوله تعالى فان كنت في شك مما أنزلنا اليك) من القصص فرضا (فاسأل الذين يقرؤن الكتاب) التوراة (من قبلك) فانه ثابت عندهم يخبرونك بصدقه (الآية) اشارة الى ان الشبهة في تمامها أيضا وهو لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله فتكون من الخاسرين (فاعلم أن المفسرين اختلفوا في من المخاطب بهذا فقال قوم المخاطب به النبي صلى الله عليه وسلم) ولا ضير فيه لانه شرط لم يقع نحو لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا أو على سبيل الفرض وهذا حسن (وقال آخرون المخاطب به غيره فاما

من قال بالاول فاختلفوا على وجوه الاول ان الخطاب مع النبي صلى الله عليه وسلم في الظاهر والمراد به غيره) قال بكر بن العلاء ألا تراه يقول ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله وهو كان المكذب بلفظ اسم المفعول (كقوله تعالى يا أيها النبي اذا طلقتم النساء) فطلقوهن لعدتهن فان المخاطب بذلك هو والمراد غيره لانه اذا طلق انما يطلقهن لعدتهن وقول البيضاوي خص النداء وعم الخطاب بالحكم لانه امام أمته فنداؤه كندائهم أو لان الكلام معه والحكم يعمهم والمعنى اذا أردتم تطليقهن على تنزيل المشارف له منزلة الشارع فيه لا يخالفه لانه وان كان الحكم يعم لكنه لم يقصد بالخطاب لانه لا يفعله كما علم كيف وفيه واتقوا الله ربكم فيكون في حقه من تحصيل الحاصل ورد شيخنا كلام المصنف لظاهر البيضاوي بأن المراد غيره بخصوصه فيصدق بما اذا كان المراد هو وغيره لانه مع غيره غيره بخصوصه لا يليق لما علم (وكقوله لئن أشركت ليحبطن عملك) أي يفسد ويسقط عن الاعتبار ويبطل من حبطت الدابة اذا أفرطت في المرعى حتى ماتت وانتفخت وجعل هذه الآية مشبها بها لانها أظهر في التعليق بالمحال لان الخطاب فيها للرسل كلهم اذ أولها ولقد أوحى اليك والى الذين من قبلك وأفرد لان المراد كل واحد منهم وهم مبرؤن عن الشرك فالمراد أعمهم ممن يجوز عليه الشرك تعريضا وتهييجا لجيئهم حتى ينتهوا عنه (وكقوله لعيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين من دون الله) صفة لالهين أو صلة اتخذوني ومعنى دون المغايرة تنبيها على ان عبادة الله مع عبادة غيره كلا عبادة فمن عبده مع عبادتهما كأنما عبدهما ولم يعبده أو القصور فانهم لم يعتقدوا استحقاقهما للاستقلال بالعبادة وانما زعموا انها توصل الى عبادة الله وكأنه قيل اتخذوني وأمي الهين متوصلين بنا الى عبادة الله قاله البيضاوي ففي التنظير بهذه الآية شئ فانه لم يخاطب عيسى مريدا غيره بل توبيخ الكفرة لا خطابهم خصوصا وذلك يوم القيامة (ومثل هذا معتاد) واقع كثيرا في القرآن وكلام العرب وهو باب واسع يسمونه التعريض والتلويح وله نكات ومقاصد جليلة كحمله على الاذعان والقبول واطفاء نار الغضب والحمية (فان السلطان اذا كان له أمير وكان تحت راية ذلك الامير جمع فأراد أن يأمر الرعية بأمر مخصوص) بها دون الامير فانه لا يوجه خطابه اليهم بل يوجهه الى ذلك الامير ليكون ذلك أقوى تأثيرا في قلوبهم) فيبادروا بفعل الامر (الثاني قال الفراء) لقب ليحيى بن زياد الكوفي نزيل بغداد النحوي المشهور المتوفى سنة سبع ومائتين لانه كان يفري الكلام فريا (علم الله تعالى أن رسوله صلى الله عليه وسلم غير شاك) قال عياض احذر ثبت الله قلبك أن يخطر ببالك ما ذكره بعض المفسرين عن ابن عباس أو غيره من اثبات شك له فيما أوحى اليه وأنه من البشر فمثل هذا لا يجوز جملة عليه بل قد قال ابن عباس وغيره لم يشك صلى الله عليه وسلم ولم يسأل ونحوه عن ابن جبير والحسن وحكى قتادة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ما أشك ولا أسأل وعامة المفسرين على هذا (ولكن هذا كما يقول الرجل لولده ان كنت ابني فبرني ولعبده ان كنت عبدي فأطعني) في التنظير بهذا نظر فانما يقول الرجل ذلك لولده وعبده اذا استشعر منهما نوع تقصير في حقه والنبي صلى الله

عليه وسلم لا تقصير عنده فى حق الله تعالى حتى يخاطبه بما يوهم لو ما حاشاه من ذلك وقد يجاب بأن التنظير به من حيث انه يخاطب به مع علمه انه لا شك عنده من غير ملاحظة لوم على تقصير وان كان هو عليه السلام ينسب التقصير لنفسه بنحو قوله لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك (الثالث ان يقال لضيق الصدر شائك) فالمعنى انه (يقول ان ضقت ذرعا) صدرا (بما تعانى) تقاسى (من تعنتهم وأذاهم فاصبر واسأل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك كيف صبر الانبياء على أذى قومهم) وقد قال فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل (وكيف كان عاقبة أمرهم من النصر) على الكافرين (فالمراد تحقيق ذلك والاستشهاد بما فى الكتب المتقدمة وأن القرآن مصدق لما) أى المعانى التى اشتمل عليها ما جاء فى الكتب فضمير (فيه) راجع لما وصح ذلك رعاية للفظ ما وان كان مدلولها متعددا (أو تهييج الرسول عليه الصلاة والسلام) اثارته (وزيادة تثبيته) قال البيضاوى وفيه تنبيه على أن من خالطته شبهة فى الدين ينبغى ان يسارع الى حلها بالرجوع الى أهل العلم (أو يكون على سبيل الفرض والتقدير) أى ان فرض وقدر وقوع ذلك منك (لا امكان وقوع الشك له) لان هذه الشرطية غير ممكنة (ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لما نزلت هذه الآية والله لا أشك ولا أسأل) رواه ابن جرير عن قتادة مرسلا لكن بدون قسم وقيل المراد قل للشاك ان كنت فى شك من دينى وفى السورة نفسها ما يدل على هذا التاويل قوله تعالى قل يا أيها الناس ان كنتم فى شك من دينى الآية وقيل هو تقرير كقوله أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى الهين من دون الله وقد علم سبحانه انه لم يقل ذلك وقيل معناه ما كنت فى شك فاسأل تزدد طمأنينة وعلما الى علمك ويقينا الى يقينك وقيل معناه ان كنت تشك فيما شرفناك وأعطيناك وفضلناك به فسلهم عن صفتك فى الكتب ونشر فضائلك وقيل المراد ان كنت فى شك من اعتقاد غيرك فيما أنزلناه حكاه فى الشفاء (وأما الوجه الثانى وهو ان المخاطب غيره صلى الله عليه وسلم فتقريره ان الناس كانوا فى زمانه فرقا ثلاثة) فريق منهم (المصدقون به و) فريق منهم (المكذبون له و) فريق منهم (المتوقفون فى أمره الشاكون فيه) صفة كاشفة لمعنى المتوقفون (فخاطبهم الله تعالى بهذا الخطاب فقال فان كنت فى شك أيها الانسان مما أنزلنا اليك من الهدى على لسان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فاسئل أهل الكتاب ليدلوك على صحة نبوته) فليس هو مخاطبا أصلا (وهذا مثل قوله يا أيها الانسان ما غرك بربك الكريم) حتى عصيته (ويا أيها الانسان انك كادح) جاهد فى عملك الى لقاء ربك وهو الموت ومثل قوله (فاذا مس الانسان ضر) دعانا وفى نسخة واذا مس الانسان ضر بالواو وهى آية قبل هذه فى سورة الزمر جواب شرطها دعا ربه منيبا اليه (فان المراد بالانسان هنا) فى الآيات الثلاثة (الجنس لا انسان بعينه فكذا هنا) فى لئن أشركت ليحبطن عملك خطاب لكل من يصح ان يحبط عمله وأن يشرك لا المخاطب بعينه (ولما ذكر الله تعالى لهم ما يزيل ذلك الشك عنهم حذرهم من أن يلحقوا بالقسم الثانى وهم المكذبون فقال ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله فتكون من الخاسرين) (وأما

قوله تعالى الذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه) أى القرآن (منزل من ربك) ملتبسا (بالحق) ونسب العلم لجميعهم لعلم أحبارهم به وتمكن باقيهم من ذلك بأدنى تأمل (فلا تكونن من الممترين) الشاكين فيه أى من هذا النوع فهو أبلغ من لا تمتر وحذف جواب أما للعلم به من السوابق واللواحق وهو فليس المراد أنه صلى الله عليه وسلم شك فيما ذكر أول الآية وهى أفغير الله أبتغى حكما وهو الذى أنزل اليكم الكتاب مفصلا بل المعنى (أى فى انهم لا يعلمون ذلك) وصوابه اسقاط لا فالمعنى لا يستقيم على وجودها ولفظ الشفاء أى فى علمهم بأنك رسول الله وان لم يقروا بذلك وليس المراد به شكه صلى الله عليه وسلم فيما ذكر فى أول الآية وفى الانوار فلا تكونن من الممترين فى أنهم يعلمون ذلك أو فى انه منزل لجحود أكثرهم وكفرهم به فيكون من باب التهييج كقوله ولا تكونن من المشركين (أو يكون المراد قل لمن امترى يا محمد) متعلق بقل قدم عليه متعلقه (لا تكونن من الممترين) فى ان القرآن نزل عليك من الله وأيدك بمعجزاته فليس الخطاب له و) انما المراد (أنه صلى الله عليه وسلم يخاطب به غيره) من الكفار قال عياض ويدل عليه قوله أول الآية أفغير الله أبتغى حكما الآية (وقيل غير ذلك) فقيل الخطاب له والمراد غيره والقصد تقرير الكفار بأنه حق وقيل الخطاب لكل أحد على معنى ان الادلة لما تعاضدت على صحته فلا ينبغى لأحد أن يمترى فيه (وأما قوله ولو شاء الله لجمعهم) أى جعل الناس كلهم مجتمعين متفقين (على الهدى) بهدايتهم للعقائد الحقة واتباع الشريعة اللازمة فلا يضل أحد منهم عن الطريق المستقيم (فلا تكونن من الجاهلين) فنهيه عن ذلك يوهم انه لم يحط به وهو منزه عنه (فقال القاضى عياض لا يلتفت) بالبناء للمجهول أى لا يتوجه التفات نظر (الى قول من قال) من المفسرين (لا تكونن ممن يجهل ان الله تعالى لو شاء لجمعهم على الهدى) باسناد الجهل بمشيئة الله اليه (اذ فيه اثبات الجهل بصفة من صفات الله تعالى) وهى قدرته وعلمه (وذلك لا يجوز على الانبياء) لعلمهم بالله وصفاته (والمقصود) أى المعنى المراد (وعظهم) أى الامة أى ارشادهم وتنبيههم على (أن لا يتشبهوا فى أمورهم بسمات الجاهلين) أى لا يتصفوا بصفاتهم من عدم الصبر والحرص على سرعة المراد كما هو شأن الجهلة (وليس فى الآية دليل على كونه على تلك الصفة التى نهاه الله عن الكون عليها) وعليه فالخطاب له والمراد غيره (فأمره الله تعالى بالتزام الصبر على اعراض قومه) بقوله وان كان كبر عليك اعراضهم الآية المختومة بالنهى فالمراد بالامر ما يلزم النهى وقد أمر بالصبر فى آيات كقوله فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل (ولا تحرج) من الحرج وهو ضيق الصدر (عند ذلك) أى عند اعراضهم عنه هكذا ضبطه شراح الشفاء ويقع محرفا فى نسخ المصنف ولا يخرج عن ذلك من الخروج فمشى عليه الشارح فقال أى والزام عدم خروجه عن ذلك (فيقارب) حاله (حال الجاهل بشدة التحسر) التأسف والندم بسبب اعراضهم (حكاه أبو بكر بن فورك) بضم الفاء العلامة الشهير تقدم غير مرة (وقيل معنى الخطاب لامته صلى الله عليه وسلم لا له) فهو تعريض (أى فلا تكونوا من الجاهلين) أى ممن اتصف بصفاتهم (حكاه أبو محمد) وفى نسخة أبو بكر وهى خطأ فكنيته أبو محمد

(مكي) بالميم ابن أبي طالب تقدم أيضا (قال) مكي (ومثله في القرآن كثير) يخاطب المصطفى والمراد أمته (وكذلك قوله وان تطع أكثر من في الارض) وهم الكفار عوا فقة ماهم عليه (يضلوك عن سبيل الله) مع انه علم انه لا يطيعهم (فالمراد غيره) وان كان الخطاب له فهو تعريض (كما قال تعالى) خطابا لغيره (يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا الذين كفروا) يردوكم على أعقابكم فهو يؤيد أن المراد بالخطاب في تلك الآية غيره لان القرآن يفسر بعضه (وقوله) تعالى (ان يشأ الله يختم) يربط (على قلبك) وقد علم انه لا يشاء ذلك فالمراد غيره والتنظير بهذه بناء على أن المراد الربط المذموم أما على أن المعنى يربط بالصبر على أذاهم وبالصبر على قولهم افتراء وغيره وقد فعل فليست مما الكلام فيه (ولئن أشركت ليحبطن عملك) وقد علم سبحانه انه لا يشرك فالمراد غيره (وما أشبه ذلك) كقوله ولا تدع من دون الله مالا ينفعك ولا يضرك فان فعلت فانك اذا من الظالمين وقوله اذا لأذقناك ضعف الحياة وقوله لأخذنا منه باليمين (فالمراد غيره) تعريضا وايقاظا (وان هذه حال من أشرك) بالله لا حاله (والنبي صلى الله عليه وسلم لا يجوز عليه هذا) فلا بد من تأويله (هذا والله) سبحانه (ينهاه عما شاء) وان لم يمكن وقوعه منه (ويأمره بما شاء) وان استحال عليه تركه نحو اتق الله فله أن يعامل نبيه بما يمتنع أن يعامل به غيره (كما قال تعالى له ولا تطرد الذين يدعون ربهم) أي يعبدونه (بالغداة والعشي الآية وما) كان (طردهم عليه السلام) عن مجلسه (وما كان من الظالمين) أي ممن ظلمهم بطردهم لانه لم يقع منه ذلك روى ابن حبان والحاكم عن سعد بن أبي وقاص قال لقد نزلت هذه الآية في ستة أنا وعبد الله بن مسعود وأربعة قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم اطردهم فانا نستحيي أن نكون تبعا لك كهؤلاء فوقع في نفس النبي صلى الله عليه وسلم فأنزل الله ولا تطرد الى قوله أليس الله بأعلم بالشاكرين وفي حديث ابن مسعود عند أحمد وغيره ان الاربعة خباب وصهيب وبلال وعمار وانما هم بذلك رجاء اسلام قومه مع أن ذلك لا يضر أصحابه لعلمه بأحوالهم ورضاهم بما يرضاه (وأما قوله تعالى) نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا اليك هذا القرآن (وان كنت من قبله لمن الغافلين فليس بمعنى قوله والذين هم عن آياتنا) أي دلائل وحدانيتنا (غافلون) تاركون النظر فيها لانه صلى الله عليه وسلم معصوم عن هذه الغفلة (وانما المعنى لمن الغافلين عن قصة يوسف عليه السلام اذ لم تخطر ببالك ولم تقرع سمعك قط فلم تعلمها الا بوحينا) والغفلة عن مثل ذلك مما لا يعلم الا بالنقل لا نقص فيه وفي التعبير بالغفلة اشارة الى شدة استعداده للعلم بما لم يعلم حتى كأنه كان عالما به ونسيه روى ابن جرير عن ابن عباس قال قالوا يا رسول الله لو قصصت علينا فأنزل الله نحن نقص عليك أحسن القصص وروى ابن مردويه عن ابن مسعود مثله (وأما قوله تعالى واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله الآية) من الشيطان الرجيم مع عصمته من تسليطه عليه باذاية أو وسوسة وان كانت ان الشرطية لا تقتضي الوقوع (فمعناه يستخفنك بغضب يحملك على ترك الاعراض عنهم) فهي راجعة لقوله قبلها وأعرض عن الجاهلين أي لا تكافئ السفهاء الذين أغضبوك بمثل أفعالهم وأعرض عنهم

فهذه الآية كما قيل جامعة لمكارم الاخلاق ولذا قال له جبريل لما سأله عنها ان الله تعالى أمرك أن تصل من قطعك وتعطى من حرمك وتعفو عمن ظلمك فهذا من مكارم الاخلاق ومحاسن الاعمال لامن شئ تسببه فالغضب على الجاهل وبجزاؤه بمثل فعله تأديباله لايعد من نزغ الشيطان والاستعاذة مشروعة عند الغضب فليست الآية منسوخة بآية القتال كما قيل (والنزغ أدنى) أقل (حركة تكون) توجد (كما قاله الزجاج) وفى الانوار النزغ والنسغ والنخس الغرز شبه وسوسته للناس اغراء لهم على المعاصى وازعاجا بغرز السائق مايسوقه وقيل النزغ فى الآية الافساد فأصل معناه الطعن ثم شاع استعماله فى كل مفسد كقوله من بعد أن نزغ الشيطان بينى وبين اخوتى أى أفسد مابينى وبينهم وقيل معناه يغرينك ويحركنك والنزغ أدنى الوسوسة (فأمره الله انه متى تحرك عليه غضب على عدوه لسوء ماوقع منه (أورام الشيطان من اغرائه) بغين معجمة وراء أى ايقاعه (به) كغضبه على قتله وقراءته بعين وزاى معجمتين تصحيف (وخواطر أدنى) أقل (وساوسه) جمع وسواس (مالم يجعل له سبيل اليه) لعصمته مفعول رام (أن يستعيذ به تعالى منه) فيقول أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ولايطيعه ويفعل بنزغه (فيكفى أمره) بصرفه عنه (ويكون) ذلك (سبب تمام عصمته) لانها من مجرد الخاطر نهاية الحفظ والمنع اذ الخطور بالبال لايصرفهما (اذلم يسلط) الشيطان (عليه بأكثر من التعرض له) فضلا عن التمكن منه وايصال اذيته له (ولم يجعل له قدرة عليه) فيرجع خائبا خاسرا (وكذلك لايصح أن يتصور له الشيطان فى صورة الملك) بأن يتمثل بمثاله ويقول أنا ملك أرسلنى الله اليك لحفظ الله تعالى له عنه (ويلبس) بزنة يخلط ومعناه (عليه) أمره لايقع ذلك (لافى أول الرسالة) أى أول دعوة الخلق الى الله (ولا بعدها) الظاهر بعده أى بعد الاول وأسقط من عياض قوله والاعتماد فى ذلك دليل المعجزة أى اعتماده فى أن ذلك وحى دليل على انه معجزة له أو هو يعتمد على ماظهر له من المعجزة كتسليم الحجر والشجر (بل لايشك النبى) أى نبى كان نبينا وسائر الانبياء (ان مايأتيه من الله هو الملك ورسوله) اليه (حقيقة) بلاشك (اما بعلم ضرورى يخلقه الله له) بديهى لايحتاج لدليل لعدم تردده فيه (أو ببرهان) دليل قطعى (يظهره لديه) عما يشاهده من الآيات كنطق الحجر وتسليم الشجر (كما قدمته فى المقصد الاول عند) ذكر (البعثة) وكل ذلك (لتتم كلمة ربك) بتبليغ أحكامه ومواعيده (صدقا) فى خبره له ومواعيده (وعدلا) ماحكم به من الاحكام التى بلغها وهما تمييزان محولان عن الفاعل أو حالان (لامبدل لكلماته) أى لايمكن تغييرها ولا تنسخ بعد مابلغت غاية لاتقبل الزيادة عليها ولذا كانت شريعته صلى الله عليه وسلم آخر الشرائع وهذا تعليل لحفظه من تصور الشيطان بصورة ملك فيكون مايلقيه تخليطا قابلا للتبديل ولذا عقبه بقوله (وأما قوله وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى) عطف عام على خاص فيفيد أن المراد بالارسال الايحاء وفائدة ذكره النبى غير الرسول لاسيما من لا أتباع له أن كل نبى يجب عليه اعلام غيره بأنه نبى لئلا يحتقر وحينئذ فيتطرق لسماع تلاوته ووعظه فيلقى الشيطان ذلك للتلبيس (الا اذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته الآية) فظاهره

أن الشيطان يخلط عليهم الوحى عند التلاوة فيخالف ماقبله وأجيب عن ذلك باجوبة (فأحسن ماقيل فيها ماعليه جمهور المفسرين) أى أكثرهم (ان التمنى المراد به هنا التلاوة) كقول حسان

تمنى كتاب الله أول ليله * تمنى داود الزبور على رسل

ومنه قوله تعالى ومنهم أميون لايعلمون الكتاب الا أمانى أى تلاوة وليس تمنى هنا تفعل من منى بمعنى قدر كقوله

لاتأمنن وان أمسيت فى حرم * حتى تلاقى مايمنى لك المانى

أى ماقدره لك المقدر والتمنى أمر يقدره المرء فى نفسه والظاهر تفسير التلاوة هنا بالقراءة لتشمل المواعظ والحكم والاذكار والدعاء فان الشيطان كما يتسلط على قارئ القرآن يتسلط على الذاكر ونحوه وان كانت القصة انما كانت عند قراءته لسورة النجم التى هى سبب نزول وما أرسلنا الآية كذا قال الشارح ولا دخل فى ذلك للاستظهار مع كون النص التمنى والأمنية المفسر بالتلاوة فلا يقاس عليه غيره وتعليله بتسلط الشيطان على الذاكر ونحوه من حيث هو لا ينهض هنا كما لايخفى (و) أن (القاء) فنصبه عطفا على التمنى وخفضه على ضمير به أى والمراد بالقاء (الشيطان فيها) أى أمنيته أى متلوه (اشغاله) الذى فى الشفاء شغله بزنة ضرب وهى الفصحى قال تعالى شغلتنا لكن فى القاموس شغله كمنعه شغلا ويضم وأشغله لغة جيدة أو قليلة أو ردية والمصدر مضاف للفاعل أى اشغال الشيطان التالى (بخواطر) أمور دنيوية تخطر على قلبه فتشغله عما تلاه (وأذكار) بذال معجمة جمع ذكر بالكسر والضم أحاديث قلبية فيساوى نسخة وأفكار بالفاء (من أمور الدنيا) بيان لهما (للتالى) صفة لخواطر وأذكار أى كائنة وعارضة أو متعلق باشغال (حتى يدخل) الشيطان (عليه الوهم) بفهم غير المراد من المتلو (والنسيان) الواو بمعنى أو (فيما تلاه) بناء على جواز ذلك على الانبياء أما على الاصح من منعه فيقال حتى يدخل على أفهام السامعين (أو يدخل) عطف على اشغال من عطف المصدر المؤول على المصدر الصريح فكأنه قيل القاؤه اشغاله أو ادخاله (غير ذلك) الوهم والنسيان (على أفهام السامعين) وبين الغير بقوله (من التحريف) لما تلاه عليهم (وسوء التأويل) الناشئ عن تحريف ماسمعوه (مايزيله الله) مفعول القاء (وينسخه) يحوله من الباطل الى الحق (ويكشف لبسه) يزيله ويبينه (ويحكم آياته) يحققها ويظهرها (قاله القاضى عياض) فى الشفاء (وقد تقدم فى المقصد الاول مزيد لذلك) بفرائد نفيسة (قال فى الشفاء) بعد هذا بقليل (وأما قوله عليه الصلاة والسلام حين نام عن الصلاة يوم الوادى) لما عاد من خيبر أو من الحديبية أو بطريق تبوك روايات وقد اختلف هل كان النوم مرة أو مرتين ورجحه عياض وتبعه النووى ومر هذا مبسوطا فى خيبر وغيرها (ان هذا واد به شيطان) لفظ الموطا ولمسلم ان هذا منزل حضرنا فيه الشيطان (فليس فيه) صريحا (ذكر تسلطه عليه) اذ لا يقدر على قرب سرادق حمايته وعصمته (ولا وسوسته له) لعصمته ونزاهته عن مثله (بل ان كان) ذكر فى الحديث مايوهم تسلطه عليه (بمقتضى ظاهره) قبل التأمل فيه فهو

انتقال عن لفظ صريحا المقدر فكأنه قيل سلمنا انه ليس صريحا فهو ظاهر فى ذلك والشبهة يكتفى فى ايرادها بمقتضى الظاهر فدفع ذلك بأنه لا يصح الحمل هنا على مقتضى الظاهر لانه صلى الله عليه وسلم بين أن ذلك الظاهر ليس عراد كما أفاده بقوله (فقد بين) كشف (عليه السلام أمر ذلك الشيطان بقوله) فيما رواه مالك عن زيد بن أسلم مرسلا (ان الشيطان أتى بلالا) وهو قائم يصلى نفلا بالسحر فأضجعه وفى حديث أبى قتادة فى الصحيحين سرنا مع النبى صلى الله عليه وسلم ليلة فقال بعض القوم يارسول الله لو عرست بنا فقال أخاف أن تناموا عن الصلاة فقال بلال أنا أوقظكم ونام رسول الله وأصحابه وفى مسلم فصلى بلال ماقدر له ثم استند الى راحلته وهو مقابل الفجر فغلبته عيناه وفى حديث زيد بن أسلم ووكل بلالا أن يوقظهم للصلاة فرقد بلال ورقدوا (فلم يزل يهديه) بضم التحتية وسكون الهاء وكسر الدال مخففة وياء ساكنة قال ابن عبد البر أهل الحديث يروون هذه اللفظة بلا همز وأصلها عند أهل اللغة الهمز وقال فى المطالع هو بالهمز أى يسكنه وينومه من هدأت الصبى اذا وضعت يدك عليه لينام ورواه المهلب بلا همز على التسهيل ويقال أيضا يهدنه بنون وروى يهدهده من هدهدت الام ولدها لينام أى حركته (كما يهدى الصبى) الصغير فى مهده (حتى نام) بلال وفى هذا تأنيس لبلال واعتذار عنه وانه ليس باختياره (فأعلم) النبى صلى الله عليه وسلم الناس بهذا القول أن تسلط الشيطان فى ذلك الوادى انما كان على بلال الموكل بكلاءة بكسر الكاف وفتح اللام والمد والهمز أى بحراسة الفجر وقد تبدل همزته كما فى النهاية وغيرها وفى لغة بفتح الكاف واللام والقصر وضمن معنى المراقبة أى مراقبة طلوع الفجر ليوقظهم وقيل المراد كلاءة صلاة الفجر بتقدير مضاف وله وجه وجيه (هذا) المذكور أن ظاهره تسلط الشيطان وصرفه الى بلال (ان جعلنا قوله ان هذا واديه شيطان تنبيها) مفعول له (على سبب النوم عن الصلاة) وهو تنويم الموكل بحراسة الوقت (وأما ان جعلناه تنبيها على سبب الرحيل عن الوادى وعلة لترك الصلاة به) مع أن الاصل فى قضاء الفائتة بعذر المبادرة بفعلها وقد أمرهم بالارتحال (وهو دليل) أى مدلول أى مايستفاد من (مساق) بفتح الميم مصدر بمعنى سياق كما فى النسيم أو بمعنى سوق كما فى الانوار (حديث زيد بن أسلم) فى الموطا قال عرس صلى الله عليه وسلم ليلة بطريق مكة ووكل بلالا أن يوقظهم للصلاة فرقد بلال ورقدوا حتى استيقظوا وقد طلعت عليهم الشمس فاستيقظ القوم وقد فزعوا فأمرهم صلى الله عليه وسلم أن يركبوا حتى يخرجوا من ذلك الوادى وقال ان هذا واديه شيطان فركبوا حتى خرجوا من ذلك الوادى ثم أمرهم أن ينزلوا وأن يتوضؤا وأمر بلالا أن يؤذن بالصلاة أو يقيم فصلى بالناس الحديث وعلى مايفيده سياقه هذا (فلا اعتراض به فى هذا الباب) المعقود فى أن الشيطان لا تسلط له على الانبياء (لبيانه) أى حديث زيد ووضوح دلالته على ماذكر (وارتفاع اشكاله) أى زواله أصلا حتى استغنى عن الجواب لعدم احتماله ما يخالفه (قال) عياض بعد هذا بيسير (وأما قوله تعالى عبس) كلح وجهه (وتولى) أعرض عنه (أن جاءه الاعمى الآيات) الى آخرها فأنت عنه تلهى التى استدل بها مجوزو الصغائر على

الانبياء لما يشعر به ظاهرها من وقوع شئ عوتب عليه (فليس فيها اثبات ذنب له عليه الصلاة والسلام) ولا تجويزه عليه (بل اعلام الله تعالى له) صلى الله عليه وسلم (بأن ذلك المتصدى) اسم مفعول نائبه (له) أى أقبل عليه وتوجه له وأصله مقابلة الشئ كما يقابله الصدى وهو الصوت الراجع اليه من جبل ونحوه كما قاله الراغب وفى التعبير به نكتة وهى أن كلام هؤلاء لا عبرة به كما قال المتنبئ أنا الطائر المحكى وغيرى هو الصدى (ممن لا يتزكى) أى لا يسلم فيطهر من دنس الشرك أى باعتبار ما فى نفس الامر أو قرائن الاحوال الدالة على فرط عناده وبعده عن الحق ويدل للاول قوله اعلام الله وقوله (وأن الصواب والاولى كان لو كشف له حال الرجلين) ابن أم مكتوم ومن كان عنده من المشركين واقتصر على الاقل والا فالكفرة كانوا جماعة أو المتكلم معه منهم واحد وحالهما عدم تزكى الكافر وانتفاع الاعمى (لاختار الاقبال على الاعمى) دون غيره روى ابن أبى حاتم عن ابن عباس أن ابن أم مكتوم أتى النبى صلى الله عليه وسلم وعنده صناديد قريش يدعوهم الى الاسلام فقال يا رسول الله علمنى مما علمك الله وكرر ذلك ولم يعلم تشاغله بالقوم فكره صلى الله عليه وسلم قطعه لكلامه وعبس وأعرض عنه فنزلت وأخرج الترمذى والحاكم عن عائشة قالت أنزل عبس وتولى فى ابن أم مكتوم الاعمى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يقول يا رسول الله أرشدنى وعند رسول الله رجل من عظماء المشركين فجعل يعرض عنه ويقبل على الآخر فيقول أترى بما أقول بأسا فيقول لا فنزلت عبس وتولى أن جاءه الاعمى وروى أبو يعلى مثله عن أنس وفى ابن عطية قيل الرجل الوليد بن المغيرة وقيل عتبة وقيل شيبة وقيل العباس وقيل أمية وقيل أبى بن خلف وقال ابن عباس كان فى جمع منهم عتبة والعباس وأبو جهل انتهى وعلى أن العباس فيهم لا ينافى انه تزكى لان المعنى لا يتزكى فى وقت الاعراض عن الاعمى وانما تزكى العباس بعد بكثير (وفعل النبى صلى الله عليه وسلم لما) بكسر اللام والتخفيف أو فتحها والتشديد (فعل) من العبوس والاعراض (وتصديه لذلك الكافر كان طاعة لله وتبليغا عنه) فهو فعل حسن وأمر لازم له (واستئلافا) استمالة (له) للكافر ورجاء اسلامه (كما شرعه الله له) وفرضه بالتبليغ ولين الجانب لمن يدعوه ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة (لا معصية ولا مخالفة له) أى لما شرعه وذكر هذا بعد قوله أو لا فليس فيه اثبات ذنب تنبيها على أنه ليس مباحا فقط بل طاعة واجبة (وما قصه الله تعالى عليه من ذلك اعلام بحال الرجلين وتوهين) بالرفع عطف على اعلام أى تضعيف (أمر الكافر عنده) وأنه لا قدر له يعتد به (والاشارة الى الاعراض عنه بقوله وما عليك أن لا يزكى) وفى القاء الكلام له بدون الخطاب اكرام له صلى الله عليه وسلم عن أن يواجه بالعتب لا مبالغة فى العتب لان فيه بعض اعراض كما زعم ابن عطية (أى ليس عليك بأس فى أن لا يتزكى بالاسلام أى لا يبلغن بك الحرص على اسلامهم) لانه كان شديد الحرص على اسلام قريش واسماعهم لما جبله الله عليه من الرأفة والرحمة (أن تعرض عمن أسلم بالاشتغال بدعوتهم) الى الاسلام (ان) ما (عليك الا البلاغ)

وقد فعلت وأما قوله وما يدريك لعله يزكى فضميره لابن أم مكتوم وقيل للكافر أى اذا طمعت فى أن يزكى بالاسلام أو يذكر فتنفعه أى تقربه الذكرى الى قبول الحق وما يدريك أن ما طمعت فيه كائن ورجح الاول بأن ما فى القرآن من يدريك فهو مما أعلمه الله به وما فيه من ادراك مما لم يعلمه به وأيضا فالكافر لم يسبق له ذكر صريح زاد عياض وقيل المراد عبس وتولى الكافر الذى كان مع النبى صلى الله عليه وسلم قاله ابو تمام انتهى وتعقب بأنه قول فى غاية الضعف بعيد من السياق مخالف لقول المفسرين انه النبى صلى الله عليه وسلم وزاد المصنف على الشفاء قوله (وقد كان ابن أم مكتوم يستحق التأديب والزجر) بحسب ظاهر الحال اذ فى قطع كلامه ايذاء له (لانه وان فقد بصره كان يسمع مخاطبة الرسول صلى الله عليه وسلم لاولئك الكفار) الذين كان يدعوهم الى الله (وكان يعرف بواسطة استماع تلك الكلمات شدة اهتمامه عليه السلام بشأنهم فكان اقدامه على قطع كلامه عليه السلام بعد سماعه ايذاء له عليه السلام وذلك معصية عظيمة) واعتذر عنه بأن شدة حرصه على طلب ما ينفعه من النبى صلى الله عليه وسلم واشتغاله به صرفه عن معرفة انه كان مشغولا بتأليف الكفار (فثبت أن فعل ابن أم مكتوم كان ذنبا ومعصية وأن الذى فعله الرسول صلى الله عليه وسلم كان هو الواجب المتعين) اذ هو مأمور بالابلاغ والدعوة برفق (وقد كان عليه الصلاة والسلام مأذونا له فى تأديب أصحابه لكن ابن أم مكتوم بسبب عماه استحق مزيد الرفق به) فذكره الله فى كتابه بلفظ الاعمى وأنه جاءه يسعى اى يمشى مع عجزه اشارة لذلك وللصفح عنه وذكر من فضله انه يخشى أى الله تعالى وأنه يزكى أو يذكر فتنفعه الذكرى وروى انه صلى الله عليه وسلم كان اذا رآه بعد ذلك قال مرحبا بمن عاتبنى فيه ربى و بسط له رداءه واستخلفه على المدينة مرارا قال أنس رأيته يوم القادسية ومعه راية سوداء وعليه درع قيل استشهد بها وقيل بل شهدها ورجع فمات بالمدينة ولم يسمع له بذكر بعد عمر ومر بعض شئ من مناقبه فى غير موضع رضى الله عنه (وأما قوله تعالى عفا الله عنك لم أذنت لهم فى التخلف عن الغزو (الآية فروى ابن أبى حاتم عن مسعر) بكسر الميم وسكون السين وفتح العين المهملتين (عن عون) بالنون ابن عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلى الكوفى الزاهد الفقيه الثقة المتوفى فى حدود الستين بعد المائة (قال هل سمعتم بمعاتبة أحسن من هذا بدأ بالعفو قبل المعاتبة) الصورية لما يأتى أن الخطاب به يدل على التعظيم ثم لا ينافيه قوله الآتى لم يعد هذا أهل العلم معاتبة لانهم لما رأوه فى غاية الملاطفة ولم يظهر منه لوم لم يعدوه معاتبة لان شأنها أن تكون على جهة لوم من المعاتب ولذا قال لم يعدوه ولم ينسب اليهم نفى المعاتبة من أصلها (وكذا قال مورق) بضم الميم وفتح الواو وكسر الراء الثقيلة وقاف (العجلى) أبو المعتمر البصرى تابعى ثقة عابد مات سنة اثنتين ومائة نسبة الى عجل ابن بكر بن وائل (وغيره وقال قتادة عاتبه الله تعالى كما تسمعون) فى براءة (ثم أنزل الذى فى سورة النور فرخص له فى ان يأذن لهم ان شاء فقال تعالى فاذا استأذنوك لبعض شأنهم) أمرهم (فأذن لمن شئت منهم) بالانصراف (ففوض الامر الى رأيه عليه الصلاة

والسلام)

والسلام) لكن انما يتم هذا ان كان التفويض سابقا على الاذن أما ان كان بعده كما يشعر به تعبيره بثم فلا يظهر ذلك (وقال عمرو) بفتح العين (ابن ميمون) بن مهران الجزري ثقة فاضل من رواة الجماعة مات سنة سبع وأربعين ومائة (اثنتان فعلهما النبي صلى الله عليه وسلم لم يؤمر فيهما بشيء) أي لم يبين له فيهما شيء لا بطلب فعل ولا ترك (اذنه للمنافقين) في التخلف عن الغزو (وأخذه الفداء من الاسرى) ببدر (فعاتبه الله كما تسمعون) في القرآن (وأما قول بعضهم ان هذه الآية تدل على انه وقع من الرسول ذنب لانه تعالى قال عفا الله عنك لم أذنت لهم والعفو يستدعي سالفة) بلام وفاء أي سابقة (ذنب) هذا قول من يجهل لغة العرب كما يأتي (وقول الآخر) ممن يجوز الصغائر عليهم قوله تعالى (لم أذنت لهم استفهام بمعنى الانكار) والانكار يقتضي ذلك (فاعلم انا لا نسلم أن قوله تعالى عفا الله عنك يوجب ذنبا) اذ لم يتقدم فيه نهي من الله حتى يكون ذنبا ولا عده الله عليه معصية ولفظ عفا لا يقتضي ذلك ولا يستلزمه (ولم لا يقال ان ذلك يدل على مبالغة الله تعالى في توقيره وتعظيمه) تفسير (كما يقول الرجل لغيره اذا كان عظيما عنده عفا الله عنك ما صنعت في أمري) آتيا بالعفو قبل الاستفهام حتى لا يبدأه بخطابه تعظيما (ورضي) الله (عنك ما جوابك عن كلامي وعافاك الله ألا) بفتح الهمزة اداة استفتاح (عرفت حقي فلا يكون غرضه من هذا الكلام الا زيادة التعظيم والتبجيل) تحاشيا عن جعل الاستفهام أول كلامه للمعظم عنده (وليس عفا هنا) في الآية (بمعنى غفر) أي ستر وترك المؤاخذة (بل) بمعنى لم يلزمك شيأ في الاذن (كما قال صلى الله عليه وسلم عفا الله لكم عن صدقة الخيل والرقيق ولم تجب عليهم) زكاة في خيل ورقيق (قط أي لم يلزمكم ذلك) فليس معناه اسقاط ما كان واجبا ولا ترك عقوبة هنا وهذا الحديث رواه أبو داود والترمذي والنسائي عن علي مرفوعا بلفظ قد عفوت لكم عن زكاة الخيل والرقيق فهاتوا صدقة الرقة الحديث بطوله فنازع بعضهم عياضا متبوع المصنف بأنه لم يقف عليه بلفظ عفا الله لكم وتعقب بأن عياضا من الحفاظ وقف عليه ومثله لا يقرع له العصا (ونحوه) أي ما ذكره (للقشيري) بلفظه من قوله وليس عفا بمعنى من أول قوله فاعلم ولفظه عند عياض ومعنى عفا الله عنك لم يلزمك ذنبا قال الداودي روى انها تكرمة وقال مكي هو استفتاح كلام مثل أصلحك الله وأعزك وحكى السمرقندي أن معناه عافاك الله (قال) القشيري (وانما يقول العفو لا يكون الا عن ذنب من لا يعرف كلام العرب) فيقف على معانيه الواردة في لغتهم كعدم اللزوم الوارد في كلام أفصح العرب وأصل معنى العفو الترك وعليه تدور معانيه (ومعنى عفا الله عنك أي لم يلزمك ذنبا وأما الجواب عن الثاني فيقال) على طريق التنزل مع الخصم (اما أن يكون صدر من الرسول صلى الله عليه وسلم ذنب أم لا فان قلنا لا امتنع على هذا التقدير أن يكون قوله لم أذنت لهم انكارا عليه) اذ من لم يذنب لا ينكر عليه فعله (وان قلنا انه صدر عنه ذنب وحاشاه الله من ذلك) أي نزهه (فقوله عفا الله عنك يدل على حصول العفو وبعد حصول العفو يستحيل أن يتوجه

الانكار عليه) اذ بعد العفو كأنه لم يقع منه (فثبت انه على جميع التقادير) أى التقديرين المذكورين بناء على أن الجمع ماازاد على الواحد (يمتنع أن يقال ان قوله لم أذنت لهم يدل على كون الرسول مذنبا) كما ادعى ذلك البعض (وهذا جواب شاف) من هذا الداء العضال وهو نسبة ذنب الى أفضل الخلق (كاف) فى دفع شبهة الخصم (قاطع) لها أصلا لما فيه من التنزل معه (وعند هذا يحمل قوله لم أذنت لهم على ترك الاولى والاكمل) فقط لا على الانكار (بل لم يعد هذا أهل العلم) أى أحد منهم (معاتبة) بفعل خلاف الاولى (وغلطوا من ذهب الى ذلك) من المفسرين (فقال نفطويه) بنون ففاء فطاء مضمومة فواو ساكنة فياء مفتوحة عند أصحاب الحديث لانهم لا يحبون ويه وعند الادباء بفتح الطاء والواو وسكون الياء وهو لقب لابراهيم بن محمد الازدى النحوى الاديب مناظره مات سنة ثلاث وعشرين وقيل أربع وعشرين وثلثمائة (ذهب ناس الى أن النبى صلى الله عليه وسلم معاتب بهذه الآية وحاشاه) الله (من ذلك) أى برأه ونزهه وأصل معناه جعله فى حشى أى جانب (بل كان مخيرا) فى الاذن وتركه وقد كان له أن يفعل ماشاء فيما لم ينزل فيه شئ فكيف وقد قال الله تعالى له فأذن لمن شئت منهم هكذا فى كلام نفطويه أى فتعلق الامر بالمشيئة صريح فى انه مخير (فلما أذن لهم أعلمه الله) بما لم يطلع عليه (انه لو لم يأذن لهم لقعدوا) ولو أمروا بخلاف القعود (لنفاقهم) وهم يدعون بالاستئذان أنه لو لم يأذن ما تخلفوا فاذا اظهر كذبهم وانكشف مغطاهم لزم شق العصا وما يترتب عليه فكان ما فعله أولى وأصوب (و) اعلمه (انه لا حرج) لا وزر ولا اثم (عليه فى الاذن لهم) بقوله عفا الله عنك حيث لم يلزمك أن لا تأذن حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين أى لو صبرت لتبين لك أمرهم فهو اشارة الى كمال الرفق به صلى الله عليه وسلم وأنه لم يقع منه تقصير يقتضى العتاب ولا خطأ فى الاجتهاد ولا ارتكاب خلاف الاولى وما أحلى قول ابن المنير فى تفسيره عفا الله عنك دعامة فى الكلام يقصد بها ملاطفة المخاطب وهو عادة العرب فى التلطف بتقديم الدعاء لاستدعاء الاصغاء أو خبر معناه لا عهدة عليك فهو تخصيص وتمييز لأن الاذن ذنب يتعلق به العفو لان فى تحمله ومسامحته لهم مع أذاهم حملا للمشقة على نفسه واسقاطا للحظوظ فهو عتب عليه بلطف لا ملامة فيه أى قد بلغت فى الامتثال والاحتمال الغاية وزدت ما أجحف بك فى محبة الله وطاعته والرفق بالبر والفاجر وأين هذا من الخطيئة التى نزغ بها الزمخشرى عرق العجمة لاساءة الادب على المصطفى وأراد بعضهم أن يصلح فأفسد فقال بدأ بالعفو قبل العتب ولو عكس انقطع نياط قلبه وكله ذهول عن عتب الحبيب فى حقه على نفسه وهو تخفيف لا تعنيف ومدح لا قدح وهذا كما قيل له اذ جهد وجد فى العبادة ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى فلعلك باخع نفسك (وأما قوله تعالى فى أسارى بدر ما كان لنبى أن تكون) بالتاء والياء (له أسرى حتى يثخن فى الارض تريدون عرض الدنيا) حطامها بأخذ الفداء (والله يريد الآخرة) أى ثوابها بالقتل (الى قوله عظيم فروى مسلم فى افراده) عن البخارى فهو من الثالثة من مراتب الصحيح (من حديث عمر بن الخطاب

قال

قال لما هزم الله المشركين يوم بدر وقتل منهم سبعون وأسر سبعون) مثله في حديث البراء عند البخاري وابن عباس عند مسلم ووافقهم آخرون وبه جزم ابن هشام محتجا له بقوله قد أصبتم مثليها الاتفاق علماء التفسير على أن الخطاب لاهل أحد واصابتهم مثليها يوم بدر وان اتفق أهل السير على أن القتلى خمسون يزيدون قليلا أو ينقصون وعدهم ابن اسحق خمسين وزاد الواقدي ثلاثة أو أربعة وابن هشام زيادة على ستين لانه لا يلزم من عدم معرفة أسماء من قتل على التعيين أن يكونوا جميع القتلى (استشار النبي صلى الله عليه وسلم أبا بكر وعمر وعليا) وفي رواية أحمد عن أنس فقال ان الله قد مكنكم منهم وانما هم اخوانكم بالامس (فقال أبو بكر يا نبي الله هؤلاء بنو العم والعشيرة والاخوان واني أرى أن تأخذ منهم الفدية فيكون ما أخذناه منهم قوة) أي مقويا (لنا على الكفار وعسى أن يهديهم الله) للاسلام (فيكونوا لنا عضدا) ناصرين وحاصله انه رأى عدم القتل استبقاء للقرابة ولرجاء اسلامهم مع أخذ الفدية مراعاة للجيش ليقووا على الكفار (فقال صلى الله عليه وسلم ما ترى يا ابن الخطاب قال قلت والله ما أرى ما رأى أبو بكر ولكني أرى أن تمكنني من فلان قريب لعمر) (فأضرب عنقه وتمكن عليا من عقيل) أخيه شقيقه (فيضرب عنقه وتمكن حمزة من فلان أخيه) يعني العباس (فيضرب عنقه) أي يقتله (حتى يعلم الله انه ليس في قلوبنا هوادة) بفتح الهاء والواو فألف فدال مهملة فهاء ميل ورجوع (للمشركين) زاد في رواية هؤلاء أئمة الكفر وصناديد قريش وأئمتهم وقادتهم فاضرب أعناقهم ما أرى أن تكون لك أسرى فانما نحن رعايا مؤلفون (فهوى) بكسر الواو أحب (ما هوى أبو بكر ولم يهو ما قلت) لما جبل عليه من الرأفة والرحمة في حال ايذائهم له فكيف في حال قدرته عليهم ولم يذكر رأيا عن علي لانه لم يظهر له مصلحة حتى يذكرها أو لانه لما رأى ان المصطفى هوى قول أبي بكر رآه انه الصواب فسكت عليه (فأخذ منهم الفداء فلما كان من الغد غدوت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا هو قاعد وأبو بكر الصديق وهما يبكيان فقلت يا رسول الله أخبرني ماذا يبكيك أنت وصاحبك) لان عمر ما تغير رأيه (فان وجدت بكاء) أي سببا له بحيث تطاوعني عيني في نزول الدمع (بكيت وان لم أجد بكاء تباكيت) أي تشبهت بالباكين موافقة لكما وان لم يسل دمع (فقال النبي صلى الله عليه وسلم ابك للذي عرض) ضمنه معنى نزل فعداه بعلى في قوله (على أصحابك من الفداء لقد عرض على عذابكم) أي أظهر لي يقال عرض له أمر اذا ظهر (أدنى) أقرب (من هذه الشجرة لشجرة قريبة منه فأنزل الله تعالى) وفي حديث ابن مسعود عند أحمد والترمذي فنزل القرآن بقول عمر (ما كان لنبي أن تكون له أسرى حتى يثخن في الارض الى قوله عظيم) وفي حديث أنس عند أحمد فانزل الله لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا واتقوا الله ان الله غفور رحيم فقال صلى الله عليه وسلم ان كاد ليمسنا في خلاف ابن الخطاب عذاب عظيم ولو نزل العذاب ما أفلت منه الا ابن الخطاب (وقوله حتى يثخن في الارض أي يكثر القتل ويبالغ فيه حتى

اجتهاد الصحابة

يذل الكفر ويقل حزبه ويعز الاسلام ويستولى أهله) على البلاد وقيل معنى يثخن يتمكن في الارض وما كان نفى للكون وجاء بمعنى لا يليق ولا ينبغي ان يأتي به وبه فسر المستدل بالآية على الصغائر وقد رده بقوله (وليس في هذا الزام ذنب للنبي صلى الله عليه وسلم بل فيه بيان ما خص به) اكرامًا له (وفضل به من بين سائر) باقى (الانبياء عليهم الصلاة والسلام فكأنه عز وجل قال ما كان هذا) أى لم يقع (لنبي غيرك كما قال عليه الصلاة والسلام أحلت لى الغنائم) وفى رواية المغانم (ولم تحل لنبي قبلى) قيل ليس فى الآية دليل على ما قال المصنف بخلاف الحديث ورد بأن الفداء فى معنى الغنائم لانه مال مأخوذ من الكفرة فذكر الحديث اشارة الى انه يؤيد هذا التأويل وفى المسائل الاربعين للرازى العتاب وقع هنا على ترك الاولى لان الافضل فى ذلك الوقت الاثخان وترك الفداء قطعا للاطماع ولولا انه خلاف الاولى ما فوضه صلى الله عليه وسلم لاصحابه وفى حواشيه للقرافى الصواب انه فوض الاجتهاد فى أمر الاسرى له ففوضه لاصحابه فرأى عمر القتل وكان هو المصلحة وهو من احدى موافقاته واجتهاد الصحابة لم يؤد للمصلحة فخلص عمر ولم يؤاخذ النبي صلى الله عليه وسلم لبذل جهده فى اجتهاده فله الاجر واذا قال عرض على عذابكم دون عذابى لخروجه عن موجبه ببذل جهده والى هذا ذهب فحول العلماء جمعا بين ظاهر الآية وما يجب لمقامه صلى الله عليه وسلم من العصمة (وأما قوله تعالى تريدون عرض الدنيا) الوارد بحسب الظاهر على اخباره ان الغنائم خصوصية له اذ لو كان كذلك ما عوتبوا على أخذ الفداء بقوله تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة (فقيل) فى الجواب (المراد بالخطاب من أراد ذلك منهم) أى الصحابة (وتجرد) خلص وتمحض (غرضه) بمعجمتين أى قصده (لعرض) بمهملة فمعجمة (الدنيا وحده) أى منفردا عن قصد ثواب الآخرة وهو مؤكد لما قبله (والاستكثار منها) بأخذ ما يناله (وليس المراد بهذا الخطاب النبي صلى الله عليه وسلم) لشرف نفسه عن النظر لها (ولا علية) بكسر العين واسكان اللام وخفة الياء أى معظم (أصحابه) كأبى بكر وان أشار بالفداء فلرجاء الاسلام والتقوى على الكفار وصلة القرابة كما مر (بل) اضراب انتقالى (قد روى عن الضحاك انها نزلت حين انهزم المشركون يوم بدر واشتغل الناس بالسلب) بفتحتين ما يسلب أى يؤخذ من القتلى من لباس ونحوه (وجمع الغنائم عن القتال) متعلق باشتغل (حتى خشى عمر أن يعطف) يرجع (عليهم العدو) كرة (ثم قال تعالى لولا كتاب من الله سبق) تقدم على هذه القصة باحلال الغنائم والاسرى لكم لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم (فاختلف المفسرون فى معنى هذه الآية) فان أردت بيان معناه (فقيل معناه) كما نقله الطبرى عن محمد بن على بن الحسين (لولا انه سبق منى ان لا أعذب أحدا الا بعد النهى لعذبتكم) على ما أخذتم من الفداء اذ لو كان منهيا عنه محرما لاستحق بمخالفته العذاب فالمراد بالكتاب حكم الله الذى كتبه وقدره (فهذا) التفسير (ينفى) يمنع (أن يكون أمر الاسرى) أى فداؤهم (معصية) لعدم النهى عنه (وقيل المعنى (لولا ايمانكم بالقرآن وهو الكتاب السابق) المراد فى قوله لولا كتاب من الله سبق

(فاستوجبتم

(فاستوجبتم به الصفح) عدم المؤاخذة (لعوقبتم على) أخذ (الغنائم) ومافى حكمها
من الفداء قال عياض ويزاد هذا القول تفسيرا وبيانا بأن يقال لولا ما كنتم مؤمنين
بالقرآن وكنتم ممن أحلت لهم الغنائم لعوقبتم كما عوقب من تعدى أى تجاوز مانهى عنه
فالكتاب على هذا القرآن وسبقه تقدمه أزلا أو لتقدم مانزل (وقيل لولا انه سبق
فى اللوح المحفوظ) المكتوب فيه جميع ماهو كائن (انها) أى الغنائم (حلال لكم)
الانتفاع بها والتصرف فيها (لعوقبتم) على أخذها (وهذا كله ينفى الذنب والمعصية
لان من فعل ما أحل له لم يعص) فلا دليل فيها على تجويز الصغائر على الانبياء وأصرح من
ذلك ما (قال الله تعالى فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا) أى انتفعوا به لا خصوص الاكل
وذكره لكثرته وغلبته واستدل به الاكثر على ان الامر الوارد بعد الحظر للاباحة (وقيل
بل كان عليه الصلاة والسلام قد خير فى ذلك) أخذ الفداء والقتل فلما أخذ قيل كان الاولى
خلافه (و) يدل على أنه خير انه (قد روى) عند الترمذى والنسائى وابن حبان والحاكم
باسناد صحيح فما كان ينبغى تعبيره بروى (عن على قال جاء جبريل عليه السلام الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر) أى زمنه (فقال خير أصحابك فى الاسارى ان شاؤا
القتل) قتلوا (وان شاؤا الفداء) فليفدوا (على ان يقتل منهم فى العام المقبل) التالى
لهذا العام اى ان الله قدر عليهم ان أخذوا الفداء يقتل من الصحابة (مثلهم) سبعين
(فقالوا) نختار (الفداء ويقتل منا) مثلهم رغبة فى الشهادة وعند ابن سعد من مرسل
قتادة فقالوا بل نفاديهم فنقوى به عليهم ويدخل القابل منا الجنة سبعون ففادوهم (وهذا
دليل على انهم لم يفعلوا الا ما أذن لهم فيه) فلا ذنب ولا معصية (لكن بعضهم مال الى أضعف
الوجهين) وهو الفداء باجتهاده وهو بحضرته عليه الصلاة والسلام (مما كان الاصلح)
للاسلام (غيره من الاثخان والقتل) الذى هو أعز الوجهين بيان لغيره (فعوتبوا على
ذلك) أى اختيار غير الاصلح (وبين لهم ضعف اختيارهم وتصويب اختيار غيرهم) وهو عمر
(فكلهم غير عصاة ولا مذنبين) لان كلا منهم اختار ما ادى اليه اجتهاده ظانا ان الخير فيه
قال عياض والى نحو هذا أشار الطبرى وقوله صلى الله عليه وسلم لو نزل عذاب من السماء
مانجا منه الا عمر اشارة الى ان هذا من تصويب رأيه ورأى من أخذ بأخذه فى اعزاز الدين
واظهار كلمته وابادة عدوه وأن هذه القصة لو استوجبت عذابا لنجا عمر وعينه لانه أول
من أشار بقتلهم ولكن الله لم يقدر عليهم ذلك لحله لهم فيما سبق وقال الداودى
الخبر بهذا لم يثبت ولو ثبت لما جاز أن يظن انه صلى الله عليه وسلم يحكم بما لا نص فيه
ولا دليل من نص ولا جعل الامر فيه اليه وقد نزهه الله عن ذلك هكذا فى الشفاء قبل قوله
(وقال القاضى بكر) بن محمد (بن العلاء) بن محمد البصرى ثم المصرى أحد كبار
المالكية والمحدثين له تصانيف جليلة تقدمت ترجمته (أخبر الله تعالى نبيه فى هذه
الآية ان تأويله وافق ما كتب له من احلال الغنائم والفداء) وكيف لا يكون الفداء
حلالا لهم قبل ذلك (وقد كان صلى الله عليه وسلم قبل هذا) أى غزوة بدر (فادى
فى سرية عبد الله بن جحش) الاسدى ابن عمته عليه السلام أميمة أحد السابقين الاولين

استشهد بأحد (التي قتل فيها) عمرو (بن الحضرمي) بسهم رماه به واقد بن عبد الله وذلك انه عليه السلام بعث عبد الله في سرية يعترض عير قريش فنزلوا بطن نخلة وقتل ابن الحضرمي وأسر الحكم وعثمان بن عبد الله (بالحكم بن كيسان) متعلق بفادى لا بقتل وكان الاولى حذف الباء وأسره المقداد بن الاسود فأراد ابن جحش قتله فقال المقداد دعه تقدم به على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم وحسن اسلامه واستشهد ببئر معونة (وصاحبه) عثمان بن عبد الله ذهب حين فدى الى مكة فمات بها كافرا (فما عتب الله ذلك عليهم) فلو كان ممنوعا لعتب (وذلك قبل بدر بأزيد من عام) هذا سهو لان السرية كانت في رجب وقيل في جمادى الآخرة وبدر في رمضان كلاهما في ثانية الهجرة فبينهما أقل من ثلاثة أشهر وقد تعقبوا الشفاء متبوع المصنف بهذا ومثله لا يخفى عليهما ولكن الكمال لله (فهذا كله يدل على ان فعل النبي صلى الله عليه وسلم في شأن الاسرى كان على تأويل) باجتهاد منه ومن أصحابه (وبصيرة) جريا (على ما تقدم قبل) أي قبل ذلك الفعل (مثله فلم ينكره الله عليه لكن الله تعالى أراد) بقوله ما كان لنبي الخ (لعظم أمر بدر) بكسرها شوكة المشركين وارعاب قلوبهم فلو زادوا ذلك بقتل الاسرى كان أقوى (وكثرة أسراها) جمع أسير (والله أعلم) بما أراد جملة معترضة (اظهار نعمته) مفعول أراد أي ظهورها على المسلمين (وتأكيد منته) عليهم (بتعريفهم ما كتب في اللوح المحفوظ) على أحد الوجوه السابقة قريبا في المراد بالكتاب (من حل ذلك) لهم (لا على وجه عتاب) أي لوم بل لبيان النعمة (أو انكار) عليهم (أو تذنيب) أي نسبتهم لذنب في فعلهم (قاله القاضي عياض رحمه الله تعالى) في الشفاء من أول قوله وليس في هذا الزام ذنب الى هنا وهو وجيه خلافا لقول بعض شراحه انه تكلف لا ينبغي ارتكابه والحق انه عتاب من الله وفي فتح الباري اختلف السلف في أي الرأيين كان أصوب فقال بعضهم كان رأي أبي بكر لانه وافق ما قدر الله في نفس الامر ولما استقر عليه الامر ولدخول كثير منهم في الاسلام اما بنفسه واما بذريته التي ولدت له بعد الوقعة ولانه وافق غلبة الرحمة على الغضب كما ثبت ذلك عن الله تعالى في حق من كتب له الرحمة وأما من رجح الرأي الآخر فتمسك بما وقع من العتاب على أخذ الفداء وهو ظاهر لكن الجواب عنه انه لا يدفع حجة الرجحان عن الاول بل ورد للاشارة الى ذم من آثر شيأ من الدنيا على الآخرة ولو قل (وأما قوله تعالى ولولا ان ثبتناك) على الحق بالعصمة (لقد كدت) قاربت (تركن) تميل (اليهم شيأ) ركونا (قليلا) لشدة احتيالهم والحاحهم وهو صريح في انه صلى الله عليه وسلم ما ركن ولا قارب (اذا لاذقناك ضعف) عذاب (الحياة وضعف) عذاب (الممات) أي مثلي ما يعذب غيرك في الدنيا والآخرة (الآية) ثم لا تجد لك علينا نصيرا مانعا منه أخرج ابن مردويه وابن أبي حاتم عن ابن عباس قال خرج أمية بن خلف وأبو جهل ورجال من قريش فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد تعال فتمسح بآلهتنا وندخل معك في دينك وكان يحب اسلام قومه فرق لهم فأنزل الله وان كادوا ليفتنونك الى قوله نصيرا قال السيوطي

هذا أصح ما ورد في سبب نزولها وهو اسناد جيد وله شاهد أخرج ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير قال كان صلى الله عليه وسلم يستلم الحجر فقالوا لا ندعك تستلم حتى تلم بآلهتنا فقال صلى الله عليه وسلم وما علي لو فعلت والله يعلم مني خلافه فنزلت (فالمعنى لولا أن ثبتناك لقاربت) تفسير لكدت (أن تميل الى اتباع مرادهم) تفسير لتركن من الركون الذي هو أدنى ميل على ما قال المفتي وعليه فقوله شيأ قليلا كالصفة الكاشفة لمعنى تركن (لكن أدركتك عصمتنا فمنعت أن تقرب فضلا عن ان تركن) وببيان المعنى حصل الجواب عن الآية وانها من الآيات المادحة للمصطفى لا انها من المتشابهات (وهو صريح في انه صلى الله عليه وسلم ما هم باجابتهم) أي قريش لما طلبوه منه من التمسح بآلهتهم والالمام بها على الاصح في سبب نزولها وبه استدل من قال هذه الآيات مكية ومن قال انها مدنية استدل بما رواه ابن مردويه عن ابن عباس ان ثقيفا قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم أجلنا سنة حتى يهدى لآلهتنا فاذا قبضنا ما يهدى لها أحرزناه ثم أسلمنا فهم أن يؤجلهم فنزلت واسناده ضعيف وذكر الثعلبي بلا اسناد عن ابن عباس انها نزلت في ثقيف قالوا لا ندخل في أمرك حتى تعطينا خصالا نفتخر بها على العرب لا نعشر ولا نحشر ولا نحني في صلاتنا وكل ربا لنا فهو لنا وكل ربا علينا فهو موضوع عنا وان تمتعنا باللات سنة وتحرم وادينا كمكة فان قالت العرب لم فعلت ذلك فقل ان الله أمرني قال الولي العراقي لم أقف له على اسناد (مع قوة الداعي اليها) لشدة احتيالهم وقوة خدعهم وكونه في مقام التلطف بهم والحرص على ايمانهم (فالعصمة بتوفيق الله وحفظه) عن مقاربة ذلك (ولو قاربت لاذقناك ضعف) عذاب (الحياة وضعف) عذاب (الممات) تفسير لقوله اذا لاذقناك (أي ضعف ما يعذب به في الدارين) الدنيا والآخرة (بمثل هذا الفعل غيرك لان خطأ) أي ذنب (الخطير) الشريف (أخطر) أعظم من غيره لانه لشرفه حقه أن لا يقرب مما يلام عليه بل يصون نفسه عن الهفوات وان صغرت (وقد أعاذه الله تعالى) أي عصمه (من الركون الى أعدائه) أي أعداء الله (بذرة من قلبه) أي بشيء قليل صغير جدا كالذرة فضلا عما فوقها (ومما يعزى للحريري مما يؤيد ذلك) أي أن كاد هنا بمعنى قرب (قوله) ملغزا

(أنحوي هذا العصر ما هي لفظة * جرت في لساني جرهم وثمود)

جرهم بضم الجيم حي من اليمن وثمود قوم صالح وخصهما زيادة في التعمية

(اذا استعملت في صورة الجحد أثبتت * وان أثبتت قامت مقام جحود)

وفسر الاول وهو النفي المثبت بنحو فذبحوها وما كادوا يفعلون) اغلاء ثمن البقرة (وقد فعلوا) بنص فذبحوها (والثاني وهو الثبوت المنفي بنحو قوله تعالى لقد كدت تركن اليهم قالوا) أي العلماء كلهم (وهو صلى الله عليه وسلم ثبت قلبه ولم يركن) بنص قوله ثبتناك وأيده بذلك وان كان ضعيفا لاشتهاره كما في شرح الكافية والمغني وقالا ان من زعمه لم يصب بل حكم كاد حكم سائر الافعال فمعناها منفي اذا صحبها حرف نفي وثابت اذا لم يصحبها فاذا قيل كاد زيد يبكي معناه قارب البكاء فمقاربة البكاء ثابتة واذا قيل لم يكد يبكي فمعناه لم يقارب

البكاء فقال بنه منفية ونفسه منتف انتفاء أبعد من انتفائه عند ثبوت المقاربة (وأما قوله تعالى ولو تقول علينا بعض الاقاويل) أى افترى سمى تقولا لانه قول متكلف والاقوال المفتراة أقاويل تحقيرا لها كأنها جمع أفعولة من القول كالاضاحيك (لاخذنا منه باليمين) بالقوة والقدرة (ثم لقطعنا منه الوتين) نياط القلب وهو عرق متصل به اذا انقطع مات صاحبه (فالمعنى لو افترى علينا بشئ من عند نفسه) كما زعم الكفار بخوان هذا الافك افتراه (لأخذنا) لنلنا (منه) عقابا (باليمين وقطعنا نياط قلبه وأهلكناه وقد أعاذه الله تعالى من التقول عليه) أفلا تعقلون انه تنزيل من رب العالمين فالآية من جملة مدحه اذ فيها القسم على تصديقه بجميع الموجودات وأنه لا يمكنه الافتراء عليه (فان قلت لا مرية) لا شك (انه يعفى للمحب) اسم مفعول المحبوب أو اسم فاعل أى لمن أحب غيره ولا شك انه عليه السلام محب لله ومحبوب له (ولصاحب المحاسن والاحسان العظيم ما لا يعفى لغيره ويسامح بما لا يسامح به غيره كما قال الشاعر

واذا الحبيب أتى بذنب واحد * جاءت محاسنه بألف شفيع)

وفى القرآن اشارة اليه وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم (ولا شك ان نبينا صلى الله عليه وسلم هو الحبيب الاعظم) من كل حبيب (ذو المحاسن والاحسان الاكبر) الفائق على كل محسن (فما هذه العقوبة المضاعفة) بقوله اذا لأذقناك ضعف الحياة الخ (والتهديد الشديد) فى قوله لاخذنا منه الخ (الوارد) كل منهما (ان وقع منه ما يكره) بكسر الهمزة وسكون النون شرط (وكم من راكن الى أعدائه) أى الله تعالى حقيقة فضلا عن مقاربته (ومتقول) بكسر الواو اسم فاعل كاذب (عليه تعالى من قبل) جهة (نفسه لم يعبأ) لم يبال (به كأرباب البدع ونحوهم) من الخوارج وغيرهم (فالجواب انه لا تنافى بين الامرين فان من كملت عليه نعمة الله واختصه منها بما لم يختص به غيره وأعطاه منها ما لم يعط غيره فحباه) بموحدة (بالانعام وخصه بمزيد القرب) المعنوى (والاكرام) وهذا بمعنى ما قبله فهو اطناب (اقتضت حاله من حفظ مرتبة القرب والولاية والاختصاص ان يراعى مرتبته) فيباعد نفسه (من أدنى) أقل (تشويش وقاطع) عن الله (فلشدة الاعتناء به ومزيد تقريبه واتخاذه لنفسه واصطفائه) اختياره (على غيره تكون حقوق وليه وسيده عليه أتم ونعمه عليه أكمل وأعم) من غيره (فالمطلوب منه فوق المطلوب من غيره فهو اذا غفل) بفتح الفاء كنصر وفى لغة بكسرها (أو أخل بمقتضى مرتبته) منزلته السنية (نبه بما لم ينبه عليه البعيد مع كونه يسامح بما لم يسامح به ذلك البعيد أيضا فيجتمع فى حقه الامران) عظم ما يصدر منه لمنافاته لمرتبته والمسامحة لمحبته وشدة نصحه لمحبوبه (واذا أردت معرفة اجتماعهما وعدم تناقضهما فالواقع) فى عرف الآدميين (شاهد بذلك فان الملك) السلطان (يسامح خاصته وأولياءه) الموالين له والمعاضدين (بما لم يسامح به من ليس فى منزلتهم ويؤاخذهم بما لم يؤاخذ به غيرهم) ممن دونهم (وأنت اذا كان لك عبدان أو ولدان أحدهما أحب اليك من الآخر وأقرب الى قلبك وأعز عليك عاملته بهذين الامرين) المسامحة والمؤاخذة

واجتمع

(واجتمع فى حقه المعاملتان بحسب قربه منك وحبك له وعزته عليك فاذا نظرت الى اكمال احسانك اليه واتمام نعمتك عليه) بمعنى حسنه اختلاف اللفظ (اقتضت) تلك الحالة التى هى النظر لكمال الاحسان (معاملته بما لا يعامل به من دونه من التنبيه وعدم الاهمال) بيان لما (واذا نظرت الى محبته لك وطاعته وخدمته وكمال عبوديته ونصحه) لك فى أمورك (وهبت له وسامحته وعفوت عنه بما لا تفعله مع غيره فالمعاملتان بحسب ما بينك وبينه وقد ظهر اعتبار هذا المعنى) العرفى (فى الشرع حيث جعل حد من أنعم عليه بالتزويج اذا تعداه الى الزنا الرجم) لان الذى مع المزنى بها مع زوجته (وحد من لم يعطه هذه النعمة الجلد) لانه معذور بالنسبة للمتزوج فكفى جلده فى عقوبته (وكذلك ضاعف الحد على الحر الذى قد ملكه نفسه وأتم نعمته عليه ولم يجعله مملوكا لغيره وجعل حد العبد المنقوص بالرق الذى لم يجعل له هذه النعمة نصف ذلك) كما قال فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب (فسبحان من بهرت) بفتح الموحدة والهاء غلبت وظهرت (حكمته فى خلقه) وما أحسن قول القائل (فلله سر تحت كل لطيفة *) أى رفق بالعبد لا يعلمه الا هو سبحانه (فأخو البصائر) الناظر بعين البصيرة (غائص) أى غارق فى المعانى والافكار التى يتوصل بها الى معرفة كماله عز وجل (يتعقل) أى يستعمل عقله فيما يوصل اليه (انتهى) هذا الجواب (ملخصا) حال (وأما قوله تعالى ما كنت تدرى ما الكتاب) القرآن (ولا الايمان) مع ما مر أنه صلى الله عليه وسلم كان عالما بالله وصفاته قبل النبوة (فقيل معناه ما كنت تدرى الايمان على التفصيل الذى شرع فى القرآن) فلا ينافى انه كان يدريه اجمالا (وقال أبو العالية) رفيع بن مهران التابعى الكبير (هو بمعنى الدعوة الى الايمان) فيكون على حذف مضاف (لانه كان قبل الوحى لا يقدر أن يدعو) الناس (الى الايمان بالله تعالى) فلا ينافى علمه بأنه اله واحد (وقيل معناه انه ما كان يعرف الايمان حين كان فى المهد وقبل البلوغ) فلا ينافى عرفانه بعد ذلك ببصيرته (حكاه الماوردى) على بن حبيب القاضى أبو الحسن البغدادى البصرى نسب أبوه لعمل الورد أو بيعه والقياس الوردى صاحب التصانيف الجليلة مات سنة خمسين وأربعمائة عن ست وثمانين سنة (والواحدى) أبو الحسن على المفسر تلميذ الثعلبى (والقشيرى) الامام المشهور صاحب الرسالة (وقيل انه من باب حذف المضاف أى ما كنت تدرى أهل الايمان أى من الذى يؤمن أبو طالب) عبد مناف (أو العباس أو غيرهما) فلا ينافى انه مؤمن بالله وصفاته وقد يدل له بقية الآية ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا (وقيل المراد به) أى الايمان (شرائع الايمان ومعالمه) أى ما يدل عليه فهو على حذف مضاف أيضا (وكلها ايمان وقد سمى الله الصلاة ايمانا بقوله وما كان الله ليضيع ايمانكم أى صلاتكم الى بيت المقدس) مدة (فيكون اللفظ عاما) وهو مطلق التصديق (والمراد الخصوص) وهو الشرائع والمعالم (كما قاله ابن قتيبة) عبد الله بن مسلم (وابن خزيمة) محمد امام الائمة قال بكر القاضى فكان صلى الله عليه وسلم مؤمنا بتوحيده ثم نزلت الفرائض التى لم يكن يدريها قبل فزاد بالتكليف ايمانا قال عياض وهذا أحسن وجوهه

بياض بالاصل

(وقد اشتهر في) كتب (الحديث انه صلى الله عليه وسلم كان يوحد الله ويبغض الاوثان) كما في قصة بحيرا الراهب لما استحلفه باللات والعزى وهو صبي فقال صلى الله عليه وسلم لا تسألني بهما فوالله ما أبغضت شيأ قط بغضهما فقال بحيرا فبالله الا ما أخبرتني عما أسألك فقال سل عما بدالك (ويحج ويعتمر) مخالفا المشركين في وقوفهم بمزدلفة في الحج فكان من توفيق الله له يقف بعرفة لانه موقف ابراهيم (وروى أبو نعيم وابن عساكر عن علي انه قيل للنبي صلى الله عليه وسلم هل عبدت وثنا قط) صنما متخذا من حجارة أو خشب أو غيرهما وقيل الصنم المتخذ من الجواهر المعدنية التي تذوب والوثن المتخذ من حجر أو خشب (قال لا) لم أعبده قط (قيل فهل شربت خمرا قط) قال لا) ماشربته (ومازلت أعرف ان الذي هم عليه) من عبادة الاوثان (كفر وما كنت أدري ما الكتاب ولا الايمان وقد ورد أن العرب لم يزالوا على بقايا من دين اسمعيل كحج البيت والختان والغسل من الجنابة) وقد حلف أبو سفيان بعد وقعة بدر لا يغسل رأسه من جنابة حتى يغزو محمدا (وكان عليه الصلاة والسلام لا يقرب) بفتح الراء وضمها (الاوثان) أي لا يدنو منها (ويعيبها) بفتح الياء (و) الحال انه حينئذ (لا يعرف شرائع الله التي شرعها لعباده على لسانه فذلك قوله ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان) هو بمعنى ماقدمه أعاده لزيادة قوله (ولم يرد الايمان الذي هو الاقرار بالله لان آباءه الذين ماتوا على الشرك كانوا يؤمنون بالله ويحجون مع شركهم) وقد كانوا في الفترة فهم لا يعذبون اذ لا يجب فيها ايمان ولا يمتنع كفر على الصحيح قال تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ومفهومه ان منهم من مات على الايمان ورجح الرازي وغيره انه لم يكن في آبائه شرك ومر بسط ذلك في أول الكتاب (انتهى) هذا المقصد (والله أعلم) وله الحمد على ما أنعم ونسأله اتمام الاحسان بالاتمام وان يجعله خالصا لله بجاه المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام

قوله ولا الايمان في نسخة المتن بعده وعن عائشة كانت قريش ومن دان دينها وهم الحمس يقفون بالمزدلفة ويقولون نحن أهل الحرم رواه الشيخان وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقف بعرفات دونهم توفيقا من الله رواه البيهقي وأبو نعيم من حديث جبير بن مطعم وقد ورد الخ اهـ

(* المقصد السابع *)

في) بيان (وجوب محبته و) بيان وجوب (اتباع سنته) طريقته التي كان عليها وهي شاملة للواجب والمستحب والمباح ومعنى وجوب اتباعها اعتقاد حقية مادلت عليه وان مباحا وأنه عن الله وأما مباشرة الفعل فيختلف بالوجوب والندب والاباحة والحرمة والكراهة ولا يشكل بأن المستحب يجب بالنذر فيخالف سنته لانه صلى الله عليه وسلم أمر بالوفاء به كالقرآن فهو من سنته (و) بيان وجوب (الاهتداء بهديه وطريقته) بأن يقتدى به فيما ورد عنه وافق غيره من بقية الانبياء كالتوحيد أو خالفهم كالاحكام الناسخة لشرائع من قبله (وفرض محبة آله وصحبه) عبر بفرض وفيما قبله بوجوب تفننا وذكره اهتماما بهم لئلا يتساهل في محبتهم لعدم بلوغهم رتبته ولا يصح حمله على مذهب الفارقين بين الواجب والفرض لان المقام يأباه اذ يصير المعنى محبة المصطفى بدليل ظني ومحبة آله وصحبه بدليل قطعي (وقرابته وعترته) بكسر العين واسكان الفوقية عطف خاص على عام أو مساو للقرابة قال ابن الاعرابي العترة ولد الرجل وذريته وعقبه من صلبه ولا تعرف العرب من العترة غير هذا ويقال رهطه الادنون ويقال أقرباؤه فهذا الاخير صريح في انه

عطف مساو والقولان قبله خاص على عام (وعليكم الصلاة والتسليم عليه زاده الله فضلا وشرفا لديه) أي عنده والجمع بينهما اطناب أو الاول لطلب زيادة العلوم والمعارف الباطنة والثاني لطلب الاخلاق الكريمة الظاهرة أو الاول ضد النقص والثاني علو المجد وهو ميل الى ترادفهما وسؤال الزيادة لا يشعر بسبق نقص لقبول الكامل زيادة الترقي في غايات الكمال فاندفع زعم جمع امتناع الدعاء له عقب نحو ختم القرآن باللهم اجعل ذلك زيادة في شرفه على ان جميع أعمال أمته يتضاعف له نظيرها لانه السبب فيها أضعافا مضاعفة لا تحصى فهي زيادة في شرفه وان لم يسأل له ذلك فسؤاله تصريح بالمعلوم كما في التحفة (وفيه ثلاثة فصول *

الاول في وجوب محبته واتباع سنته والاقتداء بهديه وسيرته صلى الله عليه وسلم

* اعلم أن المحبة) اللام عوض عن المضاف اليه أي محبة المصطفى وبدأ ببيانها لان الحكم على الشيء فرع تصوره فاعتقاد وجوبها انما يكون بعد تصورها (كما قال صاحب المدارج) أي مدارج السالكين اسم لشرح ابن القيم على كتاب منازل السائرين لشيخ الاسلام عبد الله بن محمد بن علي الانصاري من ولد أبي أيوب الصحابي المؤلف الواعظ ستين سنة للناس الميت سنة احدى وثمانين وأربعمائة عن ست وثمانين سنة (هي المنزلة) الرتبة العلية (التي يتنافس فيها المتنافسون) أي يتسابقون اليها ويتزاحمون عليها بأن يطلبها كل واحد وادا أنه يبلغ فيها مرتبة لا يبلغها غيره وفي القاموس نافس فيه رغب على وجه المباراة في الكرم كتنافس (واليها يشخص العاملون) أي يرفعون أبصارهم مجتهدين في تحصيلها والمراد أنهم يجتهدون في الاعمال ويخلصون فيها لينالوا بها تلك المرتبة السنية وعبر عن ذلك بشخوص البصر لما جرت به العادة أن من طلب غائبا عنه وانتظره كثر تلفته ونظره الى الجهة التي يأتي منها (والى علمها) أي معرفتها (شمر السابقون) اجتهدوا في معرفتها والوصول اليها (وعليها تفانى) بفاء ونون (المحبون) أي تغالبوا في فنائهم فيها فكل يريد أن يغلب غيره فيها بأن تزيد محبته على محبة غيره (وبروح نسيمها) بفتح الراء بمعنى الراحة كأنه شبه المحبة من حيث اللذة وانبساط النفس بها بريح طيبة هابة تحيا بها النفوس وأثبت لها النسيم تخييلا والروح بمعنى الراحة ترشيحا (تروح) بالتثقيل (العابدون) أي وصل اليهم رائحة منها اطمأنت بها نفوسهم واستلذوا بها وارتاحوا (فهي قوت القلوب) أي هي للقلوب كالقوت من حيث انها تحيا بها وتتقوى كما يقوى البدن بالقوت وهو ما يقوم به من الطعام جمعه أقوات (وغذاء) بكسر الغين وذال معجمتين (الارواح) جمع روح بالضم يذكر ويؤنث تشبيه بليغ كسابقه أو كل منهما استعارة نحو زيد أسد وأضاف القوت للقلوب لانها من البدن وهو ينتفع بما يؤكل والغذاء للارواح لانها لا تنتفع بما يؤكل وانما تنتفع بالاذكار ونحوها (وقرة) بضم القاف (العيون) أي سرورها بالمحبة وسكونها عن الالتفات الى غيرها (وهي الحياة التي من حرمها فهو من جملة الاموات) لانه لا يجد لذتها كالاموات ولا عائدتها (والنور الذي من فقده فهو في بحار الظلمات) أي فهو كالمنغمر فيها بحيث لا يهتدى الى شيء ينفعه

(والشفاء) بالمد قال ابن الجوزى فى كتابه نزهة البيان الشفاء ملائم للنفس يزيل عنها الاذى ويستعمل فى القرآن على ثلاثة أوجه الفرح كقوله ويشف صدور قوم مؤمنين أى يسرهم والعافية كقوله واذا مرضت فهو يشفين والبيان كقوله وشفاء لما فى الصدور (الذى من عدمه) بكسر الدال فقده (حلت بقلبه جميع الاسقام) الامراض الطويلة (واللذة التى من لم يظفر) يفز (بها فعيشه كله هموم) أحزان جمع هم (وآلام) جمع ألم (وهى روح الايمان) تشبيه بليغ أى له كالروح للابدان (و) روح (الاعمال والمقامات والاحوال التى متى خلت) تلك الاربعة (منها فهى كالجسد الذى لا روح فيه) فهو بيان لوجه الشبه فى الاربع ويحتمل انه بيان لقوله وهى روح الحياة الى هنا (تحمل اثقال) أحمال (السائرين الى بلد لم يكونوا الا بشق الانفس) بجهدها (بالغيه) واصلين اليه على غيرها وأخر بالغيه لرعاية السجع (وتوصلهم الى منازل لم يكونوا بدونها أبدا واصليها) جملة مفسرة لما قبلها (وتبوؤهم) تسكنهم (من مقاعد الصدق) مجالس الحق التى لا لغو فيها ولا تأثيم (الى مقامات) منازل رفيعة فى الجنة (لم يكونوا لولا هى داخليها) وفيه تلميح لمعنى ان المتقين فى جنات ونهر فى مقعد صدق والتقوى بالايمان لا تكون الا مع محبة الرسول (وهى مطايا القوم) جمع مطية فعيلة بمعنى مفعولة البعير ذكرا أو أنثى سمى بذلك لانه يركب مطاه أى ظهره والمطا بزنة عصا الظهر (التى سراهم) بضم السين جمع سرية بوزن مدية ومدى قال أبو زيد ويكون السرى أول الليل وأوسطه وآخره (فى ظهورها دائما الى الحبيب) وقد استعملت العرب سرى فى المعانى تشبيها لها بالاجسام مجازا واتساعا ومنه والليل اذا يسر المعنى اذا يمضى وقال البغوى اذا سار وذهب وقال جرير

سرت الهموم فبتن غير نيام * وأخو الهموم يروم كل مرام

(وطريقهم الاقوم الذى يبلغهم الى منازلهم الاولى) التى كانوا بها فى صلب آدم وهى الجنة (من قريب) بدون عذاب قبل دخولها للمحبة وقال شيخنا الاولى أى التى قدر أزلا حصولها لهم لكن بأعمال يصلون بها اليها فهى سابقة أزلا على وجود أصحابها ثم بعد ظهورهم فى الخارج وفقهم الله ببركة المحبة الى فعل تلك الاعمال فوصلوا اليها فى زمن قليل لا يحصل عادة فى مثله ما قدر عليه من العمل بل ولا ما يقاربه وهو تكلف مستغنى عنه (تالله لقد ذهب أهلها) المحبة (بشرف الدنيا والآخرة) وعلله بقوله (اذ لهم من معية محبوبهم) المشار لها بقوله أنت مع من أحببت (أوفر نصيب) لشمولها للدارين وان لم يدركه فى الدنيا أو كان بينهما مسافة بعيدة كما تقدم بسطه فى المتن (وقد قدر الله يوم قدر مقادير الخلق) قبل خلق السموات والارض بخمسين ألف سنة (بمشيئته وحكمته البالغة) التامة (أن المرء مع من أحب) كما أخبر المحبوب صلى عليه علام الغيوب (فيا لها) بفتح اللام (من نعمة على المحبين سابغة) بغين معجمة طويلة متسعة ثم يحتمل انه مستغاث به وانه مستغاث له لان اللام الداخلة على المستغاث له يجب فتحها ان كان ضميرا كما هنا فان كان اسما ظاهرا وجب كسرها والداخلة على المستغاث به يجب فتحها

مطلقا

مطلقا (لقد سبق القوم المحبين) مفعول (السعادة) فاعل سبق فهيأت لهم أنواع النعيم وفى نسخة لقد سبق القوم السعاة جمع ساع أى الماشين بسرعة فالقوم فاعل (وهم على ظهور الفرش) بضمتين جمع فراش فعال بمعنى مفعول (نائمون) والجملة حالية (ولقد تقدموا الركب بمراحل وهم فى سيرهم واقفون) أى انهم فازوا بالسعادة والتقرب الى الله بحب المصطفى وان لم يكن لهم كثير عمل فأشبهوا من حيث قلة العمل من وقف فى سيره بحبس دابته مثلا ومع ذلك حصل ما عناه وأنشد لغيره

(من لى بمثل سيرك المذلل * تمشى رويدا وتجى فى الاول)

أى من يتكفل لى بسير مثل سيرك السهل (أجابوا مؤذن الشوق) أى المعلم به والداعى له (اذ نادى بهم حى على الفلاح) أى هلم الى الفوز والنجاة والبقاء فى الجنة أى أقبلوا الى سبب الفلاح والبقاء (فى الجنة وبذلوا أنفسهم) أعطوها (فى طلب الوصول الى محبوبهم) وجرد البذل عن بعض معناه فاستعمله فى مطلق الاعطاء فلذا قال (وكان بذلهم بالرضا والسماح) مراعاة للسجع أو دفعا لتوهم انه مجرد الاعطاء والا فهو لغة الاعطاء بسماحة وطيب نفس (وواصلوا اليه السير بالادلاج) بالكسر بزنة الاكرام أى بسير الليل كله (والغدو) أى الذهاب وقت الغدوة وهى ما بين الفجر والشمس أو منه الى الزوال (والرواح) من الزوال الى الغروب والمعنى واصلوا سيرهم اليه ليلا ونهارا (واقد حمدوا على الوصول مسراهم) عند وصولهم الى محبوبهم حيث ترتب على سيرهم ما قصدوه بلا تعب ومشقة (وانما يحمد القوم السرى عند الصباح) لوصولهم الى منازلهم المترتب على سراهم (وقد اختلفوا فى تعريف المحبة) بعبارات كثيرة مختلفة (وعباراتهم وان كثرت) الواو للحال لان الواقع انها كثيرة فى نفسها فلا يصح انها غائية أو هى غائية بالنظر للواقف عليها لا فى نفس الامر أى سواء كانت قليلة أو كثيرة للواقف عليها وان كثرت فى الواقع (فليست فى الحقيقة ترجع الى اختلاف مقال) فى معناها بحيث يعتقد كل واحد فى معناها غير ما اعتقده الآخر ومقال مصدر قال (وانما هى) عبارات منشؤها (اختلاف أحوال) قامت بالمحبين فكل عبر بما يليق بالمعنى الذى قام به

عباراتنا شتى وحسنك واحد * وكل الى ذاك الجمال يشير

(وأكثرها) أى العبارات (يرجع الى) بيان (ثمراتها) وهى ما يترتب على المحبة من الفوائد سماها ثمرات لمشابهتها لها فى الانتفاع بها وترتبها عليها (دون حقيقتها) لاتحادها (وقد قال بعض المحققين حقيقة المحبة عند أهل المعرفة من المعلومات) لهم (التى لا تحد وانما يعرفها من قامت به وجدانا لا يمكن التعبير عنه) كلذة الجماع لا يمكن التعبير عن حقيقتها بعبارة (وهكذا يقول صاحب مدارج السالكين) ابن القيم (تبعا لغيره والمحبة لا تحد بحد أوضح منها) أى لا تعرف بحد يفيد أكثر مما يفيده لفظ المحبة لانها علقة تقوم بالمحب يدركها من نفسه ولا يمكن أن يوصل خصوص ما قام به الى غيره بحيث يكشف له حقيقة ما عنده وغايته أن يخبر بأنه يحب كذا محبة قوية لا يمكنه التخلف عنه وليس هذا عين ما قام به وقريب من هذا قولهم الحسن يدرك ولا يوصف أى لا يبين بعبارة تحقق معناه

عند المخاطب (فالحدود لا تزيدها الا خفاء) لعدم بيانها حقيقة الماهية (وجفاء) بالجيم والمد ويقصر أى بعدا مأخوذ من جفا السرج عن الفرس رفعه كاجفاه (فحدها وجودها) وذلك الوجود لا يمكن بيان حقيقته للغير (ولا توصف المحبة بوصف أظهر من المحبة) فلا معنى لحدها بأخفى منها (وانما يتكلم الناس فى أسبابها وموجباتها) بكسر الجيم عطف تفسير (وعلاماتها) الدالة عليها (وشواهدها) التى تشهد بقيامها بالمحب (وثمراتها) فوائدها (وأحكامها) التى تبنى عليها (فحدودهم) جمع حد وهو التعريف بذاتيات المعرف كتعريف الانسان بالحيوان الناطق (ورسومهم) جمع رسم وهو التعريف بخاصة من خواصه كتعريفه بالضاحك والمراد بهما هنا شئ واحد وهو التعريف بالاثر (دارت على هذه السنة) بنون أى الطريقة وبفوقية أى الستة المذكورة فهى ألفاظ متقاربة (وتنوعت بهم العبارات وكثرت الاشارات بحسب الادراك) أى وصول كل الى المعنى الذى تصوره من لفظ المحبة (والمقام) المكان المورد فيه الكلام الذى يريد التعبير به (والحال) زمن ايراد ذلك الكلام فالفرق بينهما اعتبارى وحقيقته صفة الشئ تذكر وتؤنث فيقال حال حسنة وحسن (وقد وضعوا لمعناها) أى لمعنى المحبة وهو الحب وجعل الحب معنى لها لاشتماله على زيادة والا فالحب والمحبة لغة معناهما واحد وهو الوداد (حرفين مناسبين للمسمى غاية المناسبة) أحدهما (الحاء التى هى من أقصى الحلق و) الثانى (الباء الشفهية التى هى نهايته) أى نهاية الصوت وفى نسخة نهاية بلا ضمير أى للمخارج (فللحاء الابتداء) لانها مبدأ الصوت المشتمل على الحروف وان كان مخرجها أقصى الحلق (وللباء الانتهاء) والحاصل كما قال شيخنا أنهم جعلوا آخر الحلق مما يلى الصدر أقصى باعتبار وضع الانسان لان كل شئ له نهايتان فأيتهما فرضتها أوله كان مقابلها آخره هذا فيما وضع على الامتداد كالبساط وأما ما وضع على الانتصاب فأعلاه أوله وأسفله آخره ولذا كان أول المخارج الشفتين وأولهما مما يلى البشرة التى هى ظاهر الجلد وآخرها الحلق وأوله مما يلى اللسان وآخره مما يلى الصدر والصوت لما كان مبدؤه من الرئة يخرج منها ثم يمر على الحلق جعل أول المخارج بهذا الاعتبار وأقصى الحلق وآخرها الشفتين (وهذا شأن المحبة وتعلقها بالمحبوب فان ابتداءها منه) بأن يرى المحب من المحبوب ما يدعو الى ميله اليه فيتعلق به بحيث لا يصير عنده سواه (وانتهاءها اليه) اذ هو غاية المطلوب (وأعطوا الحب) الذى هو المصدر (حركة الضم التى هى أشد الحركات وأقواها) عطف مساو (مطابقة) مفعول لاجله أى لمطابقته (لشدة حركة مسماه وقوتها وأعطوا الحب) وهو المحبوب حركة الكسر لخفتها من الضمة وخفة المحبوب و) خفة (ذكره على قلوبهم وألسنتهم فتأمل هذا اللطف والمطابقة والمناسبة العجيبة بين الالفاظ والمعانى تطلعك على قدر) أى شرف (هذه اللغة) العربية وتميزها على غيرها (وأن لها شأنا ليس لسائر اللغات وهذه بعض رسوم وحدود قيلت فى المحبة بحسب آثارها) علاماتها التى بها يهتدى اليها (وشواهدها) أى ما يشهد بها ويدل عليها حتى كأنها شهدت به وأثبتته (والكلام على ما يحتاج الى الكلام

عليه

عليه منها تتمها موافقة الحبيب في المشهد والمغيب) أي في حالتي شهوده أي حضوره ومغيبه (وهذا موجبها) بفتح الجيم (ومقتضاها) مساوله في المعنى أي انهما أثر المحبة ومسبب عنها (ومنها محو المحب لصفاته) بحيث لا يبقى له صفة (واثبات المحب لذاته) بدون صفة فالمحو في أصل اصطلاحهم رفع أوصاف العادة قال ابن عطاء يمحو أوصافهم ويثبت أسرارهم ويقابل المحو الاثبات وهو اقامة أحكام العادة (وهذا من الفناء في المحبة وهو أن تمحى صفات المحب وتفنى) تزول وتضمحل (في صفات محبوبه وذاته وهذا يستدعي بيانا أتم من هذا لا يدركه الا من أفناه وارد المحبة عنه) أي الفناء (وأخذه) أي أخذ الوارد الفناء (منه) ويسمونه فناء الفناء وهو الفناء عن شهود هذا الفناء بحيث يفنى عن كل ماسوى محبوبه وحينئذ يدرك ذلك بالوجدان لا بالعبارة (ومنها استقلال الكثير من نفسك واستكثار القليل من محبوبك) كما قيل

قليل منك يكفيني ولكن * قليلك لا يقال له قليل

(وهو لأبي يزيد) بياء قبل الزاي اسمه طيفور بطاء مهملة وتحتية وفاء ابن عيسى البسطامي نادرة زمانه حالا وأنفاسا وورعا وعلما وزهدا وتوفي مات سنة احدى وستين ومائتين عن ثلاث وسبعين سنة (وهو أيضا من أحكامها وموجباتها) بفتح الجيم (وشواهدها) الدالة عليها (والمحب الصادق لو بذل لمحبوبه جميع ما يقدر عليه لاستقله) اعتقده قليلا (ولو ناله من محبوبه أيسر شيء لاستكثره واستعظمه) عده واعتقده كثيرا عظيما (ومنها استكثار القليل من جنايتك واستقلال الكثير من طاعتك وهو قريب من الأول) أي ماقبله فهو أول نسبي والا فهو ثالث (لكنه مخصوص بما من المحب) في الحالين بخلاف ماقبله فانه ومن المحبوب فافترقا (ومنها معانقة الطاعة) أي التزام المحب طاعة محبوبه بحيث يفعل كل ما أمره به أو فهم انه يريده وان لم يأمره (ومباينة المخالفة) بأن لا يخالفه في شيء أراده منه ولا يفعل شيئا نهاه عنه وهذا المعنى لازم لالتزام الطاعة مذكره أيضاح (وهو لسهل بن عبدالله) التستري الولي الذي لم يسمح الدهر بمثله له كرامات وتصانيف مات سنة ثلاث وثمانين ومائتين عن ثلاث وثمانين سنة (وهو أيضا حكم المحبة وموجبها) لا حدلها حقيقي (ومنها أن تهب كلك لمن أحببت فلا يبقى لك منك شيء) وعليه أنشد

تملك بعض حبك كل قلبي * فان ترد الزيادة هات قلبا

(وهو لسيدنا أبي عبدالله) محمد بن أحمد بن ابراهيم (القرشي) من أعيان مشايخ المغرب ومصر لقي نحو ستمائة شيخ وجد واجتهد وأخذ عنه كثيرون منهم البوني وله كرامات كثيرة مات ببيت المقدس سنة تسع وتسعين وخمسمائة وقيل غير ذلك ودفن به ثم دفن بجانبه ابن رسلان وجربت استجابة الدعاء بين قبريهما (وهو أيضا من موجبات المحبة وأحكامها) لا تعريف لها (والمراد أن تهب ارادتك وعزماتك) بفتح الزاي جمع عزمة وهي الاجتهاد في الشيء والمحافظة عليه (وأفعالك ونفسك ومالك ووقتك لمن تحبه) والوقت عندهم عبارة عن حال في زمان الحال لا تعلق فيه بالماضي ولا الاستقبال فيقال فلان

وقته كذا أى حاله كذا ولذا قالوا الوقت ما أنت فيه ان كنت بالدنيا فوقتك الدنيا وان كنت بالعقبى فوقتك العقبى وان كنت بالسرور فوقتك السرور وان كنت بالحزن فوقتك الحزن فعنوا بذلك أن وقت الانسان هو حاله الغالبة عليه (وتجعلها) أى المذكورات (حبسا) بضمتين وتسكن الباء لغة وقفا (فى مرضاته) أى مقصورة على رضاه لا تتعداه الى غيره (ومحابه) ما يحبه هو (ولا تأخذ منها لنفسك الا ما أعطاكه فتأخذه منه له) لانه لم يبق لك منك شئ فأخذك ما أعطاك انما هو له (ومنها أن تمحو من القلب ما سوى المحبوب) حتى نفسك وذلك عند ما ينسى أوصاف نفسه فى ذكر محاسن حبه كما قيل

شاهدته وذهلت عن غيرة * منى عليه فذا المثنى مفرد

(وكمال المحبة يقتضى ذلك فانه ما دامت فى القلب بقية لغيره ومسكن لغيره فالمحبة مدخولة) أى مشوبة بغيرها ومتى كانت كذلك لم تكن حقيقية (ومنها أن تغار على المحبوب أن يحبه مثلك وهو للشبلى) أبى بكر دلف بن جحدر وقيل اسمه جعفر بن يونس وقيل غير ذلك صحب الجنيد والنساج وطبقتهما وصار أوحد وقته علما وحالا وتفقه على مذهب مالك وكتب حديثا كثيرا ثم شغلته العبادة عن الرواية مات سنة أربع وثلاثين وثلثمائة عن سبع وثمانين سنة ودفن بمقبرة الخيزران ببغداد (ومراده احتقارك لنفسك واستصغارها أن يكون مثلك يحبه) لجلالته فيغار عليه من أن ينسب له الشئ الحقير (ومنها غض طرف المحب عما سوى المحبوب غيرة) مفعول له (وعن المحبوب هيبة) أى لاجل الغيرة والهيبة (وهذا يحتاج الى ايضاح أما الاول فظاهر وأما الثانى فان غض طرف القلب عن المحبوب مع كمال محبته كالمستحيل) اذ أصل معنى المحبة ميل القلب فكيف يصرفه عنه (ولكن عند استيلاء سلطان المحبة يقع مثل هذا) بدون اختيار كأنه لا يدرى ما هو عليه (وذلك من علامات المحبة المقارنة للهيبة والتعظيم) للمحبوب (ومنها ميلك الى الشئ) الذى تحبه (بكليتك) بجملتك (ثم ايثارك له على نفسك وروحك ومالك ثم موافقتك له سرا وجهرا ثم علمك بتقصيرك فى حبه) وهذا بمعنى ما سبق عن القرشى لكن غرض المصنف بيان العبارات وان رجع بعضها الى بعض (قال الجنيد) أبو القاسم بن محمد البغدادى شيخ الطريقة العلم الشهير (سمعت الحرث) بن أسد البصرى (المحاسبى) قيل له ذلك لكثرة محاسبته لنفسه أولانه كان له حصى يعدها ويحسبها حال الذكر أو لغير ذلك صحب الشافعى وقيل بل عاصره وكان عابدا زاهدا ورعا اماما فى الاصول والفقه والحديث والتصوف والكلام صنف نحو مائتى مؤلف ومات ببغداد سنة ثلاث وأربعين ومائتين (يقول ذلك) المذكور فى معنى المحبة (ومنها) المحبة (سكر لا يصحو صاحبه الا بمشاهدة محبوبه) لانه عند الطائفة عبارة عن غيبة بوارد قوى والغيبة عدم الاحساس وذلك اذا كوشف بنعت الجمال سكر وطرب وهام قلبه (ثم السكر الذى يحصل عند المشاهدة) للمحبوب (لا يوصف) بل يجل عن الوصف (وأنشد بعضهم فأسكر القوم دور الكاس بينهم * لكن سكرى نشا من رؤية الساقى) فالصادق المحبة لا يتوقف سكره على كاس ولا غيرها بل بمجرد رؤية الحبيب يسكر سكرا يجل عن الوصف (ومنها سفر القلب) أى توجهه (فى طلب المحبوب ولهج

لسانه

لسانه بذكره على الدوام) بحيث لا يفتر عنه (أما سفر القلب في طلبه فهو الشوق الى لقائه) فكل حبيب يحب لقاء حبيبه وما أحسن قوله

وانى لاهوى الحشر اذ قيل انني * وعفراء يوم الحشر نلتقيان

وأحلى قول الآخر

ان كان يحلو لديك ظلمى * فزد من الهجر فى عذابى

عسى يطيل الوقوف بيني * وبينك الله فى الحساب

(وأما لهج اللسان بذكره فلا ريب أن من أحب شيأ أكثر من ذكره) وهو لفظ حديث رواه أبو نعيم ثم الديلمي من طريق مقاتل بن حيان عن داود بن أبي هند عن الشعبي عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم من أحب شيأ أكثر من ذكره (ومنها) المحبة (الميل الى ما يوافق الانسان) المحب وتكون موافقته له اما لاستلذاذه بادراكه منه أمرا محبوبا (كحب الصور الجميلة والاصوات الحسنة وغير ذلك) كالاطعمة والاشربة اللذيذة والروائح الطيبة والملابس الفاخرة (من الملاذ التي لا يخلو كل طبع سليم) من غلظ الطبع وفساد الحواس كالمريض يجد الحلو مرا لفساد ذوقه فلا يرد نقضا (عن الميل اليها لموافقتها له) طبعا (أو لاستلذاذه) أى وجود لذته وهي ادراك الملائم من حيث هو ملائم والالم ضده والمراد بالملائم للشئ كماله اللائق به كالتكيف بالحلاوة للذائق ونحوه من المحسوسات وكتعقل الاشياء على ما هي عليه بالقوة العاقلة وقيد الحيثية لان الشئ قد يكون ملائما من وجه دون آخر فاللذة حسية واليها أشار بقوله (كحب الصورة الجميلة) وعقلية وبينها بقوله (بادراكه بحاسته) بعد الوصول اليه لا قبله بمجرد تخيله بحاسة عقله وقلبه معانى لطيفة شريفة كحب الصالحين والعلماء وأهل المعروف كما فى الشفاء وفيه تسمح على رأى الحكماء لان المدرك عندهم القوى الباطنة فى الدماغ لا العقل المدرك للكليات لكن لما لم يثبتها أهل الشرع تسمح فيها (أو يكون حبه اياه لموافقته له) أى لملاءمته وموافقة طبعه (من جهة احسانه) انعامه وبذله وجوده (اليه) وفى نسخة له أى لاجل ذلك فقوله (وانعامه عليه) عطف تفسير (فقد جبلت) خلقت وطبعت (القلوب على حب من أحسن اليها وبغض من أساء اليها كما رواه أبو نعيم فى) كتاب (الحلية وأبو الشيخ وغيرهما) كابن حبان فى روضة العقلاء والخطيب فى تاريخ بغداد وآخرين عن ابن مسعود موقوفا وأخرجه ابن عدى والبيهقي وابن الجوزى عنه مرفوعا قال السخاوى وهو باطل موقوفا ومرفوعا وقول ابن عدى والبيهقي الموقوف معروف فيه تأمل فنى سندهما من اتهم بالكذب والوضع بسياق أجل الاعمش عن مثله وهو أنه لما ولى الحسن ابن عمارة مظالم الكوفة قال الاعمش ظالم ولى مظالم فبلغ الحسن فبعث اليه بأثواب ونفقة فقال الاعمش مثل هذا ولى علينا يرحم صغيرنا ويجود على فقيرنا ويوقر كبيرنا فقال له رجل ما هذا قولك بالامس فقال حدثني خيثمة عن ابن مسعود فذكره موقوفا وأخرجه القضاعى مرفوعا من جهة ابن عائشة عن محمد بن عبد الرحمن القرشي قال كنت عند الاعمش فقيل ان الحسن ولى المظالم فقال الاعمش يا عجبا من ظالم ولى المظالم ما للحائك ابن

قوله نلتقيان هكذا هذا البيت فى النسخ ولا يخفى أنه انما يقال تلتقى ولعله تلتقيان بالمثناة الفوقية أو التحتية ويكون فيه التفات عن التكلم الى الخطاب أو الغيبة تأمل اه مصححه

الحمائك والمظالم فأتيت الحسن فأخبرته فقال على بمنديل وأثواب فوجه بها اليه فبكرت الى الاعمش من الغد فأجريت ذكره فقال بخ بخ هذا الحسن بن عمارة ولى العمل وما زانه فقلت بالامس تقول ماقلت واليوم تقول هذا فقال دع عنك هذا حدثنى خيثمة عن ابن مسعود مر فوعا به فقد كان رحمه الله زاهدا ناسكا تاركا للدنيا حتى وصفه القائل بقوله ما رأيت الاغنياء والسلاطين عند أحد أحقر عنده منهم مع فقره وحاجته وقال آخر انه فقير صبور مجانب للسلطان ورع عالم بالقرآن انتهى وفى تذكرة ابن عبد الهادى قال مهنا سألت أحمد ويحيى عن هذا الحديث فقالا ليس له أصل وهو موضوع (واذا كان الانسان يحب من منحه) أى أعطاه (فى دنياه) أى حياته فى الدنيا (مرة أو مرتين معروفا) أى شيأ حسنا (فانيا منقطعا) أى زائلا فى زمن قليل (أو استنقذه نجاه (من مهلكة) أمر مهلك (أو مضرة) بفتح الميم والضاد أمر يضره ويؤذيه (لا تدوم) مدة ذلك (فما بالك بمن منحه منحا لا تبيد) بكسر الموحدة واسكان التحتية لا تذهب وتنفد (ولا تزول) عطف تفسير من نعيم الخلد فى الجنة (ووقاه) بالتشديد والتخفيف صانه (من العذاب الاليم) عذاب النار (ما لا يفنى ولا يحول) عنه الى غيره فهذا أحق أن يحب من كل شئ يحب حتى من نفسه وماله وأهله (واذا كان المحب يحب غيره على) أى لاجل (ما فيه من صورة جميلة وسيرة حميدة) كملك وقاض وان كان بعيد الدار عنه ولم يره (فكيف بهذا النبى الكريم والرسول العظيم) الذى لا أكرم ولا أعظم منه (الجامع لمحاسن الاخلاق والتكريم المانح) المعطى (لنا جوامع المكارم والفضل العميم فقد أخرجنا الله به من ظلمات الكفر الى نور الايمان) بالاضافة البيانية فيهما أو من اضافة الاعم الى الاخص (وخلصنا به من نار الجهل الى جنات المعارف والايقان فهو السبب لبقاء مهجتنا) بضم ففتح (البقاء الابدى) الدائم (فى النعيم السرمدى) المتواصل الذى لا ينقطع (فأى احسان أجل قدرا) رتبة (وأعظم خطرا) بفتح الخاء المعجمة والطاء المهملة أى قدرا أو شرفا غاير بينهما تفننا (من احسانه الينا) معاشر المؤمنين وخصهم لانهم هم المنتفعون به وان كان احسانه عاما وأى للتعظيم والتفخيم كما يقال عندى رجل أى رجل أى كامل الرجولية (فلا منة وحياته) قسمى (لاحد بعد الله كماله علينا ولا فضل لبشر) ولا الملك (كفضله لدينا) عندنا وقيد بالبشر لانه المشاهد فضله (فكيف تنهض) نقوم بسرعة (ببعض شكره) على ما أولانا (أو كيف (نقوم من واجب حقه بمعشار عشره فقد منحنا الله به منح الدنيا والآخرة وأسبغ) أوسع وأتم (علينا) بسببه (نعمه) أى الله (باطنة) وهى المعرفة وغيرها (وظاهرة) حسن الصورة وتسوية الاعضاء (فاستحق صلى الله عليه وسلم أن يكون حظه) نصيبه (من محبتنا له أوفى) أتم (وأزكى) أطهر (من محبتنا لانفسنا وأولادنا وأهلينا وأموالنا والناس أجمعين) عطف عام على خاص وهو كثير (بل) انتقال (لو كان فى كل منبت) محل نبات (شعرة منا محبة تامة له صلوات الله وسلامه عليه لكان ذلك بعض ما يستحقه علينا وقد روى أبو هريرة أنه صلى الله عليه وسلم قال لا يؤمن) ايمانا

كاملا (أحدكم) خطاب للحاضرين عام فيهم وفي غيرهم بقياسهم عليهم بطريق المساواة بجامع العلة أو تنزيلا لهم منزلة المخاطبين وتوجه الكلام لجملتهم مجازا من باب الاستعارة التمثيلية ويؤيد عمومه رواية مسلم لا يؤمن الرجل وفي رواية الاصيلي لا يؤمن أحد وزعم أن في مسلم لا يؤمن عبد وابن حبان لا يبلغ عبد حقيقة الايمان غلط فانما فيهما ذلك في حديث حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه (حتى أكون أحب) أفعل بمعنى مفعول وهو مع كثرته على خلاف القياس وفصل بينه وبين معموله بقوله (اليه) لان الممتنع الفصل باجنبي قاله الحافظ وقال المصنف لانه يتوسع في الظرف ما لا يتوسع في غيره (من والده) أي ابيه قال الحافظ وهل تدخل الام في لفظ والده ان أريد به من له الولد فيعم أو اكتفى بذكر أحدهما كما يكتفى عن أحد الضدين بالآخر ويكون ما ذكر على سبيل التمثيل والمراد الاعزة كأنه قال أحب اليه من أعزته (وولده) ذكرا أو أنثى (رواه البخاري) من حديث أبي الزناد عن الاعرج عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال والذي نفسي بيده لا يؤمن فذكره وهو عن أبي هريرة من أفراد البخاري ورواه هو ومسلم من حديث أنس (وقدم الوالد للاكثرية لان كل أحد له والد من غير عكس) أو نظرا الى جانب التعظيم أو لسبقه بالزمان قاله المصنف (وفي رواية النسائي) لحديث أنس (تقديم الولد على الوالد وذلك لمزيد الشفقة) ونطق صلى الله عليه وسلم عند كل من أبي هريرة وأنس بما رواه عنه فلا خلف وليس أحدهما بالمعنى لاختلاف المخرج وأفاد الحافظ أن الروايات لم تختلف في حديث أبي هريرة (وزاد في رواية عبد العزيز بن صهيب) بضم المهملة وفتح الهاء وسكون التحتية وموحدة البناني بضم الموحدة نسبة الى بنانة بطن من قريش التابعي كأبيه (عن أنس) عند البخاري ومسلم لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من والده وولده (والناس أجمعين) دخل في عمومه النفس على الظاهر وقيل اضافة المحبة اليه تقتضي خروجه منهم وهو بعيد وقد نص على النفس في حديث عبد الله ابن هشام كما يأتي انتهى ووجه بعده أن اللفظ عام وما ذكر ليس من المخصصات وحينئذ فلا يخرج (وفي صحيح) محمد (بن خزيمة) المعروف بامام الائمة من طريق عبد العزيز بن صهيب عن أنس مرفوعا لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه (من أهله وماله بدل والده وولده) وكذا لمسلم من طريق ابن علية والاسماعيلي من طريق عبد الوارث بن سعيد كلاهما عن عبد العزيز عن أنس بلفظ لا يؤمن الرجل قال الحافظ وهو أشمل من جهة وأحدكم أشمل من جهة وأشمل منهما رواية الاصيلي لا يؤمن أحد (وذكر الوالد والولد أدخل في المعنى) أي أنسب بالمعنى الذي الكلام فيه (لانهما أعز على العاقل من الاهل والمال بل ربما يكونان أعز من نفسه ولهذا لم يذكر النفس في حديث أبي هريرة) بل قال من والده وولده فقط (وذكر الناس بعد الوالد والولد) في حديث أنس عند الشيخين كما علم (من عطف العام على الخاص) وهو كثير كما في الفتح فمحبة الوالد محبة اجلال ومحبة الولد رحمة وشفقة والناس محبة احسان وقد ينتهي المحب في المحبة الى أن يؤثر هوى المحبوب على هوى نفسه فضلا عن ولده بل يحب أعداء نفسه لمشابهتهم محبوبه قال

أشبهت أعدائي فصرت أحبهم * اذ صار حظي منك حظي منهم

(قال الخطابي) والمراد بالمحبة هنا حب الاختيار) الذي يقتضي العقل ايثاره وان خالف الطبع كمحبة المريض الدواء (لا حب الطبع) الذي لا يدخل تحت اختيار فانه لا يؤاخذ به لعدم دخوله تحت استطاعته (وقال النووي فيه تلميح الى قضية النفس الامارة) المائلة بطبعها الى الشهوات وتهيم بها وتستعمل القوى والجوارح في اثرها كل الاوقات (والمطمئنة) بذكر الله فان النفس تترقى في الاسباب والمسببات الى الواجب لذاته فتستقر دون معرفته وتستغني به عن غيره أو الى الحق بحيث لا يريبها شك والآمنة التي لا يستفزها خوف ولا حزن قاله البيضاوي (فان من رجح جانب المطمئنة كان حبه للنبي صلى الله عليه وسلم راجحا) حتى على نفسه (ومن رجح جانب الامارة كان حبه بالعكس) أي مرجوحا (وفي كلام القاضي عياض) اشارة الى (أن ذلك شرط في صحة الايمان لانه حمل المحبة على معنى التعظيم والاجلال) باعتقاد عظمته وجلاله صلى الله عليه وسلم وحمله على ذلك يلزم منه التنقيص عند ضد التعظيم وهو كفر فلذا قال شرط في صحة الايمان (وتعقبه صاحب المفهم) أبو العباس أحمد بن محمد القرطبي مرت ترجمته في شرح مسلم (بأن ذلك ليس مرادا هنا لان اعتقاد الاعظمية ليس مستلزما للمحبة اذ قد يجد الانسان اعظام شيء مع خلوه من محبته) بأن لا يحبه ولا يبغضه أو يعظمه مع بغضه يعني فكما لا يلزم من الاعظمية المحبة لا يلزم من ضدها البغضاء قال شيخنا هو كذلك عقلا وأما بحسب العرف فالعادة قاضية بأن من اعتقد عظمة انسان أحبه (قال) صاحب المفهم (فعلى هذا من لم يجد من نفسه ذلك الميل لم يكمل ايمانه) فقط لا انه كافر (والى ذلك يومئ قول عمر بن الخطاب في الحديث الذي رواه البخاري في) كتاب (الايمان والنذور) من صحيحه (من حديث عبد الله بن هشام) بن زهرة بن عثمان التيمي صحابي صغير مات في خلافة معاوية وأبوه صحابي (ان عمر بن الخطاب قال للنبي لانت يا رسول الله) لفظه عن عبد الله بن هشام قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب فقال له عمر يا رسول الله والله لانت (أحب الي) بشد الياء واللام لتأكيد القسم (من كل شيء) في الدنيا وغيرها (الا) من (نفسي التي بين جنبي) بشد الياء مثنى لان بين لا تضاف الا لمتعدد وهذا كناية عن السر الذي قامت به الحياة وأضافه الى الجنبين لجري العادة بسلب الحياة بسلب ما بينهما وهو القلب وما يتعلق به من سائر الاعضاء الرئيسة (فقال النبي صلى الله عليه وسلم لن يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من نفسه فقال عمر) مؤكدا بالقسم تحقيقا لخلوص طويته في قوله (والذي أنزل عليك الكتاب) أوحى اليك القرآن (لانت أحب الي من نفسي التي بين جنبي فقال له النبي صلى الله عليه وسلم الآن) عرفت فنطقت بكمال الايمان فهو متعلق بمقدر وهو مبني على الفتح وأل فيه لازمة وهو الزمان الحاضر وصرح بقوله (يا عمر) اشارة الى وصوله لرتبة علية تخصه بالنسبة لبعض من عداه أي لا تكفيك الرتبة الاولى ولا يليق بعلو همتك الاقتصار عليها (فهذه المحبة ليست باعتقاد الاعظمية فقط فانها كانت حاصلة لعمر قبل ذلك قطعا) بدليل قوله أحب الي من

ل

كل شئ (وفى رواية فقال النبى صلى الله عليه وسلم) لعمر (لا) يكمل ايمانك (والذى نفسى بيده) أى بقدرته أو هو من المتشابه المفوض علمه لله وهو أسلم وأقسم تأكيدا وفيه جواز الحلف على الامر المبهم للتوكيد وان لم يكن هناك محالف (حتى أكون أحب اليك من نفسك) فقال له عمر فانه الآن والله لأنت أحب الى من نفسى فقال صلى الله عليه وسلم الآن يا عمر هذا بقية هذه الرواية فى البخارى (قال بعض الزهاد تقدير الكلام فى قوله لا حتى أكون (لا تصدق فى حبى حتى تؤثر رضاى على هواك وان كان فيه الهلاك) بالجهاد أو اماتة النفس (وأما وقوف عمر فى أول أمره واستثناؤه نفسه فلان حب الانسان نفسه طبع) لا يسلم منه الا من ملك نفسه وجاهدها (وحب غيره اختيار بتوسط الاسباب) المؤدية الى ذلك (وانما أراد عليه الصلاة والسلام منه حب الاختيار اذ لا سبيل الى قلب الطباع) أى لا طريق الى تحويلها عما تهواه (وتغييرها عما جبلت عليه) لانه لا يدخل تحت الاستطاعة فليس مكلفا به ولا مؤاخذا بعدمه (وعلى هذا فجواب عمر كان أولا بحسب الطبع) الذى جبل عليه الانسان من ترجيح نفسه وتقديمها (ثم تأمل فعرف بالاستدلال أن النبى صلى الله عليه وسلم أحب اليه من نفسه لكونه السبب فى نجاتها من المهلكات فى الدنيا والآخرة فأخبره بما اقتضاه الاختيار) الناشئ من التفكر (فلذلك حصل الجواب بقوله) صلى الله عليه وسلم (الآن يا عمر أى الآن عرفت فنطقت بما يجب) وحال عمر أنه لا يفعل غير ما وجب عليه لانه منهى عنه اذ الامر بالشئ الموجب له نهى عن ضده (واذا كان هذا شأن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم عبد الله ورسوله فى محبتنا له ووجوب تقديمها على أنفسنا وأولادنا ووالدينا والناس أجمعين فما الظن) استفهام تعظيم أى أى ظن تظنه أى لا تظن الا أعظم ظن (بمحبة الله تعالى ووجوب تقديمها على محبة ما سواه) والى هذا أشار صلى الله عليه وسلم بقوله أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه وأحبونى لحب الله وأحبوا أهل بيتى لحبى أخرجه الترمذى والحاكم وصححاه عن ابن عباس (ومحبة الله تعالى تختص عن محبة غيره فى قدرها وصفتها و) فى (افراده سبحانه وتعالى بها فان الواجب له من ذلك أن يكون أحب الى العبد من ولده ووالده بل من سمعه وبصره ونفسه التى بين جنبيه فيكون الهه الحق ومعبوده أحب اليه من ذلك كله) ولا اشكال لاحد عن الاحتياج اليه (والشئ قد يحب من وجه دون وجه) كحب العالم لعلمه وكراهته لجهله مثلا (وقد يحب لغيره وليس شئ يحب لذاته من كل وجه الا الله تعالى وحده) قال ابن عطاء الله ما من وقت ولحظة الا وهو مورد عليك فيهما نعما يجب حبه وشكره عليها اذا نما فى قات حق وقت لا يمكن قضاؤه أبدا اذ ما من وقت الا وله عليك فيه حق جديد وهو الشكر وأمر أكيد وهو الاستغفار والتجريد وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها (ولا تصلح الالوهية) أى العبادة (الا له والتأله) أى التعبد (هو المحبة والطاعة والخضوع) والغرض من هذه الجملة بعد ما تقدم التنبيه على استحقاقه الكمال المطلق فلا يشاركه أحد فى شئ من صفاته الا فى مجرد الاسم ان اتفق ذلك ولما كان هذا نتيجة الاسباب المحصلة لمحبة الله تعالى كما قال بعد ان هذا ثمرة المعرفة عطفه بالواو فى قوله ولا تصلح ولم يقل اذ المقتضية للعلة لما قبلها غائية أو

غير غائية لان ذلك يقتضي سبق معرفة العلة الغائية أو غيرها على الاسباب المحصلة (ومن علامات الحب المذكور لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعرض) بفتح الياء وكسر الراء أى يظهر ويبرز (الانسان على نفسه أن لو خير بين فقد غرض من اغراضه أو فقد رؤية النبى صلى الله عليه وسلم أن لو كانت ممكنة) أى سهلة فى نفسها بحيث يتمكن منها اذا أرادها فليس المراد بالامكان ما قابل الاستحالة (فان كان فقدها أن لو كانت ممكنة أشد عليه من فقد غرض من أغراضه فقد اتصف بالاحبية المذكورة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ومن لا) يكن ذلك أشد (فلا) يتصف بالاحبية المذكورة وهذا ذكره الحافظ وزاد وليس ذلك محصورا فى الوجود والفقد بل يأتى مثله فى نصرة سنته والذب عن شريعته وقمع مخالفيها ويدخل فيه باب الامر بالمعروف والنهى عن المنكر قال وفى هذا الحديث ايماء الى فضيلة التفكر فان الاحبية المذكورة تعرف به وذلك أن محبوب الانسان اما نفسه واما غيرها أما نفسه فهو أن يريد دوام بقائها سالمة من الآفات هذا هو حقيقة المطلوب وأما غيره فاذا حقق الامر فيه فانما هو بسبب تحصيل نفع ما على وجوهه المختلفة حالا ومآلا فاذا تأمل النفع الحاصل له من جهة رسول الله صلى الله عليه وسلم اما بالمباشرة واما بالسبب علم انه سبب بقاء نفسه البقاء الابدى فى النعيم السرمدى وعلم أن نفعه بذلك أعظم من جميع وجوه الانتفاعات فاستحق لذلك أن يكون حظه من محبته أوفر من غيره لان النفع الذى يثير المحبة حاصل منه أكثر من غيره ولكن الناس يتفاوتون فى ذلك بحسب استحضار ذلك والغفلة عنه (قال القرطبى) أبو العباس فى المفهم (كل من آمن بالنبى صلى الله عليه وسلم ايمانا صحيحا لا يخلو عن وجدان شئ من تلك المحبة الراجحة غير أنهم متفاوتون) فيها بحسب الاستحضار والغفلة (فمنهم من أخذ من تلك المرتبة بالحظ الاوفى ومنهم من أخذ بالحظ الادنى كمن كان مستغرقا فى الشهوات محجوبا بالغفلات فى أكثر الاوقات لكن الكثير منهم اذا ذكر النبى صلى الله عليه وسلم اشتاق الى رؤيته) والشوق انجذاب النفس فى الغيبة فهو أخص من المحبة لانها تكون فى الحضور والغيبة (بحيث يؤثرها على أهله وماله وولده ويبذل نفسه) يعطيها بسهولة ويلقيها (فى الامور الخطيرة) بمعجمة فمهملة الشاقة الصعبة (ويجد رجحان ذلك من نفسه وجدانا لا تردد فيه) ولا شك (وقد شوهد من هذا الجنس من يؤثر زيارة قبره و) يؤثر (رؤية مواضع آثاره على جميع ما ذكر) فيذهب الى ذلك يبدون مراعاة المذكور (لما وقر) ثبت (فى قلوبهم من محبته غير أن ذلك سريع الزوال لتوالى الغفلات انتهى) كلام القرطبى (ملخصا فكل مسلم) كائن وثابت (فى قلبه محبة الله ورسوله) اذ (لا يدخل الاسلام الا بها ولكن الناس متفاوتون فى محبته صلى الله عليه وسلم بحسب استحضار ما وصل اليهم من جهته من وجوه النفع الشامل لخير الدارين) وهو أعظم من جميع وجوه الانتفاعات (و) بحسب (الغفلة عن ذلك) الاستحضار (ولا شك أن حظ الصحابة رضى الله عنهم فى هذا المعنى أتم لان هذا ثمرة المعرفة وهم بها أعلم) من غيرهم والله الموفق هذا وقد نقل المصنف بعد نحو كراس كلام سهل الذى نقله الشارح هنا عن الشفاء (وقد روى ابن اسحق) محمد امام المغازى فى السيرة (كما حكاه فى الشفاء

أن امرأة من الانصار) لم تسم ولفظ ابن اسحق حدثنى عبد الواحد بن أبى عون عن اسمعيل بن محمد بن سعد بن أبى وقاص قال مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بامرأة من بنى دينار وقد (قتل أبوها وأخوها وزوجها) شهداء (يوم أحد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت) لما نعوا لها (ما فعل رسول الله) هكذا فى أكثر النسخ وهو الموجود فى الشفاء وابن اسحق رسول بلا باء وليس المراد السؤال عن فعله حقيقة وانما المراد السؤال عن سلامته وحياته وعبرت بذلك تأدبا لان الفعل يستلزم الحياة فأريد لازمه وفى بعض نسخ المصنف برسول الله (صلى الله عليه وسلم) بالباء (قالوا) فعل (خيرا) والمراد أنه بخير ولذا قالوا (هو بحمد الله كما تحبين) أى سالم منصور مظفر (قالت ارونيه) بالجمع وهو ما رأيته فى ابن اسحق وفى نسخة أرنيه بالافراد خطابا لمن سألته (حتى انظر اليه) فان الخبر ليس كالعيان قال فى الرواية فأشير لها اليه (فلما رأته قالت كل مصيبة بعدك) أى بعد سلامتك ورؤيتك (جلل) بفتح الجيم واللام (تعنى صغيرة) وفى النهاية وغيرها أى هين حقير والمعنى متقارب وفى سيرة ابن هشام الجلل من القليل والكثير وهو هنا من القليل كقول امرئ القيس

لقتل بنى أسد ربهم * ألا كل شئ سواه جلل

ومن الكثير قول الحرث بن وعلة قال

ولئن عفوت لاعفون جللا * ولئن سطوت لاوهنن عظمى

(ورواه البيهقى فى دلائله) النبوية من طريق ابن اسحق (وذكره صاحب البيان بلفظ لما قيل يوم أحد قتل محمد عليه الصلاة والسلام وكثرت الصوارخ) الصائحون (بالمدينة) من هول هذا الخبر (خرجت امرأة من الانصار فاستقبلت) ضمنه معنى اشتغلت فعداه بالباء فى قوله (بأخيها وأبيها وابنها وزوجها) فزاد ابنها على الرواية السابقة (فتلى لا تدرى بأيهم استقبلت وكلما مرت بواحد منهم صريعا قالت من هذا قالوا أخوك وأبوك وزوجك وابنك قالت فما فعل النبى صلى الله عليه وسلم) أى ما الذى قام به (فيقولون امامك حتى ذهبت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذت بناحية ثوبه ثم جعلت تقول) أفديك (بأبى أنت وأمى يا رسول الله لا أبالى) لا أكترث ولا أهتم (اذ سلمت) أنت من القتل (من عطب) بكسر الطاء أى هلك (وكذا رواه ابن أبى الدنيا) عبد الله بن محمد الحافظ الشهير (بنحوه مختصرا وقال عمرو بن العاصى) بالياء وحذفها (ما كان أحد أحب الى من رسول الله صلى الله عليه وسلم) ولا أجل فى عينى منه وما كنت أطيق أن أملا عينى منه اجلالا له حتى لو قيل لى صفه ما استطعت أن أصفه أخرجه مسلم فى حديث طويل (وقال على بن أبى طالب) وقد سئل كيف كان حبكم لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب الينا من أموالنا وأولادنا وآبائنا وأمهاتنا) بضم الهمزة وكسرها مع فتح الميم وكسرها جمع أمهة لغة فى أم لكنها تختص ببنى آدم قال أمهتى خندف والياس أبى ويقال فى البهائم أمات (و) أحب (من الماء البارد على الظما) بقصره أفصح من مده أى شدة العطش خصه لانه

حال محبة الماء وشدة الرغبة فيه وأعاد الجار لانه نوع آخر مما يحب ولشدة نفعه (و) روى البيهقى عن عروة قال (لما أخرج أهل مكة زيد بن الدثنة) بن معاوية بن عبيد بن معاوية ابن عامر بن بياضة الانصارى البياضى شهد بدرا وأحدا (بفتح الدال المهملة وكسر المثلثة وتشديد النون) وقد تسكن المثلثة وتخفف النون وهاء تأنيث اسم والدة من قولهم دثن الطائر اذا طار حول وكره ولم يسقط عليه أو من دثن اذا اتخذ عشا وكان قد أسر يوم الرجيع مع خبيب بن عدى فاشترى صفوان بن أمية زيدا وغيره خبيبا وذلك فى ذى القعدة سنة ثلاث فحبسا بمكة حتى خرجت الاشهر الحرم فخرجوا بهما (من الحرم) تعظيما له لانهم كانوا لا يقتلون فيه واجتمع هو وخبيب فى الطريق فتواصوا بالصبر والثبات على ما يلحقهما من المكاره (ليقتلوه) بالتنعيم (قال له أبو سفيان بن حرب) وهو يومئذ مشرك (أنشدك) بفتح الهمزة وضم الشين أسألك (بالله يا زيد أتحب أن محمدا الآن عندنا مكانك نضرب عنقه وانك فى أهلك فقال زيد) مؤكدا بالقسم (والله ما أحب أن محمدا الآن فى مكانه الذى هو فيه) مقيم (تصيبه شوكة) أى أقل شئ من الاذى فضلا عما قلتم (وانى جالس فى أهلى) سالم من الاذى (فقال أبو سفيان ما رأيت أحدا من الناس) ما نافية لا تعجبية وان كان مراده التعجب من شدة حبهم له (يحب أحدا كحب أصحاب محمد محمدا) مفعول المصدر وهو حب ثم قتله نسطاس مولى صفوان وأسلم بعد رضى الله عنهما وفى رواية انهم ناشدوا بذلك خبيبا فقال والله ما أحب أن يفدينى بشوكة فى قدمه ولا خلف فقد يكونون قالوه لخبيب وقاله أبو سفيان لزيد ومر بسط القصة فى المغازى (وروى) عند الطبرانى فى الصغير عن عائشة وابن مردوية عن ابن عباس (مما ذكره القاضى عياض ان رجلا) ثوبان أو عبد الله بن زيد على ما يأتى (أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله لانت) اللام فى جواب قسم مقدر (أحب الى من أهلى ومالى وانى لاذكرك) أى أتذكرك فى ذهنى وأتصورك أو أذكر اسمك وصفاتك فهو من الذكر بالكسر أو الضم (فما أصبر) أى لا أستطيع الصبر عنك أى عن رؤيتك لشدة حبى لك (حتى أجئ فأنظر اليك) فيطمئن قلبى وتقر عينى برؤيتك (وانى ذكرت موتى وموتك) أى مكانى ومكانك بعد الموت (فعرفت) تحققت (انك اذا دخلت الجنة) بعد الموت (رفعت) الى الدرجات العلا (مع النبيين) صلوات الله عليهم أجمعين (وان دخلتها) انا بضم التاء (لا أراك) بعد الدخول لانك فى مقام لا يصل اليه غيرك وعبر فى جانبه صلى الله عليه وسلم باذا لتحقق دخوله الجنة ورفعته فيها وفى جانبه هو بان لعدم جزمه فى نفسه بذلك (فأنزل الله تعالى ومن يطع الله والرسول) بامتثال أمره ونهيه ويلزمه محبته له أيضا ولم تذكر لتحققها الذكر الرجل لها والعلم بخلوصه فيها (فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم) بنعيم الجنة وعالى مراتبها نفسه تبشير له بمرافقة أكرم خلق الله وأقربهم وأرفعهم منزلة (من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين) بيان للمنعم عليهم بما أخفى لهم من قرة أعين (وحسن أولئك) تعجب أى ما أحسنهم (رفيقا) تمييز ولم يجمع لوقوعه على الواحد وغيره أو لارادة كل واحد منهم (فدعا به) طلب حضوره (فقرأها

قوله فتواصوا هكذا فى النسخ ولعل صوابه فتواصيا كما لا يخفى ويؤيده قوله بعده يلحقهما بضمير التثنية اهـ مصححه

عليه) جوابا له وتبشيرا والمراد بالمعية والمرافقة كونه فى الجنة يستمتع فيها برؤيتهم وزيارتهم والحضور معهم متى شاء لا التسوية فى المنزلة (قال) عياض (وفى حديث آخر كان رجل عند النبى صلى الله عليه وسلم) أى ملازما لمجلسه (ينظر اليه) أى يديم النظر الى وجهه الوجيه (لا يطرف) بفتح الياء وسكون الطاء وكسر الراء المهملتين وفاء أى لا يصرف طرفه عن النظر اليه أولا يطبق أحد جفنيه على الآخر ويغض بصره وظاهر قول بعضهم أى لا يغض بصره مطرقا راميا بصره الى الارض انه من أطرق بضم أوله وقاف وهو صحيح أيضا قال بعضهم لكنى لا أعرف هل هو رواية أو تحرف عليه أو تسامح فى تفسيره (فقال) له صلى الله عليه وسلم (ما بالك) أى ما شأنك حتى تحد النظر وتديمه كالمبهوت (قال) أفديك (بأبى أنت وأمى أتمتع من النظر) لفظ الشفاء بالنظر (اليك) أى أتلذذ بادامة نظرى فى وجهك ما دام ممكنا فى الدنيا لانتفع به وأتزود منه (فاذا كان) وجد (يوم القيامة رفعك الله) الى الدرجات العالية فى الجنة (بتفضيله) لك على جميع خلقه والباء للسببية (فأنزل الله الآية) المذكورة (وذكره البغوى) محيى السنة الحسين بن مسعود أحد الحفاظ (فى تفسيره) بلا عزو (بلفظ نزلت أى الآية فى ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم) اشتراه وأعتقه فلازمه حضرا وسفرا وخدمه حتى مات فتحول الى الرملة ثم حمص فمات بها سنة أربع وخمسين (وكان شديد الحب لرسول الله صلى الله عليه وسلم قليل الصبر عنه فأتاه ذات يوم وقد تغير لونه) وعند الثعلبى تغير وجهه ونحل جسمه يعرف الحزن فى وجهه (فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما غير لونك فقال يا رسول الله ما بى مرض) مطلق علة (ولا وجع) أى مرض مؤلم ويقع أيضا على كل مرض ولا يراد هنا المغايرة (غير انى اذا لم أرك استوحشت وحشة شديدة) أى حصل لى انقطاع وبعد قلب عن الود وعدم استئناس (حتى ألقاك) فتزول وحشتى (ثم ذكرت الآخرة) أى فكرت فى أمرها (فأخاف أن لا أراك لانك ترفع مع النبيين) فى اعلى الدرجات (وانى ان دخلت الجنة فى منزلة أدنى من منزلتك) فتقل رؤيتى لك بدليل قوله (وان لم أدخل الجنة لا أراك أبدا فنزلت هذه الآية) المذكورة (وكذا ذكره الواحدى فى) كتاب (أسباب النزول وعزاه الكلبى) محمد بن السائب (عن ثوبان) الصحابى المذكور وذكره شيخه الثعلبى فى تفسيره بلا اسناد ولا راو (وقال قتادة) كما أسنده ابن جرير (قال بعض أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم كيف يكون الحال فى الجنة وأنت فى الدرجات العلا ونحن أسفل منك فكيف نراك فأنزل الله الآية) المذكورة (وذكره ابن ظفر) محمد (فى ينبوع الحياة) اسم تفسيره وأسنده البيهقى (بلفظ ان عامر) بالنصب وان رسم بصورة الرفع بلا ألف على لغة ربيعة أو حذفت الالف للتخفيف كقوله ولا ذاكر الله الا قليلا ولا يختص ذلك بالضرورة خلافا لزاعمه وفى نسخة بالالف ولعلها اصلاح والا فالنسخ القديمة بدونها وكذا فى نسخة الشيخ الجارحى تلميذ المصنف وعليها خط المؤلف (الشعبى) التابعى فهو مرسل (قال ان رجلا من الانصار) فهو غير ثوبان لانه ليس من الانصار ويأتى انه ابن زيد (أتى الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال له

والله لأنت يا رسول الله أحب الي من نفسي ومالي وولدي وأهلي ولولا اني آتيك فأراك
لرأيت أن أموت أو قال أن سوف أموت) شك من الراوي (وبكى الانصاري فقال له
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أبكاك قال بكيت) لاجل (أن ذكرت انك تموت) بالتاء
أنت (ونموت) بالنون أوله نحن (وترفع) أنت (مع النبيين ونكون نحن ان دخلنا الجنة
دونك) فتتعذر أو تقل رؤيتنا لك (فلم يحر) بفتح التحتية وضم الحاء المهملة وبالراء
من حار اذا رجع وبضم الياء وكسر الحاء من أحار الجواب رده (النبي صلى الله عليه
وسلم اليه بشيء) ومقتضى قوله (أي لم يرجع اليه) انه بالضبط الاول اذ هو تفسير ليحر
(بقول) تفسير لقوله بشيء (فأنزل الله الآية قال) ابن ظفر (وذكر مقاتل بن سليمان مثل
هذا وقال هو) أي الرجل الانصاري (عبد الله بن زيد بن عبد ربه الانصاري) الخزرجي
(الذي رأى الاذان) مات سنة اثنتين وثلاثين وقيل استشهد بأحد (وذكر) ابن ظفر
(أيضا أن عبد الله بن زيد هذا كان يعمل في جنة) بستان (له فأتاه ابنه فأخبره أن النبي
صلى الله عليه وسلم توفي فقال اللهم أذهب بصري حتى لا أرى بعد حبيبي محمد أحدا
فكف بصره) عمي وفي الحديث ان منكم معشر الانصار من لو أقسم على الله لأبره
وفي تفسير القرطبي انه صلى الله عليه وسلم لما قرأ الآية على الرجل دعا الله أن يعميه حتى
لا يرى أحدا غيره في الدنيا فعمي مكانه وتقدم مزيد لهذا في النوع السابع من المقصد
السادس ويأتي له ان شاء الله تعالى مزيد في المقصد العاشر (واعلم أنه لا يجتمع في القلب
حبان فان المحبة الصادقة) أي الخالصة التي لا يشوبها رياء ولا مداهنة ويعرف ذلك
بالقرائن والاحوال ووصفها بذلك تنزيلا لدلالتها على صدق صاحبها منزلته ووصف غير
العاقل بالصدق وهو الاخبار بما يطابق الواقع كثير في كلامهم ومنه صدق القتال اذا قوي
واشتد (تقتضي توحيد المحبوب) أي جعله واحدا بحيث لا تتعلق محبته بغيره فاذا تعلق
قلب انسان بمحبة شخصين لم تكن محبته لواحد منهما صادقة فان أراد صدقها (فليختر المرء
لنفسه احدى المحبتين) المتعلقتين بالشخصين بالاقتصار على محبة واحد منهما (فانهما
لا يجتمعان في القلب والانسان عبد محبوبه) منقاد اليه مسلم له جميع أموره فيصير معه
كعبد عامل بمقتضى العبودية من انقياده الى سيده ظاهرا وباطنا وحرصه على طاعته
وفعل مراده وان لم يأمره (كائنا ما كان كما قيل) قائله ابن الفارض (أنت القتيل بأي
من أحببته *) لاستيلاء الحب عليك فتفنى في حبه بالانقياد له فتصير كالميت الذي لا قدرة له
على فعل شيء فكأن المحبوب أزال شعور المحب لاستفراغه في هواه (فاختر لنفسك
في الهوى من تصطفي) أي من تعده صافيا في الدين بحيث يحملك على ملازمة الطاعة سرا
واعلانا وليس المراد من تختار لانه يصير في غاية الركة كأنه قال اختر من تختار (ولبعض
الحكماء كما أن الغمد) بكسر الغين المعجمة (لا يتسع لعضبين) بفتح المهملة واسكان المعجمة
تثنية عضب وهو السيف القاطع تسمية بالمصدر فهو أخص من مطلق السيف (فكذلك
القلب لا يتسع لمحبتين ولذلك لازم اقبالك على من تهواه اعراضك عن كل شيء سواه فغير
داهن في المحبة) أي أظهر خلاف ما يبطن (أو داجي) بأن داري والمراد بها الاخذ للشيء

والتوصل اليه بحيلة (فقد عرّض لمدى) بضم الميم جمع مدية السكين (الغيرة أوداجا) جمع ودج أي العروق المكتنفة ثغرة النحر يمينا وشمالا والمعنى من لم يخلص المحبة عرّض نفسه لاسباب الهلاك الناشئة من غيرته على حبه لعدم وصوله لمراده منه فيصاب بأسباب قاتلة كالمدى في شدة تأثيرها في البدن (فمحبة الرسول عليه الصلاة والسلام بل تقديمه في الحب على الانفس والآباء والابناء لايتم الايمان الابها) أي لا يوجد ولا يكمل فاستعمله بمعنى الوجود فيما قبل الاضراب وبمعنى الكمال فيما بعده (اذ محبته من محبة الله تعالى) الواجبة لذاته كما مرّ (وقد حكى عن أبي سعيد) ابراهيم وقيل أحمد بن عيسى البغدادي (الخراز) بالخاء المعجمة وشد الراء فألف فزاي منقوطة نسبة الى خرز جلود القرب ونحوها من ائمة القوم وجلة المشايخ قيل وهو أول من تكلم في علم الفناء والبقاء وقيل فيه قمر الصوفية صحب السري وذا النون المصري وبشرا الحافي وغيرهم قال الجنيد لو طالبنا الله بحقيقة ما عليه أبو سعيد لهلكنا أقام كذا وكذا سنة ما فاته ذكر الله بين الخرزتين مات سنة سبع وسبعين وقيل سنة ست وثمانين ومائتين ومرّت ترجمته أيضا (مما ذكره القشيري) أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن الامام العلامة المفسر المحدث الولي الذي ما رأى الراؤن مثله مرّ بعض ترجمته (في رسالته انه) أي أبا سعيد (قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فقلت يا رسول الله اعذرني) بكسر الهمزة وسكون العين وكسر الذال المعجمة وهمزته همزة وصل من عذر كضرب وبفتح الهمزة وكسر الذال وهمزته همزة قطع من أعذر وهما لغتان سوّى بينهما المجد ولم نر ضم الهمزة والذال والمعنى اقبل عذري فلا تؤاخذني بتقصيري وارفع اللوم عني (فان محبة الله شغلتني عن محبتك فقال لي يا مبارك) اسم مفعول من البركة وهي الزيادة والتنمية هذا أصله لغة ثم استعمل عرفا في قليل الفطنة فيحتمل انه المراد هنا دفعا لتوهمه ان محبة الله تنافي محبته ويعدّ المشتغل بها مقصرا في حبه عليه السلام مع انها عينها كما قال (من أحب الله فقد أحبني) لاني الداعي الى الله الموصل اليه (وقيل ان ذلك وقع لامرأة من الانصار معه صلى الله عليه وسلم يقظة) فان ثبت فلا منافاة كما لا يخفى (ولابن أبي المجد) العارف بالله تعالى (سيدي ابراهيم الدسوقي) الشريف الحسيني وقد ذكر نسبه في اللواقح فقال ابراهيم بن أبي المجد بن قريش ابن محمد بن أبي النجاء بن زين العابدين بن عبد الخالق بن محمد بن أبي الطيب بن عبد الله الكاتم بن عبد الخالق بن أبي القاسم بن جعفر الزكي بن علي بن محمد الجواد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي الزاهد بن زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي تفقه على مذهب الشافعي ثم اقتفى آثار الصوفية وجلس في مرتبة الشيخوخة وحمل الراية البيضاء وعاش ثلاثا وأربعين سنة ولم يغفل قط عن المجاهدة للنفس والهوى والشيطان حتى مات سنة ست وسبعين وستمائة (ألا يا محب المصطفى زد صبابة *) بفتح الصاد شوقا أو رقته وحرارته أو رقة هوى (وضمخ) بمعجمتين بينهما ميم لطخ (لسان الذكر) لله تعالى الذي تستعمله

منك بطيبه) بالثناء عليه وتعظيمه صلى الله عليه وسلم (ولاتعبأن) أى لاتهتم ولاتبال (بالمبطلين) الزاعمين ان ذلك يشغل عن الله تعالى (فانما * علامة حب الله حب حبيبه) وزعمهم باطل كيف وقد قال أحبوني لحب الله (وكذلك كل حب في الله ولله كما في الصحيحين) البخاري في الايمان والادب ومسلم في الايمان عن أبي قلابة (عن أنس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثلاث) مبتدأ خبره جملة (من كن) أى حصلن (فيه) فهي تامة (وجد) أى أصاب ولذا اكتفى بمفعول واحد أعني (حلاوة الايمان) وجاز الابتداء بالنكرة لان التنوين عوض عن المضاف اليه أى ثلاث خصال أولانه صفة موصوف محذوف وهو مبتدأ حقيقة أى خصال ثلاث أولان الجملة الشرطية صفته والخبر (أن يكون الله ورسوله أحب) بالنصب خبر يكون (اليه مما سواهما) ولم يثن أحب ليطابق خبر كان اسمها لان أفعل التفضيل اذا وصل بمن فهو مفرد مذكر دائما ولا تجوز المطابقة لمن هوله (وأن يحب المرء) حال كونه (لايحبه الا لله تعالى) وللنسائى من رواية طلق بن حبيب عن أنس وأن يحب في الله ويبغض في الله قال يحيى بن معاذ حقيقة الحب في الله أن لايزيد بالبر ولا ينقص بالجفاء نقله الحافظ (وأن يكره أن يعود) أى العود (في الكفر كما يكره أن يقذف) بضم أوله وفتح ثالثه أى مثل كراهة القذف (في النار) زاد البخاري من وجه آخر بعد ان أنقذه الله منه قال الحافظ والانقاذ أعم من ان يكون بالعصمة منه ابتداء بأن يولد على الاسلام ويستمر أو بالاخراج من ظلمة الكفر الى نور الايمان وعلى الاول فيحمل قوله يعود على معنى الصيرورة بخلاف الثانى فالعود فيه على ظاهره وفي رواية قتادة عن أنس عند مسلم والبخاري في الادب وحتى أن يقذف في النار أحب اليه من ان يرجع الى الكفر بعد أن أنقذه الله منه وهى أبلغ من هذه الرواية لانه سوى فيها بين الامرين وهنا جعل الوقوع في نار الدنيا أولى من الكفر الذى أنقذه الله بالخروج منه من نار الاخرى فان قيل لم عدى العود بفي ولم يعده بالى فالجواب انه ضمنه معنى الاستقرار كأنه قال يستقر فيه ومثله قوله تعالى وما كان لنا أن نعود فيها انتهى وزعم العيني انه تعسف وانما في هنا بمعنى الى كقوله تعالى أو لتعودن في ملتنا أى لتصيرن الى ملتنا ومنعه شيخنا في قراءة البخاري بأنه لاتعسف فكل من الطريقين مسلوك وذلك لان الفعل اذا عدى بحرف لايتعدى به جاز تأويل الفعل بما يتعدى به كتأويل يؤمنون بالغيب يعترفون وتأويل الحرف مع بقاء الفعل على حقيقته كالمثال الذى ذكره بل قال بعضهم التأويل في الفعل أولى (فعلق ذوق الايمان بالرضا بالله ربا) بقوله صلى الله عليه وسلم ذاق طعم الايمان من رضى بالله ربا الحديث الآتى قريبا وطعم الايمان بمعنى حلاوة الايمان لان الثلاثة لاتوجد الا ممن صح ايمانه وانشرح صدره قاله عياض (وعلق) في هذا الحديث (وجدان حلاوته بما هو موقوف عليه ولايتم الا به وهو كونه سبحانه أحب الاشياء الى العبد هو) تعالى (ورسوله) عليه السلام (فمن رضى بالله ربا رضيه الله له عبدا) بمعنى أثابه بجزيل الثواب (ومعنى حلاوة الايمان استلذاذ الطاعات وتحمل المشقات في الدين) فاستعمال الحلاوة فيه مجاز مرسل من ذكر الملزوم وارادة

اللازم (ويؤثر) لفظ الفتح وايثار (ذلك على أعراض الدنيا ومحبة العبد لله تحصل) أي تحقق وتوجد (بفعل طاعته وترك مخالفته وكذلك الرسول قاله النووي) يعني ان فعل الطاعة علامة على محبة العبد فليس عين المحبة بل هو مسبب عنها كما أشار اليه البيضاوي في ان كنتم تحبون الله (وقال غيره معناه أن من استكمل الايمان علم ان حق الله ورسوله آكد عليه من حق والده وولده وجميع الناس لان الهدى من الضلالة والخلاص من النار انما كان بالله على لسان رسوله) فكأنه حمله على معنى الحديث قبله لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من والده وولده والناس أجمعين (وفي قوله عليه الصلاة والسلام حلاوة الايمان) كما قال الحافظ (استعارة تخييلية فانه شبه رغبة المؤمن في الايمان بشيء حلو وأثبت له لازم ذلك الشيء وأضافه اليه) ولا يتعين هذا فيجوز أنه شبه اللذة الحاصلة من التلبس بالايمان بحلاوة الحلو واستعار له اسمه فتكون استعارة تصريحية ويجوز أنه مجاز مرسل أطلق الحلاوة وأراد لازمها عند تناولها وهو اللذة (وفيه تلميح الى قضية المريض والصحيح لان المريض الصفراوي) الذي غلب خلط الصفراء على مزاجه (يجد طعم العسل مرا) لفساد مزاجه (والصحيح يذوق حلاوته على ماهي عليه وكلما نقصت الصحة شيأ ما) قليلا (نقص ذوقه بقدر ذلك) زاد الحافظ فكانت هذه الاستعارة من أوضح ما يقوى به استدلال البخاري على الزيادة والنقص أي للايمان وقال الشيخ أبو محمد بن أبي جمرة انما عبر بالحلاوة لان الله شبه الايمان بالشجرة في قوله مثل كلمة طيبة كشجرة طيبة فالكلمة هي كلمة الاخلاص والشجرة أصل الايمان وأغصانها اتباع الامر واجتناب النهي وزهرتها ما يهم به المؤمن من الخير وثمرتها عمل الطاعات وحلاوة الثمرة جني الشجرة وغاية كماله تناهي نضج الثمرة وبه تظهر حلاوتها انتهى وقال البيضاوي المراد بالحب العقلي الذي هو ايثار ما يقتضي العقل السليم رجحانه وان كان على خلاف هوى النفس كالمريض يعاف الدواء بطبعه فينفر عنه ويميل اليه بمقتضى عقله فيهوى تناوله فاذا تأمل المرء أن الشارع لا يأمر ولا ينهى الا بما فيه صلاح عاجل أو خلاص آجل والعقل يقتضي رجحان جانب ذلك تمرن على الائتمار بأمره بحيث يصير هواه تبعاله ويلتذ به التذاذا عقليا اذ الالتذاذ العقلي ادراك ما هو كمال وخير من حيث هو كذلك وعبر الشارع عن هذه الحالة بالحلاوة لانها أظهر اللذائذ المحسوسة وانما جعل هذه الثلاثة عنوانا لكمال الايمان لان المرء اذا تأمل ان المنعم بالذات هو الله وان لا مانح ولا مانع في الحقيقة سواه وان ماعداه وسائط وأن الرسول هو الذي يبين مراد ربه اقتضى ذلك ان يتوجه بكليته نحوه فلا يحب الا ما يحب ولا يحب من يحب الا من أجله وأن يتيقن ان جملة ما وعد وأوعد حق يقينا يخيل اليه الموعود كالواقع فيحسب ان مجالس الذكر رياض الجنة وان العود في الكفر القاء في النار انتهى ملخصا وشاهد هذا الحديث من القرآن قوله تعالى قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم الى ان قال أحب اليكم من الله ورسوله ثم هدد على ذلك وتوعد بقوله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره فان فيه اشارة الى التحلي بالفضائل والتخلي عن الرذائل فالاول من الاول والثاني من الثاني انتهى كله من فتح الباري (وقال العارف ابن أبي جمرة) بجيم وراء (واختلف

في الحلاوة المذكورة) في قوله حلاوة الايمان (هل هي محسوسة أو معنوية فحملها قوم على المعنى) بمعنى ان من وجدت فيه بجزم بالايمان وانقاد الى أحكامه (وهم الفقهاء ومن شابههم) من أهل المعقولات (وحملها قوم على المحسوس وأبقوا اللفظ على ظاهره من غير أن يتأولوه وهم أهل الصفة) بضم الصاد وشد الفاء السادة الصوفية سموا بذلك لجريهم على نحو ما كان عليه أهل الصفة وهي ظلة في مؤخر المسجد النبوي يأوي اليها المساكين من الانقطاع الى الله وعبادته والاعراض عن الدنيا (أو قال أهل الصوفة) للبسهم الصوف تقشفا واعراضا عما تنعم به الاغنياء (قال) ابن أبي جمرة (والصواب معهم في ذلك والله أعلم لان ما ذهبوا اليه أبقوا به لفظ الحديث على ظاهره من غير تأويل) والاصل انه لا يعدل عن الحقيقة ما وجد اليها سبيل والمتبادر من هذا انها أمر يدرك حلاوته بالفم كما يدرك حلاوة السكر والعسل ونحوهما وهذا شئ لا يدركه الا من وصل الى ذلك المقام فلا يليق ادعاء انه غير مراد بل المراد ما يأتي انه أمر يجده القلب تكون نسبته اليه كذوق حلاوة الطعام الى الفم وذوق حلاوة الجماع الى اللذة لان الآتي كلام ابن القيم حملا له على المعنى اذ هو لم يذكر القول بأنها محسوسة فلا يرد اليه وكذا ما نقلناه آنفا من نفس كلام ابن أبي جمرة المصرح بأن التعبير باطلاق الحلاوة انما هو على وجه التشبيه أي يجد في قلبه حلاوة تشبه الحلاوة المأكولة بالفم انما هو تقرير للقول بأنها معنوية ومالنا وللتكلم فيما لا نعرفه ولا يمكننا تحيله

واذا لم تر الهلال فسلم * لاناس رأوه بالابصار

(قال ويشهد الى ما ذهبوا اليه أحوال الصحابة والسلف الصالح) كالتابعين (وأهل المعاملات) وهي منازل عشرة ينزلها السائرون الى الحق عز اسمه وهي الرعاية والمراقبة والحرمة والاخلاص والتهذيب والاستقامة والتوكل والتفويض والثقة والتسليم سميت بالمعاملات لان العبد لا يصلح له معاملة الحق الا بأن يتحقق بهذه المقامات فالمعاملة عندهم عبارة عن توجه النفس الانسانية الى باطنها الذي هو الروح الروحاني والسر الرباني واستمدادها منهما ما يزيل الحجب عنها ليحصل لها قبول المدد في مقابلة ازالة كل حجاب وهذا انما يصح لعبد ملك ناصية الزهد ثم الورع ثم الحزن فمن ملك ناصية هذه الثلاثة استحق أن يصير من أهل المعاملات وأهم ما عليه ان يتحقق بأعم مقاماتها وأهمه وهو الاخلاص اذ لا تصح المعاملة بدونه ثم المراقبة ثم التفويض قاله في الاعلام باشارات أهل الالهام (فانهم حكوا عنهم انهم وجدوا الحلاوة محسوسة فمن ذلك حديث بلال) بن رباح أحد السابقين الاولين (حين صنع به ما صنع في الرمضاء) بفتح الراء وسكون الميم وضاد معجمة والمد أرض اشتد وقع الشمس فيها سواء كان فيها رمل أو حصى أو غيرهما روى انهم كانوا يلصقون ظهره برمضاء البطحاء في الحر ولاحمد عن أبي ذر ان بلالا هانت عليه نفسه في الله وهان على قومه فأعطوه الولدان فجعلوا يطوفون به في شعاب مكة (اكراها على الكفر وهو يقول احد أحد) مرفوع منون كذا أحفظه وكذا في أصلنا من ابن ماجه خبر مبتدأ محذوف أي الله أحد كأنه يشير الى أنه لا يشرك بالله شيأ ويحتمل

انه غير مذوّق أى يا أحد قاله فى النور (تمزج) تخلط (مرارة العذاب) مشقته وألمه (بحلاوة الايمان وكذلك أيضا) وقع له ذلك (عند موته أهله يقولون) أى زوجته كما فى الشفاء والمصنف فى المقصد الاول ولفظه وهذا كما وقع له عند موته كانت امرأته تقول (واحرباه) روى بفتح الحاء والراء المهملتين والموحدة من الحرب بفتحتين وهو كما فى النهاية نهب مال الانسان وتركه لا شئ له فكأنها تفجعه بما نهبت وسلبت وروى بفتح الحاء والزاى وبضم الحاء وسكون الزاى وروى واحوباه بحاء مفتوحة وواو ساكنة فوحدة من الحوب الاثم والمراد ألمها بشدة جزعها وقلقها فى المصيبة فهى تتفجع على نفسها أو من الحوبة بمعنى رقة القلب وهو تكلف (وهو يقول واطرباه) أى فرحاه ووا للندبة والالف والهاء مزيدة فى آخره كأنه يستغيث بطرب ويدعوه فى سكرات الموت لما تيقنه من الثواب وملاقاة الاحباب كما أشار اليه بقوله (غدا ألقى الاحبه محمدا وحزبه) أصحابه والمراد بغدا الزمان المستقبل بعد الموت (تمزج مرارة الموت بحلاوة اللقاء وهى حلاوة الايمان) أى من جملة حلاوته (ومنها حديث الصحابى الذى سرق فرسه بليل وهو فى الصلاة فرأى السارق حين أخذه فلم يقطع لذلك صلاته فقيل له فى ذلك) أى ليم على عدم اتباع السارق وتخليصها منه (فقال ما كنت فيه ألذ من ذلك ولاذاك الا للحلاوة التى وجدها محسوسة فى وقته ذلك) اذ لو كانت معقولة معنوية ما قدمها على ضياع فرسه (ومنها حديث الصحابيين اللذين جعلهما النبى صلى الله عليه وسلم فى بعض مغازيه من قبل العدو) أى من جهته (وقد أقبل) العدو (فرآهما فكبل) باللام بزنة ضرب والتشديد مبالغة (الجاسوس القوس) أى اوتره عبر عنه بالتكبيل مجازا تشبيها الايتار القوس بوضع القيد فى رجل الاسير لمبالغته فى ايتاره ليتمكن من قوة الرمى وفى نسخة فكبد بالدال أى جعل القشاب فى وسط القوس (ورمى الصحابى فأصابه فبقى على صلاته ولم يقطعها ثم رماه ثانية فأصابه فلم يقطع لذلك صلاته ثم رماه ثالثة فأصابه فعند ذلك أيقظ صاحبه وقال لولا انى خفت على المسلمين ما قطعت صلاتى) أى ما اختصرتها لانه لم يقطعها بالفعل (وماذاك) أى عدم قطعها واعتذاره (الا لشدة ما وجده فيها من الحلاوة حتى أذهبت عنه ما يجد من ألم السلاح قال ومثل ذلك حكى عن كثير من أهل المعاملات انتهى) كلام ابن أبى جمرة (وحديث هذين الصحابيين ذكره البخارى فى صحيحه فى باب من لم ير الوضوء الا من المخرجين) من كتاب الوضوء (بلفظ ويذكر عن جابر) بن عبد الله الصحابى ابن الصحابى (ان النبى صلى الله عليه وسلم كان فى غزوة ذات الرقاع فرمى) بضم الراء مبنيا للمفعول (رجل) هو عباد بن بشر (بسهم فنزفه الدم) بفتح الزاى والفاء أى خرج منه دم كثير حتى يضعف قاله الجوهرى وفى أفعال ابن طريف يقال نزفه الدم وأنزفه اذا سال منه كثيرا حتى يضعفه فهو نزيف ومنزوف (فركع وسجد ومضى فى صلاته) فلم يقطعها قال الحافظ أراد البخارى بهذا الحديث الرد على الحنفية فى ان الدم السائل ينقض الوضوء فان قيل كيف مضى فى صلاته مع وجود الدم فى بدنه أو ثوبه واجتناب النجاسة فيها واجب أجاب الخطابى باحتمال ان الدم جرى من الجرح على سبيل الدفق بحيث لم يصب شيأ من ظاهر بدنه وثيابه

وفيه بعد ويحتمل ان الدم أصاب الثوب فقط فنزعه عنه ولم يسل على جسمه الا قدر يسير معفو عنه ثم الحجة قائمة به على ان خروج الدم لا ينقض ولو لم يظهر الجواب عن كون الدم أصابه (وقد وصله ابن اسحق في المغازى) في غزوة ذات الرقاع (قال حدثني صدقة بن يسار) الجزرى نزيل مكة مات سنة اثنتين وثلاثين ومائة (عن عقيل بن جابر) بن عبد الله الانصارى المدنى مقبول (عن أبيه) جابر الصحابى (مطولا) قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة ذات الرقاع فأصبنا امرأة رجل من المشركين فلما قفل صلى الله عليه وسلم أتى زوجها وكان غائبا فحلف لا ينتهى حتى يصيب في أصحاب محمد دما فخرج يتبع أثره صلى الله عليه وسلم فنزل منزلا فقال من رجل يكلؤنا ليلتنا فانتدب رجل من المهاجرين ورجل من الانصار فقالا نحن يارسول الله قال فكونا في فم الشعب وكان صلى الله عليه وسلم وأصحابه قد نزلوا الى شعب من الوادى فقال الانصارى للمهاجرى أى الليل تحب ان أكفيك أوله أم آخره قال بل اكفنى أوله فنام المهاجرى وقام الانصارى يصلى وأتى الرجل فلما رأى شخص الرجل عرف انه ربيئة القوم فرمى بسهم فوضعه فيه فنزعه ووضعه وثبت قائما ثم رماه بسهم آخر فوضعه فيه فنزعه ووضعه وثبت قائما ثم عاد له بالثالث فوضعه فيه فنزعه فوضعه ثم ركع وسجد ثم أهب صاحبه فقال اجلس فقد أثبت فوثب فلما رآهما الرجل عرف انه قد نذرا به فهرب ولما رأى المهاجرى ما بالانصارى من الدماء قال سبحان الله ألا أهببتنى أول ما رماك قال كنت في سورة اقرؤها فلم أحب ان أقطعها حتى أنفدها فلما تابع على الرمى ركعت فآذنتك وايم الله لولا ان أضيع ثغرا أمرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفظه لقطع نفسى قبل ان أقطعها أو أنفدها (وأخرجه أحمد وأبو داود والدارقطنى وصححه ابن خزيمة وابن حبان والحاكم كلهم من طريق ابن اسحق) محمد امام المغازى (قال في فتح البارى وشيخه صدقة ثقة) روى له مسلم وأبو داود والنسائى وابن ماجه (وعقيل بفتح العين) وكسر القاف وان كان مقبول الرواية (لكنى لا أعرف راويا عنه غير صدقة) فيكون مجهول العين وهو مردود عند الاكثر (ولهذا لم يجزم به البخارى) بل أتى بصيغة التمريض بقوله يذكر على عادته فيما لم يصح عنده (أو لكونه اختصره) وهو مسوغ للتمريض (او للاختلاف في ابن اسحق) فمنهم من وثقه ومنهم من ضعفه (وأخرجه البيهقى في الدلائل) النبوية (من وجه آخر وسمى أحدهما) أى الرجلين المبهمين في رواية ابن اسحق (عباد بن بشر الانصارى) وهو الذى رمى بالسهام (و) سمى الرجل (الآخر عمار بن ياسر من المهاجرين و) سمى (السورة) التى كان يقرؤها عباد في صلاته (الكهف) فحصل بهذه الطريق تقوية رواية ابن اسحق مع بيان المبهم في روايته من الرجلين والسورة (وانما قال أحب اليه مما سواهما ولم يقل ممن ليعم من يعقل ومن لا يعقل) لان ما موضوعة لهما بخلاف من فموضوعة للعاقل قال تعالى لله ما في السموات وما في الارض وقال تعالى ولله يسجد من في السموات ومن في الارض قال البيضاوى لما استعمل ما للعقلاء كما استعمل من لغيرهم كان استعماله حيث اجتمعا أولى من اطلاق من تغليبا للعقلاء (وفى قوله أن يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما

دليل

دليل على انه لا بأس بهذه التثنية) أي يجوز جمع الله ورسوله في ضمير واحد (وأما قوله صلى الله عليه وسلم للذي خطب) قال الحافظ برهان الدين في المقتفى لا أعرفه وقال بعض الحفاظ انه ثابت بن قيس وقال الطوفي هو عدي بن حاتم روى مسلم وأبو داود عن عدي بن حاتم ان خطيبا خطب عند النبي صلى الله عليه وسلم (فقال) من يطع الله ورسوله فقد رشد (ومن يعصهما) فقد غوى فقال صلى الله عليه وسلم (بئس الخطيب أنت) قل ومن يعص الله ورسوله فقد غوى ورشد بفتح الشين المعجمة وكسرها كما قال المصنف على مسلم (فليس من هذا لان المراد في الخطب الايضاح) واجتناب الرمز ولذا كان صلى الله عليه وسلم اذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثا لتفهم كما في الصحيح (وأما هنا فالمراد الايجاز) الاختصار (في اللفظ ليحفظ) اذ القليل يسهل حفظه وهذا أصوبه النووي قائلا وهذا هو الفرق بين الحديثين حديث من يعصهما كان في خطبة وحديث مما سواهما كان في تعليم حكم فتقليل اللفظ فيه أولى لانه أقرب الى الحفظ (ويدل عليه ان النبي صلى الله عليه وسلم حيث قاله في موضع آخر قال) كما رواه أبو داود عن ابن مسعود ان النبي صلى الله عليه وسلم خطب فقال في خطبته من يطع الله ورسوله فقد رشد (ومن يعصهما فلا يضر الا نفسه) واعترض بأن هذا الحديث انما ورد أيضا في خطبة النكاح وأجيب بأن المقصود في خطبة النكاح أيضا الايجاز فلا نقض وثم أجوبة أخرى منها دعوى الترجيح فيكون خبر المنع أولى لانه عام والآخر يحتمل الخصوصية ولانه ناقل والآخر مبني على الاصل ولانه قول والآخر فعل ورد بأن احتمال التخصيص في القول أيضا حاصل بل ليس فيه صيغة عموم أصلا هكذا في الفتح قبل قوله (وقيل انه من الخصائص فيمتنع من غير النبي صلى الله عليه وسلم ولا يمتنع منه لان غيره اذا جمع أوهم اطلاق التسوية) بينهما لانه لفظ واحد متصل لا سيما اذا لوحظ العدول عن العطف الدال على التفاوت والتبعية ولذا قال له قل ومن يعص الله ورسوله (بخلافه هو فان منصبه لا يتطرق اليه ايهام ذلك) لانه يعطي مقام الربوبية حقه (والى هذا مال ابن عبد السلام) الشيخ عز الدين زاد الحافظ ومنها دعوى التفرقة بوجه آخر وهو أن كلامه صلى الله عليه وسلم هنا جملة واحدة فلا يحسن اقامة الظاهر فيها مقام المضمر وكلام الذي خطب جملتان فالاولى اقامة الظاهر فيهما (ومن محاسن الاجوبة في الجمع بين هذا الحديث وقصة الخطيب ان تثنية الضمير هنا للايماء الى ان المعتبر هو المجموع المركب من المحبتين لا كل واحدة منهما فانها وحدها لاغية) متروكة لا اعتداد بها (اذا لم ترتبط بالاخرى فمن يدعى حب الله مثلا ولا يحب رسوله لا ينفعه ذلك) كعكسه (ويشير اليه قوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله فأوقع متابعته مكتنفة) بفتح النون اسم مفعول من اكتنفه القوم أحاطوا به (بين قطرى) تثنية قطر أي جانبي (محبة العباد لله ومحبة الله للعباد) والاضافة بيانية يعني انه جعل المتابعة محاطا بها طرفان أحدهما محبة الله والآخر محبة رسوله وعليه فبين هنا بمعنى الباء لان بين ظرف لا يظهر معناها الا باضافتها لمتعدد (وأما أمر

المطلب بالافراد فلان كل واحد من العصيانين مستقل باستلزام الغواية) بفتح الغين المعجمة اسم من غوى غيا من باب ضرب انهمك فى الجهل وهو خلاف الرشد (اذ العطف فى تقدير التكرير) والاستقلال لقيام الواو مقام تكرار العامل أو تقديره معها (والاصل استقلال كل من المعطوفين فى الحكم ويشير اليه قوله تعالى أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم فأعاد أطيعوا فى الرسول ولم يعده فى أولى الامر لانهم لا استقلال لهم فى الطاعة كاستقلال الرسول انتهى ملخصا من كلام البيضاوى والطيبى) كلاهما فى شرح المصابيح (كما حكاه فى فتح البارى) وزاد وهنا أجوبة أخرى فيها نظر منها ان المتكلم لا يدخل فى عموم خطابه ومنها ان له أن يجمع بخلاف غيره انتهى (وفى الصحيح) لمسلم من افراده عن العباس بن عبد المطلب انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (ذاق طعم الايمان) قال عياض أى عرف الله سبحانه واستحلى الايمان (من رضى بالله ربا) فالرضا دليل على هذه المعرفة قال الابى لانه تسبب عنها ووجود السبب يدل على وجود المسبب ثم الرضا يكون بمعنى القناعة وبمعنى الايثار وهو المراد لان الاول مشترك بين جميع الناس اذ من لم يقنع بالله ربا ليس من الاسلام فى شئ واستحلاء الايمان من صفة الخواص فانما يدل عليها ما هو من صفتهم فالمعنى عرف الله واستحلاء الايمان به من أثره فان قيل هذان هما الغاية فلو أريد لم يعبر عنهما بالذوق وهو مبدأ الفعل اذ لا يعبر عن غاية الشئ بمبدئه قلت الذوق انما هو مبدأ الفعل اذا استعمل فى المحسوسات كذوق الطعام أما اذا استعمل فى المعانى كما هنا فانما هو كناية عن كمال الادراك والرضا بالله يستلزم الرضا عنه انتهى وقال الراغب الذوق وجود الطعم فى الفم وأصله فيما يقل تناوله فاذا كثر يقال له الاكل واستعمل فى القرآن بمعنى الاصابة اما فى الرحمة نحو ولئن أذقنا الانسان منا رحمة واما فى العذاب نحو ليذوقوا العذاب وقال غيره ضرب الذوق مثلا لما ينالونه من الخير عند المصطفى (وبالاسلام دينا) بأن لم يسع فى غير طريقه قال الطيبى لا يخلو اما أن يراد به الانقياد كما فى حديث جبريل أو مجموع ما يعبر بالدين عنه كخبر بنى الاسلام على خمس ويؤيد الثانى اقترانه بالدين لانه جامع باتفاق وعلى التقديرين هو عطف عام على خاص وكذا قوله (وبمحمد رسولا) بأن لم يسلك الا ما يوافق شرعه ومن كان هذا نعته فقد وصلت حلاوة الايمان الى قلبه وذاق طعمه شبه الامر الحاصل الوجدانى من الرضا بالامور المذكورة بمطعوم يلتذ به ثم ذكر المشبه به وأراد المشبه ورشح بقوله ذاق فان قيل الرضا بالثالث مستلزم للاولين فلم ذكرهما قلنا للتصريح بأن الرضا بكل منها مقصود (ونبيا) كذا فى النسخ عطف لازم على ملزوم لان الرسالة مستلزمة للنبوة لكن ليس فى مسلم ونبيا ولم يتكلم شارحاه النووى والابى على انها رواية وقد نسبه السيوطى لاحمد ومسلم والترمذى بدون ونبيا فكأنها دخلت على المصنف من حديث آخر (قال فى المدارج) لابن القيم (فأخبر أن للايمان طعما وأن القلب يذوقه كما يذوق الفم طعم الطعام والشراب) أى بادراكه لذة الايمان وسهولة ما بنى عليه من فعل الطاعات واجتناب المعاصى فعبر بالذوق عن الادراك وبالطعم عن السهولة واطمئنان النفس بما

يقتضيه

يقتضيه الايمان مجازا (وقد عبر النبي صلى الله عليه وسلم عن ادراك حقيقة الايمان والاحسان وحصوله للقلب ومباشرته له بالذوق) متعلق بعبر (تارة وبالطعم أخرى وبوجد) بفتح فسكون مصدر (الحلاوة تارة كما قال ذاق) طعم الايمان (وقال) فى الحديث الذى قبله (ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان) ولذا قال الطيبى مجاز قوله ذاق طعم الايمان مجاز قوله وجد حلاوة الايمان وكذلك موقعه كموقعه لان من أحب أحدا يتحرى مراضيه ويؤثر رضاه على رضا نفسه (ولما نهاهم عن الوصال) فى الصوم (قالوا) مستفهمين (انك تواصل قال انى لست كهيئتكم انى أطعم وأسقى) بما يغذينى به ربى من معارفه وما يفيض على قلبى من لذة مناجاته وقرة عينى بقربه ونعيمه بحبه والشوق اليه المغنى ذلك عن غذاء الاجسام مدة

لها أحاديث من ذكراك يشغلها * عن الشراب وتلهيها عن الزاد

(وقد غلط) أى قوى (حجاب من ظن ان هذا) الذى يطعمه ويسقاه حين الوصال (طعام وشراب حسى للفم) يؤتى له من الجنة لانه لم يدرك الامور على حقيقتها فعبر عن ذلك بالغلظ والحجاب مجازا (وسيأتى تحقيق الكلام فى هذا ان شاء الله تعالى فى الصوم من مقصد عباداته عليه الصلاة والسلام) وأن الجمهور على انه مجاز عن لازم الطعام والشراب وهو القوة كأنه قال أعطى قوة الطاعم الشارب (والمقصود) هنا (ان ذوق حلاوة الايمان امر يجده القلب تكون نسبته اليه كذوق حلاوة الطعام الى الفم) فهو على التشبيه أى وجد فى فعله حلاوة تشبه الحلاوة المأكولة (وذوق حلاوة الجماع الى اللذة كما قال عليه الصلاة والسلام) لامرأة رفاعة لا (حتى تذوقى عسيلته ويذوق عسيلتك وللايمان طعم وحلاوة يتعلق بهما ذوق ووجد) أى ادراك (ولا تزول الشبه والشكوك الا اذا وصل العبد الى هذه الحال فيباشر الايمان قلبه حقيقة المباشرة فيذوق طعمه ويجد حلاوته) المعنوية المشابهة للحسية (وقال العارف الكبير تاج الدين) أبو العباس أحمد بن محمد بن عبد الكريم (بن عطاء الله) نسبة الى جده الاعلى لشهرته به الجذامى الاسكندرانى الامام المتكلم على طريقة الشاذلى الجامع لانواع العلوم من تفسير وحديث ونحو وأصول وفقه على مذهب مالك وصحب فى التصوف الشيخ أبا العباس المرسى وكان أعجوبة زمانه فيه وأخذ عنه التقى السبكى واختصر تهذيب المدونة للبرادعى فى الفقه وألف التنوير والحكم وغير ذلك ومات بالمدرسة المنصورية من القاهرة فى ثالث جمادى الآخرة سنة تسع وسبعمائة ودفن بالقرافة ذكره السيوطى وابن فرحون فى طبقات المالكية وغيرهما ولا نزاع فى أنه مالكى وذكر ابن السبكى له فى طبقات الشافعية لقوله أراه كان شافعيا وليس كما ظن (فيه يعنى فى هذا الحديث اشارة الى ان القلوب السليمة من أمراض الغفلة والهوى) اضافة أعم الى أخص أو بيانية (تتنعم بملذوذات المعانى كما تتنعم بملذوذات الاطعمة) تشبيه بمطلق اللذة فلا ينافى ان لذتهم أقوى قال ابراهيم بن أدهم والله انا لفى لذة لو علمها الملوك لجالدونا عليها بالسيوف وقال

قوله سنة تسع وسبعمائة فى بعض هوامش المتن نقلا عن المحشى سنة تسع وسبعين وسبعمائة فليراجع فى حسن المحاضرة أو غيره من المطالع اه مصححه

الجنيد أهل الليل فى ليلهم ألذ من أهل اللهو فى لهوهم وقال عتبة الغلام كابدت الصلاة عشرين سنة ثم استمتعت بها بقية عمرى (وانما ذاق طعم الايمان من رضى بالله ربا لانه لما رضى بالله ربا) أعاده مظهرا تلذذا بذكره

أعد ذكر نعمان لنا ان ذكره * هو المسك ما كررته يتضوع

(استسلم له وانقاد لحكمه) عطف تفسير (وألقى قياده) بكسر القاف (اليه) أى أطاعه وأذعن له فهى ألفاظ متقاربة (فوجد لذاذة) بالفتح بزنة سلامة مصدر لذ يلذ لذاذا ولذاذة بالفتح (العيش وراحة التفويض ولما رضى بالله ربا كان له الرضا من الله) جزاء من جنس العمل (واذا كان له الرضا من الله أوجده الله حلاوة ذلك ليعلم مامن) بشد النون أنعم (به عليه وليعلم احسان الله عليه) فيزداد شكره فيزيد ثوابه (ولما سبقت لهذا العبد العناية) الحفظ (خرجت له العطايا من خزائن المنن) جمع منة (فلما واصلته أمداد الله) زياداته وأنواره (عوفى قلبه من الامراض والاسقام) الامراض المهلكة (فكان سليم الادراك فأدرك لذاذة الايمان وحلاوته لصحة ادراكه وسلامة ذوقه) مما يغير طعمه عليه (وقوله صلى الله عليه وسلم وبالاسلام دينا لانه اذا رضى بالاسلام دينا فقد رضى بما رضى به المولى) تبارك وتعالى كما قال ورضيت لكم الاسلام دينا (ولازم من رضى بمحمد نبيا أن يكون له وليا) مواليا (وأن يتأدب بآدابه ويتخلق بأخلاقه زهدا فى الدنيا وخروجا عنها وصفحا عن الجناة) بضم الجيم جمع جان أى المذنبين ذنبا يؤاخذ به (وعفوا عمن أساء اليه الى غير ذلك من تحقيق المتابعة قولا وفعلا وأخذا وتركا وحبا وبغضا فمن رضى بالله استسلم له وانقاد ومن رضى بالاسلام عمل له ومن رضى بمحمد صلى الله عليه وسلم) رسولا (تابعه) متابعة تامة (ولا يكون) لا يوجد (واحد منها الا بكلها اذ محال أن يرضى بالله ربا ولا يرضى بالاسلام دينا أو يرضى بالاسلام دينا ولا يرضى بمحمد نبيا وتلازم ذلك بين لا خفاء فيه انتهى ملخصا) كلام ابن عطاء الله (واعلم ان محبة الله تعالى) كما نقله فى فتح البارى عن بعضهم (على قسمين فرض وندب فالفرض المحبة التى تبعث على امتثال الاوامر) المفيدة للفرضية وأطلقها لان اطلاقها على غير الواجب مجاز كما حققه المحلى لا مشترك (والانتهاء عن المعاصى والرضا بما يقدره) أى بمقدره ان حمل على التقدير الازلى أو بقدره حالا ومآلا ان حمل على التعلق التنجيزى والصلوحى (فمن وقع فى معصية من فعل محرم أو ترك واجب) عبر عن الامرين المتقدمين بواحد وأن تحته فردين اشارة الى تلازمهما وان اختلفا بحسب المفهوم وماصدقهما اذ الاول هو الفعل الذى طلبه الشارع طلبا جازما والثانى الفعل الذى نهى عنه نهيا جازما (فلتقصيره فى محبة الله حيث قدم هوى نفسه) حيثية تعليل فهو تعليل للتعليل فان قيل يلزم عليه تعليل الشئ بنفسه لان المعنى ان الوقوع فى المعصية سببه فعلها الذى هو اتباع هوى نفسه فالجواب انه دفع ذلك بقوله (والتقصير يكون مع الاسترسال فى المباحات والاستكثار منها) ووجه الدفع ان التقصير الذى هو سبب العصيان ليس ناشئا عن اتباع هوى نفسه الذى هو المعصية فقط اذ هو اما لا يختص

بالمعصية

بالمعصية فيحمل على أمر مباح ليصح مغايرة السبب للمسبب (فيورث) ذلك الاسترسال والاستكثار (الغفلة) عما يحمله على امتثال الامر واجتناب النهى لغفلته عن الرغبة فى الثواب والخوف من العقاب (المقتضية للتوسع فى الرجاء) لرحمة الله كان يقوم فى نفسه انه وان أكثر من الشبهات لا ينساله مكروه (فيقدم) بذلك أى يجترئ (على المعصية) ويرجو المغفرة زاد فى الفتح أو تستمر الغفلة فيقع وهذا الثانى يسرع الى الاقلاع مع الندم واليه يشير حديث لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن (والندب أن يواظب على النوافل ويجتنب الوقوع فى الشبهات) وهى ما ليس بواضح الحل والحرمة مما تنازعته الادلة وتجاذبته المعانى والاسباب فبعضها يعضده دليل الحرام وبعضها يعضده دليل الحلال (والمتصف بذلك عموم الاوقات والاحوال نادر) زاد الحافظ وكذا محبة الرسول على قسمين كما تقدم ويزاد أن لا يتلقى شيأ من المأمورات والمنهيات الا من مشكاته ولا يسلك الا طريقته ويرضى بما شرعه حتى لا يجد فى نفسه حرجا مما قضى ويتخلق بأخلاقه فى الجود والايثار والحلم والتواضع وغيرها فمن جاهد نفسه على ذلك وجد حلاوة الايمان وتتفاوت مراتب المؤمنين بحسب ذلك انتهى (وفى البخارى) فى الرقائق (من حديث أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم فيما يروى عن ربه تعالى انه قال) لفظه حدثنى محمد بن عثمان بن كرامة ثنا خالد بن مخلد ثنا سليمان بن بلال حدثنى شريك ابن عبد الله بن أبى نمر عن عطاء عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى قال من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب و (ما تقرب الى عبدى) وللكشميهنى عبد بحذف الياء (بمثل أداء ما افترضته عليه) عينا أو كفاية وظاهره اختصاصه بما ابتدأ الله فرضه وفى دخول ما أوجبه المكلف على نفسه نظر للتقييد بقوله افترضت الا ان يؤخذ من جهة المعنى الاعم قاله الحافظ (وفى رواية بشئ أحب) بالفتح صفة لشئ فهو مفتوح فى موضع جر وبالرفع بتقدير هو أحب (الى من اداء ما افترضت عليه) أى تأديته لا المقابل للقضاء فقط بل المراد فعل ما افترض عليه (ولا يزال) بلفظ المضارع وللحموى والمستملى وما زال (عبدى) باضافة التشريف (يتقرب الى بالنوافل) مع الفرائض كالصلاة والصيام (حتى أحبه) بضم أوله أى أرضى عنه (فاذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها) بضم الطاء وكسرها روايتان وبهما قرئ أم لهم أيد يبطشون بها أى تأخذ بقوة (ورجله التى يمشى بها) زاد فى حديث عائشة عند أحمد والبيهقى فى الزهد وفؤاده الذى يعقل به ولسانه الذى يتكلم به وفى حديث أنس عند أبى يعلى وغيره ومن أحببته كنت له سمعا وبصرا ويدا ومؤيدا وقوله (فبى يسمع وبى يبصر وبى يبطش وبى يمشى) ليست هذه الجمل فى رواية البخارى (ولئن سألنى) زاد فى حديث عائشة عبدى (لأعطينه) ما سأل مما يعود بنفع عليه كعصمة وتوفيق الى طاعة (ولئن استعاذنى) قال المصنف بالنون بعد الذال المعجمة فى الفرع كأصله وبالموحدة فى غيرهما (لاعيذنه) مما يخاف وفى حديث أبى امامة عند الطبرانى والبيهقى فى الزهد واذا استنصرنى نصرته وفى حديث حذيفة

عند الطبراني ويكون من أوليائي وأصفيائي ويكون جاري مع النبيين والصديقين والشهداء في الجنة وفيه ان العبد ولو بلغ اعلى الدرجات حتى يكون محبوبا لله تعالى لا ينقطع عن الطلب من الله لما فيه من الخضوع واظهار العبودية (وما ترددت عن) بمعنى في أو ضمن تردد معنى تأخر لأنه لازمه (شئ أنا فاعله ترددى عن قبض نفس المؤمن) تشبيه بليغ بحذف الاداة ولم يقل نفس عبدى للاستغناء بوصف الايمان أى ما أخرت وما توقفت توقف المتردد فى أمر أنا فاعله الا فى قبض نفس المؤمن حتى يسهل عليه ويميل قلبه شوقا اليه لانخراطه فى سلك المقربين والتبوء فى عليين أو ازالة كراهة الموت مما يبتلى به من نحو مرض وفقر فأخذه المؤمن عن حب الحياة شيأ فشيأ بهذه الاسباب يشبه فعل المتردد فعبر به مجازا لان حقيقة التردد التحير بأن يظهر له ما يقتضى الفعل وما يقتضى الترك فينشأ من ذلك الحيرة لمريد الفعل لتعارض مقتضاهما عنده والله منزه عن ذلك كما يأتى (يكره الموت) لصعوبته وشدته ومرارته وشدة ائتلاف روحه بجسده وتعلقها به والعدم معرفته بما هو صائر اليه بعده (وأنا أكره مساءته) بفتح الميم والمهملة بعدها همزة ففوقية أى ان أفعل به ما يحزنه والجملة فى موضع التعليل للتردد وهو استئناف بيانى كأنه جواب سؤال قال الذهبى فى الميزان حديث غريب جدا ولولا هيبة الجامع الصحيح لعد وه فى منكرات خالد بن مخلد القطوانى لغرابة لفظه ولانه مما انفرد به شريك وليس بالحافظ ولم يروهذا المتن الا بهذا الاسناد ولا خرجه من عدا البخارى ولا أظنه فى مسند أحمد قال الحافظ ليس فى مسند أحمد جزما واطلاق انه لم يروالا بهذا الاسناد مردود وشريك شيخ خالد فيه مقال أيضا لكن للحديث طرق يدل مجموعها على ان له أصلا فرواه أحمد فى الزهد وابن أبى الدنيا والبيهقى فى الزهد من طريق عبد الواحد بن ميمون عن عروة عن عائشة وذكر ابن حبان وابن عدى ان عبد الواحد تفرد به وقد قال البخارى انه منكر الحديث لكن أخرجه الطبرانى من طريق يعقوب بن مجاهد عن عروة وقال لم يروه عن عروة الا يعقوب وعبد الواحد وأخرجه الاسماعيلى من حديث على والطبرانى والبيهقى عن أبى امامة بسند ضعيف وأبو يعلى والبزار والطبرانى عن أنس وفى سنده ضعف والطبرانى عن حذيفة مختصرا وسنده حسن غريب وابن ماجه وأبو نعيم فى الحلية عن معاذ بن جبل مختصرا وسنده ضعيف وأحمد فى الزهد وأبو نعيم فى الحلية عن وهب بن منبه مقطوعا انتهى وهو أصل عظيم فى السلوك الى الله تعالى والوصول الى معرفته ومحبته لان المفترض اما باطن وهو الايمان أو ظاهر وهو الاسلام أو مركب منهما وهو الاحسان المتضمن مقامات السالكين كالاخلاص والزهد والتوكل والمراقبة فقد جمع هذا الحديث الشريعة والحقيقة (ويستفاد من قوله وما تقرب الى عبدى بشئ) من الطاعات (أحب الى من أداء ما افترضته عليه أن أداء الفرائض أحب الاعمال الى الله تعالى) أى فعلها الا مقابل القضاء كما مر فالمراد اللغوى فشمل النذر أخذ اللافتراض بالمعنى الاعم لان من نذر شيأ فرض الله عليه الوفاء به فلا ينافى قوله مما افترضته ومر أن الحافظ نظر فيه وأشار الى الجواب بنحو هذا (وعلى هذا) المستفاد (فقد استشكل

كون

كون النوافل تنتج المحبة) لانه تعالى جعلها مرتبة على كثرة النوافل (ولا تنتجها الفرائض) لانه سبحانه جعلها أحب الاشياء اليه ولم يذكر سبب الاحبية فلم تترتب المحبة على اداء الفرائض (وأجيب بأن المراد من النوافل اذا كانت مع الفرائض مشتملة عليها ومكملة لها) لا مطلقا فانها أنتجت المحبة من حيث الاشتمال والتكميل (ويؤيده ان في رواية أبي امامة) الباهلي عند الطبراني والبيهقي مرفوعا (ابن) بفتح الهمزة وكسرها (ادم انك لن تدرك ما عندي الا بأداء ما افترضته عليك) فلا يعتد بالنوافل بدون الفرائض قال ابن أبي جمرة انما سميت نافلة لانها تأتي زائدة على الفريضة فاولم تؤد الفريضة لا تحصل ومن أداها ثم زاد النفل وأدامه محضت منه ارادة التقرب وقد جرت العادة بأن التقرب يكون غالبا بغير ما وجب على المتقرب كهدية وتحفة بخلاف ما يجب عليه او يقتضي ما لزمه ومما يحقق ذلك ان جملة ما شرع له النفل جبر الفرض فالمراد من التقرب بالنفل أن يقع عن اذى الفرض لا عمن أخل به قال بعض الاكابر من شغله الفرض عن النفل فهو معذور ومن شغله النفل عن الفرض فهو مغرور انتهى (أو يجاب بأن الاتيان بالنوافل لمحض المحبة لا لخوف العقاب على الترك) فاستحق محبة الله لكونه لا في مقابلة شئ (بخلاف الفرائض) ففعلها مانع من العقاب على تركها فهو في مقابلة عوض وان كانت أفضل (وقال الفاكهاني) عمر بن علي بن سالم اللخمي المالكي الشهير بتاج الدين الفاكهاني الفقيه الفاضل المتفنن في الحديث والفقه والاصول والعربية والادب والدين المتين والصلاح العظيم والخلق بأخلاق الاولياء وصحب منهم جماعة وحج غير مرة وولد بأسكندرية سنة أربع وقيل سنة ست وخمسين وستمائة ومات بها سنة أربع وثلاثين وسبعمائة وله مصنفات عديدة (معنى الحديث انه اذا اذى الفرائض ودام على اتيان النوافل من صلاة وصيام وغيرهما) وبين الفاكهاني نفسه ذلك الغير فقال في شرح الاربعين من صلاة في الليل أو في النهار لاسيما التوابع للمفروضات أو صيام أو صدقة أو حج تطوع أو جهاد غير متعين أو اصلاح بين اثنين أو جبر خاطر يتيم أو اغاثة مسلم أو تيسير على معسر أو فعل خير من حيث الجملة (أفضى به ذلك الى محبة الله تعالى) اياه أي أوصله لها فالباء زائدة للتوكيد (وقد استشكل أيضا كيف يكون الباري جل وعلا سمع العبد وبصره الخ) يعني ويده ورجله مع ان السمع عرض اذ هو قوة منبثة في مقعر الصماخ والله تعالى ذات والذات لا تقوم في العرض بل العكس مع استحالة حلول الحق تعالى في غيره فتضمن السؤال أمرين كما لا يخفى (وأجيب بأجوبة منها انه ورد على سبيل التمثيل والمعنى كنت كسمعه وبصره في ايثاره أمري فهو يحب طاعتي ويؤثر خدمتي كما يحب هذه الجوارح) فهو من التشبيه البليغ كزيد أسد (ومنها ان المعنى ان كليته) أي جملته لا الكلية المنطقية التي هي الحكم على جميع الافراد المقابلة للكلي وهو ما لا يمنع تصوره من وقوع الشركة فيه والكل وهو ما كان ذا اجزاء (مشغولة بي فلا يصغي بسمعه الا الى ما يرضيني ولا يرى ببصره الا ما أمرته به) ولا يبطش الا لمرضاتي ولا يمشي الى فيما يقربه الى (ومنها ان المعنى كنت له في النصرة) بضم النون الاعانة والتقوية (كسمعه وبصره

ويده ورجله فى المعاونة) بيان للنصرة (على عدوه) وهذا أيضا على جهة التمثيل لكنه من جهة أخرى فغاير الاول (ومنها انه على حذف مضاف أى حافظ سمعه الذى يسمع به فلا يسمع الا ما يحل سماعه وحافظ بصره كذلك) أى فلا يبصر الا الحلال (الخ) يعنى وحافظ يده وحافظ رجله كذلك والدليل على المضاف الاستحالة (قاله) أى هذا الجواب الرابع (الفاكهانى) فى شرح الاربعين ولم يذكر فيه سواه وسوى ما نقله بقوله (قال) الفاكهانى (ويحتمل) فى الحديث (معنى) فهو فاعل أو يحتمل الحديث معنى فهو نصب على المفعولية والاول أظهر والخطب سهل (آخر أدق من الذى قبله وهو أن يكون) سمعه (بمعنى مسموعه لان المصدر قد جاء بمعنى المفعول مثل فلان أملى بمعنى مأمولى) فأمل مصدر أمل يأمل من باب طلب واسم مفعوله مأمول واسم فاعله آمل وعبارة الفاكهانى قالوا أنت رجائى بمعنى مرجوّى (والمعنى أنه لا يسمع الا ذكرى) سماع تلذذ (ولا يتلذذ الا بتلاوة كتابى ولا يأنس الا بمناجاتى) فى الصلاة وغيرها (ولا ينظر الا فى عجائب ملكوتى ولا يمدّ يده الا فيما فيه رضاى) كمدّها بالصدقة ونحوها وعبر هنا بالمدّ اشارة الى ان المراد مطلق حركة يده لا حقيقة المدّ وفى الحديث بالبطش لشرفه وهو الاخذ بقوة (ورجله كذلك) لا يسعى بها الا فيما فيه رضاى (وقال غيره) وهو الطوفى (اتفق العلماء ممن يعتدّ بقوله) بافراد الضمير على لفظ من وهو أكثر كقوله ومنهم من يؤمن به (على ان هذا مجاز وكناية عن نصرة العبد) مصدر مضاف لمفعوله أى عن نصرة الله عبده (وتأييده واعانته حتى كأنه سبحانه ينزل نفسه من عبده منزلة الآلات التى يستعين بها) أى ان افعاله لا توجد الا بارادته واقداره عليها لا أنه بمنزلة الآلة الحقيقية (ولهذا وقع فى رواية فبى يسمع وبى يبصر وبى يبطش وبى يمشى قال) ذلك الغير (والاتحادية) نسبة الى الاتحاد وهو تصيير الذاتين ذاتا واحدة وهو محال لانه ان كانت عين كل واحدة منهما موجودة فى حال الاتحاد فهما اثنتان لا واحدة وان عدمت واحدة فليس ذلك باتحاد بل عدم احداهما وان عدمتا كان عدم الاتحاد أظهر (زعموا انه على حقيقته وان الحق عين العبد) محتجين بمجىء جبريل فى صورة دحية (تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا) وللشيخ قطب الدين القسطلانى كتاب بديع فى الردّ عليهم (وقال الخطابى عبر بذلك عن سرعة اجابة الدعاء والنجح) بضم النون الظفر بالقصد (فى الطلب وذلك أن مساعى الانسان) أى تصرّفه فى أعماله (كلها انما تكون بهذه الجوارح المذكورة وعن أبى عثمان) سعيد بن اسمعيل النيسابورى (الحيرى) بحاء مكسورة وراء مهملتين بينهما تحتية ساكنة نسبة الى الحيرة محلة بنيسابور غير المدينة المعروفة بالكوفة وأصله من الرى وصحب قديما يحيى بن معاذ الرازى وشاه ابن شجاع الكرمانى ثم رحل الى نيسابور قاصدا أبا حفص الحداد فأخذ عنه طريقته وزوّجه ابنته (أحد أئمة الطريق) قال أبو نعيم كان بالحلم منتطقا وللمريدين نصيحا مشفقا وقال الخطيب كان مجاب الدعوة وكان يقول من أمّر السنة على نفسه قولا وفعلا نطق بالحكمة ومن أمّر الهوى عليها نطق بالبدعة وان تطيعوه تهتدوا مات بنيسابور سنة ثمان وتسعين ومائتين وقيل غير ذلك (قال معناه كنت أسرع الى قضاء حوائجه

قوله لا حقيقة المدّ لعل صوابه لا حقيقة البطش المصرّح به فى الحديث اه

من سمعه فى الاستماع وعينه فى النظر ويده فى اللمس ورجله فى المشى كذا (أسنده) أى رواه (عنه البيهقى "ق") كتاب (الزهد وجعله بعض أهل الزيغ) الضلال والميل عن الحق الى الباطل (على ما يدعونه من ان العبد اذا لازم العبادة الظاهرة والباطنة حتى تصفى من الكدورات انه) تأكيد لقوله ان العبد أعاده لطول الفصل وهو وارد فى الفصيح كقوله تعالى أيعدكم أنكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما أنكم مخرجون والخبر قوله (يصير فى معنى الحق تعالى الله عن ذلك وأنه يفنى عن نفسه جملة حتى يشهد أن الله هو الذاكر لنفسه الموحد) بالحاء المهملة (لنفسه المحب لنفسه وأن هذه الاسباب والرسوم تصير عدما صرفا) وهذا ضلال مبين (وعلى الاوجه) السبعة السابقة (كلها فلا متمسك فيه للاتحادية ولا القائلين بالوحدة المطلقة لقوله فى بقية الحديث ولئن سألنى زاد فى رواية عبد الواحد) ابن ميمون عن عروة عن عائشة (عبدى) فان كلا من سألنى وعبدى نص فى نفى الاتحاد والوحدة المطلقة (انتهى ملخصا وقال العلامة ابن القيم) شمس الدين محمد ابن أبى بكر (تضمن هذا الحديث الشريف الالهى) المنسوب الى الاله تعالى مما تلقاه المصطفى عنه بلا واسطة أو بها (الذى حرام) أى ممنوع فالحرمة لغة المنع ومنه وحرام على قرية (على غليظ الطبع) شديده فى التباعد عن الحق وعدم الانقياد له (كثيف القلب) المراد هنا معنى ما قبله فهو مساوله حسنه اختلاف اللفظ فحرام خبر مقدم والمبتدأ (فهم معناه و) فهم (المراد به) فهو بالجر عطف على معناه وان اتحدا معنى كسابقه لاختلاف اللفظ وقوله (حصر) بالنصب مفعول تضمن (أسباب محبته) تعالى لعبده فالمصدر مضاف لفاعله (فى أمرين أداء الفرائض والتقرب اليه بالنوافل) بدل من أمرين ولا يقرأ قوله والمراد بالرفع مبتدأ خبره حصر ويعترض عليه بأن الظاهر حذفه لان حصر مفعول تضمن اذ لا محوج لذلك فالكلام صحيح بجر المراد وهو الظاهر أو المتعين (و) تضمن أيضا (أن المحب لا يزال يكثر من النوافل حتى يصير محبوبا لله) فالسبب الثانى هو المحقق لصيرورة العبد محبوبا لله بحيث يكون سمعه الخ (فاذا صار محبوبا لله أوجبت أثبتت (محبة الله له محبة أخرى منه) أى العبد (لله فوق المحبة الاولى) الحاصلة منه قبل (فشغلت هذه المحبة) الثانية (قلبه عن الفكرة والاهتمام بغير محبوبه) وهو الله عز وجل (وملكت) أى قصرت تلك المحبة (عليه) أى على المحبوب (روحه) أى المحب بحيث لا تجاوزه للتعلق بغيره (ولم) الاولى فلم بالفاء (يبق فيه سعة لغير محبوبه البتة فصار ذكر محبوبه وحبه) بضم الحاء والرفع (ومثله) بفتحتين وصفه (الاعلى) العجيب الشان كالقدرة العامة والحكمة التامة (مالك زمام قلبه) خبر أى صار مالكا زماما لقلبه من التلفت الى غيره ففيه استعارة بالكناية وتخييلية شبه القلب بالبعير الممنوع من استرساله مع هواه استعارة بالكناية واثبات الزمام له تخييل (مستوليا على روحه استيلاء المحبوب على محبه الصادق فى محبته التى قد اجتمعت قوى محبه كلها له) فسمع محبه وبصره وغيرهما من بقية المعانى صارت حافظة للمحب مانعة من لحوق ضرر به مقوية له على مطلوبه من زيادة القرب ودوامه فكأنها مختصة به لا تجاوزه

الى غيره (ولاريب) شك (ان هذا المحب ان سمع سمع بمحبوبه وان أبصر أبصر بمحبوبه وان مشي مشي به فهو فى قلبه وتقصه وأنيسه وصاحبه) ويقرب من هذا جواب العارف الاستاذ على بن وفاء بأن معنى كنت سمعه الخ ان ذلك الكون الشهودى مرتب على ذلك الشرط الذى هو حصول المحبة فمن حيث الترتب الشهودى جاز الحدوث المشار اليه بقوله كنت سمعه لامن حيث التقدير الوجودى وقال فى الفتوحات لابن عربى المراد به انكشاف أمر لمن تقرب اليه تعالى بالنوافل لا أنه لم يكن الحق تعالى سمعه قبل التقرب ثم كان تعالى عن ذلك وعن العوارض الطارئة وهذه من غرر المسائل الالهية نقلهما فى اليواقيت والجواهر (والباء هنا) فى قوله فبى يسمع الخ (باء المصاحبة وهى مصاحبة لاتظيرلها) لان الاصل فى الصحبة اطلاقها على من حصل له رؤية ومجالسة ووراء ذلك شروط للاصوليين وتطلق مجازا على من تمذهب بمذهب امام كأصحاب الشافعى ولا يصح حلها هنا على شئ من ذلك (ولا تدرك بمجرد الاخبار عنها والعلم بها) لانها لا تظير لها تصور به فى الخارج فما يدركها من قامت به كالملاحة تدرك ولا توصف بعبارة تحصل حقيقتها وصورتها للمخاطب (فالمسئلة حالية) أى حال من أحوال النفس يدركها من قامت به (لا علمية محضة) أى ليست متعلقة للعلم بحيث يصورها بما يميزها عن غيرها شارحا (قال) ابن القيم (ولما حصلت الموافقة من العبد لربه فى محابه) جمع حب كمحاسن جمع حسن على غير قياس (حصلت موافقة الرب لعبده فى حوائجه ومطالبه فقال وائن سألنى لأعطينه ولئن استعاذنى لأعيذنه أى كما وافقنى فى مرادى بامتثال أوامرى والتقرب الى بمحابى فأنا أوافقه فى رغبته) فيما عندى (ورهبته) خوفه منى (فيما ألى ان أفعله به) عائد لرغبته (وفيما يستعيذنى ان ينالهه) عائد لرهبته فنى وعده المحقق المؤكد بالقسم ايذان بأن من تقرب اليه بما مر لا يرد دعاءه وان الكمل يطلب منهم الدعاء وقال الشيخ أكمل الدين فى شرح المشارق أقوى ما قاله الشراح بحسب الظاهر فى هذا الحديث كنت سمعه فلا يسمع مالم يأذن الشرع بسماعه ولا يبصر مالم يأذن فى النظر اليه ولا يبطش الا ما أذن ببطشه ولا يسعى الا فيما أذن بالسعى اليه وبحسب الباطن لا يزال العبد يتقرب الى الله بأنواع الطاعات وأصناف الرياضات ويترقى من مقام الى أعلى منه حتى يحبه الله فيجعل سلطان حبه غالبا عليه حتى يسلب عنه الاهتمام بكل شئ غير تقربه اليه فيصير متخليا عن الشهوات ذاهلا عن اللذات مستغرقا بملاحظة جناب قدسه بحيث مالاحظ شيأ الا لاحظ ربه ولا التفت الى شئ الا رأى ربه وهذا آخر درجات السالكين وأول درجات الواصلين فيكون بهذا الاعتبار سمعه وبصره وهذا نفس محجوب والذائق يقول العبد يتقرب الى الله بالنوافل حتى يكون الرب صفات عبده المذكورة لتحصل له المناسبة الصفتية بين المحب والمحبوب فانها لابد منها ولذا جعل السبب فيه اداء النوافل فان الله فاعل مختار ليس عليه ايجاب لاحد والنوافل ليست بايجاب فكان ذلك مناسبة أخرى بين المحب والمحبوب وهذا يسمى قرب النوافل وثمة قرب الفرائض وهو أعظم من قرب النوافل انتهى (وقوى أمر هذه الموافقة من الجانبين حتى اقتضى تردد الرب سبحانه

وتعالى

وتعالى في اماتة عبده لانه يكره الموت والرب تعالى يكره ما يكره عبده ويكره مساءته فمن هذه الجهة يقتضي أن لا يميته ولكن مصلحته في اماتته فتفضل بفعل المصلحة (فانه ما أماته الا ليحييه) الحياة الابدية (ولا أمرضه الا ليصحه) بضم التحتية وكسر الصاد أي يزيل مرضه بصونه من أهوال الآخرة والآمها أو ليزيل عنه المكروهات الدنيوية ويشفيه وهذا أظهر (ولا أفقره الا ليغنيه ولا منعه الا ليعطيه ولم يخرجه من الجنة في صلب أبيه آدم الا ليعيده اليها على أحسن أحواله فهذا هو الحبيب على الحقيقة لا سواه انتهى) كلام ابن القيم (وقال الخطابي التردد في حق الله غير جائز) اذ لا يكون الا عمن لا يعلم العاقبة فيتعارض عنده مقتضى الفعل والترك فيتحير في أيهما أولى ليفعله والله لا يخفى عليه شئ فيستحيل التردد منه (والبداء) بفتح الموحدة والدال المهملة والمد ظهور مصلحة كانت خفيت (عليه في الامور غير سائغ) لانه محال أن يظهر له شئ كان عنه غائبا (ولكن له) أي الحديث (تأويلان أحدهما ان العبد قد يشرف على الهلاك في أيام عمره من داء يصيبه وفاقة تنزل به فيدعو الله فيشفيه منها ويدفع) يزيل (عنه مكروهها فيكون ذلك من فعله كتردد من يريد أمرا ثم يبدو له فيه فيتركه ويعرض عنه) فليس من التردد الحقيقي في شئ (ولا بد له من لقائه) أي الموت (اذا بلغ الكتاب) المكتوب من العمر (أجله) فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولن يؤخر الله نفسا اذا جاء أجلها (لان الله قد كتب الفناء على خلقه) كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام (واستأثر بالبقاء لنفسه) فكل شئ هالك الا وجهه (والثاني ان يكون معناه ما رددت رسلي في شئ انا فاعله كترديدي اياهم في قبض نفس عبدي المؤمن) فأطلق التردد وأراد لازمه وهو الترديد وأضاف تعالى ذلك لنفسه لان ترددهم عن أمره (كما في قصة موسى عليه السلام) في الصحيحين عن أبي هريرة مرفوعا في أحاديث الانبياء أرسل ملك الموت الى موسى فلما جاءه صكه فرجع الى ربه فقال أرسلتني الى عبد لا يريد الموت فرد الله عليه عينه وقال ارجع فقل له يضع يده على متن ثور فله بكل ما غطت يده بكل شعرة سنة قال ثم ماذا قال الموت قال فالآن الحديث (وما كان من لطمه عين ملك الموت) ففقأها كما في رواية مسلم وكأن موسى ظنه آدميا تسور عليه منزله بغير اذنه ليوقع به مكروها ويحتمل انه علم انه ملك الموت ودافعه عن نفسه باللطمة المذكورة والاول أولى ويؤيده انه جاء الى قبضه ولم يخيره وقد علم موسى انه لا يقبض حتى يخير ولهذا لما خيره قال الآن وعند أحمد كان ملك الموت يأتي الناس عيانا (وتردده اليه مرة بعد أخرى) أي ثانية بعد الاولى (قال) الخطابي (وحقيقة المعنى على الوجهين عطف الله على العبد ولطفه به وشفقته عليه) ألفاظ متقاربة (وقال الكلاباذي) بفتح الكاف والموحدة فالف فذال معجمة نسبة الى كلاباذ محلة كبيرة ببخارى الحافظ الامام أبو نصر أحمد بن محمد بن الحسين بن الحسن بن علي بن رستم البخاري سمع الهيثم بن كليب الشاشي ومعه جعفر المستغفري قال الحاكم كان من الحفاظ حسن المعرفة والفهم متقنا ثبتا لم يخلف مثله بما وراء النهر وحدث ببغداد في حياة الدارقطني وكان يثني عليه ومات في جمادى الآخرة سنة ثمان

وتسعين وثلثمائة عن خمس وثمانين سنة (ما حاصله انه عبر عن صفة الفعل بصفة الذات يعنى باعتبار متعلقها أى عن الترديد بالتردد وجعل متعلق الترديد اختلاف أحوال العبد من ضعف ونصب) بفتحتين وبضمتين وبضمة أى داء وبلاء (الى أن تنتقل محبته فى الحياة الى محبته للموت فيقبض على ذلك) فسماه ترددا مجازا (قال وقد يحدث الله فى قلب عبده من الرغبة فيما عنده والشوق اليه والمحبة للقائه مايشتاق معه الى الموت فضلا عن ازالة الكراهة عنه انتهى) وقال الجنيد الكراهة هنا لما يلقى المؤمن من الموت وصعوبته وليس المعنى انى اكره له الموت لان الموت يورده الى رحمة الله ومغفرته وقال غيره لما كانت مفارقة الروح للجسد لا تحصل الا بألم عظيم جدا والله تعالى يكره أذى المؤمن أطلق على ذلك الكراهة ويحتمل أن تكون المساءة بالنسبة الى طول الحياة لانها تؤدى الى أرذل العمر وتنكيس الخلق والرد الى أسفل سافلين وفى ذلك دلالة على شرف الاولياء ورفعة منزلتهم حتى لو تأتى انه تعالى لا يذيقهم الموت الذى حتمه على عباده لفعل ولهذا المعنى ورد لفظ التردد كما ان العبد اذا كان له أمر لا بد له أن يفعله بحبيبه لكنه يؤلمه فان نظر الى ألمه كف عن الفعل وان نظر الى انه لا بد له منه لمنفعته أقدم عليه فعبر عن هذه الحالة فى قلبه بالتردد فخاطب الله الخلق بذلك على حسب مايعرفونه ودلهم على شرف الولى عنده (وبالجملة فلا حياة) لذيذة محمودة (للقلب الا بمحبة الله ومحبة رسوله ولا عيش) محمود (الا عيش المحبين الذين قرت أعينهم بحبيبهم وسكنت نفوسهم اليه واطمأنت قلوبهم به واستأنسوا بقربه وتنعموا بحبه ففى القلب طاقة) أى اشتياق وتلهف واحتراق على عدم وصوله الى مطلوبه شبه ذلك بطاقة مفتوحة يدخل منها ما يؤلم المحب فى جسده وأنه (لا يسدها) أى يمنع عنه ذلك الاحتراق والتلهف (الا محبة الله ورسوله ومن لم يظفر بذلك فحياته كلها هموم وغموم وآلام وحسرات) فهى حياة كلا حياة (قال صاحب المدارج) ابن القيم (ولن يصل العبد الى هذه المنزلة) المرتبة (العلية والمرتبة السنية) ساواحسنه اختلاف اللفظ (حتى يعرف الله تعالى ويهتدى اليه بطريق توصله اليه) وهى اتباع الكتاب والسنة (ويحرق ظلمات الطبع بأشعة) أى أنوار (البصيرة) للقلب كالبصر للعين (فيقوم بقلبه شاهد من شواهد الآخرة فينجذب) يقبل (اليها بكليته) بجلته (ويزهد فى التعلقات الفانية) كما فى الحديث ازهد فى الدنيا يحبك الله (ويدأب) يجهد ويتعب نفسه (فى تصحيح التوبة) المأمور بها فى توبوا الى الله توبة نصوحا (والقيام بالمأمورات الظاهرة) كالصلاة (والباطنة) كالحب لله ولرسوله (وترك المنهيات الظاهرة) كالغيبة (والباطنة) كالحسد (ثم يقوم حارسا على قلبه فلا يسامحه بخطرة يكرهها الله) بل يتوب منها فى الحال (ولا بخطرة فضول لا تنفعه) لانه اذا سامحه من ذلك انتقل الى مافوقه وهكذا واذا فعل ماذكر (فيصفو لذلك قلبه بذكر ربه ومحبته والانابة) الرجوع (اليه ويخرج من بين بيوت طبعه ونفسه الى فضاء الخلوة بربه وذكره كما قال وأخرج من بين البيوت لعلنى * أحدث عنك النفس بالسر خاليا)

فأراد الشاعر بالبيوت الطبع والنفس بدليل ترجيه لا البيوت الحقيقية اذ لا اعتداد بالخروج منها مع بقاء الطبع (فحينئذ يجتمع قلبه وخواطره وحديث نفسه على ارادة ربه وطلبه والشوق اليه فاذا صدق فى ذلك رزق محبة الرسول واستولت روحانيته على قلبه فجعله امامه) الذى يقتدى به (واستاذه) أى معلمه كلمة أعجمية لان السين والذال المعجمة لا يجتمعان فى كلمة ومعناها الماهر بالشئ العظيم (ومعلمه وشيخه وقدوته) ألفاظ متقاربة (كما جعله الله نبيه ورسوله وهاديه) الدال عليه (فيطالع سيرته ومبادى) اوائل (اموره وكيفية نزول الوحى عليه ويعرف صفاته وأخلاقه وآدابه) رياضات نفسه ومحاسن أخلاقه (وحركاته وسكونه ويقظته ومنامه وعبادته ومعاشرته لاهله وأصحابه الى غير ذلك مما خصه) أعطاه وخصه (الله به مما ذكرت بعضه) فيما سبق (حتى يصير كانه معه من بعض أصحابه فاذا رسخ فى قلبه ذلك فتح عليه بفهم الوحى المنزل عليه من ربه بحيث اذا قرأ السورة شاهد قلبه ماذا أنزلت فيه وماذا أريد بها وحظه) نصيبه (المختص به منها من الصفات والاخلاق والافعال المذمومة فيجتهد فى التخلص منها كما يجتهد فى تحصيل الشفاء من المرض المخوف) بل أقوى للعاقل لان المرض كفارة وهذه موبقة (ولمحبة الرسول عليه الصلاة والسلام علامات) دالة عليها (أعظمها الاقتداء به) اتباعه (واستعمال سنته) أى طريقته فعطف (وسلوك طريقته) تفسيرى وكذا (والاهتداء بهديه وسيرته) ولا ضير فى ذلك لان المقام اطناب وسنته شاملة للتأسى به فى الاقتداء به فى الشدائد والحروب وغيرهما وليس مخصوصا بالعبادات التى سنها (والوقوف عند ما حد) أى قدر (لنا من أحكام شريعته) سميت الاحكام حدا لمنعها عن الاقدام على ما يخالفها من قول أو فعل أو عزم فالحد لغة المنع فاذا أمر أو نهى فقد منع من ضده (قال الله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله فجعل متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم آية) أى علامة (محبة العبد ربه وجعل جزاء العبد على حسن متابعة الرسول محبة الله تعالى اياه) وغفرانه وأشار بحسن الى أن مجرد الاتباع لا يكون علامة الا اذا كان على اكمل الوجوه بحيث يتحقق فيه معنى حديث لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه الخ (وقد قال الحكيم) الذى ينطق بالحكمة (وهو محمود) بن الحسن (الوراق كما أفاده) الحرث بن أسد (المحاسبى) بكسر السين لمحاسبته نفسه أو لغير ذلك مر ضبطه وبعض ترجمته قريبا جدا (فى كتاب القصد والرجوع) أحد تصانيفه وهى نحو مائتين وقال غيره انه لمنصور الفقيه بليغ كان فى أول الدولة العباسية (تعصى الاله وأنت تظهر حبه * هذا لعمرى) أى حياتى (فى القياس بديع) غريب عجيب مخالف لانواع القياس (لو كان حبك صادقا لاطعته * ان المحب) بكسر الهمزة لانها تعليلية (لمن يحب مطيع) لا يعصيه أصلا ويقع فى بعض النسخ بيت ثالث وهو هذا

فى كل يوم يبتديك بنعمة * منه وأنت لشكر ذاك تضيع بضم الفوقية من أضاع كذا اذا أهمله واكثر النسخ كما فى الشفاء بدون هذا الثالث (وهذه المحبة تنشأ من مطالعة العبد) أى نظره (منة الله) نعمه التى أنعم بها (عليه) ومعرفة قدرها

وأنها لا تكون الا منه (من نعمه الظاهرة والباطنة) بيان لمنة الله تعالى (فبقدر مطالعة ذلك تكون قوة المحبة ومن أعظم مطالعة منة الله تعالى على عبده منة) تمييز (تأهله لمحبته ومعرفته ومتابعة حبيبه صلى الله عليه وسلم وأصل هذا نور يقذفه الله تعالى في قلب ذلك العبد فاذا دار ذلك النور أشرقت له ذاته فرأى في نفسه) أمرا عظيما تقصر عنه العبارة (و) رأى فيـ(ـما أهلت له من الكمالات والمحاسن) ما لا يمكنه التعبير عنه فالمفعول محذوف فيهما (فعلت به همته وقويت عزيمته وانقشعت) انكشفت (عنه ظلمات نفسه وطبعه لان النور والظلمة لا يجتمعان) لا يدخل أحدهما على الآخر (الا ويطرح) يزيل ويذهب (أحدهما الآخر فوقعت الروح حينئذ بين الهيبة والانس الى الحبيب الاول) يتنازعه كل من الهيبة والانس ويحتمل تعلقه بوقعت وبين الهيبة والانس حال يعني انه وقع بين أمرين متضادين فالهيبة تقتضي الفزع والخوف ممن يهابه والانس يقتضي انشراح النفس وانبساطها ممن تأنس به وأنشد لغيره

(نقل فؤادك حيث شئت من الهوى * ما الحب الا للحبيب الاول
كم منزل في الارض يألفه الفتى * وحنينه أبدا لاول منزل)

نقل بالنون ومن الهوى متعلق به أي نقل فؤادك وعلقه بمن تهوى من كل ما تميل نفسك اليه فانك وان فعلت ذلك لا بد لك من الرجوع الى الحبيب الاول لمعرفة مقامه بالميل الى غيره (وبحسب) أي بقدر (هذا الاتباع توجب) بضم التاء وفتح الجيم وموحدة أي تحصل وتوجد (المحبة والمحبوبية معا ولا يتم الامر الا بهما فليس الشان) الامر العظيم المرتب عليه سائر الكمالات (أن تحب الله) فقط (بل الشان أن يحبك الله ولا يحبك الا اذا اتبعت حبيبه) صلى الله عليه وسلم (ظاهرا وباطنا وصدقته خبرا) أي فيما وصل اليك من اخباره (وأطعته أمرا) أي فيما أمر به (وأجبته دعوة) أي أجبت دعوته حيث دعاك (وآثرته طوعا) أي فضلت طاعته وقدمتها على كل شئ لان من فضل شيأ قدمه على غيره فلا يرد أن معنى الايثار التفضيل والمراد هنا التقديم كقوله ويؤثرون على أنفسهم لان التقديم لازم للتفضيل فاللفظ هنا مستعمل فيهما والانصار لما فضلوا المهاجرين قدموهم على أنفسهم غاية التعظيم حتى ان بعض من كان له زوجتان عرض احداهما على المهاجري الذي واخى المصطفى بينه وبينه (وفنيت عن حكم غيره) فلم تجعل لنفسك وجودا ولا انقيادا له (بحكمه) فقصرت نفسك عليه (وعن محبة غيره من الخلق بحبه) (وعن طاعة غيره بطاعته) في أوامره ونواهيه (وان لم تكن كذلك فلا تتعن) بفوقيتين وعين مفتوحات وشد النون أي لا تتعب نفسك في أمر تتوهم به الوصول اليه (فلست على شئ) من المحبة المقتضية لاقباله عليك ورفعه اياك في المحل الاعلى (وتأمل قوله تعالى فاتبعوني يحببكم الله أي الشان) بالرفع بيان لحاصل المعنى (في ان الله يحبكم لا في انكم تحبونه وهذا لا ينالونه الا باتباع الحبيب) عليه الصلاة والسلام (وقال المحاسبي في كتاب القصد والرجوع وعلامة محبة العبد لله عز وجل اتباع مرضاة الله) أي رضاه

(والتمسك بسنتي) بجمع سنة (رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا ذاق العبد حلاوة الايمان ووجد طعمه) باتباع مرضاة الله والسنن (ظهرت ثمرة ذلك على جوارحه ولسانه فاستحلى اللسان ذكر الله تعالى وحاولاه) بما فيه طاعة لله كالامر بالمعروف والنهي عن المنكر هذا ان أريد بالذكر ذكر اللسان (وأسرعت الجوارح الى طاعة الله فحينئذ يدخل حب الايمان في القلب كما يدخل حب الماء البارد الشديد برده في اليوم الشديد الحر للظمآن الشديد العطش فيرتفع عنه تعب الطاعة لاستلذاذه بها بل تبقى الطاعات غذاء) بفتحتين والمد (لقلبه) أي كالغذاء له (وسروره وقرة عين في حقه ونعيما لروحه يلتذ بها أعظم من اللذات الجثمانية) بضم الجيم ومثلثة نسبة الى الجثمان وهو الجثة وفي نسخة بالسين والجيم مكسورة أي أعظم من اللذات الحاصلة للشخص من تناول ما يلتذ به (فلا يجد في أوراد العبادة كلفة وفي الترمذي عن أنس مرفوعا) ولفظه قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ان قدرت أن تمسي وتصبح ليس في قلبك غش لاحد فافعل ثم قال يا بني وذلك من سنتي (ومن أحيا سنتي) بالافراد على الاشهر وبالجمع (فقد أحبني) أي علم محبته لي أي أظهرها وعمل بها وحث عليها فشبه اظهارها بعد تركها الاخذ بها بالاحياء ثم اشتق منه الفعل فجرت الاستعارة في المصدر أصلية ثم سرت الى الفعل تبعا ولذا قالوا السنن كسفينة نوح اتباعها يدفع البلاء عن أهل الارض والسنة انما سنها العالم في خلافها من الخطا والزلل ولو لم يكن الا ان الله وملائكته وحملة عرشه يستغفرون لمتبعها لكفى فقد أحبني أي علم حبه لي (ومن أحبني كان معي في الجنة) لان المرء مع من أحب وفي رواية فقد أحياني ومن أحياني أي أظهر ذكري ورفع أمري بجعله بمنزلة الاحياء كما قيل

ويحسبه قد عاش آخر دهره * الى الحشر ان أبقى الجميل من الذكر

(وعن) أبي العباس أحمد بن محمد بن سهل (بن عطاء) الادمي بفتحتين تقدم (من ألزم نفسه آداب السنة نور الله قلبه بنور المعرفة ولا مقام أشرف من مقام متابعة الحبيب) لله تعالى (في أوامره ونواهيه وأفعاله وأخلاقه وقال أبو اسحق) ابراهيم بن داود القصار (الرقي) بفتح الراء وشد القاف نسبة الى الرقة مدينة على طرف الفرات من كبار مشايخ الشام وصحب أكثر المشايخ بها وكان ملازما للفقر مجردا فيه محبا لاهله وقال حسبك من الدنيا شيئان صحبة فقير وحرمة ولي وقال الابصار قوية والبصائر ضعيفة وهو (من أقران الجنيد) وابن الجلاء الا أنه عمر طويلا حتى مات سنة ست وعشرين وثلثمائة (علامة محبة الله ايثار طاعته ومتابعة نبيه صلى الله عليه وسلم) المتابعة التامة (وعن غيره لا يظهر) وفي نسخة بالواو أي قال ما مر عن الرقي وزاد ولا يظهر (على أحد شئ من نور الايمان الا باتباع السنة ومجانبة البدعة فأما من أعرض عن الكتاب والسنة ولم يتلق العلم من مشكاة الرسول) أي الاحاديث الواردة عنه (عليه الصلاة والسلام) وعبر عنها بالمشكاة تشبيها لها بالكوة التي يصل النور منها الى انسان بيت اذا ورد عليه فيه انكشف ما كان خفيا عنه بسببه (بدعواه علما لدنيا أوتيه فهو من لدن الشيطان)

أي من عنده (و) من عند (النفس وانما يعرف كون العلم لدنيا روحانيا بموافقته لما جاء به الرسول عليه الصلاة والسلام عن ربه تعالى فالعلم اللدني) الآتي لصاحبه من عند غيره (نوعان) أحدهما (لدني رحماني) من عند الرحمن تبارك وتعالى سمي لدنيا لحصوله من الله لا من كسب العبد (و) ثانيهما (لدني شيطاني) من عند ملعنه الله (والمحك) بالكاف المميز لذلك (هو الوحي ولا وحي بعد الرسول صلى الله عليه وسلم) فما وافقه كان لدنيا رحمانيا وما لا فشيطانيا قال الجنيد علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة قال ابن عربي يريد أنه نتيجة عن العمل عليهما وهما الشاهدان العدلان وفي نسخة المحل باللام أي الذي يتلقى منه العلم عن الله هو الوحي أي الكتاب والسنة فما تلقى عن غيرهما ولم يخرج على قواعدهما فهو من وسوسة الشيطان يجب صرفه حالا والحكم بأنه ليس من الله (وأما قصة موسى مع الخضر) وقوله تعالى وآتيناه من لدنا علما (فالتعلق بها في تجويز الاستغناء عن الوحي بالعلم اللدني الحاد وكفر يخرج عن الاسلام موجب لاراقة الدم) وهذا جواب سؤال هو لا يلزم أن ما أخذ من غير الوحي يكون من الشيطان لجواز انه علم غيبي من الله به على عبده فأوصله اليه من غير طريق الوحي بدليل قصة الخضر (و) الجواب (الفرق أن موسى عليه السلام لم يكن مبعوثا الى الخضر ولم يكن الخضر مأمورا بمتابعته و) دليل ذلك أنه (لو كان مأمورا بها لوجب عليه أن يهاجر الى موسى و يكون معه) ولم يفعل لانه لم يؤمر بذلك (ولهذا قال له أنت موسى نبي بني اسرائيل قال نعم) فرسالته خاصة بهم (ومحمد صلى الله عليه وسلم مبعوث الى جميع الثقلين فرسالته عامة للجن والانس في كل زمان ولو كان موسى وعيسى حيين لكانا من أتباعه) كما في الحديث (فمن ادعى انه مع محمد كالخضر مع موسى أو جوز ذلك لأحد من الامة فليجدد اسلامه) لكفره بهذه الدعوى (وليشهد شهادة الحق) أي يعتقد خلاف دعواه باطنا و يأتي بالشهادتين ظاهرا ليعود الى الاسلام (فانه مفارق لدين الاسلام بالكلية فضلا عن أن يكون من خاصة أولياء الله تعالى وانما هو من أولياء الشيطان وخلفائه ونوابه) في الضلال والاضلال (والعلم اللدني الرحماني هو ثمرة العبودية والمتابعة لهذا النبي الكريم عليه أزكى الصلاة وأتم التسليم وبه يحصل الفهم في الكتاب والسنة بأمر يختص به صاحبه كما قال علي بن أبي طالب) أمير المؤمنين (وقد سئل) والسائل له أبو جحيفة كما في الصحيح وقيس بن عباد بضم العين وخفة الموحدة والاشتر النخعي وحديثهما في سنن النسائي (هل خصكم) أهل البيت النبوي أو الجمع للتعظيم (رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيء دون الناس) من أسرار علم الوحي كما تزعم الشيعة (فقال لا الا فهما يؤتيه الله عبدا في كتابه) القرآن من فحوى الكلام ويدركه من باطن المعاني التي هي غير الظاهر من نصه ومراتب الناس في ذلك متفاوتة وفيه جواز استخراج العالم من القرآن بفهمه مالم يكن منقولا عن المفسرين اذا وافق اصول الشريعة (فهذا هو العلم اللدني الحقيقي فاتباع هذا النبي الكريم حياة القلوب ونور البصائر وشفاء الصدور ورياض النفوس) جمع روضة وهي الموضع المعجب بالزهور

جعل

جعل اتباعه كرياض مزهرة مثمرة للنفوس الالتذاذ بها كلذة رائي الرياض بها (ولذة الارواح وأنس المستوحشين ودليل المتحيرين ومن علامات محبته أن يرضى مدعيها) عبر به دون محب لأنه اذا ثبت أنه محب لا يحتاج لعلامة (بما شرعه) صلى الله عليه وسلم أمرا ونهيا سماه شارعا لمجيئه على يده وتبليغه وان كان الشارع حقيقة هو الله تعالى وفي نسخة بما شرعه الله أي ما جاء به رسوله وبلغه لقوله بلغ ما أنزل اليك من ربك فما لهما واحد لكن الاولى أنسب بما الكلام فيه (حتى لا يجد في نفسه حرجا مما قضى) أي ضيقا أو شكا (قال الله تعالى فلا وربك لا يؤمنون) لا مزيدة للتأكيد أو نفي لما تقدمها أي ليس كما زعموا انهم آمنوا بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك وقيل لا الثانية زائدة والقسم معترض بين حرفي النفي (حتى يحكموك) أي يرجعوا لحكمك ويرضوا به (فيما شجر بينهم) من المشاجرة وهي المخاصمة وأصل معناه الاختلاط ومنه الشجر لتداخل أغصانه واختلاطها (ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت) ضيقا مما حكمت به أو من حكمك أو شكا من أجله فان الشاك في ضيق من أمره (ويسلموا تسليما) أي ينقادوا لحكمك وأكده ليفيد الانقياد ظاهرا وباطنا (فسلب اسم الايمان عمن وجد في صدره حرجا من قضائه ولم يسلم له) بقوله لا يؤمنون (قال شيخ المحققين وامام العارفين) جمع عارف وهو من أشهده الحق نفسه وظهرت عليه الاحوال والمعرفة حاله هكذا ذكره الشيخ فالعالم عنده أعلى مقاما من العارف خلافا للاكثر فان العالم من أشهده الله ألوهيته ولم يظهر عليه حال والعلم حاله وقد قرر ذلك في الفتوحات وكتاب مواقع النجوم وفي نسخ المعترفين وهي أبلغ لانه الدال على ما يوصل الى ذلك فيلزم أن يكون عارفا وتابعا بقول شيخه المرسي لأجعلنك سيد الطريقتين (تاج الدين) أحمد بن محمد بن عبد الكريم (بن عطاء الله الشاذلي) السكندري ثم المصري وبها مات سنة تسع وسبعمائة ودفن بالقرافة بقرب بني الوفاء ومن نظمه

أعندك عن ليلى حديث محرر * لايراده يحيا الرميم وينشر
فعهدي بها العهد القديم واني * على كل حال في هواها مقصر

(أذاقنا الله حلاوة مشربه) في كتاب التنوير في اسقاط التدبير (في هذه الآية دلالة على أن الايمان الحقيقي لا يحصل الا لمن حكم الله ورسوله صلى الله عليه وسلم على نفسه قولا وفعلا وأخذا وتركا وحبا وبغضا ويشتمل ذلك) المذكور (على حكم التكليف وحكم التعريف والتسليم) مبتدا (والانقياد) عطف كائن (على كل مؤمن في كليهما) أي حكمي التكليف والتعريف (فأحكام التكليف الاوامر والنواهي المتعلقة باكتساب العباد) أي ما دل على الاحكام المستفادة منهما اذ الاوامر ليست هي الاحكام التي يأتي بها المكلف لانه انما يأتي بالمأمور (وأحكام التعريف هو ما أورده عليه من فهم المراد فتبين من هذا أنه لا يحصل لك حقيقة الايمان الا بأمرين الامتثال لأمره والاستسلام لقهره) أي لما قهرك عليه وألزمك به من المطلوبات والمنهيات (ثم انه سبحانه لم يكتف بنفي الايمان عمن لم يحكم أو حكم ووجد الحرج في نفسه) بل بالغ في ذلك (حتى

أقسم على ذلك) فهو غاية المقدر (بالربوبية الخاصة برسوله) أى المضافة اليه (صلى الله عليه وسلم) وجعلها خاصة به لان الرب فى الاصل بمعنى التربية وهى تبليغ الشئ الى كماله شيأ فشيأ وهى وان كانت شاملة لجميع العالمين لكن تربية الحق لحبيبه لا يوازيها تربيته لغيره لانه بلغه أعلى الكمالات التى لم يبلغها لاحد سواه (رأفة وعناية) اهتماما (وتخصيصا ورعاية لانه لم يقل فلا والرب انما قال فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم فى ذلك تأكيد) لما أخبر به (بالقسم وتأكيد فى القسم) نفسه باضافة ربوبيته اليه تعظيما له وتنويها لمقامه وانما أكد بذلك (علما منه) أى لعلمه (سبحانه بما فى النفوس منطوية عليه من حب الغلبة ووجود النصرة) على غيرها (سواء كان الحق عليها أولها وفى ذلك اظهار لعنايته برسوله صلى الله عليه وسلم اذ جعل حكمه حكمه وقضاءه قضاءه) عطف مساو للاشارة الى أن مدلول يحكموك وقضيت واحد (فأوجب على العباد الاستسلام لحكمه والانقياد لامره) عطف تفسير قال فى الشفاء يقال سلم واستسلم وأسلم اذا انقاد (ولم يقبل منهم الايمان بالهيته) أى بأنه اله (حتى يذعنوا) ينقادوا (لاحكام رسوله صلى الله عليه وسلم لانه كما وصفه به ربه) تبارك وتعالى حيث قال أو قائلا (وما ينطق عن الهوى) أى هوى نفسه (ان) ما (هو الا وحى يوحى فحكمه حكم الله وقضاؤه قضاء الله كما قال ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله) لانه المقصود ببيعته (وأكد ذلك بقوله يد الله فوق أيديهم) حال أو استئناف مؤكد له على سبيل التخييل قاله البيضاوى (وفى الآية اشارة أخرى الى تعظيم قدره وتفخيم أمره صلى الله عليه وسلم وهى قوله تعالى وربك فأضاف نفسه) تعالى (اليه) عليه الصلاة والسلام (كما قال فى الآية الاخرى كهيعص ذكر رحمة ربك عبده زكريا فأضاف الحق سبحانه نفسه) فى الآيتين (الى محمد صلى الله عليه وسلم) فقال فى الاولى وربك وفى الثانية ربك (وأضاف زكريا اليه) لانه بدل من عبده أو بيان له فكان المعنى ذكر رحمة ربك زكريا الذى هو عبده (ليعلم) بضم التحتية وسكون العين وكسر اللام الله (العباد فرق ما بين المنزلتين) منزلة نبينا ومنزلة زكريا فان فى اضافة رب الى المصطفى غاية التعظيم (وتفاوت ما بين الرتبتين) عطف تفسير فالرتبة لغة المنزلة والمكانة (ثم انه تعالى لم يكتف بالتحكيم بالظاهر فيكونوا به مؤمنين بل اشترط فقدان الحرج وهو الضيق من نفوسهم فى أحكامه صلى الله عليه وسلم سواء كان الحكم بما يوافق أهواءهم أو يخالفها) والثانى ظاهر وأما الاول فلانه لا يلزم من كون الحكم موافقا الهواء أن لا يشق عليه لما فى الالزام به من مشقة التكليف المترتب على فعله أو تركه عقوبة الا العفو ويقرب ذلك أن الرجل قد يهوى زواج امرأة لكن يمنعه كثرة نفقتها مثلا فالزامه بتزوجها وان وافق هواه لكنه يشق عليه فاذا أخذها للامر ناله حرج فى نفسه (وانما تضيق النفوس لفقدان الانوار ووجود الاغيار فعنه) أى عما ذكر من الامرين (يكون الحرج وهو الضيق والمؤمنون ليسوا كذلك اذ نور الايمان ملأ قلوبهم فاتسعت وانشرحت فكانت واسعة بنور الواسع) الذى وسع علمه ورحمته كل شئ أو الغنى الذى وسع غناه معاش عباده ورزقه كافة خلقه (العليم) لكل معلوم

أو البالغ فى العلم فعلمه شامل لجميع المعلومات محيط بها سابق على وجودها (محدودة) أى مقواة فى أنفسها (بوجود فضله العظيم) زيادة على اشراقها بأنوار قدسه مأخوذ من مد الجيش وأمده اذا زاده وقواه (مهيآت لواردات أحكامه) وهى ما يرد على القلب من الخواطر المحمودة من غير عمل العبد وتطلق أيضا على كل ما يرد على القلب سواء كان وارد قبض أو بسط أو حزن أو فرح أو غير ذلك من المعانى قاله الكاشى (مفوضة له فى نقضه وابرامه انتهى) كلام ابن عطاء الله (وقال سهل بن عبد الله) التسترى (من لم ير) أى بعلم ويتيقن (ولاية الرسول صلى الله عليه وسلم) بفتح الواو وكسرها نفوذ حكمه وسلطانه (عليه فى جميع أحواله) بأن لا يخالفه فى أمر من الامور (ويرى نفسه فى ملكه) بكسر الميم حتى كأنه مملوكه (لم يذق حلاوة سنته لانه صلى الله عليه وسلم قال لا يؤمن أحدكم) أى لا يكمل ايمانه (حتى أكون أحب اليه من نفسه) فانه يدل على تلذذه بالاقتداء به وانما يلتذ بذلك اذا أحبه فان المحب لا يخالف محبوبه فيترك مراده لمراده وبهذا دل على الاحبية وطابقت العلة معلولها (وروينا عن السيد العارف بالله تعالى الكبير) محمد ابن أحمد بن ابراهيم (أبى عبد الله القرشى) الاندلسى ثم المصرى ثم المقدسى وبه توفى سنة تسع وتسعين وخمسمائة والدعاء عند قبره مجاب ولقى نحو ستمائة شيخ وجد واجتهد وأخذ عنه كثيرون وله كرامات (انه قال حقيقة المحبة أن تهب كلك لمن أحببت ولا يبقى لك منك شئ انتهى) وهو من ثمراتها وعلاماتها (فمن آثر هذا النبى الكريم على نفسه) بأن قدم ما فيه رضاه بامتثال أمره واجتناب نهيه مطمئنا بقبول ما جاء عنه زيادة على الايمان (كشف الله له عن حضرة قدسه) فصار يعبد الله كأنه يراه (ومن كان معه بلا اختيار لشئ تميل اليه نفسه تخالف لما طلب منه (ظهرت له خفايا حقائق أسرار أنسه ومن علامات محبته عليه الصلاة والسلام نصر دينه بالقول والفعل) مجاهدة الكفار لاعلاء كلمة الله (والذب) بمعجمة وموحدة المنع والطرد (عن شريعته) برد ما يخالفها ودفع الشبه الواردة عليها وتفسير أحاديثه وبيانها والانقياد لها (والتخلق بأخلاقه فى الجود) فقد كان أجود الناس (والايثار) تقديم الغير عليه فى أمور الدنيا (والحلم والصبر والتواضع) فقد بلغ فى كل منها الغاية القصوى أفلا أقل من التخلق به فى بعضها

ومتى تفعل الكثير من الخير * اذا كنت تاركا لأقله

(وغيرها مما ذكرته فى أخلاقه العظيمة وتقدم فى كلام العارف ابن عطاء الله مزيد لذلك قريبا) جدا فوق هذا (فمن جاهد نفسه على ذلك وجد حلاوة الايمان ومن وجدها استلذ الطاعات وتحمل المشاق فى الدين وآثر ذلك على أعراض الدنيا الفانية يا هذا أول نقدة من أثمان المحبة بذل الروح) سئل الجنيد عن العشق فقال لا أدرى ماهو لكن رأيت رجلا أعمى عشق صبيا وكان الصبى لا ينقاد له فقال الاعمى يا حبيبى ايش تريد منى قال روحك ففارق روحه حالا (فما للمفلس الجبان) ضعيف القلب (وسومها) طلب شرائها (بدم المحب يباع وصلهم) الاحباب (تالله ما هزلت) ضعفت (فيستامها) يقال سام واستام بمعنى (المفلسون ولا كسدت) بفتحتين لم تنفق لقلة الرغبات فيها

(فينفقها) يروجها (بالنسيئة) التأخير (المعسرون) الفقراء (لقد أسيمت للعرض فى سوق من يزيد فلم يرض لها بثمن دون بذل النفوس) أعطاها بسماحة (فتأخر البطالون وقام المحبون ينظرون أيهم يصلح أن يكون ثمنا فدارت السلعة بينهم ووقعت فى يد قوم أذلة) عاطفين (على المؤمنين أعزة) أشداء (على الكافرين لما كثر المدعون للمحبة طولبوا باقامة البينة على صحة الدعوى فلو يعطى الناس بدعواهم لادعى الخلى) من المحبة (حرفة) بالكسر اسم من الاحتراف الاكتساب (الشجى) الحزين (فتنوع المدعون فى الشهود) كل بما قدر عليه فتعارضت الشهادة (فقيل لا تثبت هذه الدعوى الا ببينة) باضافته الى قوله (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله فتأخر اكثرهم) لعدم اتباعه الكامل (وثبت أتباع الحبيب فى أفعاله وأقواله واخلاقه فطولبوا بعدالة البينة) المذكورة (بتزكية يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم) فيه (فتأخر أكثر المحبين) لمشقة الجهاد عليهم (وقام المجاهدون فقيل لهم ان نفوس المحبين وأموالهم ليست لهم فهلموا) أقبلوا (الى بيعة ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم) بأن يبذلوها فى طاعته (فلما عرفوا عظمة المشترى) سبحانه وتعالى (وفضل الثمن وجلالة من أجرى على يده) صلى الله عليه وسلم (عقد التبايع عرفوا قدر السلعة المشتراة (وأن لها شأنا) أمرا عظيما (فرأوا من أعظم الغبن أن يبيعوها لغيره بثمن بخس) ناقص (فعقدوا معه بيعة الرضوان من غير ثبوت خيار) بل بتا (وقالوا والله لا نقيلك) لا نرفع العقد (ولا نستقيلك) لا نطلب منك الاقالة (فلما تم العقد وسلموا المبيع) للمشترى (قيل لهم قد صارت نفوسكم وأموالكم لنا رددناها عليكم أوفر) أزيد (ما كانت وأضعافها معها ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل) هم (أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله) وهذا اشذاعبقة صوفية على طريقتهم فى استخراجهم معانى من النصوص بحسب مشربهم مع بقاء النصوص على مدلولاتها ولا ضير فيه أوردها المصنف كعادته تذكيرا وحثا على مزيد الاتباع (ومن علامات محبته صلى الله عليه وسلم التسلى) التصبر (عن المصائب) مع سكون وطيب نفس بها ولذا قال أبو زيد السلو طيب نفس الالف عن الفه أى فلا يتأثر بفراقه ولا بالبعد عنه (فان المحب يجد فى لذة المحبة ما ينسيه المصائب) الشدائد النازلة (ولا يجد من مسها ما يجد غيره حتى كأنه قد اكتسى طبيعة) خلقة (ثانية ليست طبيعة الخلق) الذى خلق عليه (بل يقوى سلطان المحبة حتى يلتذ بكثير من المصائب) التذاذا (أعظم من التذاذ الخلى) منها (بحظوظه وشهواته والذوق) ادراك فهم الشئ (والوجود شاهد بذلك فكرب المحبة) أى صاحبها (ممزوج بالحلاوة فاذا فقد تلك الحلاوة اشتاق الى ذلك الكرب) يعنى أنه لما اعتاده من اللذة التامة وشهود القرب عند المصائب اذا رأى من نفسه توانيا شهد أن سببه انقطاع المصائب عنه (كما قيل تشكى) بزنة تفعل (المحبون الصبابة) الشوق اى أظهروا الشكاية مما اصابهم من ألمها (ليتنى * نحلت) بضم النون وكسر الحاء أعطيت وضمنه معنى أصبت فعداه بالباء فى قوله (بما يلقون) من ألم الصبابة

(من

(من بينهم وحدى) منفردا عنهم فلا يشاركنى منهم أحد ويحتمل فتح الحاء فى فحلت اى سقمت بسبب ما ألاقيه من الصبابة دونهم (فكانت لقلبى لذة الحب) المترتبة على حصول المكاره والمصائب الناشئة من الحب (كلها * فلم يلقها قبلى محب ولا بعدى) أى لم يشاركنى فيها أحد تقدم على ولا تأخر (ومن علامات محبته عليه الصلاة والسلام كثرة ذكره) ومنه الصلاة عليه وبه علم شرف أصحاب الحديث لكثرة قولهم صلى الله عليه وسلم (فمن أحب شيأ أكثر من ذكره) كما ورد مرفوعا (ولبعضهم المحبة دوام الذكر للمحبوب) وهذا من ثمراتها الا انه حقيقتها أشار له عياض (ولآخر) اى لبعض اخر المحبة (ذكر المحبوب على عدد الانفاس) وهو بمعنى ما قبله (ولغيره للمحب ثلاث علامات أن يكون كلامه ذكر المحبوب وصمته فكرا فيه وعمله طاعة له) والثلاثة علامة المحب الصادق (وقال المحاسبى علامة المحبين كثرة الذكر للمحبوب على طريق الدوام) لانه لا يلزم من الكثرة الدوام (لا ينقطعون ولا يملون) يسأمون (ولا يفترون) عنه بحيث يصير لهم كالنفس لا يشغل عنه شاغل (وقد أجمع الحكماء على أن من أحب شيأ أكثر من ذكره) وهو حديث مرفوع رواه أبو نعيم والديلمى عن عائشة فالمعنى اجمعوا على العمل به (فذكر المحبوب هو الغالب على قلوب المحبين لا يريدون به بدلا) عوضا (ولا يبغون) لا يطلبون (عنه حولا) تحولا الى غيره (ولو قطعوا عن ذكر محبوبهم لفسد عيشهم وما تلذذ المتلذذون بشئ ألذ من ذكر المحبوب انتهى) قول المحاسبى (فالمحبون قد اشتغلت قلوبهم بلزوم ذكر المحبوب عن اللذات) متعلق باشتغلت (وانقطعت أوهامهم عن عارض دوام الشهوات ورقت) ارتفعت (الى معادن الذخائر) بمعجمتين جمع ذخيرة ما يدخر لوقت الحاجة (وبغية) بضم الموحدة ومعجمة (الطلبات) جمع طلبة بزنة كلمة وكلمات (وربما تزايد وجد المحب وهاج الحنين) الشوق (وباح الانين) الصوت (وتحركت المواجيد) بالجيم (وتغير اللون واسترسلت الجوارح وفتر البدن واقشعر الجلد) أخذته قشعريرة أى رعدة (وربما صاح وربما بكى وربما شهق) بفتح الهاء ردد نفسه مع سماع صوته (وربما وله) بكسر اللام وفى لغة قليلة بفتحها ذهب عقله (وربما سقط) وكل ذلك من الاحوال الواردة عليه (ولسيدى محمد وفى) العارف الكبير العلم الشهير مر بعض ترجمته

(اذا أباح دم المهجور هاجره * باح المحب بما تخفى ضمائره
أيكتم الحب صب باح مدمعه * لما جرى بالذى تخفى سرائره)

لما بالفتح والتشديد أى حين والاستفهام بمعنى النفى أى لا يمكنه ذلك

(كانما قلبه أجفان مقلته * ودمعه فى أماقيه خواطره
يا جيرة الجزع هل من جيرة لفتى * عليه فى حكمه قد جار جائره)

جيرة جمع جار وهو الذى يجير غيره أى يؤمنه مما يخاف ويجمع أيضا على جيران وأجوار ويوجد فى نسخة هلا جيرة بالفتح والتشديد حرف تحضيض

(آه وكم لى على خطب الهوى خطب * من الغرام به تعلو منابره)

آه بالمد وكسر الهاء كلمة توجع أى وجعى عظيم وتندى زائد وخطب بفتح فسكون أمر شديد ينزل جمعه خطوب وخطب بضم ففتح جمع خطبة بالضم والغرام الولوع

(مهفهف أبلج بدر على غصن * تحفى البدور اذا لاحت بوادره)

مهفهف أى خميص البطن دقيق الخصر وأبلج بموحدة وجيم واضح الجبين والبوادر جمع بادرة بموحدة اللحمة بين المنكب والعنق ومن الانسان اللحمتان فوق الرغثاوين كما فى القاموس

(مطرز الخد بالريحان فى ضرج * مورد داسه تزهو زواهره)

ضرج بفتح المعجمة والراء وجيم أى حمرة وذكر المصنف فى المقصد الثالث بالاسم ثلاثة أبيات هى

جبينه مشرق من فوق طرته * يتلو الضحى ليله والليل كافره

بالمسك خطت على كافور جبهته * من فوق نوناتها سينا ضفائره

والثالث قوله هنا

(مكمل الخلق ماتحصى خصائصه * منضر الحسن قد قلت نظائره)

قلت أى عدمت فان قل يستعمل بمعنى النفى كقل رجل يقول كذا أى ما يقوله (وربما زاد الوجد على المحب فقتله) ويقع فى نسخ هنا أول نقده من اعيان المحبة الى قوله أعزة على الكافرين وهى محض تكرار (ومن علامات محبته عليه الصلاة والسلام تعظيمه عند ذكره) بالثناء عليه بما هو أهله وكثرة الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم (واظهار الخشوع والخضوع) الذلة والاستكانة عطف تفسير للخشوع (والانكسار) التواضع والتذلل (مع سماع اسمه) والثلاثة المذكورة من عطف الاخص على الاعم لدخول كل منها فى تعظيمه (فكل من أحب شيأ خضع له كما كان كثير من الصحابة بعده اذا ذكروه خشعوا) اى أظهروا الخشوع والتذلل استدلال على ماقبله وتمثيل له (واقشعرت جلودهم) أخذتها رعدة (وبكوا) حزنا لفراقه وشوقا للقائه (وكذلك كان كثير من التابعين) لهم باحسان (فمن بعدهم يفعلون ذلك) المذكور أى يتصفون به أو نسب الفعل اليهم مجازا والا فالخشوع ونحوه ليس من فعلهم (محبة له وشوقا اليه) تمييز أو مفعول له أى من محبته وشوقه أو لاجلهما (وتهيبا) خوفا من التقصير فى حقه (وتوقيرا) اجلالا وتكريما (قال ابو ابراهيم) اسحق بن ابراهيم الامام فى الحديث (التجيبى) بضم التاء عند المحدثين وكثير من الادباء وفتحها غيرهم وبكسر الجيم وتحتية ساكنة وموحدة نسبة الى تجيب قبيلة من كندة (واجب على كل مؤمن متى ذكره) صلى الله عليه وسلم (أو ذكر عنده) وسمعه وخصه لان الكافر لا يجب عليه أو يجب بناء على خطابه بفروع الشرع بمعنى عقابه فى الآخرة (أن يخضع) يبدى التذلل والاستكانة وخفض الجناح (ويخشع) هو ويخضع متقاربان كما قاله الراغب وقيل الخشوع أعم لانه يوصف به القلب والجماد كترى الارض خاشعة ولا يخفى انه مجاز لا يدل على مدعاه (ويتوقر) أى يحاول اتصافه بالوقار الحلم والرزانة (ويسكن من حركته ويأخذ) يشرع (فى هيبته) اظهار

مهابته عنده (واجلاله) تعظيمه حتى تعظيمه (بما كان يأخذ به نفسه) أى يكلفها (ويلزمها) مفعول يأخذ أو تأكيد للضمير فى به (لو كان بين يديه) صلى الله عليه وسلم حاضرا فى مجلسه فيفرض ذلك ويلاحظه ويتمثله حتى كأنه عنده (ويتأدب بما أدبنا الله به) مثل لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم الآية ولا ترفعوا أصواتكم وغيرهما مما تقدم لدخوله فى عمومه واطلاقه وان لم يكن صريحا فى القرآن (وكان أيوب) بن أبى تميمة كيسان (السختيانى) بفتح المهملة واسكان المعجمة وكسر الفوقية وفتحها وفتح التحتية فألف فنون نسبة الى السختيان وهو جلود الضأن أبو بكر البصرى ثقة ثبت حجة من كبار الفقهاء العباد مات سنة احدى وثلاثين ومائة وله خمس وستون سنة (اذا ذكر النبى صلى الله عليه وسلم عنده بكى) خوفا من تقصيره فى اتباعه ولاجلاله ويذكر مهابته حتى كأنه يراه (حتى نرحمه) أى ترق قلوبنا رحمة له لما حصل له من كثرة التعب وهذا قول مالك ففى الشفاء قال مالك وقد سئل عن أيوب السختيانى ما حدثتكم عن أحد الا وأيوب أفضل منه وحج حجتين فكنت أرمقه ولا أسمع منه غير أنه كان اذا ذكر النبى صلى الله عليه وسلم بكى حتى أرحمه فلما رأيت منه ما رأيت واجلاله للنبى صلى الله عليه وسلم كتبت عنه وقال مصعب بن عبد الله كان مالك اذا ذكر النبى صلى الله عليه وسلم يتغير لونه حتى يصعب على جلسائه فقيل له فى ذلك فقال لو رأيتم ما رأيت لما أنكرتم على ما ترون لقد رأيت محمد بن المنكدر وكان سيد القراء لا تكاد تسأله عن حديث الا يبكى حتى نرحمه ولقد كنت أرى جعفر بن محمد فاختصر هذا بقوله (وكان جعفر) الصادق (بن محمد) الباقر بن زين العابدين على بن الحسين بن على بن أبى طالب (كثير الدعابة) بضم الدال وعين مهملتين فألف فوحدة ما يستحلى من المزاح (والتبسم) أقل الضحك (و) مع ذلك (اذا ذكر عنده النبى صلى الله عليه وسلم اصفر لونه) مهابة واجلالا قال مالك وما رأيته يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الا على طهارة ولقد اختلفت اليه زمانا وما كنت أراه الا على ثلاث خصال اما مصليا واما صامتا واما يقرأ القرآن وكان من العلماء ومن العباد الذين يخشون الله تعالى (و) لقد (كان عبد الرحمن بن القاسم) بن محمد بن أبى بكر الصديق (اذا ذكر النبى صلى الله عليه وسلم ينظر الى لونه كأنه قد نزف) بفتحتين خرج (منه الدم) بكثرة وفى النسيم نزف مبنى للمجهول أى سال وفيه تسمح أو تقدير اذ اللون لا ينزف والمراد أنه سال دمه فاصفر صفرة مفرطة لان حمرة البشرة بما تحتها من الدم وتوهم بعضهم ان معناه احمر خجلا اعترض بأن المناسب لقوله (وقد جف لسانه فى فمه) الاصفرار لا الاحمرار ثم قال ولعله يحصل له حالة خجل ثم حالة خوف وهو من عدم التأمل لجفاف اللسان بذهاب ريقه تلوفه (هيبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم) مفعول له لما قبله وقيل لمقدر ليتحد فاعلاهما ولا حاجة اليه وان جاز (وكان عبد الله بن الزبير) الذى فى الشفاء عن مالك ولقد كنت آتى عامر بن عبد الله بن الزبير (اذا ذكر عنده النبى صلى الله عليه وسلم بكى حتى لا يبقى فى عينيه دموع) لبكائه شديدا (وكان الزهرى) محمد بن مسلم ابن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب ولفظ مالك ولقد رأيت الزهرى وكان (من أهنا

الناس) أى أشدهم هناء أى سهولة وحسن خلق ولين عريكة مستعار من هنؤ الطعام اذا ساغ وسهل (وأقربهم) الى الناس بحسن تودده اليهم ومع ذلك (فاذا ذكر عنده النبى صلى الله عليه وسلم فكأنك ماعرفته ولا عرفك) لدهشته وحيرته واعراضه عمن عنده وذهوله عن معرفته لاشتغال قلبه وحواسه بالفكر لاجلاله وتعظيمه (وكان صفوان بن سليم) بضم السين المدنى أبو عبد الله الزهرى مولاهم ثقة مفت عابد من رجال الجميع مات سنة اثنتين وثلاثين ومائة وله اثنتان وسبعون سنة ولفظ مالك ولقد كنت آتى صفوان بن سليم وكان (من المتعبدين) المكثرين للعبادة المداومين عليها (المجتهدين) فى العبادة المجدين فيها أو وصل الى رتبة الاجتهاد فى الاحكام لزيادة فضله وعلمه بالسنة (فاذا ذكر عنده النبى صلى الله عليه وسلم بكى فلا يزال يبكى حتى تقوم الناس عنه ويتركوه) لاتصال بكائه وطوله وذكر مالك هؤلاء من شيوخه لبيان انه اقتدى بهم واهتدى بهديهم وأن حاله لم يصل لحالهم فلا يتعجب منه (وكان قتادة) بن دعامة التابعى المفسر الشهير (اذا سمع الحديث يقرأ عنده أخذه) أى عرض له واستولى عليه حتى كأنه أخذه (العويل) بعين مهملة الصراخ والبكاء (والزويل) بفتح الزاى وكسر الواو القلق والانزعاج لخوفه وفى القاموس أخذه العويل والزويل أى الحركة والبكاء (أشار الى ذلك القاضى عياض) أى ذكره مطولا كما علم (ومن علامات محبته صلى الله عليه وسلم كثرة الشوق) أى منازعة النفس وميلها (الى لقائه) أما فى حياته فظاهر وأما بعد وفاته فالى لقائه فى الآخرة ومشاهدة ذاته أو فى المنام رزقنا الله ذلك (اذ كل حبيب) أى محب (يحب لقاء حبيبه) أى محبوبه فعيل يأتى بمعنى اسم الفاعل والمفعول (ولبعضهم المحبة الشوق الى المحبوب) بأن يدعوه قلبه ونفسه دائما الى قربه ويحثه على لقائه (وعن معروف) بن فيروز (الكرخى) نسبة الى كرخ بغداد من المشايخ الكبار شيخ السلسلة استاذ السرى السقطى وكان ابن حنبل وابن معين يختلفان اليه ويسألانه ولم يكن فى علم الظاهر مثلهما فيقال لهما مثلكما يفعل ذلك فيقولان كيف نفعل اذا جاءنا أمر لم نجده فى كتاب الله ولا سنة رسوله وقد قال صلى الله عليه وسلم سلوا الصالحين كان أبواه نصرانيين فسلماه للمعلم طفلا فقال قل ثالث ثلاثة فيقول بل هو الله واحد فضربه ضربا مبرحا فهرب وأسلم وهو من موالى على بن موسى الرضى وأسند الحديث عن جمع وكان مجاب الدعوة وكراماته وفوائده كثيرة وكان يهدى اليه طيبات الطعام فيأكل فقيل له ان أخاك بشرا الحافى لا يأكل فقال أخى قبضه الورع وأنا بسطتنى المعرفة انما أنا ضيف فى دار مولاى مهما أطعمنى أكلت مات سنة مائتين وقيل احدى ومائتين والدعاء عند قبره ببغداد مجرب الاجابة يقال من قرأ عنده مائة مرة قل هو الله أحد وسأل الله مايريد قضيت حاجته ومثله اذا وقف الزائر بين قبرى أشهب وابن القاسم بالقرافة ويقرأ قل هو الله أحد مائة مرة ويدعو متوجه القبلة فيستجاب له (المحبة ارتياح الذات لمشاهدة الصفات) أى استحضارها وتأمل معانيها (أو مشاهدة أسرار الصفات) وهى ما ينشأ عنها من الآثار البديعة (فيرى بلوغ) أى وصول (السول) أى المسؤل فعل بمعنى

مفعول كخبز بمعنى مخبوز وأكل بمعنى مأكول (ولو بمشاهدة الرسول) للمحبوب الذى أرسله الى محبه (ولهذا كانت الصحابة رضى الله عنهم اذا اشتد بهم الشوق) الى الحق (وأزعجهم لواعج) بلام فواو فألف فعين فجيم أى الحرارات الحاصلة بسبب (المحبة) لله سبحانه (قصدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم واستشفوا بمشاهدته) من ألم هذه الحرارات (وتلذذوا بالجلوس معه والنظر اليه) وان لم يحدّوا فيه النظر لهابته (والتبرك به صلى الله عليه وسلم) لانه رسول محبوبهم فبلغوا المسؤل بمشاهدته (وعن عبدة) بفتح العين المهملة وسكون الموحدة ودال مهملة قال البرهان الحلبى لا أعرفها وفى الصحابة عبدة بنت صفوان ذكرها الحاكم قلت هذه ليست بصحابية قطعا فان أباها ليس صحابيا ولا من كبار التابعين بل من أواسطهم (بنت خالد بن معدان) بفتح فسكون الكلاعى الحمصى أبى عبد الله عابد ثقة روى له الستة ذكر أنه لقى سبعين صحابيا وكان يسبح كل يوم أربعين ألف تسبيحة سوى ما يقرأ مات سنة ثلاث أو أربع ومائة (انها قالت ما كان خالد) تعنى أباها (يأوى الى الفراش) اذا أراد النوم ليلا وخصت هذا الوقت لان المرء يتذكر فيه من يهواه غالبا كما قيل

نهارى نهار الناس حتى اذا أتى * لى الليل هزتنى اليك المضاجع

(الا وهو يذكر من شوقه) أى بعض شوقه (الى رسول الله صلى الله عليه وسلم) استثناء من أعم الاحوال أى لم يكن له غير هذه الحال والمراد أنه يذكر أشياء كثيرة تحمله على الميل اليه ويذكر ما به من الألم والمشقة الحاصلة ببعده عنه وعدم ملاقاته صلى الله عليه وسلم (والى أصحابه) أى المصطفى أو خالد لانه لقى سبعين (من المهاجرين والانصار يسميهم) أى بأن يعددهم (بأسمائهم ويقول هم أصلى) أى حسبى عند الكسائى أو آبائى عند ثعلب والمعنى هم أصلى الذى أعتمد عليه فى مهماتى وآبائى الذين أفتخر بهم بابوتهم لى (وفصلى) لسانى الذى أتكلم به فى بيان مرادى ومخاطباتى وفروعى الذين أتقوى بهم فى دفع المضار عنى فالفصل اللسان عند الكسائى والولد عند ثعلب (واليهم) لا الى غيرهم (يحن) بفتح فكسر يميل (قلبى طال شوقى اليهم) لبعد عهدى بهم (فعجل يارب قبضى) موتى (اليك) حتى ألقاهم ولا يزال يردد ذلك (حتى يغلبه النوم) أى ينام ويستغرق فيترك قوله وليس هذا من تمنى الموت المنهى عنه فان من أحب الله ورسوله وتمناه لاجل لقائه والاستراحة من الدنيا وغمها ليس من هذا كما قال فى الفتوحات وقال الحكيم الترمذى تمنى الموت ثلاثة أقسام عبد اقترب الى ربه فى منازل القرب لما تطهر من أدناس الشهوات وكدورات الاخلاق فكلما اقترب ازداد شوقا فتمنى الموت والثانى عبد رأى نعمة الله عليه فى دينه شاملة لكل خير يخاف زوالها لما رأى من نفس خادعة وعدو لا يألوه خبالا فتمنى الموت رجاء أن يحوز ذلك لنفسه فى لحده فهذان محمودان وردا عن الصحابة كسلمان اذ قال أحب الموت اشتياقا وقول ابن مسعود أحب الموت لانى لا أدرى ما ينزل بى فأخاف على دينى والاول قول صديق والثانى قول صادق والحظ لصاحبه فيهما والثالث عبد تربى فى رفاهية عيش وثقل نعمة ثم انقلب عليه الزمان

وعضته النوائب فعيل صبره وتمنى الموت وهذا مذموم ولذا جاء في الحديث لا يتمنى أحدكم الموت لضر نزل به وقول مريم ياليتني مت قبل هذا فلذا يرضى ولذا لم تقل الآن فهو لامر ديني رجاء أن لا يزول لما رأت قتنا تعوج وذلك لما اتهموا زكريا وهموا بقتله فجاءها النداء والبشرى فصدقت بكلمات ربها وسميت صديقة انتهى (ولما احتضر بلال) أى حضرته الملائكة لقبض روحه (نادت امرأته) صاحت بأعلى صوتها (واحرباه) بفتح الحاء والراء المهملتين وموحدة من الحرب بفتحتين النهب فكأنها لتفجعها نهبت وسلبت وبفتح الحاء والزاى المنقوطة ونون وبضم الحاء وسكون الزاى وبفتح الحاء واسكان الواو وموحدة أى اثماه وألماه بشدة توجعها وروايات كما تقدم (فقال واطرباه) أى فرحاه (غدا ألقى الاحبه محمدا وصحبه) المتقدم وحزبه وهو الذى فى الشفاء (واذا ذاق المحب طعم المحبة اشتاق) الى لقاء المحبوب (وتأججت) هاجت وتلهبت (نيران الحب والطلب) لمحبوبه (فى قلبه ويجد صبره عن محبوبه من أعظم كبائره كما قيل

والصبر يحمد فى المواطن كلها * الا عليك فانه مذموم)

وفى نسخة فانه لا يحمد والاولى أبلغ لان لا يحمد يشمل ما لا حسن فيه ولا قبح بخلاف مذموم فالصبر عليه قبيح لما فات بسببه من النفع العام له ولغيره (وعن زيد بن أسلم) العدوى مولاهم المدنى ثقة عالم من رجال الجميع مات سنة ست وثلاثين ومائة (قال خرج عمر بن الخطاب رضى الله عنه ليلة يحرس) الناس على عادته فى خلافته اذ كان يدور فى الازقة ويعس ليعرف حال الناس (فرأى مصباحا فى بيت واذا عجوز) امرأة مسنة ويقال عجوزة أيضا (تنفش) بضم الفاء ومعجمة (صوفا) لاصلاحه (وتقول) شعرا من بحر السريع (على محمد صلاة الابرار) المطيعين وعلى متعلق بصلاة أو بمقدر ويجوز تقدم الظرف على المصدر لتوسعهم فيه أى ادعوله بكل ما يدعو به الابرار (صلى عليه الطيبون) المتقون الذين طابت ظواهرهم وسرائرهم (الاخيار) جمع خير مخففا أو خير بمعنى أخير وأتقى (قد كنت قواما) كثير التهجد بالليل (بكا) بضم الباء والقصر مصدر بمعنى اسم الفاعل أطلق عليه مبالغة (بالاسحار) جمع سحر آخر الليل والباء بمعنى فى وزعم أن بكاء بشد الكاف والمد سجع لا نظم لانكسار الوزن أو بضم البا ممدود امضاف للاسحار بلا باء مخالف للرواية والدراية (ياليت شعرى) أى علمى اسم ليت والخبر محذوف أى حاصل (والمنايا) الموت (أطوار) جمع طور أى أحوال شتى مختلفة باعتبار الاسباب (هل تجمعنى وحبيبى الدار) الآخرة وهو قائم مقام معمول شعرى علق عنه (تعنى) بحبيبها (النبى صلى الله عليه وسلم فجلس عمر يبكى ثم قام الى باب خيمتها) أى بيتها وعند ابن المبارك فى الزهد فما زال عمر يبكى وطرق عليها الباب فقالت من هذا قال عمر بن الخطاب قالت مالى ولعمر فى هذه الساعة فقال افتحى يرحمك الله فلا بأس عليك ففتحت فدخل (فقال السلام عليكم ثلاث مرات فقال لها أعيدى على قولك) الذى قلتيه آنفا (فأعادته بصوت حزين فبكى وقال لها وعمر لا تنسينه) بفتح التاء

وسكون

وسكون النون وفتح السين وكسر التحتية وشد النون مفتوحة أى اذكر به بالدعاء له فى هذه الحالة (يرحمك الله فقالت وعمر فاغفرله باغفار ويحكى انه رؤيت امرأة مسرفة على نفسها) بفعل مالا يليق (بعد موتها) ظرف لرؤيت (فقيل لها ما فعل الله بك قالت غفرلى قيل بماذا قالت بمحبتى لرسول الله صلى الله عليه وسلم وشهوتى النظر اليه فنوديت) بضم النون مبنى المفعول على لسان ملك بأن سمعته يقول (من اشتهى النظر الى حبيبنا نستحي أن نذله بعتابنا) فضلا عن عذابنا (بل نجمع بينه وبين من يحبه) وفى هذا أن حبه ينفع ولو للعاصى (ومن علامات محبته صلى الله عليه وسلم حب القرآن الذى أتى به) للناس من عند الله (وهدى به) الخلق كلهم لسعادة الدارين (واهتدى به) هو أى وصل الى الله (وتخلق به) أى اتخذه خلقا له يعمل بكل ما فيه قالت عائشة كان خلقه القرآن قال عياض وحب القرآن تلاوته والعمل به وتفهمه (واذا أردت أن تعرف ما عندك وما عند غيرك من محبة الله ورسوله) بيان لما (فانظر) اختبر (محبة القرآن من قلبك والتذاذك بسماعه) أهى (أعظم) عندك (من التذاذ أصحاب الملاهى والغناء) بزنة كتاب المطرب (بسماعهم) فان كان كذلك فأنت صادق فى المحبة والا فدعواك كاذبة (فانه من المعلوم ان من أحب محبوبا كان كلامه وحديثه أحب شئ اليه كما قيل

ان كنت تزعم حبى * فلم هجرت كتابى
أما تأملت ما فيـ * ـه من لذيذ خطابى)

أى هجرك لكتابى دليل على عدم صدق المحبة قال ابن مسعود لا يسأل أحد عن نفسه الا القرآن فان كان يحب القرآن فانه يحب الله ورسوله أسنده البيهقى وغيره وذكره فى الشفاء (ويروى أن عثمان بن عفان) ذا النورين (رضى الله عنه قال لو طهرت قلوبنا) نظفت من الادناس الباطنة حق النظافة (لما شبعت من كلام الله) لانه غذاء الارواح ونور القلوب وبصر البصائر (وكيف يشبع المحب من كلام محبوبه وهو غاية مطلوبه) استفهام بمعنى النفى ويدل على أن القرآن غاية المطلوب أى ما يليق ان يطلب انه (قال النبى صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن مسعود اقرأ على) زاد فى رواية القرآن أى بعضه (قال) لفظ ابن مسعود قلت (آقرأ عليك) بمد الهمزة للاستفهام القرآن (وعليك أنزل) بضم الهمزة (فقال انى أحب) وفى رواية انى اشتهى (أن أسمعه من غيرى) ليكون عرض القرآن سنة أو ليتدبره ويتفهمه وذلك ان المستمع أقوى على التدبر ونفسه اخلى وأنشط لذلك من القارئ لاشتغاله بالقراءة وأحكامها قاله ابن بطال وليحصل له لذة السماع (فاستفتح وقرأ) عليه (سورة النساء حتى بلغ) لفظ ابن مسعود فقرأت حتى بلغت فأتى به المصنف بالمعنى لكن لم أر لفظ فاستفتح فى البخارى وفى رواية له حتى اذا أتيت على هذه الآية (فكيف) يصنع هؤلاء الكفرة من اليهود وغيرهم (اذا جئنا من كل أمة بشهيد) يشهد عليهم بما فعلوا وهو نبيهم (وجئنا بك على هؤلاء) أى أمتك (شهيدا) حال أى شاهدا على من آمن بالايمان وعلى من كفر بالكفر وعلى من نافق بالنفاق (قال)

صلى الله عليه وسلم (حسبك) يكفيك الآن تنبيهاله على الموعظة والاعتبار في هذه الآية وفي رواية قال أمسك وفي أخرى قال لي كف أو أمسك بالشك (فرفع رأسه وفي رواية فالتفت اليه (فاذا عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم تذرفان) بذال معجمة ساكنة وكسر الراء وبالفاء أي يسيل دمعهما من البكاء لفرط رأفته ومزيد شفقته على المفرطين لانه علم انه لابد أن يشهد عليهم بعملهم وقد لا يكون مستقيما فقد يفضي الى تعذيبهم أو لعظم ما تضمنته الآية من هول المطلع وشدة الامر أو هو بكاء فرح لا بكاء جزع لانه تعالى جعل أمته شهداء على سائر الامم كما قال الشاعر

طفح السرور على حتى أنه * من عظم ما قد سرني أبكاني

(رواه البخاري) في التفسير في ثلاثة مواضع من حديث ابن مسعود (وهذا يجده من سمع الكتاب العزيز باذن قلبه) بأن أحضره وتلقى القرآن بسلامة صدر وخضوع وذلة لسماعه شبه القلب بذي أذن واعية استعارة بالكناية وأثبت الاذن للقلب استعارة تخييلية (قال الله تعالى واذا سمعوا ما أنزل الى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق) من الاولى للابتداء والثانية لبيان ما عرفوا أو للتبعيض فانه بعض الحق والمعنى انهم عرفوا بعض الحق فأبكاهم فكيف اذا عرفوا كله قاله البيضاوي (قال صاحب عوارف المعارف) العلامة الشهاب عمر السهروردي (أذاقنا الله حلاوة مشربه هذا السماع وهو السماع الحق الذي لا يختلف فيه اثنان من أهل الايمان محكوم لصاحبه بالهداية) خبر هذا السماع وما بينهما اعتراض وفي نسخة هو السماع فمحكوم خبر ثان (وهذا سماع ترد حرارته على برد اليقين فتفيض) بفتح التاء (العين بالدمع لانه تارة يثير حزنا والحزن حار وتارة يثير شوقا والشوق حار وتارة يورث ندما والندم حار) عبر بيورث وفيما قبله بيثير كأنه لان الحزن والشوق كائنان في ذات المحب لكن قد يفتر عن خدمة المحبوب فاذا هاجت المحبة أثارتهما بخلاف الندم ليس ذاتيا فاذا قام بهم سرور لغرض دنيوي وهاجت حرارة المحبة المنافية لذلك أورثتهم ندما على تقصيرهم باعتبار أحوالهم وان لم يكن تقصيرا في نفس الامر (فاذا أثار السماع هذه الصفات من صاحب قلب مملوء ببرد اليقين بكى) هو (وأبكى) غيره (لان الحرارة والبرودة اذا اصطدمتا) أي اشتعلتا بعد اجتماعهما من اضطرمت النار تأججت فتكتسب البرودة من الحرارة حرارة فصارا حارين فاذا زادت حرارتهما واستحكمت (عصرتا ماء) لانهما بالاجتماع صارا شيأ واحدا والبرودة شأنها وطبعها الماء فلذا أخرجت الحرارة التي فيها ما كان في البرودة من الماء (فاذا ألم السماع بالقلب) أي وصل اليه وأثر فيه (تارة يخف الماء) نزوله به مصدر ألم (فيظهر أثره في الجسد ويقشعر منه الجلد) يرتعد (قال الله تعالى) الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني (تقشعر منه) ترتعد عند ذكره وعنده (جلود الذين يخشون ربهم) ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله (وتارة يعظم وقعه ويتصوب أثره أي يقصد) أي يصعد (نحو الدماغ فتندفق) تنصب بشدة (منه العين بالدمع وتارة يتصوب أثره الى الروح فتموج) بجيم تتحرك (منه الروح موجا) تحركا عنيفا فيؤثر في القلب تأثيرا يصير به كالجسد المنتفخ

فحينئذ (يكاد يضيق عنه نطاق) بكسر النون (القالب) الجسد فشبه القلب بجسد عظم حتى صار حزامه الذى كان مشدودا به لا يدور عليه فهو استعارة بالكناية واثبات النطاق تخييل (فيكون) أى يوجد (من ذلك الصياح والاضطراب) الحركة القوية (وهذه كلها أحوال يجدها أربابها) فاعل يجد (من أصحاب الاحوال) وفى نسخة تجد أربابها أى تشاهد أصحاب تلك الاحوال من أصحاب أحوال المقربين عند الله (وقد كان ابن عمر رضى الله عنهما ربما مر بآية فى ورده) وظيفته من القرآن (فتخنقه) بضم النون أى يقصر حلقه حتى يكاد يموت (العبرة) الاتعاظ والتذكر والبكاء (ويسقط) من قيام (ويلزم البيت اليوم واليومين حتى يعاد ويحسب) يظن (مريضا وقد كان الصحابة اذا اجتمعوا وفيهم أبو موسى) عبد الله بن قيس (الاشعرى يقولون يا أبا موسى ذكرنا ربنا) بتلاوة كتابه (فيقرأ وهم يسمعون) لانه أوتى مزمارا من مزامير آل داود كما فى الحديث (فللمحبين السماع القرآنى من الوجد والذوق واللذة والحلاوة والسرور اضعاف ما لمحبين السماع الشيطانى) بنحو الآلات والانغام (فاذا رأيت الرجل ذوقه ووجده) بالنصب بدل اشتمال مما قبله (وطربه ونشأته) أى زيادته فى الطرب والالتذاذ (فى سماع الابيات) الشعرية (دون الآيات وفى سماع الالحان) جمع لحن من الاصوات المصوغة الموضوعة ويجمع أيضا على لحون كما فى القاموس (دون القرآن كما قيل تقرأ عليك الختمة) القرآن بتمامه (وأنت جامد كالحجر بيت من الشعر ينشد تميل كالنشوان) السكران معنى ولفظا (فاعلم أن هذا من أقوى الادلة على فراغ قلبه من محبة الله ورسوله) جواب اذا فى قوله فاذا رأيت الرجل (أدام الله لنا حلاوة محبته ولا سلك بنا فى غير سبيل سنته بمنه ورحمته) لكن قد سئل الجنيد ما بال أصحابك اذا سمعوا القرآن لا يتواجدون ولا يتحركون بخلاف ما اذا سمعوا الرباعيات فقال القرآن كلام الله وهو صعب الادراك والرباعيات كلام المحبين المخلوقين ولان القرآن كله أحكام ومواعظ كلفوا العمل بها ومن كلف بشئ لا يطرب به ولا كذلك الرباعيات فانها كلام جنسهم ومما عملته أيديهم بخلاف القرآن فانه حق صدر عن حق فلا مجانسة بينها وبينه (ومن علامات محبته صلى الله عليه وسلم محبة سنته) أى طريقته بالاقتداء به قولا وفعلا (وقراءة) بالرفع عطف على محبة والخفض على سنة (حديثه) على الوجه المرضى بأن سهل عليه قراءته بشروطه والا فتركه عين المحبة (فان من دخلت حلاوة الايمان فى قلبه اذا سمع كلمة من كلام الله تعالى أو من حديث رسوله صلى الله عليه وسلم تشربتها روحه وقلبه ونفسه ويقول) منشدا (أشم) بضم الشين وفتحها (منك نسيما لست أعرفه ٭) لغرابته وحسنه فان الروائح تتميز عما تضاف اليه كالمسك وما شممته ما عرفت نوعه من المشمومات فأنا (أظن لمياء) بفتح اللام واسكان الميم وتحتية والمد صفة لانثى قامت بشفتها اللمى قال المجد مثلثة اللام سمرة فى الشفة زاد الجوهرى تستحسن (جرت فيك أردانا ٭) جمع ردن ثوب خز وغزل فكان الشاعر يقول هذا النسيم المستغرب أظنه بسبب ان تلك المرأة جرت ثيابها فيك أى فى مكانك أو على جسدك فنشأت هذه الرائحة التى لا نظير لها من طيبها (فتعمه

تلك الكلمة) التى سمعها من كلام الله أو رسوله (وتشغله) تحيط به (فتصير كل شعرة منه سمعا وكل ذرة منه بصرا فيسمع الكل بالكل ويبصر الكل بالكل) بما جعله الله فى كل جزء من اجزائه من الانوار فيدرك جميع الكمالات التى يتصف بها المصطفى فتقوى رغبته وتشتد محبته (ويقول) منشدا

(لى حبيب خياله نصب عينى * سره فى ضمائرى مكنون
ان تذكرته فكلى قلوب * أو تأملته فكلى عيون)

نصب بضم النون وفتحها أو الفتح لحن كما فى القاموس (فحينئذ يستنير) بسين التأكيد (قلبه ويشرق) يضىء (سره وتتلاطم عليه أمواج التحقيق عند ظهور البراهين) الحجج الواضحة (ويروى برى) بكسر الراء (عطف) ميل (محبوبه) أى يسكن قلبه وتزول حرارته براحته بحصول حبه اليه (الذى لا شئ أروى لقلبه من عطفه عليه) فشبه سكون قلبه من النور الواصل اليه من حبه بزوال الظما بوصول الماء العذب البارد الى الجوف (ولا شئ أشد للهيبه وحريقه) أى المحب (من اعراضه) أى حبه (عنه ولهذا كان عذاب أهل النار باحتجاب ربهم عنهم) كما قال كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون (أشد عليهم من العذاب الجسمانى) بكسر الجيم (كما ان نعيم أهل الجنة برؤيته تعالى) فى يوم المزيد (وسماع خطابه ورضاه واقباله أعظم من النعيم الجسمانى) بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر (لا حرمنا الله حلاوة هذا المشرب) جملة دعائية أى نسأله أن لا يمنعنا ذلك بل يعطينا اياه ويمتعنا به (ومن علامات محبته صلى الله عليه وسلم ان يلتذ محبه بذكره الشريف) التذاذا مع الاجلال (ويطرب) بفتح الراء يخف وينبسط بسروره (عند سماع اسمه المنيف) الزائد فى الشرف (وقد يوجب له ذلك) السماع (سكرا) حالة تشبه حال السكران (يستغرق قلبه وروحه وسمعه وبصره وسبب هذا السكر اللذة القاهرة للعقل وسبب اللذة ادراك المحبوب عليه الصلاة والسلام فاذا كانت المحبة قوية وادراك هذا المحبوب قويا كانت اللذة بادراكه تابعة لقوة هذين الامرين فاذا كان العقل قويا مستحكما) بكسر الكاف اسم فاعل من استحكم مبنيا للفاعل (لم يتغير لذلك وان كان ضعيفا حدث السكر المخرج له) للعقل (عن حكمه) أى عما يليق به (وقد حدوا) أى علماء الطريق (السكر بأنه سقوط التمالك) أى عدم الصبر (فى الطرب كأنه يبقى فى السكران بقية يلتذ بها ويطرب فلا يتمالك) صاحبها الا يملك نفسه (ولا يقدر أن يفنى معها) لان الفناء يفنى معانى كل شئ فيفنى الطرب أيضا قال الهروى فى المنازل السكر من أوصاف المحبين خاصة فان عيون أى حقائق الفناء لا تقبله ومنازل العلم لا تبلغه (وقد يكون سبب السكر قوة الفرح بادراك المحبوب بحيث يختلط كلامه وتتغير أفعاله بحيث يزول عقله ويعربد) بضم الياء وفتح العين وسكون الراء المهملتين وكسر الموحدة أى يسوء خلقه (أعظم من عربدة) أى سوء خلق (شارب الخمر) لانه برؤيته انقهر تحت سلطان الجمال ولذا أنشدوا

فحصولذ من لفظى هو الاصل كله * وسكرلذ من لحظى يبيح لك الشربا
فأمل ساقينا ومأمل شارب * عقار لحاظ كاسه يسكر اللبا

(وربما قتله هذا الفرح بسبب طبيعى" وهو انبساط دم القلب وهلة) دفعة (واحدة انبساطا غير معتاد والدم هو حامل الحار" الغريزى") بغين وزاى منقوطتين الطبيعى" (فيبرد القلب) أى تزول حرارته (بسبب انبساط) انتشار (الدم عنه) وسيلانه (فيحدث الموت ومن هذا قول سكران الفرح بوجود راحلته فى المفازة) الموضع المهلك (بعد ان استشعر الموت اللهم أنت عبدى وأنا ربك أخطأ من شدة فرحه وسكرة الفرح) مبتدا خبره (فوق سكرة الشراب) للخمر (فصور فى نفسك حال فقير معدم عاشق للدنيا أشد العشق ظفر بكنز مال مدفون تسمية بالمصدر (عظيم فاستولى عليه) حال سكونه (آمنا مطمئنا كيف تكون سكرته) لاشك انها فوق سكرة الشراب بمراحل كثيرة (أو من غاب عنه غلامه بمال عظيم مدة سنين حتى أضر" به العدم) الفقر (فقدم عليه من غير انتظار له بماله كله وقد كسب اضعافه كيف تكون سكرته ومن أقوى أسباب ما نحن فيه سماع الاصوات المطربة بالانشادات بالصفات النبوية المغربة) بضم الميم وسكون المعجمة وكسر الراء وموحدة اسم فاعل من أغرب اذا أتى بشئ غريب صفة للانشادات (المعربة) بسكون العين المهملة وفتح الراء اسم مفعول من أعرب أى المبينة (اذا صادفت محلا قابلا فلا تسأل عن سكرة السامع) لزيادة فرحه من ذلك (وهذا السكر يحصل عندها من جهتين احداهما انها فى نفسها توجب) تسبب (لذة قوية تغمر) يتغطى (منها العقل) فيحصل السكر بتغطيته (الثانية انها تحرك النفس الى نحو محبوبها وجهته) تفسيرى" (فيحصل بتلك الحركة والشوق والطلب مع التخيل) بمعجمة (للمحبوب واحضاره فى النفس وادناء) تقريب (صورته الى القلب واستيلائها على الفكر لذة عظيمة تغمر العقل فتجتمع لذة الالحان) المحصلة للفرح (ولذة الاشجان) جمع شجن وهى التى اذ تغمر العقل بها عن كمال ادراكه (فتسكر الروح سكرا عجيبا أطيب وألذ من سكر الشراب) الخمر (وتحصل به نشأة ألذ من نشأة الشراب وقد ذكر الامام أحمد وغيره ان الله تعالى يقول لداود مجدنى بذلك الصوت الذى كنت تمجدنى به فى الدنيا) حيث كان يقرأ به الزبور وضروب الدعاء (فيقول كيف وقد أذهبته فيقول أنا أرده عليك فيقوم عند ساق العرش) قوائمه (ويمجده فاذا سمع أهل الجنة صوته استفرغ) صوته (نعيم أهل الجنة) أى شغلهم عما هم فيه من النعيم حتى كأنه ليس عندهم نعيم الاسماع صوته (وأعظم من ذلك اذا سمعوا كلام الرب جل" جلاله وخطابه لهم فاذا انضاف الى ذلك رؤية وجهه الكريم الذى يغنيهم لذة رؤيته عن الجنة ونعيمها فأمر لا تدركه العبارة) أى لا تقدر على التعبير عنه بعبارة (ولا تحيط به الاشارة) اذ هو أعلى من ذلك (وهذه صفة لا تلج) لا تدخل (كل أذن) لامتناعها عن أكثر الناس فانما تدخل للخواص (وصيب) مطر (لا تحيا به كل أرض) بل انها أراضى مخصوصة كناية عن قلوب الخواص (وعين لا يشرب منها كل وارد) بل لها ورّاد معلومون (وسماع لا يطرب عليه كل سامع) بل

لها سامعون معروفون (ومائدة لا يجلس عليها كل طفيلي أشار اليه في المدارج) لابن القيم شرح المنازل (فمن اتصف بهذه العلامات التي ذكرتها فهو كامل المحبة لله ولرسوله) صادق في حبه (ومن خالف بعضها فهو ناقص المحبة و) لكن (لا يخرج عن اسمها) أي من الاتصاف بها وتسميته محبا في الجملة لوجود أصلها فيه والمنفي عنه الكمال نحو لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن (بدليل قوله عليه السلام للذي حده) أي لاجله (في الخمر) أي شربه وهو عبد الله الملقب حمارا بلفظ الحيوان وقيل بكسر الخاء المعجمة (لما لعنه بعضهم) هو عمر بن الخطاب كما رواه البيهقي (وقال ما أكثر ما يؤتى به) تعجب من كثرة الاتيان به وهو سكران النبي صلى الله عليه وسلم (فقال صلى الله عليه وسلم) بيان لقوله بدليل قوله وتأكيده والا فالظاهر حذفه وجعل قوله (لا تلعنه) بالافراد كما في البخاري نهيا للبعض الذي لعنه وهو واحد كما علم (فانه يحب الله ورسوله) مقول القول روى البخاري عن عمر قال كان رجل يسمى عبد الله ويلقب حمارا وكان يضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جلده في الشراب فأتى به يوما فقال رجل اللهم العنه ما أكثر ما يؤتى به فقال صلى الله عليه وسلم لا تلعنه فانه يحب الله ورسوله وذكر الواقدي ان القصة وقعت له في غزاة خيبر وزعم الدمياطي أنه وهم وانما هو نعيمان مردود بأنه توهيم للرواة الثقات بلا مستند فكل من قصتي نعيمان وحمار في الصحيح وليس في قصة نعيمان أن احدا لعنه ونهاه المصطفى فجعل الحديثين واحدا والحكم بالوهم في التسمية من العجب (فأخبر انه يحب الله ورسوله مع وجود ما صدر منه) فأظهر مكتوم قلبه وان هذا الحب من أعظم المحبيات (وفيه الرد على من زعم) كالمعتزلة (ان مرتكب الكبيرة كافر لثبوت النهي عن لعنه) في هذا الحديث (وثبوت الامر بالدعاء له) في حديث آخر قولوا اللهم اغفر له اللهم ارحمه (وفيه انه لا تنافي بين ارتكاب النهي وثبوت محبة الله ورسوله في قلب المرتكب) لانه لا تلازم بين الامرين فارتكاب النهي انما هو للغفلة والشهوة وتسويل النفس والشيطان والمحبة ثابتة (ويحتمل أن يكون استمرار محبة الله ورسوله في قلب العاصي مقيدا بما اذا ندم على وقوع المعصية أو اذا أقيم عليه الحد فكفر عنه الذنب المذكور) بناء على الصحيح أن الحد جابر (بخلاف من لم يقع منه ذلك) الندم ولم يقع له الحد (فانه يخشى بتكرار الذنب أن ينطبع على قلبه حتى يسلب ذلك الحب منه أسأل الله العفو والثبات على محبته وسلوك) دخول (سنته بمنه ورحمته) وفيه المنع من لعن مرتكب الكبيرة وقيل محله ان حد وقيل المنع مطلقا في حق ذي الزلة والجواز مطلقا فيمن تجاهر وصوب ابن المنير المنع مطلقا في المعين والجواز في غيره زجرا عن تعاطي ذلك الفعل (* تنبيه * قد اختلف العلماء ايما أرفع) أفضل في نفس الامر (درجة المحبة أو درجة الخلة) بضم الخاء على الاكثر وتفتح الصداقة المحضة التي لا خلل فيها وتكون في عفاف وكنى برفع الدرجة عن رفع من فيها وأفضليته (فحكى القاضي عياض) في الشفاء ثلاثة أقوال أحدها (ان بعضهم جعلهما سواء) أي الدرجتين أو المحبة والخلة متساويين في الفضيلة لا تفاوت بينهما (فلا يكون الحبيب الا خليلا ولا الخليل الا حبيبا) وتعقب

بأن هذا انما يقتضي تلازمهما لا مساواتهما درجة وأشار لجواب سؤال هو اذا استويا فلم خص كل منهما بوصف فقال (لكنه) أى الله أو الامر والشان (خص) بالبناء للفاعل أو المفعول (ابراهيم بالخلة ومحمدا) بالنصب والرفع (بالمحبة) فسمى الاول خليلا والثانى حبيبا لمجرد التمييز بينهما ولا يخفى ضعفه (وقال بعضهم درجة الخلة أرفع) منزلة وأفضل وأعلى درجة (واحتج بقوله عليه الصلاة والسلام) فى الصحيحين عن أبى سعيد وابن عباس (لو كنت متخذا خليلا غير ربى لاتخذت أبا بكر خليلا) ولكن اخوة الاسلام (فلم يتخذه خليلا وقد أطلق المحبة لفاطمة) بنته (وابنيها) الحسنين (وأسامة ابن زيد وغيرهم كأبى بكر وعمر وعائشة وأكثرهم جعل المحبة أرفع (انتهى) كلام عياض (وهذا) أى القول الثانى (هو الظاهر من المعنى الاخص لان المحبة مأخوذة من معنى الخلة) فهى أخص منها (لكن يرد) عليه (ماروى فى قصة الاسراء فى مناجاته صلى الله عليه وسلم لربه تعالى حيث قال له يا محمد سل فقال يارب انك اتخذت ابراهيم خليلا وكلمت موسى تكليما فقال له تعالى ألم أعطك خيرا من هذا) فذكر الحديث (الى قوله واتخذتك حبيبا أو ما فى معناه رواه البيهقى وهذا يقتضى ان درجة المحبة أرفع) وتعسف من أجاب بأنه انما فضله بمجموع ماذكر فى الحديث (وقد احتج من قال بتفضيل مقام المحبة) على الخلة وهم أكثر العلماء (بفروق كثيرة ذكر القاضى عياض فى الشفاء منها نقلا عن الامام أبى بكر ابن فورك) بضم الفاء (عن بعض المتكلمين نبذة) بضم النون وذال معجمة شيأ قليلا (منها ان الخليل يصل بالواسطة) أى بتوسط آخر بينه وبين خليله وذلك مأخوذ (من قوله تعالى وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض) فوصل لخليله بواسطة ما أراه من آيات ملكوته (والحبيب يصل اليه) الى حبيبه (به) بنفسه بلا واسطة مأخوذ (من قوله فكان قاب قوسين أو أدنى) فرآه عين يقين على ما مر (ومنها ان الخليل قال فى المحنة بنون الابتلاء بالالقاء فى النار (حسبى الله) أى كافى فى جميع أمورى (والحبيب قيل له يا أيها النبى حسبك الله) والخليل قال واجعل لى لسان صدق فى الآخرين والحبيب قيل له ورفعنا لك ذكرك اعطى بلا سؤال والخليل قال واجنبنى وبنى أن نعبد الاصنام والحبيب قيل له انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت (ومنها ان الخليل هو الذى تكون مغفرته فى حد الطمع) أى واقعة فى حال يطمع صاحبها فى التجاوز عنها لان الخليل لا يؤاخذ خليله بزلاته والحد الحاجز بين شيئين والمحيط به كحدود الدار فاستعير للحال المميزة له المقتضية لتحققه (من قوله والذى أطمع أن يغفر لى خطيئتى يوم الدين) قاله هضما لنفسه وتعليما لامته والا فهو معصوم (والحبيب الذى مغفرته فى حد اليقين) أى متيقنة مأخوذ (من قوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر) أى كل ما صدر منك وما لم يصدر مما هو بالنسبة لمقامك قد يقتضى شيأ ففى الآية اشارة الى انه لم يقع منه لانه سوى المتقدم بالمتأخر فى عدم الوقوع ولذا سر بها لما نزلت زاد فى الشفاء والخليل قال ولا تخزنى يوم يبعثون والحبيب قيل له يوم لا يخزى الله النبى فابتدأ بالبشارة قبل السؤال (وفى كتابى تحفة السامع والقارى بختم صحيح البخارى وجوه أخر) لمناسبة أن آخر

حديث فى البخارى " كلمتان حبيبتان الى الرحمن (غيرما حكاه القاضى عياض) من هذه الثلاثة (وفى كلها نظر واضح كما بينته فى حاشية الشفاء وذلك أن مقتضى الفرق بين الشيئين أن يكون فى حد ذاتيهما يعنى باعتبار مدلول خليل وحبيب وما حكاه القاضى عياض وذكرته فى التحفة) زيادة عليه (يقتضى تفضيل ذات محمد على ذات ابراهيم عليهما الصلاة والسلام) وليس الكلام فيه (لا يقال باعتبار ثبوت وصف الخلة له) لابراهيم والمحبة لمحمد (فيلزم ذلك) أى تفضيل المحبة لفضله على ابراهيم (لانا نقول كل منهما ثابت له وصف الخلة والمحبة اذ لا يسلب عن ابراهيم عليه الصلاة والسلام وصف المحبة) لعدم صحته (لاسيما والخلة أخص من المحبة) ففيها زيادة على المحبة (ولا يسلب عن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وصف الخلة) لانه اذا سلب عنه الكامل فالاكمل أولى (وقد ثبت فى حديث أبى هريرة) فى المعراج (قول الله تعالى له انى اتخذتك خليلا) ولذا قال صلى الله عليه وسلم ان الله اتخذنى خليلا كما اتخذ ابراهيم خليلا فمنزلى ومنزل ابراهيم فى الجنة يوم القيامة تجاهين والعباس بيننا مؤمن بين خليلين رواه ابن ماجه (وقد قام الاجماع على فضل نبينا صلى الله عليه وسلم على جميع الانبياء بل هو أفضل خلق الله مطلقا) حتى جبريل باجماع حتى من المعتزلة فهذا رد للفروق بطريق الاجمال وأشار للتفصيل بقوله (وأما قوله ان الخليل يصل بالواسطة فلا يفيد غرضا فى هذا المقام الذى هو بصدده) وهو تفضيل المحبة (وليس المراد به قطعا الا الوصول الى المعرفة اذ الوصول الحسى يمتنع على الله تعالى) وقال بعضهم ان أراد الوصول الى الله برؤيته وسماع كلامه فالآية لامناسبة لها بما ذكر وان أراد الى معرفته فكذلك ثم لا يتم الفرق لانه ان أراد بيان مفهومى المحبة والخلة فما ذكر لا يدل عليه بل ليس بصحيح وان أراد بين ذاتى من قاما به فلا يفيد شيأ مما نحن فيه ثم انه مبنى على القول بأن ابراهيم لم يعرفه قبل هذا الاستدلال بناء على جواز مثله على الانبياء مطلقا أو قبل البلوغ والمحققون على أنه ورد على طريق الجدل مع قومه الذين كانوا يعبدون الكواكب (وأما قوله والحبيب يصل اليه) تعالى (به) فلا يفيد الغرض (فالوصول الى الله تعالى لا يكون الا به حبيبا كان أو خليلا) فهذا رد فرقه الاول (وأما قوله) فى الثالث (الخليل هو الذى تكون مغفرته فى حد الطمع الخ فانه لا يصح أن يكون على جهة التفسير للخليل ولا تعلق له بمعناه) وكذا الفرق الثانى وهذا قدمه المصنف بمعناه (وقصارى) يعنى غاية (ماذكره) فى الثلاثة (أنه يعطى تفضيل نبينا صلى الله عليه وسلم على ابراهيم عليه الصلاة والسلام فى حد ذاته من غير نظر الى ما جعله علة معنوية فى ذلك من وصف المحبة والخلة) وليس الكلام فى التفضيل الذاتى فلا معنى لذكره فرقا بين الصفتين لكن قد أشار عياض الى الجواب بأنه وان تعلق بذات الحبيب والخليل فالمقصود تفاوت وصفيهما فيرجع ذلك الى بيانهما فان منهم من يسلك مسلك التصريح ومنهم من يقصد الايماء والتلويح فقال أعنى عياضا بعد ذكر الفروق وفيما ذكرناه أى من تفسير المحبة والخلة واشتقاقهما تنبيه على مقصد أصحاب هذا المقال من تفضيل المقامات والاحوال وكل يعمل على شاكلته فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا

والحق

(والحق ان الخلة أعلى وأكمل وأفضل من المحبة) لانها خالص المحبة وصفاؤها ولذا قيل

قد تخللت مسلك الروح مني * وبذا سمي الخليل خليلا
فاذا ما نطقت كنت حديثي * واذا ما سكت كنت الغليلا

بغين معجمة ما داخل القلب وفي رواية الدخيلا أي ما داخل القلب والبدن (قال ابن القيم وأما ما يظنه بعض الغالطين من ان المحبة أكمل من الخلة وأن ابراهيم خليل الله ومحمدا حبيب الله فمن جهله فان المحبة عامة) له ولغيره (والخلة خاصة) فكيف يكون العام أفضل (والخلة نهاية المحبة) فكيف تفضلها البداية (قال وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن الله اتخذه خليلا ونفى أن يكون له خليل غير ربه مع أخباره بحبه لعائشة ولابيها ولعمر بن الخطاب وغيرهم) فهذا يدل على أن الخلة أعلى (وأيضا فانه تعالى أخبر انه يحب التوابين) من الذنوب (ويحب المتطهرين) من الاقذار (ويحب الصابرين ويحب المحسنين) أي يثيبهم (ويحب المتقين) الصائرين الى التقوى بامتثال الاوامر واجتناب النواهي لاتقائهم بذلك النار (ويحب المقسطين) العادلين من أقسط اذا عدل (وخلته خاصة بالخليلين) محمد وابراهيم عليهما الصلاة والسلام فهذا يفيد انها أفضل (قال وانما هذا) الذي قالوه من تفضيل المحبة (من قلة العلم والفهم عن الله ورسوله) انتهى) كلام ابن القيم وفي حصره اساءة أدب على أكثر العلماء (وقال الشيخ بدر الدين الزركشي في شرحه لبردة الابوصيري) صوابه البوصيري نسبة الى بوصير كما تقدم مرارا (وزعم بعضهم ان المحبة أفضل من الخلة قال) محتجا لذلك (محمد حبيب الله وابراهيم خليل الله) ومحمد أفضل فصفته أفضل (وضعف لان الخلة خاصة وهي توجد المحبة) لان الخاص يزيد على العام والمحبة عامة فلا توجد الخلة (قال الله تعالى ان الله يحب التوابين قال وقد صح ان الله اتخذ نبينا خليلا) فثبتت له الصفتان (فقال ان الله اتخذني خليلا كما اتخذ ابراهيم خليلا) الحديث رواه ابن ماجه ومر قريبا (انتهى) قول الزركشي

(* الفصل الثاني في حكم الصلاة عليه والتسليم) أي بيان ما ثبت لهما (فرضية) على أمته (وسنية وفضيلة) لهما (وصفة ومحلا) بالنصب على التمييز لجعل الصفة والمحل من الاحكام لان المراد بالحكم ما ثبت لهما من النسب فلا يختص بالاحكام الخمسة (قال الله تعالى ان الله وملائكته) نصب بالعطف على اسم ان وقرأه ابن عباس بالرفع على محل ان واسمها وهو ظاهر على رأي الكوفيين ووجهه عند البصريين ان الخبر محذوف لدلالة يصلون عليه قاله الكشاف (يصلون على النبي) أورد أن الصلاة من الله غيرها من الملائكة وقد جمع بينهما بلفظ واحد وأجيب بأنها مستعملة في معنى مشترك بينهما هو يعتنون باظهار شرفه وتعظيم شأنه والجملة اسمية خبرها مضارع لافادة الاستمرار التجددي فالملائكة استقرت صلاتهم عليه وهذه منقبة لم توجد لغيره أعظم من سجود الملائكة لآدم الذي وقع وانقطع وقال على النبي دون الرسول تنويها بقدره فالنبوة عند بعض أشرف من الرسالة لانها اتصال بالله واشتغال به والرسالة اشتغال بالناس (يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه) اعتنوا أيضا فانكم أولى بذلك وقولوا اللهم صل على

محمد (وسلموا تسليما) قولوا السلام عليك أيها النبي وقيل انقادوا والأوامره وأكد السلام وخصه بالمؤمنين لأن الصلاة مؤكدة معنى بصدوره من الله وملائكته فكيف لا تصلي عليه أمته وبأنها مؤكدة بأن والجملة الاسمية والسلام سواء كان بمعنى الانقياد أو السلام من الايذاء لا يليق اسناده الى الله وملائكته فاستحق التأكيد لصدوره خلافه من جنسهم ولا يرد قوله سلام على ابراهيم وقوله تعالى والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام لانه تحية واكرام وصدر المصنف بهذه الآية لاظهار مدعاه لان الامر محتمل للوجوب والندب (قال أبو العالية) رفيع بن مهران التابعي الكبير (معنى صلاة الله على نبيه ثناؤه عليه) بمدحه وبيان منزلته لديه (عند الملائكة) بحيث يطلعون على ذلك (ومعنى صلاة الملائكة عليه الدعاء) له (قال في فتح الباري وهذا أولى الاقوال) أحقها بالقبول (فيكون معنى صلاة الله عليه ثناؤه عليه وتعظيمه و) معنى (صلاة الملائكة وغيرهم طلب ذلك له من الله تعالى) كأن يقال نسألك أن تثني عليه وتعظمه بما يليق به (والمراد طلب الزيادة لا طلب أصل الصلاة) لحصولها مع سائر الكمالات اللائقة بالبشر فأي تعظيم يطلب له مع انه معظم مبجل فهو جواب سؤال مقدر حاصله ان الزيادة يقبلها المكمل (وعن ابن عباس ان معنى صلاة الملائكة الدعاء بالبركة) فقال كما رواه ابن جرير وابن أبي حاتم معناه ان الله وملائكته يباركون على النبي أي يدعون له بزيادة بركة لائقة بمقامه وشريف قدره وظهور شريعته والانقياد اليها والعمل بها ظاهرا وباطنا وذلك يعود ثوابه مضاعفا له صلى الله عليه وسلم وأصل معنى البركة الزيادة والنماء (وروى ابن أبي حاتم عن مقاتل بن حيان) بفتح المهملة والتحتية الثقيلة النبطي بفتح النون والموحدة أبي بسطام البلخي الخزاز بمعجمة وزايين منقوطتين صدوق فاضل روى له مسلم وأصحاب السنن وأخطأ الازدي في زعمه ان وكيعا كذبه وانما كذب مقاتل بن سليمان مات قبيل الخمسين ومائة بأرض الهند قاله الحافظ (قال صلاة الله مغفرته وصلاة الملائكة الاستغفار) كقوله ويستغفرون للذين آمنوا وحديث اللهم اغفر له اللهم ارحمه (وقال الضحاك بن مزاحم) الهلالي أبو القاسم أو أبو محمد الخراساني صدوق كثير الارسال روى له أصحاب السنن مات بعد المائة (صلاة الله رحمته وفي رواية عنه مغفرته وصلاة الملائكة الدعاء أخرجهما اسمعيل) بن اسحق بن اسمعيل بن حماد بن زيد البصري ثم البغدادي (القاضي) بها نحو خمسين سنة الامام الحافظ الفقيه المالكي صاحب التصانيف شيخ الاسلام بالعراق وثناء الناس عليه كثير ولد سنة تسع وتسعين ومائة ومات فجأة سنة اثنتين وثمانين ومائتين (عنه) أي عن الضحاك (وكأنه يريد الدعاء بالمغفرة ونحوها) فيوافق قول غيره الصلاة من الملائكة الاستغفار (وقال المبرد الصلاة من الله الرحمة) أي الانعام أو ارادته لان المعنى الحقيقي للدعاء لا يتصور في حق الله تعالى فأريد به لازمه وغايته (ومن الملائكة رقة) شفقة ومحبة (تبعث على استدعاء الرحمة) من الله أي طلبها والدعاء بها (وتعقب) تفسيره الصلاة من الله بالرحمة (بأن الله غاير بين الصلاة والرحمة في قوله سبحانه أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة) وأجيب بأن الصلاة الرحمة

المقرونة بالتعظيم فهى أخص من مطلق الرحمة وعطف العام على الخاص كثير مستعمل (وكذلك فهم الصحابة المغايرة من قوله تعالى صلوا عليه وسلموا تسليما حتى سألوه عن كيفية الصلاة عليه) لفظ مولد نسب لكيف اسم الاستفهام لان من شأنها أن يسأل بها عن مثله (مع تقدم ذكر الرحمة فى تعليم السلام حيث جاء بلفظ السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته وأقرهم النبى صلى الله عليه وسلم فلو كانت الصلاة بمعنى الرحمة لقال لهم لقد علمتم ذلك فى السلام) والجواب ماقدعلم فسؤالهم دل على أن الصلاة أخص من مطلق الرحمة (وجوز الحليمى أن تكون الصلاة بمعنى السلام عليه وفيه نظر) لان الله تعالى أخبر بأنه صلى على نبيه وأمر المؤمنين بالصلاة والسلام عليه فدل على تغايرهما وفى ان معنى السلام السلامة لك ومعك أو من أسماء الله أى السلام على حفظك ورعايتك متولله وكفيل به أو بمعنى المسالمة له والانقياد كما قال فلا وربك لا يؤمنون الى قوله ويسلموا تسليما أقوال فى الشفاء ليس فيها مايصلح تفسير الصلاة مع ملاحظة معناها اللغوى (وقيل صلاة الله على خلقه تكون خاصة وتكون عامة فتكون صلاته على أنبيائه هى ماتقدم من الثناء والتعظيم وصلاته على غيرهم الرحمة فهى التى وسعت) عمت (كل شئ) فى الدنيا وهذا يشبه الجمع بين القولين (وحكى القاضى عياض عن بكر) بن العلاء (القشيرى) نسبة لقشير بالتصغير قبيلة البصرى ثم المصرى (انه قال الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم من الله تشريف وزيادة تكرمة) أى تكريم بضم الراء كمكرمة كما ضبطه التلمسانى وغيره وهما مصدران (وعلى من دون النبى رحمة) لاحتياجهم اليها اذلا يخلو غير الانبياء من نوع تقصير (وبهذا يظهر الفرق بين النبى صلى الله عليه وسلم وبين سائر المؤمنين حيث قال تعالى فى سورة الاحزاب ان الله وملائكته يصلون على النبى وقال قبل ذلك فى السورة المذكورة هو الذى يصلى عليكم وملائكته) ليخرجكم من الظلمات الى النور (ومن المعلوم ان القدر الذى يليق بالنبى صلى الله عليه وسلم من ذلك أرفع مما يليق بغيره) فاتضح الفرق بين الصلاتين (والاجماع منعقد على ان فى هذه الآية من تعظيم النبى صلى الله عليه وسلم والتنويه به ماليس فى غيرها وقال الحليمى فى) كتاب (الشعب) أى شعب الايمان (معنى الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم تعظيمه فمعنى قولنا اللهم صل على محمد عظم محمدا) تعظيما لائقا به (والمراد تعظيمه فى الدنيا باعلاء ذكره واظهار دينه وابقاء شريعته وفى الآخرة باجزال مثوبته) تكثير ثوابه (وتشفيعه فى أمته وابداء) اظهار (فضيلته بالمقام المحمود) الذى يحمده فيه الاولون والآخرون (وعلى هذا فالمراد بقوله تعالى صلوا عليه ادعوا ربكم بالصلاة عليه انتهى ولا يعكر عليه عطف آله وأزواجه وذريته عليه) فى حديث أبى حميد انهم قالوا يارسول الله كيف نصلى عليك فقال قولوا اللهم صل على محمد وآله وأزواجه وذريته (فانه لايمتنع أن يدعى لهم بالتعظيم) لانهم اذلك أهل (اذ تعظيم كل أحد بحسب مايليق به) فلهم تعظيم دون تعظيمه (و) لكن (ماتقدم عن أبى العالية أظهر) من كلام الحليمى (فانه يحصل به استعمال لفظ الصلاة بالنسبة الى الله والى ملائكته والى المأمورين بذلك) أى المؤمنين (بمعنى واحد ويؤيده انه لا خلاف فى جواز الترحم على غير الانبياء)

أفضلة غير ثابتة فى النسخ الصحيحة منها مقروءة على المصنف وحذفها يفسد المعنى الذى هو اتفق على جواز الترحم على من عدا الانبياء (واختلفوا فى جواز الصلاة على غير الانبياء) على ثلاثة أقوال (ولو كان معنى قولنا اللهم صل على محمد ارحم محمدا أو ترحم على محمد جاز) لفظ صل (لغير الانبياء) باتفاق لان معناهما واحد فلما اختلف فى ذلك علم انهما ليسا بمعنى (و) كذا (لو كان) لفظ الصلاة (بمعنى البركة وكذلك) لو كان معنى (الرحمة) معنى الصلاة (لسقط الوجوب فى التشهد عند من يوجبه) كالشافعى (بقول المصلى فى التشهد السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته) لسبق الاتيان بمعناه مع انه لم يسقط (ويمكن الانفصال) الجواب (عنه) أى المذكور من قوله بمعنى البركة وكذلك الرحمة (بأن ذلك وقع بطريق التعبد) بلفظ الصلاة (فلا بد من الاتيان به ولو سبق الاتيان بما يدل عليه) ولم يجب عن قوله لو كان معنى اللهم صل على محمد الخ وأجاب شيخنا بأنهم كثيرا ما يستعملون فى المتساوين العطف التفسيرى فيمكن الحمل عليه هنا لانه لما خفى معنى الصلاة فسرها بالرحمة ايضاحا (فان قيل فى أى وقت وقع الامر بالصلاة عليه صلى الله عليه وسلم) فى الآية (فالجواب كما قاله) الكاف بمعنى على أو اللام أو الكلام من حيث صدوره عن المشبه غيره من حيث صدوره عن المشبه به فلا يرد حيث كان لغيره فلم نسبه لنفسه (أبو ذر الهروى) الامام العلامة الحافظ عبد بلا اضافة ابن أحمد بن محمد الانصارى المالكى شيخ الحرم سمع ابن حوية والدارقطنى وغيرهما وله تصانيف وكان زاهدا عابدا ورعا عالما حافظا كثير الشيوخ مات فى شوال سنة أربع وثلاثين وأربعمائة (انه وقع فى السنة الثانية من الهجرة وقيل فى ليلة الاسراء) وكان بمكة وفى وقته خلاف مر (وقيل ان شهر شعبان شهر الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم لان آية الصلاة يعنى ان الله وملائكته يصلون على النبى نزلت فيه) فينبغى الاكثار منها فى شعبان (والله أعلم) ثم بين فائدة مستقلة ليست مبينة لشئ مما ترجم به بقوله (قال الحليمى والمقصود بالصلاة عليه صلى الله عليه وسلم التقرب الى الله تعالى بامتثال أمره) وفى نسخة أوامره بالجمع (وقضاء بعض حق النبى صلى الله عليه وسلم علينا وتبعه) العلامة الحافظ عز الدين (بن عبد السلام فقال فى الباب الثامن من كتابه المسمى بشجرة المعارف ليست صلاتنا على النبى صلى الله عليه وسلم شفاعة له فان مثلنا لا يشفع لمثله) بل هو الشفيع لنا (ولكن الله أمرنا بمكافأة من أحسن الينا) على احسانه بمثله أو خير منه (ولم يحسن الينا أحد مثل احسانه فان عجزنا عنه كافأناه بالدعاء) كما قال صلى الله عليه وسلم فى حديث ومن صنع اليكم معروفا فكافئوه فان لم تجدوا ما تكافئونه فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه رواه أحمد وأبو داود والنسائى وصححه ابن حبان والحاكم عن ابن عمر (فأرشدنا الله لما علم عجزنا) بفتح اللام وشد الميم أى لما تعلق علمه بعجزنا أو بكسر اللام وخفة الميم أى لعلمه تعالى الازلى بعجزنا (عن مكافأة نبينا الى الصلاة عليه) وطلبها منه تعالى لقصورنا عن المجازاة فأحالها على الله ونعم المجازى هو (وذكر نحوه عن الشيخ أبى محمد) عبد الله بن محمد القرشى (المرجانى) الامام القدوة الواعظ المفسر أحد الاعلام فى الفقه والتصوف مات بتونس سنة تسع

بياض بالاصل

وتسعين

وتسعين وستمائة (وقال ابن العربي) محمد الامام الحافظ الفقيه (فائدة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ترجع الى الذي يصلي عليه لدلالة ذلك على نصوح العقيدة) أي خلوصها من الريبة والشك (وخلوص النية واظهار المحبة) لان من أحب شيأ أكثر ذكره (والمداومة على الطاعة) المأمور بها في القرآن (والاحترام) التعظيم (للواسطة الكريمة) المبلغ لذلك (صلى الله عليه وسلم واختلف في حكم الصلاة عليه صلوات الله وسلامه عليه على أقوال) عشرة (أحدها أنها تجب في الجملة) أي اجمالا (من غير حصر) في عدد ولا وقت مع القدرة على ذلك كما قال عياض فان عجز سقط كسائر الواجبات (لكن أقل ما يحصل به الاجزاء مرة) واحدة في العمر وعبر بالاستدراك لدفع ما يتوهم من قوله بغير حصر أنها لا تكفي وأنه لا بد من قدر يعد كثيرا عرفا قال عياض الواجب مرة كالشهادة له بالنبوة وما عدا ذلك مندوب مرغب فيه من سنن الاسلام وشعار أهله انتهى فاستظهار وقوع ما زاد عليها واجبا كفرض الكفاية ممنوع فهذا واجب عيني (الثاني يجب الاكثار منها من غير تقييد بعدد قاله القاضي أبو بكر) محمد بن أحمد بن عبد الله (بن بكير) بالتصغير التميمي البغدادي هذا هو المشهور في اسمه ونسبه وقيل اسمه أحمد بن محمد بن بكير وقيل محمد بن بكير لا غيره (من المالكية) تفقه باسمعيل القاضي وهو من كبار أصحابه الفقهاء الثقات له أحكام القرآن وكتاب الرضاع وكتاب في الخلاف وكان فقيها جدليا ولي القضاء وتوفي سنة خمسين وثلثمائة (وعبارته كما قاله) نقلا (القاضي عياض) عنه (افترض الله تعالى) أي فرض لكن فيه زيادة تأكيد لزيادة بنائه (على خلقه) جميعا (أن يصلوا على نبيه صلى الله عليه وسلم ويسلموا تسليما) كما روي عن ابن عباس من فرض الصلاة والسلام فهذان امامان من المالكية ابن بكير وعياض قائلان بوجوب السلام كالصلاة ولذا قال الرصاع كما نقل الحطاب الظاهر من الآية فرضية السلام وما نقل عن بعض المغاربة من التوقف في وجوبه لا أصل له والحق انه كالصلاة انتهى قال بعضهم وينبغي ذكره مع مصدره المؤكد امتثالا للامر (ولم يجعل ذلك) الفرض (لوقت معلوم) اللام للتأقيت والظرفية نحو جئت لخمس خلون من الشهر وقوله تعالى أقم الصلاة لدلوك الشمس (فالواجب أن يكثر المرء) الانسان ولو امرأة تغليبا (منها) من الصلاة بما يعد عرفا كثرة (ولا يغفل عنها) بتركها وفي افهامه تكثيرها في كل يوم وليلة (الثالث يجب كلما) بالنصب ظرف (ذكر قاله الطحاوي) أحمد بن محمد بن سلامة (وعبارته يجب كلما سمع ذكر النبي صلى الله عليه وسلم من غيره أو ذكره بنفسه) وظاهره ذكر بالاسم الظاهر أو الضمير في صلاة أو غيرها (وجماعة من الحنفية والحليمي وجماعة من الشافعية) كأبي اسحق وأبي حامد الاسفرايني وجمع من المالكية منهم الطرطوشي والفاكهاني (وقال ابن العربي من المالكية انه الاحوط) لامتثال الامر (وكذا قاله الزمخشري) واستدلوا لذلك بحديث من ذكرت عنده فلم يصل علي فمات تارك الصلاة علي والتعقيب عرفي كتزوج فولد له (فدخل النار) عقوبة له على ترك الصلاة (فأبعده الله) عن رحمته ونعيم جنته (أخرجه ابن

حبان من حديث أبي هريرة) ورواه أيضا بلفظ آخر هو وابن خزيمة وغيرهما عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صعد المنبر فقال آمين آمين آمين فقيل انك صعدت المنبر فقلت آمين امين امين فقال ان جبريل أتاني فقال من أدرك شهر رمضان فلم يغفر له فدخل النار فأبعده الله قل آمين فقلت آمين ومن أدرك أبويه أو أحدهما فلم يبرهما فمات فدخل النار فأبعده الله قل آمين فقلت آمين ومن ذكرت عنده فلم يصل عليك فمات فدخل النار فأبعده الله قل آمين فقلت آمين (وحديث رغم أنف) بكسر الغين وتفتح قيل وهو أفصح أى لصق بالتراب وهو كناية عن غاية الذل والهوان (من) لفظ الحديث رجل (ذكرت عنده) فأبدله بمن لافادة ان رجل وصف طردي والمراد رجل أو امرأة (فلم يصل علي) أى لحقه ذل وخزي بجزاء له على ترك تعظيمي أو خاب وخسر من قدر أن ينطق بأربع كلمات توجب له عشر صلوات من الله ورفع عشر درجات وحط عشر سيئات فلم يفعل لان الصلاة عبارة عن تعظيمه فمن عظمه عظمه الله ومن تركه أهانه وحقر شأنه قال الطيبي الفاء استبعادية كثم في قوله تعالى ثم أعرض عنها والمعنى بعيد من العاقل أن يتمكن من اجراء كلمات معدودة على لسانه فيفوز بما ذكر فلم يغتنمه حتى يموت فحقيق ان يذله الله وتعقب بأن جعلها للتعقيب أولى ليفيد ذم التراخي عن تعقيب الصلاة عليه بذكره (رواه الترمذي) وقال حسن غريب (من حديث أبي هريرة) بزيادة ورغم انف رجل دخل عليه رمضان ثم انسلخ قبل أن يغفر له ورغم أنف رجل أدرك عنده أبواه الكبر فلم يدخلاه الجنة (وصححه الحاكم) بعد ان رواه مطولا كذلك قال الحافظ وله شواهد (وحديث شقي عبد ذكرت عنده فلم يصل علي) حيث أحرم نفسه الثواب الجزيل (أخرجه الطبراني من حديث جابر لان الدعاء بالرغم والابعاد والشقاء يقتضي الوعيد والوعيد على الترك من علامات الوجوب) لان المستحب لا يتوعد على تركه اذ لا عقاب فيه وهذه أدلة من حيث اللفظ (و) استدلوا لذلك (من حيث المعنى أن فائدة الامر بالصلاة عليه مكافأته على احسانه واحسانه مستمر) حتى باستغفاره لنا في قبره (فتتأكد مكافأته اذا ذكر واستدلوا أيضا بقوله تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا فلو كان اذا ذكر لا يصلي عليه كان كآحاد الناس) لان عدم الصلاة حينئذ اعراض وقد نهينا عن الاعراض عنه عند ذكره كما دلت عليه الآية الشريفة وان كان فيها تفاسير تقدمت في المتن (وأجاب من لم يوجب ذلك بأجوبة منها انه قول لا يعرف عن أحد من الصحابة ولا التابعين فهو قول مخترع) مبتدع وأجيب بأن القائلين بالوجوب من أئمة النقل فكيف يسعهم خرق الاجماع على أنه لا يكفي في الرد عليهم كونه لم يحفظ عن صحابي ولا تابعي وغاية الرد ان حفظ اجماع مصرح بعدم الوجوب كما ذكر وأني به (ولو كان على عمومه للزم المؤذن اذا أذن) أن يصلي لانه ذكره في الاذان (وكذا سامعه وللزم القارئ اذا مر بآية فيها ذكره عليه الصلاة والسلام في القرآن) أن يصلي عليه (وللزم الداخل في الاسلام اذا تلفظ بالشهادتين ولكان في ذلك من المشقة والحرج ما جاءت الشريعة المطهرة السمحة) السهلة (بخلافه) يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ما جعل عليكم في الدين من حرج وأجيب بأنه

مخصوص

مخصوص بما لم يكن في الصلاة ونحوها على انه يمكنهم التزام ذلك ولا كبير حرج فيه (ولكان الثناء على الله كلما ذكر أحق بالوجوب) لان حق الله آكد (ولم يقولوا بوجوبه) أي الثناء على الله وأجيب بأن جماعة صرحوا بالوجوب في حقه تعالى أيضا وبالفرق بان حق الله غير مطلق وعظمته لا تتوقف على ذكرها وان هذا حق العبد وذاك حق الله وهو مبني على المسامحة دون المشاحة وزعم انه حق الله أيضا الامر به ناشئ من عدم فهم المراد بحق الله (و) لكن (قد أطلق القدوري وغيره من الحنفية ان القول بوجوب الصلاة عليه كلما ذكر مخالف للاجماع المنعقد قبل قائله) فهو محجوج به (لانه لا يحفظ عن أحد من الصحابة انه خاطب النبي صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله صلى الله عليك) وذلك أقوى الادلة على عدم الوجوب وأجيب بأنه ورد في عدة طرق عن جماعة من الصحابة انهم قالوا يارسول الله صلى الله عليك (ولانه لو كان كذلك لما تفرغ لعبادة أخرى) لكثرة ذكره صلى الله عليه وسلم وأجيب بمنع ذلك بل يمكن التفرغ لعبادات أخر (وأجابوا عن الاحاديث) السابقة (بأنها خرجت مخرج المبالغة في تأكيد ذلك وطلبه) فلا تدل على الوجوب (وفي حق من اعتاد ترك الصلاة عليه ديدنا) أي عادة مستمرة وأجيب بان حمل الاحاديث على ما ذكر لا يكفي الامر ببيان سنده ولم يبينوه (وبالجملة فلا دلالة على وجوب تكرار ذلك بتكرار ذكره صلى الله عليه وسلم في المجلس الواحد) وقيل انه مبني على أن الامر يفيد التكرار وهو ضعيف (انتهى ملخصا والله أعلم) بالحق من ذلك (الرابع) تجب (في كل مجلس مرة ولو تكرر ذكره مرارا في المجلس حكاه الزمخشري) الخامس في كل دعاء حكاه) الزمخشري (أيضا) وكان قائله تعلق بحديث لا تجعلوني كقدح الراكب الى أن قال ولكن اجعلوني في أول الدعاء وأوسطه وآخره (السادس أنها من المستحبات وهو قول) المجتهد المطلق محمد (بن جرير الطبري وادعى الاجماع على ذلك) وحمل عليه الآية (واحتج على ذلك مع ورود صيغة الامر بذلك بالاتفاق) متعلق باحتج (من جميع المتقدمين والمتأخرين من علماء الامة على أن ذلك غير مستلزم فرضيتها حتى يكون تارك ذلك عاصيا فدل) هذا الاتفاق (على أن الامر فيه للندب ويحصل الامتثال لمن قاله ولو كان خارج الصلاة) وفي الشفاء حمل الائمة والعلماء الامر على الوجوب وأجمعوا عليه وحمله الطبري على الندب وادعى الاجماع ولعله فيما زاد على مرة (قال في فتح الباري وما ادعاه من الاجماع معارض بدعوى غيره الاجماع على مشروعية ذلك في الصلاة اما بطريق الوجوب) كما يقول الشافعي (واما بطريق الندب) كما يقول غيره (ولا يعرف عن السلف لذلك مخالف الا ما أخرجه ابن أبي شيبة) عبد الله بن محمد بن ابراهيم وهو أبو شيبة (والطبراني عن ابراهيم النخعي انه كان يرى ان قول المصلي في التشهد السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته يجزئ عن الصلاة) عليه صلى الله عليه وسلم بعد تمام التشهد (ومع ذلك انما ادعى) النخعي (اجزاء السلام عن الصلاة) وذلك لا ينفي مشروعيتها ندبا أو وجوبا (السابع تجب في العمر مرة في الصلاة أو غيرها ككلمة التوحيد قاله أبو بكر الرازي) أحمد بن علي بن حسين الامام الحافظ محدث نيسابور (من) ائمة (الحنفية) سمع أبا حاتم وعثمان الدارمي وعنه

أبو علي وأبو أحمد الحاكم قال ابن عقدة كان من الحفاظ مات سنة خمس عشرة وثلثمائة
(الثامن تجب في الصلاة من غير تعيين المحل ونقل ذلك عن أبي جعفر الباقر) بالقاف لانه
بقر العلم وهو محمد بن علي بن الحسين (التاسع تجب في التشهد) صادق بالاول والاخير (وهو
قول الشعبي) عامر بن شراحيل التابعي (واسحق بن راهويه) أحد الائمة (العاشر تجب
في القعود آخر الصلاة بين قول التشهد وبين سلام التحلل) الذي هو الاول (قاله الشافعي
ومن تبعه واستدل لذلك بما رواه أصحاب السنن وصححه الترمذي وابن خزيمة والحاكم
عن أبي مسعود) عقبة بن عمرو بن ثعلبة الانصاري (البدري) الصحابي الجليل مات قبل
الاربعين وقيل بعدها (أنهم) أي الصحابة وسمي منهم أبي وبشير بن سعد وزيد بن خارجة
وطلحة وأبو هريرة وعبد الرحمن بن بشير (قالوا يا رسول الله أما السلام عليك فقد عرفناه
فكيف نصلي عليك اذا نحن صلينا عليك في صلاتنا فقال قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل
محمد الحديث) يأتي تمامه في صفة الصلاة (ومعنى قولهم أما السلام عليك فقد عرفناه هو
الذي في التشهد الذي كان قد علمهم اياه كما يعلمهم السورة من القرآن وفيه السلام عليك أيها
النبي ورحمة الله وبركاته ورواه الشافعي في مسنده عن أبي هريرة بمثله) أي حديث أبي
مسعود (وقد احتج بهذه الزيادة) يعني قوله في صلاتنا (جماعة من الشافعية منهم ابن خزيمة
والبيهقي لايجاب الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم قبل السلام) ويأتي انه ليس فيه على تسليمه
مايدل على كونه قبل السلام (وقال الشافعي في الام فرض الله الصلاة على رسوله صلى الله
عليه وسلم بقوله ان الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا
تسليما ولم يكن فرض الصلاة عليه في موضع أولى) أحق (منه في الصلاة ووجدنا الدلالة
عن النبي صلى الله عليه وسلم بذلك أخبرنا ابراهيم بن محمد) بن أبي يحيى الاسلمي أبو اسحق
المدني متروك مات سنة أربع وثمانين وقيل سنة احدى وتسعين ومائة قال (حدثنا صفوان
ابن سليم) بضم السين المدني العابد الثقة المفتي (عن أبي سلمة) اسمعيل أو عبد الله أو اسمه
كنيته ابن عبد الرحمن بن عوف الزهري المدني الثقة كثير الحديث (عن أبي هريرة انه
قال يا رسول الله كيف نصلي عليك يعني في الصلاة قال تقولون اللهم صل على محمد وعلى آل
محمد كما صليت على ابراهيم الحديث) ترك بقيته لان مقصوده منه قوله يعني في الصلاة قال
الشافعي ايضا (أخبرنا ابراهيم بن محمد) السابق فيما قبله (قال حدثني سعيد بن اسحق بن
كعب بن عجرة) بضم العين وسكون الجيم (عن عبد الرحمن بن أبي ليلى) الانصاري المدني
ثم الكوفي تابعي كبير ثقة من رجال الجميع مات بوقعة الجماجم سنة ثلاث وثمانين قيل انه
غرق (عن كعب بن عجرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقول في الصلاة اللهم صل
على محمد وآل محمد كما صليت على ابراهيم وآل ابراهيم الحديث) الآتي قريبا والغرض
منه هنا قوله في الصلاة (قال الشافعي فلما روى ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يعلمهم
التشهد في الصلاة وروى انه علمهم كيف يصلون عليه في الصلاة لم يجز أن يقول التشهد
في الصلاة واجب والصلاة عليه فيه غير واجبة) بل سنة أو مستحبة لانه تحكم وهذا بناء
على مذهبه أن التشهد واجب أما على مذهب غيره انه سنة فتجبه بل لا يتأتى الاستدلال بذلك

ان سلم الاعلى من يقول بوجوب التشهد (وقد تعقب بعض المخالفين هذا الاستدلال من أوجه أحدها ضعف) شيخه في الحديثين المذكورين ابراهيم بن محمد بن أبي يحيى والكلام فيه) لاصحاب الحديث (مشهور) فقال الامام أحمد هو قدري معتزلي جهمي كل بلاء فيه وقال يحيى القطان انه كذاب وقال البخاري جهمي تركه ابن المبارك والناس وقال ابن عبد البر مجمع على تجريحه وضعفه غير الشافعي منه حذقه ونباهته فروى عنه (الشافي على تقدير صحته فقوله في الاول يعني في الصلاة لم يصرح بالقائل يعني) حتى يعلم هل هو ممن يقبل تفسيره أم لا (الثالث قوله في) الحديث (الثاني انه كان يقول في الصلاة وان كان ظاهره انه في الصلاة المكتوبة لكنه يحتمل أن يكون المراد بقوله في الصلاة أي في صفة الصلاة عليه) اذا أراد وهافي صلاة أو غيرها كسماع ذكره فلا دلالة فيه على المدعى (وهو احتمال قوي لان أكثر الطرق عن كعب بن عجرة يدل على ان السؤال وقع عن صفة الصلاة لاعن محلها) وفي نسخة في صفة أي في بيان السؤال عن صفة وعن أظهر (الرابع) على تقدير التغاضي عن هذا كله وتسليم ان المراد في الصلاة (ليس في الحديث مايدل على تعيين ذلك في التشهد) لانه صادق بغيره فهو مجمل وهو كاف في ترك الاستدلال به (خصوصا بينه وبين السلام) الذي هو المدعى وجوبه بعد تسليم ان المراد في التشهد ولقوة هذه الاوجه سلمها الحافظ لانه شأن المنصفين (وقد أطنب قوم من متأخري المالكية وغيرهم في التشنيع) أي الرد وأصل معناه التقبيح (على الشافعي في اشتراطه ذلك في الصلاة و) أطنبوا في (زعم) بفتح الزاي وسكون العين والجر مصدر (انه تفرد بذلك) فلم يقله أحد قبله (وحكى الاجماع على خلافه منهم أبو جعفر) محمد بن جرير (الطبري) المجتهد (والطحاوي) أحد ائمة الحنفية والحفاظ (وابن المنذر) أبو بكر محمد بن ابراهيم النيسابوري الحافظ الحجة المجتهد وقيل انه شافعي مات بمكة سنة تسع أو عشر وثلثمائة (والخطابي) حمد بفتح فسكون ابن محمد بن ابراهيم بن خطاب البستي بضم الموحدة الحافظ الفقيه الشافعي تقدم بعض تراجمهم غير مرة (وحكى القاضي عياض في الشفاء مقالاتهم وقد عاب عليه غير واحد وقالوا كان ينبغي سكوته عنها) بأن يترك نقل مقالة هؤلاء (لان مبنى تأليفه الشفاء على كمال المبالغة في تعظيمه صلى الله عليه وسلم وأداء حقوقه والقول بوجوب الصلاة عليه في الصلاة من غرض المبالغة في تعظيمه وقد استحسن هو) أي عياض (القول بطهارة فضلاته) صلى الله عليه وسلم (مع ان الاكثر على خلافه لكنه استجاده) عده جيدا حسنا (لما فيه من الزيادة في تعظيمه) قال شيخنا فيما أملاه في مثل هذا لايسمى عيبا ولا يعترض به لان مراد عياض كغيره من العلماء بيان الحق لينظر الواقف عليه الاقوال والادلة وليس فيه شئ ينافي تعظيمه صلى الله عليه وسلم فان عظمته وكرامته لم تتوقف على هذه المسئلة وأما ذكره لمسئلة الفضلة فلانه مذهبه كالشافعي فهو الحق عنده (وكيف ينكر القول بوجوب الصلاة عليه) في الصلاة (وهي من جنس الصلاة ومقتضياتها) لانها أقوال وأفعال وهي من الاقوال وهذا اعتراض ساقط لانه انما أنكر الوجوب فقط لانه لا يثبت الا بدليل خاص (واذا شرع السلام فيها على نفس المصلي وعلى عباد الله الصالحين فكيف

لا تجب الصلاة على سيد المرسلين) فيه نظر اذ لا تلازم بينهما وأيضا فشروعية السلام على من ذكر سنة عند كثير من المخالفين وكذلك الصلاة (وقد انتصر جماعة كثيرة من العلماء الاعلام للشافعي كالحافظ عماد الدين بن كثير والعلامة ابن القيم وشيخ الاسلام والحفاظ أبي الفضل) أحمد بن علي (بن حجر وتلميذه شيخنا الحافظ) السخاوي في القول البديع (وغيرهم ممن يطول عدهم) كالقطب الخيضري في تأليف له في ذلك سماه زهر الرياض في رد شناعة عياض وقفت عليه وأكثره قايل للرد (واستدلوا لذلك بأدلة نقلية ونظرية ودفعوا دعوى الشذوذ فنقلوا القول بالوجوب عن جماعة من الصحابة منهم ابن مسعود) عبد الله الهذلي (وأبو مسعود) عقبة بن عمرو الانصاري البدري لانه شهد بدرا أو لانه نزلها (وجابر بن عبد الله) الصحابي ابن الصحابي (ونقله أصحاب الشافعي) أي مقلدو مذهبه (عن عمر بن الخطاب وابنه عبد الله ومن التابعين الشعبي) بالموحدة عامر (فيما رواه البيهقي) كما سيأتي (وكذلك أبو جعفر) محمد (الباقر) من التابعين (ومقاتل) من اتباع التابعين (وأخرج الحاكم باسناد قوي عن ابن مسعود قال يتشهد الرجل) وصف طردي والمراد المصلي ذكرا أو أنثى (ثم يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ثم يدعو لنفسه) بما شاء (قال الحافظ ابن حجر وهذا أقوى شيء يحتج به للشافعي) فان ابن مسعود ذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم علمهم التشهد في الصلاة وأنه قال ثم ليتخير من الدعاء ما شاء فلما ثبت عن ابن مسعود الامر بالصلاة قبل الدعاء دل على انه اطلع على زيادة ذلك بين التشهد والدعاء) ولا دلالة على اطلاعه لانه لم يرفعه لا صريحا ولا حكما فهو من اجتهاده وليس بحجة لمخالفة غيره من الصحابة له بل قول الصحابي ليس بحجة عند الشافعي مطلقا وبتسليم اطلاعه فلا يقتضي الوجوب الذي هو محل النزاع (واندفعت حجة من تمسك بحديث ابن مسعود في دفع ما ذهب اليه الشافعي) ولا اندفاع بذلك لما علمته (وادعى مثل ما ذكره القاضي عياض) حيث (قال) في الشفاء (وهذا تشهد ابن مسعود الذي علمه له النبي صلى الله عليه وسلم ليس فيه ذكر الصلاة عليه) وكذلك كل من روى التشهد عن النبي صلى الله عليه وسلم كأبي هريرة وابن عباس وجابر وابن عمر وأبي سعيد وأبي موسى وابن الزبير لم يذكروا فيه صلاة على النبي صلى الله عليه وسلم انتهى (وفي جزء الحسن بن عرفة) بن يزيد العبدي أبي علي البغدادي صدوق حافظ مات سنة سبع وخمسين ومائتين وقد جاوز المائة (مرفوعا وأخرجه المعمري) بفتح الميمين بينهما عين ساكنة ثم راء الحافظ العلامة البارع الحسن بن علي بن شبيب البغدادي قيل له المعمري لان جده لامه سفيان المعمري كان صاحب معمر أو لانه عني بجمع حديثه قال الخطيب كان من أوعية العلم يذكر بالفهم ويوصف بالحفظ وفي حديثه غرائب وأشياء ينفرد بها وقال الدارقطني صدوق حافظ جرحه موسى بن هرون لعداوة بينهما وأنكر عليه أحاديث فأخرج أصوله بها ثم ترك روايتها مات في المحرم سنة خمس وتسعين ومائتين (في) كتاب (عمل يوم وليلة عن ابن عمر بسند جيد) أي مقبول (قال لا تكون صلاة الا بقراءة وتشهد وصلاة علي) بشد ياء المتكلم صلى الله عليه وسلم وهذا لا دلالة فيه على الوجوب لاحتمال ان معناه

لاتكون صلاة مجزئة أو كاملة" وهو أقرب لاحاديث التشهد التي ليس فيها صلاة (وأخرج البيهقي" في الخلافيات بسند قوي" عن الشعبي" وهو من كبار التابعين قال كان نعلم) بضم النون وشد اللام (التشهد فاذا قال وأشهد أن محمدا عبده ورسوله يحمد ربه ويثني عليه ثم يصلي على النبي" صلى الله عليه وسلم ثم يسأل حاجته) وليس في تعليمهم ذلك ما يدل على الوجوب اذ التعليم للصفة الشاملة" للاستحباب بدليل سؤال الحاجة بل لا دلالة فيه على وجوب أصل التشهد (وفي حديث أبي جعفر) محمد الباقر (عن ابن مسعود مرفوعا من صلى صلاة لم يصل فيها علي") بشد الياء (وعلى أهل بيتي لم تقبل منه) وهذا بفرض ثبوته لا دليل فيه على الوجوب اذ عدم القبول لا يقتضي البطلان فكيف وقد (قال الدارقطني معللا لهذا الحديث (الصواب انه من قول أبي جعفر محمد بن علي" بن الحسين) بن علي" بن أبي طالب بلفظ (لو صليت صلاة لم أصل فيها على النبي" صلى الله عليه وسلم ولا على أهل بيته لرأيت انها لا تتم" لكن) هذا لا يصح عن الباقر أيضا فان (راويه عن أبي جعفر) محمد الباقر (جابر) بن يزيد بن الحرث (الجعفي") الكوفي" (وهو ضعيف) رافضي" مات سنة سبع وعشرين ومائة وقيل سنة اثنتين وثلاثين (كذا في الشفاء) لعياض ولا وجه لذكره بصيغة التبري (وقد وافق الشافعي" من فقهاء الامصار أحمد في احدى الروايتين عنه وعمل به أخيرا كما حكاه عنه) تلميذه (أبو زرعة) عبد الرحمن بن عمرو بن عبد الله بن صفوان النضري" بالنون (الدمشقي") الحافظ شيخ الشام روى عن أبي مسهر وأبي نعيم وأحمد وخلق وعنه أبو داود والطحاوي" وغيرهما قال أبو حاتم صدوق ثقة مات سنة احدى وثمانين ومائتين وله تصانيف (فيما ذكره الحافظ ابن كثير وأوجب اسحق بن راهويه الاعادة مع تعمد تركها دون النسيان) قيل كان يراها واجبا غير شرط وقيل له قولان (والمشهور عن أحمد أنها تبطل بتركها عمدا وسهوا وعليه أكثر أصحابه حتى ان بعض ائمة الحنابلة أوجب ان يقال في الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم كما) أي مثل الذي (علمهم أن يقولوا لما سألوا كما ذكره ابن كثير ووافق الخرقي") بكسر الخاء المعجمة وفتح الراء وقاف نسبة الى بيع الخرق والثياب أبو القاسم عمر بن الحسين بن عبد الله بن أحمد البغدادي" شيخ الحنابلة" الفقيه صاحب المختصر وكان له تصانيف كثيرة أودعها ببغداد وسافر فاحترقت (اسحق) بن راهويه" في التقييد بالعمد دون النسيان مخالفا لا" كثر الحنابلة" (والخلاف أيضا عند المالكية كما ذكره ابن الحاجب في سنن الصلاة ثم قال على الصحيح فقال شارحه) العلامة محمد (بن عبد السلام) التونسي" قاضيها الفقيه المالكي" المشهور شيخ الامام محمد بن عرفة (يريد أن في وجوبها قولين وهو) أي الوجوب (ظاهر كلام الامام ابن المواز) محمد بن ابراهيم بن زياد الاسكندري" كان راسخا في الفقه والفتيا مجتهدا في المذهب له ترجيحات وأقوال ومصنفات وانتهت اليه رياسة للمالكية بمصر في زمنه وروى عن أصبغ وعبد الله بن عبد الحكم وابن الماجشون وغيرهم ولد في رجب سنة ثمانين ومائة ومات في ذي القعدة سنة تسع وستين ومائتين وقيل سنة احدى وثمانين (وبه صرح عنه ابن القصار) أبو الحسن علي" بن احمد البغدادي" قاضيها الفقيه الاصولي" النظار

صاحب تصانيف قال أبو ذر هو أفقه من رأيت من المالكية وكان ثقة قليل الحديث مات سنة ثمان وتسعين وثلثمائة (وعبد الوهاب) بن علي بن نصر أبو محمد البغدادي أحد الاعلام وأئمة المالكية المجتهدين في المذهب له أقوال وترجيحات تفقه على ابن القصار وابن الجلاب واليه انتهت رياسة المذهب قال الخطيب لم أر أفقه منه في المالكية ولي قضاء داريا وتحول الى مصر لضيق حاله ببغداد فأكرم بها وتمول وسعد جدا فأدركه الموت فصار يقول في مرضه لا اله الا الله عندما عشنا متنا مات بمصر في شعبان سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة عن ستين سنة (كما في الشفاء) عنهما (بلفظ انه) أي ابن المواز (يراها فريضة في الصلاة كقول الشافعي) فظاهره انه يرى بطلانها بتركها ولفظ ابن المواز الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فريضة في الصلاة (قال) عياض قال ابن أبي زيد يريد ليست من فرائض الصلاة أي بل فرض في الجملة لا تبطل بتركها وقاله محمد بن عبد الحكم وغيره وحكى ابن القصار وعبد الوهاب ان ابن المواز الخ قال عياض عقب هذا في بعض نسخ الشفاء (وحكى أبو يعلى) أحمد بن محمد (العبدي) بفتح فسكون نسبة الى عبد القيس بن ربيعة بن نزار البصري المالكي امام المالكية بالبصرة وصاحب تدريسهم ومدار فتياهم وله تصانيف قال أبو علي الصدفي كان مشهورا بامامة وتقدم وصلاح وكان على كل جمعة بجامع البصرة وعلى رأسه مستمليان يسمعان الناس ما عليه سمع منه أبو علي الصدفي وخلق كثير (عن المذهب) أي عن أهل مذهب مالك (فيها) أي الصلاة (ثلاثة أقوال في الصلاة الوجوب) وهو ضعيفها (والسنية والندب) وهما رجحان وليس المذهب بضم الميم علم على كتاب لسند بن عنان سماه الطراز المذهب لانه عصري عياض ومات قبله بثلاث سنين ولا المذهب لابن راشد القفصي لتأخره جدا عن عياض وانما نبهت على هذا لان بعض المالكية تشدق في درس شيخنا فقال هو عن المذهب بضم الميم اما الابن راشد وا ما لسند وما علم ان أبا يعلى متقدم عنهما لانه شيخ شيوخ عياض (ورأيت مما عزى) نسب (للقاضي أبي بكر) محمد (بن العربي) الفقيه المالكي الحافظ (في) كتابه (سراج المريدين قال ابن المواز والشافعي الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم من فرائض الصلاة وهو الصحيح انتهى) لكنه خلاف المشهور (وقد يلزم القائل من الحنفية بوجوب الصلاة عليه كلما ذكر كالطحاوي ونقله السروجي) شمس الدين أحمد بن ابراهيم بن عبد الغني المصري قاضيها كان بارعا في علوم شتى مات في ربيع الآخر سنة احدى وسبعمائة ومولده سنة سبع وثلاثين وستمائة (في شرح الهداية) اسم كتاب نفيس في الفقه للبرهان أبي الحسن علي بن أبي بكر المرغيناني (عن أصحاب المحيط والعقد والتحفة من كتبهم أن يقولوا بوجوبها في التشهد لتقدم ذكره صلى الله عليه وسلم في آخر التشهد في قوله وأشهد أن محمدا رسول الله لكن لهم ان يلتزموا ذلك ولا يجعلونه شرطا في صحة الصلاة) لانه لا يلزم من الوجوب كونه شرط صحة (ولم يخالف الشافعي أحد من أصحابه) أي أهل مذهبه (في ذلك بل قال بعض أصحابنا بوجوب الصلاة على الآل كما حكاه البندنيجي) بفتح الموحدة والمهملة وسكون النون الاولى وكسر الثانية ثم تحتية وجيم نسبة الى بندنيجين بلفظ المثنى بلد قرب بغداد

(والدارمي)

(والدارمى" ونقله امام الحرمين والغزالى" قولا عن الشافعى" قال الحافظ ابن كثير والصحيح انه وجه لا قول) والقول فى اصطلاحهم نص الامام والوجه لغيره (على ان الجمهور) من أهل المذهب (على خلافه والقول بوجوبه ظهور الحديث) لقوله قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد (وأما مخالفة الخطابى" من أصحاب الشافعى") أى أهل مذهبه (الشافعى") حيث قال ليست واجبة فى الصلاة وهو قول جماعة الفقهاء الا الشافعى" ولا أعلم له فيها قدوة وكذا قال أبو الطيب الطبرى" من الشافعية ان الشافعى" لم يسبق الى ذلك كما فى الفتح (فلا يعتد به) أى بخلافه فذكره على معنى مخالفة (لمقتضى الامر المحمول على الوجوب اجماعا وأولى أحوالها الصلاة ولا مانع من احتمال كونه مرادا) وأنت خبير بأن هذا لا يصلح تعليلا لنفى الاعتداد بخلافه اذ هو محل النزاع (وأما قوله) أى الخطابى" (ولا أعلم له فيها قدوة فيقال عليه لا ريب ان الشافعى" قدوة يقتدى به والمقام مقام اجتهاد فلا افتقار له الى غيره) لكن هذا لا يقال لمثل الخطابى" فهو لا يجهل ان الشافعى" قدوة فانما مراده بالقدوة ما يقتدى به من الادلة الصحيحة لذلك (وأما قوله فى الشفاء) وظاهره انه من جملة نقله عن الخطابى" لانه وصله بقوله لا أعلم له فيها قدوة (والدليل على انها ليست من فروض الصلاة عمل السلف الصالح قبل الشافعى" واجماعهم عليه ففيه نظر لانه ان أراد بالعمل الاعتقاد) لعدم صحة ارادة الفعل لانهم كانوا يصلون (فيحتاج الى نقل صريح عنهم) بأن ذلك ليس بواجب (وأنى) أى من أين (يوجد) له (ذلك) ولا نظر ولا استبعاد بعد تواتر نقل الائمة عنهم انهم قائلون بعدم الوجوب فهم قطعا معتقدون ذلك (وأما قوله) أى عياض قبل هذا (وقد شنع الناس عليه) أى نسبوه الى الشناعة وعدوا قوله شاذا مبتدعا وأصل معناه القبح (يعنى الشافعى" فى هذه المسئلة جدا) أى كثيرا منهم الطبرى" والقشيرى" وابن المنذر والخطابى" كما فى الشفاء (فلا معنى له وأى" شناعة فى ذلك و) الحال انه (لم يخالف نصا) لكتاب ولا سنة (ولا اجماعا ولا قياسا ولا مصلحة راجحة) وفى نسخة واضحة أى ظاهرة بينة والاولى أنسب بكلام أهل الاصول والمراد بها المبالغة فى الرد على من شنع لأن ما فيه مصلحة مطلوب حتى يتوهم انه جرى على قول المعتزلة الاحكام تابعة لمصلحة الفعل أو الترك (بل القول بذلك من محاسن مذهبه) لما فيه من زيادة تعظيم المصطفى (ولا ريب ان القائل بجواز ترك الصلاة على أفضل خلق الله فى الصلاة التى هى رأس العبادة المطلوب فيها الخضوع واستحضار شارعها) عليه السلام سمى شارعا لظهوره على يديه والا فالشارع فى الحقيقة هو الله تعالى (والثناء عليه أولى بالتشنيع) ولا شناعة لان تجويز ذلك من جملة الرحمة التى أرسل بها حتى لا ينال أمته الاثم اذا لم يصلوا عليه بل يثابوا على الصلاة ولمشقة الوجوب بخلاف السنة التى قالوا بها (وأما نقله الاجماع فقد تقدم ما فيه) من حكايته عن جماعة من الصحابة والتابعين الوجوب لكن لا صراحة عنهم انها تبطل بتركه الذى هو محل النزاع فالوجوب فى الجملة لا ينافى نقل الاجماع قبل الشافعى" على عدم البطلان والى هذا لوح الحافظ فقال ومنهم أى العلماء من قيد تفرد الشافعى" بكونه عينها بعد التشهد لا قبله ولا فيه حتى لو صلى على النبى" صلى الله عليه وسلم فى اثناء التشهد مثلا لم يجزئ عنده انتهى (وأما قوله ان

الشافعي اختار تشهد ابن مسعود ولم يقل به أحد والشافعي انما اختار تشهد ابن عباس كما سيأتي ان شاء الله تعالى في مقصد عباداته صلى الله عليه وسلم) من رواية مسلم فنقله هنا عن غير المصنف من عدم استحضار ما في الكتاب المشروح والتشنيع بهذا على عياض ليس بذا الذ اذ غاية ما فيه انه سبقه قلمه أو حفظه والمقصود منه وهو استدلاله قائم لانه قال وهذا تشهد ابن مسعود الذي اختاره الشافعي ليس فيه الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فيقال صوابه ابن عباس وليس فيه أيضا الصلاة عليه صلوات الله عليه (وقد استدل للوجوب بما أخرجه أبو داود والنسائي والترمذي وصححه وكذا) صححه (ابن خزيمة وابن حبان والحاكم من حديث فضالة) بفتح الفاء على الافصح وتضم ومعجمة ولام (ابن عبيد) بضم العين ابن ناقد بن قيس الانصاري الاوسي أول ما شهد أحد ثم نزل دمشق وولي قضاءها ومات سنة ثمان وخمسين وقيل قبلها (قال سمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلا يدعو في صلاته لم يحمد الله ولم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال عجل هذا) بفتح العين وكسر الجيم أي أسرع بدعائه وأتى به في غير محله (ثم دعاه) أي طلب ذلك الرجل وقربه اليه (فقال) له أو لغيره كما في حديث الجماعة (اذا صلى أحدكم) لم يقل صليت ليفيد عموم هذا الحكم وأنه لا يختص بالمدعو (فليبدأ بحمد الله) الحمد اللغوي فقوله (والثناء عليه) تفسير هذا مستفاد الاستدلال به وقوله الآتي أي اثن عليه بالتحيات الخ لكن لفظ الحديث بتحميد الله بصيغة التفعيل وفي رواية بتمجيد بميم بعدها جيم أي تعظيم قال عياض وهو أصح أي رواية لقوة سنده لا من حيث المعنى لتقارب معناهما والتحميد حمده مرة بعد أخرى وكذا التمجيد (ثم ليصل على النبي صلى الله عليه وسلم ثم ليدع) بكسر اللام واسكانها اللام (بما شاء) من دين ودنيا وبالمأثور أولى وقد نوزع في هذا الاستدلال بأن في سنده مقالا كما قاله ابن عبد البر وان صححه من تقدم وبأنه يدل على عدم الوجوب اذ لو كان له لامر المصلي بالاعادة كما أمر المسيء صلاته واحتمال انه أعادها أو أنه لم يعلم بوجوبها فلم يأمره بالاعادة مما لا يسمع في مقام التعليم (قلت ومما يعد من كرامات امامنا الشافعي وسره الساري أن القاضي عياضا ساق هذا الحديث بسنده من طريق الترمذي من غير أن يطعن في سنده) فقد وافق من صححه (بعد قوله فصل في المواطن التي تستحب فيها الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ويرغب) فيها لنيل الثواب (من ذلك في تشهد الصلاة) الاول والثاني فانه يأتي كذا استحبابه في الاول أيضا على المعتمد عند المالكية وبه جزم الرصاع (وذلك بعد التشهد) أي قول أشهد ان محمدا رسول الله (وقبل الدعاء) بالمأثور أو بما شاء وكرامات الامام الشافعي وفضائله غنية عن التبجح بمثل هذا الذي لا يساوي شيأ اذ اتيانه به دليلا على الاستحباب لا يدل على الوجوب مع انه لم يذكر أنه استدل به للوجوب ولا رده (وهذا الحديث كما ترى من أعظم الادلة لنا) لكن لا دلالة فيه على الوجوب اذ لو كان واجبا لامره بالاعادة كما علم (فان قال قائل ليس لكم فيه دلالة) لا على وجوب ولا ندب في الصلاة (لانه قال فيه سمع رجلا يدعو في صلاته ولم يقل في تشهده) فيحتمل ان المراد في دعاء الافتتاح أو في السجود (يجاب بأنه يلزم على هذا

ان القاضى عياضا ساقه فى غير محله لانه عقد الفصل كما قدمته لبيان مواطن استحباب الصلاة ثم قال تاوذلك ومن ذلك فى تشهد الصلاة وفى مصابيح البغوى من حديث فضالة بن عبيد هذا) المذكور (مايدل على انه كان فى التشهد ولفظه) من رواية الترمذى أيضا (قال) فضالة (دخل رجل فقال اللهم اغفرلى وارحمنى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عجلت) بفتح فكسر أسرعت (أيها المصلى اذا صليت فقعدت فاحمد الله بما هو أهله) مستحق له (وصل على ثم ادعه) اسأله بما تشاء من الخير (وفى قوله عجلت استلواح) أى اظهار (فوات الكمال عن الحقيقة المجزئة اذلو كانت مجزئة لما حسن اللوم والتعليم بصيغة الامر) فيه نظر لان اللوم يقع على ترك السنة أيضا لتفويته ثوابها على نفسه (فان قال) ذلك القائل (انه فى مقام تعليم المستحبات اذلو كان فى الواجبات لامره بالاعادة كما أمر المسىء صلاته) بقوله ارجع فصل فانك لم تصل (يجاب بأن فى قوله هذا غنية عن الامر بالاعادة لانه حيث علمه ماهو الواجب علم قطعا انه لم يات به أولا) بشد الواو (فلم يكن آتيا بالمد (به فوجب اعادته وهم أهل الفهم والعرفان) فاكتفى بذلك عن الامر الصريح بالاعادة وهذا جواب بتساوله هزلا اذ مبناه على انه علمه واجبا عليه وهو محل النزاع فكيف يحتج به مع ظهور حجة خصمه على الندب بأمر المسىء صلاته بالاعادة مع كونه من أهل الفهم (فان قال) ذلك القائل (ان قوله فقعدت يحتمل أن يكون عطفا على مقدر تقديره اذا صليت وفرغت فقعدت يجاب بأن الاصل عدمه) أى التقدير (وانما هو عطف على المذكور أى اذا كنت فى الصلاة فقعدت للتشهد فاحمد الله أى أثن عليه) بقطع الهمزة من اثنى بالالف لامن ثنى (بقولك التحيات لله الخ) وبعد هذا يجىء الخلاف فى الوجوب والندب (والله أعلم) بالحق منهما (وقال الجرجانى من الحنفية وغيره لو كانت فرضا للزم تأخير البيان عن وقت الحاجة) وهو ممنوع (لانه عليه الصلاة والسلام علمهم التشهد وقال) بعده (فليتخير من الدعاء ماشاء ولم يذكر الصلاة عليه وأجيب باحتمال أن لا تكون فرضت حينئذ) أى وقت تعليمهم وفيه بعد جدا الان من جملة رواة حديث التشهد أبو هريرة وابن عباس واسلامهما متأخر فابن عباس انما صحب بعد فتح مكة فيحمل الامر بالصلاة على الاستحباب جمعا بين الادلة (وقال الحافظ زين الدين العراقى فى شرح الترمذى قد ورد هذا الحديث فى الصحيح بلفظ ثم ليتخير وثم للتراخى فدل على انه كان هناك شىء بين التشهد والدعاء انتهى) لكن ولو دل على ذلك لا يدل على أن ذلك الشىء واجب (وقد أطنب أبو امامة بن النقاش فى تفسيره فى الانتصار للشافعى فى هذه المسئلة بما يطول ذكره فالله يثيبه على قصده الجميل) الثواب الجزيل * (وأما صفة الصلاة عليه) أى الصيغ التى يؤتى بها دالة على طلب زيادة الكمال له (صلى الله عليه وسلم) كما يعلم من الاخبار التى أوردها (فعن عبد الرحمن بن أبى ليلى) بفتح اللامين مقصور الانصارى عالم الكوفة وأبوه صحابى واسمه يسار أو داود أو غير ذلك (قال لقينى كعب بن عجرة) بضم العين المهملة وسكون الجيم فراء فهاء تأنيث الانصارى المدنى من أصحاب الشجرة وعند الطبرانى ان ذلك كان وهو يطوف بالبيت الحرام (فقال ألا) بالتخفيف

تكون للعرض مع لين وللتحضيض وهو عرض بحث والمراد الاول لقوله (أهدى) بضم الهمزة (لك هدية) أى أقدم اليك أمرا نفيسا سماه هدية لعزته قال المصنف والهدية ما يتقرب به الى المهدى اليه تودداً أو اكراما وزاد بعضهم من غير قصد نفع عوض دنيوى بل لقصد ثواب الآخرة وأكثر ما تستعمل فى الاجسام لاسيما وهى فيما نقل من مكان الى آخر وقد تستعمل فى المعانى كالعلوم والادعية مجازا لما يشترك ان فيه من قصد الموادة والتواصل فى ايصال ذلك اليه زاد البخارى فى أحاديث الانبياء هدية سمعتها من النبى صلى الله عليه وسلم فقلت بلى فأهدها لى فقال (ان) بكسر الهمزة على الاستئناف ويجوز الفتح بتقدير هى فتكون معمولة أو بتقدير فعل أى أهدى لك أن (النبى صلى الله عليه وسلم خرج علينا فقلنا) بصيغة الجمع لان السائلين جماعة وفى الترمذى من وجه آخر عن عبد الرحمن عن كعب لما نزلت ان الله وملائكته يصلون على النبى الآية قلنا (يارسول الله قد علمنا كيف نسلم عليك) بما علمتنا من قول السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته وقد أمرنا بالصلاة والسلام عليك فى الآية وللبخارى فى أحاديث الانبياء فقال سألنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلنا كيف الصلاة عليكم أهل البيت فان الله قد علمنا كيف نسلم (فكيف نصلى عليك) أى كيف اللفظ اللائق بالصلاة عليك واذا عبر بكيف التى يسأل بها عن الصفة (قال قولوا اللهم صل على محمد) صلاة تليق به لانك أنت العليم بذلك فلعجزنا عن بلوغ ما يجب له شرع لنا احالة أمر ذلك الى الله (وعلى آل محمد كما صليت على آل ابراهيم) وللبيهقى من وجه آخر لهذا الطريق على ابراهيم بدون آل قال الحافظ والحق ان ذكر محمد وابراهيم وذكر آل محمد وآل ابراهيم ثابت فى أصل الخبر وانما حفظ بعض الرواة ما لم يحفظ الآخر (انك حميد) محمود (مجيد) ماجد وصفا لبناء المبالغة (اللهم بارك على محمد) أى أثبت له وأدم له ما أعطيته من التشريف والكرامة وزده من الكمالات ما يليق بك وبه (وعلى آل محمد كما باركت على آل ابراهيم انك حميد مجيد) قال الطيبى هذا تذييل للكلام السابق وتقرير له على سبيل العموم أى انك حميد فاعل ما تستوجب به الحمد من النعم المتكاثرة والآلاء المتعاقبة المتوالية مجيد كثير الاحسان الى جميع عبادك ومن محامدك واحسانك أن توجه صلواتك وبركاتك وترحمك على حبيبك نبى الرحمة وآله (رواه البخارى) فى أحاديث الانبياء والتفسير والدعوات (ومسلم والترمذى وأبو داود والنسائى) الاربعة فى كتاب الصلاة (فان قلت كيف يطابق قوله اللهم صل على محمد قوله كما صليت على آل ابراهيم) مع فضل محمد على العالمين فهو فى نفس الامر يعنى السؤال الذى يتلوه (أجاب القاضى عياض بأن الآل مقحم) أى زائد (كما فى قوله عليه الصلاة والسلام فى أبى موسى) عبد الله بن قيس الاشعرى لما سمعه يتلو القرآن بصوت حسن (انه أعطى مزمارا من مزامير) جمع مزمار ومزمور (آل داود) يعنى داود نفسه فآل مقحم (و) ذلك لانه (لم يكن له آل مشهور بحسن الصوت) والزمر النفخ فى المزمار والصوت الحسن بغير آلة لان أصل معنى الزمر الحسن كما قال الشاعر

رنان حنانان بينهما * رجل أجش غناؤه زمر

أي حسن كما قاله ابن الانباري فزامير داود ما كان يتغنى به من الزبور وضروب الدعاء بصوته الحسن بلا آلة وكان اذا قرأ بتلاحينه تقف له الطيور والدواب حتى قيل ان الماء الجاري يقف له وهو مبالغة في نهاية حسنه (وقد روى هذا الحديث ابن أبي حاتم بلفظ لما نزلت آية ان الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما قال) كعب بن عجرة (قلنا يا رسول الله) قد علمنا السلام عليك (فكيف الصلاة عليك) فالعطف على مقدر دل عليه سياق الاحاديث (قال قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد) فدل هذا السياق على انه صلى الله عليه وسلم نطق بذلك كله وأن بعض الرواة حفظ ما لم يحفظ الآخر كما قال الحافظ انه الحق فيكون طلب صلاة لنفسه ــــ الصلاة على ابراهيم ولآله كالصلاة على آل ابراهيم وكذا في البركة وبه تحصل مطابقة المشبه للمشبه به ولا يحتاج للقول بأن آل مقحم (وقال عبد الرحمن بن أبي ليلى يقول) أي يزيد المصلي على الصلاة على الآل (وعلينا معهم) رجاء بركة اللحاق بهم (وعن أبي حميد) بالتصغير الساعدي صحابي مشهور واسمه المنذر بن سعد بن المنذر أو ابن مالك وقيل اسمه عبد الرحمن وقيل عمرو شهد أحدا وما بعدها وعاش الى أول سنة ستين (انهم) أي الصحابة (قالوا يا رسول الله) قال الحافظ وقفت من تعيين من باشر السؤال على جماعة أبي بن كعب وطلحة بن عبيد الله كلاهما عند الطبراني وبشير بن سعد عند مالك ومسلم وزيد بن خارجة الانصاري عند النسائي وأبو هريرة عند الشافعي وعبد الرحمن بن بشير عند اسمعيل القاضي في كتاب فضل الصلاة وكعب بن عجرة عند ابن مردويه قال فان ثبت تعدد السائل فواضح وان ثبت انه واحد فعبر بالجمع اشارة الى ان السؤال لا يختص به بل يريد نفسه ومن يوافقه على ذلك وليس هو من التعبير عن البعض بالكل بل حمله على ظاهره من الجمع هو المعتمد لما ذكر (كيف نصلي عليك) صلاة تليق بك قال أبو عمر فيه ان من ورد عليه لفظ محتمل لا يقطع فيه بشيء حتى يقف على المراد به ان وجد اليه سبيلا فسألوه لما احتمل لفظ الصلاة من المعاني (قال قولوا اللهم صل على محمد) صلاة تليق به (وأزواجه وذريته) من له صلى الله عليه وسلم عليه ولادة من ولده وولد ولده قاله الباجي (كما صليت على ابراهيم) وفي رواية على آل ابراهيم باقحام آل (وبارك على محمد وأزواجه وذريته كما باركت على آل ابراهيم انك حميد مجيد) من المجد وهو الشرف قال العلماء معنى البركة هنا الزيادة من الخير والكرامة وقيل بمعنى التطهير والتزكية أي طهرهم وقد قال تعالى ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا وقيل تكثير الثواب فالبركة لغة التكثير قاله الباجي وقيل المراد ثبات ذلك ودوامه من قولهم بركت الابل أي ثبتت على الارض وبه جزم أبو اليمن بن عساكر قال السخاوي ولم يصرح أحد بوجوب قوله وبارك على محمد فيما عثرنا عليه غير أن ابن حزم ذكر ما يفهم منه وجوبها في الجملة فقال على المرء ان يبارك عليه ولو مرة في العمر وظاهر كلام صاحب المغني من الحنابلة وجوبها في الصلاة قال المجد الشيرازي والظاهر أن أحدا من الفقهاء

لا يوافق على ذلك (رواه الامام أحمد) والبخاري في أحاديث الانبياء وفي الدعوات ومسلم في الصلاة كلاهما من طريق مالك وهو في الموطأ فقصر المصنف في العزو تقصيرا شديدا (وعن أبي مسعود عقبة) بالقاف بن عمرو بن ثعلبة (الانصاري) البدري مات قبل الاربعين وقيل بعدها انه (قال أتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن في مجلس سعد بن عبادة) سيد الخزرج ففيه ان الامام يخص رؤساء الناس بزيارتهم في مجالسهم تأنيسا لهم (فقال له بشر) كذا في النسخ وصوابه كما في الموطأ ومسلم وغيرهما بشير بفتح الموحدة وكسر المعجمة واسكان التحتية (ابن سعد) بسكون العين ابن ثعلبة الخزرجي البدري والد النعمان استشهد بعين التمر (أمرنا الله ان نصلي عليك) يا رسول الله (فكيف نصلي عليك قال) أبو مسعود (فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم) يحتمل حياء وتواضعا اذ في ذلك الرفعة له فأحب ان لو قالوا هم ذلك ويحتمل انتظارا لما يأمره الله به من الكلام الذي ذكره لانه أكثر مما في القرآن قاله أبو عبد الملك البوني في شرح الموطا (حتى تمنينا) وددنا (انه لم يسأله) مخافة أن يكون كرهه وشق عليه (ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم في العالمين انك حميد) فعيل من الحمد بمعنى محمود ورد بصيغة المبالغة أي مستحق لانواع المحامد (مجيد) مبالغة من ماجد والمجد الشرف فيكون ذلك كالتعليل لاستحقاق الحمد بجميع المحامد ويحتمل ان حميد مبالغة من حامد ويكون كالتعليل للصلاة المطلوبة فان الحمد والشكر متقاربان فحميد قريب من معنى شكور وذلك مناسب لزيادة الافضال والاعطاء لما يراد من الامور العظام فلذلك المجد والشرف مناسبة لهذا المعنى ظاهرة قاله ابن دقيق العيد (والسلام كما قد علمتم) في التشهد بفتح العين وكسر اللام مخففة وبضم العين وشد اللام أي علمتموه روايتان من العلم والتعليم قال البرقي والاولى أصح وقال النووي كلاهما صحيح (رواه مالك في الموطا (ومسلم) عن يحيى بن يحيى التميمي النيسابوري عن مالك به (وغيرهما) كأبي داود والنسائي والدارقطني وابن حبان والحاكم (فان قلت ما موقع) أي وجه (التشبيه في قوله كما صليت على ابراهيم مع ان المقرر ان المشبه دون المشبه به والواقع هنا عكسه لان محمدا صلى الله عليه وسلم وحده أفضل من آل ابراهيم و) هبك أجبت بأن آل مقحم فهو أفضل (من ابراهيم ولا سيما وقد أضيف اليه آل محمد وقضية كونه) أي محمد (أفضل أن تكون الصلاة المطلوبة له أفضل من كل صلاة حصلت أو تحصل لغيره فقد أجاب العلماء عنه بأجوبة كثيرة منها انه عليه الصلاة والسلام قال ذلك قبل أن يعلم انه أفضل من ابراهيم) بل كان يظن ان ابراهيم أفضل منه (و) يدل لهذا الجواب انه (قد أخرج مسلم من حديث أنس ان رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم يا خير البرية) أي الخليقة (قال ذاك ابراهيم) لثناء الله عليه بخصوص ابراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا أن اتبع ملة ابراهيم (وتعقب بأنه لو كان كذلك لغير صفة الصلاة عليه بعد أن علم انه أفضل) ولم يغير ورده شيخنا بأنه لا تلازم بين علمه بأنه أفضل وبين التغيير لان بقاء طلب

ذلك لا يستلزم نقصا فيه بل التغيير قد يوهم نقصا لابراهيم (ومنها انه قال ذلك تواضعا) وهضما لنفسه وتعظيما للابوة (وشرع ذلك لامته) أمرا لهم بالتواضع في جميع الاحوال (ليكتسبوا بذلك الفضيلة) الحاصلة بالتواضع كخبر من تواضع لله رفعه الله وفي نسخة أو شرع بأو على انه وجه ثان لهذا الجواب وذلك لانهم لما أمروا بصلاة مشبهة بصلاة ابراهيم وهو دون ما حقه ان يطلب له ورضوا بها وفعلوها امتثالا كان ذلك سببا للثواب عليها حيث لم تأبها انفوسهم لان عادة أتباع العظيم لا يرضون له الا بأعظم الاشياء (ومنها ان التشبيه انما هو لاصل الصلاة بأصل الصلاة لا للقدر بالقدر فهو كقوله تعالى انا أوحينا اليك) شرائع تبلغها (كما أوحينا الى نوح) والنبيين من بعده شرائع بلغوها الى أممهم فالتشبيه في الوحي مع اختلاف الشرائع فالمعنى ان أمره في الوحي كسائر الانبياء (وهو كقول القائل أحسن الى ولدك كما أحسنت الى فلان ويريد بذلك أصل الاحسان لا قدره) اذ لا شك ان الاحسان الى الولد أكثر منه الى غيره (ومنه قوله تعالى وأحسن) الى عباد الله (كما أحسن الله اليك) بما أنعم عليك او أحسن بالشكر والطاعة كما أحسن اليك بالانعام ومعلوم انه لم يؤمر بالاحسان بقدر ما أحسن الله اليه به من الجاه والمال فانما أمره بأصل الاحسان وان لم يقرب مما أحسن الله به اليه فضلا عن مساواته (ورجح هذا القرطبي في المفهم) في شرح مسلم وهو وجيه (ومنها ان قوله اللهم صل على محمد مقطوع عن التشبيه فيكون التشبيه متعلقا بقوله وعلى آل محمد) وكأنه قيل اللهم صل على محمد صلاة غير مقدرة بشيء وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم (وتعقب بان غير الانبياء لا يمكن ان يساووا الانبياء فكيف يطلب لهم ثواب مثل الصلاة التي وقعت لابراهيم والانبياء) بالجر عطف على ابراهيم (من آله) الذين شملهم قوله وعلى آل ابراهيم فان الاضافة للعموم فكأنه قيل وعلى كل آل ابراهيم ولا شك ان فيهم أنبياء بكثرة (ويمكن الجواب عنه) أي عن هذا التعقب على الجواب (بأن المطلوب الثواب الحاصل لهم) فكأنه قيل صل على آل محمد صلاة ثوابها كثواب الصلاة على ابراهيم (لا جميع الصفات التي كانت سببا للثواب) فلم تطلب (وقد نقل العمراني) بكسر العين المهملة واسكان الميم الامام أبو الخير يحيى بن سالم بن أسعد بن يحيى من بني عمران من قرية من قرى اليمن يقال لها مصنعة سيل نشر العلم ببلاد اليمن وكان يحفظ المهذب ويقوم به في الليل قيل توفي سنة ثمان وخمسين وخمسمائة ذكره السبكي وفي اللب نسبة الى العمرانية ناحية بالموصل (في البيان) اسم شرحه على المهذب في الفقه (عن الشيخ أبي حامد أنه نقل هذا الجواب عن نص الشافعي واستبعد ابن القيم صحة ذلك عن الشافعي لانه مع فصاحته) القرشية (ومعرفته بلسان) أي لغة (العرب لا يقول هذا الكلام المستلزم هذا التركيب الركيك) بزنة أمير الضعيف (البعيد من كلام العرب) ونص ابن القيم هو باطل عليه قطعا فان الشافعي أجل من ان يقول مثل هذا ولا يليق هذا بعلمه وفصاحته فانه في غاية الركاكة والضعف وقد تقدم في كثير من الاحاديث اللهم صل على محمد كما صليت على آل ابراهيم وأيضا فلا يصح عربية فان العامل اذا ذكر معموله وعطف عليه غيره ثم قيد بظرف أو جار ومجرور أو مصدر

أو صفة مصدر كان ذلك راجعا الى المعمول وما عطف عليه هذا الذى لا تحتمل العربية غيره فاذا قلت جاء فى زيد وعمرو يوم الجمعة فالظرف مقيد لمجيئهما الا لمجيء عمرو وحده وكذا اذا قلت ضربت زيدا وعمرا ضربا مؤلما أو أمام الامير أوسلم على زيد وعمرو يوم الجمعة ونحوه فان قيل هذا متجه اذا لم يعد العامل أما اذا أعيد كسلم على زيد وعلى عمرو واذا لقيته فلا يمتنع ان يختص بالثانى وقد أعيد العامل فى قوله وعلى آل محمد قيل ليس هذا المثال بطابق لمسئلة الصلاة وانما المطابق ان يقول سلم على زيد وعلى عمرو كما تسلم على المؤمنين ونحو ذلك وحينئذ فادعاء ان التشبيه كسلامه على عمرو وحده دون زيد دعوى باطلة (كذا قال وتعقبه الحافظ ابن كثير) وفى نسخة ابن حجر (فقال ليس التركيب المذكور كيكا بل التقدير اللهم صل على محمد) صلاة غير مشبهة بشئ (وصل على آل محمد كما صليت على الخ فلا يمتنع تعلق التشبيه بالجملة الثانية) ولم يظهر دفع الركة بهذا التقدير فانه حاصل معناه فلا يدفع التعقب وقد تعقبه الزركشى أيضا بأنه مخالف لقاعدة الاصول فى رجوع المتعلقات الى جميع الجمل وبأن التشبيه جاء فى بعض الروايات من غير ذكر الال انتهى ومر الثانى عن ابن القيم أيضا لكن تقدم عن الحافظ انه من اختصار بعض الرواة (ومنها دفع) أى منع (المقدمة المذكورة أولا وهى ان المشبه به ويكون أرفع) أعلى (من المشبه) التى نشأ منها الاشكال (و) سند المنع (ان ذلك ليس مطردا بل قد يكون التشبيه بالمثل) المساوى (بل بالدون كما فى قوله تعالى مثل نوره كمشكاة) طاقة غير نافذة (فيها مصباح وأين يقع نور المشكاة) أى المصباح الكائن فيها فى زجاجة (من نوره تعالى ولكن لما كان المراد من المشبه به أن يكون شيأ ظاهرا واضحا للسامع حسن تشبيه النور بالمشكاة) تقريبا للناس بما يعلمون (وكذا هنا لما كان تعظيم ابراهيم وآل ابراهيم بالصلاة عليهم مشهورا واضحا عند جميع الطوائف حسن ان يطلب لمحمد وآل محمد بالصلاة عليهم مثل ما حصل لابراهيم وآل ابراهيم) اعلاما بعظمتهم (ويؤيد ذلك ختم الطلب المذكور بقوله فى العالمين أى) أظهر صلاة عليهم فى العالمين (كما أظهرت صلاة على ابراهيم وعلى آل ابراهيم فى العالمين) فالتشبيه من حيث الاظهار لا من حيث التفاوت فى المقدار (ولهذا لم يقع فى العالمين الا فى ذكر ابراهيم دون ذكر آل محمد على ما وقع فى الحديث الذى وردت فيه وهو حديث أبى مسعود الانصارى الذى ذكرته) قريبا (وهذا معنى قول الطيبى وليس التشبيه المذكور من باب الحاق الناقص بالكامل) الذى هو حقيقة التشبيه وانبنى عليه الاشكال وكان الاولى ان يعبر بالحاق الكامل بالاكمل كما عبر الحافظ اذ لا نقص هنا وان كان منفيا والمراد الناقص فى الكمال لكن اللفظ موحش فى هذا المقام (بل من باب الحاق ما لم يشتهر بما اشتهر) فى العالمين لانه فيما يستقبل والذى يحصل لمحمد صلى الله عليه وسلم من ذلك أقوى وأكمل أو من باب التهييج ونحوه كما فى الفتح (وقال النووى أحسن الاجوبة ما نسب الى الشافعى) كما تقدم عنه ولفظ النووى المختار ثلاثة أقوال أحدها حكاه بعض أصحابنا عن الشافعى فذكر ما مر ثم قال القول الثانى ان المسؤل المشاركة فى أصل الصلاة لا قدرها فسقطت أو من المصنف قبل

قوله (ان التشبيه لأصل الصلاة بأصل الصلاة) لا للقدر بالقدر وهو ثالث الاجوبة السابقة وأشار للثالث مما اختاره النووي ولم يتقدم بقوله (أو للمجموع بالمجموع) لان مجموع آل ابراهيم أفضل من مجموع آل محمد لان في آل ابراهيم أنبياء لا يحصون بخلاف آل محمد فلا نبي فيهم فطلب الحاق هذه الجملة التي فيها نبي واحد بتلك الجملة التي فيها خلائق من الانبياء هذا كلام النووي قال الحافظ يعكر على هذا الجواب التفصيل الواقع في غالب طرق الحديث (وقال ابن القيم بعد أن زيف) ضعف (أكثر الاجوبة الا تشبيه المجموع بالمجموع) لو حذف لفظ أكثر استقام الاستثناء (وأحسن منه ان يقال هو صلى الله عليه وسلم من آل ابراهيم وقد ثبت ذلك عن ابن عباس في تفسير قوله تعالى ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين قال) ابن عباس (محمد) صلى الله عليه وسلم (من آل ابراهيم) بل أجل آله (فكأنه أمرنا أن نصلي على محمد وعلى آل محمد خصوصا بقدر) بالقاف وراء آخره (ما صلينا عليه مع ابراهيم وآل ابراهيم عموما فيحصل لآله) أي المصطفى (ما يليق بهم ويبقى الباقي كله له وذلك القدر أزيد مما لغيره من آل ابراهيم وتظهر حينئذ فائدة التشبيه) وهي التخصيص والتعميم معا (وأن المطلوب له بهذا اللفظ أفضل من المطلوب بغيره من الالفاظ) نحو صلى الله عليه وسلم (وقال الحليمي سبب هذا التشبيه أن الملائكة قالت في أهل) (بيت ابراهيم رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت انه حميد مجيد وقد علم أن محمدا وآل محمد من أهل بيت ابراهيم فكأنه) صلى الله عليه وسلم (قال قولوا اللهم أجب دعاء الملائكة الذين قالوا ذلك في محمد وآل محمد كما أجبتها) أي الصلاة المعبر عنها بالدعاء (عندما قالوها في آل ابراهيم الموجودين حينئذ ولذلك ختم) الدعاء في الصلاة (بما ختم به هذه الآية وهي قوله انك حميد مجيد) ومن محاسن الاجوبة ما نقله المجد الشيرازي عن بعض أهل الكشف أن التشبيه لغير لفظ المشبه به لا لعينه وذلك أن المراد باللهم صل على محمد اجعل من أتباعه من يبلغ النهاية في أمر الدين كالعلماء بشرعه بتقريرهم أمر الشريعة كما صليت على ابراهيم بأن جعلت في أتباعه أنبياء يقررون الشريعة والمراد بقوله على آل محمد اجعل من أتباعه محدثين يخبرون بالمغيبات كما صليت على آل ابراهيم بأن جعلت منهم أنبياء يخبرون بالغيب فالمطلوب حصول صفات الانبياء لآل محمد وهم أتباعه في الدين كما كانت حاصلة بسؤال ابراهيم (ومما يعزى للعارف الرباني أبي محمد المرجاني انه قال وسر) أي نكتة (قوله صلى الله عليه وسلم كما صليت على ابراهيم وباركت على ابراهيم ولم يقل كما صليت على موسى) وباركت على موسى ظاهر (لان موسى عليه السلام) فهو تعليل للخبر المحذوف (كان التجلي له بالجلال) أي الصفات السلبية مثل لا شريك له ولا ند وكذا سائر التنزيهات وتسمى صفات الجلال وصفات القهر والغلبة (فخر موسى صعقا والخليل ابراهيم كان التجلي له بالجمال لان المحبة والخلة من آثار التجلي بالجمال) أي الصفات الوجودية كالعلم والقدرة وتسمى صفات الذات وصفات المعاني والثبوتية وصفات الجمال قاله الكرماني وغيره (فلهذا أمرهم صلوات الله

وسلامه عليه أن يصلوا عليه كما صلى على ابراهيم ليسألوا الله التجلى بالجمال وهذا لا يقتضى التسوية فيما بينه وبين الخليل صلوات الله وسلامه عليهما لانه انما أمرهم أن يسألوا الله التجلى بالوصف الذى تجلى به للخليل فالذى يقتضيه الحديث المشاركة فى الوصف الذى هو التجلى بالجمال ولا يقتضى التسوية فى المقامين ولا فى الرتبتين فان الحق سبحانه يتجلى بالجمال لشخصين بحسب مقاميهما وان اشتركا فى وصف التجلى بالجمال فيتجلى لكل واحد منهما بحسب مقامه عنده ورتبته منه ومكانته) أى عظمته (فيتجلى للخليل بالجمال بحسب مقامه ويتجلى لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بالجمال بحسب مقامه فعلى هذا يفهم الحديث انتهى) ماعزى للمرجانى وفيه بسط عبارة وزيادة ايضاح (فان قلت ما المراد بآل محمد فى هذا الحديث فالجواب أن الراجح انهم من حرمت عليهم الصدقة كما نص عليه الشافعى واختاره الجمهور ويؤيده قوله عليه الصلاة والسلام للحسن بن على) فيما رواه أحمد والطبرانى باسناد قوى عن الحسن كنت أمشى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فمر على جرين من تمر الصدقة فأخذت تمرة فألقيتها فى فى فأخذها بلعابها فقال بعض القوم وما عليك لو تركتها فقال (انا آل محمد) قال أبو البقاء منصوب بأعنى أو أخص وليس بمرفوع على انه خبران لان ذلك معلوم لا يحتاج لذكره وخبران قوله (لا تحل لنا الصدقة) لانها طهرة وغسول لا تكون لاهل الاصطفاء (وقيل المراد بآل محمد أزواجه وذريته) كما صرح به فى حديث أبى حميد فما أجمله مرة فسره أخرى (وقيل المراد بهم جميع الامة أمة الاجابة) بالجر بدل (حكاه أبو الطيب الطبرى عن بعض الشافعية) وهو منقول عن الامام مالك (ورجحه النووى فى شرح مسلم) فقال انه المختار ومال اليه ابن العربى (وقيده القاضى حسين) وجماعة (بالاتقياء منهم وعليه يحمل كلام من أطلق) وقيل يبقى على اطلاقه بأن يراد بالصلاة الرحمة المطلقة (ويؤيده ما رواه تمام فى فوائده) الحديثية (والديلمى عن أنس قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم من آل محمد فقال كل تقى من آل محمد) أى يختصون به اختصاص آل الرجل به فيدخل أهل البيت دخولا أوليا وهذا لفظ تمام ولفظ الديلمى فقال آل محمد كل تقى زاد الديلمى (ثم قرأ) قوله تعالى (ان) ما (أولياؤه الا المتقون) فان التقوى أصل كل عبادة ووصية الله لاهل الكتب بأسرها قال الحافظ وهذا أولى الاقوال فى باب الصلاة عليه وعلى آله بخلاف باب الصدقة (واسنادهما) أى تمام والديلمى (ضعيف) لان فيه نوح بن أبى مريم ضعيف جدا وقال البيهقى حديث لا يحل الاحتجاج به (لكن ورد ما يشهد لذلك) يقويه بحيث يصلح للحجة وعبارة السخاوى أسانيده كلها ضعيفة لكن شواهده كثيرة (فى الصحيحين كحديث) عمرو بن العاصى سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول (ان آل أبى فلان) كناية عن اسم علم جزم الدمياطى بأن المراد آل أبى العاصى بن أمية وفى سراج المريدين لابن العربى آل أبى طالب وأيده الحافظ بحديث أبى نعيم ان لبنى أبى طالب رحما الحديث (ليسوا لى بأولياء) وفى رواية ليسوا بأوليائى قال ابن التين المراد من لم يسلم منهم فهو من اطلاق الكل وارادة البعض وحمله الخطابى على ولاية القرب والاختصاص لا ولاية الدين

(أنما وليي الله) بتشديد الياء مضاف لياء المتكلم المفتوحة (وصالح المؤمنين) من صلح منهم أي أسلم وعمل صالحا وقيل من برئ من النفاق وقيل الصحابة وهو واحد أريد به الجمع كقولك لا تفعل هذا الصالح من الناس تريد الجنس وقيل أصله صالحو فحذفت الواو من الخط موافقة للفظ وقال الطيبي المعنى لا أوالي أحدا بالقرابة وانما أحب الله لما له الحق الواجب على العباد وأحب صالح المؤمنين لوجه الله وأوالي من أوالي بالايمان والصلاح سواء كان من ذوي رحمي أم لا ولكن أراعي لذوي رحمي حقهم بصلة الرحم يعني لقوله في بقية الحديث ولكن لهم رحم أبلها ببلالها بفتح الهمزة وضم الموحدة واللام المشددة قال البخاري يعني أصلها بصلتها (انتهى ملخصا) هذا البحث (وقد استدل العلماء بتعليمه صلى الله عليه وسلم لاصحابه هذه الكيفية بعد سؤالهم عنها بأنها أفضل كيفيات الصلاة عليه لانه لا يختار لنفسه الا الاشرف الافضل ويترتب على ذلك) كثرة الثواب وانه (لو حلف أن يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم أفضل الصلاة فطريق البر أن يأتي بذلك هكذا صوّبه النووي في الروضة) ووجهه السبكي بأن من أتى بها فقد صلى على النبي صلى الله عليه وسلم الصلاة المطلوبة بيقين وكان له الجزاء الوارد في أحاديث الصلاة بيقين وكل من جاء بلفظ غيرها فهو من اتيانه بالصلاة المطلوبة في شك لانهم قالوا كيف نصلي عليك قال قولوا فجعل الصلاة عليه منهم هو قول هذا انتهى (بعد ذكر حكاية الرافعي عن ابراهيم المروزي أنه قال يبرأ اذا قال كلما ذكره الذاكرون وكلما سها عن ذكره الغافلون قال النووي وكانه) أي المروزي (أخذ ذلك من كون الشافعي ذكر هذه الكيفية يعني في خطبة الرسالة له ولكن بلفظ غفل بدل سها) وان اتحد معناهما وأوثر على سكت لان الساكت قد يكون ذاكرا بقلبه والساهي والغافل لم يذكر بقلبه ولا لسانه وظاهر سياق الرسالة أن ضمير ذكره وغفل عنه راجع الى الله قال الاذرعي وهو الوجه قال غيره لان الله تعالى هو الذي يوصف بكثرة الذكر عادة وبغفلة الذاكر عنه وان كان الكل صحيحا والمعنى لا يختلف ولو استحضر المصلي الامرين جميعا لكان حسنا قاله في الدر المنضود (وقال الاذرعي) بفتح أوله والراء بينهما معجمة ساكنة نسبة الى أذرعات بكسر الراء ناحية بالشام (ابراهيم المذكور كثير النقل من تعليقة القاضي حسين ومع ذلك فالقاضي قال في طريق البر أن يقول اللهم صل على محمد كما هو أهله ويستحقه وكذا نقله البغوي في تعليقه) عن القاضي (ولو جمع بينها) أي الثلاثة (فقال ما في الحديث) النبوي (وأضاف) ضم (اليه أثر الشافعي) أي المأثور عنه انه قاله في خطبة الرسالة لا الاثر بالمعنى المصطلح عليه لان الشافعي لم ينقله أثرا انما قاله في الخطبة من نفسه قال النووي ولعل الشافعي أول من استعمل تلك الكيفية (وما قاله القاضي حسين لكان أشمل ولو قيل انه يعمد) بكسر الميم يقصد (الى جميع ما اشتملت عليه الروايات الثابتة) عنه صلى الله عليه وسلم (فيستعمل منها ذكرا يحصل به البر لكان حسنا) فلا يقتصر على واحدة بعينها (وعن ابن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا تشهد أحدكم في الصلاة) هي تشهد الاشتماله على النطق بشهادة الحق تغليبا لها على بقية أذكاره لشرفها (فليقل

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وارحم محمدا وآل محمد كما صليت وباركت وترحمت على ابراهيم انك حميد مجيد رواه الحاكم) في المستدرك واغتر قوم بتصحيحه فوهموا لانه من رواية يحيى بن السباق وهو مجهول عن رجل مبهم قاله المصنف في المقصد التاسع (وقد يستدل بهذا الحديث من ذهب الى جواز الترحم على النبي صلى الله عليه وسلم كما هو قول الجمهور) من العلماء وانما أتى بقد وان كان نصا في الجواز لضعف الحديث ولذا احتاج الى قوله (ويعضده) يقويه (قول الاعرابي) المختلف في انه الاقرع بن حابس التميمي أو ذو الخويصرة اليماني أو عيينة بن حصن أو ذو الخويصرة التميمي وهو غير اليماني حيث قال لما دخل المسجد بعد أن صلى ركعتين كما في رواية الترمذي وغيره (اللهم ارحمني ومحمدا) يعني النبي صلى الله عليه وسلم (ولا ترحم معنا أحدا) فلم ينكر عليه الدعاء بالرحمة وانما أنكر التخصيص (فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد تحجرت واسعا) أي ضيقت من رحمة الله ما وسعته اذ خصصتني وخصصت نفسك بها دون غيرنا مع انها وسعت كل شيء فهو تحجير تفعل من الحجر وهو المنع هكذا فسره الجمهور زاد في رواية الترمذي وغيره فلم يلبث أن بال في المسجد وللدارقطني عن ابن مسعود جاء أعرابي شيخ كبير فقال يا محمد متى الساعة قال ما أعددت لها قال لا والذي بعثك بالحق ما أعددت لها من كثير صلاة ولا صيام الا أني أحب الله ورسوله قال فانك مع من أحببت قال فذهب فأخذه البول في المسجد فمر عليه الناس فأقاموه فقال صلى الله عليه وسلم دعوه عسى أن يكون من أهل الجنة وصبوا على بوله الماء ولذا اتضح ضعف من قال هو السائل والقائل والبائل لكن هنيأ له الجنة (وحكى القاضي عياض عن جمهور المالكية منعه قال وأجازه أبو محمد بن أبي زيد) قال عياض ولم يأت به حديث صحيح وحجته قوله السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته (انتهى) وقد شددوا النكير على أبي محمد (وسيأتي ما في ذلك من البحث ان شاء الله تعالى في المقصد التاسع عند الكلام على التشهد) بما فيه الانتصار لابن أبي زيد بما حاصله أن الانكار عليه ان كان لاجل انه لم يصح في أحاديث الصلاة بعد التشهد فمسلم والا فدعوى انه لا يقال وارحم محمدا ممنوعة لثبوت ذلك في عدة أحاديث أصحها في التشهد السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته (وعن سلامة) بن قيصر (الكندي) بكسر الكاف واسكان النون نسبة الى كندة قبيلة باليمن الحضرمي التابعي ذكره ابن حبان في الثقات وقال يروي عن علي وعنه نوح بن قيس (ان عليا) أمير المؤمنين (كان يعلم الناس هذا الدعاء) وفي لفظ يعلم الناس الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول اللهم داحي المدحوات) أي باسط الارضين اسم فاعل من دحا كقوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها أي بسطها ووسعها لانها خلقت أولا ربوة ثم بسطت ومهدت وروى المدحيات بالياء يقال يدحو ويدحي بالواو والياء وفيه اطلاق داحي على الله فهو حجة لمن قال الاسماء ليست توقيفية ويكفي ورود مادتها كدحا (وباري) بالهمز اسم فاعل من برأ بمعنى خلق على غير مثال أي ميز وأفرز (المسموكات) أي المرفوعات يعني السموات وروى سامك بدل باري ومعناه رافع وأسقط من الرواية هنا

وجبارا القلوب على فطرتها شقيها وسعيدها (اجعل شرائف صلواتك) أفضلها وأعلاها جمع شريفة أى عالية رفيعة المقدار من الشرف وأصله ما علا من الارض على غيره (ونوامى بركاتك) أى ما زاد الى غير نهاية من خيراتك من اضافة الصفة لموصوفها أى بركاتك النامية أى الزائدة (ورأفة) أشد رحمة (تحننك) شفقتك ورحمتك ولطفك نازلة متوالية (على محمد عبدك) قدمه لشرف العبودية على غيرها بدلالتها على القرب (ورسولك) لجميع العالمين (الفاتح لما أغلق) بضم الهمزة وكسر اللام من الشرائع فبينه لان الله أنزل عليه وحيه فبينه وشرحه وفتح المغلق منه وبسط ما انبهم فأوضحه وفتح مشكله أو فاتح أبواب السعادات الدنيوية والاخروية واستبعد تفسيره بأنه أول الناس خلقا وآخرهم بعثا (والخاتم لما سبق) من النبوة والرسالة فلا نبى بعده ولا رسول أو من الشرع والاسلام ولا حاجة لتفسيره بالانبياء والرسل المحوج لجعل ما بمعنى من (والمعلن) اسم فاعل أى المظهر (الحق) بالنصب مفعوله والجر باضافته وليس النصب بنزع الخافض لتعدى معلن بنفسه (بالحق) أى الدين والشرع فأقيم الظاهر مقام الضمير أو الحق الثانى الله عز وجل فهو من أسمائه أى بمعونة الله وتأييده (والدامغ) الدافع والمزيل مستعار من دمغه اذا كسر دماغه قاله الراغب (لجيشات) جمع جيشة المرة من جاش اذا فار وارتفع أى ارتفاعات (الاباطيل) وعلوها جمع باطل على غير قياس وقياسه ابطيل وأبطول وقيل جمع أبطولة أو ابطيلة أو ابطالة ولم يسمع وفيه استعارة وتمثيل لما ظهر من الكفر والفساد بأمر علا وألقى عليه صخرة رضته وألصق بتراب الذلة وتفسير الجيشات بالاجناد لا ينبغى (كما حمل) بضم الحاء وكسر الميم المشددة والكاف للتشبيه أو للتعليل أو بمعنى على والاول أظهر فهو متعلق بما قبله أو خبر مبتدا مقدر أى هذه الحالة المذكورة ثابتة له كما ثبت تحمله أعباء الرسالة (فاضطلع) بضاد معجمة وطاء مهملة أى قوى على حمله (بأمرك) أى بسبب امتثاله لا لغرض آخر أو أريد بالامر تيسيره واعانته (بطاعتك) بدل مما قبله أو متعلق به وفى نسخة لطاعتك باللام أى فيما كلفته به (مستوفزا) بالفاء والزاى حال من الضمير فى حمل أو اضطلع أى مستعجلا جادا غير متوان فيما أمرته به (فى مرضاتك) أى رضاك وفى ظرفية أو للتعليل زاد فى بعض نسخ الشفاء بغير نكل فى قدم ولا وهن فى عزم أى بغير جبن فى اقدامه ولا ضعف فى عزيمته (واعيا) بالواو حافظا ضابطا (لوحيك) الذى أوحيته اليه لم يشغله عنه ما لقيه من المشاق فى تبليغه (حافظا لعهدك) أى متمسكا دائما على ما عاهدته عليه من الايمان والاخلاص فى طاعتك أو امتثال أمرك ونهيك كما قال وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت (ماضيا) مجتهدا مستمرا (على نفاذ أمرك) بذال معجمة من انفذ كذا امضاه وبلغ اقصاه (حتى أورى) أضاء وأنار (قبسا) بفتحتين شعلة من نار استعير ذلك لاظهار الحق (لقابس) طالب نور الحق والهداية التى هى من (آلاء الله) بالمد جمع ألى بالقصر مع الفتح والكسر أى نعم (يصل) من الوصل (بأهله) أى بأهل ذلك القبس (أسبابه) جمع سبب وهو ما يوصل به الى الشئ والجملة صفة قبس (به هديت) بضم الهاء وكسر الدال

أرشدت (القلوب) الضالة عن طريق الحق فى ظلمة الجهل (بعد خوضات) جمع خوضة الدخول فى الماء ويستعار للدخول فى كل أمر يذم (الفتن) جمع فتنة ما يفتن به الانسان من المحن ويقال هى العذاب ويقال أيضا الحروب وتطلق على الكفر وبه فسروا الفتنة أشد من القتل وهو المراد هنا أى بعد كفرهم (و) وقوعهم فى مهاوى (الاثم وأنهج) بالنون أى بين وسهل وأوضح وفى نسخة بالموحدة أى أنار وأشرق (موضحات الاعلام) جمع علم بمعنى علامة ما يهتدى به وسقط من أكثر نسخ الشفاء أبهج بالباء أو النون وكذا سقط فى أصل عياض لصحة الكلام بدونه فموضحات بفتح الضاد اسم مفعول مفعول هديت بحذف الخافض أى الى موضحات أو نصب حال من القلوب أى حال كونها موضحات ويجوز رفعه خبر مبتدا مقدر وهو ضمير القلوب أى ظاهرة أدلة هدايتها ويجوز كسر الضاد جمع موضحة اسم فاعل من الايضاح الكشف والبيان أى صارت القلوب بما رزقت من الهداية منشورات أو ناشرات لها الاعلام بمعنى الالوية (ونائرات) جمع نائرة من النور الضياء أى مضيئات (الاحكام) الشريعة من حلال وحرام وغيرهما (ومنيرات) من أنار المتعدى أى مظهرات ومضيئات (الاسلام) الدين أو الاستسلام والانقياد لامر الله ثم المعنى على سقوط لفظ أنهج ظاهر لان ما قاله انه هديت به القلوب للادلة الدالة على ما هديت له من أحكام الشريعة ولما يظهر الدين ويؤيده من نصره أما على رواية اثباتها فمعناه انه ظاهر فى نفسه لمن له بصيرة ونفس قدسية واظهاره بالنسبة لغيرهم أو اظهار اشاعته وانتشاره حتى يصل الى أقصى الارض فتدين له الملوك والجبابرة (فهو أمينك) على وحيك وأسرارك التى أطلعته عليها (المأمون) الذى ارتضيته لحفظها أو خلقته حفيظا عليها كما أشار له بقوله (وخازن علمك المخزون) فى خزائن ملكوتك وكنوز عرشك حتى أنزلته له وائتمنته عليه دون غيره وأمرته بايصاله لمن يليق به (وشهيدك) فعيل بمعنى فاعل صيغ للمبالغة (يوم الدين) يوم القيامة على الانبياء وأممهم أى بتصديقهم على تبليغهم (وبعيثك) فعيل بمعنى مفعول أى مبعوثك الذى بعثته (نعمة) مفعول لاجله أى ليكون رحمة للعالمين (ورسولك بالحق) الثابت فى نفس الامر (رحمة) عامة لجميع خلقك مفعول له أيضا وقد يفرق بين رحمة ونعمة بانها ما حصل به من الخير والبركة لمنه والرحمة هدايتهم بسببه التى كانت سببا لخلوصهم من الكفر والضلال ليدفع التكرار (اللهم افسح) وسع (له فى عدنك) بالنون بخط عياض قبلها دال ساكنة اسم للجنة مطلقا كقوله جنات عدن مفتحة ومعناه دار الخلود من عدن أقام ويكون اسما أيضا لجنة مخصوصة بها عرفها لهم والمراد طلب بهجة مقامه وزيادة حسنه وشرف منظره لان سعة المنزل أمر مستحسن ولذا قيل أحسن المنازل ما سافر فيه النظر والافسحة الجنة أمر معلوم ورواه العزفى بزاى وفاء عن عياض عدلك بلام بدل النون أى وسع له فى رضاك وجزائك له ما يليق به (واجزه) بهمزة وصل وجيم ساكنة وزاى مكسورة ثلاثى من جزى قال تعالى وجزاهم بما صبروا هكذا روى فى الاصول المعتمدة وصوبه السخاوى وضبط فى كثير من الاصول بهمزة قطع مفتوحة وكسر الجيم من الجائزة

وهى

وهى العطية أو من الاجزاء بمعنى الكفاية أبدلت همزته الاخيرة ثم عومل معاملة المعتل مكارم أى اكفه عن سوالك وروى براء مفتوحة قال السخاوى وأظنه تصحيفا (مضاعفات الخير) زياداته التى لا تحصر مما لا عين رأت ولا أذن سمعت (من فضلك) لانه لا يجب عليك شئ فهو رد على المعتزلة (مهنأت له) جمع مهنأة بشد النون والهمز اسم مفعول من الهنئ وهو السائغ وكل ما أتى من غير تنغيص وهو حال من مضاعفات (غير مكدرات) أى منغصات حال أو صفة مهنأت مؤكدة (من فوز) بفاء وزاى منقوطة عند الاكثرين وهو الظفر بنيل البغية ولبعضهم براء مهملة بمعنى سريع عاجل كما قيل أهنأ البر عاجله مستعار من فارت القدر اذا غلت (ثوابك) عطائك (المحلول) بحاء مهملة من حل اذا نزل أى الكائن فى الجنة أو الذى أوصلته له فصار صفة له حالا فيه أو المستوجب بفتح الجيم أى الذى استوجبه واستحقه من حل اذا وجب قيل وهو بعيد متكلف (وجزيل) أى كثير وعظيم (عطائك) احسانك وانعامك (المعلول) المضاعف من العلل وهو الشرب مرة بعد نهل وهو الشرب مرة فشبه عطاءه بمنهل عذب يرده العطاش كما تريد مرارا والمراد أنه كثير لا ينقطع (اللهم أعل) بقطع الهمزة أى اجعله عاليا رفيعا (على بناء) بموحدة ونون (الناس) وروى البانين جمع بان (بناءه) بموحدة ونون أى اجعل مقامه فى الجنة فوق كل مقام أو اجعل مقداره أرفع من كل مقدار أو ذاته أشرف من جميع الذوات لان الذات بناء الله كما ورد ووقع فى بعض النسخ ثناء بمثلثة أى اجعل مدحه فوق ما يثنى به الناس عليه فانهم لا يقدرون على أداء حق الاداء (وأكرم مثواه) مقامه (لديك) عندك أى اجعله حسنا مرضيا (ونزله) بضم النون وسكون الزاى وضمها وهو القرى المعد للضيف اذا نزل والمراد ثوابه وأجره وحسن استعارته ذكره بعد المثوى فانه كرم على كرم (وأتمم له نوره) اجعله تاما كاملا كائنا فى جميع جهاته وحواسه وقلبه كما ورد فى دعائه (واجزه) بهمزة وصل أو قطع على ما سبق (من ابتعاثك) افتعال من البعث بموحدة ومثلثة أى بعثك بالنبوة والرسالة (له) متعلق به لا تعليلية متعلقة باجزه كما زعم أى كافئه على ما قام به من أمور الرسالة (مقبول الشهادة) فى المحشر للانبياء وعلى الامم نصب على الحال (مرضى المقالة) أى القول ثمة من الشهادة والشفاعة (ذا منطق) نطق (عدل) معتدل مستقيم أى ما يقوله بعد الشفاعة من حمده بمحامد لا تضاهى وهو حال أيضا (وخطة) بضم المعجمة وشد المهملة الامر والشان الجزل (فصل) فاصل بين الحق والباطل (وبرهان) دليل (عظيم) قوى قاطع (حديث موقوف) على على لم يرفعه (رواه الطبرانى لكن قال الحافظ ابن كثير فى سنده نظر قال وقال شيخنا الحافظ أبو الحجاج) يوسف (المزى) بكسر الميم والزاى نسبة الى المزة قرية بدمشق (سلامة الكندى هذا ليس بمعروف ولم يدرك عليا) فهو منقطع وعبر عنه السخاوى بمرسل بناء على انه ما سقط منه راو (كذا قال) تبرأ منه لان ابن حبان عرفه وذكره فى كتاب الثقات وقال انه يروى عن على وعنه نوح ابن قيس وتكلم المصنف على بعض غريبه على عادتهم فقال (وقوله داحى المدحوات أى

باسط) اشارة الى أن داحي اسم فاعل (الارضين) السبع (وكل شئ بسطته ووسعته فقد دحوته) قال تعالى والارض بعد ذلك دحاها أى بسطها ووسعها وكانت مخلوقة قبل السماء من غير دحو فلا تنافى بين هذه الآية وبين ما فى سورة فصلت (وبارئ المسموكات أى خالق) اشارة الى أن بارئ اسم فاعل من برأ بمعنى خلق (السموات) تفسير المسموكات (وكل شئ رفعته وأعليته فقد سمكته) وسمك بمعنى رفع وارتفع متعدى ولازم (والدامغ جيشات الاباطيل أى المهلك) بيان للدامغ (لمانجم وارتفع) عطف تفسير (منها) أى الاباطيل (وفار) بيان لجيشات (وأصل الدمغ من الدماغ) يقال (دمغه أصاب دماغه) كسره قال تعالى بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه (وجيشات من جاش اذا ارتفع) فالمعنى المذهب لفوران الباطل وظهوره (واضطلع) بزنة (افتعل من الضلاعة وهى القوة) وأصلها قوة الاضلاع فالمعنى انه صلى الله عليه وسلم حمل ثقل ما حمل من القيام بأمر الله وحقوق النبوة فحمل ذلك واجتهد وقوى عليه وقام به أتم قيام (وأورى قبسا لقابس أى أظهر نورا من الحق لطالبه) وأصل أورى قدح الزناد لخروج النار شررا توقد منه والقبس ما يتناول من الشعلة قال تعالى أو آتيكم بشهاب قبس والاقتباس طلبه ثم استعير ذلك لاظهار الحق وما يهتدى به الناس وفى المثل ما كل قادح زنده يورى (وآلاء الله) بالمد (نعم الله) الالهية وسعادة الدارين بواسطته (و) قوله (يصل بأهله أى بأهل ذلك القبس) فضمير أهله عائد له (وهو) أى القبس (الاسلام والحق أسبابه وأهله المؤمنون) وفى التلمسانى ومعناه نعم الله تصل أى النعم أسبابه وهو ما يوصل به بأهله وهاء أسبابه اما لله أو لرسوله وكذا هاء أهله ومعناه أسباب الله بأهل الله او أسباب رسول الله بأهل رسول الله وهو أولى لان المقام له ويجوز أن يكون آلاء الله هو محمد صلى الله عليه وسلم لانه النعمة العظمى بل النعمة كلها ومعناه محمد نعمة الله تصل أسبابه بأهله أو معناه النعمة الاسلام تصل أسبابه وهم القرابة وهى قرابة محمد صلى الله عليه وسلم بأهله أى بأهل الله وذلك أن نعمة الله وهى الاسلام وصلت قرابته صلى الله عليه وسلم بأهل الله ومعناه ألحقت القرابة بالاهل انتهى (وبه هديت القلوب بعد خوضات الفتن والاثم أى هديت بعد الكفر) تفسير للاثم بدليل قوله (والفتن) أى المحن والحروب وفسر غيره الفتن بالكفر كقوله تعالى والفتنة أشد من القتل (لموضحات الاعلام) بمعنى الالوية استعارة للهداية (ونائرات) الاحكام (ومنيرات الواضحات يقال نار الشئ) لازم (وأنار) متعد (اذا وضح) وفى القاموس النور الضوء أيا كان أو شعاعه نار نورا وأنار واستنار ونور وتنور (وشهيدك يوم الدين يريد الشاهد على امته يوم القيامة) قال تعالى وجئنا بك (وبعيثك نعمة أى مبعوثك فعيل بمعنى مفعول وافسح له أى وسع وفى عدنك أى فى جنتك جنة عدن) من عدن بمعنى أقام (والمعلول من العلل) بفتحتين (وهو الشرب) الثانى بعد الاول (يريد أن اعطاءه مضاعف كأنه يعل به عباده أى يعطيهم عطاء بعد عطاء) الى ما لا نهاية له (وأعل على بناء الناس وفى رواية البانين) بدل الناس جمع بانى (أى ارفع فوق عمل العاملين عمله وأكرم مثواه أى منزله ونزله رزقه)

واصل

وأصل معناه القرى المعد للضيف اذا نزل (والخطة بضم الخاء المعجمة) وبطاء مهملة (الامر والقصة والفصل) بصاد مهملة (القطع) أى بين الحق والباطل بتبيينه (وعن ابن مسعود قال اذا صليتم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحسنوا الصلاة عليه) أى اقصدوا أحسنها وقولوه (فانكم لا تدرون) ما يترتب على صلاتكم أو أنها تبلغه أم لا (لعل ذلك) المذكور من الصلاة (يعرض عليه) لان جميع أعمال أمته تعرض عليه والصلاة من أحسنها فينبغى تحرى أحسنها ليزيد سروره بذلك قال فقالوا له علمنا (قال قولوا اللهم اجعل صلواتك وبركاتك ورحمتك) المراد بجعلها انزالها فلذا عداه بعلى فقال (على سيد المرسلين وامام المتقين وخاتم النبيين محمد) بالجر بدل مما قبله (عبدك ورسولك امام الخير) المقتدى به فى كل خير أو امام الاخيار (ورسول الرحمة) للعالمين وفى مسلم أنا نبى الرحمة (اللهم ابعثه مقاما محمودا) يحمده فيه جميع الخلائق وهو مقام الشفاعة العظمى والتنكير للتعظيم (يغبطه فيه الاولون والآخرون) أى يتمنون نيل مثله من غير زواله عنه وهذا هو الفرق بين الغبطة والحسد وقد يراد بالغبطة لازمها وهى المحبة والسرور بما رأوه فقط وهو اللائق بالانبياء والكمل فان من تمنى مقام غيره الذى خصه الله به كأنه يقول هلا ساويته به فى مقامه ففيه اعتراض خفى (اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم) أى كما تقدمت منك الصلاة عليه وعلى آله فنسألك الصلاة على محمد وآله بطريق الاولى لان الذى يثبت للفاضل يثبت للافضل بالاولى فليس التشبيه من الحاق الكامل بالاكمل بل من باب التهييج ونحوه كما مر فى الاجوبة وهذا من محاسنها (انك حميد مجيد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وآل ابراهيم انك حميد مجيد حديث موقوف رواه ابن ماجه) والبيهقى والديلمى وتمام فى فوائده والدارقطنى (وعن رويفع) بضم الراء وفتح الواو وسكون الياء وبالفاء والعين تصغير رافع (ابن ثابت) بن السكن بن عدى بن حارثة (الانصارى) المدنى صحابى سكن مصر وولى امرة برقة ومات بها سنة ست وخمسين (ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من صلى على محمد وقال اللهم أنزله المقعد الصدق المقرب عندك) وهو أعلى المنازل (يوم القيامة وجبت له شفاعتى) ثبتت وحقت (رواه الطبرانى قال ابن كثير واسناده حسن ولم يخرجوه) أى أصحاب السنن ونحوهم ولا يضر ذلك اسناده (وعن طاوس) بن كيسان (سمعت ابن عباس يقول) اذا صلى على النبى صلى الله عليه وسلم (اللهم تقبل شفاعة محمد الكبرى) يوم القيامة لفصل القضاء اذا قيل له اشفع تشفع ودعاؤه بذلك لنيل الثواب وان كانت محققة له كما فى قوله (وارفع درجته) منزلته (العليا) فى الجنة (وأعطه سؤله) أى مسؤله ومطلوبه (فى الآخرة) كدرجات ونجاة أمته وشفاعاته العديدة (والاولى) الدنيا المتقدمها كاعلاء كلمة الله ونصره ونصر أمته وسعة ملكهم وأن لا يسلط عليهم أعداءهم ولا يستأصلهم ولا يهلكهم بسنة عامة ونحوه مما ورد فى الاحاديث (كما آتيت ابراهيم وموسى) ما سألاه (رواه اسمعيل) بن اسحق (القاضى) أحد الحفاظ الاعلام (قال ابن كثير واسناده جيد) أى مقبول (قوى) فى ذلك فهو (صحيح) ومطابقته لترجمة

صفة الصلاة عليه مع انه لاذكر لها فيه من حيث ان المراد بالصلاة الدعاء وهذا دعاء فيه تعظيم وثناء عليه بما يليق به وفى بعض النسخ تأخير هذا الاثر بعد قوله (وعن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سره) أى أفرحه (ان يكال له بالمكيال الاوفى) الزائد على غيره أى من أحب ابر الايساء ويعنيه غيره أو أحب أن يصلى أحسن صلاة وأعظمها اذا صلى علينا أهل البيت فعبر بالمكيال عن ذلك استعارة تبعية مصرحة أو شبه الاجر بما يشترى من حبوب وثمر وشبهه ذكره وآله بالكتيالة لاستيفائه على طريقة المكنية والاجر لظهور تأديته فى قوة المذكور ووجه الشبه ان ما به البقاء هو استيفاء الشئ وحيازته والمراد الترغيب فى الصلاة عليهم بهذه الالفاظ (فليقل اللهم صل على محمد النبى الامى وأزواجه أمهات المؤمنين وذريته وأهل بيته كما صليت على ابراهيم انك حميد مجيد) فضل هذه الصلاة لشمولها ولتعظيمه بوصف النبوة التى أعلى قرب منزلة وبالامية التى هى من أجل آياته ووصف أزواجه بما يحبه وذكر صلاة الله على أبيه ابراهيم وختمها بالثناء على الله (رواه أبو داود) وفى الشفاء وكان الحسن البصرى يقول من أراد أن يشرب بالكاس الاوفى من حوض المصطفى فليقل اللهم صل على محمد وعلى آله وأصحابه وأولاده وذريته وأهل بيته وأصهاره وأنصاره وأشياعه ومحبيه وأمته وعلينا معهم أجمعين يا أرحم الراحمين (وأما المواطن) جمع وطن مكان الانسان عبر به مجازا عن المواضع (التى يشرع فيها) يطلب وجوبا أو ندبا (الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم) ولم يذكر السلام للاقتصار على الصلاة فى الاحاديث التى اوردها أو للخلاف فى افراد الصلاة عنه (فمنها التشهد الاخير وهى واجبة فيه) أى عقبه لانها ليست من مسمى التشهد كما يعلم من أحاديثه (كما قدمنا) عن الشافعية سنة أو مستحبة عند غيرهم (وفى وجوبها فى التشهد الاول قولان أظهرهما المنع) للوجوب (ابنائه على التخفيف بل هى سنة) لانه نفسه سنة وتعقبه شيخنا باقتضائه ان أحد قولى الشافعى وجوبها بحيث يأثم بتركها وليس كذلك فان القولين كما فى المنهاج وغيره انما هما فى انها سنة فى الاول لانه سنة أو ليست سنة أصلا لبنائه على التخفيف أظهرهما الاول قياسا على الاخير أى على وجوبها فيه لوجوبه قال فى تقريره ولم نر أحدا نقل القول بوجوبها اذ الاول سنة باتفاق (وفى استحباب الصلاة على الآل فى التشهد الاول القولان) صوابه وجهان أى مخرجان على القولين لان اصطلاح الشافعية ان القول لنص الامام والوجه لغيره (وفى وجوبها) على الآل (فى الاخير وأيان) للنووى فرجح فى الروضة انهما قولان للشافعى ورجح فى شرح المهذب انهما وجهان لغيره (أصحهما المنع) للوجوب (بل هى سنة تابعة وأقلها اللهم صل على محمد وكذا صلى الله على محمد وأقلها على الآل وآله) كما فى الروضة وأصلها وهو يتناول الواجبة والمندوبة فى التشهدين على ما تقدم (وقال) ابن الرفعة (فى الكفاية) وعلى آله (باعادة على) فان أسقطها لم يأت بالاقل لكن فى المنهاج وشرحه وأكمل من قوله وآله ان يقال وعلى آله وهو يفيد أنه لا خلاف فى الاكتفاء فى اداء السنة بقوله وآله من غير ذكر على كذا فى الشرح والمصنف عزى للكفاية وليس

فيما رده به حكاية اتفاق انما هو المعتمد (ومنها خطبتا الجمعة وكذا غيرها) من الخطب خطبتا العيدين والكسوف والاستسقاء وخطب الحج الاربع (فلا تصح خطبتا الجمعة الابها) خصها الوجوبها لصحة الجمعة والافباقيها لا تصح الابها بمعنى انها سنة فيها كهي (لانها عبادة وذكر الله فيها شرط) للصحة (فوجب ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم فيها كالاذان والصلاة وهذا مذهب الشافعي وأحمد) ومذهب الجمهور الاستحباب فقط (ومنها عقب اجابة المؤذن) بعد فراغه من أذانه فلو ترك اجابته لم تسن له الصلاة وهو مقتضى كلام الروض لكن في الرملي ظاهر أن كلا من الاجابة والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم والدعاء سنة مستقلة فلو ترك بعضها سن له ان يأتي بالباقي (لما رواه الامام أحمد عن عبد الله بن عمرو بن العاصي) الصحابي ابن الصحابي (ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول) استحبابا عند الجمهور لحديث في مسلم دل على صرف الامر عن الوجوب الذي قال به الحنفية والظاهرية وابن وهب وجماعة من السلف قال الكرماني وفي تعبيره بالمضارع اشعار بأنه يجيبه بعد كل كلمة مثلها وللنسائي عن أم حبيبة كان صلى الله عليه وسلم يقول مثل ما يقول المؤذن حتى يسكت ويستثنى من ذلك الحيعلتان فيقول بدلهما الاحول ولا قوة الا بالله كما في حديث عمر عند مسلم ومعاوية عند البخاري وغيره ثم المماثلة في القول لا في صفته فلا يطلب برفع الصوت المطلوب من المؤذن لان قصده الاعلام وقصد السامع الذكر فيكفي السر أو الجهر بلا رفع صوت نعم لا يكفي اجراؤه على قلبه بدون لفظ لظاهر الامر بالقول (ثم صلوا علي فانه من صلى علي واحدة صلى الله عليه بها عشرا) أى رحمه وضاعف أجره بشهادة من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها وفائدة ذكره وان كانت كل حسنة كذلك انه سبحانه لم يجعل جزاء ذكره الا ذكره فكذلك جعل ذكر نبيه ذكر من ذكره ولم يكتف بذلك بل زاد كما في حديث أنس عند أحمد والنسائي وصححه ابن حبان والحاكم وحط عنه عشر خطيئات ورفع له عشر درجات قال الطيبي الصلاة من العبد التعظيم للنبي صلى الله عليه وسلم ومن الله على العبد ان كانت بمعنى الغفران فيكون من باب المشاكلة من حيث اللفظ وان كانت بمعنى التعظيم فيكون من الموافقة لفظا ومعنى وهذا هو الوجه لئلا يتكرر معنى الغفران مع قوله وحط عنه عشر خطيئات جمع خطيئة وهي الذنب (ثم سلوا الله لى الوسيلة) فعيلة من وسل اذا تقرب وتطلق على المنزلة العلية كما قال (فانها منزلة في الجنة) وهى علم على أعلى درجة في الجنة على انه يمكن رده الى الاول فالواصل الى تلك المنزلة قرب الى الله فتكون كالقربة التي يتوسل بها وفى المسند عن أبي سعيد مرفوعا الوسيلة درجة عند الله ليس فوقها درجة فسلوا الله لى الوسيلة ولابن أبي حاتم عن علي انه قال على منبر الكوفة ان في الجنة لؤلؤتين بيضاء وصفراء فالبيضاء واسمها الوسيلة لمحمد وأهل بيته والصفراء لابراهيم وأهل بيته قال ابن كثير أثر غريب وأمر أمته ان يسألوها له لينالوا بالدعاء الزلفى وزيادة الايمان وأيضا فان الله قدرها له بأسباب منها دعاء أمته له بما نالوا على يده من الهدى والايمان انتهى من المقصد الاخير ملخصا (لا تنبغي) لا تكون (الا لعبد

واحد عظيم جليل فالتنوين والتنكير للتعظيم (من عباد الله) الاشراف المقربين فالاضافة لاختصاصهم بالشرف والقرب من سيدهم (وأرجو أن أكون أنا) تأكيد للضمير المستتر في أكون و(هو) خبر وضع بدل اياه ويحتمل أن لا يكون تأكيدا بل مبتدأ وخبر والجملة خبر أكون ويمكن ان هو وضع موضع اسم الاشارة أي أكون أنا ذلك قاله الابي (فمن سأل الله لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة) ونعم هذا الجزاء (وأخرجه مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي) كلهم (من حديث كعب بن علقمة) بن كعب المصري التنوخي صدوق مات سنة سبع وعشرين ومائة وقيل بعدها أي عن عبد الرحمن بن جبير عن عبد الله بن عمرو بن العاصي قال عياض كان بعض من رأيناه من المحققين يقول انما هذا لمن فعل ذلك محبة وأداء لحقه صلى الله عليه وسلم من التعظيم والاجلال لا لمن قصد الثواب أو ختم دعاءه بالصلاة عليه وفيما قاله نظر انتهى قال الحافظ وهو تحكم غير مرضي ولو كان أخرج الغافل اللاهي لكان أشبه (وذكره بلفظ الرجاء وان كان محقق الوقوع) بوعد من لا يخلف الميعاد وهبة الكريم الجواد (أدبا) معه (وارشادا) تعليما (منه) لامته (وتذكيرا) لهم (بالخوف) من الله تعالى (وتفويضا الى الله تعالى بحسب مشيئته وليكون الطالب للشيء بين الخوف والرجاء) بأن لا يقطع بأحدهما وان كان الاولى تقديم الرجاء على الخوف عند جمع أو الخوف على الرجاء عند آخرين أو الخوف حال الصحة والرجاء حال المرض عند بعض وقال القرطبي هذا الرجاء قبل علمه أنه صاحب المقام المحمود ومع ذلك فان الله يزيده بدعاء أمته رفعة كما يزيدهم بصلاتهم عليه (وقوله حلت عليه الشفاعة أي وجبت) وثبتت كما صرح به في عدة روايات وصوبه عياض (وقيل غشيته ونزلت به) نقله عياض عن المهلب وقال الصواب وجبت من حل يحل بالكسر اذا وجب وأما حل يحل بالضم فمعناه نزل زاد الحافظ ولا يجوز أن يكون حلت من الحل لانها لم تكن قبل ذلك محرمة (* تنبيه * قال شيخنا) السخاوي (في المقاصد الحسنة حديث الدرجة الرفيعة المدرج فيما يقال بعد الاذان) أي الملحق لا بقصد كونه من قول راو بلا ظهور فصل لجرده عن بعض معناه الاصطلاحي بدليل قوله (لم أره في شيء من الروايات) اذ لو كان بمعناه لوجد في بعضها (وأصل الحديث عند أحمد والبخاري والاربعة) أصحاب السنن (عن جابر مرفوعا من قال حين يسمع النداء) الاذان سمي نداء لانه دعاء الى الصلاة قال الحافظ واللام للعهد أو التقدير من قال حين يسمع نداء المؤذن وظاهره انه يقول هذا الذكر حال سماع الاذان ولا يتقيد بفراغه لكن يحتمل ان المراد من النداء تمامه اذ المطلق يحمل على الكامل ويؤيده حديث عبد الله ابن عمرو عند مسلم بلفظ قولوا مثل ما يقول ثم صلوا علي ثم سلوا الله لي الوسيلة ففي هذا أن ذلك يقال عند فراغ الاذان (اللهم رب هذه الدعوة) بفتح الدال (التامة) أي التوحيد لقوله تعالى دعوة الحق ووصفت بالتامة لان الشرك نقص اذ التامة التي لا يدخلها تغيير ولا تبديل بل هي باقية الى يوم النشور أو لانها هي التي تستحق صفة التمام وما سواها بمعرض الفساد أو لان فيها أتم القول وهي لا اله الا الله وقال الطيبي من أوله الى قوله

محمد رسول الله هي الدعوة التامة (والصلاة القائمة) المعهودة المدعو اليها حينئذ وهذا أظهر أو الحيعلتان أو المراد بالصلاة الدعاء وبالقائمة الدائمة من قولهم قام على الشئ اذا داوم عليه وعلى هذا فقوله والصلاة القائمة بيان للدعوة التامة (آت محمدا الوسيلة) تقدم بيانها ووجه تخصيص الدعاء له بها بعد الاذان انه لما كان دعاء الى الصلاة وهي مقربة الى الله ومعراج المؤمنين وهي مما من الله به علينا بارشاده وهدايته ناسب أن يجازى على ذلك بالدعاء بالمقرب الى الله ورفعة المنزلة فان الجزاء من جنس العمل (والفضيلة) قال الحافظ أي المرتبة الزائدة على سائر الخلائق ويحتمل أن تكون منزلة أخرى أو تفسير الوسيلة (وابعثه مقاما محمودا) أي يحمد القائم فيه وهو يطلق في كل ما يجلب الحمد من أنواع الكرامات ونصب على الظرفية أي ابعثه يوم القيامة فأقمه مقاما أو على انه مفعول به أو ضمن ابعثه معنى أقمه ومعنى ابعثه أعطه ويجوز أن يكون حالا أي ابعثه ذا مقام محمود قال النووي ثبتت الرواية بالتنكير وكأنه حكاية للفظ القرآن وقال الطيبي انما نكره لانه أفخم وأجزل كأنه قيل مقاما أي مقام محمودا بكل لسان قلب وقد جاء في هذه الرواية بعينها بالتعريف عند النسائي وابن خزيمة وابن حبان والطبراني والطحاوي والبيهقي وفيه تعقب على من أنكر ذلك كالنووي (الذي وعدته) زاد في رواية البيهقي انك لا تخلف الميعاد قال الطيبي المراد بذلك قوله تعالى عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا وأطلق عليه الوعد لان عسى من الله واقع كما صح عن ابن عيينة وغيره والموصول اما بدل أو عطف بيان أو خبر مبتدا محذوف وليس صفة للنكرة وعلى رواية المقام المحمود بالتعريف يصح وصفه بالموصول (حلت له شفاعتي يوم القيامة) اللام بمعنى على بدليل الرواية السابقة وفي رواية الطحاوي وجبت واستشكل جعل ذلك ثوابا لقائل ذلك مع ما ثبت ان الشفاعة للمذنبين وأجيب بأن له شفاعات أخرى كادخال الجنة بغير حساب ورفع الدرجات فيعطى كل أحد ما يناسبه انتهى (قال) في المقاصد (وكان من زادها) أي الدرجة الرفيعة (اغتر بما وقع في بعض نسخ الشفاء من حديث جابر المشار اليه) يعني هذا المذكور (لكن مع زيادتها في هذه النسخة المعتمدة) لهذا المغتر بها (علم عليها كاتبها بما يشير الى الشك فيها) فكيف يعتمد عليها (ولم أرها في سائر نسخ الشفاء) المعتمدة (بل في الشفاء عقد لها فصلا في مكان آخر ولم يذكر فيه حديثا صريحا وهو دليل لغلطها انتهى) لكن عند ابن أبي عاصم بسند فيه المسعودي وهو ثقة اللهم صل على محمد وأبلغه الدرجة والوسيلة في الجنة فقد وردت بمعناها والله أعلم ويأتي ان شاء الله في العاشر الخلاف في المقام المحمود والمشهور انه الشفاعة (ومنها أول الدعاء وأوسطه) وهو ما بعد الاول وقبل الآخر لا خصوص ان ما قبله مساو لما بعده في القدر (وآخره لما روى أحمد من حديث جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تجعلوني كقدح الراكب) قيل وما قدحه يا رسول الله قال (فان الراكب يملأ قدحه) بفتحتين اناء صغير للشرب (ثم يضعه) عنده (ويرفع متاعه) على راحلته (فان احتاج الى شراب) أي شرب ماء (شربه) أي ماء قدحه (أو الوضوء توضأ) بالهمز وتبدل ألفا (والا) يحتج لشرب أو وضوء (اهراقه) بفتح

قوله ومعنى ابعثه أعطه راجع للاحتمال الثاني وهو قوله أو على انه مفعول به ليكون متعديا الى اثنين الضمير ومقاما تأمل اه مصححه

الهمزة وسكون الهاء أى طرح ماء على الارض لاستغنائه عنه قال ابن الاثير وغيره معناه لا تؤخرونى فى الذكر وتجعلوا ذكرى تبعا لكم بل اعتنوا به فقدموه ووسطوه واختموا به كما قال (ولكن اجعلونى) أى ذكرى بالصلاة علىّ (فى أوّل الدعاء وأوسطه وآخره) ففيه تشبيه تمثيلى بليغ لتأخير ذكره عن الدعاء كما ان الراكب يبدأ بحمل متاعه وقدحه على الارض لا ينتظره ثم يأخذ مافيه أو يريقه ويعلقه فى آخر رحله خلفه وهذا كقول حسان يهجو

فأنت هجين نيط فى آل هاشم * كما نيط خلف الراكب القدح الفرد

(ومنها وهو من آكدها عقب دعاء القنوت لما رواه أحمد وأهل السنن وابن جرير وابن حبان والحاكم من حديث أبى الجوزاء) بالجيم والزاى أوس بن عبد الله الربعى بفتح الموحدة البصرى ثقة يرسل كثيرا مات سنة ثلاث وثمانين (عن الحسن بن على) خاتم خلافة النبوّة (قال علمنى رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمات أقولهنّ فى الوتر اللهمّ اهدنى فيمن هديت وعافنى فيمن عافيت وتولنى فيمن تولّيت وبارك لى فيما أعطيت) بلفظ الافراد فى الجميع وفى رواية للبيهقى اللهمّ اهدنا بالجمع فى الجميع وحملت على الامام لحديث أبى داود والترمذى وحسنه مرفوعا لا يؤم عبد قوما فيخص نفسه بدعوة دونهم فان فعل فقد خانهم (وقنى شر ماقضيت) قال العلامة الشهاب القرافى معناه ان الله تعالى يقدر المكروه بعدم دعاء العبد فاذا استجاب الله دعاءه لم يقع المقضى بفوات شرطه وليس هو ردّا للقضاء المبرم ومنه صلة الرحم تزيد فى العمر والرزق انتهى (فانك) بالفاء (تقضى ولا يقضى عليك وانه) بالواو وفى رواية بدونها (لا يذل من واليت) زاد الطبرانى فى الكبير من حديث الحسن بن على نفسه ولا يعز من عاديت (تباركت) زاد فى رواية ربنا أى كثر خيرك وزاد عن كل شئ (وتعاليت) فى ذاتك وصفاتك وتنزهت عما لا يليق بك (وزاد النسائى فى سننه) فى روايته لهذا الحديث (وصلى الله على النبى وسيأتى فى المقصد التاسع البحث فى ذلك ان شاء الله تعالى) بأن زيادة النسائى هذه غريبة غير ثابتة لاجل عبد الله بن على لانه غير معروف وعلى تقدير أنه عبد الله بن على بن الحسن فمنقطع لانه لم يسمع من جدّه الحسن فالزيادة ليست بحسنة لانقطاعها أو جهالة راويها ولم تجئ من وجه آخر يجبرها فهى شاذة انتهى أى ضعيفة (ومنها أثناء تكبيرات العيدين لما روى اسمعيل القاضى أنّ ابن مسعود وأباموسى وحذيفة) رضى الله عنهم (خرج عليهم الوليد بن عقبة) بالقاف ابن أبى معيط بن أبى عمرو بن أمية القرشى الاموى أخو عثمان لامه وله صحبة وعاش الى خلافة معاوية وكان أمير الكوفة من قبل عثمان فشرب فعزله وحده (فقال انّ هذا العيد قد دنا) أى قرب (فكيف التكبير فيه فقال عبد الله) بن مسعود (تبدأ فتكبر تكبيرة تفتتح بها الصلاة وتحمد ربك وتصلى على النبى صلى الله عليه وسلم ثم تدعو وتكبر وتفعل مثل ذلك ثم تكبر وتفعل مثل ذلك ثم تكبر وتفعل مثل ذلك ثم تقرأ) فاقتصر للعيد على ثلاث تكبيرات بعد الاحرام وقال به أهل الكوفة وذكر أنه يفصل بين كل تكبيرة بالحمد والصلاة والمقرر عند الشافعية

والمالكية

والمالكية خلاف ذلك وانه لاصلاة على المصطفى فيها (ثم تكبر وتركع ثم تقوم) للركعة الثانية (فتكبر وتحمد ربك وتصلى على النبى صلى الله عليه وسلم ثم تدعو وتكبر وتفعل مثل ذلك) الذى قلته لك فى الركعة الاولى (فقال حذيفة وأبو موسى صدق أبو عبد الرحمن) كنية عبد الله بن مسعود (قال ابن كثير اسناده صحيح) وهو موقوف ليس له حكم الرفع فهو اجتهاد (ومنها عند دخول المسجد) لانه محل الذكر (والخروج منه لما رواه أحمد) وأبو داود والنسائى (عن فاطمة) الزهراء سيدة نساء العالمين قالت (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل المسجد صلى على محمد) وسلم كما عند أحمد وغيره فسقط من قلم المصنف ولاحمد وابن ماجه يقول بسم الله والسلام على رسول الله فأبرز اسمه الميمون على سبيل التجريد المتضمن الى منصب الرسالة تعظيما لها كأنه غيره امتثالا لأمر الله باية صلوا عليه (ثم قال اللهم اغفر لى ذنوبى) وان كان لا ذنب له تعليما لامته وتواضعا واجلالا لربه (وافتح لى أبواب رحمتك واذا خرج صلى على محمد وسلم) وفى رواية أيضا قال بسم الله والسلام على رسول الله (ثم قال اللهم اغفر لى ذنوبى) أبرز نفسه عند الغفران تحليا بالانكسار بين يدى الملك الجبار (وافتح لى أبواب فضلك) خصه بالخروج والرحمة بالدخول لاشتغال الداخل بما يزلفه الى الله وثوابه فناسب الرحمة الصادقة بكل خير فاذا خرج انتشر فى الارض ابتغاء فضل الله من الرزق فناسب الفضل الذى هو الزيادة عما حصل من الثواب (ومنها فى صلاة الجنازة فان السنة) أى الطريقة (أن يقرأ الفاتحة بعد احدى التكبيرات) فلا ينافى وجوب الفاتحة عنده عقب أى تكبيرة (و) لكن (بعد الاولى أولى) أفضل (وأن يصلى على النبى صلى الله عليه وسلم بعد التكبيرة) (الثانية) مقدما عليها التحميد كالحمد لله رب العالمين ويختمها بالدعاء للمؤمنين والمؤمنات كأن يقول اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات (ويدعو للميت بعد الثالثة وبعد الرابعة يقول اللهم لا تحرمنا أجره) أى أجر الصلاة عليه أو أجر المصيبة به لان المؤمن مصاب بأخيه (ولا تفتنا بعده) بما يشغلنا عن الله فان كل شاغل عنه فتنة (وفى ذلك حديث رواه الامام (الشافعى والنسائى) لكن فى اسناده ضعف كما قال الخيضرى (ومنها عند التلبية لما رواه الشافعى والدارقطنى عن القاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق) أحد فقهاء المدينة (قال كان يؤمر الرجل اذا فرغ من تلبيته أن يصلى على النبى صلى الله عليه وسلم على كل حال) أى بعد كل مرة من صيغ التلبية المعروفة وليس المراد أنه يؤخرها الى فراغ التلبية بالمرة وذلك عند الشروع فى التحلل (ومنها عند الصفا والمروة لما روى اسمعيل القاضى عن عمر بن الخطاب انه قال اذا قدمتم) مكة (فطوفوا بالبيت سبعا وصلوا عند المقام) لابراهيم (ركعتين ثم ائتوا الصفا فقوموا عليه من حيث) أى فى مكان (ترون البيت) فيه (فكبروا سبع تكبيرات تكبيرا) معمو بتعظيم دائر (بين حمد لله تعالى وثناء عليه وصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ومسئلة لنفسك) فانها من مواطن الاجابة وفى نسخة بعد حمد وهى ظاهرة (وعلى المروة مثل ذلك قال ابن كثير اسناده حسن جيد قوى) وهو موقوف (ومنها عند الاجتماع والتفرق) أى فى المجلس الذى يقع

فيه اجتماع وافتراق لا انهما متساويان عندهما اذ لا دليل على ذلك في الحديثين اللذين ساقهما بقوله (لما روى الترمذي) وقال حسن ولعله لشواهده والا ففيه صالح مولى التوأمة ضعيف عن أبي هريرة وأبي سعيد معا (ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما جلس قوم مجلسا لم يذكروا الله فيه ولم يصلوا) فيه (على نبيه الا كان عليهم ترة) بكسر الفوقية وفتح الراء لا بفتحهما كما زعم وهاء تأنيث عوض عن الواو المحذوفة كعدة وزنة مرفوع بكان التامة أي وقعت وحصلت أو اسمها وعليهم خبر مقدم ويجوز نصبها خبر واسم كان مستتر عائد على الجملة المفهومة مما قبله وهي النقص أو التبعة أو الحسرة قيل وهو أقرب لوروده في الحديث الثاني فهم في مشيئة الله (فان شاء عذبهم) بعدله على ذلك (وان شاء غفر لهم) بفضله فيتأكد الذكر والصلاة عند ذلك ويحصلان بأي لفظ كان لكن الاكمل في الذكر سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا اله الا أنت أستغفرك وأتوب اليك وفي الصلاة ما في آخر التشهد والمراد بالعذاب اللوم على تركها كما يلام فاعل المكروه وبالمغفرة ترك اللوم لانها لا تستدعي سبق ذنب فلا حجة فيه للقائل بوجوب الصلاة عليه في كل مجلس (وروى اسمعيل القاضي عن أبي سعيد) الخدري سعد بن مالك بن سنان الصحابي ابن الصحابي (قال ما من قوم يقعدون) في مجلس (ثم يقومون) منه (ولا يصلون على النبي صلى الله عليه وسلم الا كان عليهم حسرة) ندامة وأسفا في الموقف على ما فاتهم (وان دخلوا الجنة لما يرون من الثواب) لمن صلى عليه وليس المراد أن الحسرة تلازمهم بعد دخولها اذ بعده لا حسرة ويجوز تمام كان ونقصها وجعله نفس الحسرة مبالغة كقوله وانه لحسرة أو اسناد مجازي وقد أبعد المصنف النجعة في العزو مع كونه موقوفا وقد جاء مرفوعا في أحد دواوين الاسلام فأخرج النسائي عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يجلس قوم مجلسا ثم لا يصلون فيه على رسول الله الا كان عليهم حسرة وان دخلوا الجنة لما يرون من الثواب وقد ذكره بهذا اللفظ عياض الا انه لم ينسبه للنسائي (ومنها عند الصباح) أول النهار (والمساء) أول الليل لا بالمعنى اللغوي وهو أن الصباح أول النهار والمساء ما بين الظهر الى المغرب (لما روى الطبراني) باسنادين أحدهما جيد وقد حسنه بعض الحفاظ ولعله لشواهده والا ففيه انقطاع لانه (من حديث) خالد الحذاء عن (أبي الدرداء) وخالد لم يسمع من أبي الدرداء (مرفوعا من صلى على حين يصبح عشرا) من المرات (وحين يمسي عشرا أدركته شفاعتي يوم القيامة) أي شفاعة خاصة غير العامة جزاء على صلاته عند شدة الاحتياج فلو لم يكن لها ثواب الا هذا لكفى قال الابي وقضية اللفظ حصول الصلاة بأي لفظ كان وان كان الراجح الصيغة الواردة في التشهد (ومنها عند الوضوء لحديث ابن ماجه عن سهل بن سعد) الساعدي (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا وضوء) كامل (لمن لم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم) لكنه حديث ضعيف كما في الفتح (ومنها عند طنين الاذن) أي تصويتها (لحديث أبي رافع) أسلم أو ابراهيم أو صالح أو غير ذلك الى عشرة أقوال أشهرها أسلم (عند ابن السني) وكذا الطبراني في الثلاثة

والعقيلى وابن عدى والطبرانى والحكيم الترمذى قال السخاوى وسنده ضعيف بل قال العقيلى لا أصل له انتهى وتعقب بأن الحافظ النور الهيثمى قال اسناد الطبرانى فى الكبير حسن وقد رواه ابن خزيمة وهو ممن التزم تخريج الصحيح وبه شنعوا على ابن الجوزى زعمه أنه موضوع (مرفوعا) لفظة استعملوها بمعنى قال صلى الله عليه وسلم (اذا طنت) بالتشديد أى صوتت (اذن أحدكم فليذكرنى) بنحو محمد رسول الله (وليصل على) بنحو صلى الله عليه وسلم ففيه عدم الاكتفاء بذكره حتى يصلى عليه (وليقل ذكر الله من ذكرنى بخير) لان الارواح ذات طهارة ونزاهة ولها سمع وبصر متصل ببصر العين ولها سطوع فى الجو تجول وتجول ثم تصعد الى مقامها الذى منه بدت فاذا تخلصت من شغل النفس أدركت من أمر الله ما يعجز عنه البشر فهما ولولا تعلقها بالرأت العجائب لكنها تدنست بما تلبست وتوسخت بما تقمصت من ثياب اللذات وتكدرت بما تشربت من كاس حب الشهوات ورسول الله صلى الله عليه وسلم لما قيل له الى أين قال الى سدرة المنتهى فهو متشمر هناك يقول يارب أمتى أمتى حتى ينفخ فى الصور فطنين الاذن من قبل الروح تجد خفتها وطهارتها وسطوعها وشوقها الى المقام الذى فيه المصطفى فطنت لما جاءت به من الخبر فلذا قال فليصل على لانه ذكر عند الله فى ذلك الوقت وطلب شيئا استوجب به الصلاة أداء لحقه فلذا شرعت الصلاة عليه عند طنين الاذن كما شرعت عند خدر الرجل لخبر ابن السنى أن رجلا خدرت رجله عند ابن عباس فقال له اذكر أحب الناس اليك فقال محمد صلى الله عليه وسلم فكأنما نشط من عقال ذكره فى فتح القدير (ومنها عند نسيان الشئ لحديث أبى موسى) محمد بن عمر بن أحمد (المدينى) الاصفهانى الحافظ الكبير صاحب التصانيف (بسند فيه ضعف عن أنس يرفعه اذا نسيتم شيأ فصلوا على) جواب اذا (تذكروه ان شاء الله) حذفت نونه لكونه فى جواب الطلب (ومنها بعد العطاس كما ذهب اليه أبو موسى المدينى وجماعة) لما جاء بسند ضعيف من عطس فقال الحمد لله على كل حال ما كان من حال وصلى الله على محمد وعلى أهل بيته أخرج الله من منخره الايسر طائرا يقول اللهم اغفر لقائلها (ونازعهم فى ذلك آخرون وقالوا هذا موطن يفرد فيه ذكر الله كالاكل والشرب والوقاع ونحو ذلك) كالتعجب واشهار المبيع والذبح والعثرة وفى الحمام ومواضع الاقذار ومذهب مالك كراهتها فى ذلك كله (ومنها عند زيارة قبره الشريف لحديث أبى داود عن أبى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من أحد يسلم على) فى أى محل كان وزيادة عند قبرى قال الحافظ السخاوى لم أقف عليها فيما رأيته من طرق الحديث (الا رد الله على روحى) أى نطق (حتى أرد عليه السلام) أو هو عبارة عن استمرار حياته على الدوام وان روحه لا تفارقه أبدا لاستحالة خلو الوجود من أحد يسلم عليه عادة ويأتى ان شاء الله مزيد لذلك فى المقصد العاشر قال السيوطى كذا رواية أبى داود رد على وللبيهقى الى وهى ألطف وأنسب لان رد يعدى بعلى فى الاهانة وبالى فى الاكرام فمن الاول يردوكم على أعقابكم ومن الثانى رددناه الى أمه انتهى ولا يطرد هذا بدليل رواية على هنا فى الاكرام ثم المصنف استدل بعمومه على ترجمته الخاصة واذا عقبه بالخاص فقال

(وروى ابن عساكر) وعبد الرزاق وابن أبي شيبة من حديث أبي هريرة مرفوعا (من صلى علي عند قبري سمعته) ومن صلى علي نائيا أبلغته هذا بقية الحديث والظاهر أن المراد بالعندية قرب القبر بحيث يصدق عليه عرفا أنه عنده وبالبعد عنه ما عدا ذلك وان كان بالمسجد وفي القول البديع اذا كان المصلي عند قبره الشريف سمعه صلى الله عليه وسلم بلا واسطة سواء كان ليلة الجمعة أو غيرها وما يقوله بعض الخطباء ونحوهم انه يسمع باذنيه في هذا اليوم من يصلي عليه فهو مع حمله على القريب لا مفهوم له انتهى وعورض هذا الخبر بحديث من صلى علي عند قبري وكل الله به ملكا يبلغني وكفي أمر دنياه وآخرته وكنت له شفيعا أو شهيدا يوم القيامة وجمع بانه يسمع الصلاة والسلام عند قبره بلا واسطة ويبلغه الملك أيضا اشعارا بمزيد خصوصيته والاعتناء بشأنه والاستمداد له بذلك وخبر الطبراني وغيره عن الحسن بن علي مرفوعا حيثما كنتم فصلوا علي فان صلاتكم تبلغني معناه لا تتكلفوا المعاودة الى قبري لكن الحضور فيه مشافهة أفضل من الغيبة والنهي عنه الاعتياد الرافع لكمال الحشمة (وورود الامر بالاكثار منها يوم الجمعة وليلتها) وأقل الكثرة ثلثمائة قاله أبو طالب في القوت قال السخاوي لم اقف له على مستند فلعله تلقاه عن أحد من الصالحين عرفه بتجاربه أو غيره أو رآه أول ما يحصل به الكثرة (فعن أوس بن أوس) بفتح الهمزة وسكون الواو (الثقفي) الصحابي سكن دمشق روى له أصحاب السنن الاربعة أحاديث صحيحة من رواية الشاميين عنه وهو غير أوس بن ابي أوس حذيفة الثقفي الصحابي على الصحيح خلافا لابن معين وغيره في انهما واحد فانه خطأ كما في الاصابة وغيرها (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أفضل أيامكم يوم الجمعة فيه خلق آدم) وذلك يوجب لليوم شرفا ومزية (وفيه قبض) وذلك سبب للشرف أيضا فانه سبب لوصوله الى الجناب الاقدس والخلاص من تعب الدنيا (وفيه النفخة) أي النفخ في الصور وذلك شرف أيضا لانه من أسباب توصل أرباب الكمال الى ما أعدلهم من النعيم المقيم والموت أحد الاسباب الموصلة للنعيم فهو وان كان فناء ظاهرا لكنه بالحقيقة ولادة ثانية ذكره الراغب (وفيه الصعقة) من شدة الوجل وهي غير النفخة وقد ذكرها تعالى بفاء التعقيب في ونفخ في الصور فصعق (فأكثروا علي من الصلاة فيه) أي في يوم الجمعة (فان صلاتكم معروضة علي) أي موصلة الي توصل الهدايا قاله ابن الملقن (قالوا يا رسول الله وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت) بفتح الهمزة والراء وسكون الميم وروى بضم الهمزة وكسر الراء قاله المنذري وقال غيره أرمت بفتح فسكون ففتح على الاشهر وفي رواية أرممت أي صرت رميما (يعني وقد بليت قال ان الله حرم على الارض أن تأكل أجساد الانبياء) لانها تتشرف بوقع أقدامهم عليها وتفتخر بضمهم اليها فكيف تأكل منهم ولانهم تناولوا ما تناولوا منها بحق وعدل وسخرها لهم لاقامة العدل عليها فلم يكن لها عليهم سلطان فكما أن حفظ أجسادهم من البلاء خرق للعادة المستمرة كذلك عرض صلاتهم عليه وسماعها منهم فالجواب مطابق للسؤال قاطع لعرق الاستبعاد لان الخوارق لا يقاس عليها (رواه أحمد وأبو داود والنسائي) وابن

ماجه في الجنائز كلهم عن أوس وهو الصواب ووقع عند ابن ماجه في الصلاة تسمية الصحابي شداد بن أوس وهو وهم نبه عليه المزي وغيره وقد رواه ابن ماجه في الجنائز على الصواب (وقد صحح هذا الحديث ابن خزيمة وابن حبان والدارقطني) والحاكم وقال على شرط البخاري وحسنه عبد الغني والمنذري وقال ابن دحية انه صحيح محفوظ بنقل العدل عن العدل ومن قال انه منكر أو غريب لعلة خفية به فقد استروح لأن الدارقطني ردّ ذلك (قال الحافظ ابن كثير وقد روى البيهقي من حديث أبي امامة أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بالاكثار من الصلاة عليه ليلة الجمعة ويوم الجمعة) لفظ البيهقي في الشعب عن مكحول عن أبي امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثروا علي من الصلاة في كل يوم جمعة فان صلاة أمتي تعرض علي يوم الجمعة فمن كان أكثرهم علي صلاة كان أقربهم مني منزلة (ولكن في اسناده ضعف) لأن مكحولا لم يسمع من أبي امامة عند الجمهور ولكن أثبت الطبراني سماعه منه ولذا قال المنذري سنده حسن الا ان مكحولا قيل لم يسمع من أبي امامة انتهى وليس في حديث أبي امامة تصريح بليلة الجمعة كما فعل المصنف نعم جاء في حديث أنس عند ابن عدي وأبي هريرة عند البيهقي والطبراني مرفوعا أكثروا الصلاة علي في الليلة الغراء واليوم الازهر فان صلاتكم تعرض علي وفي اسناده ضعف أي عرضا خاصا فيه زيادة شرف للمصلي حينئذ فلا ينافي انها تعرض في أي وقت صلي عليه كما جاء في أحاديث وللبيهقي عن أنس أكثروا من الصلاة علي في يوم الجمعة وليلة الجمعة فمن فعل ذلك كنت له شهيدا وشافعا يوم القيامة أي شهيدا بأعماله التي منها الصلاة علي وشافعا له شفاعة خاصة اعتناء به والا فشفاعته عامة (فان قلت ما الحكمة في خصوصية الاكثار من الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة وليلتها أجاب ابن القيم بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد الانام) كسحاب جميع الخلق أو الجن والانس خاصة ويقال آنام بالمد كساباط وأنيم كأمير (ويوم الجمعة سيد الايام) للاسبوع (فللصلاة عليه فيه مزية ليست لغيره مع حكمة أخرى وهي ان كل خير ناله أمته في الدنيا والآخرة فانما ناله على يده صلى الله عليه وسلم فجمع الله لامته به بين خيري الدنيا والآخرة وأعظم) بالجر عطف على خيري أي وبين أعظم (كرامة تحصل لهم فانها تحصل لهم يوم الجمعة فان فيه بعثهم الى منازلهم وقصورهم في الجنة وهو يوم المزيد لهم اذا دخلوا الجنة وهو عيد لهم في الدنيا) كما في الحديث (ويوم فيه يسعفهم الله بطلباتهم) جمع طلبة بزنة كلمة وكلمات (وحوائجهم ولا يرد سائلهم) في الساعة التي فيه كما صح (وهذا كله انما عرفوه وحصل لهم بسببه وعلى يده فمن شكره وحمده وأداء القليل من حقه صلى الله عليه وسلم أن يكثر) كل أحد من الصلاة (عليه في هذا اليوم وليلته) وفقنا الله لذلك بمنه (وأما فضيلة الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم) أي الثواب المترتب لقائلها كتكفير الخطايا وتزكية الاعمال ورفع الدرجات ومغفرة الذنوب وصلاة الملائكة واستغفارها لقائلها وكتابة قيراط مثل أحد من الاجر والكيل بالمكيال الاوفى وكفاية أمر الدنيا والآخرة لمن جعل صلاته كلها صلاة عليه ومحق الخطايا وفضلها على عتق الرقاب والنجاة بها من

الاهوال وشهادة الرسول بها ووجوب الشفاعة ورضا الله ورحمته والامان من سخطه والدخول تحت ظل العرش ورجحان الميزان وورود الحوض والامان من العطش والعتق من النار والجواز على الصراط ورؤية المقعد المقرب من الجنة قبل الموت وكثرة الازواج في الجنة ورجحانها على أكثر من عشر بن غزوة وقيامها مقام الصدقة للمعسر وأنها زكاة وطهارة وينمو المال ببركتها وتقضى بها مائة من الحوائج بل أكثر وأنها عبادة وأحب الاعمال الى الله تعالى وتزين المجالس وتنفى الفقر وضيق العيش ويلتمس بها مظان الخير وأن فاعلها أولى الناس به وينتفع هو وولده وولد ولده بها ومن أهديت فى صحيفته ثوابها وتقرب الى الله عزوجل والى رسوله وأنها نور وتنصر على الاعداء وتطهر القلب من النفاق والصدا وتوجب محبة الناس ورؤية النبي صلى الله عليه وسلم فى المنام وتمنع من اغتياب صاحبها وهى من أبرك الاعمال وأفضلها وأكثرها نفعا فى الدين والدنيا وغير ذلك من الثواب هكذا ترجم فى القول البديع ثم ذكر الاحاديث فى ذلك كله والمصنف ذكر بعضها (فقد ورد التصريح بها فى أحاديث قوية) باعتبار مجموعها فلا ينافى ان بعضها ضعيف يعمل به فى الفضائل (لم يخرج البخارى منها شيئا) لانها ليست على شرطه (أمثلها ما أخرجه مسلم) وأبو داود والترمذى والنسائى والامام أحمد وابن حبان (من حديث أبى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم من صلى على واحدة) زاد فى رواية البزار من تلقاء نفسه (صلى الله عليه بها عشرا) أى من دعا لى مرة رحمه الله وأقبل عليه بعطفه عشر مرات وأعطاه الفضل بالدرجات المقدرة له وفى بعض ألفاظ الترمذى من صلى على مرة واحدة كتب الله له بها عشر حسنات (وقال الترمذى حديث حسن صحيح) والصلاة عليه وان كانت تحصيل الحاصل لكن حصول الامور الجزئية قد يكون مشروطا بشروط من جملتها الدعاء (وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجة) هى حاجة البراز كما فى حديث أنس خرج يتبرز (فلم يجد أحدا يتبعه فأتاه عمر) وفى حديث أنس ففزع عمر فأتاه أى بدعائه كما فى رواية فدعانى فاتيته أو بغير دعاء ان تعددت القصة (بمطهرة) بكسر الميم اداوة فيها ماء (من خلفه فوجد النبي صلى الله عليه وسلم ساجدا فتنحى عنه) زاد أنس فجلس وراءه (حتى رفع النبي صلى الله عليه وسلم رأسه فقال له أحسنت) أخفت من قربك لى (يا عمر حين وجدتنى ساجدا) أن تشغلنى عن مناجاة ربى (فتنحيت عنى) فالاستفهام للتقرير ويحتمل كما فى نسخ كثيرة صحيحة انه أحسنت بفتح الهمزة واسكان الحاء والسين المهملتين ونون ساكنة من الاحسان مدح لعمر فى تنحيه عنه حينئذ وهو أنسب بالسياق (ان جبريل أتانى) فى سجودى كما هو ظاهره ويحتمل قبل سجوده وسجد شكرا كما فى حديث عبد الرحمن بن عوف عند أحمد وصححه الحاكم والبيهقى وانما لم أجزم بالثانى لان عمر لم يذكر فى خبر عبد الرحمن واختلف المخرج فيحتمل التعدد (فقال من صلى عليك من أمتك) أمة الاجابة (صلاة واحدة صلى الله عليه عشر صلوات) أى رحمه رحمة مضاعفة معظمة لا تشابه غيرها لان اضافتها الى الله اضافة تعظيم وتشريف وان كان كل من جاء بالحسنة له عشر أمثالها (ورفعه عشر درجات) باعلاء مقاماته فى جنات

النعيم

النعيم وعلو منزلته لقربه من العزيز الرحيم (رواه الطبرانى" قال ابن كثير وقد اختار هذا الحديث الحافظ الضياء المقدسى") حيث أخرجه (فى كتابه المستخرج على الصحيحين) الذى سماه بالاحاديث المختارة أى من الاحاديث التى ليست فى الصحيحين وقد صرح الزركشى" وغيره بأن تصحيحه أعلى مرتبة من تصحيح الحاكم (وعن أبى طلحة) زيد بن سهل الانصارى (ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء ذات يوم والسرور يرى فى وجهه) وفى رواية الطبرانى" عن أبى طلحة دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأسارير وجهه تبرق والجمع بينهما ان المصطفى جاء الى محل لم يكن فيه أبو طلحة ثم دخل عليه أبو طلحة فيه (فقالوا يارسول الله انا لنرى السرور فى وجهك) لانه كان اذا سر" استنار وجهه (فقال انه أتانى الملك) جبريل كما صرح به فى روايات أخر (فقال يا محمد أما يرضيك ان ربك عزوجل يقول انه لايصلى عليك أحد من أمتك) وفى رواية من عبادى والمراد بهم أمته (الا صليت عليه عشرا ولا يسلم عليك أحد من أمتك الا سلمت عليه عشرا) ورواية بحذف ولا يسلم الخ من تقصير بعض الرواة (قال بلى) زاد فى رواية يارب (رواه الدارمى") عبد الله بن عبد الرحمن أحد الاعلام الحفاظ (وأحمد وابن حبان والحاكم والنسائى" واللفظ له) وللطبرانى" عن أبى طلحة دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأسارير وجهه تبرق فقلت يارسول الله مارأيتك أطيب نفسا ولا أظهر بشرا من يومك هذا قال ومالى لا تطيب نفسى ويظهر بشرى وانما فارقنى جبريل الساعة فقال يا محمد من صلى عليك من أمتك صلاة كتب الله له بها عشر حسنات ومحا عنه عشر سيئات ورفعه بها عشر درجات وقال له الملك مثل ما قال لك قلت ياجبريل وما ذلك الملك قال ان الله عزوجل وكل ملكا من لدن خلقك الى أن يبعثك لايصلى عليك أحد من أمتك الا قال وأنت صلى الله عليك وفيه روايات أخر بألفاظ مختلفة اما من الرواة أو حدث به أبو طلحة فى أوقات بألفاظ مختلفة (وعن عامر بن ربيعة) بن كعب ابن مالك العنزى" بسكون النون حليف الخطاب صحابى" مشهور أسلم قديما وهاجر وشهد بدرا ومات ليالى قتل عثمان (ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من صلى على" صلاة) فى أى" وقت كان (لم تزل الملائكة تصلى عليه ماصلى) أى مدة صلاته (على" فليقل" عبد من ذلك أوليكثر) العطف للتخيير والفاء فصيحة أى اذا عرف بقاء هذا ودوامه ونفعه فان شاء أكثر الربح ربحا كثيرا دائما والا اقتصر على قليل نافع وهو فى الحقيقة حث على الاكثار (رواه أحمد وابن ماجه) باسناد حسن (من حديث شعبة) بن الحجاج الواسطى البصرى" عن عبد الله بن عامر بن ربيعة عن أبيه (وعن عبد الله بن عمرو بن العاصى من صلى على رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة صلى الله عليه وملائكته سبعين صلاة) حقيقة أو المراد التكثير (فليقل" عبد من ذلك أوليكثر رواه أحمد) باسناد حسن ومثله لايقال بالرأى فهو موقوف لفظا مرفوع حكما (والتخيير بعد الاعلام بما فيه الخيرة فى المخير فيه على جهة التحذير من التفريط فى تحصيله) فهو فى الحقيقة حث على الاكثار فان العاقل لايترك الخير الكثير ما أمكنه ففيه من البلاغة مالا يخفى (وهو قريب من معنى التهديد) فى نحو قوله اعملوا ماشئتم ليس أمرا لهم بعمل ماشاؤا بل هو وعيد شديد

بالمجازاة على الطعن والتحريف والتأويل الباطل واللغو فى القرآن (وروى الترمذى وأحمد والحاكم وصححه (ان أبى بن كعب قال) كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ذهب ربع الليل قام فقال يا أيها الناس اذكروا الله اذكروا الله جاءت الراجفة تتبعها الرادفة قال أبى بن كعب فقلت (يا رسول الله انى أكثر الصلاة فكم أجعل لك من صلاتى) قال المنذرى معناه أكثر الدعاء فكم أجعل لك من دعاءى صلاة عليك (قال ما شئت) يعنى أى قدر أردت وتيسر لك (قلت) أجعل لك (الربع قال ما شئت وان زدت فهو خير لك) نافع فى الدنيا والآخرة (قلت فالنصف قال ما شئت وان زدت فهو خير لك قلت فالثلثين قال ما شئت وان زدت فهو خير لك) فلم يعين صلى الله عليه وسلم شيئا معينا لئلا يتغلق عليه باب المزيد ولم يزل يفوض الاختيار اليه مع الحث على المزيد حتى قال (قلت أجعل لك صلاتى كلها قال اذن تكفى) أنت (همك) بالنصب مفعول تكفى الثانى والاول أنت المضمر القائم مقام الفاعل (ويغفر) بالرفع (ذنبك) ويروى بنصب يغفر باذن لانها مكفرة للذنوب والمعنى انها تغنيك عن غيرها لان فيها خيرى الدارين فهو بمعنى الحديث القدسى من شغله ذكرى عن مسئلتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين (ثم قال) الترمذى (هذا حديث حسن) صحيح ولم يقتصر على حسن كما نقل المصنف (فهذا ما يتعلق بالصلاة) مما أراد ايراده فى فضلها والا فهو يحتمل جزءا حافلا وقد كفى السخاوى فيه وشفى (وأما السلام) أى ما يتعلق به (فقال النووى يكره افراد الصلاة عن السلام واستدل بورود الامر بهما معا فى الآية يعنى قوله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما) فظاهر الامر بهما كراهة افراد أحدهما عن الآخر واليه ذهب بعض المالكية (وتعقبوه بأن النبى صلى الله عليه وسلم علم الصحابة التسليم قبل تعليمهم الصلاة) بقوله قولوا اللهم صل على محمد الى آخر ما مر (كما هو مصرح به فى قولهم يا رسول الله قد علمنا كيف نسلم عليك فكيف نصلى عليك وقوله عليه الصلاة والسلام بعد أن علمهم الصلاة والسلام) بالرفع مقول القول (كما قد علمتم) من العلم أو التعليم (فأفرد التسليم عليه مدة قبل الصلاة عليه) فكيف يكره ذلك (لكن قال فى فتح البارى انه يكره أن يفرد الصلاة ولا يسلم أصلا أما لو صلى فى وقت وسلم فى وقت آخر فانه يكون ممتثلا) للامر فلا يكون مفردا للسلام لانهم جمعوا بين الصلاة والسلام بعد أن علمها لهم لكن هذا المعنى ليس مرادا للنووى فلا يصح جوابا عنه (وقال أبو محمد الجوينى من أصحابنا السلام بمعنى الصلاة فلا يستعمل فى) الشخص (الغائب ولا يفرد غير الانبياء به فلا يقال على عليه السلام) بل رضى الله عنه (سواء فى هذا الاحياء والاموات وأما الحاضر فيخاطب به فيقال سلام عليك أو عليكم أو السلام عليك أو عليكم وهذا مجمع عليه انتهى وقد جرت عادة بعض النساخ أن يفردوا عليا وفاطمة رضى الله عنهما بالسلام فيقولوا) على (عليه أو) فاطمة (عليها السلام دون سائر الصحابة فى ذلك وهذا وان كان معناه صحيحا) لان المراد السلامة أو التحية (لكن) ذلك مكروه أو خلاف الاولى أو محرم على ما يأتى قريبا و (ينبغى) ان فعل ذلك المكروه (أن يساوى بين الصحابة رضى الله عنهم فى ذلك) لان افراد على وفاطمة بذلك

صار من شعار أهل البدع (فان هذا من باب التعظيم والتكريم والشيخان وعثمان أولى بذلك منهما) أى على وفاطمة (أشار اليه ابن كثير) ويأتى له مزيد قريبا (وأما الصلاة على غير النبى صلى الله عليه وسلم) من الانبياء وغيرهم (فاختلف فيها) فقيل بطلبها على الانبياء وقيل بعدمه وأما غيرهم ففى جوازها استقلالا وعدمه خلاف لا تبعا فيجوز باجماع هذا حاصل ماذكره (وأخرج البيهقى بسند واه) أى ضعيف جدا من وهى الحائط اذا مال للسقوط وفى نسخة واهى بالياء وكل صحيح لكن حذفها من المجرد من أل كما هنا هو الكثير (من حديث بريدة) بن الحصيب (رفعه لا تتركن) أيها المصلى (فى التشهد الصلاة على وعلى أنبياء الله) أريد بهم ما يشمل الرسل (وأخرج اسمعيل القاضى بسند ضعيف من حديث أبى هريرة) رفعه (صلوا على أنبياء الله) وأخرجه عبد الرزاق وغيره بسند واه عن أبى هريرة مرفوعا صلوا على أنبياء الله ورسله فان الله بعثهم كما بعثنى ورسله عطف خاص على عام (وأخرج الطبرانى) باسناد ضعيف كما قال الحافظ (من حديث ابن عباس رفعه اذا صليتم على فصلوا على أنبياء الله فان الله بعثهم كما بعثنى) تعليل لامره بأنهم ساووه فى أصل البعثة فيصلى عليهم وحكمة ذلك انهم لما بذلوا اعراضهم فى الله لاعدائه فنالوا منهم وسبوهم اعاضهم الله الصلاة عليهم وجعل لهم أطيب الثناء فى السماء والارض وأخلصهم بخالصة ذكرى الدار ففى هذه الاحاديث استحباب الصلاة عليهم وورد أيضا من حديث أنس عند الخطيب ووائل بن حجر عند ابن عساكر وكلها ضعيفة لكن بانضمامها قد تحصل القوة (وثبت عن ابن عباس اختصاص ذلك بالنبى صلى الله عليه وسلم أخرجه ابن أبى شيبة من طريق عثمان عن عكرمة عنه قال ما أعلم الصلاة تنبغى) أى تجوز وتطلب (من أحد على أحد الا على النبى صلى الله عليه وسلم) وقوفا مع ظاهر القران (وسنده صحيح) الى ابن عباس موقوف عليه وفيه نور لنا على قول عياض الاسانيد عن ابن عباس لينة (وحكى القول به عن مالك) الامام (وجاء نحوه عن عمر بن عبد العزيز وقال سفيان) الثورى فيما رواه عبد الرزاق والبيهقى (يكره أن يصلى الا على نبى) ولما فى الكراهة من معنى النفى عم وصح وقوع الاستثناء المفرغ بعده وروى البيهقى أيضا عن سفيان يكره أن يصلى على غير النبى صلى الله عليه وسلم وهذا موافق لابن عباس (وعن بعض شيوخ مذهب مالك) لفظ الشفاء وجدت بخط بعض شيوخى مذهب مالك (لا يجوز أن يصلى الا على محمد صلى الله عليه وسلم) فلا يصلى على غيره من الانبياء استقلالا وكان الاصوب لو قال المصنف وعن بعض الشيوخ بدون اضافة مذهب مالك بالرفع ليوافق النقل وقد حرف فى نسخ زاد وايا وهى خطأ فان قائل ذلك شيخ عياض لا المصنف (قالوا) عياض وغيره (وهذا غير معروف عن مالك وانما قال) مالك فى المبسوط (أكره الصلاة على غير الانبياء) وبين وجه الكراهة بقوله (وما ينبغى لنا أن نتعدى) نتجاوز (ما أمرنا به) الى غيره بل نقتصر عليه (وخالفه يحيى بن يحيى) بن كثير الليثى مولاهم القرطبى أبو محمد فقيه مجاب الدعوة قليل الحديث وله أوهام روى الموطأ مات سنة أربع وثلاثين ومائتين على الصحيح (فقال لا بأس به) أى بما ذكر من الصلاة على غير الانبياء ولفظ الشفاء قال يحيى بن يحيى لست

آخذ بقوله أي مالك ولا بأس بالصلاة على الانبياء كلهم وعلى غيرهم واحتج بحديث ابن عمر
وحديث تعليم النبي صلى الله عليه وسلم وفيه وعلى أزواجه وآله انتهى وتعقب بأن هذ
بطريق التبعية والكراهة استقلالا فلا يتجه به رد قول مالك وأما قوله (واحتج بأن الصلاة
دعاء بالرحمة فلا تمنع الا بنص أو اجماع) لان الاصل ان كل لفظ وضع لمعنى يجوز اطلاقه
على ما وجد فيه ذلك المعنى وتعقب بأنه لم يوضع لمطلق الدعاء بالرحمة بل مقيد بتعظيم يليق
بمقام النبوة فليس المحتج بذلك يحيى بل عياض فانه بعد أن ذكر احتجاج يحيى بالحديثين نقل
عن أبي عمران الفاسي انه اختار قول ابن عباس بكراهة الصلاة على غير المصطفى ونقل
حديث أبي هريرة صلوا على أنبياء الله ورسله الخ قال والاسانيد عن ابن عباس لينة
والصلاة في لسان العرب بمعنى الترحم والدعاء وذلك على الاطلاق حتى يمنع منه حديث
صحيح أو اجماع انتهى (وأما الصلاة على غير الانبياء فان كان على سبيل التبعية) للانبياء
(كما تقدم في الحديث اللهم صل على محمد وآل محمد ونحوه فهذا جائز بالاجماع)
وعليه يحمل قول عياض عامة أهل العلم متفقون على جواز الصلاة على غير النبي صلى
الله عليه وسلم أي تبعا بدليل حكايته الخلاف بعد في الاستقلال فلا يعترض عليه في حكاية
الاتفاق فيما اختلف فيه (وانما وقع النزاع فيما اذا أفرد غير الانبياء بالصلاة عليهم فقال
قائلون بجواز ذلك واحتجوا بقوله تعالى هو الذي يصلي عليكم وملائكته) ففيها دليل
على جواز الصلاة على كل مؤمن لا سيما وسبب نزولها ما أخرجه عبد بن حميد عن مجاهد
قال لما نزلت ان الله وملائكته يصلون على النبي قال أبو بكر يا رسول الله ما أنزل الله
عليك خيرا الا أشركنا فيه فنزلت هو الذي يصلي عليكم وملائكته وصلاة الله رحمته وصلاة
الملائكة الدعاء والاستغفار (وبقوله أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة) عطف
تفسير وان قلنا انها أعم لانه يجوز التفسير بالاعم المقصود منه فلا يرد أن العطف يقتضي
المغايرة لان الصلاة رحمة مشتملة على تعظيم وتكريم وأجيب الجمهور بأن الآيتين من
فعل الله وملائكته ولم يرد اذنه للمؤمنين بذلك كما قال صلوا عليه (وبقوله تعالى
خذ من أموالهم صدقة تطهرهم) بمغفرة ذنوبهم (وتزكيهم بها وصل عليهم) فأمره
بالدعاء بلفظ الصلاة دليل على الجواز استقلالا (وبحديث عبد الله بن أبي أوفى) بفتح
الهمزة والفاء بينهما واو ساكنة لا مفتوحة كما زعم من وهم علقمة بن خالد بن الحرث
الاسلمي صحابي شهد الحديبية وعمر بعد النبي صلى الله عليه وسلم دهرا مات سنة سبع
وثمانين وهو آخر من مات بالكوفة من الصحابة (قال كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم اذا أتاه قوم بصدقتهم) أي بزكاة أموالهم (قال اللهم صل عليهم) ارحمهم
وطهرهم وزك أموالهم التي بذلوا زكاتها (فأتاه أبي) علقمة شهد هو وابنه عبد الله بيعة
الرضوان تحت الشجرة (بصدقته) زكاته (فقال اللهم صل على آل أبي أوفى) قال
الحافظ يريد أبا أوفى نفسه لان الآل يطلق على ذات الشئ كقوله في قصة أبي موسى لقد
أوتي مزمارا من مزامير آل داود وقيل لا يقال ذلك الا في حق الرجل الجليل القدر
وفيه جواز الصلاة على غير الانبياء وكرهه مالك والجمهور قال ابن التين وهذا الحديث

بعكر

يعكر عليه وقد قال جماعة من العلماء يدعو آخذ الصدقة للمتصدق بهذا الدعاء لهذا الحديث وأجاب الخطابي عنه بأن أصل الصلاة الدعاء الا انه يختلف بحسب المدعو له فصلاة النبي صلى الله عليه وسلم على أمته دعاء لهم بالمغفرة وصلاة أمته عليه دعاء له بزيادة القربة والزلفى ولذلك كان لا يليق بغيره انتهى (أخرجه الشيخان) في الزكاة واللفظ لمسلم واحتجوا أيضا بقول امرأة جابر يا رسول الله صل علي وعلى زوجي فقال اللهم صل عليهما (وقال الجمهور من العلماء لا يجوز افراد غير الانبياء بالصلاة) وأجابوا عن هذه الاحتجاجات بأن ذلك كله وقع من النبي صلى الله عليه وسلم ولصاحب الحق أن يتفضل من حقه بما شاء وليس لغيره أن يتصرف فيه الا باذنه ولم يثبت عنه اذن في ذلك واحتجوا للمنع (لان هذا قد صار شعارا للانبياء اذا ذكروا فلا يلحق بهم غيرهم فلا يقال أبو بكر صلى الله عليه وسلم أو قال علي صلى الله عليه وسلم وان كان المعنى صحيحا) وانما يقال صلى الله على النبي وعلى خليفته أو صديقه أو ابن عمه ونحو ذلك لانه لا يلزم من صحة المعنى جواز الاطلاق (كما لا يقال محمد عزوجل وان كان عزيزا جليلا لان هذا) الثناء صار (من شعار ذكر الله عزوجل) فلا يشاركه فيه غيره وان صح المعنى (وحملوا ما ورد من ذلك في الكتاب) من الآيات الثلاث السابقة (والسنة) كحديث ابن أبي أوفى وحديث امرأة جابر (على الدعاء لهم بالمغفرة) من صاحب الحق ولم يأذن لغيره (ولهذا لم يثبت شعارا لآل أبي أوفى) فلم ينقل ان أحدا قال لهم ذلك غير المصطفى لانه في كلامه بمعنى الدعاء بالمغفرة (وهذا مسلك حسن وقال آخرون لا يجوز ذلك) استقلالا فهو اعادة لقول الجمهور ليقويه بقوله (لان الصلاة على غير الانبياء قد صارت من شعار أهل الاهواء) التابعين لما مالت اليه نفوسهم (يصلون على من يعتقدون فيهم فلا يقتدى بهم في ذلك) ولفظ الحافظ ويتقوى المنع بأن الصلاة على غير النبي صارت شعارا لاهل الاهواء يصلون على من يعظمونه من أهل البيت وغيرهم ثم اختلف المانعون من ذلك هل هو) أي المنع (من باب التحريم أو كراهة التنزيه أو خلاف الاولى على ثلاثة أقوال حكاها النووي في كتاب الاذكار) وحكاها غيره أيضا (ثم قال والصحيح الذي عليه الاكثرون أنه مكروه كراهة تنزيه لانه شعار أهل البدع وقد نهينا عن شعارهم) قال عياض هو أمر لم يكن معروفا في الصدر الاول كما قال أبو عمران وانما أحدثه الرافضة والشيعة في بعض الائمة فشاركوهم عند ذكرهم بالصلاة وساووهم بالنبي صلى الله عليه وسلم وأيضا فان التشبه بأهل البدع منهي عنه فتجب مخالفتهم فيما التزموه من ذلك انتهى وقد روى اسمعيل بن اسحق في كتاب أحكام القرآن له باسناد حسن عن عمر بن عبد العزيز انه كتب أما بعد فان ناسا من الناس التمسوا عمل الدنيا بعمل الآخرة وان ناسا من القصاص أحدثوا في الصلاة على خلفائهم وأمرائهم عدل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فاذا جاءك كتابي هذا فمرهم أن تكون صلاتهم على النبيين ودعاؤهم للمسلمين ويدعوا ما سوى ذلك ثم أخرج عن ابن عباس باسناد صحيح قال لا تصلح الصلاة على أحد الا على النبي صلى الله عليه وسلم ولكن للمسلمين والمسلمات الاستغفار

تم طبع الجزء السادس من شرح المواهب اللدنية بالمنح المحمدية لسيدى
محمد الزرقانى بحمد الله تعالى مع أصفيائه فى دار التهانى
وأعاد علينا من بركاته وأمدنا من فيض نعمائه
وكان ذلك بدار الطباعة الميرية المصرية
فى أيام الحضرة الخديوية السعيدية
لازالت بانفاس تلك الحضرة
مصدرا لنشر العلوم
النافعة ومطلعا
لانوار شموس
المعارف
الساطعة

ويليه الجزء السابع أوله الفصل الثالث فى ذكر محبة أصحابه الخ

هذا الجزء خالص الكمرك